﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾

من خصائص النبي محمد

صلى الله عليه وسلم

في

القرآن الكريم والسنة النبوية

أ.د / حسن السيد حامد خطاب

أستاذ الدراسات الإسلامية

ووكيل كلية الآداب جامعة المنوفية

الطبعة الثانية

٢٠١٧ م ----- ١٤٣٨ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

«وَما كَانَ اللهُ لِيعذبهم وَأنتَ فِيهم»

إهـــداء

أولا: الصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين سيدنا محمد ﷺ وعلى آلـــه وأصحابه والتابعين.

ثانيا: صلةً وبرًا لوالديّ عليهما من الله الرحمة والمغفرة.

ثالثا: إلى كل القلوب المُحِبَّةِ للحبيب المصطفى ﷺ.

إلى: القلوب التي تَهْوَى مدينةَ الأنْوَارِ، ورَوْضَةَ الإحســـان، وشَـــرَفَ الاتِّبَـــاعِ للحبيب المصطفى ﷺ.

إلى: الْمُحِبِّينَ لأفْضَلِ الخلق، وحبيبِ الحَقِّ، وسيد العالَمِين، سيدنا محمد الـــنبي العربي الأمين ﷺ.

إلى: كُلِّ مَن يريد أن يُعَمِّقَ حُبَّهُ بِالنَّبِيِّ الأكْرَم ﷺ.

إلى: كُلِّ مَن يرجو شفاعةَ النبي المختار ﷺ.

إلى: الأمَّةِ الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها الذين يُحِبُّونَ أنْ يَعْرِفُوا شيئًا مِن أنْوَارِ الخصائص المحمدية لخاتم النبيين، وصفوة الخلق أجمعين ﷺ كما وردت في القرآن المجيد والسنة النبوية المطهرة.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على النبيِّ الكريم، والرسولِ العظيم، خِيْرَةِ الخلق أجمعين، أكرَمِ مَوْلُودٍ وأعظَمِ مَخْلُوقٍ، وأفْضَلِ مَا في الوجود على رب الكَرَمِ والجُود، سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين.

وبَعـــــــــــــــــــدُ:

فإنَّ خَصَائِصَ الحبيبِ المصطفى، وفضائله عند رب العالمين لا حَصْرَ لَها، ومهما كُتِـــبَ ودُوِّنَ ونُظِمَ فلا يُمْكِنُ حصرُها؛ لأنه ﷺ فَوْقَ ما يُخيّل لنا مِن أدَبٍ، ومِن كَمَـــالٍ، ومِـــن جَمـــالٍ، فخصائصه ﷺ وفضائله لا حصر لها، ولا تتسع لها الدنيا بأسرها؛ ولهذا قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ﴾ [1]، وسوف تَظْهَرُ في الآخرة مَحامِدُه، وفضائله على وجه الكَمَالِ والتمام، بحيث لا يمكن لأحد من العالمين إنكارها؛ لِتَحَقُّقِهَا وظهورها عيانًا بيانًا جهارًا؛ لِكُلِّ مسلم وكافر، وعلى رؤوس الأشهاد، ولم يجعل الله ذلك في الدنيا: لِفَضْلِ الآخـــرة علـــى الدنيا، وشَرَافَةِ وكَرَامَةِ الحبيب المصطفى ﷺ، ومع هذا يَجِبُ على المسلم – أو: يُسْتَحَبُّ له – أن يَتَعَرَّفَ على شيء من خصائصه وفضائله؛ حتى يَعْرِفَ شريف مكانته، وسُمُو منزلته، فيتَمَكَّنَ حُبُّهُ مِن قلبه، فيتَّبِع أثَرَه، وينْهَج نَهْجَهُ على بَيِّنَةٍ، وهو مملوء حبًا له ﷺ، هذا الحب الذي هُـــو أساس لتحقيق الإيمان بالله تعالى، فلا يتحقق الإيمان في قلب المسلم إلا به، بل لا يوجد الإيمـــان ألبَتَّةَ – أو: لا يَكْمُل – حتى يكون حُبُّ العبد للنبي ﷺ أشَدَّ مِن حُبِّهِ لنفسه وأهله وماله وولده والناس أجمعين، كما أن اتِّبَاعَ النبي ﷺ هو الطريق المُوَصِّلُ إلى مَحَبَّةِ الله تعالى، كمـــا في قولـــه تعـــالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [2]، ولما كان المؤمنونَ حَريصِيْنَ على تحقيق حُبِّ الله تعالى: فَهُم مُتَّبِعُـــونَ للـــنبي ﷺ

---

[1] سورة الضحى آية: (٤).

[2] سورة آل عمران آية: (٣١).

بِحُبٍّ وَشَوْقٍ، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوۡ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذۡ يَرَوۡنَ ٱلۡعَذَابَ أَنَّ ٱلۡقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعَذَابِ﴾ [1]، وحُبُّ النبي ﷺ مِن حُبِّ الله تعالى، وعلامَةٌ عليه وبُرْهان؛ ولذا فَهُم يقدمون طاعة النبي ﷺ على طاعة أنفسهم وهَوَاهُم، وكما قال الله تعالى:﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾[2]، فما أحوجنا اليوم إلى أن نفهم تلك الخصال الشريفة، التي نَنْظُرُ من خلالها إلى نبي الإسلام، ورسالته وهَدْيِهِ، وفضلِ الله على أمة الإسلام – الأمَّةِ المُحَمَّدِيَّة – بتلك النعم التي لَم يَمُنَّ بِها على أحد من خلقه؛ إلا على أمة سيد البشر ﷺ، وأنَّ ذلك الفضل– من الله – ما هو إلا تكريم وتشريف لأشرف الخلق، وبيان عِظَمِ مكانته، وسُمُوِّ منزلته، وشريفِ خصائصه، وعدم حصر فضائله التي أكرمه الله بها، وكما قال الله سبحانه:﴿وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً﴾[3] وهو فضل عظيم في عظمته، وفي كثرته وفي تنوعه وفي شموله وعمومه وخلوده.

وقد أكثر العلماء قديماً وحديثًا[4] بالكلام على الخصائص النبوية التي لم يشارِك النبيَّ ﷺ فِيها أحَدٌ، وكان مِن عادة الفقهاءِ الحديثُ عَن بَعْضِها في مُقَدِّمَةِ «باب النكاح»؛ لوجود أكثر الخصائص التشريعية في باب النكاح، وأفْرَدَ بَعْضُهم الكلام عنها في مؤلفات مستقلة: كالإمام

---

[1] سورة البقرة آية : (١٦٥).

[2] سورة النساء آية : (٦٥).

[3] سورة النساء آية: (١١٣).

[4] يراجع: «الوفا بأحوال المصطفي» لابن الجوزي، و«دلائل النبوة» للإمام للبيهقي، و«مختصر سيرة الرسول ﷺ» لابن عبد الوهاب، و«من خصائص الرسول ﷺ وشمائله» د. شعبان محمد إسماعيل، و«الفصول في السيرة» للحافظ ابن كثير، و«المواهب اللدنية» للزرقاني، و«بداية السول في تفضيل الرسول» للعز بن عبد السلام، هدية: «مجلة الأزهر» (١٤٢١هـ).

السيوطِيِّ في: «الخصائص الكبرى» و«الشمائل الشريفة»، والقاضي عياض في: «الشفا في حقوق المصطفى»، والإمام الترمذي في: «الشمائل المحمدية» وغيرهم[1].

وقرَّر الأئمة أنه: مَا يَنْبَغِي الاختلافُ حَوْلَ خصائصه ﷺ، وما ينبغي أنْ يُذْكَرَ شيءٌ مِنْهَا إلا مَقْرُونًا بدَلِيْلِهِ، ودليلُ الخصائص لا بُدَّ أن يَكُون نَصًا؛ إذ لا مَجَال فيها للأَقْيِسَةِ والاجتهاد البَشَرِيِّ؛ لأن الاجتهادَ فيما لا نَصَّ فِيهِ هُجُومٌ عَلَى الغَيْبِ مِن غَيْرِ دَلِيل ولا برهان، وقد أكثر العُلَمَاءُ مِن عَدِّ فوائد معرفة «الخصائص المحمدية» لِمَا لَهَا مِن أثرٍ مُهِمٍّ في تعريف الناس بمكانة النبي محمد ﷺ، والتنويه بعظيم قدره عليه الصلاة والسلام، وَلِئَلَّا يُتَأسَّى بِه ﷺ في تلك الخصائص[2].

وفيما يلي أهم تلك الفوائد:

أولا: أنه يَجِبُ معرفَتُها حتى لا يَجْهَلَ مُسْلِمٌ مكانة النبي ﷺ مِن بين البشر، أومن بين الأنبياء، أومن بين الخلق، أو يَعْتَقِد مُشَارَكَتَه للنبي ﷺ فيها[3].

وفي هذا يقول محمد بن الحسين الآجُرِّيُّ رَحِمَهُ اللهُ (ت: ٣٦٠ هـ)[4]: «قَبِيحٌ بِالمسلمين أن يَجْهَلُوا مَعْرِفَةَ فَضَائِلِ نبيِّهِم ﷺ وما خَصَّهُ الله به مِن الكرامة والشرف في الدنيا والآخرة، لاسيّما وقد

---

[1] وهناك أيضًا: «الخصائص الكبرى» للسيوطي، و«الشمائل الشريفة» للسيوطي، و«غاية السول» لابن الملقن، و«الشمائل المحمدية» للبغوي، و«دلائل النبوة» للماوردي، ولأبي نعيم، والأصبهاني، بالإضافة إلى كتب: «السيرة النبوية» لابن هشام، و«شرحها» للسهيلي، و«السيرة النبوية» لابن حبان، و«السيرة النبوية» لابن حزم، و«مختصر سيرة الرسول ﷺ» للشيخ محمد بن عبد الوهاب.

[2] «منح الجليل شرح مختصر خليل» (ج٦ ص١٨٧)، و«التاج والإكليل» (ج٣ ص٣٩٣).

[3] «أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة» (ج١ ص٢٢٢)، و«فتح الباري» لابن حجر (ج٤ ص٢٢٥)، و«نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج» (ج٤ ص١٢٤)، و« الديباج على مسلم» للسيوطى (ج٢ ص٢).

[4] محمد بن الحسين، المعروف بالآجُرِّي، هو: الإمام المحدث القدوة أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله البغدادي مصنف كتاب: الشريعة في السنة، والأربعين، وغير ذلك، وكان مجاورا بمكة، وكان عالمًا عاملا صاحب سنة واتباع، قال الخطيب: «كان دَيِّنًا ثِقَةً له تصانيف»، توفي بمكة في المحرم (سنة ٣٦٠هـ) رَحِمَهُ اللهُ. يراجع: «تاريخ بغداد» (ج٢ ص٢٤٣)، و«تذكرة الحفاظ» (ج٣ ص٩٣٦).

نَعَت الله نَبِيَّهُ ﷺ في كتابه بما تَقَرُّ به أعينُ المؤمنين، حيث شَرَّفَهُ بأعلى الشَّرَفِ، ونَعَتَهُ بأحسن النَّعْتِ، ووَصَفَهُ بأجمل الوَصْفِ، وأن الأمة ما فُضِّلَت على الأمم إلا بانْتِسَابِهَا إلى النبي ﷺ، وأن الله فضلها ليُقِرَّ عَيْنَه ﷺ ويُرْضِيَه[1]».

وهذا يبين عَظَمَةَ الإفْضَالَاتِ الإلهية على أفضل البرية ﷺ، وكما في قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [2]، وقولِهِ تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ [3]، وإلا فَلِمَاذا اهتَمَّ الصحابَةُ والتَّابِعُونَ بِذِكْرِهَا؟ ولماذا دوّنها العلماء؟ ولماذا تناقلها العلماء لليوم؟ ولماذا عدّدها النبي ﷺ في أحاديثه؟ فما ذاك إلا لِأَثَرِهَا المُهِمِّ في نفوس المؤمنين، والذي مِنْهُ: تَعظِيْمُ حُبِّهِ ﷺ في قلوب المؤمنين بمعرفتها وفهمها.

ثانيًا: أنَّ مَعْرِفَتَه ﷺ مِن لَوَازِمِ حُبِّهِ، وحُبُّهُ فَرْضٌ على كل مسلم بالإجماع، فاقتضت دلالة الأمر بِحُبِّهِ: وُجُوبَ مَعْرِفَتِهِ؛ لعدم تحقق الحُبِّ بدون المعرفة، وحتى لا يَتَصَوَّرَ أحَدٌ أن النبي ﷺ في مكانَةٍ غَيْرِ مكانته، أو منزلة لا تليق بمكانته العظيمة، ولا يخفى أن ذلك مُنَاقِضٌ للإيمان، فوجب البيان والتعريف لتلك الأهمية.

ثالثًا: أنَّ مَعْرِفَةَ تِلك الخصائص المحمدية مما تَقَرُّ به أعْيُنُ المؤمنين، فيزدَادُ حُبُّهُ ﷺ في قلوبهم، ويَكْمُلُ بذلك إيمانُهم، لاسيما أن الإيمان لا يتم لأحد إلا إذا كان حُبُّهُ للنبي ﷺ أكثر وأشد من حبه لِنَفْسِهِ وولده والناس أجمعين، وقد أقْسَمَ النبيُّ ﷺ بالله تعالى على ذلك[4]، وهذا يعني أنه ليس لأحد حَقٌّ إلا بَعْدَ حَقِّهِ ﷺ، فَكُلُّ الحقوق تابعة لحقه ﷺ.

---

[1] «الشريعة» لأبي بكر محمد بن الحسين الآجري (ج١ ص٤١٤).

[2] سورة التوبة آية: (١٢٨).

[3] سورة الضحى آية (٥) .

[4] وذلك للحديث الذي أخرجه الشيخان: البخاري في كتاب: بدء الوحي، باب: حب النبي من الإيمان (ج١ ص١٤)، وأخرجه مسلم، كتاب: الإيمان، باب: وجوب محبة رسول الله ﷺ أكثر من الأهل والولد والوالد والناس أجمعين، وإطلاق

رابعًا: أنَّ هَذِهِ الخصائص كثيرة ومتنوعة ومتعددة، فمنها: ما هو تشريعي، ومنها: ما هو إعجازي، ومنها: ما هو تشريفي، ومنها: الأخلاقي والخلقي أيضا، وكلها علامات وأمارات لمن أرد أن ينظر إلى شَرَافَةَ قَدْرِ الحبيب المصطفى ﷺ عند ربه، وفضل الله عليه وعلى أمته، وأنه لن يستطيع إنسانٌ أن يصل إلى مثل ما وصل إليه الحبيب المصطفى مِن عُلُوِّ القَدْرِ، ورفيع المقام[1]؛ لأن له منزلة ومكانة فوق المنازل كلها، ومن ثَمَّ كان له تشريع خاص به، يليق بمكانته ورفيع درجته وسمو قدره عند الله تعالى، وفي ذلك إعْلَامٌ للأمة بعلوّ مكانته، ورفيع درجته في الدنيا والآخرة، كما قال له ربه ﷻ: ﴿ وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً ﴾[2].

خامسًا: أن معرفة هذه الخصائص تدعو غَيْرَ المُسْلِمِ إلى الدخول في الإسلام؛ ليكون من الأمة المحمدية، تلك الأمة التي فضلها الله ﷻ على كل الأمم شَرَافَةً للنبي الأكرم ﷺ، وقد كان لمعرفتها أَثَرٌ كبير في دخول كثير من الناس في الإسلام قديمًا وحديثًا كما سيأتي.

سادسًا: أن هذه الخصائص والفضائل ثابِتَةٌ بالنصوص القُرآنية والأحاديث النبوية، وقد عَدَّدَ النبي ﷺ أكثَرَهَا في أحاديثَ كثيرةٍ؛ بل إنَّ أوَّلَ مَن عدد تلك الخصائص هو النبي ﷺ برواياتها الكثيرة، فهي من العلم الشرعي المَحْض، الذي نَصَّ عليه الحبيب ﷺ تَحَدُّثًا بنِعَمِ الله عليه ﷺ، وإعلامًا لأمَّتِهِ بعُلُوِّ قدره، وسمو منزلته في الدنيا والآخرة، وسوف يأتي بيان تلك الروايات في مواطن متعددة،كما في: اختصاصه ﷺ بالشفاعة والحوض، ولواء الحَمْدِ، وكونِهِ خاتَمَ المرسلين والحاشِر، والماحِي، وحبيب الله، وخليله، وسيد ولد آدم، وأفضل الخلق وإمام النبيين وخاتمهم، وغير ذلك كثير كما سيأتي.

عدم الإيمان على من لَم يُحِبَّه هذه المحبة (ج١ ص٦٧) رقم: [٤٤]، وقد ذَهَبَ بَعْضُ العلماء إلي أنه لا فائدة من معرفتها و لم يذكروا أدلة على ذلك. انظر: «المواهب اللدنية» للزرقاني (ج٥ ص٢,٦)، وذكر أن معرفتها واجبة أو مستحبة؛ لأنه وردت أحاديث كثيرة تنص عليها، انظر: «المواهب» (ج٥ ص٢٤٢)، و«موسوعة الفتاوى» لدار الإفتاء المصرية، بعنوان: خصوصيات النبي ﷺ، الموضوع رقم: [١,٥]، من أحكام النبي محمد ﷺ رقم: (٩٤).

[1] «المجتبي= سنن النسائي» (ج٦ ص٥٥)، و«روضة الطالبين وعمدة المفتين» (ج٢ ص٤٤٩).

[2] سورة النساء آية: (١١٣).

ولقد تعددت طرق العلماء في تناول وترتيب الخصائص النبوية ،فرتبها بعضهم على قسمين:

القسم الأول: ما اخْتُصَّ بِهِ ﷺ عن سَائِرِ إخْوَانِهِ من الأنبياء.

القسم الثاني: ما اخْتُصَّ بِهِ من الأحكام دون أمَّتِهِ، ويمكن أن يُشَارِكه فيها غيره من الأنبياء.

ورتَّبَهَا البَعْض على النحو التالي[1]:

١- ما وَجَبَ عليه دون غيره.

٢- ما حُرِّم عليه دون غيره.

٣- ما أبِيْحَ لَه دون غيره.

٤- ما اختص به من الفضائل.

قال الحَطَّابُ الرُّعَيْنِيُّ (ت: ٩٥٤ هـ): «وقد ألَّفَ الناس في الخصائص كُتُبًا متعددة، والذي خص به ﷺ خمسة أنواع:

الأول: ما وجب عليه ﷺ دون غيره تشريفا له وتكثيرا لثوابه.

وقال إمام الحرمين: قال بعض العلماء: «ثواب الواجب يزيد على ثواب النافلة بسبعين درجة».

الثاني: ما وَجَبَ له ﷺ على غيره.

الثالث: ما حَرُمُ عليه ﷺ دون غيره تشريفا له – أيضا -.

الرابع: ما حَرُمَ على غيره لأجْلِهِ.

الخامس: ما أبِيْحَ له ﷺ دون غيره.

وهذه الخصائص منها: ما وَرَدَ في القرآن، ومنها: ما وَرَدَ في السنة، ومنها: ما هو متفق عليه، ومنها: ما هو مختلف فيه»[2].

وقد تَعَدَّدَت مَنَاهِجُ العلماء في بَيَانِ العُلُوم المتعلقة بشخص سيدنا محمد ﷺ:

---

[1] «فتح الباري» (ج٣ ص٣٥٤، ٣٥٥)، و«الفصول في السيرة» لابن كثير (ج١ ص٢٧٨)، و«المواهب اللدنية» للزرقاني (ج٥ ص٢٣٨، ص٢٤١).

[2] «مواهب الجليل» (ج٣ ص٣٩٣).

فمنها: «**الشمائل المحمدية**»، **أي**: الخِلَالُ التي اتَّصَفَ بِها خُلقيًّا وخَلقيًا - صِفَاتُ النَّبِيِّ ﷺ الخَلْقية والخُلُقية - أي: الجسمية، والعقلية، والروحية.

ومنها: «**السيرة النبوية**» التي تتعلق بأحداث سيرته ﷺ منذ وِلادَتِهِ إلى وفاته.

ومنها: «**كُتُبُ الهَدْيِ**»، مثل: «زاد المعاد في هدي خير العباد»، وهذه الكُتُبُ تَنْقُل لنا أسلوب النبي ﷺ وهَدْيَهُ، في: عبادته، ونسكه وزواجِهِ، ومعاشرته لأهله، ومعاملاته مع الناس[1].

ومنها: «**الخصائص**» التي خُصَّ بِها دون غيره، أو: الفضائل التي فضله الله بها، يعنى: ما اختُصَّ بِهِ النبي ﷺ من مَيْزَاتٍ وخَصَائِصَ لا يشاركه فيها أحد.

ومنها: «**الحقوق**» **الواجبة له** ﷺ.

كما تعددت المُصَنَّفَاتُ فيها ما بين مُؤَلَّفَاتٍ خاصة، أو: أبواب من مؤلفات عامة: مثل: «باب المناقب» أو: «الصفات» كما في كل كتب «السنن»، و«الصحاح» مِن مَصَادِرِ الحديث الشريف[2].

ومِنَ المُؤَلَّفَاتِ الخاصة في «الخصائص النبوية» مايلي:

١- «الخصائص الكبرى»، للشيخ جَلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت: ٩١١ هـ)، ط: دار الكتب العلمية - بيروت - (١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م).

أو: «كفاية الطالب اللبيب في خصائص الحبيب»، وهي: الخصائص والمعجزات النبوية، وهو مُجَلَّدٌ أوَّلُهُ: «الحمد لله الذي اطَّلَعَ فِي سَمَاءِ النبوة ... الخ»، ذَكَرَ فِيه أنه تَتَبَّعَ هذه الخصائص عِشرين سَنَةً؛ إلى أن زادَت عَلى الألْفِ، ثم اختصره وسَمَّاهُ: «أنموذج اللبيب في خصائص الحبيب»[3].

وَاخْتَصَرَهُ أيضا الشيخ: عبد الوهاب بن أحمد الشعراني (ت: ٩٧٢ هـ).

وعلى الأنموذج المذكور شَرْحَانِ: كَبِيرٌ وصغير لعبد الرؤوف المُنَاوِيِّ (ت: ١٠٣١ هـ).

---

[1] «مناظرة بين الإسلام والنصرانية» (ج١ ص٤١٧).

[2] ومنها: «السيرة النبوية» لابن هشام، و«تاريخ ابن خلدون»، و«تاريخ الطبري»، و«صحيحي» البخاري ومسلم، و«سنن»: ابن ماجه، والترمذي، والنسائي، وأبي داود، و«السنن الكبرى» للبيهقي والنسائي، و«التمهيد» لابن عبد البر.

[3] «معجم المطبوعات» (ج١ ص١,٧٩).

٢- «الفارِقُ بينَ المُصَنِّفِ وَالسَّارِقِ» للسيوطي- أيضا - أَلَّفَهُ رَدًّا عَلَى رَجُلٍ استَعَارَ مِنْهُ كتابه: «الخصائص»، وسَاقَ الألفاظ في تأليفه بِعِبَارَتِهِ، وادَّعَى أَنَّهُ لَهُ، وهو: من «مقاماته»[١].

٣- «الشمائل الشريفة» للسيوطي - أيضا -، وهو مطبوع ومحقق، ط: دار طائر العلم للنشر والتوزيع، بتحقيق: حسن بن عبيد باحبيشي.

٤- «الدُّرَرُ البَهِيَّةُ في شرح الخصائص النبوية» - تأليف الشيخ: محمد نوري بن عمر النووي الشافعي (ت: ١٣١٦ هـ)[٢].

٥- «المَوَاهِبُ اللَّدُنِّيَّةُ بِالمِنَحِ المُحَمَّدِيَّةِ» لشهاب الدين أبي العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك بن أحمد الخطيب القسطلاني المصري الشافعي (ت: ٩٢٣ هـ) بمصر.

وحاشيتها: لأبي الضياء نور الدين علي بن علي الشُّبْرَامَلِّسِيّ الأزهري الشافعي (ت: ١٠٨٧ هـ).

٦- «تَوْثِيقُ عُرَى الإيمان في تَفْضِيلِ حَبِيْبِ الرَّحْمَن» لشرف الدين أبي القاسم هبة الله بن عبد الرحيم البارزي (ت: ٧٣٨ هـ)، لَخَّصَهُ مِن «الشِّفَا».

٧- «شِفَاءُ الصُّدُورِ فِي أعْلَامِ نُبُوَّةِ الرَّسُول وخصائصه» للإمام الخطيب أبي الربيع سليمان بن سَبُع السَّبْتِيِّ.

٨- «الخَصَائِصُ» لأبي الخطاب بن دحية الكلبي الأندلسي (ت: ٦٣٣ هـ)، سَمَّاهُ: «نهاية السول في خصائص الرسول».

٩- «غَايَةُ السُّولِ فِي خصائص الرسول ﷺ» لأبي حفص عمر بن علي الأنصاري الشهير بابن الملقن (ت: ٨٠٤ هـ)، وهو مَطْبُوعٌ ومحقق، ط: دار البشائر الإسلامية - بيروت - (١٤١٤ هـ - ١٩٩٣م)، بتحقيق: عبد الله بحر الدين عبد الله.

١٠ - «بِدَاية السُّولِ فِي تفضيل الرسول» للعز بن عبد السلام (ت: ٦٦٠ هـ)، تعليق عبد المعز الجزار، ط: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية (١٤٢١ هـ)[٣].

---

[١] «كشف الظنون» (ج٢ ص١٢١٥).

[٢] «إيضاح المكنون» (ج١ ص٤٦٤).

[٣] «الرسالة المستطرفة» (ج١ ص١٩٨).

١١- «مُخْتَصَرُ سِيرة الرسول ﷺ» لمحمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن التيمي (ت: ١٢٠٦ هـ).

١٢- «مِن خَصَائِص الرسول ﷺ» د. شعبان محمد إسماعيل، ط٢، دار المريخ للنشر بالرياض (١٤٠٣ هـ).

١٣- «خصائص المصطفى ﷺ - بين الغلو والجفاء -. تأليف: الصادق بن محمد بن إبراهيم، وهي رِسالة علمية «ماجستير» بقسم العقيدة بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية.

وقد قَسَّمَ الموضوعَ إلى: مقدمة، ومدخل، وثلاثة أبواب، وخاتمة؛ ثم الفهارس.

أمّا المقدمة: فَبَيَّنَ فيها أهمية الموضوع وأهداف البحث وخُطَّتَهُ.

وأمَّا المدخل: فَعَرَّف فيه بعنوان البحث.

وأمَّا الأبواب الثلاثة فكانت على النحو التالي:

الباب الأول: الخصائص النبوية الصحيحة. وفيه فصلان:

الفصل الأول: خصائص النبي ﷺ على جميع الأنبياء عليهم السلام.

الفصل الثاني: خصائص النبي ﷺ دون أمته ويشاركه الأنبياء.

الباب الثاني: خصائص النبي ﷺ عند الغلاة. وفيه فصلان:

الفصل الأول: خصائص النبي ﷺ عند الغلاة قبل وُجُودِهِ.

الفصل الثاني: خصائص النبي ﷺ عند الغلاة في حياته البرزخية.

الباب الثالث: خصائص النبي ﷺ عند الجُفَاةِ، وفيه فصلان:

الفصل الأول: رَدُّ خصيصة ختم النبوة بالنبي ﷺ.

والفصل الثاني: تقديم الجفاة لأوليائهم على سَيِّدِ المرسلين ﷺ في الخصائص.

ثم: خاتمة البحث، والفهارس[1].

---

[1] «خصائص المصطفى» (ص: ٧).

وهناك مؤلفات أخرى غير ما سبق تَنَاوَلَت أشياءَ كثيرة مِن الخصائص منها:

١- «سيرة أبي الفتح بن سيد الناس الصغرى»، وهي المسماة: بـ«نُورِ العُيُونِ فِي تَلْخِيصِ سِيْرَةِ الأمين المأمون» مُخْتَصَرَةٌ مِن: «الكبرى» المسماة: بـ«عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير».

٢- «الدرر في اختصار المغازي والسير» لأبي عمر ابن عبد البر، و«خلاصة سير سيد النبيين» لمحب الدين الطبري، جمعه من اثني عشر مُؤَلَّفًا.

٣- «زاد المعاد في هدى خير العباد» لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي الدمشقي، المعروف: بـ«ابن قيم الجوزية» (ت: ٧٥١ هـ).

٤- «الزهر الباسم في سيرة المصطفى أبي القاسم» للحافظ علاء الدين مُغْلَطَاي (ت: ٧٦٢ هـ)، واختصارُهَا له – أيضًا -، وهو المسمى: بـ«الإشارة إلى سيرة المصطفى وتاريخ من بعده من الخلفاء».

٥- «سيرة أبي الربيع» سليمان بن موسى بن سليمان بن حسان الحميدي الكلاعي البلنسي. الحافظ محدث الأندلس وبليغها المعتني بالحديث أتم عناية صاحب التصانيف العديدة المتوفى شهيدا (سنة: ٦٣٤ هـ) سماها: «الاكتفاء في مغازي المصطفى والثلاثة الخلفاء».

وشَرْحُها لأبي عبد الله محمد بن عبد السلام البَنَّانِيّ- بفتح الباء وتشديد النون- الفاسي (ت: ١١٦٣ هـ) في خمس أو ست مجلدات.

٦- «السيرة السَّرِيَّةُ فِي شَمَائِلِ خير البرية» للإمام الذهبي (ت: ٧٤٨ هـ).

٧- «السيرة الكبرى» لعز الدين أبي عمر عبد العزيز بن محمد بن جماعة (ت: ٧٦٧ هـ) و«الصغرى» له أيضًا.

٨- «السيرة النبوية» لعبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبي محمد (ت: ٢١٣ هـ) ط: دار الجيل، بيروت، ط١، بتحقيق: طه عبد الرؤوف سعد.

٩- «الفصول في السيرة» لإسماعيل بن كثير البصري الدمشقي (ت: ٧٧٤ هـ).

١٠- «الوفا بأحوال المصطفى» لابن الجوزي (ت: ٥٩٧ هـ)، صححه محمد زهري النجار، ط: المؤسسة السعدية بالرياض.

١١- «دلائل النبوة» لأبي نعيم (ت: ٤٣٠ هـ)، بتحقيق: محمد رواس قلعجي، ط: المطبعة العربية حلب.

١٢- «دلائل النبوة» للأصبهاني، (ت: ٥٣٥ هـ)، بتحقيق محمد الحداد، نشر: دار طيبة بالرياض، ط١، (سنة ١٤٠٩ هـ).

١٣- «دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة» للإمام البيهقي (ت: ٤٥٨ هـ)، بتحقيق: عبد المعطي قلعجي، ط: دار الكتب العلمية بيروت، ط١، (١٤١٥ هـ).

١٤- «دلائل النبوة» للماوردي، (ت: ٤٥٠ هـ)، ط: دار الكتب العلمية بيروت.

١٥- «سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في البدء والمعاد»، لشمس الدين خاتمة المحدثين محمد بن يوسف بن علي الشامي الدمشقي الصالحي. ورتبها تلميذه: محمد بن محمد بن أحمد الفيشي المالكي، من مُسَوَّدَةِ المؤلِّفِ وغيرها على حَذْوِ مؤلِّفِها، وفَرَغ منها: (سنة ٩٧١ هـ).

كما تناول الفقهاء أيضًا جانبًا منها في مباحثهم، وهو الخصائص والفضائل التشريعية، ومن ذلك ما ذكره الخَطِيبُ الشِّرْبِيْنِيُّ (ت: ٩٧٧ هـ)[١]، حيث قال: «وقد جَرَت عادة أصحابنا بتخصيص هذا الكتاب بِذِكْرِ الخَصَائص الشَّريفة أوَّله؛ لأنها في النكاح أكثر منها في غيره، وقد ذَكَرت منها أشياء كثيرة يَنْشَرِح الصَّدْرُ بها في «شَرح التَّنبيه»، فلا أطيل بذكرها هاهنا، ولكن أذكر منها طرفًا يسيرًا تَبَرُّكًا ببركة صاحبها عليه أفضل الصلاة والسلام، فإنَّ ذِكْرَها مُسْتَحَبٌّ»[٢].

وقَال النَّوَوِيُّ[٣] في «الرَّوْضَة»: «ولا يَبْعُدُ القول بوجوبها؛ لئلا يرى الجاهل بعض الخصائص في الخبر الصحيح: فيعمل بها أخذًا بأصل التأسِّي، فَوَجَب بيانُها لتُعرَف»[١].

---

[١] هو: محمد بن أحمد الشربيني، شمس الدين، فقيه شافعي مفسر لغوي من أهل القاهرة، من تصانيفه: الإقناع في حل الألفاظ أبي شجاع، ومغني المحتاج في شرح المنهاج للنووي؛ كلاهما في الفقه، وله تقريرات على: المطول في البلاغة؛ وشرح شواهد القطر، توفي رَحِمَهُ اللَّهُ (سنة: ٩٧٧ هـ)، يراجع في ترجمته: «الأعلام» للزركلي (ج٦ ص٢٣٤)؛ و«معجم المطبوعات» (ج١ ص ١١,٨).

[٢] «مغني المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج» للشربيني الخطيب (ج٣ ص١٣٣)، و«التاج والإكليل» (ج٣ ص٣٩٣).

[٣] هو: يحيى بن شرف بن مري بن حسن، النووي – أو: النواوي - أبو زكريا، محيي الدين، من أهل نوى من قرى حوران جنوبي دمشق، علامة في الفقه الشافعي والحديث واللغة، تعلم في دمشق وأقام بها زمنا، وتوفي رَحِمَهُ اللَّهُ (سنة: ٦٧٦

ومِن كَلَامِ هذين الإمامين نَفْهَمُ أصْلَ معرفة الخصائص عندهم وهدفهم مِن ذِكْرِهَا، وأن ذلك عادَةُ العلماء فِي كُلِّ وَقت؛ ولهذا أتناول - بعون الله تعالى - بعضا من خَصَائِص النبي ﷺ للتعريف ببعض ما يَجِبُ معرفته، أو يُسْتَحَبُّ من خصائصه ﷺ؛ ولأن هذه الخصائص لَم تُوضَع لِمُجَرَّد التفضيل الذي يهدف للتفاخر والتعالي، أو الازدراء بالآخرين، **وإنما لها أهدافًا سامية من أهمها ما يلي:**

١- بيانُ شَرَافَةِ قَدْرِهِ وسمو منزلته ﷺ، وعِظَمِ مكانته عند ربه، وفائدتها: أن يوقره المؤمنون ويتأدَّبُوا معه، ويُقَدِّمُوا حُبَّه ﷺ على حُبِّهِم لأنفسهم وأهلِيهِم، حتى يَكْمُلَ الإيمان في قلوبهم، فإن ذلك شرط لتحقيق الإيمان أو صحته، أو وجوده أو كماله.

٢- بيانُ عَظَمَةِ الرسالة الخاتمة، وهيمَنَتِها على الرسالات السابقة عليها وعموميتها، وشموليتها التي توجِبُ عَلَى كُلِّ مَن بَلَغَتْهُ مِنَ المُكَلَّفِين الإيمان والتصديق بها[٢].

٣- بيانُ مَدَى تكريْم الله للإنسان، وفَضْلِ الله تعالى على البَشَرِ أنْ جَعَلَ أحَبَّ الخَلْقِ إليه مِن بَنِي الإنسان، وأرْسَلَهُ بِرِسَالَةِ الإنسانية والرَّحْمَةِ الإلهية لِكُلِّ العالمين، وهذا الأمر يُوجِبُ على كل مُكَلَّفٍ على قيد الحياة اتِّبَاعَ النبي ﷺ والاقتداء به، ومَحَبَّتَهُ أكثر من النفس والمال والولد، وعلى هذا تكون معرفة الخصائص النبوية ليست محصورة في دراسة السيرة النبوية، أو أن تكون بابًا من أبواب السيرة فقط، وإنما تعتبر من التشريع الواجب معرفته على كل مسلم، أوكل مؤمن بالنبي

هـ)، من تصانيفه: المجموع شرح المهذب؛ لم يكمله؛ وروضة الطالبين؛ والمنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج. يراجع في ترجمته: «طبقات الشافعية» للسبكي (ج٥ ص١٦٥)؛ و«الأعلام» للزركلي (ج٩ ص١٨٥).

(١) «روضة الطالبين» (ج٢ ص٤٤٩)، و«مغني المحتاج» (ج٣ ص١٢٣)، و«مواهب الجليل» (ج٣ ص٣٩٣)، و«شرح البهجة الوردية» (ج١٤ ص١٣٤).

وَذِكْرُ الْخَصَائِصِ مُسْتَحَبٌّ وَاَللَّهُ أَعْلَمُ، وقال في «الروضة»: قال الصَّيْمَرِيُّ: مَنَعَ ابنُ خَيْرَان الكلامَ فيها؛ لأنه أمر انقضى فلا معنى للكلام فيه، وقال سائر الأصحاب: الصحيح أنه لا بأس؛ لما فيه من زيادة العلم، قال: والصواب الجَزْمُ بِجَوَازِهِ؛ بل استحبابه؛ بل لا يبعد وجوبه لئلا يرى جاهل بعض الخصائص في الخَبَرِ الصحيح فيعمل بها أخذا بأصل التأسي، فوجب بيانها لِتُعْرَف، فأي فائدة أهم من هذه؟. «شرح البهجة الوردية» (ج١٤ ص١٣٤).

(٢) «شرح الزرقاني على المواهب اللدنية» (ج٥ ص٢٣٨).

ﷺ، كما نبه على ذلك الفقهاء[1]، حيث جعلوا معرفة قَدْرٍ مِن خصائص الرسول ﷺ، وصفاته من العلم الضروري الواجب على الأب أن يُعَلِّمَهُ ابْنَهُ قبل بلوغه، وإذا بلغ ولَم يُعَلِّمَهُ أحَد: وَجَبَ عليه أن يتعلمه بنفسه، وإلا كان إسلامُه ناقصًا، باعتبار أن إسلَامَه لا يَتِمُّ إلا بذلك[2]، عَمَلاً بقوله ﷺ: «**لَا يُؤْمِنُ أحَدُكُم حَتَّى أكُوْنَ أحَبَّ إلَيْهِ مِن نَفْسِهِ، وَوَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أجْمَعِيْنَ**»[3]، كما أنَّهُ أثِرَ عَن كِبَارِ أعلام الفقهاء استِحْباب الاشتغال بِعَدِّ وَحَصْرِ نِعَمِ الله تعالى على المصطفى ﷺ، وفضائله على الأنبياء.

فقد ذكر الحافِظُ ابنُ حَجَرٍ[4] في «الفتح» أن: أبا سعيد النيسابوري ذَكَرَ في كِتَابِ «شرف المصطفى» أن عدد الذي اختص به نبينا ﷺ عن الأنبياء سِتُّون خصلة، وفي قوله ﷺ: «**فُضِّلْتُ عَلَى الأنْبِيَاءِ بِخَمْسٍ**»، أو: «**سِتٍّ**»، أو: «**أرْبَعٍ**»، وتَعَدُّدِ تلك الروايات: دليل على مشروعية تعديد نِعَمِ الله[5] بصفة عامة، وما فضل الله به نبيه ﷺ خاصة؛ لاهتمام النبي ﷺ بها، وتعديدها في روايات كثيرة، وفي هذا تعليم للأمة للاهتمام بها وفهمها وتعلُّمِهَا.

---

(1) «شرح جلال الدين المحلي علي منهاج الطالبين للنووي» (ج١ ص٥١)، و«موسوعة الفتاوى» لدار الإفتاء المصرية، الموضوع: (١,٥)، و«حاشية الجمل على المنهج» لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري (ج٢ ص٦٦٦).

(2) «الوفا بأحوال المصطفى» (ج٢ ص٣٧٠)، و«بداية السول في تفضيل الرسول» للعِزّ بن عبد السلام، هدية مجلة الأزهر (١٤٢١ هـ).

(3) أخرجه البخاري، كتاب: الإيمان، باب: حب الرسول ﷺ من الإيمان، رقم: [١٤]، (ج١ ص١٤)، وأخرجه مسلم، كتاب: الإيمان، باب: وجوب محبة رسول الله ﷺ أكثر من الأهل، رقم [٤٤] (ج١ ص٦٧).

(4) هو: أحمد بن علي بن محمد، شهاب الدين، أبو الفضل الكناني العسقلاني، المصري المولد والمنشأ والوفاة، الشهير بابن حجر، نسبة إلى: (آل حجر) قوم يسكنون بلاد الجريد، وأرضهم: قابس في تونس: من كبار الشافعية، كان محدثًا فقيهًا مؤرخًا درس في عدة أماكن وولي مشيخة البيبرسية، ونظرها، والإفتاء بدار عدل، والخطابة بجامع الأزهر، وتولى القضاء. زادت تصانيفه على مائة وخمسين مصنفًا، تُوفي (سنة ٨٥٢ هـ)، من تصانيفه: فتح الباري شرح صحيح البخاري، خمسة عشر مجلدًا ؛ والدراية في منتخب تخريج أحاديث الهداية، وتلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير. يراجع في ترجمته: «الضوء اللامع» (ج٢ ص٣٦)؛ و«معجم المؤلفين) (ج٢ ص٢٠).

(5) «فتح الباري» (ج٣ ص٣٥٤)، وقال ابن حجر – ضمن ما يستفاد من الحديث –: «وفي قوله ﷺ «فضلت على الأنبياء بخمس أو ست أو أربع» مشروعية تعديد نعم الله، وإلقاء العلم قبل السؤال، وأن الأصل في الأرض الطهارة»، و«عظم

٤- قال القاضي عياض[١] في سبب تأليفه لكتابه - «الشفا في حقوق المصطفى» -[٢]: «إن هذا لَم نَجْمَعْهُ لِمُنْكِرِ نُبُوَّةِ نبينا ﷺ، ولا لطاعِنٍ في معجزاته، فيحتاج إلى نصب البراهين عليها؛ بل ألَّفْنَاهُ لأهل مِلَّتِهِ، المُلَبِّينَ لدعوته، المصدّقين لنبوته؛ ليكون تأكيدًا في محبتهم له، وسببًا لتنمية أعمالهم، وليزدادوا إيمانًا مع إيمانهم، وكما قال الله تعالى: ﴿ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى ﴾[٣]» ففي التعرف على تلك الخصائص وفهمها زيادة إيمان، وزيادة حب للحبيب ﷺ، وزيادة توقير وإجلال له ﷺ.

وسوف أذكُرُ - فقط - بعضًا من خصائصه وفضائله، ومشاهِيْرِ معجزاته التي تُعَدُّ من خصوصياته، والتي تَدُلُّ على عظيم قدره عند ربه، على أن العاقل لو تتبع جميل أثره، وحميد سيرته وبراعة علمه، ورجاحة عقله وحلمه، وجُمْلَةَ كَمَالِهِ، وجميعَ خصاله: علم قطعًا علو مكانته، ورفعة منزلته على الخلق أجمعين عند رب العالمين، ولذلك لا يمكن حصر خصائصه وفضائله؛ إذ كيف أستطيع حصر خصائص مَن أثنى الله تعالى عليه، وأفرده بالثناء والتعظيم، وكيف أستطيع أن أحيط بجمال أخلاقه، وهو المخصوص بالكرامة والإمامة، وقد جاء بمكارم الأخلاق كلِّها وكان على الخُلُق العظيم، وهل يمكن حصر خصائصه، وأفضل الخلق بعده - وهم: الأنبياء - جَاءُوا قبله بدعوته، ويكونوا يوم القيامة تحت لوائه؟ بل كيف يمكن حصر فضله؛ وقد جعل الله المِنَّةَ له - بَعْدَ اللهِ تعالى - على جميع الخلق عندما يفزعون إليه يوم القيامة؟

قدره» (ص١٠، ص٢٥)، لخليل إبراهيم ملا خاطر العزامي - مكتبة الملك فهد الوطنية ط ١٤١٥هـ - ط٩، بالمدينة المنورة.

[١] هو: عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي، أبو الفضل، أصله من الأندلس ثم انتقل آخر أجداده إلى مدينة فاس: أحد عظماء المالكية، كان إماما حافظا محدثا فقيها، من تصانيفه: التنبيهات المستنبطة في شرح مشكلات المدونة في فروع الفقه المالكي، والشفا في حقوق المصطفى؛ وإكمال المعلم في شرح صحيح مسلم؛ وكتاب الإعلام بحدود قواعد الإسلام توفي (سنة ٥٤٤ هـ) وهو غير القاضي عياض، أبي الفضل (المتوفى ٦٣٠ هـ) من الفقهاء الفضلاء الأعلام، كما في: «شجرة النور» (ص: ١٧٩)، يراجع في ترجمته: «شجرة النور الزكية» (ص ١٤٠)؛ و«معجم المؤلفين» (ج٨ ص١٦).

[٢] «الشفا» (ج١ ص٢٤٦)، الباب الرابع: فيما أظهره الله على يديه من المعجزات وشرفه به من الخصائص. ت: محمد علي البجاوي، ط: دار الكتاب العربي - بيروت.

[٣] سورة مريم آية: (٧٦).

فهو الذي يشفع بإذن ربه يوم لا شفاعة لأحد من الخلق قبله، وإذا كانت لا يُمْكِنُ حصرها فيتعين بيان بعضها على سبيل المثال لمعرفة سمو منزلته، وعلو قدره، وعِظَمِ حقه على الكافَّةِ والخاصة؛ حتى يُمْكِن ترجمة ذلك في سلوكنا فنحقق الاقتداء به على الوجه الأكمل، ونعرف كيفية التعامل معه ﷺ كما كان السَّلَفُ يتعاملون معه من غير غُلُوٍ ولا شَطَطٍ، فمعرفته ﷺ باب الإيمان، وأحد الأصول الثلاثة التي يجب على المسلم معرفتها.

وقد نقل ابن تيمية (ت: ٧٢٨ هـ) **عَن نِفْطَوَيْه**[١]: في معنى قوله تعالى: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾[٢]: «هذا مَثَلٌ ضَرَبَهُ الله تعالى لنبيه ﷺ يقول: يكاد منْظَرُهُ يَدُلُّ على نُبُوَّتِهِ، وإنْ لَم يَتْلُ قُرآنًا»[٣].

كما **قال ابنُ رَوَاحَةَ**[٤]:

لَوْ لَم تَكُن فِيْهِ آياتٌ مُبَينَةٌ *** لَكَانَ مَنْظَرُهُ يُنْبِيْكَ بِالخَبَرِ[١].

---

[١] نفطويه هو: إبراهيم بن محمد بن عرفة العتكي الأزدي الو اسطي، سكن بغداد، وصنف التصانيف وكان متفنناً في العلوم، ينكر الاشتقاق ويحيله، وكان يحفظ نقائض جرير والفرزدق وشعر ذي الرمة،ترجمته في: «بغية الوعاة» (ج١ ص٤٢٨).

[٢] سورة النور آية: (٣٥).

[٣] «تفسير البغوي» (ج١ ص٤٥). قال كعب: هذا مثل ضربه الله لنبيه ﷺ فالمشكاة صدره، والزجاجة قلبه، والمصباح فيه النبوة، توقد من شجرة مباركة، هي شجرة النبوة، يكاد نور محمد وأمره يتبين للناس ولو لم يتكلم أنه نبي، كما يكاد ذلك الزيت يضيء ولو لم تمسسه نار. وانظر: «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح»، (ج٦ ص٥١٠)، لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، الناشر : دار العاصمة – الرياض، ط١، ١٤١٤هـ، تحقيق : د. علي حسن ناصر،و د. عبد العزيز إبراهيم العسكر، ود. حمدان محمد، و«الشفا» (ج١ ص٢٤٩)، ونسب الزبيدي هذا القول لابن عرفة في: «تاج العروس» (ج١ ص١٦٥).

[٤] هو: الصحابي الجليل عبد الله بن رواحه بن ثعلبة بن امرئ القيس بن عمرو بن امرئ القيس، ويقال: أبو رواحة، ويقال: أبو عمرو، الأنصاري الخزرجي، وهو خال النعمان بن بشير، أخته عمرة بنت رواحة، أسلم قديما وشهد العقبة، وكان أحد النقباء، وشهد بدرا وأحدا والخندق والحديبية وخيبر، وقد شهد له رسول الله ﷺ بالشهادة، فهو ممن يقطع له بدخول الجنة. استشهد يوم مؤتة. يراجع: «السيرة النبوية» لابن كثير (ج٣ ص٤٨٩).

خطة البحث:

سَوفَ يَكونُ تناوُلُ ما يتيسر من خصائص النبي الأكرم ﷺ في هذا البحث على النحو التالي: تمهيد، وخمسة مباحث، وخاتمة.

فأما التَّمْهِيدُ: فَفِي مفردات العنوان (بِبَيَانِ مَعْنَى **الخَصَائِصِ والفَضَائِلِ والأَلْفَاظِ ذَاتِ الصِّلَةِ**) فيشتمل التمهيد على أمرين:

أولهما: تعريف المعجزة، والكرامة، والفرق بين المعجزات، والخصائص، والكرامات.

ثانيهما: وجْهُ ظهور معجزات النبي ﷺ وشُمُولِهَا على معجزات الأنبياء والمرسلين.

والمبحث الأول: من «الخصائص الإعجازية» للنبي ﷺ. وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: من الخصائص الإعجازية التي يَتَبَيَّنُ مِنْهَا عُلُوُّ قدره، ورفعةُ منزلته، وسمو مكانته ﷺ بين الخلق جميعًا في الدنيا والآخرة.

المطلب الثاني: من الخصائص الإعجازية التي يتبين منها بيان عِظَمُ الرسالة الإسلامية التي أرسله الله بها.

المطلب الثالث: من الخصائص الإعجازية التي يتبين منها منزلة الأمة المحمدية بين الأمم في الدنيا والآخرة.

والمبحث الثاني: من «الخصائص التشريفية» للنبي ﷺ. ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: مِن خَصَائِصِ النَّبِيِّ ﷺ التشريفية في الحياة الدنيا.

المطلب الثاني: من خصائص النبي ﷺ التشريفية في الحياة الآخرة.

---

(١) «الشفا في حقوق المصطفي» (ج١ ص٢٤٩) ت: محمد علي البجاوي، مذيلا بالحاشية المسماة: «مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفاء»، ط: دار الفكر الطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، و«بداية السول في تفضيل الرسول» للعز بن عبد السلام (ص٢٨ ص٣٠)، و«الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» (ج٦ ص٥١٠).

المبحث الثالث من «الخصائص التشريعية» للنبي ﷺ. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: من الخصائص التشريعية التي اختص بها ﷺ دون غيره من الأنبياء والأمة. وهي على أربعة أنواع:

النوع الأول: من خصائصه التشريعية: ما أوجبه الله عليه دون غيره.

النوع الثاني: من خصائصه التشريعية: تحريم بعض الأشياء عليه ﷺ.

النوع الثالث: من الخصائص التشريعية: ما أباحه الله له ﷺ دون غيره.

النوع الرابع: ما اختص به من الفضائل التشريعية دون غيره.

المطلب الثاني من الخصائص التشريعية التي اختص بها دون أمته وقد يشاركه فيها الأنبياء.

المبحث الرابع: من «الخصائص الأخلاقية والخِلقية» للنبي ﷺ. ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: من خصائصه الأخلاقية.

المطلب الثاني: من خصائصه الخِلقية.

المبحث الخامس: من خصائصه ما افترضه الله له ﷺ من حقوق على الأمة والعالمين.

وفي هذا المبحث مطلبان:

المطلب الأول: من خصائصه: ما افترضه الله له ﷺ على العالمين.

المطلب الثاني: من خصائصه: ما افترضه الله له ﷺ على الأمة.

والخاتمة: فيها نتائج البحث.

وأما منهج البحث: فقد وضعت لهذا البحث منهجًا علميًا أوْجزُهُ فيما يلي:

أولا: جمع خصائص النبي ﷺ، وبيانُ وَجْهِ الخصوصية فيها؛ بأن تظهر الخصوصية للنبي ﷺ بمقارنة ما جاء في شأنه وشأن الأنبياء الذين مِن قبله، أو يَنُصّ عليها العلماءُ؛ سواء في كتب الخصائص والفضائل أو الدلائل، أو في كتب الفقهاء، مع ذكر أدلتها من الكتاب والسنة.

ثانيًا: بيان تنوع وتَعَدُّدِ خصائص النبي ﷺ؛ لما في ذلك من بيان أهميتها، وما تستلزمه من بيان عظمة الرسول ﷺ، ورسالته، وأمته.

ثالثًا: توثيق الآراء والأدلة المستدل بها في البحث من مصادرها المعتمدة.

رابعًا: كتابة الآيات القرآنية المستَدَلّ بها في البحث بالخط العثماني، مَعَ نِسْبَةِ كُلِّ آية إلى سورتها ورقمها بالهامش.

خامسًا: تخريج الأحاديث النبوية حَسْبَ المنهج المعروف في التخريج.

سادسًا: ترجمة الأعلام التي وَرَدَت بالبحث، وَوَقَفْتُ على ترجمتها.

سابعًا: شرح المصطلحات والألفاظ التي تحتاج إلى توضيح.

التمهيد:

«معنى الخصائص والفضائل والألفاظ ذات الصلة».

ويشتمل على أمرين:

أولهما: تعريف المعجزة، والكرامة، والفرق بين المعجزات، والخصائص، والكرامات.

ثانيهما: وجه ظهور معجزات النبي ﷺ، وشمولها على معجزات الأنبياء والمرسلين.

أولا: الفرق بين المعجزات، والخصائص، والكرامات:

يُفرّق بين المعجزات والخصائص والفضائل بما يلي:

«**المُعْجِزَةُ**» **في اللغة:** تَعُمُّ كُلَّ خارِقٍ للعادة، سواء ظهر على يَدِ نبي أو ولي أو غيرهما، يُسَمَّى: «معجزة».

ففي اللسان: «المِعْجَزَة» هي - بكسر الميم -: المِنْطَقَة؛ بِلُغَةِ اليمن، وسميت بذلك؛ لأَنها تلي عَجُزَ المُتَنَطِّق بها[1].

وأما معناها في الشرع: فالصحيح في قول أكثر أهل السنة والجماعة أنّ «**المعجزة**» هي: ما صار الإعجاز به للجن والإنس جميعًا لا لطائفة منهم، فهي مُعْجِزَةٌ للجِنِّ والإنس جميعًا لا يستطيعون أن يأتوا بمثل ذلك[2].

ودلّ على هذا: قول الله ﷻ: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾[3].

و«**المعجزة**» و«**الكرامة**» في عُرْفِ أئمة أهل العلم المتقدمين: تَعُمُّ كُلَّ خَارِقٍ للعادة، لا فرق بين المعجزة والكرامة عندهم، فالإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ وغيره يسمونها: «الآيات»[1].

---

(1) «لسان العرب» (ج٥ ص٣٦٩)، و«النهاية في غريب الأثر» (ج٣ ص٤,٦).

(2) «شرح العقيدة الطحاوية» لصالح آل الشيخ (ج١ ص٣١٤)، و«معجم لغة الفقهاء» (ج١ ص٤٣٩).

(3) سورة الإسراء، آية: (٨٨).

أما «المعجزة» و«الكرامة» في عُرْفِ العلماء المتأخرين فيفرقون في اللفظ بينهما: فيجعلون «المعجزة» للنبي ﷺ، و«الكرامة» للولي، وجماعها: الأمر الخارق، فـ«الكرامة» عند المتأخرين من العلماء هي: أمر خارق للعادة غير مقرون بدعوة النبي، يظهر على يدي صالح ملتزم بمتابعة النبي، والكرامات للأولياء حق، وهي من وجهٍ: تصديق للأنبياء، وتأكيد للمعجزات[٢].

فـ«**الكرامة**»: أمر خارق للعادة، يُظْهِرُهُ الله على يد وَلِيٍّ؛ لتأييده وتثبيته، وهي لا تكون إلا لِمَن استقام على الشريعة ظاهرًا وباطنًا، كما أنها ليست للتحدي، بخلاف «**المعجزة**» فإنها: أمر خارق للعادة، دَاعٍ إلى الخير والسعادة، مقرون بدعوى النبوة، قُصِدَ به إظهارُ صدق مَن ادَّعَى أنه رسول من الله[٣].

و«**المعجزة**» التي يظهرها الله على يدي مدعي النبوة: من خوارق العادات، ومنها: ما يتحدى به أمته، كالقرآن لمحمد ﷺ، ومنها: ما لا يُتَحَدَّى به، كنبع الماء من بين أصابعه، وحنين الجِذْعِ إليه، ولا يسمى «كرامة»، و«الكرامة»: ما ظهر على يد صالح من الصالحين من الخارق للعادة، ولا يسمى «معجزة»، وعند العلماء المتقدمين: ما ظهر على يد نبي يسمى «معجزة» و«كرامة»، وما ظهر على يد صالح يسمى: «كرامة» و«معجزة»[٤].

وعند العلماء المتأخرين: ما ظهر على يد نبي يسمى «معجزة» ولا يسمى «كرامة»، وما ظهر على يد صالح يسمى «كرامة» ولا يسمى «معجزة».

لكن أي الاصطلاحين أصح؟

= الأصح: اصطلاح العلماء المتقدمين؛ لأنه يوافق اللغة العربية.

ففي اللغة العربية:كل خارق للعادة يسمى: «معجزة»، سواء ظهر على يد نبي أو وَلِيٍّ، وكذا عند العلماء المتقدمين: كل خارق للعادة يسمى «معجزة» ويسمى «كرامة»، سواء ظهر على يد نبي أو ولي.

---

[١] «شرح العقيدة الطحاوية» لعبد العزيز الراجحي (ج١ ص٣٨٢).

[٢] «الملل والنحل» (ج١ ص٩٣)، و«الجواب الصحيح» (ج٢ ص٤٣)، و«أبجد العلوم» (ج٢ ص٣٢٧).

[٣] «التعريفات» (ج١ ص٢٨٢).

[٤] «شرح العقيدة الطحاوية» لعبد العزيز الراجحي (ج١ ص٣٨٢).

ودلائل نبوته ﷺ لم تَمُت بِمَوْتِهِ: فدلائل نبوته ﷺ ظاهرة، وأعلامها منشورة إِلَى قيام الساعة، لَم تمت بموته ﷺ، ولا بموت أصحابه، وإنما هي باقية مخلدة، وكل إنسان مؤاخذ ومخاطب بما جاء من عند الله تبارك وتعالَى، وما مِن أحَدٍ يسمع به ﷺ في هذه الأرض، ثمَّ لم يؤمن به إلا كان من أهل النار، وقد قال ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ: لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِن هَذِهِ الأُمَّةِ يَهُودِيٌّ، وَلَا نَصْرَانِيٌّ ثُمَّ يَمُوتُ، وَلَم يُؤْمِن بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ: إِلَّا كَانَ مِن أَصْحَابِ النَّارِ**»[1]، وذلك لظهور الحجة واستبانة المَحَجَّةِ، ودلائل نبوته ﷺ يعرفها العالم والجاهل، وهذا من فضل الله تبارك وتعالى، ورحمته بالعالمين[2].

وسميت «المُعْجِزَةُ»: مُعْجِزَةً؛ لِعَجْزِ البشر عن الإتيان بمثلها، وهي تدل على صدق من ظهرت على يديه، وشرط تسميتها «معجزة» أن تظهر على يد مدعي الرسالة[3].

أما «الفَضَائِلُ»: فهي جمع «فضيلة» وهي: الخصلة الجميلة التي يَحْصُلُ لصاحبها بِسَبَبِهَا شَرَفٌ، وعُلُوُّ مَنْزِلَةٍ؛ إما عندَ الحَقِّ، وإمَّا عِنْدَ الخَلْقِ، والثاني لا عبرة به إلا إذا أوْصَلَ إلى الأول، فإذا قلنا: «فلان فاضل»، فمعناه: أن له منزلة عند الله، وهذا لا تَوَصُّلَ إِلَيهِ إلا بالنقل عن الرسول، فإذا جاء ذلك عنه – إن كان قطعيًا –: قَطَعْنَا به، أو ظنيًا: عملنا به، وإذا لم نجد الخبر: فلا خَفَاءَ أنَّا إذا رأينا مَن أعانه الله على الخير، ويَسَّرَ له أسبابه، أنَّا نَرْجُو حصول تلك المنزلة له، لما جاء في الشريعة من ذلك[4].

---

(1) أخرجه مسلم، كتاب: الإيمان، باب: وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس ونسخ الملل بملة، رقم: [١٥٣] (ج١ ص١٣٤).

(2) «شرح العقيدة الواسطية» (ج١ ص٣٤٩).

(3) «محمد رسول الله» (ج١ ص٦).

(4) «فتح الباري» لابن حجر (ج٦ ص٥٨١).

وَذَكَرَ الْمُفَسِّرُونَ أن **التفضيلَ لا يكون بكثرة الأموال والأتباع**: قال الألوسِيُّ (ت: ١٢٧٠هـ)[١] في معنى قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا [٢]﴾: « {وَلقد فضلنا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلى بَعْضٍ} بالفضائل النفسانية والمزايا القدسية، وإنزال الكتب السماوية، لا بكثرة الأموال والأتباع، {وآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُوْرًا}: بيان لحيثية تفضيله عليه الصلاة والسلام، وأنه بإيتائه الزبور لا بإيتائه الملك والسلطنة، وفيه: إيذان بتفضيل نبينا، فإن كونه عليه الصلاة والسلام خاتَم الأنبياء، وأن أمته خير الأمم، وأن الله أنزل عليه القرآن الكريم: مما تَضَمَّنَهُ الزبور، وقد أخبر سبحانه عن ذلك بقوله عز قائلاً: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾[٣]، يعني: محمدًا وأمته.

وقوله تعالى: {وَرَفَعَ بَعْضَهُم دَرَجَاتٍ}: أي ومنهم مَن رَفَعَهُ علَى غيره مِنَ الرُّسُلِ المتفاوتين في مَعَارِجِ الفضل بدرجات قاصية، ومراتب نَائية، ومعلوم ما بينهم مِن اختلاف الحال في درجات الشرف، كما أنه ﷺ قد خُصَّ بالدعوة العامة، والحُجَجِ الجَمَّةِ، والمعجزات المستمرة، والآيات المتعاقبة بتعاقب الدهور، والفضائل العلمية والعملية الفائتة للحصر، والإبهام؛ لتفخيم شأنه، وللإشعار بأنه العَلَمُ الفَرْدُ الغَنِيُّ عَن التعيين»[٤].

أما معنى «الخصائص»: فالخصائص والاختصاص في اللغة: الانْفِرَادُ بالشيء دون الغير، أو إفراد الشَّخْصِ دُونَ غيره بِشَيءٍ مَا.

وهو عند الفقهاء كذلك، فهم يقولون: هذا مما اختص به الرسول ﷺ أو مما اختصه الله به.

---

[١] الألوسي: هو محمود بن عبد الله، شهاب الدين، أبو الثناء الحسيني الألوسي : مفسر، محدث، فقيه، أديب، لغوي، مشارك في بعض العلوم، من أهل بغداد، كان سلفي الاعتقاد مجتهدا، تقلد الإفتاء ببلده سنة ١٢٤٨هـ، وعزل فانقطع للعلم، من تصانيفه : روح المعاني، في تفسير القرآن، والأجوبة العراقية والأسئلة الإيرانية، والخريدة الغيبية، وكشف الطرة عن الغرة، توفي (سنة: ١٢٧٠هـ)، تراجع ترجمته في: «معجم المؤلفين» (ج١٢ ص١٧٥)، و«الأعلام» (ج٨ ص٥٣).

[٢] سورة الإسراء آية: (٥٥).

[٣] سورة الأنبياء آية: (١,٥).

[٤] «روح المعاني» (ج٣ ص٢٤٥)، و«تفسير أبي السعود» (ج١ ص ٢٤٦)، و«فتح الباري» لابن حجر (ج٦ ص٥٨١).

فـ«**الخصائص**» هي: الأشياء التي خَصَّ الله بها بَعْضَ الخلق على بعض، أو بعض الأنبياء على بعض؛ لتفضيلهم بها وتشريفهم وتقديمهم، وهي أعم مِن المعجزات والكرامات، فقد تكون الخصائص من المعجزات، وقد تكون من الأحكام الشرعية، وقد تكون من الأخلاق والشمائل.

من له حق الاختصاص؟

= الاختِصَاصُ إمَّا للمُشَرِّعِ، أو لِأحَدٍ مِنَ العِبَادِ بما له من وِلايَةٍ أو مُلْكٍ، والمراد به هنا: أن الاختصاص للشَّرْعِ، ومِن ثَمَّ لا بُدَّ مِن دليل شرعي يدل عليه.

و«الاختصاص» مِن المُشَرِّعِ لا تُشْتَرَطُ لَهُ شُروط؛ لأنه هو واضع الشروط والأحكام، وهو واجب الطاعة، كاختصاصه رَسُولَ اللهِ ﷺ بإبَاحَةِ الزواج بأكثر من أربع نساء، واختصاصه الكعبة **بوجوب التوجه إليها في الصلاة**.

أما «**الشمائل**» **فهي**: الصفات التي يتحلى بها الشخص خَلقاً، وخُلقاً.

وأما «**الفضائل**» **فهي**: ما يفضل بها الشخص عن غيره.

وأما «**المناقب**» **فهي**: ما يتميز بها الشخص عن غيره، سواء كانت للتفضيل أو لا.

فـ«**الخصائص**»: أعم هذه الأنواع كلها.

أما «**العَلَامَةُ**» فهي أعَمُّ مِنَ «المعجزة»، و«المعجزة» أخص؛ لأنه يشترط فيها أن يَتَحَدَّى النَّبِيُّ ﷺ مَن يُكَذِّبُهُ بأن يقول: «إنْ فَعَلْتُ كذلِكَ أتُصَدِّقُ بأني صادِقٌ؟»، أو يقول من يتحداه: «لا أصَدِّقُكَ حَتَّى تَفْعَلَ كَذَا»، ويُشْتَرَطُ أن يكون المُتَحَدَّى به مما يَعْجَزُ عنه البشر في العادة المستمرة، وقد وقع النوعان للنبي ﷺ في عِدَّةِ مواطن[1].

وأشهر مُعجزات النبي ﷺ: القرآن؛ لأنه ﷺ تحدى به العرب - وهم أفصح الناس - بأن يأتوا بسورةٍ مِثْلِه؛ فعجزوا مع شدة عداوتهم له وصدهم عنه، حتى قال بعض العلماء: أقْصَرُ سورة في القرآن {إنَّا أعْطَيْنَاكَ الكَوْثَرَ} فَكُلُّ قرآن من سورة أخرى كان قدر {إنَّا أعْطَيْنَاكَ الكَوْثَرَ}

---

[1] «فتح الباري» لابن حجر (ج٦ ص٥٨١).

سَواء كان آية أو أكثر أو بعض آية: فهو دَاخِلٌ فِيمَا تَحَدَّاهُم بِه، وعلى هذا: فَتَصِلُ مُعْجِزَاتُ القُرْآنِ – من هذه الحيثية – إلى عدد كثير جدا.

ووجوه إعجاز القرآن: من جِهَةِ حُسْنِ تأليفه، والتِئَامِ كَلِمَاتِهِ، وفَصَاحَتِهِ، وإيجازه في مقام الإيجاز، وبلاغته ظاهرة جدا، مع ما انضم إلى ذلك من حسن نظمه وغرابة أسلوبه، مع كونه على خلاف قواعد النظم والنثر، هذا إلى ما اشتمل عليه من الإخبار بالمُغَيَّبَاتِ مما وقع من أخبار الأمم الماضية مما كان لا يعلمه إلا أفرادٌ مِن أهل الكتاب، و لم يُعْلَم أن النَّبِيَّ ﷺ اجتمع بأحد منهم ولا أخذ عنهم، والإخبار بما سَيَقَعُ: فَوَقَعَ على وفق ما أخبر به في زمنه ﷺ وبعده، هذا مع الهَيْبَةِ التي تقع عند تلاوته، والخَشْيَةِ التي تلحق سامعه، وعدم دخول الملال والسآمة على قارِئِه وسامِعِه، مع تَيَسُّرِ حفظه لِمُتَعَلِّمِيْهِ، وتسهيل سَرْدِه لِتَالِيْهِ، ولا يُنْكِرُ شيئا من ذلك إلا جاهل أو معاند، ولهذا أطلق الأئمة أن أعظم معجزات النبي ﷺ القرآن، ومن أظهر معجزات القرآن: إبقاؤه مع استمرار الإعجاز، وأشهر ذلك: تَحَدِّيهِ اليهود أن يَتَمَنَّوا الموت فلم يقع ممن سلف منهم ولا خَلَف مَن تَصَدَّى لِذَلِكَ ولا أَقْدَمَ، مع شدة عداوتهم لهذا الدين وحرصهم على إفساده والصد عنه، فكان في ذلك أوضح معجزة.

وأما ما عدا القرآن من نبع الماء من بين أصابعه وتكثير الطعام وانشقاق القمر ونطق الجماد، فمنه ما وقع التحدي به، ومنه ما وقع دالا على صدقه من غير سَبْقِ تَحَدٍّ[1].

أنواع اختصاصات الرسول ﷺ:

اختص النبي ﷺ بأشياء كثيرة، منها:

أ. الأحكام التكليفية التي لا تتعداه إلى أمته: ككونه لا يُوَرَّث، وتحريم تَزَوُّجِ نِسائه من بعده، وغير ذلك.

ب. المزايا الأخروية: كإعطائه الشفاعة، وكونه أول من يدخل الجنة، وغير ذلك.

ج. الفضائل الدنيوية: ككونه يَرَى مِن خَلْفِهِ، ونحو ذلك.

د. المعجزات: كانشقاق القمر، وحنين الجذع، وتسليم الحجر وغيره.

---

[1] «فتح الباري» لابن حجر (ج٦ ص٥٨١).

هـ. الأمور الخلقِيَّة: ككَوْنِهِ أصدق الناس حديثًا، وكرما، وشجاعة ونحوها[1].

وعلى هذا **فقد تكون «الخصائص المحمدية»: إعجَازِيَّةً**، فيها معنى الإعجاز والتحدي، كالمعجزات التي خُصَّ بها النبي ﷺ دون غيره: كالمعراج والإسراء والقرآن، وحنين الجذع، وانشقاق القمر ونحوها، فهي «معجزات» لم يوجد مثلها لأحد من الأنبياء غيره.

وقد تكون: من الأحكام التشريعية الخاصة به ﷺ دون غيره من الأمة، يعني تشريعات مخصوصة للنبي ﷺ لا يشاركه فيها أحد، كالزيادة على أربع في الزواج، وإباحة نكاح الهبة، والنكاح بدون مهر، وحرمة تعلم الشعر، وتحريم زوجاته على المؤمنين ونحوها[2].

وقد تكون الخصائص: تشريفية للتفضيل والتكريم، مثل: اختصاصه ﷺ بأنه حبيب الرحمن، وتسميته ببعض أسماء الله الحسنى، ووصفه ببعض صفاته العليا، وتقديمه على الأنبياء، واختصاصه بالكرامة والحوض والشفاعة والكوثر واللواء ونحوها.

وقد تكون الخصائص: من الشمائل، كما في انفراده ﷺ بأكمل الأوصاف، وأجمل الشمائل وأعلاها وأجوَدِها.

وقد تجمع الخصائص الإعجازية معاني التفضيل والتشريف والتكريم كما لا يخلو في التشريعية أو التشريفية أيضًا ذلك المعنى، فكلها تهدف إلى بيان علو منزلة النبي الأكرم ﷺ، وشرافة قدره عند رب العالمين في الدنيا والآخرة معًا[3].

---

(1) «موسوعة الفقه بالكويت» (ج٢ ص ٢٥٧).

(2) «مجموع فتاوى» ابن تيمية (ج١١ ص٣١١)، و«شرح العقيدة الطحاوية» (ج٢ ص٧٤٦).

(3) «الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان» (ص: ٥٩).

ثانيا: وجوه ظهور معجزات النبي ﷺ، وشمولها على معجزات الأنبياء والمرسلين:

اتفق العلماء على أن: معجزات نبينا ﷺ أظهر من معجزات الرسل كلها من وجوه متعددة: كالكثرة، والقوة، والبقاء، ولو تَقَصَّيْنَا هذه المعجزات لَحَصَّلْنَا ديوانًا جامعًا، يشتمل على مجلدات عدة، ولكن نكتفي ببعض المعجزات التي يظهر من خلالها مقصود البحث، وكما هو معلوم أن: معجزات نبينا ﷺ أظهر من سائر معجزات الرسل **من وجوه كثيرة من أهمها مايلي:**

الوجه الأول: كَثْرَتُها، بمعنى أنه لم يُؤْتَ نَبِيٌّ معجزةً إلا وعند نبينا مثلها، أو ما هو أبلغ منها، وأكبر وأكثر، فأما وَجْهُ الكثرة: فإن القرآن كُلّه مُعْجِز، وأقل ما يقع الإعجاز فيه عند بعض أئمة المحققين سورة: ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾[1] أو آية في قدرها، وذهب بعضهم إلى أن كل آية منه معجزة، وزاد آخرون أن:كل جملة منتظمة منه معجزة، وإن كانت من كلمة أو كلمتين وإذا كان هذا، ففي القرآن من الكلمات نحو من سبعة وسبعين ألف كلمة ونَيِّف على عَدِّ بعضهم، وعدد الكلمات في: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ عشر كلمات، فَتَجَزُّؤ القرآن على نسبة عدد ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ أزيد مِن سبعة آلاف جزء، كل واحد منها مُعْجِزٌ في نفسه، ثم إعجازه من طريق بلاغته، وطريق نظمه، فصار في كل جزء من هذا العدد معجزتان، فتضاعف العدد من هذا الوجه، ثم مع ذلك فيه وجوه إعجاز أخرى من الإخبار بعلوم الغيب، فقد يكون في السورة الواحدة من هذه التجزئة الخبر عن أشياء من الغيب، كل خبر منها بنفسه معجز، فتضاعف العدد كَرَّةً أخرى، ثم وجوه الإعجاز الأخرى التي ذكرناها توجب التضعيف، هذا في حق القرآن، فلا يكاد يأخذ العادّ معجزاته، ولا يحوي الحصر براهينه[2].

الوجه الثاني: وُضُوحُ معجزاته ﷺ، فمثلاً معجزات الرسل كانت بقدر هِمَمِ أهل زمانهم، وبحسب الفَنِّ الذي سَمَا فِيه قَرْنُهُ، فلما كان قوم موسى غَايَةَ أهْلِ السِّحْرِ، بعثَ إليهم موسى بِمُعجزة تشبه ما يَدَّعُونَ قدرتهم عليه، وأبْطَلَ سِحْرَهُم، وكذلك زَمَنُ عيسى أغنى ما كان الطب وأوفر ما كان أهله، فجاءهم أمر لا يقدرون عليه من إحياء الميت، وإبراء الأكمه والأبرص دون

---

[1] سورة الكوثر آية: (١).

[2] «أعلام النبوة» للماوردي (ج١ ص٧٦)، «عظم قدره» (ص١٢، ص١٥، و«فتح الباري» لابن حجر (ج٦ ص٥٨١).

معالجة، ولا طب، وهكذا سائر معجزات الأنبياء، ثم إن الله تعالى بعث محمدًا ﷺ، وكان جملة مَعَارِف العرب وعلومِها آنذاك أربعة: البلاغة، والشعر، والخبر، والكهانة، فأنزل عليه القرآن الخارق لهذه الأربعةِ فُصُولٍ من: الفصاحة، والإيجاز، والبلاغة الخارجة عن نمط كلامهم، ومن النظم الغريب، والأسلوب العجيب الذي لم يهتدوا إلى طريقِهِ، وتأمل وجوه إعجازه إلى ما أخبر به من الغيوب، فلا يمر عصر، ولا زمن إلا يظهر فيه صدقه، فيتجدد الإيمان، بخلاف معجزات الرسل التي انقرضت بانقراضهم، وانتهت بوفاتهم، وعدم وجودهم في الدنيا، أما معجزة نبينا ﷺ فإنها لا تبيد ولا تنقطع، وإنما تتجدد دائما؛ ولهذا أشار إلى ذلك الفرق بقوله ﷺ: «**مَا مِنَ الأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ إِلَّا أُعْطِيَ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ البَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ القِيَامَةِ**»[1].

الوجه الثالث: بَقَاءُ أَكْثَرِ مُعْجِزَاتِهِ إن لم يكن كُلّها إلى يوم القيامة، حيث لا يسع المسلم تكذيبها حتى ولو لم يَرَهَا، مادام قد ثبتت عنه ﷺ، وقد ذهب بعض العلماء في تأويل الحديث بظهور معجزة نبينا ﷺ في كل وقت: ذهب بعضهم إلى تأويلها بمعنى آخر من ظهورها[2] بكونها وحيًا وكلامًا لا يمكن التخيل فيه، ولا التحيل عليه، ولا التشبيه، وهذا غير محصور بزمن، ومعناه ظاهر في الخصوصية المحمدية النبوية والبشرية، والتي لم يجمعها الله لأحد إلا لحبيبه ﷺ إعجازًا وتشريفًا، وتكريمًا وتفضيلاً على الخلق جميعًا.

وقد روي من فضائل النبي ﷺ التي خَصَّهُ الله بها مِن بين سائر الأنبياء أشياء كثيرة: فمنها أنه ﷺ بُعِثَ بالقرآن، وأوتي جوامع الكلم، وبعث إلى الناس عامَّةً وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، ونُصِرَ بالرعب بأن يَرْعَبَ عَدُوُّهُ منه على مسيرة شهر، وخُتم به النبيون فلا نبي بعده، وأعطي الشفاعة في أمته وفي العالمين، وأعطي مفاتيح خزائن الأرض لكرامته فأبى أن يأخذها، واختار الدار الآخرة، وسُمِّيَ «أحمد» فجعل معاني نبوته أفعاله في اسمه، فكانت أموره محمودة، وأقواله مرضية، وأحلت له الغنائم، ولم تحل لنبي قبله، وجعلت الأرض مسجدًا له ولأمته من بعده،

---

[1] أخرجه البخاري، كتاب: فضائل القرآن، باب: كيف نزل الوحي، رقم: [٤٦٩٦] (ج٤ ص ١٩,٥)، وأخرجه مسلم في كتاب: الإيمان، باب: وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ رقم: [.١٥٢] (ج١ ص١٣٤).

[2] «الوفا بأحوال المصطفى» لابن الجوزي (ج٢ ص٢٧).

وكان غيره من الأنبياء لا تجزي صلاته إلا في كنائسهم وبِيَعِهِم، وجعلت صفوف أمته كصفوف الملائكة، وجُعِلَ التراب له ولأمته طهورًا إذا عُدم الماء[1].

فعن جابر بن عبد الله[2] ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِي الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلاَةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِي المَغَانِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً**»[3].

وعن أبي هريرة[4] ﷺ أن النبي ﷺ قال:«**فُضِّلْتُ عَلَى الأَنْبِيَاءِ بِستٍّ لَم يُعْطَهُنَّ أحَدٌ قَبْلِي: غُفِرَ لِي مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِي وَمَا تَأَخَّرَ، وَأُحِلَّت لِيَ الغَنَائِمُ وَلَم تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَجُعِلَتْ أمَّتِي خَيْرُ الأمَمِ، وَجُعِلَت لِيَ الأرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُوْرًا، وَأعْطِيْتُ الكَوْثَرَ وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إنَّ صَاحِبَكُم لَصَاحِبُ لِوَاءِ الحَمْدِ يَوْمَ القِيَامَةِ تَحْتَهُ آدَمُ فَمَن دُوْنَهُ**»[5].

وعن أبي سعيد[6] ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهَا نَبِيٌّ قَبْلِي: بُعِثْتُ إِلَى الْأَحْمَرِ وَالْأَسْوَدِ، وَإِنَّمَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ**

---

[1] «فتح الباري» (ج١ ص٤٣٦»، و«الفصول في السيرة» لابن كثير (ج١ص٢٧٨)، و«مجمع الزوائد» (ج٧ ص٣٦١)، و«التمهيد» لابن عبد البر (ج١٩ ص٦٧)، و«الشريعة» (ج١ص٥٠).

[2] جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الخزرجى الأنصاري السلمى: صحابي من المكثرين في الرواية عن النبي ﷺ، غزا سبع عشرة غزوة، (توفى: سنة ٧٨ هـ)، يراجع: «موسوعة الأعلام» (ج١ ص١,١).

[3] أخرجه البخاري، كتاب: التيمم، رقم: [٣٢٨]، (ج١ ص١٢٨)، وأخرجه مسلم في أول كتاب: المساجد ومواضع الصلاة رقم: [٥٢١] (ج١ ص٣٧٠).

[4] أبو هريرة، هو: عبد الرحمن بن صخر الدوسى: كان أكثر الصحابة حفظا للحديث ورواية له، نشأ يتيما، ثم قدم المدينة ورسول الله ﷺ بخيبر، فأسلم سنة سبع، ولزم صحبة النبي، فروى عنه: (٥٣٤٤) حديثا، وتوفى بالمدينة المنورة (سنة: ٥٩ هـ). انظر: «موسوعة الأعلام» (ج٢ ص٨٣).

[5] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، رقم: [٥٢٣] (ج١ ص٣٧١).

[6] أبو سعيد الخدري، هو: سعد بن مالك بن سنان الخدري الأنصاري الخزرجى: صحابي كان من ملازمي النبي ﷺ، وروى عنه أحاديث كثيرة، وغزا اثنتي عشرة غزوة، وله في الصحيحين أحاديث كثيرة، توفي بالمدينة (سنة: ٥١ هـ). يراجع: «موسوعة الأعلام» (ج١ ص٢٦٧).

مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَأُطْعِمْتُ الْمَغْنَمَ، وَلَمْ يَطْعَمْهُ أَحَدٌ كَانَ قَبْلِي، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، وَلَيْسَ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ أُعْطِي دَعْوَةً فَتَعَجَّلَها، وَإِنِّي أَخَّرْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي، وَهِيَ بَالِغَةٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا»[1].

وقد كان لهذه الخصال أثَرُها البَيِّن فِي إسْلَامِ كَثِيرٍ مِن النَّاس وزِيَادَةِ إيْمَانهم ومن ذلك:

١. ما رَوَى الترمذي[2] أن عَبْدَ الله بنَ سَلام[3] قال: «لَمَّا قدم رسول الله ﷺ المدينة انْجَفَل الناس إليه وقيل: قَدِمَ رسول الله ﷺ، فجئت في الناس لأنظر إليه، فلما استَبَنْتُ وَجْهَ رسول الله ﷺ عَرَفْتُ أن وَجْهَه لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ»[4].

٢. في خبر الجُلَنْدَي[5] ملك عمان لَمَّا بلغه أن رسول الله ﷺ يدعوه إلى الإسلام قال: «والله، لقد دلني على هذا النبي الأمي أنه لا يأمر بخير إلا كان أوَّلَ آخِذٍ به، ولا ينهى عن شيء إلا كان

---

[1] أخرجه الطبراني في «الأوسط» (ج٧ ص٢٥٧)، برقم: [٧٤٣٩]، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد»: (ج٨ ص٤٨١): «إسناده حسن».

[2] الترمذي هو: أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، سمع من: البخاري وغيره حتى صار إماما محدثا حجة، وألف كتابه السنن، وكتاب العلل، وتوفى بمدينة تِرْمِذ (سنة ٢٩٥ هـ)، يراجع: «موسوعة الأعلام» (ج١ ص٨٦).

[3] هو: عبد الله بن سلام بن الحارث الإسرائيلي: أبو يوسف: صحابي، قيل إنه من نسل يوسف بن يعقوب، أسلم عند قدوم النبي ﷺ المدينة، وكان اسمه: الحصين، فسماه رسول الله ﷺ عبد الله. وفيه نزلت الآية: {وشهد شاهد من بني إسرائيل}، والآية: {ومن عنده علم الكتاب}، له: ٢٥ حديثا، وشهد مع عمر فتح بيت المقدس والجابية، ولما كانت الفتنة بين علي ومعاوية: اتخذ سيفا من خشب، واعتزلها، وأقام بالمدينة إلى أن مات رحمه الله. «الأعلام» للزركلي (ج٤ ص٩٠).

[4] أخرجه الترمذي، كتاب: صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ، باب: ٤٢، رقم: [٢٤٨٥]، (ج٤ ص٦٥٢)، وابن ماجه في كتاب: إقامة الصلاة والسنة فيه، باب: ما جاء في قيام الليل، رقم: [١٣٣٤]، (ج١ ص٤٢٣).

[5] الجلندى هو: جيفر بن الجلندي اليماني، كان رئيس أهل عمان هو أخوه عيد بن الجلندي، أسلما على يد عمرو بن العاص حين بعثه النبي ﷺ إلى ناحيته عمان، ولم يقدما على النبي ﷺ ولم يرياه، وكان إسلامهما بعد خيبر. ترجمته في: «الإصابة في تمييز الصحابة» (ج١ ص١٧٧)، و«الإستيعاب في معرفة الأصحاب» (ج١ ص٨٢).

أوَّلَ تَارِكٍ له، وأنه يغلب فلا يَبْطر ويغلب فلا يَضْجَر، ويَفِي بالعهد، ويُنْجِزُ الموعود، فأشهد أنه نبي[1].

وفيما يلي تفصيل لبعض تلك «الخصائص» والفضائل الشريفة.

[1] «دلائل النبوة» للماوردي (ج١ ص٧٣)، و«الشفا» للقاضي عياض (ج١ ص٢٤٩) ت محمد علي البجاوي، و«فتح الباري» (ج١ص٤٣٦ - ص٤٣٩).

المبحث الأول:

من الخصائص الإعجازية للنبي ﷺ

خصائص النبي ﷺ التي يقصد منها الإعجاز – أو: الغالب عليها معنى الإعجاز – أتت على وجوه ثلاثة:

١. منها: ما يدل على بيان علو قدره، ورفعة منزلته عند الله، وإن كانت كل الخصائص تفيد ذلك المعنى.

٢. ومنها: ما يدل على بيان عِظَمِ الرسالة المحمدية.

٣. ومنها: ما يدل على بيان مكانة الأمة المحمدية، وفضلها على سائر الأمم، وإن كانت كلها يراد منها بيان عظم قدره، وسمو منزلته على سبيل الإعجاز، والتحدي، والتكريم، والتشريف، والتفضيل المطلق للنبي المصطفى ﷺ، **وبيان ذلك في المطالب التالية:**

المطلب الأول: من الخصائص الإعجازية التي يتبين منها علو قدره، ورفعة منزلته، وسمو مكانته ﷺ بين الخلق جميعًا في الدنيا والآخرة.

المطلب الثاني: من الخصائص الإعجازية التي يتبين منها بيان عِظَمِ الرسالة الإسلامية التي أرسله الله بها.

المطلب الثالث: من الخصائص الإعجازية التي يظهر منها بيان منزلة الأمة المحمدية من بين الأمم في الدنيا والآخرة.

المطلب الأول:

من الخصائص الإعجازية التي يتبين منها علو قدره، ورفعة منزلته، وسمو مكانته ﷺ بين الخلق جميعاً في الدنيا والآخرة.

أولا: معنى الخصائص الإعجازية:

«**الخصائص الإعجازية**»: هي الأشياء التي فَضَّل الله بها نبيَّه، واختَصَّهُ بها من بين الأنبياء، ولا يستطيع أحد أن يأتي بمثلها، فهي فعل الله تعالى لإظهار تفضيل الله لنبيه على الأنبياء والخلق أجمعين؛ لأن معنى «المعجزة» – كما سبق –: أن الله تحدى بها الخلق وعجزوا عن الإتيان بمثلها، أو يعجزون عن الإتيان بمثلها، **وهي على ضربين:**

الأول: نوع للبشر قُدْرَةٌ عليه، لكنهم عجزوا عنه، فتعجيزهم عنه فِعْلٌ لله دَلَّ على صدق نبيه، كصَرْفِهِم عن تَمَنِّى الموت، وتعجيزهم عن الإتيان بمثل القرآن، أو حتى أَقْصَرِ آيةٍ منه[1].

والثاني: نوع خارج عن قدرهم، فلم يقدروا على الإتيان بمثله، كإحياء الموتى، وقلب العصا حية، وإخراج ناقة من صخرة، وكلام الشجر والحجر، ونبع الماء من الأصابع[2]، وانشقاق القمر[3]، مما لا يمكن أن يفعله إلا الله، فكون ذلك على يد النبي ﷺ مِن فِعْلِ الله تعالى وتحديه لِمَن يكذب بها أن يأتي بمثلها، تعجيزًا له.

والمعجزات التي ظهرت على يد نبينا ﷺ دلائل نبوته وبراهين صدقه – من هذين النوعين معًا – وإن كانت هذه المعجزات قد أيد الله ببعضٍ مِنْهَا بعض رسله من قبل: إلا أنَّ وَجْهَ خصوصية الرسول الأكرم ﷺ فيها يظهر في: أنه أكثر الرُّسُلِ معجزة، وأبهرهم آيةً، ومعجزاته التي هي من

---

(1) «الشفا» (ج١ ص٢٥٢)، و«أعلام النبوة» للماوردي (ج١ ص٧١).

(2) يراجع: «صحيح مسلم» (ج٤ ص١٧٨٣ – ص١٧٨٥).

(3) صحيح البخاري (ج٣ ص١٣٣١)، و«التمهيد» لابن عبد البر (ج١٩ ص٦٩).

جِنس معجزات مَن سَبَقَ: أعظم وأكبر وأبهر، فمثلا: نبع الماء من الحجر لموسى، ونبعه من بين أصابع النبي ﷺ فالأول معتاد، أما نَبْعُه من بين اللحم والدم غير معتاد، فوجه الإعجاز فيه أقوى وأظهر، وأبلغ، وهكذا سائر المعجزات[1]، كما أنَّ فِي تَنَوُّعِ وتعدد وكثرة تلك المعجزات وجوه أخرى للتفضيل وأسرار كبرى من الخصائص والفضائل التي لم يعطها الله لأحد قط إلا النبي الحبيب ﷺ، وسوف أبين فيما يلي بعضًا من تلك **الخصائص الإعجازية التي يقصد منها بيان علو قدره وسمو منزلته عند الله تعالى فيما يلي:**

١) من الخصائص المحمدية: «النَّسَبُ الشَّرِيفُ»:

لا خلاف في أن النَّسَبَ الصَّحِيحَ المُتَّفَقَ عليه للنبي الأكْرَمِ ﷺ هو: **محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قُصَي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان**[2].

وأمُّهُ: آمِنَةُ بنتُ وَهْب بنِ عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان[3].

ولا خِلَافَ أن: عدنان مِن وَلَدِ إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، وإنما الخلاف في عَدَدِ مَا بين عدنان وإسماعيل من الآباء فمُقِلٌّ ومُكْثِرٌ، وكذلك من إبراهيم إلى آدم؛ لا يَعْلَمُ حَقِيقَةَ ذلك إلا الله.

وقد رُوِيَ عن ابن عباس[1] قال: «ما بَيْنَ عَدْنَان وإسْمَاعِيل ثَلاثُونَ أَبًا لا يُعْرَفُون»[2] وكان إذا بلغ عدنان يقول: «كَذَبَ النَّسَّابُونَ» مرتين أو ثلاثًا[3].

---

[1] «الشفا» (ج١ ص٢٥٣).

[2] «الفصول في السيرة» (ج١ ص٨٣)، و«دلائل النبوة» للبيهقي (ج١ ص١٧٧)، و«الطبقات» لابن سعد (ج١ ص٥٥).

[3] «الطبقات» لابن سعد (ج١ ص٩٨)، و«دلائل النبوة» للأصبهاني (ج١ ص٢٠).

وقال عروة بن الزبير[٤]: «مَا وَجَدْنَا أحَدًا يَعْرِفُ مَا بَيْنَ عَدْنَان وإسْمَاعِيْل»[٥].

ووجه الاختصاص والإعجاز في ذلك: ما قاله ﷺ عن نفسه: «**إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى مِنْ وَلَدِ إِبْرَاهِيمَ: إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ: بَنِي كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ بَنِي كِنَانَةَ: قُرَيْشًا، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ: بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ**»[٦].

فكان ﷺ خيارًا مِن خِيَارٍ، وهذا يعني أن الله اصطفاه على كُلِّ العالمين نسبًا وصهرًا، فكانت أمه السيدة آمنة بنت وهب بن عبد مناف مِن أعلى البيوت في قريش حسبًا ونسبًا وصهرًا؛ إذ كان عبد المطلب بن هاشم سيد بني هاشم بعد أبيه هاشم، وكان وهب بن عبد مناف سيد بني زهرة، فضَمَّ في نسبه ﷺ طهارة الأحساب، وشرف الأنساب، ورِفْعَة البيوت، فكان شرف الآباء مناسبًا لطهر الأمهات[٧]، وصدق الله حيث يقول: ﴿ وَٱلۡبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخۡرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذۡنِ رَبِّهِۦ

---

[١] هو الصحابي الجليل: عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي أبو العباس، حبر الأمة، ولد بمكة، وشهد مع علي «الجمل وصفين»، وينسب إليه كتاب في تفسير القرآن جمعه بعض أهل العلم من مرويات المفسرين عنه في كل أية. انظر: «موسوعة الأعلام» (ج١ ص٣٥٢).

[٢] «سيرة ابن كثير» (ج١ ص٧٥)، و«تاريخ الإسلام» (ج١ ص٢).

[٣] «البداية والنهاية» (ج٢ ص١٩٤).

[٤] هو: عروة بن الزبير بن العوام بن خويلد، وأمه أسماء بنت أبي بكر، من كبار التابعين، فقيه محدث، أخذ عن أبيه وأمه، وخالته السيدة عائشة، وعنه خلق كثير، لم يدخل في شيء من الفتن، انتقل من المدينة إلى البصرة، ثم مصر فأقام بها سبع سنين، وتوفي بالمدينة (سنة: ٩٩ هـ). وبها: "بئر عروة " تنسب إليه، معروفة الآن، ترجمته في: «تهذيب التهذيب» (ج٧ ص١٨٠)، و«الأعلام» للزركلي (ج٥ ص١٧).

[٥] «شرح العقيدة الوسطية» لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص٢٤٥ – ص٢٤٦)، ط٢، ١٤١٥هـ بدار الهجرة، بالمملكة العربية السعودية، و«زاد المعاد» (ج١ ص٧٢)، و«السيرة النبوية» لابن هشام (ج١ ص٢٩٣)، و«تاريخ ابن خلدون» (ج٢ ص٤,٧)، و«الوفا بأحوال المصطفى» (ج١ ص١٣١)، و«تاريخ الطبري» (ج١ ص٤٩٧).

[٦] أخرجه الترمذي في سننه، كتاب المناقب، باب: في فضل النبي ﷺ، رقم: [٣٦,٥]، (ج٥ ص٥٨٣)، وأخرجه أحمد في «مسنده»، حديث أبي ثعلبة الخشني عن النبي ﷺ، رقم: [١٧,٢٨]، (ج٤ ص١,٧).

[٧] «من خصائص الرسول ﷺ» د. شعبان محمد إسماعيل (ص: ٦).

﴾[1] وقد جاء في طَهَارَةِ نَسَبِهِ وشَرَفِهِ ﷺ في السنة الشريفة أحاديث كثيرة تدل على شرف النسب، وتبين رِفْعَة نَسَبِهِ ﷺ وطهارته وسُمُوَّهُ، وأن الله اختَصَّهُ بذلك الشرف، والحسب، والنسب على العالمين؛ بل الخلق جميعًا **ومنها ما يلي:**

١. عن واثِلَةَ بنِ الأسْقَعِ[2] قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ**»[3].

وكما قال أبو تَمَّام[4]:

نَسَبٌ كَأَنَّ عَلَيْهِ مِن شَمْسِ الضُّحَى *** نُورًا وَمِن فَلَقِ الصَّبَاحِ عَمُودًا[5].

٢. عن ابن عباس ﷺ قال: إن رسول الله قال: «لَم يَلْتَقِ أَبَوَايَ قَطُّ عَلَى سِفَاحٍ، لَم يَزَلِ اللهُ يَنْقُلُنِي مِن الأَصْلَابِ الطَّيِّبَةِ إِلَى الأَرْحَامِ الطَّاهِرَةِ مُصَفًّى مُهَذَّبًا، وَلَا تَتَشَعَّبُ شُعْبَتَانِ إلا كُنْتُ فِي خَيْرِهِمَا»[6].

---

[1] سورة الأعراف، آية: (٥٨).

[2] واثلة بن الأسقع بن عبد العزى بن عبد ياليل بن ناشب بن غيرة بن سعد بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن علي بن كنانة الليثي، وقيل: إنه واثلة بن الأسقع بن كعب بن عامر بن ليث بن بكر، والأول أصح: أسلم والنبي ﷺ يتجهز إلى تبوك، ويقال إنه خدم النبي ﷺ ثلاث سنين وكان من أهل الصفة، يقال: إنه نزل البصرة وله بها دار، ثم سكن الشام بقرية يقال لها: البلاط، وشهد المغازي بدمشق وحمص ثم إلى بيت المقدس، ومات بها وهو ابن مائة سنة، قيل بل توفي بدمشق في آخر خلافه عبد الملك سنة: خمس أو ست وثمانين، وهو ابن ثمان وتسعين سنة، يكنى أبا الأسقع، وقيل يكنى أبا محمد، وقال ابن معين: كنيته أبو قرصافة. «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» (ج١ ص٤٩٦).

[3] أخرجه مسلم، كتاب الفضائل، باب: فضل نسب النبي ﷺ وتسليم الحجر عليه قبل النبوة، رقم: [٢٢٧٦]، (ج٤ ص١٧٨٢).

[4] أبو تمام حبيب بن أوس الطائي من نفس طيىء صليبة مولده ومنشؤه منبج بقرية منها يقال لها جاسم شاعر مطبوع لطيف الفطنة دقيق المعاني غواص على ما يستصعب منها ويعسر متناوله على غيره، يراجع: «الأغاني» (ج١٦ ص٤١٦).

[5] «الأغاني» (ج١٦ ص٤١٦).

[6] أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (ج٣ ص٤٠٨)، وقال: «هذا حديث غريب جدا»، وانظر: «الوفا بأحوال المصطفي» لابن الجوزي (ج١ ص١٣١).

٣. عن علي بن أبي طالب[١] ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**خَرَجْتُ مِنْ نِكَاحٍ وَلَمْ أَخْرُجْ مِنْ سِفَاحٍ مِنْ لَدُنْ آدَمَ إِلَى أَنْ وَلَدَنِي أَبِي وَأُمِّي ، لَمْ يُصِبْنِي مِنْ سِفَاحِ الْجَاهِلِيَّةِ شَيْءٌ**»[٢].

٤. عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**بُعِثْتُ مِن خَيْرِ قُرُونِ بَنِي آدَمَ قَرْنًا فَقَرْنًا، حَتَّى بُعِثْتُ مِنَ القَرْنِ الذِي كُنْتُ فِيْهِ**»[٣]، وهذا يعني: أن الله خَصَّه بذلك النسب دون غيره، وأخبر به ﷺ لإظهار تفضيل الله تعالى له، واختصاصه بذلك، وتحدِّيْهِ للخلق بذلك، وأن ذلك فِعْلُ الله وليس في مقدور أحد من البشر أن يفعل ذلك من عند نفسه دون تأييد من الله ومعونة ورعاية، **ولَفْظُ الخصوصية ظاهِرٌ** في قوله ﷺ: «**لَم يَلْتَقِ أَبَوَايَ**»، و«**لَم يُصِبْنِي**» و«**بُعِثْتُ مِن خَيْرِ قُرُون**»، و«**إنَّ الله اصْطَفَانِي**» وهكذا[٤].

٢)– من خصائصه ﷺ: «المُبَشِّرَاتُ بِمَوْلِدِه وبَعْثَتِهِ ﷺ»:

يَذْكُرُ المؤرخون رُؤًى كثيرة، منها ما كان قُبَيْل مولده ﷺ، ومنها ما كان بعد ولادته، وقبيل بعثته، فضلاً عما كان في كتب الأنبياء السابقين من البشارة ببعثته ﷺ: كإبراهيم وموسى، وعيسى وغيرهم، وهذا لم يكن لأحد إلا للنبي ﷺ، اختصه الله بها؛ لإظهار فضله وشرفه وعظيم مكانته، وأنه ليس بشرًا عاديًا، إنما هو أفضل البشر، وأعظمهم، وأكرمهم عند الله تعالى، ففيها إعلام بعظيم قدره، وشريف مكانته عند الله تعالى، **فوجه الخصوصية والإعجاز فيها**: أنه لم

---

[١] هو علي بن أبي طالب – واسم أبي طالب : عبد مناف – بن عبد المطلب، من بني هاشم، من قريش: أمير المؤمنين . ورابع الخلفاء الراشدين، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، زَوَّجَهُ النبي ﷺ بنته فاطمة، ولي الخلافة بعد مقتل أمير المؤمنين عثمان، فلم يستقم له الأمر حتى قتل بالكوفة (سنة: ٤٠ هـ). يراجع: «الأعلام» للزركلي (ج٥ ص١,٨)؛ و«مناهج السنة» (ج٣ ص٢) وما بعدها؛ و«الرياض النضرة» (ج٢ ص١٥٣).

[٢] أخرجه الطبراني في «الأوسط» (ج٥ ص٨٠) برقم: [٤٧٢٨]، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» [٣٢٢٥].

[٣] أخرجه البخاري كتاب المناقب، باب: صفة النبي ﷺ، رقم: [٣٣٦٤] (ج٣ ص١٣,٥).

[٤] «الأنوار في شمائل النبي المختار» (ج١ ص٢) لمحيي السنة الحسين بن مسعود البغوي المتوفى ٥١٦ هـ، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه العلامة: الشيخ إبراهيم اليعقوبي، ط. دار الضياء للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، ١٤,٩ هـ.

يحدث لمولود قبله، ولا بعده مثل تلك المبشرات الكثيرة والمتعددة والمتنوعة، وأنه لا يستطيع بشر أن يتحكم في وجودها، أو عَدَمِهَا، إنما هي فِعْلُ الله تعالى؛ لإظهار فضله على عبده ورسوله من قَبْلِ أن يُولَد؛ ولإقامة الحُجَّةِ بها على المُكَذِّبِيْنَ والمعاندين مِمَّن كَفَرُوا به؛ ولِتَكُونَ قُرَّة عين للمؤمنين به، المصدقين لدعوته.

وهذه المبشرات كثيرة ومتنوعة ومن أهمها ما يلي:

أولا: الرُّؤَى التي كانت قُبَيْلَ مولده ﷺ من أهمها ما يلي[1]:

١. رؤيا عبد المطلب جَدِّ النبي ﷺ : قال: «بينما أنا نائم في الحِجْرِ رأيت رُؤيَا هالَتْنِي، ففزعت منها فزعًا شديدًا، فأتيت كاهنة قريش، فلما نظرت إليَّ عرفت في وجهي التغير، وأنا يومئذ سَيِّدُ قومي.

فقالت: ما بال سيدنا، قد أتانا متغير اللون، هل رَابَهُ مِن حَدَثَانِ الدَّهْرِ شيء؟

فقلت لها: بَلَى، وكان لا يكلمها أحد حتى يُقَبِّلَ يَدَها اليمنى، وإني لَم أفعل.

فقلت: رأيت الليلةَ وأنا نَائِمٌ كأنَّ شَجَرَةً نَبَتَت قَد نَالَ رَأسُهَا السَّمَاء، فضربت بأغصانها المشرق والمغرب، وما رأيت نورًا أزْهَرَ مِنْهَا، أعْظَمُ مِن نُورِ الشمس بتسعين ضعفاً، ورأيت العَرَبَ والعَجَمَ ساجدين لها، وهي تزاد كل ساعة عِظَمًا ونُوْرًا وارتفاعًا، ساعة تخض وساعة تُزْهِر، ورأيت رهطًا من قريش قد تعلقوا بأغصانها، ورأيت قومًا من قريش يريدون قطعها، فإذا دنوا منها أخَّرَهُم شاب لَم أرَ قَطُّ أحسن منه وجهًا، ولا أطيب منه ريحًا، فيَكْسِرُ أظهرهم، ويقلع أعينهم، فرفعت يدي لأتناول منها قِسمًا، فقال لي: لا نصيب لك فيها.

فقلت: وَمَن لَه نَصِيبٌ؟ فقال: النصيب بها للذين تعلقوا بها، وسَبَقُوك إليها، فانتبهت فزعًا مرعوبًا، فرأيت وجه الكاهنة قد تَغَيَّرَ، ثم قالت: لَئِن صَدَقَتْ رُؤيَاكَ لَيَخْرُجَنَّ مِن صُلْبِكَ رجل يملك المشرق والمغرب، وتدين له الناس[1].

---

[1] «الوفا بأحوال المصطفي» لابن الجوزي (ج١ ص١٣٦-١٣٧)، و«دلائل النبوة» للأصبهاني (ج١ ص٣١)، و«الشريعة» (ج١ ص٤٣٤)، و«تاريخ الطبري» (ج١ ص٤٩٨)، و«الطبقات» لابن سعد (ج١ ص٥٥)، و«السيرة النبوية» لابن هشام (ج١ ص٨٩).

٢. عن عَمَّةِ وَهْبِ بنِ رَبِيْعَةَ قالت: كنا نسمع أن رسول الله ﷺ لَمَّا حَمَلَت به آمنةُ بنت وهب كانت تقول: ما شَعُرْتُ أني حملت به ولا وجدت له ثقلا كما تجد النساء، إلا أني أنكرت رفع حَيْضِي، وأتاني آت وأنا بين النائم واليقظان، قال: هل شعرت أنك حملت، فكنت أقول: ما أدري، فقال: إنك حملت بسيد هذه الأمة ونبيها، وذلك يوم الاثنين[٢].

٣. وقُبَيْلَ وِلَادَتِهِ - أيضا - **رأت السيدة آمنة** مَن يَقُولُ لها: «قولي: أُعِيْذُهُ بِالوَاحِدِ مِن شَرِّ كُلِّ حاسِدٍ»[٣]، قالت: فَذَكرتُ ذلك لنسائي، فقلن: عَلِّقِي حديدًا في عضديك وفي عُنُقِكِ، قالت: ففعلت، فلم يكن يَتْرُكُ عَلَيَّ إلا أياما فأجِدُهُ قد قُطِعَ، فكُنْتُ لا أتَعَلَّقُه[٤].

٤. مِن الآيات التي ظهرت عند وِلَادَتِهِ ﷺ مايلي:

١- ما رواه العِرْبَاضُ بنُ سارية[٥] - صاحِبِ رسول الله ﷺ - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **إِنِّي عِنْدَ اللَّهِ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ، وَإِنَّ آدَمَ لَمُنْجَدِلٌ فِي طِينَتِهِ، وَسَأُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِ ذَلِكَ: دَعْوَةِ أَبِي إِبْرَاهِيمَ، وَبِشَارَةِ عِيسَى قَوْمَهُ، وَرُؤْيَا أُمِّي الَّتِي رَأَتْ أَنَّهُ خَرَجَ مِنْهَا نُورٌ أَضَاءَتْ لَهُ قُصُورُ الشَّامِ - وَكَذَلِكَ تَرَى أُمَّهَاتُ النَّبِيِّينَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ -**»[٦].

---

[١] «البداية والنهاية» (ج٢ ص٣١٧)، و«سيرة ابن كثير» (ج١ ص٣,٩)، و«الوفا بأحوال المصطفي» لابن الجوزي (ج١ ص١٣٧).

[٢] «الروض الأنف» (ج١ ص٧٤)، و«لطائف المعارف» لابن رجب (ج١ ص٩١).

[٣] «السيرة النبوية» لابن هشام (ج١ ص٢٩٣)، و«لطائف المعارف» (ج١ ص٩١)، و«الطبقات» لابن سعد (ج١ ص٩٨).

[٤] «الطبقات الكبرى» (ج١ ص٩٨).

[٥] العِرْبَاضُ بن سارية: صحابي مشهور من أهل الصفة هو ممن نزل فيه قوله تعالى: {ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم} قال هو وعمرو بن عبسة: «أنا رابع الإسلام»، لا يدري أيهما قبل صاحبه، ثم نزل حمص وحديثه في السنن الأربعة، مات في فتنة ابن الزبير، وقال أبو مسهر: مات بعد ذلك سنة خمس وسبعين. «الإصابة» (ج٢ ص٢٤٦).

[٦] أخرجه أحمد في مسنده، حديث العرباض بن سارية رقم: [١٧١٩.] (ج٤ ص١٢٧)، والحاكم في المستدرك، كتاب: التفسير، تفسير سورة الأحزاب، رقم: [٣٥٦٦]، (ج٢ ص٤٥٣)، وقال: «صحيح الإسناد» وأقره الذهبي، وأخرجه ابن حبان في صحيحه، كتاب: التاريخ، باب: من صفته ﷺ وأخباره، رقم: [٦٤,٤]، (ج١٤ ص٣١٢)، وقال شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح لغيره.

قال البيهقي[1] **معلقًا**: «**وإنَّ آدَمَ لَمُنْجَدِلٌ فِي طِيْنَتِهِ**»: يُرِيْدُ بِه قَبْلَ أن يكون أبَا البشر وأول الأنبياء، أي: أنَّه كان كذلك في قضاء الله وتقديره.

ومعنى «**دعوة إبراهيم**»: أن الله لما قضى بأن يجعل محمدًا ﷺ خاتم النبيين، وأثبت ذلك في أم الكتاب أنجز ذلك القضاء بأن قيض إبراهيم عليه السلام للدعاء الذي ذكره؛ ليكون إرسالُه إياه بدعائه،كما يكون تَقَلُّبه مِن صُلْبِه إلى أصلاب أولاده.

وأما «**رُؤيا أمِّهِ آمِنَة**» فهي: أنها تُحَدِّثُ أنَّها أُتِيَت حِين حَمَلَت بمحمد ﷺ[2] فقيل لها: إنك قد حملت بسيد هذه الأمة فإذا وقع على الأرض فقولي: أعيذه بالواحد مِن شَرِّ كُلِّ حاسِد[3].

وفي رواية: «وَرُؤْيَا أمِّي التي رَأت أنَّه خَرَجَ مِنْهَا نُوْرٌ أضَاءَت لَهُ قُصُورُ الشَّامِ»[4].

٥. رُؤيا العَبَّاس عَمِّ النبي ﷺ.

رَوَى البيهقي عن العباس عَمِّ النَّبِيِّ ﷺ قال: قلت يا رسول الله دعاني إلي الدخول في دِيْنِك أمَارَة لنبوتك: رأيتك في المَهْدِ تُنَاجِي القَمَر، وتُشِيرُ إليهِ بِإصبُعِكَ، فحيث أشَرْتَ إليهِ مَالَ، قال ﷺ:

---

[1] البيهقي هو: أحمد بن الحسين بن علي بن عبد الله، أبو بكر البيهقي – نسبة إلى بيهق وهي قرى مجتمعة بنواحي نيسابور –: فقيه شافعي، حافظ كبير، أصولي ومكثر من التصنيف، غلب عليه الحديث واشتهر به، وهو أول من جمع نصوص الإمام الشافعي، وكان من أكثر الناس نصرًا لمذهب الشافعي، قال إمام الحرمين في حقه: ما من شافعي المذهب إلا وللشافعي عليه منة إلا أحمد البيهقي، فإن له على الشافعي منة. توفي (سنة ٤٥٨ هـ)، من تصانيفه: "السنن الكبير"، والسنن الصغير، وكتاب الخلاف، ومناقب الشافعي. ترجمته في: «طبقات الشافعية» (ج٣ ص٣)، و«وفيات الأعيان» (ج١ ص٧٥).

[2] «الرسل والرسالات» د. عمر سليمان الأشقر (ص: ١٦٣)، و«شرح العقيدة الطحاوية» لمحمد بن علاء الدين أبي العز الملقب بـ:صدر الإسلام (ج١ ص١٥٢)، و«الخصائص الكبرى» لأبي الفضل جلال الدين عبد الرحمن أبي بكر السيوطي، ط: دار النشر، دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤,٥هـ – ١٩٨٥م، (ج١ ص١٤).

[3] «نهاية الأرب في فنون الأدب» (ج٤ ص٢٣١)، و«دلائل النبوة» للبيهقي (ج١ ص٨٢-٨٣)، «السيرة النبوية» لابن هشام (ج١ ص٢٩٣)، و«تهذيب سيرة ابن هشام» (ج١ ص٤٣)، و«السيرة النبوية» لابن إسحاق (ج١ ص٩).

[4] أخرجه أحمد في مسنده حديث أبي أمامة الباهلي الصدى بن عجلان بن عمرو بن وهب الباهلي عن النبي ﷺ رقم: [٢٢٣١٥].

«إِنِّي كُنْتُ أُحَدِّثُهُ وَيُحَدِّثُنِي، وَيُلْهِينِي عَنِ الْبُكَاءِ، وَأَسْمَعُ وَجْبَتَهُ حِينَ يَسْجُدُ تَحْتَ الْعَرْشِ»[1].

تزويج عبد الله أبي النبي ﷺ بآمِنَةَ بنْتِ وَهْب وحَمْلِهَا بِرَسُولِ الله ﷺ وَوَصْفِهَا إِيَّاهُ: كان عبد المطلب بن هاشم قَد نَذَرَ حِيْنَ لَقِيَ مِن قُريش عند حَفْر زَمْزَم مَا لَقِي: لَئِن وُلِدَ لَهُ عَشْرَةُ نَفَر، ثُمَّ بَلَغُوا مَعَه حَتَّى يَمْنَعُوه: لَيَذْبَحَنَّ أَحَدَهُم لله عند الكعبة، فلما تَوَافَى بَنُوهُ عَشْرَةً: الحارث، والزبير، وحجل، وضرار، والمعوم، وأبو لهب، والعباس، وحمزة، وأبو طالب، وعبد الله، وعرف أنهم سَيَمْنَعُوه جَمَعَهُم، ثم أخبرهم بِنَذْرِهِ، ودعاهم إلى الوفاء به، فأطاعوه، وقالوا: كيف نصنع؟ قال: يأخذ كل رجل منكم قدحًا، فيكتب فيه اسمه، ثم تأتوني، ففعلوا، ثم آتوه، وكان عبد الله أصغر ولد عبد المطلب، وأحَبّ أولاده إليه، فَقَامَ عَبْدُ المطلب عند هُبَل يَدْعُو ألا يَخْرُجَ القدح على عبد الله، فخرج القدح عليه، فأخذه بيده ليذبحه، فقامت قريش من أنديتها، فقالوا: ماذا تريد يا عبد المطلب؟ قال: أذبحه!.

وذكر ابن إسحاق[2] **أن:** العباس بن عبد المطلب اجْتَرَّهُ مِن تَحت رِجْلِ أبيه حَتَّى خَدَشَ وَجْهه عبد الله خَدْشًا لَم يَزَل في وَجْهِه إلى أن مات، وقالت قريش: لا تذبحه، وأتوا عَرَّافَةً يقال لها سجاح[3]، فسألوها، وتابعوها حتى ضربت لهم قداحًا بالفداء على مثل الدِّيَةِ، ففعلوا حتى بلغت

---

[1] أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (ج٢ ص٤١)، وقال: «تفرد به الحلبي بإسناده، وهو: مجهول».

[2] ابن إسحاق هو: محمد بن إسحاق بن يسار بن خيار، أبو عبد الله، القرشي المطلبي المدني: مؤرخ، حافظ، قال ابن حبان : لم يكن أحد بالمدينة يقارب ابن إسحاق في علمه أو يوازيه في جمعه وهو من أحسن الناس سياقا للأخبار، وقال ابن عيينة : جالست ابن إسحاق منذ بضع وسبعين سنة وما يتهمه أحد من أهل المدينة ولا يقول فيه شيئا. توفي (سنة: ١٥١ هـ). انظر: «سير أعلام النبلاء» (ج٧ ص٣٣)، و«طبقات ابن سعد» (ج٧ ص٣٢١)، و«الأعلام» (٦ج ص٢٥٢).

[3] سجاح بنت الحارث التميمية التي ادعت النبوة في الردة، وتبعها قوم ثم صالحت مسيلمة وتزوجته ثم بعد قتله عادت إلى الإسلام، فأسلمت وعاشت إلى خلافة معاوية، وكانت تكنى أم صادر، واسم مؤذنها زهير بن عمرو، وقيل جنبة بن طارق، وقد أسلمت أيام عمر بن الخطاب فحسن إسلامها. «الإصابة في معرفة الصحابة» (ج٤ ص١٣)، و«السيرة النبوية» لابن كثير (ج٤ ص٩٧).

الإبل مائة، وهي مثل الدية التي كانت شائعة بينهم عشر مرات، فَنُحِرَت وتُرِكَت لا يُصَدُّ عَنْهَا أحَد[1].

٦. مَا كَانَ فِي آبائه وأجدَادِه ﷺ مِن أنْوَارِ النُّبُوَّةِ:

وَرَدَ أنَّ أبَاهُ عبد الله كان يُرى في وجهه نور النبوة وَضَّاء؛ إذ رُوِىَ أنَّهُ انْصَرَف عبد المطلب آخذًا بيد ابنه، فَمَرَّ به على امرأة من بني أسد بن عبد العزي بن قصي عند الكعبة، فقالت له حين نظرت إليه: أين تذهب يا عبد الله؟ فقال مع أبي، فقالت: لك عندي من الإبل مثل التي نُحِرَت عنك، وَقَعْ عَلَيَّ الآن، فقال: أنا مع أبي، ولا أستطيع خلافه ولا فراقه ولا أعصيه، فخرج عبد المطلب، حتى أتى به وهب بن عبد مناف بن زهرة، ووهب يومئذ سيد بني زهرة نسبًا وشرفًا[2]، فزَوَّجَهُ آمِنَة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة، وهي يومئذ أفضل امرأة في قريش نسبًا وموضعًا، وذكروا أنه دخل عليها حين ملكها مكانه، فوقع عليها، فحملت برسول الله ﷺ[3].

قال: ثُمَّ خَرَج مِن عِنْدِهَا حتى أتى المرأة التي قالت ما قالت، وهي أم إقبال أخت ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزي، وهِيَ فِي مَجْلِسِهَا، فجلس إليها، وقال لها: مالك لا تعرضين علي اليوم مثل الذي عرضت أمس، فقالت: قَد فَارَقَكَ نُوْرُك الذي كان منك، فليس لي بك اليوم حاجة، وَكَانت فيما زعموا تَسْمَعُ مِن أخيها ورقة بن نوفل - وكان من علماء النصرانية -: «إنَّه لَكَائِنٌ فِي هذه الأمة نَبِيٌّ مِن بَنِي إسْمَاعِيل» وقالت في ذلك شعرًا:

آلْآنَ وَقَدْ ضَيَّعْتَ مَا كُنْتَ قَادِرًا *** عَلَيْهِ وَفَارَقَكَ الَّذِي كَانَ جَاءَكَا
غَدَوْتَ عَلَيَّ حَافِلًا قَدْ بَذَلْتَهُ *** هُنَاكَ لِغَيْرِي فَالْحَقَنَّ بِشَانِكَا
وَلَا تَحْسَبَنِّي الْيَوْمَ خِلْوًا وَلَيْتَنِي *** أَصَبْتُ جَنِينًا مِنْكَ يَا عَبْدَ دَارِكَا

---

[1] «البداية والنهاية» (ج٢ ص٢٤٨)، و«تاريخ الطبري» (ج١ ص٤٩٨)، و«دلائل النبوة» للبيهقي (ج١ ص١,٢)، و«السيرة النبوية» لابن هشام (ج١ ص٢٩١)، و«صفوة الصفوة» (ج١ ص٤٨).

[2] «دلائل النبوة» للبيهقي (ج١ ص١,٢)، و«السيرة النبوية» لابن هشام (ج١ ص٢٩١)، و«صفة الصفوة» (ج١ ص٤٨).

[3] «تاريخ الطبري» (ج١ ص٤٩٩)، و«سيرة ابن إسحاق» (ج١ ص١٩).

وَلَكِنَّ ذَاكُمْ صَارَ فِي آلِ زُهْرَةٍ *** بِهِ يَدْعَمُ اللهُ الْبَرِيَّةَ نَاسِكَا

وَقَالَتْ أَيْضًا:

عَلَيْكَ بِآلِ زُهْرَةَ حَيْثُ كَانُوا *** وَآمِنَةَ الَّتِي حَمَلَتْ غُلَامَا

تَرَى الْمَهْدِيَّ حِينَ تَرَى عَلَيْهِ *** وَنُورًا قَدْ تَقَدَّمَهُ أَمَامَا[1].

وقد يَعْتَرِضُ البَعْضُ عَلَى هَذِهِ القِصَّة بأنها لا تليق بشأن سلسلة النبوة، فكيف تطلب المرأة من أبي النبي ﷺ الزنا؟

= **والجواب أن:** الروايات لَم تُصَرِّح بِالزِّنَا، وإنما صَرَّحَت بِطَلَبِ المَرْأَةِ إِيَّاهُ، والغالب أنَّ طَلَبَهَا كان من أجل الزواج بها، على ما كان معروفًا بينهم أن المرأة هي التي تطلب الزواج أحيانًا؛ وذلك لأن هؤلاء النسوة كُنَّ عَلَى عِلْمٍ بالكتاب المقدس، وما فيه من خصائص النبي ﷺ في سلالة الآباء؛ بدليل أنهن بَعْدَ أن رأين ما كان في وجه أبيه من نورٍ قَد ذَهَب، لَم يَرْغَبْنَ فيه، فلم يكن طلبهن الزنا، وإنما كُنَّ يُرِدْنَ شَرَف النَّسَبِ والطُّهْرِ[2].

يؤيد ذلك: ما ذَكَرَهُ ابنُ كَثِير[3] وغيره: أنَّ امْرَأَةً مِن خَثْعَم كَانَت تَعْرِضُ نَفْسَها فِي مَوَاسِمِ الحَجِّ، وَكَانَت ذَاتَ جَمَال، وكان معها أَمَةٌ تطوف بها كأنها تبيعها، فأتت على عبد الله بن عبد المطلب، فأظن أنه أعجبها فقالت: إني والله ما أطوف بهذا الأدم ومالي إلى ثمنها، وإنما أتوسم الرجل، هل أحد كفؤا، فإن كانت لك إلى حاجة فَقُم، فقال لها: مكانك حتى أرجع إليك، فانطلق إلى رحلة، فبدا فواقع أهله، فحملت بالنبي ﷺ فلما رجع إليها، قال: ألا أراك ههنا.

---

[1] «السيرة النبوية» لابن إسحاق (ج١ ص٨)، و«دلائل النبوة» للبيهقي (ج١ ص١,٣)، و«الوفا» لابن الجوزي (ج١ ص١٤٨ – ١٤٩)، و«الشريعة» (ج١ ص٤٣٤)، و«تاريخ الطبري» (ج١ ص٤٩٨)، و«الطبقات» لابن سعد (ج١ ص٥٥).

[2] «دلائل النبوة» للبيهقي (ج١ ص١,٨)، و«تاريخ ابن خلدون» (ج٢ ص٤,٧ – ٤,٨)، و«الشريعة» لأبي بكر بن الحسين (ج١ ص٤٣٧).

[3] ابن كثير هو: محمد بن إسماعيل بن عمر بن كثير، أبو عبد الله، البصروي، ثم الدمشقي، الشافعي ، أبوه الحافظ ابن كثير: المفسر المؤرخ المشهور. ترجمته في: «شذرات الذهب» (ج٦ ص٣٥)، و«معجم المؤلفين» (ج٩ ص٥٩).

قالت: ومن كنت؟ قال الذي وعدتك، قالت: لا، ما أنت هو، ولئن كنت هو لقد رأيت بين عينك نورًا ما أراه الآن.

وعلى فرض صحة قولهم: فإن تلك النِّسْوَةَ طَلَبْنَ وعبد الله امتنع، و لم يفعل بدليل ما جاء في بعض الروايات: أن عبد الله قال:"لمن طلبت منه ذلك:

أَمَّا الْحَرَامُ فَالْمَمَاتُ دُونَهْ *** وَالْحِلُّ لَا حَلَّ فَأَسْتَبِينَهْ[1]

فَكَيْفَ لِي الْأَمْرُ الَّذِي تَبْغِينَهْ *** يَحْمِي الكَرِيْمُ عِرْضَهُ وَدِيْنَهُ[2]

وكانت السيدة آمنة بنت وهب تُحَدِّثُ[3] أَنَّهَا أُتِيَت حِيْنَ حَمَلَت به ﷺ فقيل لها: إِنَّكِ حَمَلْتِ بِنَبِيِّ هذه الأمة، فإذا وقع على الأرض فقولي: أعِيْذُه بِالوَاحِدِ مِنْ شَرِّ كُلِّ حَاسِدٍ.

وفي رواية: فإذا وَقَعَ فَسَمِّهِ «مُحَمَّدًا»، فإن اسمه في التوراة والإنجيل: «أحمد»، يحمده أهل السماء وأهل الأرض، واسمه في القرآن «محمد»، فَسَمَّتْهُ بذلك، فلما وضعته، بعثت إلى عبد المطلب جاريتها، وقد هَلَكَ أبوه وهي حُبْلَى، ويقال أن عبد الله مات والنبي ﷺ ابن ثمانية وعشرين شهرًا، فلما جاءها خَبَّرَتْهُ خَبَرَهَا، وحدثته بما رأت حين حملت به، وما قيل لها، فأخذه عبد المطلب في جوف الكعبة، وقام يحمد الله، ويشكره الذي أعطاه إياه، وأنشد يقول[4]:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَعْطَانِي *** هٰذا الْغُلَامَ الطَّيِّبَ الْأَرْدَانِ

قَدْ سَادَ فِي الْمَهْدِ عَلَى الْغِلْمَانِ *** أُعِيذُهُ بِالْبَيْتِ ذِي الْأَرْكَانِ

حَتَّى يَكُونَ بُلْغَةَ الْفِتْيَانِ *** حَتَّى أَرَاهُ بَالِغَ الْبُنْيَانِ

---

[1] «السيرة النبوية» لابن كثير (ج١ ص١٧٨)، و«السيرة النبوية» لابن هشام (ج١ ص٢٩١)، و«سبل الهدى والرشاد» (ج١ ص٣٢٧)، و«عيون الأثر» (ج١ ص٣٥).

[2] «مجمع الأمثال» (ج١ ص٢٤٣)، و«نهاية الأرب في فنون الأدب» (ج٤ ص٢٣)، و«ديوان الصبابة» (ج١ ص٩٠).

[3] «الشريعة» (ج١ ص٤٣٤)، و«تاريخ الطبري» (ج١ ص٤٩٨)، و«الطبقات» لابن سعد (ج١ ص٥٥).

[4] «السيرة النبوية» لابن هشام (ج١ ص٩٣ – ٩٨)، و«تاريخ ابن خلدون» (ج٢ ص٤,٧ – ٤,٨)، و«الشريعة» لأبي بكر بن الحسين (ج١ ص٤٣٧).

أُعِيذُهُ مِنْ كُلِّ ذِي شَنَآنِ *** مِنْ حَاسِدٍ مُضْطَرِبِ الْعَنَانِ[1]

ولما كان اليوم السابع ذَبَحَ عَنْهُ، وَدَعَا لَه قريشا، فلما أكلوا قالوا: ما سميته؟ قال: سَمَّيْتُهُ مُحَمَّدًا. قالوا: فَلِمَ رَغِبْتَ بِه عن أسماء أهل بيته؟ فقال: أردت أن يَحْمَدَهُ الله تعالى في السماء، وخلقه في الأرض.

وأما جَدُّهُ عبد المطلب: فقد وَلِيَ مَا كَان لأبيه من إطعام الثريد بمكة والسقاية والرفادة، وكان يسمى بالفَيَّاضِ لِسَمَاحَتِه[2]، وأحَبَّهُ أهْلُ مَكَّةَ، وعَظُمَ أمْرُهُ فيهم، حَيْثُ شَرُفَ شرفًا لم يبلغه أحد من آبائه.

وأما قُصَيُّ بنُ لُؤَيّ: فكانت إليه الحجابة، والسقاية، والرفادة، والندوة واللواء، وقطع مكة رباعًا بين قومه، فأنزل كُلَّ قَومٍ منهم مَنْزِلَهَم، وكان لا تُنْكَح امرأةٌ منهم، ولا يَتَزَوَّج رَجُلٌ، ولا يتشاورون فيما نزل بهم، ولا يَعْقِدُون لواءَ حَرْبٍ: إلَّا فِي دَارِهِ يعقده لهم هو، أو بعضُ وَلَدِه.

وأما هاشِمُ بنُ عَبْدِ مَنَاف: وَاسْمُهُ عَمْرٌو، وَإِنَّمَا سُمِّيَ «هَاشِمًا» لَهَشْمِهِ الثَّرِيدَ مَعَ اللَّحْمِ لِقَوْمِهِ، وهو أول من سَنَّ الرِّحْلَتَيْنِ: رحلة الشتاء، والصيف، وأول من أطعم الثَّرِيْدَ بِمَكَّة[3] وأنشد بعضهم:

عَمْرو الذى هَشَمَ الثَّرِيدَ لِقَوْمِهِ *** وَرِجَالُ مَكَّةَ مُسْنِتُونَ عِجَافُ

سُنَّتْ إِلَيْهِ الرِّحْلَتَانِ كِلَاهُمَا *** سَفَرُ الشِّتَاءِ وَرِحْلَةُ الْأَصْيَافِ[4].

---

[1] «المنتظم» لابن الجوزي (ج١ ص٢,٨)، و«نهاية الأرب في فنون الأدب» (ج٤ ص٢٣٣).

[2] «زاد المعاد» (ج١ ص٧٢)، و«السيرة النبوية» لابن هشام (ج١ ص٩٣ – ٩٨)، و«تاريخ ابن خلدون» (ج٢ ص٤,٧ – ٤,٨)، و«الشريعة» لأبي بكر بن الحسين (ج١ ص٤٣٧).

[3] «مختصر سيرة الرسول» لابن عبد الوهاب (ص: ٢٤).

[4] «زاد المعاد» (ج١ ص٧٢)، و«السيرة النبوية» لابن هشام (ج١ ص٩٣ – ٩٨)، و«تاريخ ابن خلدون» (ج٢ ص٤,٧ – ٤,٨)، و«الشريعة» لأبي بكر بن الحسين (ج١ ص٤٣٧).

ثانيا: مِن الرُّؤَى التِي كَانَت قَبْلَ بعثَتِهِ، وبعد وِلَادَتِهِ ما يلي:

١. رُوِيَ عَن مُوسَى بنِ عُقْبَة قال: سَمِعْتُ أمَّ خالد بنت خالد بن سعيد بن العاص تقول: بَيْنَا خالد بن سعيد[١] ذاتَ لَيْلَةٍ نَائِمٌ قال: رأيت كأنه غُشِيَت مَكَّةُ ظُلْمَة حَتَّى لَا يُبْصِرَ امْرُؤٌ كَفَّهُ، فبينا هو كذلك إذ خرج نُورٌ عَلا في السماء، فأضاء في البيت، ثم أضاء مكة كلها، ثم إلى نَجد، ثم إلى يَثْرِب، فأضاءها حتى أنِّي لأنْظُر إلى البُسْرِ في النَّخْلِ، قال: فاستيقظت فقصصتها على أخي عمرو بن سعيد، وكان جَزلَ الرَّأي، فقال: يا أخي إن هذا الأمر يكون في بني عبد المطلب ألا ترى أنه خرج من حفيرة أبيهم؟ قال خالد: فإنَّهُ لَمَا هَدَانِي الله بِه إلى الإسلام. قالت أم خالد: فأوَّلُ مَن أسلم: أبِي، وذلك أنه ذكر رؤياه لرسول الله ﷺ، فقال: يا خالد أنا والله ذلك النُّور، وأنا رسول الله، فقص عليه ما بعثه الله به، فأسلم خالد، وأسلم عمرو بعده[٢].

٢. عن عمرو بن مُرَّةَ الجُهَنِيّ[٣] قال: «خرجت حاجًا في جماعة من قومي في الجاهلية، فرأيت في المنام وأنا بمكة نورًا ساطعًا من الكعبة، حتى أضاء لِي من الكعبة إلى جبل يثرب، وأشعر جهينة، فسمعت صوتًا في النور يقول: «انقشعت الظلماء، وسطع الضياء، وبُعِثَ خاتم الأنبياء»، ثم أضاء أخرى خطرت إلى قصور الحيرة وأبيض المدائن، فسمعت صوتًا في النور يقول: «ظَهَر الإسلام، وكُسِرَت الأصنام، ووُصِلَت الأرحام»، فانتبَهْتُ فَزِعًا، فقلت لقومي: والله لَيَحْدُثَنَّ في هذا من قريش حَدَثٌ، وأخبرتهم بما رأيت، فلما انتهينا إلى بلادنا جاءنا الخبر

---

[١] خالد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس الأموي أبو سعيد أمه أم خالد بنت حباب الثقفية من السابقين الأولين قيل: كان رابعاً أو خامساً، وكان سبب إسلامه رؤيا رآها أنه على شعب نار فأراد أبوه أن يرميه فيها فإذا النبي ﷺ قد أخذ بحجزته فأصبح فأتى أبا بكر فقال: أتبع محمداً فإنه رسول الله، فجاء فأسلم فبلغ أباه فعاقبه ومنعه القوت ومنع إخوته من كلامه، فتغيب حتى خرج بعد ذلك إلى الحبشة، فكان ممن هاجر إلى أرض الحبشة وولد له هناك بنته أم خالد، استشهد خالد يوم مرج الصفر. «الإصابة» (ج١ ص٢٧٨).

[٢] أخرجه المحاملي في أماليه (ص: ١٣١)، برقم: [٢٤٨].

[٣] عمرو بن مرة الجهني صاحب النبي ﷺ روى عنه ابنه العلاء بن الزبير فيما رواه الوليد بن مسلم عن أسيد الكلابي عن العلاء، وروى عنه محمد بن عبد الله البصري. «الجرح والتعديل» (ج٣ ص٥٧٩)، و«الإصابة في معرفة الصحابة» (ج٢ ص٣,٦).

أن رجلاً يقال له: «أحمد»، قد بُعِث، فخرجت حتى أتيته، فأخبرته بما رأيت، فقال لي: «يا عمرو بن مرة: أنا النَّبِيُّ المُرْسَلُ إلى العباد كافة، أدعوهم إلى الإسلام وآمرهم بحقن الدماء، وصلة الأرحام، وعبادة الله، ورفض الأصنام، وحج البيت، وصوم رمضان، فمن أجاب دخل الجنة، ومن عصى دخل النار، فآمِن بالله يا عمرو بن مرة، يُؤمِّنك الله مِن هَوْلِ النار»، فقلت يا رسول الله: آمَنْتُ بِكُلِّ ما جئت به من حلال وحرام، وإن أرْغَمَ ذَلك كثيرًا مِن الأقوام. ثم أنشدته أبياتا قلتها حين سمعت به:

شَهِدْتُ بِأَنَّ اللَّهَ حَقٌّ وَأَنَّنِي *** لِآلِهَةِ الْأَحْجَارِ أَوَّلُ تَارِكِ

وَشَمَّرْتُ عَنْ سَاقِي الْإِزَارَ مُهَاجِرًا *** أَجُوبُ إِلَيْهِ الْوَعْثَ بَعْدَ الدَّكَادِكِ

لِأَصْحَبَ خَيْرَ النَّاسِ نَفْسًا وَوَالِدًا ... رَسُولَ مَلِيكِ النَّاسِ فَوْقَ الْحَبَائِكِ[1]

فقال النبي ﷺ: «مَرْحَبا بِكَ يَا عَمْرَو بنَ مُرَّةَ»، قلت: يا رسول الله بأبي أنت وأمي ابعث بي إلى قومي، لعل الله ﷻ يَمُنُّ عليهم بي كما منَّ عليَّ بك، فبعثني إليهم وقال: «عَلَيْكَ بِالرِّفْقِ، والقَوْلِ السَّدِيدِ، وَلَا تَكُ فَظًا، وَلَا مُتَكَبِّرًا، وَلَا حَسُوْدًا»[2].

وقد أنْكَرَ بَعضُ النَّاسِ هذه الأمور التي صاحَبَت مَوْلِدَه ﷺ، ويقولون إن الإعجاز يكون أقوى بكونه بشرًا عاديًا؛ لأن الله يقول:﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ ﴾[3].

ويُجَابُ عَلى ذلك: بأن الآية لا تَدُلُّ عَلى ما قالوا؛ لأنه ﷺ بشر لكن ليس كسائر البشر، ونبي لكن ليس كسائر الأنبياء، فهو بشر يوحى إليه، وخاتم النبيين والمرسلين، وأفضل خلق الله أجمعين.

وهذه المُبَشِّرَات التي جاءَت تُبَشِّرُ بمولده: ليست من اختراعات القصاص أو المسلمين، وإنما رويت عن المسلمين، وأهل الكتاب، وذكرها المؤرخون باستفاضة، حتى بلغت مبلغ الشهرة بين

---

[1] «السيرة النبوية» لابن كثير (ج١ ص٣١٥)، و«سبل الهدى والرشاد» (ج١ ص١٣٤).

[2] «الوفا بأحوال المصطفي» لابن الجوزي (ج١ ص١٣٩ – ١٤٠)، و«تاريخ الطبري» (ج١ ص٤٩٨)، و«الطبقات لابن سعد» (ج١ ص٥٥).

[3] سورة الكهف، آية: (١١٠).

الخاصة قبل العامة، ومع ذلك فهي ليست خالية عن المعنى، وإنما تحمل معاني جليلة تدل على شرافة قدر النبي ﷺ، وعُلُوِّ منزلته عند ربه؛ لكي يحاول المسلم أن ينزله منزلته، ويعرف له قدره وحقه؛ كي يسلم له مقصوده في الدنيا والآخرة، وهي ليست عملاً بشريًا، وإنما مِن صُنْعِ الله تعالى الذي أتقن كل شيء خلقه.

كما أنها دَلَالَةٌ للعالَمِين جميعًا أن هذا المولود سيغير مَجْرَى التاريخ، وسيُحَوِّلُ الله به البشر من عبادة الخلق إلى عبادة رب الخلق، فَطُوبى لمن آمن به واتبعه.

ثالثًا: ما روي من الآيات للنبي ﷺ عند بناء الكعبة.

ذَكَرَ البيهقي في «الدلائل» – عِنْدَ بِنَاءِ قُرَيْشٍ للكعبة في أيام صِبَى النبي ﷺ[1] – عن ابن عباس: أنَّ أوَّلِيَّةَ قُرَيش كانوا يحدِّثُون أن رجالاً من قريش لما اجتمعوا لينزعوا الحجارة، وانتهوا إلى تأسيس إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام: عَمَدَ رجل إلى حجر من الأساس الأول فَرَفَعَهُ، وهو لا يدري أنه من الأساس الأول، فأبصر القوم بَرْقَة تحت الحجر كادت تلتمع بصر الرجل، ونزل الحجر من يده فوقع في موقعه، وفزع الرجل والبناة، فلما ستر عنهم الحجر ما تحته عادوا إلى بنيانهم وقالوا: لا تحركوا هذا الحجر، ولا شيئا بِحِذَائِه[2].

وعن محمد بن الأسود بن خلف بن عبد يغوث[3] عن أبيه أنهم وَجَدُوا كتابًا أسْفَلَ المَقَامِ، فدَعَت قريش رجلاً من حِمْيَر، فقال: إن منه حرفًا لو أحدثكموه لقتلتموني، فظننا أن فيه ذِكْرُ مُحَمَّدٍ فَكَتَمْنَاهُ[1].

---

[1] «الشريعة» (ج١ ص٤٣٤).

[2] «تاريخ الطبري» (ج١ ص٤٩٨)، و«الطبقات» لابن سعد (ج١ ص٦٥)، و«السيرة النبوية» لابن هشام (ج١ ص٨٩).

[3] محمد بن الأسود بن خلف بن عبد يغوث القرشي: قال البغوي: ذكره بعضهم في الصحابة ووجدته يروي عن أبيه. وقال البخاري: روى بن خيثم عن أبي الزبير عن محمد بن الأسود بن خلف عن النبي ﷺ في قريش. «الإصابة في معرفة الصحابة» (ج٣ ص٥٧)، و«لسان الميزان» (ج٢ ص٣٥).

ومعلوم أن المقام كان في زمن النبي ﷺ وأبي بكر ﷺ ملتصقًا بالكعبة، ثم أخَّرَهُ عُمَرُ ﷺ.

يوم مولد الرسول ﷺ:

ما رُئِي يومٌ قَطُّ كَان أحْسَنَ، ولا أضْوَءَ مِن يَوْمٍ وُلِدَ فِيه رسول الله ﷺ، وظهر في عالم الحِـــسِّ، وما رُئِي يَومٌ كَان أصعب ولا أشد من يومٍ مَاتَ فيه رسول الله ﷺ.

عن أنس بن مالك ﷺ[٢] قال: «**لَمَّا كَانَ اليَومُ الذِي دَخَلَ فِيه رَسُول الله ﷺ المَدِيْنَةَ أضَـــاءَ مِنْهَا كُلُّ شَيءٍ، فَلَمَّا كَان اليَومُ الذي مَاتَ فِيْهِ أظْلَمَ مِنْهَا كُلُّ شَيءٍ، وَلَمَّا نَفَضْنَا عَن رَسُولِ الله ﷺ الأيْدِي، وإنَّا لَفِي دَفْنِهِ حَتَّى أنْكَرْنَا قُلُوبَنَا**»[٣].

ولا خِلَافَ أنَّ مَوْلِد النبي ﷺ كان في يوم الاثنين من شهر ربيع الأول في عام الفيل[٤].

فعن أبي قتادة الأنصاري[٥]: أن أعرابيًا سأل رسول الله ﷺ عَن صَوْمِ يَوم الاثْنَين؟ فقال: «**ذَاكَ اليَوْمُ الذِي وُلِدْتُ فِيهِ، وَأُنْزِلَ عَلَيَّ فِيْهِ**»[١].

---

[١] «التاريخ الكبير» البخاري (ج١ ص٤٤٥)، و«قطوف من الشمائل المحمدية والأخلاق النبوية» لمحمد بن جميل زينو (ج١ ص٢).

[٢] هو أنس بن مالك بن النضر، النجاري الخزرجي الأنصاري، صاحب رسول الله ﷺ وخادمه، خدمه إلى أن قبض، ثم رحل إلى دمشق، ومنها إلى البصرة، فمات بها آخر من مات بها من الصحابة ٩٣ هـــ. يراجع: «صفة الصفوة» (ج١ ص٢٩٨).

[٣] أخرجه الترمذي في سننه، كتاب: المناقب، باب: في فضل النبي ﷺ، رقم: [٣٦١٨] (ج ٥ ص ٥٨٨)، وقال الشيخ الألباني: صحيح.

[٤] «السيرة النبوية» لابن كثير (ج١ ص١٩٩)، و«الروض الأنف» (ج١ ص٢٧٦)، و«مختصر سيرة الرسول ﷺ» (ج١ ص٦٧)، و«سبل الهدى والرشاد» (ج١ ص٣٣٤).

[٥] أبو قتادة الأنصاري: قيل اسمه الحارث بن ربعي بن بلدمة، وقيل عمرو، وقيل النعمان، السلمي، المدني (أمه: كبشة بنت مطهر): صحابي توفي (سنة ٥٤ هـــ) بالمدينة، وقيل : بالكوفة، رَوَى له: (البخاري، ومسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه)، يراجع: «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» (ج١ ص٤٤٠).

وروي عن ابن عباس أنه قال: «وُلِدَ النَّبِيُّ ﷺ يومَ الاثنين، واستُنْبِئَ يَوم الاثنين، وتُوُفِّيَ يَوم الاثنين»[٢].

وقال ابن حبان[٣]: وُلِدَ رَسُولُ الله ﷺ عَامَ الفيل يوم الاثنين، لاثنتي عَشْرَة لَيْلَةٍ مَضَت مِن شهر ربيع الأول[٤].

وقْتُ وِلَادَتِهِ ﷺ: قال ابنُ الجَوْزِيِّ[٥]: اتفقوا على أن رسول الله ﷺ ولد يوم الاثنين في شهر ربيع الأول عام الفيل[٦]، وسأل عبد الملك بن مروان رقبان بن أشيم الكناني: أنت أكبر أم رسول الله ؟ قال: رسول الله ﷺ أكبر مني، وأنا أسَنُّ مِنْهُ، وقد وُلِدَ رسولُ الله ﷺ عَامَ الفِيْل[٧].

وعن ابن شهاب[١] **قال**: بَعَثَ الله مُحَمَّدًا ﷺ عَلَى رَأسِ خَمْسَ عَشْرَة سنة من بُنْيَان الكعبة[٢].

---

[١] أخرجه مسلم كتاب: الصيام، باب: استحباب ثلاثة أيام من كل شهر وصوم يوم عرفة وعاشوراء والاثنين والخميس، رقم: [١١٦٢]، (ج٢ ص٨١٨).

[٢] أخرجه الإمام أحمد في مسنده، (مسند عبد الله بن العباس بن عبد المطلب عن النبي ﷺ)، رقم: [٢٥,٦]، (ج١ ص٢٧٧).

[٣] هو: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان، أبو حاتم، البستي، نسبته إلى (بُست) في سجستان، تنقل في الأقطار في طلب العلم: محدث، مؤرخ، عالم بالط، ولي القضاء بسمرقند، من مصنفاته: المسند الصحيح على التقاسيم والأنواع المشهور بصحيح ابن حبان، وروضة العقلاء في الأدب توفي (سنة ٣٥٤ هـ)؛ يراجع: «الأعلام» للزركلي (ج٦ ص٣,٦)؛ و«شذرات الذهب» (ج٣ ص١٦).

[٤] «السيرة» لابن حبان (ج١ ص٣٣).

[٥] ابن الجوزي هو: عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، أبو الفرَج ، نسبته إلى محلة الجوز بالبصرة، كان بها أحد أجداده، قرشي يرجع نسبه إلى أبي بكر الصديق: من أهل بغداد، حنبلي، علاّمة عصره في الفقه والتاريخ والحديث اشتهر بوعظه المؤثر، وكان الخليفة يحضر مجالسه، من تصانيفه : "تلبيس إبليس"؛ و"الضعفاء والمتروكين"؛ و"الموضوعات" توفي (سنة ٥٩٧ هـ). ترجمته في : «الذيل على طبقات الحنابلة» (ج ١ ص ٣٩٩ – ٤٢٣)؛ و«الأعلام» للزركلي (ج٤ ص٨٩)؛ و«البداية والنهاية» (ج١٣ ص٢٨).

[٦] «شرح النووي على مسلم» (ج١٥ ص ١٠٠).

[٧] «دلائل النبوة» لأبي نعيم (ص١٠٠ – ١٠١)، و«البداية والنهاية» (ج٢ ص٢٦١).

وقال ابن المنذر[٣]: هذا وَهْمٌ، والذِي لا يَشُكُّ فيه أحَدٌ مِن علمائنا: أن رسول الله ﷺ وُلِدَ عَامَ الفيل.

وبُعِثَ على رأسِ أرْبَعينَ سنة من الفيل[٤]، وذُكِرَ مثلُه عن مُطْعِمِ بنِ جُبَيْر فيما نقله ابن كثير، حيث قال: ولد رسول الله ﷺ وكانت عُكاظ بعد الفيل بِخَمْس عشرة سنة، وبني البيت على رأس خمس وعشرين سنة من الفيل، وهذا ما عليه أكثر العلماء[٥].

ليلة ولادته:

عن مَخْزُوم بن هانئ[٦] **عن أبيه قال**: لما كانت الليلة التي وُلِدَ فيها النبي ﷺ ارتَجَسَ إيوانُ كِسْرَى، وَسَقَطَت مِنْهُ أربع عشرة شرفة، وغاصت بُحَيْرَةُ سَاوَةَ، وَخَمَدت نَارُ فَارس؛ و لم تَخْمُد قَبْلَ ذلك بألف عام[٧]، ورَأى المُوبَذَان[١] إبِلاً صعابًا تَقُودُ خَيلاً عِرَابًا، وقد قَطَعَت دِجْلَة،

---

[١] الزهري هو محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب÷ من بني زهرة، من قريش، تابعي من كبار الحفاظ والفقهاء مدني سكن الشام، هو أول من دون الأحاديث النبوية، ودون معها فقه الصحابة، أخذ عن بعض الصحابة، توفي (سنة: ١٢٤ هـ). انظر: «تهذيب التهذيب» (ج٩ ص٤٤٥ – ٤٥١)؛ و«تذكرة الحفاظ» (ج١ ص١,٢)؛ و«الأعلام» للزركلي (ج٧ ص٣١٧).

[٢] «تاريخ الإسلام» (ج١ ص٣».

[٣] ابن المنذر : هو محمد بن إبراهيم بن المنذر: نيسابوري، من كبار الفقهاء المجتهدين، لم يكن يقلد أحدًا ؛ وعده الشيرازي في الشافعية، لقب بشيخ الحرم، أكثر تصانيفه في بيان اختلاف العلماء، توفي في سنة ٣١٩ هـ من تصانيفه : المبسوط في الفقه؛ والأوسط في السنن، والإجماع والاختلاف والإشراف على مذاهب أهل العلم، واختلاف العلماء. يراجع في ترجمته: «الأعلام» للزركلي «ج٦ ص٨٤)، و«تذكرة الحفاظ» (ج٣ ص٤ – ٥).

[٤] «دلائل النبوة» للبيهقي (ج١ ص٧٩)، و«تحفة الأحوذي» (ج١٠ ص٦٣ – ٦٨).

[٥] «البداية والنهاية» (ج٢ ص٢٦٢)، (صفة الصفوة» (ج١ ص٥٢)، «أعلام النبوة» للماوردي (ج١ ص٢٢٠).

[٦] مخزوم بن هانئ المخزومي: راوية أدرك الجاهلية وكان قد أتت عليه مائة وخمسون سنة. «الإصابة في تمييز الصحابة» (ج٦ ص٥٢٤)، دار الجيل – بيروت، ط١، (١٤١٢ هـ)، تحقيق : علي محمد البجاوي، و«الخصائص الكبرى» (ج١ ص١٤).

[٧] «البداية والنهاية» (ج٢ ص٢٦٨)، و«سيرة ابن كثير» (ج١ ص٢١٥)، «سبل الهدى والرشاد» (ج١ ص٣٥٤).

وانتشرت في بلادها، فأفزعه ذلك فلما أصبح لَبِسَ تَاجَه، وقَعَد على سَرِيرِه، وَجَمع وزراءه وقال:أتَدْرُون فيم بعثت إليكم؟ قالوا: لا، فبينما هم كذلك وَرَدَ عليهم كتاب بخمود النيران، فازداد غمًا إلى غَمِّهِ، فقال الموْبَذَان: وأنا رأيت الليلة رؤيا، وقَصَّهَا، فقال الملك: «أي شيء يكون هذا يا موبذان»، قال: حَادِثٌ يَكُون مِن عند العرب[٢]، فكتب عن ذلك إلى النعمان بن المنذر يسأله عن قَصِّ رُؤياه، فأرسل النعمان إلى رجل يقال له سطيح، فقال لهم: يا عبد المسيح إذا كثرت التلاوة، وبعث صاحب الهراوة، وفاض وادي السماوة، وغاضت بحيرة ساوة، وخمدت نار فارس، فليست الشام لسطيح بشام، يملك منهم ملوك وملكات على عدد الشرفات، وكل ما هو آت آت[٣].

مكان ولادته ﷺ:

وَكَانَ مَوْلِدُه ﷺ بِمَكَّةَ حيثُ البيت الحرام، قال شيخ الإسلام ابنُ عبدِ الوَهَّاب: وكانت مَكَّةُ في الجاهلية لا يُقَرُّ فِيها ظلم، ولا يَبْغِي فيها أحد إلا أخْرِجَ، ولا يريدها ملك يَسْتَحِلُّ حُرْمَتَها: إلا هَلَك، فكان فيها «حلف الفضول»، الذي عُقِدَ لنُصْرَة المظلوم، والذي قال فيه النبي ﷺ: «**كُلُّ حِلْفٍ فِي الجَاهِلِيَّةِ لَم يَزِدْهُ الإسْلَامُ إلَّا شِدَّةً**»، ومقتضى «حلف الفضول»: أن بني هاشم، وبني المطلب، وزهرة بن كلاب، وتيم بن مُرَّة تعاهدوا على أن لا يجدوا بمكة مظلوماً من أهلها، أو ممن دخلها إلا قاموا معه حتى تُرَدَّ إليه مظلمَتُه[٤].

وفيه قال الزبير بن عبد المطلب عم النبي ﷺ:

---

[١] المُوبَذانُ، بضم الميم وفتحِ الباءِ فَقيهُ الفُرْسِ، وحاكِمُ المَجوسِ، كالمُوبَذِ، ج المَوابِذَةُ، والهاءُ للعُجْمَةِ. يراجع: «القاموس المحيط» (ج١ ص٣٤٣).

[٢] «البداية والنهاية» (ج٢ ص٢٦٨)، و«تاريخ الطبري» (ج١ ص٤٥٩)، و«الوفا بأحوال المصطفي» (ج١ ص١٦٨).

[٣] ذَكَرَها ابنُ كثير في «البداية والنهاية» (ج٢ ص٢٦٩)، وانظر: «الفائق في غريب الحديث والأثر» (ج١ ص١٦)، و«الخصائص الكبرى» (ج١ ص٦٥)، و«أعلام النبوة» للماوردي (ج١ ص١٩)، و«الطبقات السنية في تراجم الحنفية» (ج١ ص٢٣).

[٤] «مختصر سيرة الرسول» لابن عبد الوهاب (ص٢٤ ص٢٥)، و«دلائل النبوة» للبيهقي (ج٢ ص٤٠).

إنّ الْفُضُولَ تَحَالَفُوا، وَتَعَاقَدُوا *** أَلّا يُقِيمَ بِبَطْنِ مَكّةَ ظَالِمُ

أَمْرٌ عَلَيْهِ تَعَاهَدُوا، وَتَوَاثَقُوا *** فَالْجَارُ وَالْمُعْتَرُّ فِيهِمْ سَالِمُ[1]

ووجه الخصوصية والإعجاز في ذلك: أنها فِعْلُ الله تعالى ولَم يُعْطِها لأحد إلا للنبي ﷺ؛ لإظهار عِظَمِ مَكانَتِه ﷺ مِن بَيْنِ المرسلين وعلى الخلق أجمعين.

٣) من خَصَائِصِهِ ﷺ التَّسْمِيَةُ بِـــ«مُحَمَّد»:

ووجه الخصوصية فيه أن: العَرَب لَم تَعْرِف التَّسْمِيَة بهذا الاسم قبلاً؛ ولذا سُئِلَ عبد المطلب: لِمَ رَغِبْتَ عَن أسماء آبائك؟ فأجاب: أرَدْتُ أنْ يَحْمَدَه الله تعالى في السماء، وخَلْقَهُ فِي الأرض.

وكانت تسميتُه بـــ«مُحَمَّدٍ» ثَمَرَةً لرؤيا رآها،كأن سلسلة خرجت من ظهره ... كما ســـبق، ولما قَصَّها على المُعَبِّرِينَ قالوا له: إنه سوف يُولَدُ لَك مَولُود يَتْبَعُهُ أهل المشرق والمغرب، ويحمده أهل السماء والأرض.

وقد رأت السيدة آمنة – كما سبق – مَن يقول لها: «سَمِّهِ مُحَمدًا».

وعن أبي موسى الأشعري[2] رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يُسَمِّي لَنَا نَفْسَهُ أسْمَاءَ فقال: «**أنَـــا مُحَمَّدٌ، وَأحْمَدُ، وَالْمُقَفَّي، وَالحَاشِرُ، ونَبِيُّ التَّوْبَةِ، وَنَبِيُّ الرَّحْمَةِ**»[3].

---

[1] «تحفة الأحوذي» (ج١٠ ص٦٣)، «السيرة النبوية» لابن هشام (ج١ ص٢٦٤)، و«الروض الأنف» (ج١ ص٦٤).

[2] هو: عبد الله بن قيس بن سليم، من الأشعريين، ومن أهل زبيد باليمن . صحابي من الشجعان الفاتحين الولاة . قدم مكة عند ظهور الإسلام، فأسلم، وهاجر إلى الحبشة، واستعمله النبي ﷺ على زبيد وعدن، وولاه عمر بن الخطاب البصرة سنة ١٧هـــ، فافتتح أصبهان والأهواز، ولما ولي عثمان أقره عليها، ثم ولاه الكوفة، وأقره علي، ثم عزله، ثم كان أحد الحكمين بين علي ومعاوية، وبعد التحكيم رجع إلى الكوفة وتوفي بها سنة: ٤٤ هـــ. انظر: «الأعلام» للزركلي (ج٤ ص٢٥٤)؛ و«غاية النهاية» (ج١ ص٤٤٢).

[3] أخرجه مسلم، كتاب الفضائل، باب في أسمائه ﷺ، رقم: [٢٣٥٥]، (ج٤ ص١٨٢٨).

ولم يُسَمَّ بِهِ أحَدٌ مِن العرب ولا غيرهم إلى أن شَاع قُبَيْلَ وجوده ﷺ وميلاده أن نبياً يبعث اسمه «مُحَمَّد»، فسَمَّى قَومٌ قَلِيلٌ مِن العرب أبناءهم بذلك، رجاءَ أن يكون أحدُهُم هُوَ، والله أعلم حيثُ يَجْعَلُ رِسَالَاتِه، وهم:

١. محمد بن أحيحة بن الجلاح الأوسي.

٢. محمد بن مسلمة الأنصاري ٠

٣. محمد بن براء البكري٠

٤. محمد بن سفيان بن مجاشع٠

٥. محمد بن حمران الجعفي.

٦. محمد بن خزاعي السلمي، لا سَابِعَ لَهُم[١]، ويقال: أوَّل مَن تَسَمَّى بِمُحَمَّدٍ، هو: مُحَمَّد بنُ سفيان، واليمن تقول: بَل محمد بن اليحمد من الأزد.

ووجه الإعجاز هنا أن: الله حَمَى كُلَّ مَن تسمى بهذا الاسم أن يَدَّعِي النبوة أو يَدَّعِيَها أحد لَهُ، أو يَظْهَرَ عليه سَبَبٌ يَشُكُّ أحَدٌ فِي أمْرِه حتَّى تَحَقَّقَت السِّمَتَانِ لَهُ ﷺ، وَلَم يُنَازَع فيهِمَا[٢].

٤) مِن خَصَائِصِه ﷺ أنَّ الله أرْسَلَهُ بِالقرآن الكريم.

القرآنُ الكَرِيمُ هُو كلام رب العالمين، نزل به الروح الآمين على النبي المصطفى الأمين، ففاق بذلك النبيين بما وصفه الله به في قوله ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (١٩) ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ (٢٠) مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ (٢١) وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ (٢٢) وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ (٢٣) وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ (٢٤) ﴾[٣]، ولا خلاف في أنَّ القُرآنَ مُعْجِزَةُ سيدنا محمد عليه

---

[١] «غاية السول في خصائص الرسول ﷺ» (ج ١ ص ٦٦)، و«زاد المعاد» (ج١ ص٨٤)، و«صفوة الصفوة» (ج١ ص٥٤)، و«تاريخ الطبري» (ج١ ص٢٢١).

[٢] «الشفا» للقاضي عياض (ج١ ص٢٣١)، و«الخصائص الكبرى» (ج١ ص٦٥).

[٣] سورة التكوير، الآيات: (١٩ : ٢٤).

السلام، والقرآن أوَّل مُعْجِزَة دعا به محمد ﷺ إلى نبوته، فَصَدَع فيه برسالته، وخصه الله بإعجازه من بين جميع رسله، وإن كان كلامًا ملفوظًا، وقولاً محفوظًا؛ لأسباب صار بها من أخص إعجازه، وأظهر آياته، وأعظم معجزاته، وأخص خصوصياته، ووجوه إعجازه لا حصر لها، ومنها مايلي:

أحدها: أَنَّهُ كِتَابٌ مُعْجِزٌ؛ بخلاف سائر كتب الأنبياء ومَحْفُوظ عن التحريف والتبديل، وأقِيم بعده حجة على الناس، ومعجزاتُ سائر الأنبياء انقرضت بانقراضهم[1].

ثانيها: أن معجزة كُلِّ رِسُول موافقة للأغلب مِن أحوال عصره، والشائع المنتشر في ناس دهره؛ لأن موسى عليه السلام حين بُعِثَ فِي عصر السحرة: خُصَّ بِفَلْقِ البَحْرِ يَبَسًا، وقَلْبِ العَصَا حَيَّة، فبَهَر كُلَّ ساحِرٍ، وأذَلَّ كُلَّ كَافِرٍ، وبُعِثَ عيسى عليه السلام في عصر الطب، فخُصَّ بإبراء المرضي، وإحياء الموتى بما أدهش كل طبيب، وأذهل كل لبيب، ولما بعث محمد ﷺ في عصر الفَصَاحَة والبلاغة: خُصَّ بالقرآن في إيجازه وإعجازه بما عجز عنه الفصحاء، وأذعن له البلغاء، وتبلد فيه الشعراء؛ ليكون العجز عنه أقهر، والتقصير فيه أظهر، فصارت معجزاتهم – وإن اختلفَت – متشاكلة المعاني متفقة العلل[2].

ثالثها: أن المُعْجِزَ في كل قوم بحسب أفهامهم، وعلى قدر عقولهم وأذهانهم، وكان في بني إسرائيل من قوم موسى وعيسى بلادة وغباوة؛ لأنه لم ينقل عنهم ما يدون من كلام مستحسن، أو يستفاد من معنى مبتكر، وقالوا لنبيهم حين مروا بقوم يعكفون على أصنام لهم: {اجْعَل لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُم آلِهَة}، فظنوا أن الإعجاز بما يصلون إليه ببداية حواسهم، والعرب أصَحُّ الناس أفهامًا وأحدّهم أذهانًا، قد ابْتَكَرُوا من الفصاحة أبْلَغَها، ومن المعاني أغْرَبَها، ومن الآداب أحْسَنها، فخصوا من معجز القرآن بما تحول فيه أفهامهم وتَصِلُ إليه أذهانهم، فيدركوه بالفطنة دون البديهة، وبالرَّوِيَّةِ دون البادرة؛ لتكون كُلُّ أمة مخصوصة بما يوافِق فَهْمَهَا.

---

[1] «غاية السول في خصائص الرسول ﷺ» (ج١ ص٦٣) لأبي حفص عمر بن علي الأنصاري الشهير بابن الملقن، ط: دار النشر، دار البشائر الإسلامية – بيروت – ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م.

[2] «أعلام النبوة» للماوردي (ج١ ص٧٦).

رابعها: أن معجزة القرآن باقية على مَمَرِّ الدهر، ولا تختص بوقت دون وقت، ولا قُطْرٍ دُونَ قُطْرٍ، فوجه الإعجاز فيه أظهر وأكمل من معجزات الأنبياء جميعًا، ويتناسب مع شرف الرسالة الخاتمة، وأبديتها، وعمومها وعِظَمِ مكانة الرسول الكريم ﷺ[1]، وإعْجَازُ القرآن في خروجه عن كلام البشر، وإضافته إلى الله تعالى يكون **من وجوه متعددة من أهمها ما يلي:**

فمن إعجازه: فصاحته وبيانه، ويتحقق ذلك ببلاغة ألفاظه، واستيفاء معانيه، وحسن نظمه.

ومن إعجازه: إيجازُه عن هذا الإكثار، واستيفاء معانيه في قليل الكلام كقوله تعالى: ﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْداً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾[2].

وحُكِيَ عن الوليد بن المغيرة – وكان سَيِّدَ عشيرته وأفْصَحَ قَوْمِه – أنه جاء إلى أصحاب رسول الله ﷺ، وهو عَلَى كُفْرِه، فقال: اقرؤوا عليّ شيئًا من القرآن، فقرؤوا عليه، فقال: «لَيْسَ هَذَا مِن كَلَامِ البَشَرِ، وَلَيْسَ بِشِعْرٍ» فمَضى إليه أبو لهب قال: أفسدت قريشًا بهذا القول فارجع عنه، فقال: أقول إنه سِحْرٌ[3].

ومن إعجازه: كثرة معانيه التي لا يجمعها كلام البشر.

ومن إعجازه: ما جَمَعَهُ القرآن مِن عُلُوم لا يُحِيْطُ بِها بَشَر، ولا تجتمع في مخلوق، فلم يكن إلا من عند الله المحيط بكل شيء علمًا، حتى عَلِمَهُ مَن لَم يَكُن به عالمًا.

ومن إعجازه: ما تَضَمَّنَهُ مِن الحُجَجِ والبراهين على التوحيد والرَّجْعَة، وعلى الدهرية، والثَنَوِيَّةِ حتى قطع بحجاجِهِ كُلَّ مُحْتَجّ، وخَصَمَ بِجَدَلِهِ لَهُ كُلَّ خَصْمٍ أَلَدّ[4].

---

[1] «غاية السول في خصائص الرسول» (ج١ ص٦٦).

[2] سورة هود، آية: (٤٤).

[3] «أعلام النبوة» للماوردي (ج١ ص٧٦)، «فتح الباري» (ج٦ ص٥٨٣).

[4] «أعلام النبوة» للماوردي (ج١ ص٧٨).

ومن إعجازه: ما تَضَمَّنَهُ مِن أخْبَار القُرُونِ الخَالِيَة وقَصَصِ الأمَمِ السَّالِفَة وتَحَدَّاهُ بِه أهْلُ الكتاب مِن قِصَّةِ أهل الكهف، وشأن موسى والخضر، وحديث ذي القرنين، فكان على ما ذَكَرَهُ أنبياؤهم، وتضمنته كتبهم.

ومن إعجازه: ما تَضَمَّنَهُ من عِلْمِ الغيب بأخْبَارٍ تَكُونُ فَكَانَت، كَقَوْلِه لليهود: ﴿**قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ**﴾ [1].

ثم قال: ﴿**وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَداً بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ**﴾[2]، فَما تَمَنَّاهُ أحَدٌ منهم، وكقوله لقريش: ﴿**فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا**﴾ [3]، فقطع بأنهم لا يفعلون فلم يفعلوا، أو كقوله: ﴿**سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ**﴾ [4]، وكان ذلك في يوم بَدْر، وكقوله تعالى في هجرته مِن مَكة إلى المدينة ﴿**إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ**﴾[5]، فأعاده الله إلى مكة عام الفتح، إلى غير ذلك من نظائره[6].

ومِن إعْجَازِه: ما فيه مِن الإخبار بضمائر القلوب التي لا يصل إليها إلا عَلَّام الغيوب، كقوله تعالى: ﴿**إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلا**﴾ [7]، مِن غير أن يظهر منهم قول أو يوجد منهم فشل، وكقوله: ﴿**وَإِذْ يَعِدُكُمْ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ**﴾ [8].

ومن إعجازه: أن تلاوته تَخْتَصُّ بخمسة أشياء لا توجد في غيره:

---

[1] سورة البقرة، آية: (٩٤).

[2] سورة البقرة آية: (٩٥).

[3] سورة البقرة آية: (٢٤).

[4] سورة القمر آية: (٤٥).

[5] سورة القصص آية: (٨٥).

[6] «أعلام النبوة» للماوردي (ج١ ص٧٨).

[7] سورة آل عمران آية: (١٢٢).

[8] سورة الأنفال آية: (٧).

أحدها: سهولة مخرجه.

والثاني: بهجة رونقه.

والثالث: سلالة نظمه.

والرابع: حسن قبوله.

والخامس:أن قارئه لا يَكَلُّ، وسامِعَهُ لا يَمَلُّ، وهذا في غيره من الكلام معدوم.

ومن إعجازه: أنه مَنْقول بألفاظه ومعانية المترلة على نَظْمِه، وأداه الرسول إلى الأمة بِمِثْلِه، فلم يَنْخَرِم فيه لفظ، ولا اختل فيه معنى، ولا تغير له ترتيب، حتى صار من الزلل مضبوطًا، ومن التبديل محفوظًا، وكما قال تعالى: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾[1].

فإنَّ التَّوْرَاة: ألقى الله تعالى معانيها إلى موسى عليه السلام، فذكرها بلفظه وعَبَّرَ عنها بكلامه[2].

وأما الإنجيل فهو: ما أخبر به عيسى عليه السلام عن ربه، وعن نفسه، فجَمَعَهُ تلامِذَتُه بألفاظهم، وجعلوه كتابًا متلوًا.

وأما الزبور: فأدْعِيَةٌ بِتَحَامِيْدَ وتسابيح، تُنْسَبُ إلى داود عن لفظه.

ولئن كانت معاني هذه الكتب مضافة إلى الله تعالى: فليست بصيغة لفظه، ولا على نظم كلامه، كما نزل القرآن جامعًا لألفاظه ومعانيه وترتيبه، فصار مباينًا لجميع كتبه، وما هذا إلا بمعونة إلهية حفظ الله تعالى بها إعجازه، وأمد بها رسوله، كما قال تعالى: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾[3].

---

[1] سورة الحجر آية: (٩).

[2] «أعلام النبوة» للماوردي (ج١ ص٧٨).

[3] سورة الحجر آية: (٩).

ومن إعْجَازِه: تَيْسِيْرُه على جميع الألسنة حتى سَهُلَ حِفْظُه على الأعجمي الأبْكَم، ولا يُحْفَظُ غيره من الكتب كحفظه، ولا تَجْرِي به ألسنة البُكْمِ كجريها به، وما ذاك إلا بخصائص إلهية فضله الله بها على سائر كتبه[1].

ومنها: العَجْزُ عَن المعارضة، ولو عارضوه لاحتجوا عليه بالمعارضة، ولَمَا احتاجوا معه إلى القتال والمحاربة، مع بَذْلِ النفوس، واستِهْلَاك الأموال، ولَدَفَعُوه بالأهْوَن دون الأصعب، وقد نقل ما عورض به فظهر فيه العجز، وبان فيه النقص، حتى فضحته ركاكة لفظه، وسخافة نظمه، وفيما يلي **نماذج من المعارضات السخيفة التي ظن أهلها أنهم بها يعارضون القرآن الكريم:**

١. حَكَى ابنُ قتيبة[2] عن مُسَيْلِمَة أنه قال في معارضة القرآن: يا ضِفْدَع نُقِّي كَمَا تَنُقِّين، لا الماء تُكَدِّرين، ولا الشراب تَمْنَعِين، فلما سمع هذا أبو بكر ﷺ قال: إن هذا الكلام لَم يَخْرُج مِن إلٍّ[3].

٢. وحُكِيَ عن غيره – وأحسَبُه العَنْسِي – أنه قال: ألم تر كيف فعل ربك بالحُبْلَى، أخْرَجَ من بَطْنِها نَسَمَةً تَسْعَى، مِن بَيْنِ شَرَاسِيْفَ وَحَشَى[4].

٣. وحُكِيَ عَن آخَر: الفِيْلُ مَا الفِيل، لَه ذَنَبٌ وَثِيل، ومِشْفَرٌ طَويل، فإن ذلك من خلق ربنا لقليل[5].

---

[1] «أعلام النبوة» للماوردي (ج١ ص٧٨)، و«فتح الباري» (ج٦ ص٥٨٣).

[2] ابن قتيبة هو: عبد الله بن مسلم بن قتيبة، أبو محمد، الدينوري . من أئمة الأدب، ومن المصنفين المكثرين، عالم مشارك في أنواع من العلوم، كاللغة والنحو وغريب القرآن ومعانيه وغريب الحديث والشعر والفقه والأخبار . سكن بغداد وحدث بها وولي قضاء دينور توفي سنة ٢٧٦ هـ. من تصانيفه : تأويل مختلف الحديث، الإمامة والسياسة، ومشكل القرآن، والمشتبه من الحديث والقرآن. ترجمته في: «شذرات الذهب» (ج٢ ص١٦٩)، و«تهذيب الأسماء واللغات» (ج٢ ص٢٨١)، و«الأعلام» (ج٤ ص٢٨).

[3] «تاريخ الطبري» (ج٢ ص٢٧٦)، و«السيرة» لابن حبان (ج١ ص٤٣)، و«الروض الأنف» (ج١ ص٤٢٧).
والإلُّ: الأصل الجيد، والمنشأ الطيب.

[4] «محمد رسول الله» (ج١ ص٦,٤).

[5] «البداية والنهاية» (ج٦ ص٣٢٦)، و«محمد رسول الله» (ج١ ص٦,٤).

٤. وعن عكرمة[١] أن النضر بن الحارث – وكان من فصحاء قريش – عارض القرآن فقال: والزارعات زرعا، والحاصدات حصدًا، والطاحنات طحنًا، والعاجنات عجنًا، والخابزات خبزًا فاللاقمات لقما[٢].

٥- وقال أخر: قد أفلح من هينم في صلاته، وأطعم المساكين مِن مِخْلَاته، وأخرج الواجب من زكاته[٣].

٦- وقال آخر: في معارضة سورة النجم: والنجم إذا سَما، والبحر إذا طَما، ما زاغ مُنْذِرُكُم وما طغى، وما كذب بها وغوى، فيما نطق بِه وَرَوَى، فأنزل الله تعالى في ذلك: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾[٤]، فهذه المعارضة قد احتذوا فيها مثالاً أتوا بسقيم الكلام دون سليمه، وبسخيفه دون جميله، وقاسوا الدر بالمَدَر، وشاكلوا بين الصَّفْوِ والكَدَر، فإذا ثبت إعجاز القرآن من هذه الوجوه كلها، صح أن يكون كل واحد منها معجزاً، فإذا جمع القرآن سائرها، كان إعجازه أقهر وحجاجه أظهر، وصار كَفَلْقِ البحر، وإحياء الموتى؛ لأن مدار الحجة في المعجزة إيجاد ما لا يستطيع الخلق مثله، وكان بذلك أقوى المعجزات لأفضل الرسالات، وأشرف الرسل.

---

[١] هو: عكرمة بن عبد الله مولى عبد الله بن عباس. وقيل لم يزل عبدًا حتى مات ابن عباس وأعتق بعده . تابعي مفسر محدث . أمره ابن عباس بإفتاء الناس . أتى نجدة الحروري وأخذ عنه رأي الخوارج، ونشره بإفريقية . ثم عاد إلى المدينة . فطلبه أميرها، فاختفى حتى مات، واتهمه ابن عمر وغيره بالكذب على ابن عباس .توفي سنة ١,٥ هـ. انظر: «الأعلام» للزركلي: (ج٥ ص٤٣)، و«المعارف» (ج٥ ص٢,١).

[٢] «تاريخ الطبري» (ج٢ ص٥,٦).

[٣] «أعلام النبوة» للماوردي (ج١ ص٧٨).

[٤] سورة الأنعام آية: (١٠٠)، ويراجع: «أعلام النبوة» للماوردي (ج١ ص٧٩).

٥) مِن خَصَائِصِهِ الإعجازية: ما أطْلَعَهُ الله عليه من الغيوب، وما يكون في المستقبل مما لا يحيط به أحد غيره[١].

مِن الخصائص الإعجازية لِخَيْر البرية ﷺ: أن الله أطلعه على أمور من الغيب بالنسبة للخلق لم يطلع عليها أحداً غيره؛ تشريفًا، وتفضيلاً له، وأخبر بها النبي على وجه التحدي، والإعجاز فكانت من معجزاته الباهرة، والأحاديث في هذا الباب بَحْرٌ لا يُدْرَكُ قَعْرُه، فهذه المعجزة من جملة معجزاته المعلومة على القطع، المروية بالتواتر؛ لكثرة رواتها، واتفاق معانيها على الإطْلَاع على الغيب، وهذا يعني أن الله خصه وأعطاه ما لَم يُعْطِ أحدًا من العالمين، وهذه الخصيصة تشتمل على كثير من أنواع الخصائص المتعددة، والتي ربما لا حصر لها، فتعد كل واحدة مما عبر عنها الرسول الأكرم على حدة: واحدة من الخصائص المحمدية، ومعجزة من المعجزات النبوية، فوجه الخصوص فيها واضح، وفي كثرتها وشموليتها بيان ظاهر في عظيم المنزلة، وشريف المكانة.

ومن ذلك ما يلي:

١- عن حذيفة [٢] رضي الله عنه، قال: «قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ ﷺ مَقَامًا، مَا تَرَكَ شَيْئًا يَكُونُ فِي مَقَامِهِ ذَلِكَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ، إِلَّا حَدَّثَ بِهِ»، حَفِظَهُ مَنْ حَفِظَهُ وَنَسِيَهُ مَنْ نَسِيَهُ، قَدْ عَلِمَهُ أَصْحَابِي هَؤُلَاءِ، وَإِنَّهُ لَيَكُونُ مِنْهُ الشَّيْءُ قَدْ نَسِيتُهُ فَأَرَاهُ فَأَذْكُرُهُ، كَمَا يَذْكُرُ الرَّجُلُ وَجْهَ الرَّجُلِ إِذَا غَابَ عَنْهُ، ثُمَّ إِذَا رَآهُ عَرَفَهُ[٣].

---

[١] «الشفا» للقاضي عياض (ج١ ص٣٣٥)، و«فتح الباري» (ج٦ ص٥٨٣).

[٢] هو: حذيفة بن اليمان واليمان لقبه أبو عبد الله العبسي . من كبار الصحابة، وصاحب سر رسول الله ﷺ أسلم هو وأبوه وأرادا شهود بدر فصدهما المشركون، وشهد أحدًا فاستشهد اليمان بها . شهد حذيفة الخندق وما بعدها، كما شهد فتوح العراق، وله بها آثار شهيرة . استعمله عمر على المدائن فلم يزل بها حتى مات بعد بيعة علي بأربعين يومًا .روى عن النبي ﷺ الكثير توفي سنة٣٦ هـ. ترجمته في: «تهذيب التهذيب» (ج٢ ص٢١٩)، و«الإصابة (ج١ ص٣١).

[٣] أخرجه مسلم، كتاب: الفتن وأشراط الساعة، باب إخبار النبي ﷺ فيما يكون إلى قيام الساعة، رقم: [٢٨٩١] (ج٤ ص٢٢١٦).

ثم قال حذيفة ﷺ: ما أدْرِي، أَنَسِيَ أصحابي أم تناسوه، والله ما ترك رسول الله ﷺ من قائِدِ فِتْنَةٍ إلى أن تَنْقَضِي الدنيا يبلغ من معه ثلاثمائة فصاعدًا: إلا قَد سَمَّاهُ لنا باسمه، واسْمِ أبيه، وقبيلته[1].

وقال أبو ذر[2] ﷺ: «لَقَد تَرَكَنا رَسُول الله ﷺ وما يُحَرِّكُ طَائِرٌ جَنَاحَيْهِ فِي السماء، إلا ذَكَرْنَا مِنْهُ عِلْمًا»[3].

٢ – وعن أم حبيبة[4] بنت أبي سفيان عن زينب بنت جحش رضي الله عنها: أنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَيْهَا فَزِعًا يَقُولُ: «**لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ، فُتِحَ اليَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذِهِ**» وَحَلَّقَ بِإِصْبَعِهِ الإِبْهَامِ وَالَّتِي تَلِيهَا، قَالَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ: فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ: «**نَعَمْ إِذَا كَثُرَ الخَبَثُ**»[5].

وقال ﷺ: «**إِنَّ اللهَ زَوَى لِي الْأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا، وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ، وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي أَنْ لَا يُهْلِكَهَا بِسَنَةٍ عَامَّةٍ، وَأَنْ لَا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ، فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ، وَإِنَّ رَبِّي قَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لَا يُرَدُّ، وَإِنِّي أَعْطَيْتُكَ لِأُمَّتِكَ أَنْ لَا أُهْلِكَهُمْ بِسَنَةٍ عَامَّةٍ، وَأَنْ**

---

[1] أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الفتن والملاحم، باب ذكر الفتن ودلائله، رقم: [٤٢٤٣] (ج٢ ص٤٩٦).

[2] أبو ذر هو جندب بن جُنَاده بن قيس، من كبار الصحابة، مدحه النبي ﷺ بقوله : «**مَا أَظَلَّت الخَضْرَاءُ، وَلَا أَقَلَّت الغَبْرَاءُ أَصدَقَ لَهْجَةً مِن أبِي ذَرٍّ**». اعترض على معاوية ثم على عثمان في أشياء فنفاه عثمان من المدينة إلى الرَّبذة، فمات بها وصلى عليه ابن مسعود. ترجمته في: «تهذيب التهذيب» (ج١٢ ص٩١).

[3] أخرجه أحمد، مسند البصريين حديث المشايخ عن أبي بن كعب ﷺ، رقم: [٢١٣٩٩] (ج٥ ص١٥٣).

[4] هي رملة بنت أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية القرشية الأموية . تكنى أم حبيبة . إحدى أمهات المؤمنين، كانت من السابقين إلى الإسلام، هاجرت إلى الحبشة مع زوجها عبيد الله بن جحش فولدت هناك حبيبة، فتنصر عبيد الله ومات بالحبشة نصرانيًا وبقيت أم حبيبة مسلمة بأرض الحبشة، فأرسل رسول الله ﷺ يخطبها إلى النجاشي فتزوجها وهي بالحبشة روت عن النبي ﷺ أحاديث وروت عنها بنتها حبيبة وأخواها معاوية وعتبة توفيت (سنة: ٤٦). ترجمتها في: «الإصابة» (ج٤ ص٣)، و«أسد الغابة» (ج٥ ص٥٧٣).

[5] أخرجه البخاري، كتاب الأنبياء – باب قصة يأجوج ومأجوج، رقم: [٣١٦٨]، (ج٣ ص١٢٢١)، وأخرجه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب: اقتراب الفتن وفتح ردم يأجوج ومأجوج، رقم: [٢٨٨٠].

لَا أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ، يَسْتَبِيحُ بَيْضَتَهُمْ، وَلَوِ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بِأَقْطَارِهَا – أَوْ قَالَ: مَنْ بَيْنَ أَقْطَارِهَا – حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا، وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا»[1].

وكان كذلك، امتدت في المشارق والمغارب مما بين أرض الهند أقصى المشرق إلى بحر طنجة، حيث لا عمارة وراءه، وذلك ما لم تملكه أمة من الأمم، ولم تمتد في الجنوب ولا في الشمال مثل ذلك.

٣- وقال ﷺ: «**لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَقْتَتِلَ فِئَتَانِ فَيَكُونَ بَيْنَهُمَا مَقْتَلَةٌ عَظِيمَةٌ، دَعْوَاهُمَا وَاحِدَةٌ، وَلاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُبْعَثَ دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ، قَرِيبًا مِنْ ثَلاَثِينَ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ**»[2].

٤- وعن عمير بن هانئ [3] أنه سمع معاوية يقول: سمعت النبي ﷺ يقول: «**لاَ يَزَالُ مِنْ أُمَّتِي أُمَّةٌ قَائِمَةٌ بِأَمْرِ اللَّهِ، لاَ يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، وَلاَ مَنْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ**»[4].

٥ – وقال ﷺ في حَنْظَلَة الغَسِيْل: «**إِنَّ صَاحِبَكُمْ حَنْظَلَةَ تُغَسِّلُهُ الْمَلَائِكَةُ، فَسَلُوا صَاحِبَتَهُ**»، فَقَالَتْ: خَرَجَ وَهُوَ جُنُبٌ لَمَّا سَمِعَ الْهَائِعَةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**فَذَاكَ قَدْ غَسَّلَتْهُ الْمَلَائِكَةُ**»[1]، قال أبو سعيد ﷺ: وَوَجَدْنَا رَأْسَهُ يَقْطُر مَاءً[2].

---

[1] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفتن، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض رقم: [٢٨٨٩]، (ج٤ ص٢٢١٥).

[2] أخرجه البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، رقم: [٣٤١٣] (ج٣ ص١٣٢٠)، وأخرجه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب: إذا توجه المسلمان بسيفيهما، وباب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل، رقم: [١٥٧].

[3] عمير بن هانئ العنسى أبو الوليد أدرك ثلاثين من أصحاب رسول الله ﷺ وعمر طويلا، وكان قد ولاه عمر بن عبد العزيز على الثنية والحوران، وبقى إلى أن قتله السفر بن حبيب المري سنة ثنتين وثلاثين ومائة، وكان عمير بن هانئ يصلي كل يوم ألف سجدة، ويسبح مائة ألف تسبيحة. يراجع: «ثقات ابن حبان» (ج٥ ص٢٥٥)، و«مشاهير علماء الأمصار» (ج١ ص١٨١)، و«تهذيب التهذيب» (ج٨ ص١٣٤).

[4] أخرجه البخاري، كتاب المناقب، باب سؤال المشركين أن يريهم النبي ﷺ آية فأراهم انشقاق القمر، رقم: [٣٤٤١] (ج٣ ص١٣٣١).

٦- وقال ﷺ: «**الخِلَافَةُ فِي قُرَيْشٍ**»، و«**لَا يَزَالُ هَذا الأمْرُ فِي قُرَيْشٍ مَا بَقِيَ مِنْهُم اثْنَانِ**»[٣].

٧- وقال ﷺ: «**إنَّ هَذَا الأمْرَ بَدَأَ نُبُوَّةً وَرَحْمَةً، ثُمَّ يَكُونُ رَحْمَةً وَخِلَافَةً، ثُمَّ يَكُونُ مُلْكًا عَضُوْضًا، ثُمَّ يَكُونُ عُتُوًّا وَجَبَرُوتًا وَفَسَادًا فِي الأمَّةِ**»[٤].

٨- وأخبر ﷺ بِأَنَّهُ سَيكون في أمَّتِه ثَلاثُونَ كاذبًا فيهم أربع نسوة، وفي حديث آخر: «**ثَلَاثُونَ دَجَّالاً كَذَّابًا، آخِرُهُم الدَّجَّالُ الكَذَّابُ: كُلُّهُم يَكْذِبُ عَلى اللهِ وَرَسُوْلِهِ**»[٥].

٩- وقال ﷺ : «**خَيْرُكُمْ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**»، «**ثُمَّ إِنَّ بَعْدَكُمْ قَوْمًا يَشْهَدُونَ وَلاَ يُسْتَشْهَدُونَ، وَيَخُونُونَ وَلاَ يُؤْتَمَنُونَ، وَيَنْذُرُونَ وَلاَ يَفُونَ، وَيَظْهَرُ فِيهِمُ السِّمَنُ**»[٦].

١٠- وقال ﷺ: «**هَلَاكُ أمَّتِي عَلَى يَدَي أُغَيْلِمَةٍ مِن قُرَيْشٍ**»[٧].

١١- وقال ﷺ لِقَوْمٍ مِن جُلَسَائِه: «**ضِرْسُ أحَدِكُم فِي النَّارِ أعْظَمُ مِن أحُدٍ**»، قال أبو هريرةرضي الله عنه: فذهب القوم - يعني ماتوا - وبقيت أنا ورجل، فَقُتِلَ مُرْتَدًا يوم اليمامة[١].

---

[١] أخرجه ابن حبان في صحيحه، كتاب إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة رجالهم ونسائهم بذكر أسمائهم رضوان الله عليهم أجمعين، رقم (٧,٢٥) (ج١٥ ص٤٩٥)، وقال شعيب الأرنؤوط : حديث صحيح.

[٢] «التحقيق في أحاديث الخلاف»، مسألة: يكره أن يكفن الميت في قميص وعمامة، وقال أبو حنيفة: يستحب ذلك، رقم (٨٧٣) (ج ٢ ص١)، وانظر: «السيرة» لابن هشام (ج٣ ص٢)، و«أعلام النبوة» للماوردي (ج١ ص١٥٣).

[٣] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب مناقب قريش، رقم (٣٣١٠) (ج ٣ ص١٢٨٥)، وأخرجه مسلم في الإمارة، باب الناس تبع لقريش والخلافة في قريش، رقم: (١٨٢٠)، و(لا يزال): يبقى ويستمر، (الأمر): الخلافة.

[٤] أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» رقم: (٥٢٢٨) (ج٧ ص ٤٢٢).

[٥] أخرجه أحمد في مسنده، مسند أبي هريرة رضي الله عنه، رقم: (٩٨١٧) (ج٢ ص ٤٥٠)، وقال شعيب الأرنؤوط : صحيح وهذا إسناد حسن.

[٦] أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب ما يحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها، رقم: (٦,٦٤) (ج ٥ ص٢٣٦٢)، وأخرجه مسلم، كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، رقم (٢٥٣٥) (ج٤ ص١٩٦٤).

[٧] أخرجه البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، رقم: (٣٤١٠) (ج٣ ص١٣١٩).

١٢- وأخْبَرَ ﷺ أنَّ أسْرَعَ أزْوَاجِه بِه لُحُوقًا أطولُهُن يَدًا، فكانت زَيْنَب لِطُولِ يَدِهَا بالصَّدَقَة[٢].

١٣- وقال في الذين كانوا معه على أحد - أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم - فَرَجَفَ بِهِم: «**اثْبُت أُحُد فَإِنَّما عَلَيْكَ نَبِيٌّ وَصِدِّيقٌ وَشَهِيْدَانِ**»[٣] فَاسْتُشْهِدَ عُمَرُ وعثمان.

١٤- وقال ﷺ لسُرَاقَةَ[٤]: «**كَيْفَ بِكَ إذَا أُلْبِسْتَ سِوَارَي كِسْرَى؟**» وذلك عندما رأى ذراعي سراقة بن مالك بن جعشم دقيقين أشعرين، فقال: «**كَيْفَ بِكَ إذَا أُلْبِسْتَ بَعْدِي سِوَارَيْ كِسْرَى**»، فلما فُتِحَت فارس دَعَاهُ عمر وألبسه سواري كسرى، وقال له: قل الحمد لله الذي سلبهما كسرى بن هرمز، وألسبهما سراقة بن جعشم[٥].

١٥- وإعْلَامُه ﷺ قريشًا أن الأرَضَةَ تَأكُلُ مَا فِي صَحِيْفَتِهِم التي تَظَاهَرُوا بِها عَلى بَنِي هاشِمٍ، وقَطَعُوا بِها رَحِمَهُم، وأنها أبْقَت فِيها اسْمَ اللهِ، فَوَجَدُوهَا كَمَا قَال[٦].

١٦- ما أخبر به ﷺ من الحوادث التي تكون و لم يأت بعد، منها ما ظهرت مقدماتها، كقوله: «**عُمْرَانُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ خَرَابُ يَثْرِبَ، وَخَرَابُ يَثْرِبَ خُرُوجُ الْمَلْحَمَةِ، وَخُرُوجُ الْمَلْحَمَةِ فَتْحُ قُسْطَنْطِينِيَّةَ، وَفَتْحُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ خُرُوجُ الدَّجَّالِ**»[١].

---

[١] تخريج أحاديث الإحياء، كتاب الأمر بالمعروف، بيان معجزاته وآياته الدالة على صدقه، رقم: (٩)، (ج٢ ص ٣٢٧)، إحياء علوم الدين، بيان معجزاته وآياته الدالة على صدقه، (ج٢ ص٣٨٥).

[٢] أخرجه البخاري، كتاب الزكاة، باب: أي الصدقة أفضل وصدقة الشحيح الصحيح، رقم: (١٣٥٤) (ج٢، ص ٥١٥)، وأخرجه مسلم في فضائل الصحابة باب من فضائل زينب أم المؤمنين رضي الله عنها رقم: (٢٤٥٢)، (ج٤ ص ١٩,٧).

[٣] أخرجه البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ «لو كنت متخذا خليلا»، رقم (٣٤٧٢) (ج٣ ص١٣٤٤)، وأخرجه مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب قصة أصحاب الإخدود والساحر والراهب والغلام، رقم: (٥٠٠٣) (ج٤ ص٢٢٩٩).

[٤] هو سراقة بن مالك بن جعشم بن مالك بن عمرو بن مالك بن تيم، أبو سفيان، المدلجي : الكناني، صحابي، من مشاهير الصحابة، له في كتب الحديث ١٩ حديثا، وكان في الجاهلية قائفا في اقتصاص الأثر وإصابة الفراسة، أخرجه أبو سفيان ليقتاف أثر رسول الله ﷺ حين خرج إلى الغار مع أبي بكر، وأسلم بعد غزوة الطائف سنة ٨ هـ، مات في صدر خلافة عثمان سنة ٢٤، وقيل: إنه مات بعد عثمان رضي الله عنه. «تهذيب التهذيب» (ج٣ ص٤٥٦)، و«الأعلام» (ج٣ ص١٢٦).

[٥] «البداية والنهاية» (ج٧ ص٦٨)، «الشفا» للقاضي عياض (ج١ ص٣٤٤)، و«فتح الباري» (ج٦ ص٥٨٣).

[٦] «صفة الصفوة» ذكر طرف من معجزاته ﷺ، (ج١ ص٩٩).

١٧- ومِنْ أشْرَاطِ السَّاعَةِ وآيَاتِ حُلُولِهَا، وذِكْرِ النَّشْرِ وَالحَشْرِ، وأخْبَارِ الأبْرَارِ والفُجَّارِ، والجَنَّةِ والنَّارِ، وعَرَصَاتِ القِيَامَةِ[٢].

١٨- ومما خَصَّهُ الله تعالى به: مَا أعْلَمَهُ به مِن أهْلِ الجَنَّةِ، وَأهْلِ النَّارِ إلى يوم القيامة، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص[٣] ﷺ قال: «خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَفِي يَدِهِ كِتَابَانِ، فَقَالَ: «**أَتَدْرُونَ مَا هَذَانِ الكِتَابَانِ؟**» فَقُلْنَا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِلَّا أَنْ تُخْبِرَنَا، فَقَالَ لِلَّذِي فِي يَدِهِ اليُمْنَى: «**هَذَا كِتَابٌ مِنْ رَبِّ العَالَمِينَ فِيهِ أَسْمَاءُ أَهْلِ الجَنَّةِ وَأَسْمَاءُ آبَائِهِمْ وَقَبَائِلِهِمْ، ثُمَّ أُجْمِلَ عَلَى آخِرِهِمْ فَلَا يُزَادُ فِيهِمْ وَلَا يُنْقَصُ مِنْهُمْ أَبَدًا**»، ثُمَّ قَالَ لِلَّذِي فِي شِمَالِهِ: «**هَذَا كِتَابٌ مِنْ رَبِّ العَالَمِينَ فِيهِ أَسْمَاءُ أَهْلِ النَّارِ وَأَسْمَاءُ آبَائِهِمْ وَقَبَائِلِهِمْ، ثُمَّ أُجْمِلَ عَلَى آخِرِهِمْ فَلَا يُزَادُ فِيهِمْ وَلَا يُنْقَصُ مِنْهُمْ أَبَدًا**»، فَقَالَ أَصْحَابُهُ: فَفِيمَ العَمَلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ كَانَ أَمْرٌ قَدْ فُرِغَ مِنْهُ؟ فَقَالَ: «**سَدِّدُوا وَقَارِبُوا، فَإِنَّ صَاحِبَ الجَنَّةِ يُخْتَمُ لَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ وَإِنْ عَمِلَ أَيَّ عَمَلٍ، وَإِنَّ صَاحِبَ النَّارِ يُخْتَمُ لَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ وَإِنْ عَمِلَ أَيَّ عَمَلٍ**»، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدَيْهِ فَنَبَذَهُمَا، ثُمَّ قَالَ: «**فَرَغَ رَبُّكُمْ مِنَ العِبَادِ فَرِيقٌ فِي الجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ**»[٤].

١٩- وما رواه أبو هريرة ﷺ قال: دخل رسول الله ﷺ بِمَارِيَة القِبْطِيَّةِ في بيت حفصة بنت عمر، فَوَجَدَتْهَا مَعَهُ تُضَاحِكُهُ، فقالت: يا رسول الله فِي بَيْتِي مِن دُونِ بُيُوتِ نِسَائِكَ، قال:

---

[١] أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الملاحم، باب في أمارات الملاحم، رقم (٤٢٩٤) (ج٢ ص٥١٣)، وأخرجه أحمد في مسنده، حديث معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه، رقم: (٢٢,٧٦)، (ج٥ ص٢٣٢).

[٢] «الشفا» للقاضي عياض (ج١ ص٣٤٦)، و«القضاء والقدر» د. عمر سليمان الأشقر، (ص: ٤١ – ٤٢)، ط: دار النفائس للنشر والتوزيع – الكويت، ط١، ١٤١٠ هـ – ١٩٩. م.

[٣] هو عبد الله بن عمرو بن العاص، أبو محمد: صحابي قرشي، أسلم قبل أبيه، قال فيهم رسول الله ﷺ: «**نِعْمَ أَهْلُ البَيْتِ عَبْدُ الله وَأَبُو عَبْدِ اللهِ وَأُمُّ عَبْدِ اللهِ**»، كان مجتهدًا في العبادة غزير العلم، وكان أكثر الصحابة حديثًا ، وروى عن عمر وأبي الدرداء وعبد الرحمن بن عوف وغيرهم من الصحابة، وحدث عنه بعض الصحابة وعدد كثير من التابعين، استأذن النبي ﷺ في كتابة ما كان يسمعه منه فأذن له، فكتب، وكان يسمي صحيفته تلك الصادقة توفي (سنة: ٦٥ هـ). ترجمته في: «طبقات ابن سعد» (٤ ج ص٨)، و«الإصابة» (ج٢ ص٣٥١)، و«تهذيب التهذيب» (ج٥ ص٣٣٧).

[٤] أخرجه الترمذي في سننه، كتاب القدر عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء أن الله كتب كتابا لأهل الجنة وأهل النار، رقم (٢١٤١)، (ج٤ ص٤٤٩)، وقال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب صحيح».

«**فَإِنَّهَا عَلَيَّ حَرَامٌ أنْ أمَسَّهَا**»، ثم قال لها: «**يَا حَفْصَةُ أَلَا أَبَشِّرُكِ؟**» قالت: بلى بأبي أنت وأمي، قال: «**يَلِي هَذا الأمْرَ مِنْ بَعْدِي أَبُو بَكْرٍ، اكْتُمِي هَذَا عَلَيَّ**»، فخرجت حتى دخلت على عائشة، فقالت: لها ألا أَبَشِّرُكِ يا ابْنَةَ أبي بكر قالت: بماذا فذكرت ذلك لها، وقالت قد استَكْتَمَنِي فاكتُمِيْهِ[1]، فأنزل الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ الآيات[2].

٢٠- وما رواه معاذ بن جبل[3] ﷺ قال: بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن فخرج معي يُوْصِيْنِي، فلما فرغ قال: «يَا مُعَاذ، إِنَّكَ عَسَى أنْ لَا تَلْقَانِي بَعْدَ هَذَا، وَلَعَلَّكَ تَمُرُّ بِمَسْجِدِي وَمِنْبَرِي»، فبَكَى مُعَاذ، ثم التفت رسول الله ﷺ، فأقبل بوجهه نحو المدينة، وقال: «**إِنَّ أَهْلَ بَيْتِي هَؤُلَاءِ يَرَوْنَ أَنْفُسَهُم أَوْلَى النَّاسِ بِي وَلَيْسَ كَذَلِكَ، إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِي: الْمُتَّقُونَ مَنْ كَانُوا - أو: حَيْثُ كَانُوا - اللَّهُمَّ إِنِّي لَا أُحِلُّ لَهُم فَسَادَ مَا أَصْلَحْت**»[4].

٢١- وما رواه جابر بن عبد الله[5] ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَن أَحَبَّ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى شَهِيْدٍ يَمْشِي عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ فَلْيَنْظُر إِلَى طَلْحَةَ بنِ عُبَيْدِ اللهِ**»[6].

---

[1] أخرجه الطبراني في «الأوسط»، رقم: (٢٣١٦)، (ج٣ ١٣).

[2] سورة التحريم آية: (١).

[3] هو معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الأنصاري الخزرجي، أبو عبد الرحمن . صحابي جليل . إمام الفقهاء . وأعلم الأمة بالحلال والحرام . أسلم وعمره ثماني عشرة سنة . شهد بيعة العقبة، ثم شهد بدرا وأحدًا والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ جمع القرآن على عهد الرسول ﷺ، وكان من الذين يفتون في ذلك العهد، بعثه النبي ﷺ بعد غزوة تبوك قاضيًا ومرشدًا لأهل اليمن، توفي (سنة: ١٨هـ) يراجع: «الإصابة في تمييز الصحابة» (٣ج ص٤٢٦)؛ و«الأعلام» (ج٨ ص١٦٦).

[4] أخرجه ابن حبان، كتاب الرقائق، باب الخوف والتقوى، رقم: (٦٤٧) (ج٢ ص٤١٤).

[5] هو جابر بن عبد الله بن عمر بن حرام: أنصاري، سلمي صحابي؛ شهد بيعة العقبة . وغزا مع النبي ﷺ غزوة . أحد المكثرين من الرواية عن النبي ﷺ، وكانت له في أواخر أيامه حلقة بالمسجد النبوي ويؤخذ عنه فيها العلم، كف بصره قبل موته بالمدينة (سنة: ٧٨ هـ). ترجمته في: «الإصابة»(ج١ ص٢١٤)، و«الأعلام» للزركلي (ج٢ ص٩٢).

[6] أخرجه الترمذي في سننه، كتاب المناقب، باب مناقب طلحة بن عبيد الله ﷺ، رقم: (٣٧٣٩)، (ج٥ ص٦٤٤)، وأخرجه ابن ماجه في سننه، في افتتاح الكتاب في الإيمان وفضائل الصحابة والعلم، باب فضل طلحة بن عبيد الله ﷺ، رقم: (١٢٥)، (ج١ ص٤٦).

٢٢- ما رُوِيَ أَنَّهُ ﷺ قال لِفَاطِمَةَ رضي الله عنها: «**إِنَّكِ أَوَّلُ أَهْلِ بَيْتِي لِحَاقاً بِي، وَنِعْمَ السَّلَفُ أَنَا لَكِ**»، فكانت أَوَّلَ مَن مَاتَ بَعْدَهُ مِن أهل بيته ﷺ[١].

٢٣- ومِنْ إِنْذَارِهِ[٢] ﷺ: ما رواه ثابت، عن الحسن البصري[٣] قال: كان الحسن بن علي رضي الله عنهما يَجِيءُ ورسول الله ﷺ ساجِدٌ فيَجْلِسُ عَلَى عُنُقِهِ، فإذا أراد أن يرفع رأسه أخَذَهُ فَوَضَعَهُ في حِجْرِه، ثم قال: «**إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ، وَلَعَلَّ الله أَنْ يُصْلِحَ بِه بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيْمَتَيْنِ مِنْ الْمُسْلِمِيْنَ**»[٤].

٢٤- وأخبر بِمُلْكِ بني أمية [٥]، وولاية معاوية، وَوَصَّاهُ، وذلك فيما رواه عبد الملك بن عمير قال: قال معاوية رضي الله عنه، والله ما حَمَلَنِي على الخلافة إلا قول النبي ﷺ لي: «**يَا مُعَاوِيَةَ إِنْ وَلِيْتَ أَمْرًا فَاتَّقِ اللهَ وَاعْدِلْ**»[٦].

وأخبر باتخاذ بَنِي أمية مَال الله دُوَلًا، وَخُرُوجِ وَلَدِ العَبَّاسِ بِالرَّايَاتِ السُّود، ومُلْكِهِم أضعاف ما ملكوا، وخُرُوج المهدي، وما ينال أهل بيته، وتقتيلهم وتشريدهم، وقتل علي، وأن أشقاها الذي يَخْضِبُ هذه مِن هذه، أي: لِحْيَتَهُ مِن رأسه، وأنه قَسِيمُ النار، يُدْخِلُ أولياؤَه النار، فكان فيمن عاداه الخوارج والنَّاصِبَة، وطائفة ممن يُنْسَبُ إليه من الروافض كفروه[٧].

---

[١] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، رقم: (٣٤٢٧) (ج٣ ص١٣٢٦).

[٢] «أعلام النبوة» للماوردي (ج١ ص١٥٣).

[٣] الحسن البصري هو الحسن بن يسار البصري، تابعي، كان أبوه يسار من سبي ميسان، مولى لبعض الأنصار . ولد بالمدينة وكانت أمه ترضع لأم سلمة . رأى بعض الصحابة، وسمع من قليل منهم، كان شجاعا، جميلا، ناسكا، فصيحا، عالما، شهد له أنس بن مالك وغيره كان إمام أهل البصرة توفي (سنة: ١١٠ هـ). يراجع: «تهذيب التهذيب» (ج٢ ص٢٤٢- ٢٧١)، و«الأعلام» (ج٢ ص٢٤٢).

[٤] أخرجه البخاري، كتاب الصلح، باب قول النبي ﷺ للحسن بن علي رضي الله عنهما، رقم (٢٥٥٧) (ج٢ ص٩٦٢).

[٥] «أعلام النبوة» للماوردي (ج١ ص١٥٢).

[٦] أخرجه أبو يعلي في مسنده، حديث ميمونة زوج النبي ﷺ، رقم (٧٣٨٠) (ج١٣ ص٣,٥).

[٧] «الشفا» للقاضي عياض (ج١ ص٣٣٩)، و«فتح الباري» (ج٦ ص٥٨٣).

٢٥ - إخْبَارُ النَّبِيِّ عَن اتساع مُلك المسلمين: ما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «**إنَّ اللهَ زَوَى لِي الأَرْضَ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وإنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُها مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا**»[١]، فَصَدَّقَ اللهُ خَبَرَهُ، وحقق ما ذكره، وملَّكَ أُمَّتَهُ أَقْطَارَ الأَرْضِ حتى دَان له بِشَرْعِهِ مَن فِي المشرق والمغرب[٢].

٢٦- إخباره بفتح المدائن كما في قوله ﷺ لعدي بن حاتم: «**لَا يَمْنَعَك مِنْ هَذَا الدِّيْنِ مَا تَرَى مِن جَهْدِ أَهْلِهِ، وضَعْفِ أصْحَابِهِ، فَلَكَأَنَّهُم بِبَيْضَاءَ المَدَائِنِ قَدْ فُتِحَت عَلَيْهِم، وَلَكَأَنَّهُم بِالظَّعِيْنَةِ تَخْرُجُ مِن الحِيْرَةِ حَتَّى تَأتِيَ مَكَّةَ بِغَيْرِ خِفَارَةٍ، لا تَخَافُ إلَّا اللهَ**»، فَأَبْصَرَ عَدِيٌّ ذَلِكَ كلَّه. وهذا لا يكون إلا مِن إطْلَاعِ الله تعالى عَلَى غَيْبِهِ وتَحْقِيْقِهِ لِوَعْدِهِ في قوله تعالى: ﴿**لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ**﴾ [٣].

٢٧- إخْبَارُه عَن فَتْحِ الشَّامِ وفَارِس واليَمَن فيما رواه البراء بن عازب[٤] ﷺ قال: «أمَرَنَا رَسُولُ الله ﷺ بِحَفْرِ الخندق فعَرَضَت لنا صخرة عظيمة لا يأخذ فيها المِعْوَلُ، فأخذ المِعْوَلَ وقال: «**بِسْمِ اللهِ**»، وضَرَب ضَرْبَةً فكسر ثلثها، وقال: «**اللهُ أَكْبَرُ أُعْطِيْتُ مَفَاتِيْحَ الشَّامِ**»، ثم ضرب الثانية، فقطع ثلثاً آخر وقال: «**اللهُ أَكْبَرُ أُعْطِيْتُ مَفَاتِيْحَ فَارِس**»، ثم ضَرَب الثالثة فقطه بقية الحجر، وقال: «**اللهُ أَكْبَرُ أُعْطِيْتُ مَفَاتِيْحَ اليَمَنِ**»، فَصَدَّقَ الله قَوْلَهُ وَأَعْطَاهُ ما فَتَحَ لَه[٥].

---

[١] أخرجه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب هلاك هذه الأمة، رقم: (٢٨٨٩) (ج٤ ص٢٢١٥).

[٢] «أعلام النبوة» للماوردي (ج١ ص١٥٣)، و«الأنوار في شمائل النبي المختار» للبغوى (ج١ ص٦).

[٣] سورة الصف آية: (٩).

[٤] هو البراء بن عازب بن الحارث بن عدي، أبو عمارة، الخزرجي الأنصاري . قائد صحابي، من أصحاب الفتوح . أسلم صغيراً، وغزا مع رسول الله ﷺ خمس عشرة غزوة، روى عن النبي ﷺ وعن أبي بكر وعمر وعلي وبلال وغيرهم ﷺ، ولما ولي عثمان الخلافة جعله أميراً على الري (بفارس) سنة: ٢٤، روى له البخاري ومسلم ٣,٥ أحاديث، توفي سنة ٧١ هـ. ترجمته في: «الإصابة» (ج١ ص١٤٢)، و«تهذيب التهذيب» (ج١ ص٤٢٥)، و«الأعلام» (ج٢ ص١٤).

[٥] أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده، حديث البراء بن عازب ﷺ، رقم: (١٨٧١٦) (ج٤ ص٣,٣)، وهو في: مسند أبي يعلى، مسند البراء بن عازب، رقم: (١٦٨٥)، (ج٣ ص ٢٤٤).

٢٨- إخْبَارُه بِفَتْحِ مِصْرَ: روى كعب بن مالك ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إِذَا فُتِحَت مِصْرُ فَاسْتَوْصُوا بِالقِبْطِ خَيْرًا فَإِنَّ لَهُم رَحِمًا وَذِمَّةً**»[١]، يعني: أن أم إسماعيل بن إبراهيم كانت منهم.

٢٩- وما رواه أبو هريرة ﷺ: أن رسول الله ﷺ نَعَى النَّجَاشِيَّ في اليوم الذي مات فيه، وخَرَجَ إلى المصلى فصَفَّ بِهِم وكبر أربعًا[٢]، ثُمَّ جاء الخبر بموت النجاشي من تجَّار وَرَدُوا إلى المدينة[٣].

٣٠- ومنها: أنه كَشَفَ الله تعالى له مَا غَابَ عَنْهُ في جيش مؤتة، فقال لأصحابه: «**أَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدٌ فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَهَا جَعْفَرٌ فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ فَأُصِيبَ – وَإِنَّ عَيْنَيْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَتَذْرِفَانِ – ثُمَّ أَخَذَهَا خَالِدُ بْنُ الوَلِيدِ مِنْ غَيْرِ إِمْرَةٍ فَفُتِحَ لَهُ**»[٤] وجاءت الأخبار: بأنهم قُتِلُوا في ذلك اليوم على مَا وَصَفَهُ.

٦) وَمِن خَصَائِصِه الإعْجَازِيَّة: ما جَمَعَهُ الله لَه مِن المَعَارِفِ وَالعُلُوم.

مِن الخصائص التي خُصَّ بِهَا النَّبِيُّ ﷺ، ولم يشاركه فيها أحد: ما خصه الله به ﷺ من الاطلاع على جميع مصالح الدنيا والدين، ومعرفته بأمور شرائعه، وقوانين دينه، وسياسة العباد، ومصالح أمته، وما كان في الأمم قبله، وقصص الأنبياء، والرسل، والجبابرة، والقرون الماضية من لدن آدم إلى زمنه، وحفظ شرائعهم وكتبهم، ووعي سيرهم، وسرد أنبائهم، وأيام الله فيهم، وصفات أعيانهم، واختلاف آرائهم، والمعرفة بمددهم وأعمارهم وحكم حكمائهم، ومحاجة كل أمة من الكفرة، ومعارضة كل فرقة من الكتابيين بما في كتبهم، وإعلامهم بأسرارها ومخبآت علومها، وإخبارهم بما كتموا من ذلك وغيروه، وكل ذلك وهو النبي الأمي، فكان ذلك من معجزاته الباهرة، وكذلك في إحاطته بِلُغَاتِ العرب، وغريب ألفاظ فِرَقِها، والإحاطة بضروب فصاحاتها،

---

[١] أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين، ذكر إسماعيل بن إبراهيم صلوات الله عليهما، رقم (٤,٣٢) (ج ٢ ص٦,٣).

[٢] أخرجه البخاري، كتاب الجنائز، باب الرجل ينعى إلى أهل الميت بنفسه، رقم: (١١٨٩) (ج١ ص ٤٢٠).

[٣] «أعلام النبوة» للماوردي (ج١ص١٥٣).

[٤] أخرجه البخاري، كتاب الجنائز، باب الرجل ينعى إلى أهل الميت بنفسه، رقم: (١١٨٩) (ج١ ص٤٢٠).

والحفظ لأيامها وأمثالها، وحكمها ومعاني أشعارها، والتخصيص بجوامع كَلِمِهَا[1] ومن المعرفة بضرب الأمثال الصحيحة، والحكم البَيِّنَة؛ لتقريب التفهيم للغامض، والتبيين للمشكل، إلى تمهيد قواعد الشرع الذي لا تناقض فيه ولا تخاذل، مع اشتمال شريعته على محاسن الأخلاق، ومحامد الآداب، وكل شيء مستحسن مفضل، لم ينكره ملحد، أو ذو عقل سليم، بل كل جاحد له، وكافر من الجاهلية به، إذا سمع ما يدعو إليه صوّبه، واستحسنه دون طلب إقامة برهان عليه[2].

ومِن ذَلِكَ أخْبَارٌ كثيرة، منها - على سبيل المثال - ما يلي:

١- قوله ﷺ: «**الرُّؤْيَا ثَلَاثٌ: رُؤيَا حَقّ، وَرُؤيَا يُحَدِّثُ بِهَا الرَّجُلُ نَفْسَهُ، وَرُؤيا تَحْزِينٌ مِن الشَّيْطان**»[3].

٢- وقوله ﷺ: «**إذَا تَقَارَبَ الزَّمَانُ لَم تَكَد رُؤْيَا المُؤْمِنِ تَكْذِبُ**»[4].

٣ - ومِن أصُولِ العُلُومِ الطِّبيَّة قوله ﷺ: «**أصْلُ كُلِّ دَاءٍ: البَرَدَةُ**»[5].

٤- وقوله ﷺ: «**مَا مَلَأَ ابْنُ آدَمَ وِعَاءً شَرًّا مِن بَطْنٍ، فَإنْ كَانَ لَا بُدَّ فَثُلُثٌ لِلطَّعَامِ، وَثُلُثٌ للشَّرَابِ، وَثُلُثٌ للنَّفَسِ**»[6].

٥- وقوله ﷺ: «**إنَّ الزَّمَانَ قَد اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللهُ السَّمَوَاتِ وَالأرْضَ**»[7].

٦- وقَوله ﷺ: «**وَيَكْثُرُ الهَرْجُ**»، وهو: القتل.

---

[1] «الشفا» للقاضي عياض (ج١ ص٣٥٤).

[2] «الشفا» للقاضي عياض (ج١ ص٣٥٥)، و«الأنوار في شمائل النبي المختار» للبغوى (ج١ ص٦).

[3] أخرجه مسلم في أوائل الرؤيا رقم: (٢٢٦٣)، (ج٤ ص١٧٧٣).

[4] أخرجه مسلم في أوائل الرؤيا رقم: (٢٢٦٣)، (ج٤ ص١٧٧٣).

[5] أخرجه أبو نعيم الأصفهاني في «الطب النبوي»، رقم (١٣٠)، (ج١ ص٢٤٥)، والبَرَدَةُ: هي التخمة، وثقل الطعام على المعدة، سميت بذلك لأنها تبرد المعدة فلا تستمرئ الطعام.

[6] أخرجه الطبراني في «مسند الشاميين»، رقم: (١٩٤٦) (ج٣ ص ١٣٦).

[7] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب تفسير سورة{ براءة }، رقم: (٤٣٨٥)، (ج٤ ص١٧١٢).

٧- وقوله ﷺ في حديث أبي هريرة: «**اشكَبَ دَرْدْ**»[١] أي: وَجع البَطْن بالفارسية[٢]، إلى غير ذلك مما لا يُعْلَمُ بَعضُ هذا، ولا يَقُومُ به إلا مَن مَارَسَ الدِّرَاسَة عن أهلها، وهو رجل كما قال الله تعالى: أمِّي، لَم يَكْتُب وَلَم يَقْرَأ، ولا عُرِفَ بِصُحْبَةِ مَن هَذِه صِفَتُه، ولا نشأ بين قوم لهم علم ولا قراءةٌ لشيء من هذه الأمور، ولا عُرِفَ هُوَ قَبْلُ بِشَيءٍ مِنْهَا قال الله تعالى: ﴿ **وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ** ﴾[٣] إنما كانت غاية معارف العرب: النسب وأخبار أوائلها، والشعروالبيان، وإنما حصل ذلك لهم بعد التفرغ لعلم ذلك، والاشتغال بطلبه، ومُبَاحَثَةِ أهْلِه عنه، وهذا الذي ذكرناه نقطة من بحر علمه ﷺ، ولا سبيل إلى جحد شيء من ذلك؛ لأن الكفرة لم يجدوا حيلة في دفع ذلك إلا قولهم: أساطير الأولين وقولهم: ﴿**إِنَّمَا يُعَلِّمه بشر**﴾[٤]، فَرَدَّ الله قولهم بقوله: ﴿**لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ**﴾[٥]، ثُمَّ مَا قَالُوه: مُكَابَرَة؛ لأَنَّهُ لَم يَكُن يَعْرِفُ إلا سَلْمَان، أو العبد الرومي، وسَلْمَان إنما عرفه بعد الهجرة، ونُزُولِ الكثير مِنَ القرآن[٦]، ولا يَخْفَى ما فيها من الخصوصية المُحَمَّدِيَّةِ، والتي لَم تَكُن لِأحَدٍ إلا للنبي ﷺ، مع ما فيها من وجوه التحدي والإعجاز، التي تحدى بها النبي ﷺ المخاطبين بها إلى يوم القيامة.

---

[١] أخرجه أحمد في مسنده، مسند أبي هريرة ﷺ، رقم: (٩,٥٤) (ج٢ ص٣٩).

[٢] «الشفا» للقاضي عياض (ج١ ص٥,٧).

[٣] سورة العنكبوت الآية: (٤٨).

[٤] سورة النحل الآية: (١,٣).

[٥] سورة النحل الآية: (١,٣).

[٦] «الشفا» للقاضي عياض (ج١ ص٣٥٩)، و«الخصائص الكبرى» (ج٢ ص٢٧٥)، و«غاية السول» لابن الملقن (ج١ ص٦٥).

٧) مِن خصائصه الإعجازية: اختصاصه ﷺ بأنه أفضل المرسلين.

لا خلاف بين العلماء أن الله فضل نبيه ﷺ على المرسلين، وهذه خصوصية فَضَّلَهُ الله بها على كل النبيين والمرسلين، ورفع بها قدره ومكانته[١]، وقرر ذلك في كتابه المجيد في آيات كثيرة بما يعني أن ذلك ليس لأحد غيره، وهو معنى التحدي الذي لا يقدر عليه إلا الله تعالى، وقد دلت النصوص صراحة على ذلك المعنى من الكتاب والسنة، **ومن ذلك ما يلي:**

١- قال تعالى: ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾[٢]، فالله سبحانه يفضل من شاء على من شاء وبما شاء، وكيف شاء، يكرم من شاء على من شاء وبما شاء، وكيف شاء، ولا يُسأل عما يفعل، فهو سبحانه فعَّال لما يريد.

٢- قال تعالى: ﴿ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُوراً﴾ [٣].

قال الألوسي معلقاً على الآية: «{وَلَقد فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ} بالفضائل النفسانية، والمزايا القدسية، وإنزال الكتب السماوية لا بكثرة الأموال والأتباع، {وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا}، بيان لحيثية تفضيله عليه الصلاة والسلام، وأنَّه بإيتائه الزبور لا بإيتائه الملك والسلطنة، وفيه إيذان بتفضيل نبينا، فإن كونه عليه الصلاة والسلام خاتم الأنبياء، وأمته خير الأمم: مِمَّا تَضَمَّنَهُ الزَّبُور، وقد أخْبَرَ عن ذلك بقوله عز قائلاً: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [٤] يعني: محمداً وأمته»[٥].

---

[١] «شرح العقيدة الطحاوية» لمحمد بن علاء الدين أبي العز الملقب بصدر الإسلام (ص: ١٧٥)، «الرسل والرسالات» د. عمر سليمان الأشقر (ص ٢٢٠ – ٢٢٢)، ط١٠، (١٤٢٠ هـ)، دار النفائس الأردن، و«فتح الباري» (ج١ ص٤٣٦)، و«الأنوار في شمائل النبي المختار» (ج١ ص٦).

[٢] سورة البقرة آية: (٢٥٣).

[٣] سورة الإسراء آية: (٥٥).

[٤] سورة الأنبياء آية : (١,٥)

[٥] «روح المعاني» (ج١٥ ص٩٥)، و«عمدة القاري» (ج١٥ ص٢٢١)، و«القواعد الصغرى» (ج١ ص١٤٩).

ومن الأحاديث النبوية الدالة على ذلك ما يلي:

١- حديث أبي سعيد الخدري قال: قال ﷺ: «**مَا مِن نَبِيٍّ – آدَم فَمَن دُوْنَهُ – إلَّا وَتَحْتَ لِوَائِي، وأنَا أوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الأرْضُ وَلَا فَخْر، وَأنَا أوَّلُ شَافِعٍ، وَأوَّلُ مُشَفَّعٍ وَلَا فَخْر**»[(١)].

قال النووي معلقاً على قوله ﷺ : «أنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَم يَوْمَ القِيَامَةِ، وَأوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ القَبْـــرُ، وَأوَّلُ شَافِعٍ، وَأوَّلُ مُشَفَّعٍ»[(٢)]: «**ونقل عن الهروي**[(٣)] قولُه: السَّيِّدُ هُو الَّذِي يَفُوقُ قَوْمَهُ في الخير، **ثم قال مبينا وَجْهَ الخصوصية:** وأما قوله ﷺ: «**أنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ القِيَامَةِ**» مع أنه سيدهم في الدنيا والآخرة، فسبب التقيد أن: في يوم القيامة يظهر سؤدده لكل أحد، ولا يبقى ممـــانع، ولا منازع، ولا معاند ونحوه؛ بخلاف الدنيا، فقد نازعه ذلك فيها ملوك الكفار، وزعماء المشركين، وهذا التقييد قريب من معنى قوله تعالى: ﴿ لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ﴾[(٤)] مـــع أن الملك له سبحانه قبل ذلك؛ لكن كان في الدنيا مَن يدعي الملك، أو من يضاف إليه مجازاً، فانقطع كل ذلك في الآخرة»[(٥)].

وقوله ﷺ : «**أنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ**» لم يقله فخرًا، بل صرح بنفي الفخر كما في الحديث المشهور: «**أنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ وَلَا فَخْرَ**»، وإنما قاله **لوجهين:**

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ، باب ١٨، ومن سورة بني إسرائيل، رقم: (٣١٤٨)، (ج٥ ص٣,٨)، وكتاب المناقب، باب: في فضل النبي ﷺ رقم: (٣٦١٥).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب تفضيل نبينا ﷺ على جميع الخلائق، رقم: (٢٢٧٨)، (ج٤ ص١٧٨٢).

(٣) هو أحمد بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن، أبو عبيد الهروي الفاشاني . المؤدب، كان من العلماء الأكابر – الهروي بفتح الهاء والراء نسبة إلى هراة وهي إحدى مدن خراسان – والفاشاني: وهي قرية من قرى هراة توفي سنة ٤,١، من تصانيفه: كتاب الغريبين في غريب القرآن، وكتاب الغريبين في غريب القرآن والحديث. ترجمته في: «وفيات الأعيان» ج١ ص٧٩، و«الأعلام» (ج١ ص ٢,٣).

(٤) سورة غافر آية: (١٦).

(٥) «شرح النووي على صحيح مسلم» (ج ١٥ ص ٣٧)، و«الخصائص الكبرى» (ج٢ ص٢٧٥).

أحدهما: امتثال قوله تعالى:﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾[1].

والثاني: أنه من البيان الذي يجب عليه تبليغه إلى أمته؛ ليعرفوه ويعتقدوه ويعملوا بمقتضاه ويوقروه ﷺ، بما تقتضي مَرْتَبَتَهُ كما أمرهم الله تعالى.

وهذا الحديث دليل على: تفضيله ﷺ على الخلق كلهم؛ لأن مذهب أهل السنة أن: الآدميين أفضل من الملائكة، وهو ﷺ أفضل الآدميين وغيرهم[2]؛ **لذا قال الطحاوي**[3]: ويجب الإيمان بأنه خاتم الأنبياء، وإمام الأتقياء، وسيد المرسلين، وحبيب رب العالمين[4]، يعني: في الدنيا والآخرة معاً وهذا لا خلاف فيه بين علماء السنة.

قال ابن كثير: وإنما حَازَت الأُمَّةُ قَصَبَ السَّبْقِ بِنِسْبَتِهَا إلى نبيها ﷺ، فإنه ﷺ أشرف خلق الله، وأكرم الرسل عليه[5].

ووجوه التفضيل كثيرة منها:

١- أن الله اتخذ إبراهيم خليلاً ومحمدًا حبيبًا، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**اللهُ اتَّخَذَ إبْرَاهِيمَ خَلِيْلاً، وَمُوسَى نَجِيًّا، وَاتَّخَذَنِي حَبِيبًا، ثم قال: لَأُوْثِرَنَّ حَبِيْبِي عَلَى خَلِيْلِي وَنَجِيِّ**»[1].

---

[1] سورة الضحى آية: (١٠).

[2] «شرح النووي على صحيح مسلم» (ج ١٥ ص٣٧)، و«فتح الباري» (ج١ ص٣٣٩)، و«شرح الزرقاني» (ج٨ ص٣٥٢).

[3] هو أحمد بن سلامة الأزدي، أبو جعفر ، نسبته إلى طحا قرية بصعيد مصر: كان إماما فقيهًا حنفيًا، وكان ابن أخت المزني صاحب الشافعي . وتفقه عليه أولاً . قال له المزني يومًا: «والله لا أفلحت» فغضب وانتقل من عنده، وتفقه على مذهب أبي حنيفة . وكان عالما بجميع مذاهب الفقهاء . توفي سنة ٣٢١ هـ. من تصانيفه : أحكام القرآن؛ ومعاني الآثار، وشرح مشكل الآثار، وهو آخر تصانيفه والعقيدة المشهورة بالعقيدة الطحاوية؛ والاختلاف بين الفقهاء. يراجع: «الجواهر المضية» (ج١ص١,٢)، و«الأعلام» (ج١ ص١٩٦).

[4] «العقيدة الطحاوية» (ج١ ص٨)، و«عمدة القاري» (ج١٧ ص٣)، و«فتح الباري» لابن حجر (ج٧ ص٢١٨).

[5] «تفسير ابن كثير» (ج١ ص٣٩١)، و«عمدة القاري» (ج١٥ ص٢٢١)، و«القواعد الصغرى» (ج١ ص١٤٩).

لكن يُعْتَرَضُ الاستِدْلالُ بهذا الحديث بأنه مَوْضوع، ففي السلسلة الضعيفة[٢] قال: موضوع، وهو مُخالِف لقوله ﷺ: «**إنَّ الله قَد اتَّخذَنِي خَلِيلًا كَمَا اتَّخذَ إبْرَاهِيمَ خَلِيلًا**» الذي رواه مسلم[٣].

وَرَدَّ المُنَاوِيُّ[٤] على ذلك فقال: وحَكَم ابنُ الجوزي بِوَضْعِه، وقال: «تفرد به مسلمة الخشني وهو متروك، والحمل فيه عليه»، ونُوزع بأن مجرد الضعف أو الترك لا يوجب الحكم بالوضع[٥]. وذَكر أثرا في ذلك المعني عن ابن عباس أنه قال: «جعل الله الخلة لإبراهيم، والكلام لموسى، والنظر لمحمد ﷺ»[٦].

٢- إنَّ نُوحًا دَعا على قومِه فقال: ﴿رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنْ الْكَافِرِينَ دَيَّارا﴾[٧]، أما النبي ﷺ فقال: «**اللهُمَّ اغْفِر لِقُومِي فَإنَّهُم لَا يَعْلَمُونَ**»[٨].

٣- إذا كان هُود نُصِرَ عَلى قَومِه بالدَّبُور أي: بالريح، فقد نُصِرَ ﷺ بالصبا يَومَ الخَنْدَق[١].

---

[١] أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان»، رقم: (١٤١٣)، (ج٣ ص٨١).

[٢] السلسلة الضعيفة (ج٤ ص١,٩).

[٣] أخرجه مسلم، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب النهى عن بناء المساجد على القبور واتخاذ الصور فيها والنهى عن اتخاذ القبور مساجد، رقم: (٥٣٢) (ج١ ص٣٧٧).

[٤] هو محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين، زين الدين، الحدادي المناوي، القاهري، الشافعي، عالم مشارك في أنواع من العلوم، من تصانيفه: التيسير في شرح الجامع الصغير، وفيض القدير، وتيسير الوقوف على غوامض أحكام الوقوف، وشرح التحرير في فروع الفقه الشافعي. ترجمته في: «خلاصة الأثر» (ج٢ ص٤١٢)، و«الأعلام» (ج٧ ص٧٥)، و«معجم المؤلفين» (ج٥ ص٢٢٠).

[٥] «فيض القدير» (ج١ ص١,٩).

[٦] أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير»، باب من اسمه عمر، أحاديث عبد الله بن العباس، (ج ١١ ص٣٦١)، رقم: (١٢,١٨)، وفي «المعجم الأوسط» ج ٩ ص ١٥٢ رقم ٩٣٩٦ وقال: لم يرو هذا الحديث عن ميمون القناد إلا موسى بن سعيد تفرد به حفص بن عمر العدني، وفي: «مجمع الزوائد» (ج١ ص٢٥١) قال: «رواه الطبراني في الأوسط، وفيه حفص بن عمر العدني، روى ابن أبي حاتم توثيقه عن أبي عبد الله الطهراني، وقد ضعفه النسائي وغيره».

[٧] سورة نوح آية: (٢٦).

[٨] «تفسير الطبري» (ج٧ ص٣٥).

٤- إذَا كَانَ لِصَالِح نَاقَةٌ، فَقَد سَجَدَت الإبِلُ للنبي ﷺ.

٥- إذا كان يُوسُف مَلِيحَ الصُّورَةِ، فَقَد كَان نَبِيُّنَا ﷺ كالقمر ليلة البدر[٢].

٦- إذا كان الحَجَرُ انْفَجَرَ لِمُوسَى، فَقَد نَبَعَ المَاءُ مِن بَيْنِ أصابِعِ النبي ﷺ[٣].

٧- إذَا كَان إبْرَاهِيمُ كَسَرَ الأصْنَامَ، فقَد رَمَى نَبِيُّنَا ﷺ هُبَلَ مِن أعْلَى الكَعْبَةِ، ثم أشَارَ يَومَ الفَتْحِ إلَى ثَلاثمائة وَستين صَنمًا، فَوقَعَت وتَكَسَّرَت[٤].

٨- إذَا كَانَت الجِبَالُ سَبَّحَت مَع دَاود، فقد سَبَّحَ الحَصَا فِي كَفِّهِ ﷺ.

٩- وإنْ كَان سُلَيْمَانُ أعْطِى مُلْكَ الدُّنْيَا، فقد جِيءَ للنَّبِي ﷺ بِمَفاتيح خَزَائِن الأرْض فَأبَاهَا زَاهِداً.

١٠- وَإنْ كَانَت الرِّيح سُخِّرَت لِسُلَيْمَان، فقد سَارَ النبي ﷺ إلى بَيْتِ المقدس مسيرة شهر في بعض ليلة، وعُرِجَ بِه السماء مسيرة خمسين ألف سنة إلى العَرْشِ.

١١- وَإنْ كَان سُليمانُ فَهِمَ مَنْطِقَ الطَّيْرِ: فَقَد فَهِمَ ﷺ كَلَامَ البَعِيْر والذِّئْبِ والشَّجَرِ والحَجَرِ.

١٢- وإنْ كَان الجِنُّ سُخِّرَت لسليمان فقد جَاءَ الجِنُّ مُؤمِنُون إلى النبي ﷺ[٥].

١٣- وإن كان لِسُلَيْمَان أعْوَاناً مِن الجِنّ يَخْدُمُونَه، فقَد كَان للنبي ﷺ خَدَمٌ مِن الملائكة، وقد ذَكَر أبُو جَهْل لَما أتَى النَّبِيَّ ﷺ وهو يُصَلِّي لِيَطَأ عَلَى عَاتِقِه نَكَصَ عَلى عَقِبَيْهِ، ثم قال: إنَّ بَيْنِي وبَيْنَهُ لَخَنْدَقًا مِن نَارٍ وَهَوْلاً وَأجْنِحَةً[١].

---

[١] «البداية والنهاية» (ج١ ص١٢٩).

[٢] «تحفة الأحوذي» (ج ١٠ ص٨٣).

[٣] «المعجم الكبير» (ج١٢ ص٨٧).

[٤] «المعجم الأوسط» (ج٨ ص٥١).

[٥] «دلائل النبوة» للبيهقي (ج٢ ص١٢ – ١٣)، و«فتح الباري» (ج١ ص٣٣٩)، و«الخصائص الكبرى» (ج٢ ص٢٧٥).

١٤- وإن كَانَ عِيْسَى يُخْبِرُ بِالغُيُوبِ، فَقَد أخْبَرَ ﷺ بِأشْيَاء كَثِيْرَة مِن الغَيب.

وقد صرح ﷺ ونص على تفضيل الله له ومن ذلك مايلي:

١- أنه ﷺ قال:«**أعْطِيْتُ مَا لَم يُعْطَ أحَدٌ مِنَ الأنْبِيَاءِ**»[٢].

وفي حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**فُضِّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِستٍّ: أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ، وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجِدًا، وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً، وَخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ**»[٣].

٢- قوله ﷺ: «**أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ خُرُوجًا إِذَا بُعِثُوا، وَأَنَا خَطِيبُهُمْ إِذَا وَفَدُوا، وَأَنَا مُبَشِّرُهُمْ إِذَا أَيِسُوا، وَأَنَا أَكْرَمُ وَلَدِ آدَمَ عَلَى اللهِ وَلَا فَخْرَ**»[٤].

٣- قوله ﷺ: «**لَيْلَةَ أسْرِيَ بِي، فَانْتَهَيْتُ إِلَى قَصْرٍ مِن لُؤْلُؤةٍ يَتَلَأْلَأُ نُورًا وَأعْطِيْتُ ثَلاثًا: إنَّكَ سَيِّدُ الْمُرْسَلِيْنَ، وَإمَامُ الْمُتَّقِيْنَ، ورَسُولُ رَبِّ العَالَمِيْنَ، وَقَائِدُ الغُرِّ الْمُحَجَّلِيْنَ**»[٥].

٤- قوله ﷺ: «**مَرَرْتُ لَيْلَة أسْرِيَ بِي بِالمَلَأِ الأعْلَى، وَجبْرِيل كَالحِلْسِ البَالِي مِن خَشْيَةِ اللهِ**»[٦]، وفي رواية أنس أنه قال: «**أنَا أكْرَمُ الأوَّلِينَ وَالآخِرِيْنَ عَلَى اللهِ وَلَا فَخْرَ**»[٧].

مَعْنَى تَفْضِيل اللهِ بَعْضَ الأنْبِيَاءِ عَلَى بَعْض:

---

[١] أخرجه مسلم، كتاب: صفات المنافقين وأحكامهم، باب قوله إن الإنسان ليطغى، رقم: (٢٧٩٧) (ج٤ ص٢١٥٤).

[٢] «الأحاديث المختارة» لأبي عبد الله المقدسي (ت: ٦٤٣ هـ) (ج٢ ص٣٤٩)، مكتبة التراث، مكة المكرمة، ط: (سنة ١٤١٠هـ).

[٣] أخرجه مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم: (٥٢٣) (ج١ ص٣٧١).

[٤] أخرجه الترمذي في سننه، كتاب المناقب، باب في فضل النبي ﷺ، رقم: (٣٦١٠) (ج٥ ص٥٨٥)، وقال: «هذا حديث حسن غريب».

[٥] أخرجه الطبراني في «المعجم الصغير» رقم: (١٠١٢)، (ج٢ ص١٩٢).

[٦] أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط»، رقم: (٤٦٧٩)، (ج٥ ص٦٤).

[٧] «سنن الدارمي»، باب ما أعطي النبي ﷺ من الفضل، رقم: (٤٧)، (ج١ ص٣٩).

اتَّفَقَ العُلَمَاءُ أنَّ صفات جميع الأنبياء صلوات الله عليهم، من كمال الخلق، وحسن الصورة، وشرف النسب، وحسن الخلق، وجميع المحاسن؛ لأنها صفات الكمال، والكمال والتمام البشري، والفضل الكامل لهم صلوات الله عليهم؛ إذ رُتْبَتُهُم أشرف الرُّتَب، ودَرَجاتهم أرفع الدرجات[1]، ولكن فضل الله بعضهم على بعض، قال الله تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [2]، وقال: ﴿وَلَقَدْ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[3]، ولِهَذا فإنَّ مَعنى نَهْيه ﷺ عن التخيير، أو التفضيل بين الأنبياء عليهم السلام، والوارد في قوله ﷺ: «**لَا تُخَيِّرُوا بَيْنَ الأَنْبِيَاء**» [4].

يعني: لا تُفَضِّلُوا بَعْضَهُم على بعض، أي: مِن عند أنفسكم؛ لأنكم لستم أهلاً لأن تفضلوا بينهم؛ لأن الذي يفضل بين اثنين – مثلاً – يكون أفضل منهما فيما يفضل فيه، وهذا غير متحقق فيكم، ومِن ثَمَّ فَلَن تَقْدِروا عَلى ذلك.

أو معناه: لا تفضلوا بينهم تفضيلاً يؤدي إلى تنقيص المفضول منهم والإزدراء به، لأن ذلك كفر.

أو معناه: لا تفضلوا إذا كان التفضيل يؤدي إلى خُصُومَةٍ أو فتنة، كما في سبب الحديث، أو أن النهي عن التفضيل بالرأي والهوى، وبدون دليل فهذا هو المنهي عنه[5].

أو معناه: لَا تُفَضِّلُوا في نَفْسِ النبوة، فإنهم متساوون فيها، وإنما التفاضل بالخصائص، وفضائل أخرى، كما قال تعالى:﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾[1]، معناه: المنع في

---

[1] «فتح الباري» (ج١ ص٣٣٩)، و«الموافقات» (ج٤ ص٢٦٦)، و«شرح النووي على صحيح مسلم» (ج ١٥ ص٣٨)، و«شرح العقيدة الطحاوية» لمحمد بن علاء الدين أبي العز (ج١ ص١٦٦)، و«الشفا» للقاضي عياض (ج١ ص١٤٧)، و«الوفا بأحوال المصطفي» لابن الجوزي (ج٢ ص١١، ١٣، ١٥، ٢٠)، و«مجموع فتاوى ابن تيمية» (ج٢ ص٢٢٢)، و(ج١١ ص٢٢١).

[2] سورة البقرة آية: (٢٥٣).

[3] سورة الدخان الآية: (٣٢).

[4] أخرجه البخاري، كتاب الخصومات، باب ما يذكر في الأشخاص والملازمة والخصومة بين المسلم واليهودي، رقم: (٢٢٨١)، (ج٢ ص٨٥٠)، وأخرجه مسلم في الفضائل، باب: من فضائل موسى عليه السلام، رقم: (٢٣٧٤)، (ج٤، ص١٨٤٥).

[5] «الرسل والرسالات» د. عمر سليمان الأشقر (ص: ٢٢٣ – ٢٢٤).

التفضيل في أصل النبوة والرسالة، فإن الأنبياء فيها على حد سواء[٢]، ومعنى هذا: ترك التخيير بينهم على وجه الازدراء ببعضهم، فإنه ربما أدى ذلك إلى فساد الاعتقاد فيهم، والإخلال بالواجب من حقوقهم، وليس معناه أن يعتقد التسوية بينهم في درجاتهم، فإن الله تعالى قال: ﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾[٣].

وقال النبي ﷺ: «**فُضِّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِستٍّ: أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ، وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجِدًا، وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً، وَخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ**»[٤].

وقال أيضًا: «**أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِنَ الأَنْبِيَاءِ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِي الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، وَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلاَةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِي الغَنَائِمُ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ**»[٥]، واللفظ صَرِيحٌ في التفضيل، فلا يحتاج إلى بيان من أحد[٦].

قال النووي: وأما الحَدِيثُ الآخَر: «**لَا تُفَضِّلُوا بَيْنَ الأَنْبِيَاءِ**»، **فالجمع بينهما من خمسة أوجه:**

الوجه الأول: أنه ﷺ قالَه قَبْلَ أنْ يَعْلَم أنه سيد ولد آدم، فلما عَلِمَ أخْبَرَ به.

الوجه الثاني: قالَهُ أدَباً وتَوَاضُعاً.

الوجه الثالث: أن النَّهْيَ إنما هو عَن تفضيل يُؤدِّي إلى تَنْقِيْصِ المَفْضُولِ.

الوجه الرابع: أنه نَهْيٌ عَن تَفْضِيلٍ يؤدي إلى الخصومة والفتنة كما هو المشهور في سبب الحديث.

---

[١] سورة البقرة آية: (٢٥٣).

[٢] «عمدة القاري» (ج١٥ ص٢٢١)، و«القواعد الصغرى» (ج١ ص١٤٩)، و«الموافقات» (ج٤ ص٢٦٦).

[٣] سورة البقرة آية: (٢٥٣).

[٤] سبق تخريجه (ص: ٣٠).

[٥] أخرجه البخاري، أبواب المساجد، باب قول النبي ﷺ: «**جُعِلَت لِيَ الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا**»، رقم: (٤٢٧)، (ج١ ص١٦٨)، وأخرجه مسلم في أوائل المساجد ومواضع الصلاة، رقم: (٥٢١) (ج١ ص١٧٥).

[٦] سبق تخريجه (ص: ٣٠).

الوجه الخامس: أن النهي مختص بالتفضيل في نفس النبوة، فلا تفاضل فيها، وإنما التفاضل بالخصائص، وفضائل أخرى، ولابدّ من اعتقاد التفضيل[1].

فقد قال الله تعالى: ﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾[2].

ولقوله ﷺ: «**وَأَوَّلُ شَافِعٍ، وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ**»[3] إنما ذكر الثاني؛ لأنه قد يشفع اثنان، فيشفع الثاني منهما، قبل الأول[4].

٨) من خصائصه الإعجازية: تَخْصِيْصُهُ ﷺ بتبليغ سَلَامِ كُلِّ مَن سَلَّمَ عَلَيهِ مِن الأنام إلى يوم الدين.

لقد خَصَّ الله نبيَّهُ محمدًا ﷺ بأن يُبلغه سلام كُلِّ مَن يُسَلِّمُ عليه مِن أمَّتِه إلى يومِ الدِّين ويُسْمِعَه سَلام كُلّ مَن يُسَلِّم عليه عند قَبْرِه، وهذا مِنْ فِعْل الله تعالى لِنَبِيِّه الأكرم ﷺ، حيث رَفَعَ لَهُ ذِكْرَه وفَضَّلَه على الخلق جميعًا، فمعنى التحدي والإعجاز فيه واضح، كما أن في اختصاصه بتبليغه سلام مَن سَلَّمَ عَلَيْهِ أينما كان: أمْرٌ لَم يَثْبُت لِأحَدٍ إلا للنبي محمد ﷺ.

والروايات الصحيحة الدالة على ذلك كثيرة منها ما يلي[5]:

١- عن أبي هريرة ﷺ أنَّ رَسُول الله ﷺ قال: «**مَا مِن أحَدٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ إلَّا رَدَّ اللهُ عَلَيَّ رُوْحِي حَتَّى أرُدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ**»[6].

---

[1] المرجع السابق.

[2] سورة البقرة آية: (٢٥٣).

[3] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب تفضيل نبينا ﷺ على جميع الخلائق، رقم: (٢٢٧٨) (ج٤ ص١٧٨٢).

[4] «شرح العقيدة الطحاوية» لمحمد بن علاء الدين أبي العز الملقب بصدر الإسلام (ج١ ص١٦٠)، و«فتح الباري» (ج١ ص٣٣٩)، و«عون المعبود» (ج ١٢ ص ٢٧)، و«غاية السول في خصائص الرسول ﷺ» (ج١ ص٦٣).

[5] «من خصائص الرسول» (ص: ٥٥).

[6] أخرجه أبو داود كتاب المناسك، باب زيارة القبور، رقم: (٢,٤١)، وقال الشيخ الألباني: حسن، وأخرجه أحمد في «مسنده»، مسند أبي هريرة ﷺ، رقم: (١,٨٢٧)، (ج٢، ص٥٢٧).

٢ – عن عبد الله بن مسعود[١] ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ لله مَلَائِكَةً سَيَّاحِيْنَ يُبْلِغُونِي مِنْ أُمَّتِي السَّلَامَ**»[٢].

٣– وعن عبد الله بن أبي طلحة عن أبيه ﷺ، ثم أن رسول الله ﷺ جَاءَ ذَاتَ يَوْمٍ وَالْبُشْرَى فِي وَجْهِهِ، فَقُلْنَا: إِنَّا لَنَرَى الْبُشْرَى فِي وَجْهِكَ، فَقَالَ: «**إِنَّهُ أَتَانِي الْمَلَكُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ رَبَّكَ يَقُولُ: أَمَا يُرْضِيكَ أَنَّهُ لَا يُصَلِّي عَلَيْكَ أَحَدٌ إِلَّا صَلَّيْتُ عَلَيْهِ عَشْرًا، وَلَا يُسَلِّمُ عَلَيْكَ أَحَدٌ، إِلَّا سَلَّمْتُ عَلَيْهِ عَشْرًا**»[٣]، وفي الحديث أمر آخر من الخصائص وهو ما أعطاه الله إياه من الثواب لأمته على صلاتهم عليه ﷺ وأن ذلك إرضاء له ﷺ من ربه في أمته، و لم يكن ذلك لأحد إلا للنبي محمد ﷺ.

٤– وأنَّه ﷺ قال: «**صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّ صَلَاتَكُم تَبْلُغُنِي حيث كنتم**»[٤].

٥– عن ابن عباس ﷺ: «لَيْسَ أَحَدٌ مِن أُمَّةِ مُحَمَّد يُسَلِّمُ عليه ويُصَلِّي عَلَيْهِ إِلَّا بَلَغَهُ»[٥].

وذَكَرَ بَعْضُهم أنَّ العَبْدَ إذَا صَلَّى عَلى النَّبِيِّ ﷺ عُرِضَ عَلَيْهِ اسْمُهُ.

---

[١] هو: عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي، أبو عبد الرحمن من أهل مكة، من أكابر الصحابة فضلاً وعقلا . ومن السابقين إلى الإسلام . وهاجر إلى أرض الحبشة الهجرتين . شهد بدرًا وأحدًا والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . كان ملازما لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أقرب الناس إليه هديًا ودلاً وسمتًا . أخذ من فيه سبعين سورة لا ينازعه فيها أحد . بعثه عمر إلى أهل الكوفة ليعلمهم أمور دينهم . له في الصحيحين ٨٤٨ حديثًا. توفي (سنة: ٣٢هـ). ترجمته في: «الإصابة» (ج٢ ص٣٦٨)، و«الأعلام» (ج٤ ص٤٨٠).

[٢] أخرجه النسائي، باب السلام على النبي ﷺ، رقم: (١٢٨٢) وقال الشيخ الألباني: صحيح، وابن حبان في صحيحه، كتاب الرقائق، باب الأدعية، رقم: (٩١٤)، (ج٣ ص١٩٥).

[٣] أخرجه النسائي في «المجتبى»، كتاب: السهو، باب: فضل التسليم على النبي ﷺ، رقم: (١٢٨٣) (ج٣ ص٤٤)، وقال الشيخ الألباني: حسن.

[٤] أخرجه أبو داود في «سننه»، كتاب المناسك، باب زيارة القبور، رقم: (٢,٤٢)، (ج١ ص٦٢٢)، وقال الشيخ الألباني: صحيح.

[٥] «الشفا» للقاضي عياض (ج٢ ص٧٩)، و«السنن الكبرى» (ج٦ ص٢٣).

٦- عن الحسن بن علي[١] ﷺ قال: إذَا دَخَلْتَ المَسْجِدَ فَسَلِّم عَلَى النبي ﷺ، فإن رسول الله ﷺ قال: «**لَا تَتَّخِذُوا بَيْتِي عِيْداً، وَلَا تَتَّخِذُوا بُيُوتَكُم قُبُورًا، وَصَلُّوا عَلَيَّ حَيْثُ كُنْتُم، فَإِنَّ صَلَاتَكُم تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُم**»[٢].

ومعنى الحديث: لا تتخذوا بيتي عيدًا، أي: كما كان يفعل اليهود والنصارى عند قبور أنبيائهم من الزينة، واللهو[٣].

٧- قوله ﷺ: «**إِنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ قُبِضَ، وَفِيهِ النَّفْخَةُ، وَفِيهِ الصَّعْقَةُ، فَأَكْثِرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ فِيهِ، فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ**» قَالَ: قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَيْفَ تُعْرَضُ صَلَاتُنَا عَلَيْكَ وَقَدْ أَرِمْتَ - يَقُولُونَ: بَلِيتَ -؟ فَقَالَ: «**إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ**»[٤].

---

[١] هو: الحسن بن علي بن أبي طالب، أبو محمد الهاشمي، أمير المؤمنين، سبط رسول الله ﷺ وريحانته من الدنيا وأحد سيدي شباب أهل الجنة، روى عن جده رسول الله ﷺ وأبيه علي وأخيه حسين وخاله هند بن أبي هالة . روى عنه ابنه الحسن وعائشة أم المؤمنين وعكرمة ومحمد بن سيرين وآخرون . كان حليمًا ورعًا فاضلاً . ولي الخلافة بعد أبيه عدة أشهر، ثم تنازل لمعاوية بشروط، وصان الله بذلك جماعة المسلمين . وظهرت المعجزة النبوية في قوله ﷺ: «**إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ وَلَعَلَّ اللهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِيْنَ**»، انصرف الحسن إلى المدينة حيث أقام إلى أن توفي، ويقال إنه مات مسمومًا، سنة ٥٠ هـ، وقيل غير ذلك. ترجمته في: «الإصابة» (ج١ ص٣٢٨) و«تهذيب التهذيب» (ج٢ ص٢٩٥)، و«صفة الصفوة» (ج١ ص٣٤٠].

[٢] أخرجه أبو داود في سننه، كتاب المناسك، باب: زيارة القبور، رقم: (٢,٤٢)، (ج١ ص٦٢٢)، وقال الشيخ الألباني: صحيح.

[٣] حاشية: «الشفا» للقاضي عياض (ج٢ ص٨٠).

[٤] أخرجه أبو داود في سننه، باب: فضل يوم الجمعة وليلة الجمعة، رقم: (١,٤٧)، (ج١ ص٣٤٢)، والنسائي، كتاب الجمعة، باب إكثار الصلاة على النبي ﷺ يوم الجمعة، رقم: (١٣٧٤) (ج٣ ص٩١)، وقال الألباني: صحيح، و«أَرِمْت» أصله: أرممت، أي: صِرْتَ رَمِيما.

٨- وعن ابن شهاب: بلغنا أن رسول الله ﷺ قال: «**أَكْثِرُوا مِنَ الصَّلَاةِ عَلَيَّ فِي اللَّيْلَةِ الزَّهْرَاءِ، وَاليَوْمِ الأَزْهَرِ، وَإِنَّ الأَرْضَ لَا تَأْكُلُ أَجْسَادَ الأَنْبِيَاءِ، وَمَا مِن مُسْلِمٍ يُصَلِّي عَلَيَّ إِلَّا حَمَلَهَا مَلَكٌ حَتَّى يُؤَدِّيَهَا إِلَيَّ وَيُسَمِّيه حَتَّى إِنَّهُ لَيَقُولُ: إِنَّ فُلَاناً يَقُولُ كَذَا وَكَذَا**»[(١)].

٩- وعن رجل[(٢)] قال لأبي أمامة ﷺ: يا أبا أمامة إني رأيت في منامي أن الملائكة تصلي عليك كلما دخلت، وكلما خرجت، وكلما قمت، وكلما جلست، قال أبو أمامة: اللهم غفرا، دعونا عنكم، وأنتم لو شئتم صَلَّت عليكم الملائكة، ثم قرأ: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً (٤١) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً (٤٢) هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنْ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً** ﴾[(٣)].

١٠- وعن أَبيِّ بنِ كَعب[(٤)] ﷺ قال كان رسول الله ﷺ إذا ذَهَبَ رُبْعُ الليل قام فقال: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا اللَّهَ اذْكُرُوا اللَّهَ جَاءَتِ الرَّاجِفَةُ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ جَاءَ المَوْتُ بِمَا فِيهِ جَاءَ المَوْتُ بِمَا فِيهِ**»، قَالَ أُبَيٌّ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أُكْثِرُ الصَّلَاةَ عَلَيْكَ فَكَمْ أَجْعَلُ لَكَ مِنْ صَلَاتِي؟ فَقَالَ: «**مَا شِئْتَ**»، قَالَ: قُلْتُ: الرُّبُعَ، قَالَ: «**مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ**»، قُلْتُ: النِّصْفَ، قَالَ: «**مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ**»، قَالَ: قُلْتُ: فَالثُّلُثَيْنِ، قَالَ: «**مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ**»، قُلْتُ: أَجْعَلُ لَكَ صَلَاتِي كُلَّهَا قَالَ: «**إِذًا تُكْفَى هَمَّكَ، وَيُغْفَرُ لَكَ ذَنْبُكَ**»[(٥)].

---

(١) أخرجه الطبراني في «الأوسط» رقم: (٢٤١)، (ج١ ص٨٣)، وفيه عبد المنعم بن بشير الأنصاري وهو: ضعيف.

(٢) أخرجه الحاكم في «المستدرك»، كتاب: التفسير، تفسير سورة الأحزاب رقم: (٣٥٦٥)، (ج٢ ص٤٥٣)، وقال: «صحيح على شرط مسلم»، ووافقه الذهبي.

(٣) سورة الأحزاب، الآيات : (٤١)، (٤٢)، (٤٣).

(٤) هو أبي بن كعب بن قيس بن عبيد، أبو المنذر، من بني النجار، من الخزرج، صحابي، وشهد بدرًا وأحدًا والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وكان يفتي على عهده، وشهد مع عمر بن الخطاب ﷺ وقعة الجابية، وأمره عثمان ﷺ بجمع القرآن، فاشترك في جمعه، وله في الصحيحين وغيرهما (١٦٤) حديثًا، وآخى النبي ﷺ بين أبي بن كعب وطلحة بن عبيد الله ﷺ، وعن أنس بن مالك عن النبي ﷺ، قال: «**أَقْرَأُ أُمَّتِي: أُبَيُّ بنُ كَعْبٍ**». توفي (سنة: ٢١ هـ). ترجمته في: «الاستيعاب» (ج١ ص٦٥)، و«الإصابة» (ج١ ص١٩)، و«طبقات ابن سعد» (ج٣ ص٤٩٨).

(٥) أخرجه الترمذي في «السنن» رقم: (٢٤٥٧)، (ج٤ ص٢١٨)، وقال: «هذا حديث حسن».

٩) من خصائصه الإعجازية أنه ﷺ خاتم النبيين.

لقد ختم الله الرسل والأنبياء بنبيه محمد ﷺ، اصطفاه الله ليكون خاتمًا للنبيين والمرسلين، وقد دَلَّ على ذلك نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية، **ومن ذلك ما يلي:**

أولا: من القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾[(١)]، الآيةُ دَلِيلٌ عَلى أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدَهُ ﷺ، ومن باب أولى لا رسول؛ لأن مقام الرسالة أخص من النبوة.

ثانيا: من السنة أحاديث كثيرة منها ما يلي:

١- قوله ﷺ: «**مَثَلِي وَمَثَلَ الأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي، كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ، إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ، وَيَعْجَبُونَ لَهُ، وَيَقُولُونَ هَلَّا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبِنَةُ؟ قَالَ: فَأَنَا اللَّبِنَةُ وَأَنَا خَاتِمُ النَّبِيِّينَ**»[(٢)].

٢- وعن أنس بن مالك أنه ﷺ قال: «**إِنَّ الرِّسَالَةَ وَالنُّبُوَّةَ قَد انْقَطَعَت، فَلَا رَسُولَ بَعْدِي وَلَا نَبِيَّ**»[(٣)].

وقوله: «**خَاتَمُ النَّبِيِّينَ**» أي: أن المراد بالخاتم في أسمائه أنه خاتم النبيين، ولمح بما وقع في القرآن، وفي الحديث ضرب الأمثال؛ لتقريب الأفهام، وفضل النبي ﷺ على سائر النبيين، وأن الله ختم به المرسلين ،وأكمل به شرائع الدين.

---

(١) سورة الأحزاب، آية: (٤٠).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب المناقب، باب خاتم النبيين، رقم: (٣٣٤١ – ٣٣٤٢)، (ج٣ ص١٣,١)، وأخرجه مسلم في الفضائل، باب ذكر كونه ﷺ خاتم النبيين، رقم: (٢٢٨٧)، (ج٤ ص١٧٩٠).

(٣) أخرجه الترمذي في «سننه»، كتاب الرؤيا عن رسول الله ﷺ، باب: ذهبت النبوة وبقيت المبشرات، رقم: (٢٢٧٢)، (ج٤ ص٥٣٣)، وقال: «هذا حديث صحيح».

٣- قوله ﷺ: «**أَنَا العَاقِبُ**»[١]، و«العَاقِبُ»: الذي ليس بعده أحد من الأنبياء، وهذا يعني أن الله ﷻ خَتَمَ بِنَبِيِّهِ مُحَمَّد ﷺ الأنبياء والرسل الكرام عليهم السلام، كما ختم بدينه الإسلام الديانات السماوية السابقة، فكما لا دين بعد دينه، كذلك لا نبي بعده ﷺ[٢].

٤- وعن سعد بن أبي وقاص[٣] ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ لعلي ﷺ: «**أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوْسَى، إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي**»[٤].

٥- وعن أبي هريرة ﷺ، أن النبي ﷺ قال: «**كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ تَسُوسُهُمُ الأَنْبِيَاءُ، كُلَّمَا هَلَكَ نَبِيٌّ خَلَفَهُ نَبِيٌّ، وَإِنَّهُ لاَ نَبِيَّ بَعْدِي، وَسَيَكُونُ خُلَفَاءُ فَيَكْثُرُونَ**» قَالُوا: فَمَا تَأْمُرُنَا؟ قَالَ: «**فُوا بِبَيْعَةِ الأَوَّلِ فَالأَوَّلِ، أَعْطُوهُمْ حَقَّهُمْ، فَإِنَّ اللَّهَ سَائِلُهُمْ عَمَّا اسْتَرْعَاهُمْ**»[٥].

٦- وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**فُضِّلْتُ عَلَى الأَنْبِيَاءِ بِستٍّ** ... »، منها: «**وَخُتِمَ بِي النَّبِيُّونَ**»[٦]، وقوله في الآية الكريمة وفي الحديث الشريف: «خاتم النبيين».

٧- وعَن أبي بن كعب ﷺ: عن النبي ﷺ قال:«**إِذَا كَانَ يَومُ القِيَامَةِ كُنْتُ إِمَامَ النَّبِيِّينَ وَخَطِيْبَهُم**»[١].

---

[١] أخرجه البخاري، كتاب المناقب، باب ما جاء في أسماء رسول الله ﷺ، رقم: (٣٣٣٩)، (ج٣ ص١٢٩٩)، وأخرجه مسلم في الفضائل باب في أسمائه ﷺ رقم: (٢٣٥٤).

[٢] «شرح العقيدة الطحاوية» (ج١ ص٨٠)، و«عظم قدره» (ص: ٣٨)، و«غاية السول في خصائص الرسول ﷺ» (ج١ ص٦٣).

[٣] هو الصحابي الجليل: سعد بن أبي وقاص هو سعد بن مالك بن أهيب أحد العشرة المبشرين بالجنة روى عن النبي ﷺ كثيرا، وروت عنه عائشة وابن عباس وابن عمر ﷺ. يراجع: «موسوعة الأعلام» (ج٢ ص١٢١).

[٤] أخرجه مسلم، كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب من فضائل علي بن أبي طالب ﷺ، رقم: (٢٤,٤) (ج٤ ص١٨٧٠).

[٥] أخرجه البخاري، كتاب الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، رقم: (٣٢٦٨)، (ج٣ ص١٢٧٣)، وأخرجه مسلم في الإمارة باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول رقم: (١٨٤٢)، (ج٣ ص١٤٧١).

[٦] سبق تخريجه (ص: ٣٠).

ووجه الخصوصية أن: الله اختاره لذلك وخصه بها دون غيره، وكذا التحدي في أنه لا يستطيع أحد أن يكون كذلك؛ لأنه تفضيل الله تعالى.

٨- عن ثَوْبَان[٢] قال: قال رسول الله ﷺ: «**وإنَّه سَيَكُونُ فِي أمَّتِي ثَلاثُونَ كَذَّابُونَ، كُلُّهُم يَزْعُمُ أنَّهُ نَبِيٌّ، وأنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ، لَا نَبِيَّ بَعْدِي**»[٣].

ولمسلم: أن رسول الله ﷺ قال: «**فُضِّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِستٍّ: أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ، وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجِدًا، وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً، وَخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ**»[٤].

١٠) مِن خَصائِصِه الإعجازية: أن الله تعالى كَتَبَ نُبُوَّتَهُ قَبْلَ خَلْقِ آدَم.

مِن الخصائص المحمدية أن الله تعالى كَتَبَ نُبُوَّتَهُ قبل خلق آدم، فهو ﷺ أول النبيين خلقًا وآخرهم بعثًا[٥]، وقد دَلَّ على ذلك النصوص الصريحة، كما في قوله ﷺ في حديث ميسرة: متى

---

[١] أخرجه الترمذي في «سننه»، كتاب المناقب، باب في فضل النبي ﷺ، رقم: (٣٦١٣) (ج٥ ص٥٨٦)، وقال «هذا حديث حسن»، وابن ماجه في «سننه»، كتاب الزهد، باب ذكر الشفاعة، رقم: (٤٣١٤) (ج٢ ص١٤٤٣)، وقال الشيخ الألباني: حسن.

[٢] ثوبان مولى رسول الله ﷺ صحابي مشهور، يقال: إنه من العرب، حكمي من حكم بن سعد حمير، وقيل: من السراه اشتراه ثم أعتقه رسول الله ﷺ، فخدمه إلى أن مات، ثم تحول إلى الرملة ثم حمص ومات بها؛ سنة أربع وخمسين، قاله ابن سعد وغيره. «الإصابة في معرفة الصحابة» (ج١ ص١٣٦).

[٣] أخرجه الترمذي في «سننه»، كتاب: الفتن، باب: ما جاء لا تقوم الساعة حتى يخرج كذابون، رقم: (٢٢١٩) (ج٤ ص٤٩٩)، وقال: «هذا حديث صحيح».

[٤] سبق تخريجه (ص: ٣٠).

[٥] «الخصائص الكبرى» (ج١ ص٥).

كنت نبيا؟ قال ﷺ: «**وَآدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالجَسَدِ**»[1]، وبلفظ: متى كتبت نبيا؟ ومما يؤيد ذلك ما رواه أبو هريرة قال: قالوا: يا رسول الله متى وَجَبَت لك النبوة؟ قال: «**وَآدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالجَسَدِ**» [2].

ولا يخفى ما في ذلك من وجوه الإعجاز التي أخبر بها ﷺ، وما خص به من تلك المعاني التي لم يُعْطِهَا اللهُ لِأحَدٍ إلَّا له ﷺ، حيث نص عليها وخص نفسه بها فلا بُدَّ لها من فائدة، وإن لم يصل إليها أحد صَرَاحَةً، فيكفي منها دلالة علي التفضيل والتخصيص التشريفي الذي ليس لأحد إلا له ﷺ.

وقد وَرَدَ فِي ذلك المعنى أحاديث كثيرة منها ما يلي:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**كُنْتُ أوَّلَ النَّبِيِّينَ فِي الخَلْقِ وَآخِرَهُم في البَعْثَةِ**»[3]، ويؤيده أن الله أخذ له الميثاق على النبيين في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنْ الشَّاهِدِينَ﴾[4]، فجعل الأنبياء تَبَع له، وألهمهم الانقياد، فلو أدْرَكُوه لَوَجَب عليهم اتِّبَاعُه، أو يكون المعنى أنه شرط للنبوة أن يؤمِنَ بالنبي محمد ﷺ؛ ولهذا قال السُّبْكِيُّ: «فَالنَّبِيُّ ﷺ هُو نَبِيُّ الأنْبِيَاء، ولهذا ظَهَرَ ذلك في الآخرة، فجميع الأنبياء تحت لوائه، وهو في الدنيا كذلك ليلة الإسراء صلى بهم؛

---

[1] أخرجه أحمد في «مسنده»، حديث رجل رضي الله تعالى عنه، رقم (١٦٦٧٤) (ج٤، ص٦٦)، وفي «المستدرك» عن ميسرة الفخر قال : قلت لرسول الله ﷺ متى كنت نبيا ؟ قال: «**وَآدَمُ بَيْنَ الرُّوْحِ وَالجَسَدِ**»، كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين، باب ذكر نبي الله وروحه عيسى ابن مريم صلوات الله وسلامه عليهما، (ج٢ ص٦٦٥).

[2] أخرجه الترمذي في «سننه»، كتاب: المناقب عن رسول الله ﷺ، باب: في فضل النبي ﷺ، رقم: (٣٦٠٩) (ج٥ ص٥٨٥)، وقال الشيخ الألباني: صحيح.

[3] أخرجه الطبراني في «مسند الشاميين»، رقم: (٢٦٦٢) (ج٤ ص٣٤).

[4] سورة آل عمران، آية: (٨١).

ولو اتَّفَقَ مَجِيْئُهُ فِي زَمَن آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى وَجَبَ عليهم وعلى أممهم الإيمان به ونصرته»[1].

والدليل على ذلك مايلي:

١- قوله ﷺ: «**لَو كَانَ مُوْسَى حَياً بَيْنَ أظْهُرِكُم مَا حَلَّ لَهُ إلَّا أنْ يَتْبَعَنِي**»[2].

أي: مَا جَازَ لَهُ إلا اتِّبَاعي؛ إذ هو نَبِيُّ الأنْبِيَاء، وسائر الأنبياء نُوَّابُه، وأن شَرِيْعَتَهُ مَنْسُوخَة كعيسى عليهما الصلاة والسلام[3].

٢- قَدَّمَ اللهُ ذِكْرَهُ على الأنبياء في قوله: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾[4].

١١) مِن خَصَائِصِهِ الإعْجَازِيَّة: اختِصَاصُهُ ﷺ بمعجزة الإسراء والمعراج.

الإسْرَاءُ والمِعْرَاجُ مُعْجِزَةٌ؛ بَل مُعْجِزَات متعددة ومتنوعة، وآياتُ باهرات، أعطاها الله لنبيه من بين رسله، وخَصَّه بها؛ لإظهار فضل الله عليه، وعظم قدره عنده جل وعلا، فكانت بذلك من خصائصه الإعجازية؛ ولهذا تنوع الحديث عنها في القرآن، والسنة، فمثلاً قصة الإسراء وما انطوت عليه من درجات الرفعة، نبَّه الله عليها في الكتاب العزيز، وجاءت بها صحاح الأخبار، كما في قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنْ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّه هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [5]، وكذلك المعراج، تناولته سورة النجم في قوله تعالى: ﴿ وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ

---

[1] «فتاوى السبكي» (ج١ ص٦٨).

[2] أخرجه أحمد في «مسنده»، حديث جابر بن عبد الله ﷺ، رقم: (١٤٦٧٢) (ج٣ ص٣٣٨)، وفي «مسند أبي يعلى» رقم: (٢١٣٥) (ج٤ ص١,٢)، وقال حسين سليم أسد: إسناده ضعيف.

[3] «فتاوى الرملي» (ج٦ ص١٤٦)، و«الوفا بأحوال المصطفى» (ج٢ ص٦).

[4] سورة النساء، آية: (١٦٣).

[5] سورة الإسراء، آية: (١).

عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٖ فَٱسۡتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ ۝٩ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ ۝١٠ مَا كَذَبَ ٱلۡفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝١١ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝١٢ وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ ۝١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰٓ ۝١٥ إِذۡ يَغۡشَى ٱلسِّدۡرَةَ مَا يَغۡشَىٰ ۝١٦ مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝١٧ لَقَدۡ رَأَىٰ مِنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ.﴾ [1]، وهذا تعظيم للمعجزة، والمعجز والرسول، والرسالة معًا، ففيها من التناسب والترتيب المفخم، والمعظم مالا يحيط بسره إلا الله تعالى.

قال الطَّحَاوِيُّ: والمِعْرَاجُ حَقٌّ، وقد أُسري بالنبي ﷺ وعُرج بشخصه في اليقظة إلى السماء، ثم إلى حيث شاء الله مِن العُلَا، وَأَكْرَمَهُ الله بما شاء، وأوحى إليه ما أوحى[2]: ﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ﴾[3]، ولا خِلَافَ بين المسلمين في صحة الإسراء به ﷺ[4]؛ إذ هو نص القرآن، وجاءت بتفصيله، **وشرح عجائبه وأسراره أحاديث كثيرة من أهمها:**

١- عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**أُتِيتُ بِالْبُرَاقِ، وَهُوَ دَابَّةٌ أَبْيَضُ طَوِيلٌ فَوْقَ الْحِمَارِ، وَدُونَ الْبَغْلِ، يَضَعُ حَافِرَهُ عِنْدَ مُنْتَهَى طَرْفِهِ**»، قَالَ: «**فَرَكِبْتُهُ حَتَّى أَتَيْتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ**»، قَالَ: «**فَرَبَطْتُهُ بِالْحَلْقَةِ الَّتِي يَرْبِطُ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ**»، قَالَ «**ثُمَّ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ، فَصَلَّيْتُ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ خَرَجْتُ فَجَاءَنِي جِبْرِيلُ** عليه السلام **بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ، وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ، فَاخْتَرْتُ اللَّبَنَ، فَقَالَ جِبْرِيلُ** ﷺ: **اخْتَرْتَ الْفِطْرَةَ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِآدَمَ، فَرَحَّبَ بِي، وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ، فَاسْتَفْتَحَ**

---

[1] سورة النجم، الآيات: (من ١ : ١٨).

[2] «العقيدة الطحاوية» (ج١ ص١٢).

[3] سورة النجم، الآية: (١١).

[4] «فتح الباري» (ج١٣ ص٤٨٢)، و«التمهيد» (ج٢٠ ص٢٥٨)، و«الفصول في السيرة» (ج١ ص٢٨١).

جبْرِيلُ عليه السلام، فَقِيلَ: مَنَ أَنْتَ؟ قَالَ: جبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِابْنَيْ الْخَالَةِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، وَيَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّاءَ، صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمَا، فَرَحَّبَا وَدَعَوَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنَ أَنْتَ؟ قَالَ: جبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ ﷺ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِيُوسُفَ ﷺ، إِذَا هُوَ قَدِ أُعْطِيَ شَطْرَ الْحُسْنِ، فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جبْرِيلُ عليه السلام، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قَالَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِإِدْرِيسَ، فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، قَالَ اللهُ عز وجل: {وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا} [مريم: ٥٧]، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الْخَامِسَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جبْرِيلُ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: جبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِهَارُونَ ﷺ، فَرَحَّبَ، وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جبْرِيلُ عليه السلام، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى ﷺ، فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ ﷺ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ ﷺ مُسْنِدًا ظَهْرَهُ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ، وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ، ثُمَّ ذَهَبَ بِي إِلَى السِّدْرَةِ الْمُنْتَهَى، وَإِذَا وَرَقُهَا كَآذَانِ الْفِيَلَةِ، وَإِذَا ثَمَرُهَا كَالْقِلَالِ»، قَالَ: «فَلَمَّا غَشِيَهَا مِنْ أَمْرِ اللهِ مَا غَشِيَ تَغَيَّرَتْ، فَمَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللهِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْعَتَهَا مِنْ حُسْنِهَا، فَأَوْحَى اللهُ إِلَيَّ مَا أَوْحَى، فَفَرَضَ عَلَيَّ خَمْسِينَ صَلَاةً فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَنَزَلْتُ إِلَى مُوسَى ﷺ، فَقَالَ: مَا فَرَضَ رَبُّكَ عَلَى أُمَّتِكَ؟ قُلْتُ: خَمْسِينَ صَلَاةً، قَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ، فَإِنِّي قَدْ بَلَوْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَخَبَرْتُهُمْ»، قَالَ: «فَرَجَعْتُ إِلَى رَبِّي، فَقُلْتُ: يَا رَبِّ، خَفِّفْ عَلَى أُمَّتِي، فَحَطَّ عَنِّي خَمْسًا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى، فَقُلْتُ: حَطَّ عَنِّي خَمْسًا، قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ»، قَالَ: «فَلَمْ أَزَلْ أَرْجِعُ بَيْنَ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَبَيْنَ مُوسَى عليه السلام حَتَّى قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّهُنَّ خَمْسُ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ

وَلَيْلَةٍ، لِكُلِّ صَلَاةٍ عَشْرٌ، فَذَلِكَ خَمْسُونَ صَلَاةً، وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةً، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرًا، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ تُكْتَبْ شَيْئًا، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ سَيِّئَةً وَاحِدَةً»، قَالَ: «**فَنَزَلْتُ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى مُوسَى ﷺ، فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ**»، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " **فَقُلْتُ: قَدْ رَجَعْتُ إِلَى رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ**»[1].

قال القاضي عياض: جَوَّدَ ثَابت ﷺ هذا الحديث عن أَنَسٍ مَا شَاء، ولَم يَأتِ أحَدٌ عنه بأصوب من هذا، وقد خَلَّطَ فِيه غَيْرُهُ عَن أَنَسٍ تَخْلِيطا كَثِيرا لاسِيَّما مِن رِوَايَةِ شَرِيك[2].

وعن أنس ﷺ، قال: كان أبو ذَرٍّ يُحَدِّثُ أن رسول الله ﷺ، قال: «**فَرِجَ سَقْفُ بَيْتِي، وَأَنَا بِمَكَّةَ، فَنَزَلَ جِبْرِيل، فَفَرَجَ صَدْرِي، ثُمَّ غَسَلَهُ مِن مَاءِ زَمْزَم، ثُمَّ جَاءَ بِطَسْتٍ مِن ذَهَبٍ مُمْتَلِئٍ حِكْمَةً وَإِيْمَانًا، فَأَفْرَغَهَا مِن صَدْرِي، ثُمَّ أَطْبَقَهُ، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي فَعَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ ...**»[3].

وحديثُ ثَابِتٍ، عن أنس: أَتْقَنُ وَأَجْوَد[4]، وقَد وَقَعَت في حديث الإسراء، زيادات **نذكر منها نكتاً مفيدة في عرضنا:**

١- منها حديث ابن شهاب، وفيه: قول: كُلِّ نَبِيٍّ لَه: «**مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، وَالأَخِ الصَّالِحِ**»، إلا آدم وإبراهيم فقالا له: «**وَالابْنِ الصَّالِحِ**»[5].

٢- وعَن ابْنِ عباس: «**ثُمَّ عُرِجَ بِي حَتَّى ظَهَرْتُ بِمُسْتَوَى أَسْمَعُ فِيْهِ صَرِيْفَ الأَقْلَامِ**»[1].

---

[1] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات وفرض الصلوات، رقم: (١٦٢)، (ج١ ص١٤٥).

[2] «الشفا» (ج١ ص١٨٠).

[3] أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب الأنبياء، باب ذكر إدريس عليه السلام، رقم: (٣١٦٤) (ج٣ ص١٢١٧)، وأخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب: الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات وفرض الصلوات، رقم: (١٦٣) (ج١ ص١٤٨).

[4] «الشفا» للقاضي عياض (ج١ ص١٨٠).

[5] أخرجه البخاري، كتاب الصلاة، باب كيف فرضت الصلوات في الإسراء، رقم: (٣٤٢) (ج١ ص١٣٥).

٣- وفي حديث أبي هريرة ﷺ: «**وَقَد رَأَيْتُنِي فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الأَنْبِيَاء ... فَحَانَت الصَّلَاةُ، فَأَمَمْتُهُم، فَقَال قَائِلٌ: يَا مُحَمَّد، هَذا مَالِكٌ خَازِنُ النَّارِ، فَسَلِّم عَلَيْهِ، فَالتَفَتَ فَبَدَأَنِي بِالسَّلَامِ**»[٢].

٤- وفي حديث أبي هريرة ﷺ: «**ثُمَّ سَارَ حَتَّى أَتَى إِلَى بَيْتِ المَقْدِسِ، فَنَزَل فَرَبَط فَرَسَه إلى صَخْرَةٍ، فَصَلَّى مَعَ المَلَائِكَةِ، فَلَمَّا قَضَيْتُ الصَّلَاةَ قالوا: يَا جِبْرِيلُ، مَن هَذَا مَعَك؟ قال: هَذَا مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ: قَالُوا: وَقَد أَرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قال: نَعَم، قَالوا: حَيَّاهُ اللهُ مِن أخٍ وَخَلِيْفَةٍ، فَنِعْمَ الأَخُ وَنِعْمَ الخَلِيْفَة! ثم لَقُوا أَرْوَاحَ الأَنْبِيَاء فَأَثْنَوا عَلَى رَبِّهِم، وذَكَر كَلَام كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُم، وهُم إِبْرَاهِيْم، وَمُوسَى، وَعِيْسَى، ودَاوُد، وسُلَيْمَان**»، ثم ذَكَرَ كَلَامَ النبي ﷺ، فقال: «**وَإِنَّ مُحَمَّدًا ﷺ أَثْنَى عَلى رَبِّهِ ﷻ فقال: كُلُّكُم أَثْنَى عَلَى رَبِّهِ، وأَنَا أُثْنِي عَلَى رَبِّي: الحَمْدُ للهِ الذِي أَرْسَلَنِي رَحْمَةً للعَالَمِينَ، وَكَافَّة للنَّاسِ بَشِيْراً وَنَذِيْراً، وَأَنْزَل عَلَيَّ الفُرْقَان فيه تبيان كُلِّ شيء، وَجَعَل أُمَّتِي خَيْرَ أُمَّةٍ، وَجَعَل أُمَّتِي أُمَّةً وَسَطاً، وجَعَل أُمَّتِي هُم الأَوَّلُون، وَهُم الآخِرُون، وَشَرَحَ لِي صَدْرِي، وَوَضَعَ عَنِّي وِزْرِي، وَرَفَع لِي ذِكْرِي، وجَعَلَنِي فَاتِحاً وخَاتِمًا**»، فقال إبراهيم: بهذا فضلكم محمد. ثم ذكر أنه عرج به إلى السماء الدنيا، ومن سَمَاءٍ إلى سَمَاءٍ[٣].

٥- وفي حديث ابن مسعود ﷺ: «**وَانْتُهِيَ بي إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، وَهِيَ فِي السَّمَاءَ السَّادِسَةِ، إِلَيْهَا ينتهى ما يُعْرَجُ بِهِ مِنَ الْأَرْضِ فَيُقْبَضُ مِنْهَا وإليها يَنْتَهِي مَا يَهْبِطُ مِنْ فَوْقِهَا فَيُقْبَضُ مِنْهَا، قَالَ تَعَالَى: {إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى} قَالَ: فَرَاشٌ مِنْ ذَهَب**». وفي رواية أبي هريرة، من طريق الربيع بن أنس: «**فَقِيلَ لِي: هَذِهِ السّدْرَةُ الْمُنْتَهَى يَنْتَهِي إِلَيْهَا كُلّ أَحَدٍ مِنْ أُمَّتِكَ خَلا عَلَى سَبِيلك، وَهِيَ السّدْرَةُ الْمُنْتَهَى يَخْرُجُ مِنْ أَصْلِهَا أَنْهَارٌ مِنْ ماءٍ غَيْرِ آسِنٍ، وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ**

---

[١] أخرجه البخاري، كتاب الصلاة، باب كيف فرضت الصلوات في الإسراء، رقم: (٣٤٢) (ج١ ص١٣٥)، وأخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات وفرض الصلوات، رقم (١٦٣) (ج١ ص١٤٨).

[٢] أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب، ذكر المسيح بن مريم والمسيح الدجال، رقم: (١٧٢) (ج١ ص١٥٦).

[٣] هو جزء من حديث طويل أخرجه البزار في «مسنده»، رقم: (٩٥١٨)، (ج١٧ ص٥)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (ج١ ص٧٢): «رجاله موثقون، إلا أن الربيع بن أنس قال: «عن أبي العالية – أو: غيره –». فتَابِعِيُّهُ مَجْهُول».

لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ، وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ، وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى، وَهِيَ شَجَرَةٌ يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظلّهَا سَبْعِينَ عَامًا، وَأَنَّ وَرَقَةً مِنْهَا مُظِلَّةٌ الْخَلْقِ، فَغَشِيَهَا نُورٌ وَغشِيتهَا الْمَلَائِكَةِ»[1]، قال: فهو قوله: ﴿إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى﴾[2]، **فَقَالَ تَبَارَكَ وتَعَالَى لَهُ: سَلْ، فَقَالَ: إِنَّكَ اتَّخَذْتَ إِبْرَاهِيمُ خَلِيلًا، وَأَعْطَيْتَهُ مُلْكًا عَظِيمًا، وَكَلَّمْتَ مُوسَى تَكْلِيمًا، وَأَعْطَيْتَ دَاوُد مُلْكًا عَظِيمًا، وَأَلَنْتَ لَهُ الْحَدِيدَ، وَسَخرْتَ لَهُ الْجِبَالَ، وَأَعْطَيْتَ سُلَيْمَان مُلْكًا عَظِيمًا، وَسَخَّرْتَ لَهُ الْجِنَّ وَالْإِنْس وَالشَّيَاطِينَ وَالرِّيَاحَ، وَأَعْطَيْتهُ مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ، وَعَلَّمْتَ عِيسَى التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ، وَجَعَلْتَهُ يُبْرِئُ الْأَكَمَهَ وَالْأَبْرَصَ، وَأَعَذْتَهُ وَأُمَّهُ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، فَلَمْ يَكُنْ لَهُ عَلَيْهَمَا سَبِيلٌ، فَقَالَ لَهُ رَبَّهُ تَعَالَى: قَد اتَّخَذْتُكَ خَلِيلًا وَحَبِيبًا فَهُوَ مَكْتُوبٌ فِي التَّوْرَاةِ: «مُحَمَّدٌ حَبِيبُ الرَّحْمنِ»، وَأَرْسَلْتُكَ إِلَى النَّاسِ كَافَةَ، وَجَعَلْتُ أُمَّتَكَ هُمُ الْأَوَّلُونَ وَهُمُ الآخرُونَ، وَجَعَلْتُ أُمَّتَكَ لَا تَجُوزُ لَهُمْ خُطْبَةٌ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنَّكَ عَبْدِي وَرَسُولِي، وَجَعَلْتُكَ أَوَّلَ النَّبِيّينَ خَلْقًا وآخِرَهُمْ بَعْثًا، وأَعْطَيْتُكَ سَبْعًا من المثانى وَلَمْ أعْطِهَا نَبِيًّا قَبْلَكَ، وَأَعْطَيْتُكَ خَواتِيمَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ مِنْ كَنْزٍ تَحْتَ عَرْشِي لَمْ أُعْطِهَا نَبِيًّا قَبْلَكَ، وَجَعَلْتُكَ فَاتِحًا وَخَاتِمًا»**[3].

٧- وفي الرواية الأخرى قال: «**فَأَعْطِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ثَلَاثًا: أُعْطِيَ الصَّلَوَاتِ الخَمْس، وَأعْطِيَ خَوَاتِيْمَ سُوْرَةِ البَقَرَة، وَغُفِرَ لِمَن لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئَاً مِن أمَّتِهِ**»[4]، وقال: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى (١٢) وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴾[5]، رأى جبريل في صورته له ستمائة جناح[6].

---

[1] أخرجه ابن ماجه، في «سننه»، كتاب: الإيمان، باب منه في الإسراء، رقم: (٢٣٥)، (ج١ ص٢٣٦).

[2] سورة النجم، آية: (١٦).

[3] «الشفا» للقاضي عياض (ج١ ص١٨٢).

[4] «الشفا» للقاضي عياض (ج١ ص١٨٤).

[5] سورة النجم، آية: (١٢)، و(١٣).

[6] أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب في ذكر سدرة المنتهى، رقم: (١٧٤) (ج١ ص١٥٨).

١٢) مِنْ خَصَائِصِهِ الإعْجَازِيَّة: اختِصَاصُه بِالْمُنَاجَاةِ وَرُؤيتُهُ لِرَبِّه ﷻ في ليلة المعراج[١].

وجه الإعجاز والاختصاص بهذا الشرف العظيم للنبي الحبيب: ظاهر، ولا يُنْكِرُهُ إلا جَاحِـدٌ، أو جاهل، حتى وإن اختلف الصحابة في تحققه وحصوله، فإنهم وإن اختلفوا في حصول ذلك وتحققه للنبي ﷺ، فإنهم اتفقوا على عدم حصوله لغيره، وهذا هو وجه الفرق.

فأما رؤيته ﷺ لربه ﷻ **فاختلف السلف فيها على رأيين:**

الرأي الأول: وهو للسيدة عائشة رضي الله عنها حَيْثُ تَرَى أَنَّهُ: لَم يَتَحَقَّق له رؤيةُ رَبِّه ليلة المعراج.

وقال جماعة بقول عائشة رضي الله عنها، وهو المشهور عن ابن مسعود، ومثله عن أبي هريرة رضي الله عنه: «إنما رأى جبريل»[٢]، واختلف عنه، وقال بإنْكَارِ هَذا وَامْتِنَاعِ رُؤيَتِهِ فِي الدنيا: جماعة من المحـدثين، والفقهاء والمتكلمين[٣].

ويؤيده ما روي عن مسروق[٤] أَنَّهُ قَالَ لعائشة رضي الله عنها: يا أم المؤمنين، هل رأى محمـد ربـه؟ فقالت لقد تكلمت بشيء قَفَّ لَهُ شَعْرِي، قلت: رُويدًا، ثم قرأت: ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّـهِ الْكُبْرَى﴾، قالت: أين يُذْهَبُ بك؟ إنما هو جبريل، من أخبرك أن محمدًا رأى ربه، أو كتم شيئًا مما أمر به، أو يعلم الخمس التي قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِـيمٌ

---

[١] «الشفا» (ج١ ص١٩٥)، و«الفصول في السيرة» (ج١ ص٢٨١).

[٢] «الشفا» للقاضي عياض (ج١ ص١٩٦).

[٣] «الشريعة» (ج١ ص٤٩٥)، و«السيرة النبوية» لابن هشام (ج٢ ص٢٥٥).

[٤] هو: مسروق الأجدع بن مالك بن أمية الهمداني، ثم الوداعي، أبو عائشة تابعي ثقة، من أهل اليمن . قدم المدينة في أيام أبي بكر رضي الله عنه، وسكن الكوفة . روى عن أبي بكر وعمر وعائشة ومعاذ وابن مسعود رضي الله عنهم، توفي (سنة: ٦٣)، وقيل: (٦٢)، يراجع: «الإصابة» (ج٣ ص٤٩٢)، و«طبقات ابن سعد» (ج٤ ص١١٣).

خَبِيرٌ ﴾[1]، فَقَد أعْظَمَ الفِرْيَة، ولكنَّهُ رَأى جبريل، لَم يَرَهُ فِي صورته إلا مرتين، مَرَّة عند سدرة المنتهى، ومرة في جِيَادٍ لَهُ ستمائة جناح، قد سَدَّ الأُفُقَ»[2].

ويؤيده ما رواه الإمام مسلم: عن أبي ذر قال: سَأَلْتُ رَسُولَ الله ﷺ: هَل رَأَيْتَ رَبَّكَ؟ قال: «**نُورٌ أنَّى أرَاهُ**»[3].

الرأي الثاني: يرى ابنُ عباسٍ رضي الله عنه، وعكرمَةُ، والحسن، وابن مسعود: إثبات الرؤية للنبي ﷺ، لكنهم اختلفوا في كيفية الرؤية هل كانت بالعين أم بالقلب؟ على آراء ثلاثة:

أولهما: روي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه رَآهُ بِعَيْنِه[4].

وقال أبو الحسن الأشعري[5] رضي الله عنه وجَمَاعَةٌ من أصحابه: أنه رأى الله تعالى ببصره وعَيْنَي رَأسِهِ، وقال: كل آيَةٍ أوْتِيَهَا نَبِيٌّ مِن الأنبياء عليهم السلام فقد أتِيَ مِثْلَها نَبِيُّنَا، وخص من بينهم بتفضيل الرؤية[6].

وقال ابن كثير:صَرَّحَ بَعْضُهُم بِالرُّؤْيَةِ بِالعَيْنَيْنِ، واختاره ابن جرير وبالغ فيه، وتَبِعَهُ على ذلك آخرون من المتأخرين[7].

---

[1] سورة لقمان، آية: (٣٤).

[2] أخرجه الترمذي في «سننه»، كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ، باب ٥٣ ومن سورة والنجم، رقم (٣٢٧٨) (ج ص٣٩٤)، وقال الشيخ الألباني: ضعيف الإسناد.

[3] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب في قوله عليه السلام: «**نُورٌ أنَّي أرَاهُ**» وفِي قَوله: «**رَأَيْتُ نُورًا**»، رقم: (١٧٨) (ج١ ص١٦١)، ومعناه: حجابه النور فكيف أراه؟ قال الإمام أبو عبد الله المازري رحمه الله الضمير في أراه عائد على الله سبحانه وتعالى، ومعناه: أن النور منعني من الرؤية، كما جرت العادة بإغشاء الأنوار الأبصار، ومنعها من إدراك ما حالت بين الرائي وبينه.

[4] «الشفا» للقاضي عياض (ج١ ص١٩٦)، و«فتح الباري» (ج١٣ ص٤٩٢)، و«التمهيد» (ج٢٠ ص٢٦٨).

[5] هو: علي بن إسماعيل بن أبي بشر إسحاق الأشعري، أبو الحسن . ولد بالبصرة وسكن بغداد إمام المتكلمين ومشارك في بعض العلوم، كان شافعي المذهب وتفقه على أبي إسحاق المروزي . رد على الملحدة والمعتزلة والشيعة والجهيمة والخوارج وغيرهم .توفي سنة ٣٢٤ هـ من تصانيفه: التبيين عن أصول الدين وخلق الأعمال؛ كتاب الاجتهاد. ترجمته في: «طبقات الشافعية» لابن السبكي (ج٢ ص٢٤٥)، و«معجم المؤلفين» (ج٧ ص٣٥).

[6] «الشفا» (ج١ ص١٩٨).

[7] «سيرة ابن كثير» (ج٢ ص١,١).

ثانيهما: ما روي عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنه سُئِلَ هَل رَأى مُحَمَّدٌ رَبَّهُ؟ قال: نعم رأى كَأنَّ قَدَمَيْهِ عَلى خُضْرَةٍ دُونَهُ سِتْرٌ مِن لُؤلؤ، فقلت: يا ابن عباس أليس يقول الله: ﴿لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ﴾؟[1]، قال: يا لا أم لَك ذَاكَ نُوْرُه، وَهُوَ نُوره، إذا تجلى بنوره لا يدركه شيء[2].

وروى عطاء [3] عن ابن عباس أيضًا: «أنه رآه بقلبه»[4].

وعن أبي العالية عنه أيضًا: «رآه بفؤاده مرتين»[5].

وذكر ابن إسحاق[6] أنَّ: عَبْدَ الله بن عمر أرسل إلى ابن عباس رضي الله عنهما يسأله: هل رأى محمد ربه ؟ فقال: نعم[7].

---

[1] سورة الأنعام آية: (١,٣).

[2] أخرجه الحاكم في «المستدرك»، كتاب التفسير، تفسير سورة الأنعام، رقم: (٣٢٣٤) (ج٢ ص٣٤٦)، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه».

[3] هو عطاء بن أسلم أبي رباح، يكنى أبا محمد، من خيار التابعين، من مولدي الجند (باليمن) كان أسود مفلفل الشعر . معدود في المكيين . سمع عائشة، وأبا هريرة، وابن عباس، وأم سلمة، وأبا سعيد . ممن أخذ عنه الأوزاعي وأبو حنيفة رضي الله عنهم جميعًا . وكان مفتي مكة . شهد له ابن عباس وابن عمر وغيرهما بالفتيا، مات بمكة سنة ١١٤ هـ. يراجع: «الأعلام» للزركلي (ج٥ ص٢٩)، و«التهذيب» (ج٧ ص١٩٩).

[4] أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب معنى قول الله عز وجل {ولقد رآه نزلة أخرى}، وهل رأى النبي ﷺ ربه ليلة الإسراء ؟ رقم: (١٧٦) (ج١ ص١٥٨).

[5] أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب معنى قول الله عز وجل {ولقد رآه نزلة أخرى}، وهل رأى النبي ﷺ ربه ليلة الإسراء ؟ رقم: (١٧٦) (ج١ ص١٥٨).

[6] هو محمد بن إسحاق بن يسار بن خيار، أبو عبد الله، القرشي المطلبي المدني: مؤرخ، حافظ، وهو من أقدم مؤرخي العرب ومن حفاظ الحديث، رأى أنسا وابن المسيب وأبا سلمة بن عبد الرحمن توفي (سنة: ١٥١ هـ). يراجع: «تهذيب التهذيب» (ج٩ ص٣٨)، و«الأعلام» (ج٦ ص٢٥٢).

[7] «التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل» لأبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة، الناشر: مكتبة الرشيد – الرياض الطبعة الخامسة، (١٩٩٤)، تحقيق: د. عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان، (ج٢ ص٤٨٣)، و«العلل المتناهية»، كتاب التوحيد، باب في النزول، (ج١ ص٣٧).

ويؤيده: ما رُوِيَ عن معاذ بن جبل ﷺ قال: قال ﷺ: «**إِنِّي نَعَسْتُ فَاسْتَثْقَلْتُ نَوْمًا فَرِأَيْتُ رَبِّي فِي أَحْسَنِ صُوْرَةٍ، فَقَالَ فِيْمَ يَخْتَصِمُ المَلَأُ الأَعْلَى**»[1].

وفي رواية عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَتَانِي اللَّيْلَةَ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ**، – قَالَ: أَحْسَبُهُ فِي الْمَنَامِ – **فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ هَلْ تَدْرِي فِيمَ يَخْتَصِمُ المَلَأُ الأَعْلَى؟**» قَالَ: «**قُلْتُ: لَا**»، قَالَ: «**فَوَضَعَ يَدَهُ بَيْنَ كَتِفَيَّ حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَهَا بَيْنَ ثَدْيَيَّ**» أَوْ قَالَ: «**فِي نَحْرِي، فَعَلِمْتُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ، قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، هَلْ تَدْرِي فِيمَ يَخْتَصِمُ المَلَأُ الأَعْلَى؟ ...** »[2].

والثالث: أطلقوا الرؤية بدون تقييد، وممن أطلق الرؤية: أبو هريرة، وأحمد بن حنبل رضي الله عنهما[3].

قال النووي: الراجح عند أكثر العلماء أنه ﷺ رأى رَبَّهُ بِعَيْنَي رَأسِهِ ليلة الإسراء، لحديث ابن عباس وغيره، وإثبات هذا لا يكون إلا بالسماع مِن رَسُول الله ﷺ، وَلَم تَعْتَمِد عائشة في نفي الرؤية على حديث رسول الله ﷺ، وإنما اعْتَمَدَت الاستِنْبَاطَ مِنَ الآيات[4].

وعند السُّهَيْلِيّ[5] ما يؤيد ذلك فقد قال: قال الزهري[1]: لَيْسَت عائشة أعلَمَ عِنْدَنَا مِنْ ابنِ عَبَّاسٍ[2].

---

[1] أخرجه الترمذي في «سننه»، كتاب تفسير القرآن، من سورة ص، رقم: (٣٢٣٥) (ج٥ ص٣٦٨)، وقال الشيخ الألباني: صحيح.

[2] أخرجه الترمذي في «سننه»، كتاب تفسير القرآن، من سورة ص، رقم: (٣٢٣٣)، (ج٥ ص٣٦٦).

[3] «سيرة ابن كثير» (ج٢ ص١,١).

[4] «شرح السيوطي على مسلم» (ج١ ص٢٢٢).

[5] هو عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن أصبغ، أبو القاسم، الخثعمي، السهيلي، الأندلسي، المالكي، محدث، حافظ، مؤرخ، نحوي، مقرئ، أديب . أخذ القراءات عن سليمان بن يحيى وغيره . من تصانيفه : التعريف والإعلام فيما أبهم في القرآن من الأسماء والأعلام، والقصيدة العينية، والروض الأنف، ونتائج الفِكَر، وكتاب شرح آية الوصية في الفرائض، ومسألة رؤية الله ﷻ في المنام توفي (سنة ٥٨١ هـ)، و«شذرات الذهب» (ج٤ ص٢٧١)، و«معجم المؤلفين» (ج٥ ص١٤٧).

ومما يؤيد ما ذهب إليه ابن عباس ما يلي:

١- روى عبد الله بن الحارث، قال: اجتمع ابن عباس وكعب رضي الله عنهما فقال ابن عباس: أما نحن بنو هاشم فنقول: إن محمداً قد رأى رَبَّهُ مَرَّتَيْن، فَكَبَّر كَعْبٌ حَتَّى جاوَبَتْهُ الجبال[٣].

٢- روى عن أبي ذر رضي الله عنه في تفسير الآية، قال: رأى النبي صلى الله عليه وسلم رَبَّهُ، وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: إنَّ الله اصطفى إبراهيم بالخلَّةِ، واصْطَفَى مُوسَى بِالكَلَامِ، واصطفى محمد بالرُّؤْيَةِ، وعَن ابنِ عباس رضي الله عنه قال: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ أي: لقد رأى محمد ربه[٤].

٣- وحُكِيَ أن الحسن كان يحلف بالله لقد رأى محمد ربه[٥]، ورواية أبي هريرة قد روي عنه ما يعارضها، فقد حكي ابن إسحاق أن مَرْوَانَ سَألَ أَبَا هُرَيْرَةَ، هل رأى مُحَمَّدٌ رَبَّهُ؟ فقال: نعم.

٤- وحَكَى عبد الله بن أحمد بن حنبل[٦]، عن أبيه، أنه قال: رآه، وعن ابن عطاء في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾[٧]، قال: شرح صدره للرؤية، وشرح صدر موسى للكلام.

٥- وقال القاضي أبو الفضل: والحق الذي لا امتراء فيه: أنَّ رُؤْيَتَه تعالى في الدنيا جائِزَةٌ عَقْلاً، وَلَيْسَ فَي العَقْلِ مَا يُحِيْلُها[٨].

---

[١] هو محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب، من بني زهرة، من قريش، تابعي من كبار الحفاظ والفقهاء مدني سكن الشام، هو أول من دون الأحاديث النبوية، ودون معها فقه الصحابة، توفي (سنة ١٢٤ هـ). «الأعلام» للزركلي (ج٧ ص٣١٧).

[٢] «الروض الأنف» (ج١ ص١٩٣).

[٣] «العلل المتناهية»، كتاب التوحيد الجزء الثاني: باب ذِكْرِ أخْبَارٍ رُوِيَت عن عائشة رضي الله عنها، (ص: ٥٦١)، و«الشفا» للقاضي عياض (ج١ ص١٩٦).

[٤] «تفسير الطبري» (ج١١ ص٥١٢)، و«الفصول في السيرة» (ج١ ص٢٨١).

[٥] «الشريعة» (ج١ ص٤٩٥).

[٦] هو: أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، أبو عبد الله، من بني ذهل بن شيبان الذين ينتمون إلى قبيلة بكر بن وائل . إمام المذهب الحنبلي، وأحد أئمة الفقه الأربعة . أصله من مرو، وولد ببغداد . امتحن في أيام المأمون والمعتصم ليقول بخلق القرآن فأبى. ولما توفي الواثق وولي المتوكل أكرم أحمد، ومكث مدة لا يولي أحدًا إلا بمشورته، له المسند وفيه ثلاثون ألف حديث والمسائل والأشربة وفضائل الصحابة توفي (سنة: ٢٤١ هـ) يراجع: «الأعلام» للزركلي (ج١ ص١٩٢).

[٧] سورة الشرح، آية: (١).

[٨] «الشفا» للقاضي عياض (ج١ ص١٩٨)، و«الشريعة» (ج١ ص٤٩٥).

والدليل على جوازها في الدنيا: سؤال موسى عليه السلام لها، ومُحَالٌ أنْ يَجْهَلَ نَبِيٌّ ما يجوز على الله، وما لا يجوز عليه؛ بل لم يسأل إلا جائزًا غَيْرَ مُسْتَحيل، ولكن وقوعه ومشاهدته من الغيب الذي لا يعلمه إلا مَن عَلَّمَهُ الله، فقال له الله تعالى: ﴿لَنْ تَرَانِي﴾ [1]، أي لن تطيق، ولا تحتمل رؤيتي، ثم ضرب له مثلاً مما هو أقوى مِن بِنْيَةِ موسى وأثبت، وهو: الجَبَلُ.

وَكُلُّ هذا ليس فيه ما يُحِيْلُ رؤيته في الدنيا؛ بل فيه جوازها على الجملة، وليس في الشرع دليل قاطع على استحالتها ولا امتناعها؛ إذ كل موجود فرؤيته جائزة غير مستحيلة.

ولا حجة لمن استدل على منعها بقوله تعالى: ﴿لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ﴾ لاختلاف التأويلات في الآية، وإذ ليس يقتضي قول من قال بعدم الوقوع في الدنيا: الاستِحَالَة[2].

وقد استدل بعضهم بهذه الآية نفسها على جواز الرؤية، وعدم استحالتها على الجملة، وقد قيل: لا تدركه أبصار الكفار، وقيل لا تدركه الأبصار: لا تحيط به، وهو قول ابن عباس، وقد قيل: لا تدركه الأبصار، وإنما يدركه المُبْصِرُون، وكل هذه التأويلات لا تقتضي منع الرؤية ولا استحالتها، وكذلك لا حجة لهم بقوله تعالى: ﴿لَنْ تَرَانِي﴾ ، وقوله: ﴿تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ [3] لِمَا قدَّمناه؛ ولأنها ليست على العموم؛ ولأن مَن قال: معناها: لن تراني في الدنيا؛ إنما هو تأويل، وقوله: ﴿ تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ ، أي: مِن سُؤالِي مَا لَم تُقَدِّرْهُ لِي.

وقوله: ﴿ لَنْ تَرَانِي﴾، أي: ليس لِبَشَرٍ أن يطيق أن ينظر إلَيَّ في الدنيا، وأنه مَن نَظَر إلَيَّ مَاتَ[4].

قال القاضي عياض: وقد رأيت لبعض السلف والمتأخرين ما معناه: إن رؤية تعالى في الدنيا ممتنعة، لِضَعْفِ تَرْكِيب أهل الدنيا، وقُواهم[5].

---

[1] سورة الأعراف آية: (١٤٣).

[2] «الشريعة» (ج١ ص٤٩٥)، و«الفصول في السيرة» (ج١ ص٢٨٩).

[3] سورة الأعراف آية: (١٤٣).

[4] «الفصول في السيرة» (ج١ ص٢٩١).

[5] «الشفا» للقاضي عياض (ج١ ص١٩٩).

وقد ذكر القاضي أبو بكر – في أثناء أجوبته عن الآيتين – ما معناه: إن موسى عليه السلام رأى الله، فلذلك خَرَّ صَعِقًا، وإنَّ الجَبَلَ رَأى رَبَّهُ فَصَارَ دَكًا بإدراكٍ خَلَقَهُ الله لَهُ واستنبط ذلك، والله أعلم، من قوله: ﴿وَلَكِنْ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنْ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكّاً وَخَرَّ مُوسَى صَعِقاً ﴾[1]، وتجلِّيه للجَبَلِ هُو ظُهُورُهُ لَهُ حَتَّى رَآه على هذا القول.

وقال جعفر بن محمد [2]: شَغَلَه بِالجَبَل حَتَّى تجلى، ولولا ذلك لمات صَعِقًا بِلا إفاقة، وقوله هذا يدل على أن مُوسى رآه.

وقد وقع لبعض المفسرين – في الجبل – أنه رآه، وبرؤية الجبل له استدل من قال برؤية محمد نبينا له، إذ جعله دليلاً على الجواز، ولا مِرْيَةَ فِي الجواز؛ إذ ليس في الآيات نَصٌّ بِالمنع[3].

وأما وجوبه لنبينا ﷺ، والقولُ بأنَّه رَآه بِعَيْنِه: فَلَيْسَ فِيه دَلِيلٌ قَاطِعٌ وَلَا نَصٌّ؛ إذ المُعَوَّلُ فِيه على آيَتَيِ النَّجْمِ، والتنازُعُ فِيْهِمَا مَأثور، والاحتمال لَهُمَا مُمْكِنٌ، ولا أثرَ قَاطِعٌ مُتَوَاتِرٌ عن النبي ﷺ بذلك[4].

وأما حديث ابن عباس فخبَرٌ عن اعتقاده،لَم يُسْنِدْهُ إلى النبي ﷺ وحديث معاذ مُحْتَمِلٌ للتأويل، وهو مُضْطَرِبُ الإسناد والمتن.

وحديث أبي ذر مُخْتَلِفٌ مُحْتَمِلٌ مُشْكِلٌ،حيث رُوِيَ: «**نُورٌ آنَّي أرَاهُ**»، وفي حديثه الآخر: سألته، فقال: «**رَأيْتُ نُوْرًا**»، وليس يُمْكِنُ الاحتجاج بواحد منها على صحة الرؤية، فإن كان الصحيح: (رأيتُ نورًا) فهو قد أخْبَرَ أنه لَم ير الله، وإنما رأى نورًا منعه وحجبه عن رؤية الله، وإلى هذا يرجع قوله: (نُورٌ أنَّى أرَاه) أي: كيف أراه مع حجاب النور المُغْشِي للبَصَرِ، وهذا مثل

---

[1] سورة الأعراف آية: (١٤٣).

[2] هو: جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، أبو عبد الله، الهاشمي، المدني الملقب الصادق أمه أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، كان من سادات أهل البيت فقهًا وعلمًا وفضلاً. توفي(سنة: ١٤٨ هـ).
يراجع: «تهذيب التهذيب» (ج٢ ص١,٣)، و«تهذيب الأسماء واللغات» (ج١ ص١٤٩).

[3] «الشفا» (ج١ ص٢٠٠ – ١,٢).

[4] «الفصول في السيرة» (ج١ ص٢٩١).

ما في الحديث الآخر: «**حِجَابُهُ النُّورُ**»، وفي الحديث الآخر: «**لَم أرَهُ بِعَيْنِي، وَلَكن رَأيْتُهُ بِقَلْبِي مَرَّتَيْنِ، وَتَلَا: ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴾**»، والله قادر على خلق الإدراك الذي في البَصر في القلب، أو كيف شاء، لا إله غيره، فإن ورد حديث نَصٌّ بَيِّنٌ فِي الباب اعتُقِدَ ووَجَبَ المَصِيْرُ إليه؛ إذ لا استِحَالَةَ فيه، ولا مانِعَ قَطْعِي يَرُدُّه[1].

ورَجَّحَ ابنُ تَيْمِيَةَ أنه ﷺ لَم يَرَهُ فقال: وقد اتفق المسلمون على أن النبي ﷺ لم يَرَ رَبَّهُ بَعَيْنَيْهِ في الأرْضِ[2].

ثم رد علي الآراء الأخرى فقال: وأما قول ابن عباس: «أنه رآه بفؤاده مرتين» فإن كان استناده إلى قوله تعالى: ﴿ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴾[3] ثم قال: ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴾[4]، والظاهر أنه مستنده فقد صح عنه ﷺ أن هذا المرئي جِبْرِيلُ، رَآه مرتين في صورته التي خُلِقَ عليها، وقَوْلُ ابنِ عَبَّاس هذا هو مستند الإمام أحمد في قوله: رآه بفؤاده[5].

وأما قوله تعالى في سورة النجم: ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴾ فهُوَ غَيْرُ الدُّنُوِّ والتَّدَلِّي فِي قصة الإسراء فإن الذي في (سورة النجم) هو: دُنُوُّ جبريل وتَدَلِّيهِ، كما قالت عائشة وابن مسعود والسياق يدل عليه فإنه قال ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴾[6] وهو جبريل: ﴿ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٧ ثُمَّ فَتَدَلَّىٰ دَنَا ﴾[7] فالضمائر كلها راجعة إلى هذا المُعَلِّمِ الشَّدِيدِ القُوَى، وهُوَ ذُو

---

[1] «الشفا» للقاضي عياض (ج١ ص٢,٢).

[2] «مجموع الفتاوى» (ج٣ ص٣٨٧).

[3] سورة النجم، آية: (١١).

[4] سورة النجم، آية: (١٣).

[5] «زاد المعاد» (ج٣ ص٣).

[6] سورة النجم، آية: (٥).

[7] سورة النجم، آية: (٦)، (٨).

المِرَّةِ، أي: القُوَّةِ، وهو الذي استوى بالأفق الأعلى، وهو الذي دنى فتدلى، فكان من محمد ﷺ قَدْرَ قَوْسَيْنِ أوْ أدْنَى، فأما الدُّنُوُّ والتَّدَلِّي الذي في حديث الإسراء فذلك صريح في أنه دُنُوُّ الرَّبِّ تبارك، وتدليه، ولا تَعَرُّضَ في (سورة النجم) لذلك؛ بل فيها أنه: ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾ وهذا هو جِبْرِيل رآه محمد ﷺ على صورته مرتين: مرة في الأرض ومرة عند سدرة المنتهى[1] .

١٣) مِنْ خَصَائِصِهِ الإعْجَازِيَّة ﷺ: أن الله نصره على الأعداء بالرُّعْبِ.

وهذه خصيصة له ﷺ لَم تثبت لأحد من الأنبياء قبله ﷺ من غير خلاف، وكما هو ظاهر النص الشريف[2]، **ويؤيد ذلك ما يلي:**

١- قوله تعالى: ﴿سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ [3].

٢- وعن النبي ﷺ فيما رواه: أبو ذر، وابن عمر، وابن عباس، وأبو هريرة، وجابر بن عبد الله رضي الله عنهم أنه قال: «**أعْطِيْتُ خَمْساً - وفي بعضها: سِتًّا - لَم يُعْطَهُن نَبِيٌّ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيْرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَت لِيَ الأرْضُ مَسْجِداً وَطَهُوْراً، وَأيُّمَا رَجُلٍ مِن أمَّتِي أدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ، وأُحِلَّت لِيَ الغَنَائِمُ، وَلَم تَحِلَّ لِنَبِيٍّ قَبْلِي، وَبُعِثْتُ إلَى النَّاسِ كَافَّةً، وَأُعْطِيْتُ الشَّفَاعَةَ**»[4].

وهذا مما خُصَّ به عَلَى سَبِيْلِ التَّفْضِيلِ، كما هو نَصُّ الحَدِيث: «فُضِّلْتُ عَلَى الأنْبِيَاء»، وهي من معجزاته ﷺ بلا خلاف؛ لأن الله أعطاه إياها، وتحدى بها، فهي ليست في مقدور أحد الإتيان بها

---

[1] «زاد المعاد» (ج٣ ص٣)، و«غاية السول في خصائص الرسول ﷺ» (ج١ ص٦٣ - ص٦٥).

[2] انظر: صحيح البخاري، كتاب الجهاد، باب: نصرت بالرعب.

[3] سورة الأنفال، آية: (١٢).

[4] أخرجه البخاري، كتاب التيمم، رقم: (٣٢٨) (ج١ ص١٢٨)، ومسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم: (٥٢١) (ج١ ص٣٧٠).

من عند نفسه، وإنما هي فعل الله، وعطاء الله الذي يعطيه مَن شَاءَ؛ لِيُكْرِمَ بِه من شاء، على من شاء، بما شاء، وكيف شاء سبحانه.

١٤) مِنْ خَصَائِصِهِ الإِعْجَازِيَّةِ ﷺ: أن الله أخَذَ المِيْثَاقَ عَلَى النبيين أن يُؤْمِنُوا به ﷺ.

اتفق العلماء على: أن الله أخذ ميثاق النبيين أجمعين على الإيمان بالنبي محمد ﷺ، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنْ الشَّاهِدِينَ﴾ [١]، هذه واحدة من خصائصه الإعجازية، والتي لم يجعلها الله لأحد إلا للنبي ﷺ دون غيره من الأنبياء جميعًا، وهي تعني التكريم والتفضيل الذي ليس لأحد إلا النبي ﷺ، كأنَّهُ لا يمكن لنبي أن يكون نبيًا إلا بعد أن يؤمن هو بالنبي محمد ﷺ فهو نَبِيُّ الأنبياء، **قال ابن كثير**: قال علي بن أبي طالب، وابن عمه ابن عباس رضي الله عنهما: مَا بَعَثَ الله نبيًا من الأنبياء إلا أخَذَ عَلَيْهِ الميثاق: لَئِنْ بَعَثَ الله مُحَمَّدًا وهو حَيٌّ لَيُؤْمِنَنَّ به وَيَنْصُرَنَّهُ، وأمَرَهُ أن يأخُذَ الميثاق على أمَّتِهِ: لَئِن بُعِثَ مُحَمَّدٌ وَهُم أحْيَاءُ لَيُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَيَنْصُرُنَّهُ[٢].

وقال طاوس[٣]: أخَذَ الله مِيثَاق النبيين أن يُصَدِّقَ بعضُهُم بعضاً، وهذا لا يضاد ما قاله علي وابن عباس ولا يَنْفِيه؛ بل يستلزمه ويقتضيه[٤].

وكل ذلك من أجل الإيمان به ﷺ، وعن عبد الله بن ثابت قال: «جاء عمر إلى النبي ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي مَرَرْتُ بِأَخٍ لِي مِنْ قُرَيْظَةَ، فَكَتَبَ لِي جَوَامِعَ مِنَ التَّوْرَاةِ أَلَا أَعْرِضُهَا عَلَيْكَ؟

---

[١] سورة آل عمران، آية: (٨١).

[٢] «تفسير ابن كثير» (ج١ ص٥,٢).

[٣] هو: طاوس بن كيسان الخولاني الهمداني بالولاء، أبو عبد الرحمن، أصله من الفرس، مولده ومنشؤه في اليمن، من كبار التابعين في الفقه ورواية الحديث، كان ذا جرأة على وعظ الخلفاء والملوك، توفي حاجا بالمزدلفة أو منى (سنة: ١,٦ هـ)، وصلى عليه أمير المؤمنين هشام أبن عبد الملك. يراجع: «تهذيب التهذيب» (ج٥ ص٨)؛ ووفيات الأعيان (ج١ ص٢٣٣).

[٤] «الفصول في السيرة» (ج١ ص٢٨١)، و«عظم قدره» (ص: ٢٩).

قَالَ: فَتَغَيَّرَ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: فَقُلْتُ لَهُ: أَلَا تَرَى مَا بِوَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ فَقَالَ عُمَرُ: رَضِينَا بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ رَسُولًا، قَالَ: فَسُرِّيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ قَالَ: **«وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ أَصْبَحَ فِيكُمْ مُوسَى؛ ثُمَّ اتَّبَعْتُمُوهُ وَتَرَكْتُمُونِي لَضَلَلْتُمْ، إِنَّكُمْ حَظِّي مِنَ الْأُمَمِ، وَأَنَا حَظُّكُمْ مِنَ النَّبِيِّينَ»**[1].

وعن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: **«لَا تَسْأَلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ عَنْ شَيْءٍ، فَإِنَّهُمْ لَنْ يَهْدُوكُمْ، وَقَدْ ضَلُّوا، فَإِنَّكُمْ إِمَّا أَنْ تُصَدِّقُوا بِبَاطِلٍ، أَوْ تُكَذِّبُوا بِحَقٍّ، فَإِنَّهُ لَوْ كَانَ مُوسَى حَيًّا بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ، مَا حَلَّ لَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي»**[2].

فالرسول محمد خاتم الأنبياء صلوات الله وسلامه عليه دائمًا إلى يوم الدين، المقدم على الأنبياء كلهم، الذي نسخ الله برسالته الرسالات السابقة كلها؛ ولهذا كان إمامهم ليلة الإسراء لَمَّا اجتمعوا ببيت المقدس، وكذلك هو الشفيع في المحشر في إتيان الرب ﷻ، لفصل القضاء بين عباده، وهو صاحب المقام المحمود الذي لا يليق إلا له، والذي يحيد عنه أولو العزم من الأنبياء والمرسلين،حتى تنتهي النوبة إليه، فيكون هو المخصوص به صلوات الله وسلامه عليه، فناسب ذلك أن يكون الأنبياء أول من يؤمنوا به، وأن يؤخذ عليهم الميثاق بذلك؛ وليبشروا به أقوامهم.

وهذا المعنى لم يكن لأحد إلا للنبي ﷺ، فاجتمع فيه من وجوه الإعجاز والخصوصية له ﷺ ما يدل على تفضيله وتعظيمه ﷺ على الأنبياء والخلق جميعًا.

قال الإمام البغوي[3] في تفسيره للآية: وقال بعضهم: أخذ الله الميثاق على النبيين وأُمَمِهِم جميعاً في أمر محمد ﷺ، فاكتفى بذكر الأنبياء؛ لأن العهد مع المتبوع عهد على الأتباع، وهذا معنى

---

[1] أخرجه أحمد في «مسنده»، حديث عبد الله بن ثابت ﷺ، رقم: (١٥٩,٣) (ج٣ ص٤٧٠).

[2] أخرجه أحمد في مسنده، مسند جابر بن عبد الله ﷺ، رقم (١٤٦٧٢) (ج٣ ص٣٣٨)، وقال الأرنؤوط: «إسناده ضعيف لضعف مجاهلد : وهو ابن سعيد»، وفي «مسند أبي يعلى»، تابع مسند جابر، رقم (٢١٣٥) (ج٤ ص١,٢)، و«عظم قدره» (ص: ٣٠).

[3] البغوي: هو الحسين بن مسعود بن محمد، الفراء، البغوي، شافعي، فقيه، محدث، مفسر، نسبته إلى (بغشور) من قرى خراسان بين هراة ومرو. (ت: ٥١٦ هـ)، من مصنفاته: «التهذيب» في فقه الشافعية؛ و«شرح السنة» في الحديث؛ و«معالم التنزيل» في التفسير ، ترجمته في: «الأعلام» للزركلي (ج٢ ص٢٨٤)؛ و«ابن الأثير» (ج٦ ص١,٥).

قول ابن عباس، وقال علي بن أبي طالب: لَم يَبْعَث الله نبياً – آدم ومن بعده – إلا أخذ عليه العهد في أمْرِ مُحَمَّدٍ، وأخذ العهد على قومه ليؤمنن به، ولئن بُعِثَ وَهُم أحْيَاءُ لَيَنْصُرُنَّهُ.

والمعنى: {ثُمَّ جَاءَكُم رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُم}، يعني: محمدًا ﷺ، ﴿ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ ﴾، يقول الله تعالى للأنبياء حين استخرج الذرية من صلب آدم عليه السلام والأنبياء فيهم كالمصابيح والسُّرُجِ، وأخذ عليهم الميثاق في أمر محمد ﷺ، قال:﴿ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي﴾[1]، أي: قَبِلْتُم على ذلكم عهدي، والإصْرُ: العهد الثقيل، ﴿قالوا أقررنا ﴾، قال الله تعالى: ﴿ فَاشْهَدُوا﴾ ، أي: فاشهدوا أنتم على أنفسكم وعلى أتباعكم، ﴿ وَأَنَا مَعَكُمْ مِنْ الشَّاهِدِين﴾ عليكم وعليهم[2].

١٥) مِنْ خَصَائِصِهِ الإعْجَازِيَّةِ: خاتِم النُّبُوَّة الذي خصه الله به دون غيره:

وخاتِم النبوة: بكسر التاء أي: فاعل الختم، وهو الإتمام والبلوغ إلى الآخر[3]، وبفتح التاء بمعنى: الطابع، ومعناه: الشيء الذي هو دليل على أنه لا نبي بعده[4].

ووجه الخصوصية أنه: لم يكن لأحد من الأنبياء ذلك.

ووجه الإعجاز أن: ذلك ليس من فعل البشر، ولا من مقدورهم، ولن يستطيعوا عليه، فهو أمر جعله الله تعالى لحبيبه زيادة في تعظيمه، وتفضيله على غيره؛ وليقيم به الحجة على كل من كذبه، وخالفه، وقد كان من علاماته في الكتب السابقة؛ ولهذا أسلم كثير من الناس برؤياه؛ لأنه من علاماته.

---

[1] سورة آل عمران، آية: (٨١).

[2] «تفسير البغوي» (ج١ ص٦١).

[3] «فتح الباري» (ج٦ ص٥٦٣).

[4] «الفصول في السيرة» (ج١ ص٢٨١)، و«عظم قدره» (ص: ١٤٦).

ونقل العَيْنِيُّ[1] عن القاضي البيضاوي[2]: خاتم النبوة أثر بين كتفيه نُعِتَ به، وكان علامة يُعْلَمُ بها أنه النبي الموعود، وصيانة لنبوته عن تَطَرُّقِ القدح إليها، وهل ولد النبي ﷺ بخاتم النبـــوة؟ أو وضع حين ولد؟ أو ثم شق صدره؟ أوحين نبيء؟[3].

أقوال: قال الحافظ: أثبتها الثالث، وبه جزم عياض[4].

وجاء في صحيح البخاري وصفه بأنه: مثل زِرِّ الحَجَلَةِ، فعن السائب بن يزيد يقول: ذهبـــت بي خالتي إلى النبي ﷺ، فقالت: يا رسول الله إن ابن أختي وجع، فمسح رأسي، ودعا لي بالبركة، ثم توضأ، فشربت من وضوئه ثم قمت خلف ظهره، فنظرت إلى خاتم النبوة بين كتفيـــه مثـــل زر الحَجَلَةِ[5] وعن جابر بن سمرة ﷺ: كأنه بيضة حمامة[6].

و عن عبد الله بن سرجس قال: رأيت النبي ﷺ، وأكلت معه خبزًا ولحمًا، أو قال ثريدًا، قـــال: فقلت له أستغفر لك النبي ﷺ؟ قال: نعم، ولك، ثم تلا هذه الآية: ﴿ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ

---

[1] هو: محمود بن أحمد بن موسى، أبو الثناء وأبو محمد، قاضي القضاة بدر الدين العيني، أصله من حلب، ومولده في عينتاب (وإليها نسبته): فقيه حنفي، ومؤرخ من كبار المحدثين، تفقه على والده، وكان فصيحًا باللغتين العربية والتركية. برع في الفقه والتفسير والحديث واللغة والتاريخ وغيرها من العلوم، دخل القاهرة، وولي الحسبة مرارًا، ولي عدة تداريس ووظائف دينية، أفتى ودرّس وأكب على الاشتغال إلى أن ولي نظر السجون ثم قضاء قضاة الحنفية بالديار المصرية، توفي (سنة: ٨٥٥ هـــ). مِن تصانيفه: عمدة القارئ في شرح البخاري؛ والبناية في شرح الهداية. يراجع: «الجواهر المضية» (ج٢ ص١٦٥)، و«الفوائد البهية» (ص: ٢,٧)، و«شذرات الذهب» (ج٧ ص٢٨٦).

[2] هو: عبد الله بن عمر بن محمد بن علي، ناصر الدين، أبو سعيد، البيضاوي، الشيرازي، الشافعي، والبيضاوي نسبة إلى البيضاء قرية من عمل شيراز: فقيه، مفسر، أصولي، محدث، ولي قضاء القضاة بشيراز، توفي (سنة: ٦٨٥ هـــ)، من تصانيفه: منهاج الأصول إلى علم الوصول، والغاية القصوى في دراسة الفتوى، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل، وشرح مصابيح السنة. يراجع: «طبقات الشافعية» (ج٥ ص٥٩)، و«البداية والنهاية» (ج١٣ ص٣,٩)، و«مرآة الجنان» (ج٤ ص٢٢).

[3] «عمدة القاري» (ج٣ ص٧٨٠)، و«تحفة الأحوذي» (ج١٠ ص٨٧).

[4] «شرح النووي على صحيح مسلم» (ج ١٥ ص٩٨)، و«دلائل النبوة» للأصبهاني (ج١ ص٣١).

[5] أخرجه البخاري، كتاب الوضوء، باب استعمال فضل وضوء الناس، رقم: (١٨٧) (ج١ ص٨١)، وأخرجه مسلم في الفضائل، باب إثبات خاتم النبوة وصفته ومحله، رقم: (٢٣٤٥).

[6] أخرجه مسلم، كتاب الفضائل، باب إثبات خاتم النبوة وصفته ومحلة ﷺ، رقم: (٢٣٤٤)، (ج٤ ص١٨٢٢).

وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾ [1] قال: ثم دُرْتُ، فَنَظَرْتُ إلى خاتم النبوة بين كتفيه عند ناغض كتفه اليسرى جمعًا عليه خيلان كأمثال الثآليل[2].

قال الجمهور: الناغض أعلى الكتف، وقيل: هو العظم الرقيق الذي على طرفه، وقيل: ما يظهر منه عند التحرك، سمي ناغضًا؛ لتحركه «جمعًا» معناه: أنه كجَمْعِ الكَفِّ، وهو صورته بعد أن تجمع الأصابع وتَضُمَّها، «خيلان» جمع خال وهو: الشامة في الجسد، «الثآليل» جمع ثُؤلُول، وهي: حبيبات تعلو الجسد[3].

وقال ابن حجر: وأما ما وَرَدَ مِن أنَّها كانت كأثر مِحْجَمٍ، أو كالشامة السوداء، أو الخضراء أو مكتوب عليها محمد رسول الله، أو: سِر فَأنْتَ المَنْصُورُ، أو نحو ذلك: فلم يثبت منها شيء، والحق ما ذكرته، ولا تغتر بما وقع منها في صحيح ابن حبان، فإنه غفل حيث صَحَّح ذلك[4].

ونقل ابن حجر عن القرطبي[5] قوله: اتفقت الأحاديث الثابتة على أن خاتم النبوة كان شيئًا بارزًا أحمر في كتفه الأيسر قدره قدر بيضة الحمامة[6].

والسر في ذلك أن: القلب في تلك الجهة، وقال السُّهَيْلِيُّ: وضع خاتم النبوة عند نغض كتفه ﷺ؛ لأنه معصوم من وسوسة الشيطان، وذلك الموضع يدخل منه الشيطان[7].

---

[1] سورة محمد، آية: (١٩).

[2] أخرجه مسلم، كتاب الفضائل، باب إثبات خاتم النبوة وصفته ومحلة من جسده ﷺ، رقم: (٢٣٤٦) (ج٤ ص١٨٢٣).

[3] صحيح مسلم (ج٤ ص١٨٢٣).

[4] «فتح الباري» لابن حجر (ج٦ ص٥٦٣).

[5] هو: محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فَرْح: أندلسي من أهل قرطبة، أنصاري، من كبار المفسرين، رحل إلى المشرق واستقر بمنية ابن الخصيب (شمالي أسيوط - بمصر) وبها توفى (سنة: ٦٧١ هـ)، من تصانيفه: الجامع لأحكام القرآن؛ والتذكرة بأمور الآخرة ؛ والأسنى في شرح الأسماء الحسنى، يراجع: «الديباج المذهب» (ص: ٣١٧)؛ و«الأعلام» للزركلي (ج٦ ص٢١٨).

[6] «فتح الباري» لابن حجر (ج٦ ص٥٦٣).

[7] «فتح الباري» (ج٦ ص٥٦٧)، و«غاية السول في خصائص الرسول ﷺ» (ج١ ص٦٣).

١٦) من خصائصه الإعجازية: تَشْدِيدُ الحِرَاسَةِ عَلَى السَّمَاءِ بِمَوْلِدِه ﷺ.

من خصائصه حراسة السماء من استراق السمع بالمبعث الشريف[١]، وقد بَيَّنَ الله هذه الخصيصة في القرآن عندما أخبر عن الجن قولهم حين بعث النبي ﷺ: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَساً شَدِيداً وَشُهُباً (٨) وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعْ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَاباً رَصَداً﴾[٢].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت يا رسول الله: إن الكُهَّانَ قَد كانوا يُحَدِّثُونَنَا بالشيء، فيكون حقًا. قال: «**تِلْكَ الكَلِمَةُ مِن الحَقِّ يَخْطِفُهَا الجِنِّيُّ فَيَقْذِفُهَا فِي أذُنِ وَلِيِّهِ، فَيَزِيْدُ فِيها أكْثَرَ مِن مِائَةِ كِذْبَةٍ**»[٣].

وعن ابن عباس قال: أَخْبَرَنِي رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ الْأَنْصَارِ، أَنَّهُمْ بَيْنَمَا هُمْ جُلُوسٌ لَيْلَةً مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ رُمِيَ بِنَجْمٍ فَاسْتَنَارَ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَاذَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، إِذَا رُمِيَ بِمِثْلِ هَذَا؟**» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، كُنَّا نَقُولُ وُلِدَ اللَّيْلَةَ رَجُلٌ عَظِيمٌ، وَمَاتَ رَجُلٌ عَظِيمٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**فَإِنَّهَا لَا يُرْمَى بِهَا لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ، وَلَكِنْ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى اسْمُهُ، إِذَا قَضَى أَمْرًا سَبَّحَ حَمَلَةُ الْعَرْشِ، ثُمَّ سَبَّحَ أَهْلُ السَّمَاءِ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، حَتَّى يَبْلُغَ التَّسْبِيحُ أَهْلَ هَذِهِ السَّمَاءِ الدُّنْيَا**» ثُمَّ قَالَ: «**الَّذِينَ يَلُونَ حَمَلَةَ الْعَرْشِ لِحَمَلَةِ الْعَرْشِ: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ فَيُخْبِرُونَهُمْ مَاذَا قَالَ: قَالَ فَيَسْتَخْبِرُ بَعْضُ أَهْلِ السَّمَاوَاتِ بَعْضًا، حَتَّى يَبْلُغَ الْخَبَرُ هَذِهِ السَّمَاءَ الدُّنْيَا، فَتَخْطَفُ الْجِنُّ السَّمْعَ فَيَقْذِفُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ،**

---

[١] «الخصائص الكبرى» (ج١ ص١٨٠).

[٢] سورة الجن، آيات: (٨)، (٩).

[٣] أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب: قول الرجل للشيء ليس بشيء، وهو ينوي أنه ليس بحق، رقم: (٥٨٥٩)، وأخرجه مسلم، كتاب السلام، باب تحريم الكهانة، رقم: (٢٢٢٨)، (ج٤ ص١٧٥٠).

وَيُرْمَوْنَ بِهِ، فَمَا جَاءُوا بِهِ عَلَى وَجْهِهِ فَهُوَ حَقٌّ، وَلَكِنَّهُمْ يَقْرِفُونَ فِيهِ وَيَزِيدُونَ»[1]، **وقال الزهري:** ثم إن الله حجب الشياطين عن السمع بهذه النجوم، فانقطعت الكهانة فلا كهانة[2].

وقال أيضا : غَلُظَ أمْرُهَا واشتَدَّ حينَ بُعِثَ النبي ﷺ، كما قالت الجن: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَساً شَدِيداً وَشُهُباً ﴾ أي: زِيْدَ فِي حراسة السماء[3].

ووجه الخصوصية في ذلك: ما قاله ابن عباس رضي الله عنه: لم تكن سَمَاءُ الدنيا تُحْرَسُ في الفَتْرَةِ بين عيسى ومحمد، وكانوا يقعدون منها مقاعد للسمع، فلما بعث الله تعالى محمدًا حرست السماء، فأنكروا ذلك، وقالوا: ﴿ وَأَنَّا لا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَداً ﴾[4]، فهذا يعني أنها لم تكن تُحْرَسُ قَبْلَ البَعْثَةِ مُطلقًا، أو لم تَكُن الحراسة الشديدة حتى بعث ﷺ، فَمُلِئَت حَرَسًا شديدًا وشهبًا[5]، فكان ذلك مِن خصائصه الدالة على عظيم قدره عند رب العالمين[6].

١٧) مِن خَصَائِصِهِ الإعجازية: أنْ جَعَلَ الله لَهُ ولِأُمَّتِهِ الأرض مسجدًا وطهورًا.

وهذه خصيصة ليست لأحد إلا للنبي ﷺ، حيث جعل الله له الأرض كلها موضع سجود، لا يختص السجود منها بِمَوْضِع دون غيره، كما هو نص الحديث، وإن ذلك من الخصائص التي فضل الله بها نبيه ﷺ على الأنبياء، وأنه لا يستطيع أحد أن يَدَّعِيها لنفسه؛ لأنها فعل الله تعالى الذي يفضل من شاء، على من شاء، بما شاء وكيفما شاء.

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب السلام، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان، رقم: (٢٢٢٩) (ج٤ ص ١٧٥٠).

(٢) ذكر ذلك السيوطي في: «الدر المنثور» (ج٨ ص٣,٣).

(٣) «فتح الباري» (ج٨ ص٦٦٩).

(٤) سورة الجن، آية: (١٠).

(٥) صحيح البخاري (ج٥ ص٤٦)، و«عظم قدره» (ص: ٢٣٠).

(٦) «فتح الباري» (ج٨ ص٦٦٩).

وقيل المراد: جُعِلَت لِي الأَرْضُ مسجدًا وطهورًا وجعلت لغيري مسجدًا و لم تجعل طهورًا؛ لأن عيسى كان يُسَبِّحُ في الأرض، حيث أدركته الصلاة.

وقيل: إنما أُبِيْحَت لهم في موضع يتَيَقَّنُونَ طهارته، بخلاف هذه الأمة، فأبيح لها في جميع الأرض، إلا فيما تيقنوا نجاسته.

والراجح والأظهر: ما قاله الخطابي[1]، وهو أن مَن قبله إنما أبيحت لهم الصلوات في أماكن مخصوصة كالبِيَعِ، والصوامع.

ويؤيد ذلك أحاديث كثيرة من أهمها ما يلي:

١- روي عن جابر بن عبد الله: أن النبي ﷺ قال: «**أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِي الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلاَةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِي المَغَانِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً**»[2].

وفي رواية عمرو بن شعيب بلفظ: «**وَكَانَ مَنْ قَبْلِي إِنَّمَا كَانُوا يُصَلُّونَ فِي كَنَائِسِهِم**»، وهذا نص في موضع النزاع مثبت للخصوصية[3].

٢- عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «**أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهَا نَبِيٌّ قَبْلِي: بُعِثْتُ إِلَى الْأَحْمَرِ وَالْأَسْوَدِ، وَإِنَّمَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَأُطْعِمْتُ الْمَغْنَمَ، وَلَمْ يَطْعَمْهُ أَحَدٌ كَانَ قَبْلِي، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، وَلَيْسَ**

---

[1] هو: أبو سليمان الخطابي: أحمد بن محمد بن إبراهيم البستي، من أهل كابل، من نسل زيد بن الخطاب: فقيه محدث، قال فيه السمعاني: إمام من أئمة السنة، توفي (سنة: ٣٨٨هـ)، مِن تآليفه: «معالم السنن» في شرح أبي داود؛ وغريب الحديث، وشرح البخاري، والغنية، يراجع: «معجم المؤلفين» (ج١ ص١٦٦)، و«طبقات الشافعية» (ج٢ ص٢١٨).

[2] سبق تخريجه (ص: ٣٠).

[3] أخرجه أحمد في «مسنده»، مسند عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنهما، رقم: (٧,٦٨)، (ج٢ ص٢٢٢).

مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ أُعْطِي دَعْوَةً فَتَعَجَّلَها، وَإِنِّي أَخَّرْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي، وَهِيَ بَالِغَةٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا»[1].

١٨) مِن خَصَائِصِهِ الإِعْجَازية ﷺ: أنَّ الله غَفَرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذُنْبِهِ ومَا تَأخَّرَ.

مِن الخصائص المحمدية التي مَنَّ الله بها على خير البرية ﷺ، والتي أعطاه إياها على سبيل التعظيم، والتكريم، والإعجاز، والتشريف، والتفضيل، وأنها كرم من الله، وفضل و لم تكن لأحد إلا للنبي ﷺ، فإنه أُعطي ذلك مِن غير ذنب.

بدليل قوله تعالى: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ﴾ ففي هذا الاختصاص أسرار وعطاءات لا يعلمها إلا من أعطاها، وهذا تأهيل من الله لنبيه للمقام المحمود، والشفاعة العظمى، وحتى لا يذهل من كرب يوم القيامة، أو يزلزل من زلزلة الساعة، رفع الله عنه مجرد التفكير في هذا الأمر، بأن طمأن قلبه وهنأه بالمغفرة، وسجل ذلك في القرآن؛ ليكون معجزة باقية إلى يوم الدين **يؤيد ذلك ما رواه** أنس قال: أنزلت على النبي ﷺ: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾[2]، في مرجعه من الحديبية، فقال النبي ﷺ : «**لَقَد أنْزِلَت عَليَّ آيَةٌ أحَبُّ إلَيَّ مِمَّا عَلَى وَجْهِ الأرْضِ**»، ثم قرأها النبي ﷺ عليهم فقالوا: هنيئًا مريئًا يا رسول الله، لقد بَيَّنَ الله لك ماذا يفعل بك، فماذا يفعل بنا؟ فنزلت عليه: ﴿لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا.....﴾ حتى بلغ: :﴿ فَوْزاً عَظِيماً ﴾[3].

---

[1] سبق تخريجه (ص: ٣٠).

[2] سورة الفتح، آية: (٢).

[3] أخرجه الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب: ومن سورة الفتح، رقم (٣٢٦٣) (ج٥ ص٣٨٥)، وقال: «هذا حديث حسن صحيح»، وأخرجه أحمد في مسنده، رقم: (١٢٣٩٧) (ج٣ ص١٣٤).

واختلف أهل التأويل في معنى: {لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأخَّرَ}، فقيل: مَا تَقَـــدَّمَ مِن ذَنْبِكَ قَبْلَ الرسالة، وما تأخر بعدها، قاله مجاهد[1].

قال الطَّبَرِيُّ[2]: هو راجع إلى قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ إلى قوله ﴿تَوَّاباً﴾، ليغفر لك ما تقدم من ذنبك قَبْلَ الرِّسَالَةِ، وما تأخر إلى وقت نزول هذه الآية[3].

وقال سفيان الثوري في معناها: ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك: ما عَمِلْتَهُ في الجاهلية من قبل أن يوحى إليك، وما تأخر يعني: كُل شيء لَم تَعْمَلْهُ[4].

وما قاله الواحِدِيُّ[5]: قال القَاضِي عِياض معلقًا على بدايات سورة الفتح: تضمنت هذه الآيات من فضله: الثناء عليه، وكريم منزلته عند الله تعالى، ونعمته لديه؛ ما يقصر الوصف عن الانتـــهاء إليه، فابتدأ جل جلاله بإعلامه بما قضاه له من القضاء البين بظهوره، وغلبته على عدوه، وعلـــو كلمته وشريعته، وأنه مغفور له، غير مؤاخذ بما كان وما يكون.

قال بعضهم: أراد غفران ما وقع، وما لم يقع، أي: إنك مغفور لك.

وقيل: يفتح مكة والطائف[6].

وقيل: يرفع ذكرك في الدنيا، وينصرك، ويغفر لك، فأعلمه بتمام نعمته عليه بخضوع متكـــبري عدوه له، وفتح أهم البلاد عليه وأحبها له، ورفع ذكره، وهدايته الصراط المستقيم المبلغ الجنـــة،

---

(1) «تفسير القرطبي» (ج١٦ ص٢٢٤).

(2) هو: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير، أبو جعفر . من أهل طبرستان، استوطن بغداد وأقام بها إلى حين وفاته، من أكابر العلماء . كان حافظًا لكتاب الله، فقيهًا في الأحكام، عالمًا بالسُّنن وطرقها، عارفًا بأيام الناس وأخبارهم، رحل من بلده في طلب العلم وهو ابن اثنتي عشرة سنة من تصانيفه: "اختلاف الفقهاء "؛ و"كتاب البسيط في الفقه"؛ و"جامع البيان في تفسير القرآن"؛ و"التبصير في الأصول". توفي (سنة: ٣١٠ هـــ)، يراجع: «الأعلام» للزركلي (ج٦ ص٢٩٤)؛ و«هدية العارفين» (ج٦ ص٢٦».

(3) «تفسير الطبري» (ج٨ ص١٢٩).

(4) «تفسير القرطبي» (ج١٦ ص٢٢٤)، و«تفسير البغوي» (ج١ ص٢٩٧).

(5) «عظم قدره» (ص: ١١)، و«فتح الباري» (ج١ ص٣٣٩).

(6) «الشفا» (ج١ ص٤٩).

والسعادة، ونصره النصر العزيز، ومنته على أمته المؤمنين بالسكينة والطمأنينة، التي جعلها في قلوبهم، وبشارتهم بما لهم بعد، وفوزهم العظيم، والعفو عنهم، والستر لذنوبهم، وهلاك عدوه في الدنيا والآخرة، ولعنهم وبعدهم من رحمته، وسوء منقلبهم، ثم قال: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً * لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴾[1]، فعد محاسنه وخصائصه، من شهادته على أمته لنفسه، بتبليغه الرسالة لهم.

وقيل: شاهداً لهم بالتوحيد، ومبشرًا لأمته بالثواب، وقيل: بالمغفرة ومنذرًا عدوه بالعذاب، وقيل: ينصرونه، وقيل: يبالغون في تعظيمه، ويوقروه، أي: يعظموه[2].

وقرأه بعضهم: تعززوه – بِزَاءَيْنِ –: مِن العِزّ، والأكثر والأظهر أن: هذا في حق محمد ﷺ ثم قال: «وتسبحوه»، فهذا راجع إلى الله تعالى.

وهذا يعني أن الله تعالى جمع للنبي ﷺ في هذه السورة نِعَمًا مُختلفة، من: الفتح المبين؛ وهو من أعلام الإجابة، والمغفرة؛ وهي من أعلام المحبة، وتمام النعمة؛ وهي من أعلام الاختصاص، والهداية؛ وهي من أعلام الولاية، فالمغفرة تبرئة من العيوب، وتمام النعمة إبلاغ الدرجة الكاملة، والهداية، وهي الدعوة إلى المشاهدة[3].

١٩) من خصائصه الإعجازية: أنَّ الله أعْطَاهُ جَوَامِعَ الكَلِمِ.

لا خلاف بين العلماء في أن: الله سبحانه وتعالى بعث الحبيب محمدًا ﷺ بجوامع الكلم، وخصَّهُ ببدائع الحِكَم[4]، وَلَم يَكُن ذَلك لأحد قبله، أو بعده، وجعل ذلك تحديًا للعالمين إلى يوم الدين،

---

[1] سورة الفتح، الآية: (٨)، (٩).

[2] «الشفا» (ج١ ص٤٩).

[3] «الشفا» (ج١ ص٥٠).

[4] «عظم قدره» (ص: ١١٧)، و«فتح الباري» (ج١ ص٣٣٩).

وجعل ذلك من فضائله التي فضله الله بها، فهو الأمي الذي يتكلم بجوامع الكلم، يدل على ذلك ما في الصحيحين: عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الكَلِمِ**»[1].

ومعنى «جوامع الكلم» كما قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: « «جَوَامِعُ الكَلِمِ» - فيما بلغنا - أن: الله تعالى يجمع له الأمور الكثيرة التي كانت تُكْتَبُ في الكتب قبله في الأمر الواحد، والأمرين ونحو ذلك»[2].

وقال الزهري: أن المراد بجوامع الكلم: القرآن، بقرينة قوله: «**بُعِثْتُ**»، والقرآن هو الغاية في إيجاز اللفظ، واتساع المعاني[3].

وهذا يعني: أنه ﷺ كان يتكلم بالقَوْلِ المُوْجَزِ القليلِ اللفظ الكثيرِ المعاني.

وخَرَّجَ الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ قال: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا كَالْمُوَدِّعِ، فَقَالَ: «**أَنَا مُحَمَّدٌ النَّبِيُّ الْأُمِّيُّ**» - قَالَهُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ - «**وَلَا نَبِيَّ بَعْدِي، أُوتِيتُ فَوَاتِحَ الْكَلِمِ وَخَوَاتِمَهُ وَجَوَامِعَهُ**»[4].

ومن أمثلة جوامع الكلام في القرآن ما يلي:

١- قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[5].

٢- وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقِيهِ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْفَائِزُونَ﴾[6].

ومن أمثلة جوامع الكلم من الأحاديث النبوية:

---

[1] أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب قول النبي ﷺ «نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيْرَةَ شَهْرٍ»، رقم: (٢٨١٥) (ج٣، ص١,٨٧)، وأخرجه مسلم في أوائل كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم: (٥٢٣).

[2] «جامع العلوم والحكم» (ج١ ص٤).

[3] «فتح الباري» لابن حجر (ج١٣ ص٢٤٧).

[4] أخرجه أحمد في مسنده، مسند عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنهما، رقم: (٦٦,٦) (ج٢ ص١٧٢).

[5] سورة البقرة، آية: (١٧٩).

[6] سورة النور، آية: (٥٢).

١- عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيْهِ، فَهُوَ رَدٌّ**»[١].

٢- وحديث: «**كُلُّ شَرْطٍ لَيْسَ فِي كِتَابِ اللهِ فَهُوَ بَاطِلٌ**»[٢].

٣- وحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال ﷺ: «**إِذَا أَمَرْتُكُم بِأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُم**»[٣].

٤- وأنه ﷺ قال: «**مَا مَلَأَ ابْنُ آدَمَ وِعَاءً شَرًّا مِن بَطْنِهِ**»[٤].

و ذلك مما يَكْثُرُ بالتَّتَبُّعِ، وإنما يسلم ذلك فيما لم تتصرف الرواة في ألفاظه، والطريقُ إلى معرفة ذلك أن تقل مَخَارِجُ الحديث، وتتفق ألفاظه[٥].

٢٠) من خصائصه الإعجازية: مَا خَصَّهُ اللهُ وأَكْرَمَهُ بِه مِن قِتَالِ الملائكة مَعَهُ.

خَصَّ الله نبيه بأن أنزل الملائكة تقاتل معه في غزوات كثيرة، وقد ثبت ذلك في القرآن الكريم، كما في قوله تعالى: ﴿ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾[٦]، وهذا واضح الدلالة علي المقصود وهي فضيلة ومعجزة للنبي ﷺ.

---

[١] أخرجه البخاري، كتاب الصلح، باب: إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود، رقم: (٢٥٥٠)، وأخرجه مسلم في الأقضية باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور، رقم: (١٧١٨)، (ج٣ ص١٣٤٣)، واللفظ للبخاري.

[٢] أخرجه النسائي، كتاب الطلاق، باب خيار الأمة تعتق وزوجها مملوك، رقم: (٣٤٥١) (ج٦ ص١٦٤)، وأخرجه أحمد في مسنده، حديث السيدة عائشة رضي الله عنها، رقم: (٢٥٨٢٧) (ج٦، ص٢١٣).

[٣] أخرجه البخاري، كتاب الإعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ، رقم (٦٨٥٨) (ج ٦ ص٢٦٥٨)، ومسلم في: الحج، باب: فرض الحج مرة في العمر، وفي: الفضائل، باب: توقيره ﷺ وترك إكثار سؤاله مما لا ضرورة إليه، رقم: (١٣٣٧).

[٤] أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب الرقاق، رقم: (٧٩٤٥) وقال الذهبي في التلخيص: «صحيح».

[٥] «فتح الباري» (ج١٣ ص٢٥٤).

[٦] سورة آل عمران آية: (١٢٥).

ويؤيد ذلك من السنة: ما روي سعد بن أبي وقاص[1]، قال: رأيت عن يمين رسول الله ﷺ، وعَن شِمَالِهِ يومَ أحُدٍ رجلين عليهما ثياب بياض ما رأيتهما قبل، ولا بعد - يعني جبريل وميكائيل عليهما السلام[2]، وفي الرواية الأخرى: أحدهما عن يمينه، والآخر عن يساره يقاتلان عنه كأشد القتال[3].

قال النووي مبينا وجه الخصوصية والإعجاز: وفي الحديث بيان كرامة النبي ﷺ عند الله تعالى وإكرامه إياه بإنزال الملائكة تقاتل معه، وبيان أن الملائكة تقاتل، وأن قتالهم لم يختص بيوم بدر وهذا هو الصواب، خلافًا لمن زعم اختصاص يوم بدر بذلك فقط، فهذا صريح في الرد عليه.

ويستفاد من الحديث أمور من أهمها:

١- فضيلة الثياب البيض على غيرها.

٢- أن رؤية الملائكة لا تختص بالأنبياء؛ بل يراهم الصحابة والأولياء.

٣- وفيه مَنْقَبَةٌ لسعد بن أبي وقاص الذي رأى الملائكة[4].

---

[1] هو سعد بن مالك، واسم مالك أهيب بن عبد مناف بن زهرة، أبو إسحاق، قرشي، من كبار الصحابة، أسلم قديما وهاجر، وكان أول من رمى بسهم في سبيل الله، وهو أحد الستة أهل الشورى، وكان مجاب الدعوة، تولى قتال جيوش الفرس وفتح الله على يديه العراق، اعتزل الفتنة أيام علي ومعاوية، توفي بالمدينة سنة: ٥٥ هـ. «تهذيب التهذيب» (ج٣ ص٤٨٤).

[2] أخرجه مسلم، كتاب الفضائل، باب في قتال جبريل وميكائيل عن النبي ﷺ يوم أحد، رقم: (٢٣,٦) (ج٤، ص١٨,٢).

[3] أخرجه أحمد في مسنده، مسند سعد بن أبي وقاص ﷺ، رقم (١٤٦٨) (ج١ ص١٧١).

[4] «شرح النووي على صحيح مسلم» (ج١٥ ص٦٦).

٢١) **من خصائصه الإعجازية ﷺ: أن ما بين بَيْتِهِ ومِنْبَرِهِ رَوْضَةٌ مِن رِيَاضِ الجَنَّةِ.**

مما خص الله سبحانه وتعالى نبيه، وأكرمه به، و لم يُعْطِهِ أحَدًا من الأنبياء غيره، وَلَم يقدر عليه إلا الله تعالى: أن جعل بَعْضَ مَسْجِدِهِ ﷺ رَوْضَةً من رياض الجنة، وهي الأرض الواقعة ما بين بيته الذي يبيت فيه، ومنبره الذي يخطب عليه ﷺ روضة من رياض الجنة.

فعن عبد الله بن زيد المازني ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: «**مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمِنْبَرِي رَوْضَةٌ مِن رِيَاضِ الجَنَّةِ**»[1] كما أن مِنْبَرَهُ على حوضه ﷺ، وهذا وجه إعجاز آخر.

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمِنْبَرِي رَوْضَةٌ مِن رِيَاضِ الجَنَّةِ، وَمِنْبَرِي عَلَى حَوْضِي**»[2]، وهذا لَم يُجْعَل لنبي قط إلا النبي المصطفى ﷺ حيث لم يرد عن أحد من الأنبياء أن جعل له ما بين بيته ومنبره روضة من الجنة، ولا بجوار قبره روضة من رياض الجنة، وإنما هذا فقط للنبي محمد ﷺ.

وعن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال: «**مَن صَلَّى فِي مَسْجِدِي أَرْبَعِيْنَ صَلَاةً لَا تَفُوتُهُ صَلَاةٌ كُتِبَ لَهُ بَرَاءَةٌ مِنَ النَّارِ، وَبَرَاءَةٌ مِنَ العَذَابِ، وَبَرِئَ مِنَ النِّفَاقِ**»[3].

---

[1] أخرجه البخاري، كتاب أبواب التطوع، باب فضل ما بين القبر والمنبر، رقم (١١٣٧) (ج١ ص٣٩٩)، وبأرقام: (٦٩,٤ – ٦٢١٦ – ١١٣٨ – ١٧٨٩)، ومسلم في الحج، باب ما بين القبر والمنبر روضة من رياض الجنة، رقم: (١٣٩٠)، (ج٢ ص ١٠١).

[2] أخرجه البخاري كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة، باب فضل مابين القبر والمنبر، وفي فضائل المدينة، بأرقام: (١٧٨٩ – ٦٢١٦ – ٦٩,٤)، وأخرجه مسلم في الحج، باب: ما بين القبر والمنبر روضة من رياض الجنة، رقم: (١٣٩١).

[3] أخرجه أحمد في مسنده، مسند أنس بن مالك رضي الله عنه، رقم: (١٢٦,٥) (ج٣ ص٥٥)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (ج٣ ص٦٧٧)، رواه أحمد والطبراني في الأوسط ورجاله ثقات.

٢٢)- من خصائصه الإعجازية: انْشِقَاقُ القَمَرِ لَهُ.

مما خَصَّ الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ أَنَّهُ أعطاه معجزة انشقاق القمر، وذلك عندما طلبت منه قريش أن يُرِيَهُم آية تدل على نبوته ورسالته ﷺ، فانشق القمر فلقتين[١]، فقال رسول الله ﷺ: «**اشْهَدُوا**» وهي معجزة وَرَدَت في القرآن الكريم، فكان وَجْهُ التحدي الدائم بها قائم وخالد إلى يوم القيامة.

ووجه اختصاصه ﷺ بها أن هذه المعجزة لم تكن لأحد إلا له ﷺ **ويؤيد ذلك ما يلي:**

١- قال الله تعالى القمر: ﴿اقْتَرَبَتْ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾[٢].

٢- وعن أنس رضي الله عنه أن: أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية، فأراهم انشقاق القمر[٣].

٣- وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: بينما نحن مع رسول الله ﷺ بِمِنَى، إذ انفلق القمر فلقتين، فكانت فلقة وراء الجبل، وفلقة دونه، فقال لنا رسول الله ﷺ: «**اشهدوا**»[٤].

٤- وعن جبير بن مطعم[١] عن أبيه قال: انشق القمر على عهد النبي ﷺ، حتى صار فرقتين على هذا الجبل، وعلى هذا الجبل، فقالوا: سحرنا محمد، فقال بعضهم لئن كان سحرنا ما يستطيع أني يسحر الناس كلهم[٢].

---

[١] أخرجه البخاري كتاب المناقب باب انشقاق القمر، بأرقام: (٣٦٥٦ - ٣٦٥٨ - ٤٥٨٣ - ٤٥٨٤) (ج٣ ص١٣٣)، ومسلم في صفات المنافقين وأحكامهم، باب انشقاق القمر، رقم (٢٨,٢)، و(آية): معجزة وعلامة خارقة للعادة.

[٢] سورة القمر، آية: (١).

[٣] متفق عليه، واللفظ للبخاري ، زاد في رواية للبخاري: «فَأَرَاهُم القَمَر شقَّتَيْنِ»: أخرجه البخاري، كتاب المناقب، باب: سؤال المشركين أن يريهم النبي ﷺ آية فأراهم انشقاق القمر، رقم (٣٤٣٧) (ج٣ ص١٣٣٠)، وأخرجه مسلم في صفات المنافقين وأحكامهم، باب: انشقاق القمر، رقم (٢٨٠٠) (ج٤ ص٢١٥٧).

[٤] متفق عليه، رواه البخاري كتاب: مناقب الأنصار، باب: انشقاق القمر، (ج٦ ص٦٣١)، رقم (٣٦٣٦)، ومسلم، كتاب صفات المنافقين، باب: انشقاق القمر، رقم: (٢٨٠٠)، (ج٤ ص٢١٥٨).

قال القاضي: انشقاق القمر من أمهات معجزات نبينا ﷺ وقد رواها عدة من الصحابة رضي الله عنهم مع ظاهر الآية الكريمة وسياقها، وقال الزجاج: قد أنكرها بعض المبتدعة المضاهين المخالفي الملة، وذلك لما أعمى الله قلبه، ولا إنكار للعقل فيها؛ لأن القمر مخلوق الله تعالى يفعل فيه ما يشاء كما يفنيه ويكوره في آخر أمره[٣].

قال الإمام الخطابي[٤] رحمه الله مبينًا وجه الخصوصية، وسر الإعجاز: انشقاق القمر آية عظيمة لا يكاد يعدلها شيء من آيات الأنبياء صلوات الله عليهم، وذلك أنه أمر ظهر في ملكوت السماء، خارج عن جملة طباع ما في العالم المركب من الطبائع الأربع، فيُطْمَع في نيله بحيلة وعلاج، وتأليف وتركيب، ونحوها من الأمور التي يتعاطاها المحتالون، ويتصنع لها المتكلفون؛ فلذلك صار الخطب فيه أعظم، والبرهان به أظهر وأبهر[٥].

---

[١] هو جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف، يكنى أبا محمد: صحابي، كان من علماء قريش وسادتهم، وكان يؤخذ عنه النسب، وكان للمطعم عند رسول الله ﷺ يد، قال: «فسمعته يقرأ الطور، فكان ذلك أول ما دخل الإيمان في قلبي» وأسلم جبير بين الحديبية والفتح، له ٦٠ حديثًا، توفي (سنة: ٥٨ هـ). يراجع: «الأعلام» (ج٢ ص١,٣)، و«تهذيب التهذيب» (ج٢ ص٦٣).

[٢] أخرجه الترمذي، كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ، باب من سورة القمر، رقم (٣٢٨٩) (ج٥ ص٣٩٨)، وأحمد في مسنده، حديث جبير بن مطعم رضي الله تعالى عنه، رقم (١٦٧٩٦) (ج٤ ص٨١).

[٣] «صحيح مسلم» (ج٤ ص٢١٥٧).

[٤] هو: حمد بن محمد بن إبراهيم البستي، أبو سليمان من أهل كابل، من نسل زيد بن الخطاب: فقيه محدث، قال فيه السمعاني: إمام من أئمة السنة، من تآليفه: معالم السنن في شرح أبي داود؛ وغريب الحديث؛ وشرح البخاري؛ والغنية. توفي سنة (٣٨٨ هـ). يراجع: «معجم المؤلفين» (ج١ ص١٦٦)؛ و«طبقات الشافعية» (ج٢ ص٢١٨).

[٥] «عمدة القاري» (ج١٦ ص١٦٢).

٢٣) من خصائصه الإعجازية: أنه ﷺ أعطي مفاتيح خزائن الأرض.

ومما خصه الله سبحانه وتعالى به دون غيره من الأنبياء أن أعطاه مفاتيح خزائن الأرض، والخلد فيها ثم الجنة، لكنه ﷺ اختار لقاء ربه تعالى والجنة، وفي هذا من الإعجاز والتعظيم، والتشريف والتفضيل ما لا يعلمه إلا الله تعالى.

يؤيد ذلك ما يلي:

١- عن: أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الكَلِمِ، ونُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وبَيْنَمَا أنَا نَائِمٌ أتِيْتُ بِمَفَاتِيْحِ خَزَائِنِ الأرْضِ، فَوُضِعَت بَيْنَ يَدَيَّ**»[(١)].

٢- وعن أبي هريرة ﷺ قال: عن رسول الله ﷺ قال: «**بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ إِذْ أُوتِيتُ خَزَائِنَ الأَرْضِ، فَوُضِعَ فِي يَدَيَّ سِوَارَانِ مِنْ ذَهَبٍ، فَكَبُرَا عَلَيَّ وَأَهَمَّانِي، فَأُوحِيَ إِلَيَّ أَنِ انْفُخْهُمَا، فَنَفَخْتُهُمَا فَطَارَا، فَأَوَّلْتُهُمَا الكَذَّابَيْنِ اللَّذَيْنِ أَنَا بَيْنَهُمَا: صَاحِبَ صَنْعَاءَ، وَصَاحِبَ اليَمَامَةِ**»[(٢)].

٣- وعن عقبة بن عامر[(٣)] ﷺ أن رسول الله ﷺ خَرَجَ يَوْمًا فَصَلَّى عَلَى أَهْلِ أُحُدٍ صَلَاتَهُ عَلَى الْمَيِّتِ، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى الْمِنْبَرِ فَقَالَ: «**إِنِّي فَرَطٌ لَكُمْ، وَأَنَا شَهِيدٌ عَلَيْكُمْ، وَإِنِّي وَاللهِ لَأَنْظُرُ إِلَى حَوْضِي الْآنَ، وَإِنِّي قَدْ أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ الْأَرْضِ، أَوْ مَفَاتِيحَ الْأَرْضِ، وَإِنِّي، وَاللهِ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا بَعْدِي، وَلَكِنْ أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَتَنَافَسُوا فِيهَا**»[(٤)].

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب قول النبي ﷺ «نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيْرَةَ شَهْرٍ»، رقم (٢٨١٥) (ج٣، ص١,٨٧)، وأخرجه مسلم في أوائل كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم: (٥٢٣).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب وفد بني حنيفة وحديث ثمامة بن أثال، رقم: (٤١١٦)، وأخرجه مسلم في الرؤيا باب رؤيا النبي ﷺ رقم: (٢٢٧٤)، و«شرح النووي» (ج١٥ ص٥٩).

(٣) هو عقبة بن عامر بن عيسى الجهني، يكنى أبا حماد، وقيل غير ذلك، كان قارئًا عالمًا بالفرائض والفقه، قديم الهجرة والسابقة والصحبة، وهو أحد من جمع القرآن، روى عن النبي ﷺ وعمر، ولي إمرة مصر من قبل معاوية (سنة: ٤٤هـ)، توفي في خلافة معاوية لترجمته: «تهذيب التهذيب» (ج٧ ص٢٤٢)، و«الاستيعاب» (ج٣ ص١,٧٣).

(٤) أخرجه البخاري، كتاب الجنائز، باب الصلاة على الشهيد، رقم: (١٢٧٩) (ج١ ص٤٥١)، وله أطراف في: (٣٤,١ - ٣٨١٦ - ٣٨٥٧ - ٦,٦٢ - ٦٢١٨).

٤- وعن أبي مويهبة [١] مولى رسول الله ﷺ قال: بعثني رسول الله ﷺ من جوف الليل، فقال: «**يَا أَبَا مُوَيْهِبَةَ، إِنِّي قَدْ أمِرْتُ أنْ أسْتَغْفِرَ لِأَهْلِ البَقِيْعِ، فَانْطَلِق مَعِي** ... » الحديث، وفيه: ثم أقبل عليّ فقال: «**يَا أَبَا مُوَيْهِبَةَ، إِنِّي قَدْ أوْتِيْتُ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ الدُّنْيَا، وَالخُلْدَ فِيْهَا، ثُمَّ الجَنَّةَ، وَخُيِّرْتُ بَيْنَ ذَلِكَ وَبَيْنَ لِقَاءِ رَبِّي ﷻ وَالجَنَّةَ**»، قال: قلت بأبي أنت وأمي، فخذ مفاتيح الدنيا والخلد فيها ثم الجنة، قال: «**لَا، وَاللهِ يَا أَبَا مُوَيْهِبَةَ، لَقَد اخْتَرتُ لَقَاءَ رَبِّي وَالجَنَّةَ**»، ثم استغفر لأهل البقيع، ثم انصرف، فبدأ رسول الله ﷺ في وجعه الذي قبضه الله ﷻ فيه حين أصبح[٢].

٥- وكما أن الله سبحانه وتعالى أعطاه ﷺ مفاتيح خزائن الأرض، فإنه سبحانه أعطاه مفاتيح كل شيء فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «أُوْتِيْتُ مَفَاتِيْحَ كُلِّ شَيءٍ إِلَّا الخَمْسَ: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾»[٣]، ووجه الاختصاص بَيِّنٌ مِن قَولِه: «وَأُعْطِيتُ»، وقوله: «وأُوْتِيْتُ» وهذا لم يكن لأحد إلا له ﷺ.

٢٤) من خصائصه الإعجازية: أن الله ﷻ تَكَفَّل بِحِفْظِ دِينِهِ ﷺ، الذي أرْسَلَهُ به إلى يوم القيامة.

لقد تكفل الله تعالى بحفظ الإسلام من التغيير والتبديل والتحريف، كما تكفل ببقائه، وهذا لم يكن لِدِينٍ غيره، فوجه الاختصاص والتفضيل فيه: ظاهر؛ لأن الله تعهد بنفسه بالحفظ المستلزم

---

[١] أبو مويهبه، ويقال: أبو موهبه وأبو مهوبه، وهو قول الواقدي - مولى رسول الله ﷺ - قال البلاذُرِيُّ: كَانَ مِن مُوَلّدي مزينة، اشتراه رسول الله ﷺ، فأعتقه وشهد غزوه المريسيع، وكان ممن يقود لعائشة جَمَلَهَا. يراجع: «الإصابة في تمييز الصحابة» (ج٧ ص٣٩٣)، و«أسد الغابة» (ج١ ص١٢٥٤).

[٢] أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده، حديث أبي مويهبة مولى رسول الله ﷺ، رقم (١٦٠٤٠) (ج٣ ص٤٨٨)، و«المستدرك» (ج٣ ص٥٧)، و«سنن الدارمي» باب في وفاة النبي ﷺ، رقم: (٧٨) (ج١ ص٥٠)، وقال حسين سليم: إسناده جيد.

[٣] أخرجه أحمد في مسنده، مسند عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهم، رقم: (٥٥٧٩) وقال شعيب الأرنؤوط: «إسناده صحيح على شرط الشيخين».

لبقاء الذكر، والثناء عليه، ولعل هذا هو السر فيما حصل للديانات السماوية السابقة، من تبديل وتغيير وتحريف، حيث وَكَلَ الله ﷻ حفظها إلى علماء وأحبار تلك الديانات، فغيروا وبدلوا وحرفوا، بينما تكفل الله ﷻ – بنفسه – بحفظ هذا الدين بكتابه وسنته؛ ليكون هذا الدين الذي تكفل بحفظه، باقيًا صحيحًا سليمًا معجزًا.

قال الله ﷻ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [1].

وإذا كان الله ﷻ قد صان كتابه الكريم من أن يُعْبَثَ به، أو يُنْتَهَك: فإنه صَان سنة رسول الله ﷺ كذلك، بما هَيَّأ لها مِن حُفَّاظٍ ونُقَّادٍ أظهروا زَيْفَ الزنادقة، وانحراف المبتدعة، وجهل الجَهَلَةِ، فصارت نقية صافية، وكل هذا من المعجزات الخوارق، لحفظ الله تعالى لهذا الدين[2].

٢٥) مِن خَصَائِصِهِ الإعجازية ﷺ: القَسَمُ بِحَيَاتِهِ في القرآن الكريم.

وَرَدَ فِي القُرآن القَسَمُ بِحَيَاتِهِ، أو بعظيم قدره ﷺ، وَلَم يكن ذلك لأحد غيره ﷺ، كما في قوله تعالى له ﷺ: ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾[3]، أقسم تعالى بحياة نبيه ﷺ، وهذا نهاية التشريف، وغاية التعظيم لصاحب المقام الرفيع، والجاه العريض، والتي هي منزلة فوق كل منزلة، ولا يستطيع أحد أن يصل إليها مهما كان قدره، ووضعه في الدنيا؛ لأن ذلك فعل الله تعالى، كما أن القسم به اشتمل على آيات من القرآن، وهي معجزات بألفاظها، ومعانيها من غير خلاف؛ فكان القسم به من أكبر المعجزات.

قال القرطبي: أجمع المفسرون أن الله تعالى أقسم هنا بحياة محمد ﷺ تشريفًا له أن قومه من قريش في سكرتهم يعمهون وفي حيرتهم يترددون[4].

---

[1] سورة الحجر، آية: (٩).

[2] «عظيم قدره» (ص: ٧٥).

[3] سورة الحجر، آية: (٧٢).

[4] «تفسير القرطبي» (ج١٠ ص٣٦).

ونقل الشوكاني[1] عن القاضي عياض قوله: اتفق أهل التفسير في هذا أنه قسم من الله ﷻ بمدة حياة محمد ﷺ، وكذا حَكَى إجْمَاعَ المفسرين على هذا المعنى أبو بكر ابن العَرَبِيّ، فقال: قال المفسرون بأجمعهم: أقسم الله تعالى ها هنا بحياة محمد ﷺ تشريفًا له[2].

وأما وجه الخصوصية: ففيما رُوِي عن ابن عباس أنه قال: ما خلق الله، وما ذرأ، وما برأ نفسًا أكرم عليه من محمد ﷺ، وما سمعت الله أقسم بحياة أحد غيره[3]، قال الله تعالى: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[4].

والمعنى: يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ: وحَيَاتِكَ يا محمد إن قومك من قريش: ﴿لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[5] يقول: لفي ضلالتهم وجهلهم يترددون[6].

قال ابن كثير: أَقْسَمَ تعالى بِحَيَاةِ نبيه ﷺ وفي هذا تشريف عَظِيْمٌ وَمَقَامٌ رَفِيْعٌ وجَاهٌ عَرِيضٌ[7].

وقال جعفر بن محمد: مِن تَمَامِ نِعْمَتِهِ عليه أن جعله حبِيْبَهُ وأقسم بحياته، ونسخ به شرائع غيره، وعرج به إلى المَحِلِّ الأعلى، وحفظه في المعراج حتى ما زاغ البصر وما طغى، وبعثه إلى الأحمر والأسود، وأحَلَّ لَهُ ولأمته الغنائم، وجَعَله شفيعا مشفعا، وسيد ولد آدم، وقَرَن ذِكْرَهُ بِذِكْرِهِ، ورضاه برضاه، وجعله أحد رُكْنَي التَّوْحِيد[8].

---

[1] هو: محمد بن علي بن محمد الشوكاني: فقيه مجتهد من كبار علماء صنعاء اليمن، ولد بهجرة شوكان (من بلاد خولان باليمن) ونشأ بصنعاء، وولي قضاءها سنة ١٢٢٩ هـ، ومات حاكمًا بها، وكان يرى تحريم التقليد، له: (١١٤) مؤلفًا، توفي: (١٢٥٠ هـ)، من مصنفاته: نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار للمجد بن تيمية، وفتح القدير في التفسير، والسيل الجرار في شرح الأزهار في الفقه، وإرشاد الفحول في الأصول. يراجع: «البدر الطالع» (ج٢ ص٢١٤ - ٢٢٥)، و«نيل الأوطار» (ج١ ص٣).

[2] «فتح القدير» (ج٣ ص١٩٧).

[3] «تفسير الطبري» (ج٧ ص٥٢٦)، و«تفسير ابن كثير» (ج٢ ص٧٣١)، و«الدر المنثور» (ج٥ ص٨٩).

[4] سورة الحجر، آية (٧٢).

[5] سورة الحجر، آية (٧٢).

[6] «تفسير الطبري» (ج٧ ص٥٢٦).

[7] «تفسير ابن كثير» (ج٢ ص٧٣١).

[8] «الشفا» (ج١ ص٥٠).

٢٦) مِن خَصَائِصه الإعجازية: أنه ﷺ نَبِيُّ الإسلام.

لقد اختار الله ﷻ بِمَنِّهِ وفَضْلِهِ وكَرَمِهِ نَبِيَّه محمدًا ﷺ لأنْ يَكُونَ نَبِيَّ الإسلام، ورسول الإسلام، الدين الذي ارتضاه ﷻ بنفسه، ولم يقبل من أحد أن يَدِيْنَ له بغيره، هذا الدين الذي تمنى الأنبياء عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام أن يموتوا عليه، ودعوا إليه، وكان مَدْعَاة فَخْرٍ واعتزاز أن يكون رسوله محمد ﷺ خير رسله، الذي اختاره نبيا لدينه، وسَمَّي أتباعه بالمسلمين[١].

وهذا القَدْرُ مُعْجِزٌ في أنه لا يستطيع أحد ادِّعَائَهُ، أو يكون له هذا الفضل، وذلك الجاه العريض عند الله تعالى، فهو اختصاص من الله تعالى، والله أعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَه، فخص الإسلام برسوله محمدًا، وخص الحبيب محمدًا بالإسلام، وكذلك الأمة المحمدية أي: المسلمين، وتلك خصوصيات لم تكن لأحد من قبل، ولا من بعد، فقال الله ﷻ: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلامُ﴾[٢]، وقال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنْ الْخَاسِرِينَ﴾[٣].

وقال الله ﷻ: ﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ﴾[٤].

والذي سماهم المسلمين هو: الله ﷻ، وليس إبراهيم عليه السلام كما يظنه بعض أهل العلم[٥]، ويدل قوله ﷺ : « ... **وَأَنَا آمُرُكُمْ بِخَمْسٍ اللَّهُ أَمَرَنِي بِهِنَّ، السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ وَالجِهَادُ وَالهِجْرَةُ وَالجَمَاعَةُ، فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الجَمَاعَةَ قِيدَ شِبْرٍ فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ إِلَّا أَنْ يَرْجِعَ، وَمَنْ**

---

[١] «عظيم قدره» (ص: ٤٣).

[٢] سورة آل عمران، آية: (١٩).

[٣] سورة آل عمران، آية: (٨٥).

[٤] سورة الحج، آية: (٧٨).

[٥] «عظيم قدره» (ص: ٣٧)، و«الفصول في السيرة» (ج١ ص٢٨١).

ادَّعَى دَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ فَإِنَّهُ مِنْ جُثَا جَهَنَّمَ»، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَإِنْ صَلَّى وَصَامَ؟ قَالَ: **«وَإِنْ صَلَّى وَصَامَ، فَادْعُوا بِدَعْوَى اللَّهِ الَّذِي سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ الْمُؤْمِنِينَ، عِبَادَ اللَّهِ»**[1].

فقد سَمَّاهم الله ﷻ «المسلمين»، وهو ﷺ نبي الإسلام، ومن أراد الله ﷻ هدايته: هداه للإسلام، ومن هداه الله ﷻ للإسلام، فهو على نور من ربه ﷻ: فقد قال الله ﷻ:﴿ فَمَنْ يُرِدْ اللَّهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلام ﴾[2].

وقال الله تعالى: ﴿ أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ ﴾ [3].

٢٧) ومِن خَصَائِصِه ﷺ: أنه أوْلَى بِالأنبياء مِن أُمَمِهِم.

لقد جعل الله النبي أولى بالأنبياء من أممهم؛ لأنه ﷺ جاء مصدقًا برسالاتهم وهم من قبل جاءوا مبشرين برسالته، وقد تمني مَنْ رَأى فَضْلَ أمته أن لو كان من أمته ﷺ، وقد رد الله على اليهود والنصارى عندما ادَّعَى كل منهم أن إبراهيم عليه السلام منهم، فنفى الله ﷻ هذا الادعاء، وبين أنه ليس كذلك، وإنما أولى الناس به هذا النبي الكريم محمد ﷺ، ومَن اتَّبَعَهُ من المؤمنين؛ لأنهم التقوا وإياه في المنهج والخط المستقيم.

أما اليهود والنصارى: فقد غيَّروا وبدَّلوا وكفروا، ثم هُم بَعْدَهُ؛ فكيف يزعمون أنه عليه السلام منهم! لذا أعلن الله ﷻ براءة إبراهيم عليه السلام منهم، فقال سبحانه وتعالى: ﴿ **إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ** ﴾[4]، والذي هو أولى الناس بإبراهيم، عليه السلام – وهو أبو الأنبياء – هو أولى الناس بالرُّسُلِ مِن ذريته أيضًا.

---

[1] أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الأمثال عن رسول الله ﷺ، باب: ما جاء في مثل الصلاة والصيام والصدقة، رقم: (٢٨٦٣) (ج٥ ص١٤٨)، وأحمد في مسنده، حديث الحرث الأشعري عن النبي ﷺ، رقم (١٧٢,٩) (ج٤ ص١٣٠).

[2] سورة الأنعام، آية: (١٢٥).

[3] سورة الزمر، آية: (٢٢)، وانظر: «عظيم قدره» ص: (٤٣).

[4] سورة آل عمران، آية: (٦٥ – ٦٧)، و«الفصول في السيرة» (ج١ ص٢٨١).

ولما كان موسى وعيسى عليهما السلام مِنْ أوْلِى العَزْمِ، وهما بَعْد إبراهيم عليه السلام، وهما أشهر أنبياء بني إسرائيل؛ لذا فقد بَيَّنَ رَسُول الله ﷺ أنه هو أولى بهما مِن أتباعهما؛ بل جعل أمته ﷺ أولى بهما من أتباعهما أيضًا، وأنهما عليهما السلام يبرءان إلى الله مما ادعاه أتباعهما، لهما أو عليهما، وهما منه براء.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أن رسول الله ﷺ قال: «**أَنَا أَوْلَى بِعِيْسَى بْنِ مَرْيَم فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَة**»[1]، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قَدِمَ النبي ﷺ المدينة، فرأى اليهود تصوم يوم عاشوراء، فقال: «**مَا هَذَا**»؟ قالوا: هذا يوم صالح، هذا يومٌ نجّى الله بني إسرائيل من عدوهم، فصامه موسى، قال: «**فَأَنَا أحَقُّ بِمُوسَى مِنْكُم**» فَصَامَهُ وَأمَرَ بِصِيَامِهِ»[2]، وفي لفظ: «**أَنَا أَوْلَى بِمُوسَى مِنْهُم**»[3]، وفي البخاري: «**أَنْتُم أحَقُّ بِمُوسَى مِنْهُم**»[4].

وكيف لا؟ وقد حرف اليهود والنصارى كتابَيْهما، وادعوا عَلَيْهِمَا وَلَهُمَا - عليهما السلام - ما لَم يَقُولَاه هُما، وخالفوا أوامرهما، والتي فيها الإيمان بمحمد ﷺ واتِّبَاعَهُ وَنُصْرَتَه[5].

٢٨) من خصائصه الإعجازية ﷺ أن الله خصه بأن يكون نبيًا أميًّا لا يقرأ ولا يكتب؛ لإظهار التحدي، والإعجاز على الوجه الأكمل.

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الأنبياء، باب: {واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها}، رقم: (٣٢٥٩) (ج٣ ص١٢٧٠).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الصوم، باب صيام يوم عاشوراء، رقم (١٩٠٠) (ج٢ ص٧,٤)، ومسلم في الصيام باب صوم يوم عاشوراء رقم (١١٣٠)، (ج٢ ص٧٩٥).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: {وهل أتاك حديث موسى}، رقم (٣٢١٦) (ج٣ ص١٢٤٤).

(٤) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب تفسير سورة يونس، رقم (٤٤,٣) (ج٤ ص١٧٢٢).

(٥) «عظيم قدره» (ص: ٣٩)، و«محمد ﷺ كأنك تراه» د. عائض القرني (ص: ٤٥ - ٥٥) بتصرف، ط١، (١٤٢٢ هـ)، بيروت.

إن الله اختار نبيه محمدًا ﷺ نبيًّا أميًّا، ومع هذا جعله معلمًا للمتعلمين، لا يعلم الناس العلم فحسب، ولكن يعلمهم مكارم الأخلاق، ومعالي الأمور، وأكرم الخصال، وأشرف السجايا، وأنبل الخلال، فيجمع بين التعليم والتربية والتهذيب والهداية بما لم يوجد في أحد سواه.

وهذا وجه الإعجاز والخصوصية، كما في قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً ﴾؛ ولذا قال أمير الشعراء:

كَفَاكَ بِالعِلْمِ فِي الأمِّيِّ مُعْجِزَةً *** عِنْدَ البَرِيَّةِ وَالتَّأدِيْب فِي اليُتْمِ
فَهُوَ الذَّي تَمَّ مَعْنَاهُ وَكَرَّمَه *** ثُمَّ اصْطَفَاهُ رَسُوْلًا بَارِئُ النَّسَمِ[1]

وكما في قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[2] فهي خصوصية من الله تعالى، خص بها نبيه ﷺ دون غيره، وفضله وشرفه بها على كل الخلق، حيث لم يجعل لأحد منة التعليم على نبيه، فيكون علمه عن الله تعالى؛ يعني: من الله عليه؛ من غير دعوة ولا رغبة من هذه الأمة، جعله الله رحمة لهم ليخرجهم من الظلمات إلى النور ويهديهم إلى صراط مستقيم[3].

وهذا معناه أن: الله حمى نَبِيَّهُ أن يكون لأحد من الخلق عليه منة وفضل، وإنما الفضل من الله وحده، قال تعالى: ﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً ﴾[4].

---

[1] ومن قَبْلُ قال البُوصَيْرِيُّ:

كَفَاكَ بِالعِلْمِ فِي الأمِّيِّ مُعْجِزَة *** فِي الجَاهِلِيَّةِ وَالتَّأدِيْب فِي اليُتْمِ

انظر: «روح المعاني» (ج٣ ص٢,١)، و«مناهل العرفان» (ج٢ ص٢٥٣).

[2] سورة آل عمران، آية: (١٦٤).

[3] «تفسير الطبري» (ج٣ ص٥,٦).

[4] سورة النساء، آية: (١١٣).

٢٩) من خصائصه الإعجازية ﷺ: كَثْرَةُ مُعْجِزَاتِه الدالة على تفضيله وتكريمه.

لا خلاف بين العلماء على أن: معجزات النبي ﷺ لا تحصى كثرة، عدَّها البعض: ثلاثة آلاف معجزة.

قال النووي في مقدمة «شرح مسلم»: معجزات النبي ﷺ أكثر مِن ألْفٍ ومِائَتَي مُعْجِزَة أعظمها: القرآن الكريم[١].

وقال ابن حجر: عدَّها بعض العلماء ثلاثة آلاف معجزة، وقد اعتني بعدها جماعة منهم: البيهقي، وأبي نعيم وغيرهم[٢].

وقال النووي: ومعجزاته ﷺ أكثر من أن يجمعها كتاب، أو يحصرها ديوان[٣].

وقال القاضي أبو الفضل: ومُعْجِزَاتُ نَبِيِّنَا ﷺ أظهر مِن سائر معجزات الرسل بوجهين:

أحدهما: كثرها، وأنه لم يؤت نبي معجزةً إلا وعند نبينا مثلها، أو ما هو أبلغ منها، وأما كونها كثيرة فهذا القرآن، وكله معجز، وأقل ما يقع الإعجاز فيه عند بعض أئمة المحققين سورة: ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾[٤]، أو آية في قَدْرِهَا، وذهب بعضهم إلى أن: كل آية منه - كيف كانت - معجزة.

الوجه الثاني: وضوح معجزاته ﷺ وبقائها وخلودها، فإن معجزات الرسل كانت بقدر همم أهل زمانهم، وبحسب الفن الذي سما فيه قرنه.

فلما كان زمن موسى غاية علم أهل السحر بعث إليهم موسى بمعجزة تُشْبِهُ ما يَدَّعُونَ قُدْرَتَهُم عليه، فجاءهم منها ما خرق عادتهم، ولم يكن في قدرتهم، وأبطل سحرهم، وكذلك زمن عيسى

---

[١] «فتح الباري» (ج٦ ص٥٨٢).

[٢] «فتح الباري» (ج٦ ص٥٨٣ – ٥٨٩) بتصرف، و«شرح النووي على صحيح مسلم» (ج١٥ ص٣٨).

[٣] «أعلام النبوة» للماوردي (ج١ ص١٦٣)، و«الفصول في السيرة» (ج١ ص٢٨١).

[٤] سورة الكوثر، آية: (١).

أغنى ما كان الطب، وأوفر ما كان أهله، فجاءهم أمر لا يقدرون عليه، وأتاهم ما لم يحتسبوه من إحياء الميت، وإبراء الأكمه والأبرص دون معالجة ولا طِبٍّ، وهكذا سائر معجزات الأنبياء[1].

ثم بَعَثَ مُحمدًا ﷺ، وجملة معارف العرب وعلومها أربعة: البلاغة، والشعر، والخبر، والكهانة، فأنزل عليه القرآن الخارق لهذه الأربعة الفصول من: الفصاحة، والإيجاز، والبلاغة الخارجة عن نمط كلامهم، ومن النظم الغريب، والأسلوب العجيب الذي لم يهتدوا في المنظوم إلى طريقه، ولا علموا في أساليب الأوزان منهجه، ومن الأخبار عن الكوائن، والحوادث، والأسرار، والمخبآت والضمائر، فَتُوْجَدُ عَلى ما كانت، ويعترف المخبر عنها بصحة ذلك، وجاء من الأخبار عن القرون السالفة، وأنباء الأنبياء، والأمم البائدة، والحوادث الماضية: ما يعجز من تفرغ لهذا العلم عن بعضه على الوجوه التي بسطناها وبَيَّنَّا المعجز فيها[2]، ثم بقيت معجزات القرآن ثابتةً إلى يوم القيامة، بينة الحجة لِكُلِّ أمَّةٍ تأتي، لا يخفى وجوه ذلك على مَن نَظَرَ فِيْهِ، وتأمل وجوه إعجازه، إلى ما أخبر به من الغيوب على هذه السبيل، فلا يَمُرُّ عصر ولا زمن إلا يظهر فيه صدقه بظهور مُخْبَرِهِ على ما أخبر، فيتجدد الإيمان، ويتظاهر البرهان، وليس الخبر كالعيان كما قيل، وسائر معجزات الرسل انقرضت بانقراضهم، وعدمت بعدم ذواتها، ومعجزة نبينا ﷺ لا تبيد ولا تنقطع، وآياته تتجدد ولا تضمحل؛ ولهذا أشار ﷺ بقوله: «**مَا مِنَ الأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ إِلَّا أُعْطِيَ مِنَ الآيَاتِ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ البَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الذِي أُوْتِيْتُ وَحْياً أَوْحَاهُ اللهُ إِلَيَّ، فأَرْجُو أَنِّي أَكْثَرُهُم تَابِعاً يَوْمَ القِيَامَةِ**»[3].

---

[1] «الشفا» (ج١ ص٣٧٠).

[2] «الشفا» (ج١ ص٣٧١).

[3] سبق تخريجه (ص: ٢٩).

٣٠) ما أكرمه الله به مِن إجَابَةِ أدْعِيَتِهِ ﷺ لِبَعْضِ الصَّحَابَة، وعلى بعض الكفار.

من خصائصه ﷺ الإعجازية أن الله تعالى خصه بإجابة الأدعية؛ ليكون عوناً على ما كلفه بـــه، وآية على مَن أنكر رسالته، فدخل بهذا في وجوه الإعجاز[١]، **ومن ذلك أشياء كثيرة لا حصر لها في مواقف لا تحصى منها ما يلي:**

١- عن هَبَّار بنِ الأسْوَد[٢] قال: كان أبُو لهب وابنُه عتيبة ابن أبي لهـــب تجهـــزا إلى الشـــام، فتجهزت معهما، فقال ابنه عتيبة: والله لأنطلقن إلى محمد ولأوذينه في ربه، فانطلق حتى أتى النبي ﷺ، فقال: يا محمد؛ هُوَ يَكْفُر بالذِي دَنَا فَتَدَلَّى، فَكَان قَابَ قوسين أو أدنى، فقال الـــنبي ﷺ: «**اللَّهُمَّ ابْعَث علَيْهِ كَلبًا مِن كِلَابِكَ**»، ثم انْصَرَفَ عَنْهُ، فرجع إلى أبيه فقال: يا بني ما قُلْتَ له؟ فذكر له ما قال له، ثم قال: فما قال لك؟ قال: قال: اللهم سلط عليه كلبًا من كلابك، فقـــال: والله يا بني ما آمَن عَليك دُعَاءَهُ، فَسِرْنَا حتى نزلنا السراة، وهي مَأسَـــدَةٌ، فنزلنـــا إلى صـــومعة راهب، فقال الراهب: يا معشر العرب ما أنزلكم هذه البلاد؟ فإنما تَسْرَحُ الأسْدُ فيها كما تسرح الغنم، فقال لنا أبو لهب: إنكم عرفتم كِبَرَ سِنِّي وحَقِّي، فقلنا: أجَل يا أبا لهب؟ فقال: إن هـــذا الرجل قد دعا على ابني دعوة، والله ما آمَنُهَا عليه، فاجْمَعُوا متاعكم إلى هذه الصومعة، وافرشُوا لابْنِي عليها، ثم افرشوا حَوْلَها، ففعلنا فَجَمَعْنَا المتاع، ثم فرشنا له عليه، وفرشنا حوله، فبينا نحن حوله، وأبو لهب معنا أسفل، وبَاتَ هو فوق المتاع، فجاء الأسد فشم وجوهنا، فلما لم يجد مـــا يريد انقبض؟ فوثب وثبة، فإذا هو فوق المتاع، فشم وجهه ثم هَزَمَهُ هَزْمَةً، فهَشَمَ رَأسَهُ، فقال أبو لهب: لقد عرفت أنه لا يَنْفَلِتُ مِن دَعْوَةِ محمد»[٣].

٢- ومن ذلك: أن المستهزئين به مِن قريش وهم سبعة: الوليد بن المغيرة، والعاص بـــن وائـــل السهمي، والأسود بن عبد يغوث الزهري، وفكيهة بن عامر الفهري، والحرث بن الطلاطلـــة،

---

[١] «أعلام النبوة» للماوردي (ج١ ص١٤٢).

[٢] هَبَّارُ بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشي الأسدي، أمه: فاختة بنت عامر بن قرظة القشيرية، وأخواه لأمه: حزن وهبيرة ابنا أبي وهب المخزوميان. «الإصابة في تمييز الصحابة» (ج٦ ص٥٢٤).

[٣] أخرجه الحاكم في «المستدرك» رقم: (٣٩٨٤)، (ج٢ ص٥٨٨)، وقال: «صحيح الإسناد»، ووافقه الذهبي في التلخيص.

والأسود بن الحرث، وابن عيطلة، كانوا يكثرون منه الاستهزاء، ويواصلون عليه الإيذاء، وكان لا يقرأ إلا مُسْتَسِرًّا، ولا يدعو إلا مستخفيًا، فنزل قوله تعالى: ﴿ وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً﴾ [1]، أي لا تجهر بها فيؤذوك، ولا تخافت بها عن أصحابك فلا يسمعوك، وابتغ بين الجهر والإسرار سبيلاً[2]، فأذِنَ لأصْحَابه حين اشتد بهم الأذى في الهجرة إلى أرض الحبشة؛ لأنَّ مَلِكَها كان منصفاً، ورغب إلى الله تعالى أن يَكْفِيَهُ أمْرَهُم، فنزل عليه قوله تعالى: ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنْ الْمُشْرِكِينَ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴾ [3].

وفي معني قوله: ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ ﴾ **تأويلان:**

أحدهما: امْضِ لِما تُؤْمَرُ به مِن إبطال الشرك.

والثاني: أظْهِر مَا تُؤْمَرُ به من الحق.

وفي قوله: ﴿ وَأَعْرِضْ عَنْ الْمُشْرِكِينَ ﴾ **تأويلان:**

أحدهما: استهزئ بهم، **والثاني:** لا تهتم باستهزائهم: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ يعني: بما عجله من إهلاكهم[4].

فأما الوليد بن المغيرة: فإنَّهُ ارْتَدَى، فَعَلِقَ بِردَائِه شوك، فذهب يجلس عيه، فقَطَعَ أكْحَلَه فَنَزَفَ، فمَاتَ لِوَقْتِه[5].

وأما العاص بن وائل: فَوَطِئَ عَلى شَوْكَةٍ، فتَسَاقَطَ لَحْمُه مِن عظامه فمات من يومه[6].

---

[1] سورة الإسراء آية: (١١٠).

[2] «أعلام النبوة» للماوردي (ج١ ص١٤٢).

[3] سورة الحجر آية: (٩٤)، (٩٥).

[4] «تفسير القرطبي» (ج١٠ ص٥٧)، و«مختصر ابن كثير» (ج٢ ص٤٦).

[5] «أعلام النبوة» (ج١ ص١٤٢).

[6] «أعلام النبوة» (ج١ ص١٤٢).

وأما الأسود بن عبد يغوث: فقد كان رسول الله ﷺ دعا عليه بالعَمَى وثَكْلِ ولده، فأتِى بِغُصْنٍ فيه شوك، فأصاب عينه، فسالت حدقتاه على وجهه، وقتل ولده زمعة يوم بدر، فأعمى الله بصره، وأثكله ولده.

وأما فكيهة بن عامر: فخرج يريد الطائف، ففقد و لم يوجد.

وأما الحرث بن الطلاطلة: فإنه: خرج لبعض حوائجه، فضربه السموم في الطريق فاسود منه ومات[1].

وأما الأسود بن الحرث: فأكل حوتًا مملوحًا فأصابه عطش، فلم يتمالك من شرب الماء، حتى انشق بطنه ومات.

أما ابن عيطلة: فاستسقى فمات[2].

٣- ومن ذلك: ما رواه ابن مسعود، قال: كنا مع رسول الله ﷺ نصلي في ظل الكعبة، وناس من قريش وأبو جهل، قد نحروا جزورًا في ناحية مكة، فبعثوا، فجاءوا بِسَلَاها، وَطَرَحُوه بينَ كَتِفَيْهِ وهو سَاجِدٌ، فَجاءت فاطمة رضي الله عنها فَطَرحته عنه، فلما انصرف قال: «**اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ وبِأبِي جَهْلٍ، وعُتْبَة، وشَيْبَةَ، والوَلِيْدَ بنِ عُتْبَةَ، وأمَيَّةَ بنِ خَلَفٍ، وعُقْبَةَ بنِ أبِي مُعَيْطٍ**»، قال عبد الله بن مسعود: فلقد رأيتُهُم قَتْلَى فِي قَلِيبِ بَدْر[3].

٤- ومن ذلك: أنَّ خَبَّاب بنَ الأرَتِّ[4] قال: شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الكَعْبَةِ، قُلْنَا لَهُ: أَلاَ تَسْتَنْصِرُ لَنَا، أَلاَ تَدْعُو اللَّهَ لَنَا؟ قَالَ: «**كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ**

---

[1] المرجع السابق.

[2] المرجع السابق .

[3] أخرجه أبو يعلي في مسنده، مسند عبد الله بن مسعود، رقم (٥٣١٢) (ج٩ ص٢١١)، وقال حسين سليم: «صحيح».

[4] هو خباب بن الأرت بن جندلة بن سعد، أبو يحيى أو أبو عبد الله، التميمي: صحابي من السابقين، قيل : أسلم سادس ستة، وهو أول من أظهر إسلامه، ولما أسلم استضعفه المشركون فعذبوه ليرجع عن دينه، فصبر إلى أن كانت الهجرة، ثم شهد المشاهد كلها، ولما رجع علي رضي الله عنه من صفين مر بقبره، فقال: رحم الله خبابا أسلم راغبا وهاجر طائعا وعاش مجاهدا. روى له البخاري ومسلم (٣٢) حديثا توفي (سنة: ٣٧ هـ). يراجع: «الإصابة» (ج١ ص٤١٦)، و«تهذيب التهذيب» (ج٣ ص١٣٥)، و«أسد الغابة» (ج١ ص٥٩٢).

فِي الأَرْضِ، فَيُجْعَلُ فِيهِ، فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِاثْنَتَيْنِ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللَّهِ لَيُتِمَّنَّ هَذَا الأَمْرَ، حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ، لاَ يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ، أَوِ الذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ»[1]، ثم دعا عليهم فقال: «**اللَّهُمَّ اشْدُدْ وَطْأَتَكَ عَلَى مُضَرَ، وَاجْعَلْهَا عَلَيْهِم سِنِيْنَ كَسِنِيِّ يُوْسُفَ**»[2]، فقَطَعَ الله عَنْهُم المَطَرَ، حتى مات الشجر، وذهب الثمر، وأجدبت الأرض، وماتت المواشي، واشتروا القَدَّ، وأكلوا العِلْهِزَ، فلما انتهت بهم الموعظة استَعْطَفُوه فَعَطَف، ورغب إلى الله تعالى فمُطِرُوا.

٥- وما رواه ابن عباس قال: قيل لعمر: حَدِّثْنَا عَن شَأنِ جَيْشِ العُسْرَة، فقال عمر ﷺ: خَرَجْنَا مع رسول الله ﷺ في قَيْظٍ شديد، فنزلنا منزلاً أصابنا فيه عطش خشينا أن تنقطع رقابنا، فكان الرجل يذهب ليلتمس الماء فلا يرجع حتى يظن أن رقبته ستنقطع، وحتى كان الرجل ينحر بعيره فيعصر فرثه ثم يجعل ما بقي على صدره، فقال أبو بكر ﷺ: يا رسول الله إن الله قد عَوَّدَكَ في الدعاء خيرًا، فادع الله لنا، قال: «**أتُحِبُّ ذَلِك؟**» قال نعم، فرفع رسول الله ﷺ يده، فلم يُرْجِعْهَا حتى مَالت السحاب فأظلت وأمطرت، حتى رووا، وملؤوا ما معهم من الأوعية، فذهبنا ننظر فلم نَجِدْهَا جَاوَزَت العسكر[3].

٦- وعن أنس بن مالك ﷺ، قال أتى أعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله لقد أتيناك وما لنا بَعِير يَئِطُّ، وَلَا صَبِيٌّ يَصْطَبِح.

ثم أنشد:

أَتَيْنَاكَ وَالْعَذْرَاءُ تَدْمَى لِبَانُهَا *** وَقَدْ شُغِلَتْ أُمُّ الصَّبِيِّ عَنِ الطِّفْلِ

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، رقم: (٣٤١٦ - ٦٥٤٤) (ج٣ ص١٣٢٢).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب صفة الصلاة، باب يهوي بالتكبير حين يسجد، رقم: (٧٧١) (ج١ ص٢٧٧)، وله أطراف في الأرقام: [٧٥٢ - ٧٥٦ - ٧٦٤ - ٩٦١]، ومسلم في المساجد ومواضع الصلاة، باب: استحباب القنوت في جميع الصلاة رقم (٦٧٥٠) (ج١ ص٤٦٦).

(٣) أخرجه ابن خزيمه في صحيحه، كتاب الوضوء، باب ذكر الدليل على أن الماء إذا خالطه فرث ما يؤكل لحمه لم ينجس، رقم (١،١) (ج١ ص٥٢)، وقال الألباني: «فيه ابن أبي هلال كان اختلط».

وَأَلْقَى بِكَفَّيْهِ الشُّجَاعُ اسْتِكَانَةً *** مِنَ الْجُوعِ ضَعْفًا مَا يَمُرُّ وَمَا يُحلِي

وَلَا شَيْءَ مِمَّا يَأكُلُ النَّاسُ عِنْدَنَا *** سِوَى الْحَنْظَلِ الْعَامِيِّ وَالْعِلْهِزِ الْفَسلِ

وَلَيْسَ لَنَا إِلَّا إِلَيْكَ فِرَارُنَا *** وَأَيْنَ فِرَارُ النَّاسِ إِلَّا إِلَى الرُّسْلِ[1]

فقام رسول الله ﷺ، وصعد المنبر فحمد الله تعالى، وأثنى عليه، ثم قال: «اللَّهُمَّ اسْقِنَا غَيْثًا مُغِيثًا مَرِيًّا مَرِيعًا، غَدَقًا طَبَقًا، عَاجِلًا غَيْرَ رَايِثٍ، نَافِعًا غَيْرَ ضَارٍّ، تَمْلَأُ بِهِ الضَّرْعَ، وَتُنْبِتُ بِهِ الزَّرْعَ وَتُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا»، فما استتم الدعاء حتى ألقَت السماء بأروقتها، فجاء أهل البطانة يَضِجُّونَ، يا رسول الله الغَرَق. فقال: «**حَوَالَيْنَا وَلَا عَلَيْنَا**»، فانجاب السحاب عن المدينة كالإكليل، فضحك رسول الله ﷺ، حتى بَدَت نَوَاجِذُه، وقال: «**لله دَرُّ أبي طَالِبٍ، لَو كَانَ حَيًّا لَقَرَّت عَيْنَاهُ، مَن الذِي يُنْشِدُنَا شِعْرَهُ؟**» فقال علي بن أبي طالب – كرم الله وجهه – يا رسول الله كأنك أرَدْتَ قوله[2]:

وَأَبْيَضَ يُسْتَسْقَى الْغَمَامُ بِوَجْهِهِ *** ثِمَالِ الْيَتَامَى عِصْمَةٍ لِلْأَرَامِلِ

يَلُوذُ بِهِ الْهُلَّاكُ مِنْ آلِ هَاشِمٍ *** فَهُمْ عِنْدَهُ فِي نِعْمَةٍ وَفَوَاضِلِ

كَذَبْتُمْ وَبَيْتِ اللَّهِ يُبْزَى مُحَمَّدٌ *** وَلَمَّا نُقَاتِلْ دُونَهُ وَنُنَاضِلِ

وَنُسْلِمُهُ حَتَّى نُصَرَّعَ حَوْلَهُ *** وَنَذْهَلَ عَنْ أَبْنَائِنَا وَالْحَلَائِلِ

وقام رجل من كنانة وأنشد:

لَكَ الْحَمْدُ وَالْحَمْدُ مِمَّنْ شَكَرْ ... سُقِينَا بِوَجْهِ النَّبِيِّ الْمَطَرْ

دَعَا اللَّهَ خَالِقَهُ دَعْوَةً ... أُجِيبَتْ وَأَشْخَصَ مِنْهُ الْبَصَرْ

وَلَمْ يَكُ إِلَّا كَقَلْبِ الرِّدَاءِ ... وَأَسْرَعَ حَتَّى رَأَيْنَا الْمَطَرْ

دُفَاقَ الْعَزَالِي وَجَمَّ الْبُعَاقِ ... أَغَاثَ بِهِ اللَّهُ عُلْيَا مُضَرْ

---

[1] «أعلام النبوة» للماوردي (ج١ ص١٤٢).

[2] انظر: «أعلام النبوة» للماوردي (ج١ ص١٤٢).

وَكَانَ كَمَا قَالَهُ عَمُّهُ ... أَبُو طَالِبٍ ذُو رِدَاءٍ وَغُرَرْ

وَيَسْقِي بِكَ اللَّهُ صَوْبَ الْغَمَامِ ... وَهَذَا الْعَيَانُ لِذَاكَ الْخَبَرْ

فَمَنْ يَشْكُرِ اللَّهَ يَلْقَى الْمَزِيدَ ... وَمَنْ يَكْفُرِ اللَّهَ يَلْقَ الْغِيَرْ

فقال رسول الله ﷺ: «**إِنْ يَكُ شَاعِرٌ يُحْسِنُ فَقَد أَحْسَنْتَ**»[1].

٧- **وما أظهره الله تعالى من كرامته في عمه العباس،** حين استَسْقَى به عمر بن الخطاب رضي الله عنه، متوسلاً إلى الله بعم نبيه ﷺ، فخرج يستسقي به، وقد أجدب الناس، فقال: اللهم إنا نتقرب إليك بِعَمِّ نَبِيِّكَ، وبقية آبائه، وكبير رجاله، فاحفظ اللهم نبيك في عمه، فقد دلونا به إليك مستشفعين إليك مستغفرين. فقال العباس وعيناه تنضحان: اللهم أنت الراعي لا تهمل الضالة، فقد ضرع الصغير، ورق الكبير، وارتفعت الشكوى، وأنت تعلم السر وأخفى، اللهم فأغثهم بغياثك مِن قبل أن يقنطوا ليهلكوا، فإنه لا ييأس من روحك إلا القوم الكافرون. فنشأت السحاب، وهطلت السماء فطفق الناس بالعباس يمسحون أركانه، ويقولون هنيئاً لك ساقي الحرمين فقال حسان بن ثابت:

سَأَلَ الإِمَامُ وَقَد تَتَابَعَ جَدْبُنَا *** فَسَقَى الغَمَام بِغُرَّةِ العَبَّاسِ

عَمُّ النَّبِيِّ وَصِنْوُ وَالِدِهِ الذِي *** وَرِثَ النَّبِيّ بِذَاكَ دُوْنَ النَّاسِ

أحْيَا الإِلَهُ بِه البِلَادَ فَأصْبَحَت *** مُخْضَرَّةَ الأجْنَابِ بَعْدَ اليَاسِ

فقال الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب يفتخر بذلك:

بِعَمِّي سَقَى الله الحِجَازَ وَأَهْلَهُ *** عَشِيَّةَ يَسْتَسْقِي بِسيْبَتِه عُمَرُ

تَوَجَّه بِالعَبَّاسِ فِي الجَدْبِ رَاغبًا *** فَما كَرَّ حَتَّى جَادَ بِالدِّيْمَةِ المَطَرُ[2]

٨- وما روي عن علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه - قال: بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن فقلت: يا رسول الله تبعثني وأنا حدث السن، لا علم لي بالقضاء، قال: «**انْطَلِق فَإِنَّ الله سَيَهْدِي**

---

[1] أخرجه الطبراني في «الدعاء»، برقم: (٢١٨٠)، (ص: ٥٩٧).

[2] «أعلام النبوة» للماوردي (ج١ ص١٤٥).

قَلْبَكَ، وَيُثَبِّتُ لِسَانَكَ»، قال علي ﷺ: فما شككت في قضاء بين اثنين[1]؛ ولذلك قال رسول الله ﷺ: «**أَقْضَاكُم عَلِيٌّ**»، ومثله قوله لابن عباس، وهو يومئذ غلام: «**اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّيْنِ، وعَلِّمْهُ التَّأوِيْلَ**»، فَخَرج أفقهَ الناس في الدين وأعلمهم بالتأويل، حتى سُمِّي «البَحْرَ» لِسَعَة علمه»[2].

٩- وما رواه جعيل الأ شجعي قال: غزوت مع رسول الله ﷺ في بعض غزواته فقال: «**سِرْ يَا صَاحِبَ الفَرَسِ**»، فقلت يا رسول الله، هِي عَجْفَاءُ ضَعِيْفَةٌ، فرفع مخفقة معه فضربها بها، وقال «اللهُمَّ بَارِك لَهُ فِيْهَا»، قال: فلقد رأيتني ما أمسك رأسها أن تقدم الناس، ولقد بعت من بطنها باثني عشر ألفاً[3].

١٠- عن إياس بن سلمة [4] عن أبيه قال: غزونا مع رسول الله ﷺ حنينا، فلما واجهنا العدو تقدمت فأعلو ثنية، فاستقبلني رجل من العدو فأرميه بسهم فتوارى عني، فلما دريت ما صنع، ونظرت إلى القوم فإذا هم قد طَلَعُوا من ثنية أخرى، فالتقوا هم وصحابة النبي ﷺ فولى صحابة النبي ﷺ، وأرجع منهزمًا وعلى بردتان متزرًا بإحداهما مرتديًا بالأخرى، فاستطلق إزاري، فجمعتهما جميعًا، ومررت على رسول الله ﷺ مُنْهَزِمًا، وهو على بغلته الشهباء، فقال رسول الله ﷺ: «**لَقَد رَأى ابنُ الأكْوَعِ فَزَعًا**»، فلما غَشَوا رسول الله ﷺ نَزَلَ عَن البغلة، ثم قبض قبضة من تراب من الأرض، ثم استقبل به وجوههم، فقال: «**شَاهَت الوُجُوهُ**» فما خلف الله منهم

---

[1] أخرجه أبو يعلى في مسنده، مسند علي بن أبي طالب ﷺ، رقم (٤,١) (ج١ ص٣٢٣)، وقال حسين سليم أسد: «إسناده ضعيف».

[2] «أعلام النبوة» للماوردي (ج١ ص١٤٢).

[3] أخرجه النسائي في «السنن الكبرى» رقم: (٨٧٦٧)، (ج٨ ص١١٣)، والطبراني في «الكبير»، رقم: (٢١٧٢)، (ج٢ ص٢٨٠)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (ج٥ ص٢٦٣): «رجاله ثقات».

[4] هو إياس بن سلمة بن الأكوع الأسلمي، أبو سلمة، يقال أبو بكر المدني، روى عن أبيه وابن لعمار بن ياسر، قال ابن معين والعجلي والنسائي: ثقة، وقال ابن سعد: توفي بالمدينة (١١٩ هـ)، وهو ابن ٧٧ سنة، وكان ثقة، وذكره ابن حبان : في الثقات. ترجمته في: «تهذيب التهذيب» (ج١ ص٣٨٨)، و«شذرات الذهب» (ج١ ص١٥٦)، و«طبقات ابن سعد» (ج٥ ص٥٥٥).

إنسانًا إلا ملأ عينيه ترابًا بتلك القبضة، فولوا مدبرين، فهزمهم الله ﷻ، وقسم رسول الله ﷺ غنائمهم بين المسلمين [1].

٣١) مِن خَصَائِصِهِ الإعجازية: ظهور معجزاته ﷺ في تَكْلِيم الشجر والجماد له.

ليس بمستبعد، ولا مستغرب أن يُحْدِثَ الله تعالى من الآيات الخارجة عن العادة ما يَحُجُّ الله تعالى به من استَبْصَر، ويمد به من استنصر، ويؤيد بها حبيبه ﷺ، وفي ذلك من الإعجاز والتكريم والتفضيل مالا يخفي حيث كثرة المعجزات، والمشاهد المؤيدة للفضل، والرسالة، والعون والنصر مع قوتها وعظمتها في الفرق بينها وبين ما كان للأنبياء السابقين.

ومن ذلك ما يلي:

١- ما رواه ابنُ عُمَر قال: كُنَّا مَع رَسُولِ الله ﷺ في سَفَرٍ، فَأَقْبَلَ أَعْرَابِيٌّ، فَلَمَّا دَنَا مِنْهُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**أَيْنَ تُرِيدُ؟**»، قَالَ: إِلَى أَهْلِي، قَالَ: «**هَلْ لَكَ إِلَى خَيْرٍ؟**»، قَالَ: مَا هُوَ؟ قَالَ: «**تَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ**»، قَالَ: هَلْ مِنْ شَاهِدٍ عَلَى مَا تَقُولُ؟ قَالَ ﷺ: «**هَذِهِ السَّمُرَةُ**»، فَدَعَاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهِيَ بِشَاطِئِ الْوَادِي، فَأَقْبَلَتْ تَخُدُّ الْأَرْضَ خَدًّا، حَتَّى كَانَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَاسْتَشْهَدَهَا ثَلَاثًا، فَشَهِدَتْ أَنَّهُ كَمَا قَالَ، ثُمَّ رَجَعَتْ إِلَى مَنْبَتِهَا، وَرَجَعَ الْأَعْرَابِيُّ إِلَى قَوْمِهِ، وَقَالَ: إِنْ يَتَّبِعُونِي أَتَيْتُكَ بِهِمْ، وَإِلَّا رَجَعْتُ إِلَيْكَ فَكُنْتُ مَعَكَ[2].

٢- وما رواه يَعْلَى بنُ مُرَّةَ عَن أبيه قال: كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفَرٍ، فَأَرَادَ أَنْ يَقْضِيَ حَاجَتَهُ، فَقَالَ لِي: «**ائْتِ تِلْكَ الْأَشَاءَتَيْنِ**» - قَالَ: وَكِيعٌ: يَعْنِي النَّخْلَ الصِّغَارَ - «**فَقُلْ لَهُمَا: إِنَّ رَسُولَ**

---

[1] أخرجه مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب في غزوة حنين، رقم: (١٧٧٧) (ج٣ ص١٤٢).

[2] أخرجه الدارمي في سننه، باب ما أكرم الله به نبيه من إيمان الشجر به والبهائم والجن، رقم: (١٦) (ج١ ص٢٢)، وفي صحيح ابن حبان، كتاب التاريخ، باب المعجزات، رقم (٦٥٠٥) (ج١٤ ص٤٣٤).

اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْمُرُكُمَا أَنْ تَجْتَمِعَا» فَاجْتَمَعَتَا، فَاسْتَتَرَ بِهِمَا، فَقَضَى حَاجَتَهُ، ثُمَّ قَالَ لِي: «**ائْتِهِمَا، فَقُلْ لَهُمَا: لِتَرْجِعْ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا إِلَى مَكَانِهَا**» فَقُلْتُ لَهُمَا، فَرَجَعَتَا[1].

٣- وما رواه علي بن أبي طالب ﷺ قال: كنا مع رسول الله ﷺ في مكة، فخرج في بعض نواحيها، فما استقبله شَجَرٌ ولا جَبَلٌ إلا قال: السلام عليك يا رسول الله[2].

٤- وما رواه أبوهريرة قال: صعد النبي ﷺ حراء ومعه أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعبد الرحمن والزبير وطلحة وسعيد فتحرك الجبل فقال النبي ﷺ: «**اسْكُن حِرَاء، فَلَيْسَ عَلَيْكَ إِلَّا نَبِيٌّ أَوْ صِدِّيقٌ أَوْ شَهِيدٌ**»، فسكن الجبل[3].

٥- وما رواه جابر قال: أن النبي ﷺ لَم يَسْلُك طَرِيقًا - أو لا يسلك طريقًا فيتبعه أحد - إلا عُرِفَ أَنَّهُ قَد سَلَكَهُ، مِن طِيْبِ عَرَقِهِ، أو قال: مِن رِيْحِ عَرَقِه[4].

٦- وما رواه أنس: أن النبي ﷺ أخذ حَصَيَاتٍ في يده فَسَبَّحْنَ حتى سَمِعْنَا التسبيح، ثم صَيَّرَهُن في يد أبي بكر فسبحن حتى سمعنا التسبيح، ثم صيرهن في يد عمر، فسبحن حتى سمعنا التسبيح، ثم صيرهن في يد عثمان، فسبحن حتى سمعنا التسبيح، ثم صيرهن في أيدينا رجلاً رجلاً فما سبحت حصاة منهن[5].

---

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الطهارة وسننها، باب الارتياد للغائط والبول، رقم: (٣٣٩) (ج١ ص١٢٢).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب المناقب عن رسول الله ﷺ، رقم: (٣٦٢٦)، (ج٥ ص٥٩٣)، وقال الشيخ الألباني: ضعيف.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب من فضائل طلحة والزبير رضي الله عنهما، رقم (٢٤١٧) (ج٤ ص١٨٨٠).

(٤) أخرجه الدارمي في سننه، باب في حسن النبي ﷺ، رقم: (٦٦)، (ج١ ص٤٥).

(٥) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (ج٣٩ ص١٢٠)، وابن الجوزي في «العلل المتناهية في الأحاديث الواهية» (ج١ ص٢٠٣).

٧- وما رواه جابر بن سمرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنِّي لَأَعْرِفُ حَجَرًا مِن مَكَّةَ، كَانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ قَبْلَ البَعْثَةِ، إِنِّي لَأَعْرِفُهُ الآنَ**»[١].

٨- وأنه ﷺ كان يخطب إلى جِذْعٍ يَسْتَنِدُ إليه، فلما اتَّخَذَ مِنْبرًا تَحَوَّلَ عن الجذع إليه، فَحَنَّ إليه الجذع حتى ضَمَّهُ إليه فسكن[٢].

٩- وأنَّه أوَّل ما أوحي إليه لَم يَمُرَّ بِحَجَرٍ ولا مَدَرٍ إلا سلم عليه بالنبوة ﷺ، وهذا نظير قول الله تعالى لداود: ﴿يا جبال أوبي معه والطير﴾ [٣].

١٠- وما رواه حمزة بن عمرو الأسلمي قال: نفرنا مع رسول الله ﷺ في ليلة ظلماء فأضاءت أصابعي[٤].

١١- وما رواه عبد الله بن مسعود قال: كنا نَعُدُّ الآيَات بَرَكَة، وأنتم تعدونها تخويفًا، كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فَقَلَّ المَاءُ فقال: «**اطْلُبُوا فَضْلَةً مِن مَاءٍ**» فجاءوا بإناء فيه ماء قليل، فأدْخَلَ يَدَهُ فِي الإنَاءِ، ثم قال: «**حَيّ عَلَى الطَّهُورِ المُبَارَك وَالبَرَكَةِ مِنَ اللهِ**»، فلقد رأيت الماء يَنْبُعُ مِن بين أصابع رسول الله ﷺ، وَلَقد كُنَّا نَسْمَع تَسْبِيح الطعام وهو يُؤْكَل[٥].

---

[١] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب فضل نسب النبي ﷺ وتسليم الحجر عليه قبل النبوة، رقم: (٢٢٧٧)، (ج٤ ص١٧٨٢).

[٢] أخرجه الترمذي في سننه، أبواب الجمعة، باب ما جاء في الخطبة على المنبر، رقم (٥٠٥) (ج٢ ص٣٧٩)، وابن ماجه في سننه، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء في بدء شأن المنبر، رقم (١٤١٥) (ج١ ص٤٥٤)، وأحمد في مسنده، مسند عبد الله بن العباس بن عبد المطلب عن النبي ﷺ، رقم (٢٢٣٦) (ج١ ص٢٤٩)، وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.

[٣] «تحفة الأحوذي» (ج١٠ ص٦٩).

[٤] أخرجه إسماعيل الأصبهاني= قوام السنة في «سير السلف الصالحين» (ص: ٣٦٨).

[٥] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، رقم (٣٣٨٦) (ج٣ ص١٣١٢).

٣٢) مِن خَصَائِصِه الإعْجَازِيَّة: مَا شُوهِد مِن مُعْجِزَاتِ أفْعَالِهِ.

لقد تعددت معجزات النبي ﷺ، وتنوعت إلى درجة أنه لا يستطيع العاد لها أن يحصيها، وذلك لأنها أنواع وأصناف منها القولي، والفعلي، ومنها ما يحمل معنى البشارة، وما يحمل معنى الإنذار.

وفيما يلي أهم المعجزات الفعلية:

١- معجزة الطعام القليل المتكاثر، ومما يدل عليها:

ما روي عن جابر قال: كُنَّا مَع رسول الله ﷺ يوم الخندق، نَحْفُر، فلبثنا ثلاثة أيام لَم نَطْعَم طعامًا ولا نقدر عليه، فعرضت في الخندق كُدْيَةٌ غليظة لا يعمل فيها الفأس، فجئت إلى رسول الله ﷺ فقلت: هذه كدية قد عرضت في الخندق ورششنا عليها الماء، فقام وبطنه مُعَصَّبٌ بالحجر، فأخذ المِعْوَلَ والمِسْحَاةَ ثم سمى ثلاثاً، ثم ضرب، فعادت كثيبًا أهْيَلَ، فلما رأيت ذلك منه قلت: يا رسول الله إئذن لي، فأذن لي، فجئت إلى امرأتي، فقلت: ثكلتك أمك إني رأيت من رسول الله ﷺ شيئاً لا صبر لي عليه، فما عندك قالت: عندي صاع من شعير وعَنَاق، قال: فطحنا الشعير، وذَبَحْنَا العناق وطبخناها وجعلناها في البُرْمَةِ وعَجَنَّا العَجِين، ثم رجعت إلى رسول الله ﷺ فلبثت ساعة ثم استأذنت ثانية فأذِنَ لي، فجئت فإذا بالعجين قد أمْكَنَ فأمَرْتُهَا بالخبز، وجعلت القدر على الأثافي ثم جئت إلى رسول الله ﷺ فشاورته، وقلت: عندنا طُعَيْمٌ لَنَا فإن رأيت أن تقوم معي أنت ورجل أو رجلان معك فَعَلْت، فقال: «**مَا هُوَ وَكَم هُوَ؟**» قلت: صاع من شعير وعناق، فقال: «**ارْجِع إلَى أهْلِكَ فَقُل لَهَا: لَا تَنْزِع البُرْمَةَ مِن الأثَافِي وَلَا يَخْرُج الخُبْزُ مِنَ التَّنُّورِ حَتَّى آتِي**»، ثم قال للناس: «**قُومُوا إلى بَيْتِ جَابِر**»، فاستحييت حياء لا يعلمه إلا الله تعالى. فقلت لامرأتي: قد جاء رسول الله ﷺ بأصحابه أجمعين، فقالت: أكان سألك كم الطعام ؟ قلت: نعم، قالت: الله ورسوله أعلم، قد أخبرتَه بِما كان عندنا، فذهب عني بعض ما أجده، وقلت لها: صدقت[1]، وجاء رسول الله ﷺ فدخل ثم قال لأصحابه: «**لا تَضَاغَطُوا**»، ثم بَرَّكَ على التنور والبرمة، فجعلنا نأخذ من التنور الخبز ونأخذ من البرمة اللحم فنثرد ونغرف

---

[1] أخرجه الدارمي في سننه، باب ما أكرم به النبي ﷺ في بركة طعامه، رقم (٤٢) (ج١ ص٣٣).

وتُقَرِّبُ إليهم، فقال رسول الله ﷺ: «**لِيَجْلِس عَلى الصَّحْفَةِ سَبْعَةٌ أوْ ثَمَانِيَةٌ**» فلما أكلوا: كَشَفْنَا التنور والبرمة فإذا هما قد عادا إلى أمْلأ مِمَّا كانا عليه حتى شبع المسلمون كلهم وبقيت طائفة من الطعام[1]، فقال لنا رسول الله ﷺ: «**إنَّ النَّاسَ قَد أصَابَهُم مَخْمَصَةٌ فَكُلُوا وَأطْعِمُوا**»، فَلَم نَزَل يَوْمَنَا نَأكُلُ ونُطْعِمُ[2].

قال: فأخبروني أنهم كانوا ثمانمائة، أو قال: مائتين أقل من الثمانمائة، وهذا نَظِيْرُ مُعْجِزَةِ عيسى عليه السلام في المائدة.

٢- ومنها ما رواه أنس بن مالك: قال أبو طلحة لأم سليم: لقد سمعت رسول الله ﷺ ضعيفًا أعْرِفُ فِيه الجوع فهل عندك من شيء؟ قالت نعم، فأخرجت أقراصاً من شعير، ثم أخرجت خمارًا لها فَلَفَّت الخُبْزَ بِبَعْضِه، ثم أرسلني إلى رسول الله ﷺ، فوجودته في المسجد معه الناس فقمت عليهم، فقال لي رسول الله ﷺ : أرسلك أبو طلحة ؟ قلت: نعم، قال: للطعام ؟ قلت: نعم، فقال لمن معه: قوموا، فانطلق وانطلقت بين أيديهم حتى جئت أبا طلحة فأخبرته، فقال أبو طلحة: يا أم سليم، قد جاء رسول الله ﷺ وليس عندنا من الطعام ما نطعمهم، فقالت: الله ورسوله أعلم، فانطلق أبو طلحة حتى لقي رسول الله ﷺ وأنس معه حتى دخلا فقال رسول الله ﷺ : «**يَا أمَّ سُلَيْمٍ، هَلُمِّي مَا عِنْدَكِ**»، فجاءت بذلك الخُبْز، فأمَرَ بِهِ فَفُتَّ، وعَصَرت أم سليم عكَّةً لها، ثم قال رسول الله ﷺ ما شاء أن يقول، ثم قال: «**ائْذَن لِعَشَرَةٍ**» فأذن لهم، فأكلوا حتى شبعوا، ثم خرجوا، ثم قال «**ائْذَن لِعَشَرَةٍ**»، فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا، ثم قال: «**ائْذَن لِعَشَرَةٍ**»، حتى أكل القوم وشبعوا وخرجوا، والقوم سبعون أو ثمانون رجلاً.

والمعجز فيه مع إطعام العدد الكثير من الطعام اليسير ما أخبر به أنس بن مالك مما جاء فيه[3].

---

[1] «أعلام النبوة» للماوردي (ج١ ص١١١).

[2] المصدر السابق.

[3] أخرجه البخاري، كتاب المناقب، باب: علامات النبوة في الإسلام، رقم (٣٣٨٥) (ج٣ ص١٣١١)، ومسلم في الأشربة باب: جواز استتباعه غيره إلى دار من يثق برضاه بذلك، رقم (٢٠٤٠)،

وهذا نظير ما أعطي موسى من الحَجَرِ الذي انفجرت منا اثنتا عشرة عينًا.

٣- وما رُوِيَ أنه في غَزْوَةِ بَنِي الْمُصْطَلِق دَعَا بِرَكْوَةٍ جَافَّةٍ ثم تَفَلَ فِيها ثم قلبها فتفجرت من بين أصابعه عُيُونًا حتى شرب الخيل والإبل ومُلِئَ كُلُّ سِقَاء[1].

٤- وأن قومًا شَكَوا إليه ﷺ مُلُوحَةَ مَائِهِم، فقام بأصحابه حتى أشْرَفَ على بئرهم، فتَفَلَ فيها ثم انصرف، فانْفَجَرَت بِالْمَاءِ الزُّلَال، وكانت غائرة، وإنها على حالها إلى اليوم ويتوارثها أهلها، ويعدونها من أعظم مفاخرهم[2]، ولما بلغ ذلك قوم مسيلمة سألوه مثلها، فتفل فيها، فصار ماؤها أجاجاً كبول الحمار، وهي إلى اليوم على حالها.

---

[1] أخرجه الطبراني في «مسند الشاميين»، رقم: (٧٧٤) (ج١ ص٤٣٩).

[2] «أعلام النبوة» (ج١ ص١١١).

المطلب الثاني

من الخصائص الإعجازية التي يتبين منها عظم الرسالة الإسلامية التي أرسله الله بها

لا خلاف بين العلماء أن الله خَصَّ الرسالة الإسلامية بِخَصَائِصَ لم تَحْظَ بِها غَيْرُها: كالعمومية، والشمولية، والخلود، والبقاء، والحفظ، والإظهار، والحنيفية، والسهولة، والسماحة، واليسر، وغيرها من الصفات التي تَعْنِي تفضيل الرسالة، فإذا انضم إليها تفضيل الرسول الأكرم فُهِم منه أن: تفضيل الرسالة لتتناسب مع شرف الرسول؛ لأن الرسالة تكون تابعة للرسول، وشرف الرسالة دال على شرف الرسول، ومعبر عنه؛ ولهذا لما كان القرآن كلام رب العالمين أفضل شيء؛ لتعلقه بالذات العلية: جُعل معجزة لأفضل رسول عند الله تعالى، ودستورًا للرسالة المحمدية الخاتمة أعظم الرسالات، ودليل على صدق النبي الكريم أفضل المرسلين فهذه الخصائص تسمي: **الخصائص الرِّسَالِيّة** وهي تعني: الأمور التي اختص الله بها رسوله محمدًا ﷺ في رسالته، وأفرده بها عن غيره من الأنبياء، وهي أشياء كثيرة **لا حصر لها ومنها علي سبيل المثال ما يلي:**

١) من خصائصه ﷺ الإعجازية أن: الله يظهر دين نبيه ﷺ على كل دين يدين به الناس في أي وقت.

من الخصائص المهمة لرسالة النبي الأكرم ﷺ أن: الله يظهر دينه على كل دين خالفه، فقال سبحانه:﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ [١]، وقد بيَّن ﷺ أنه: **لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِن أُمَّتِهِ عَلَى الحَقِّ ظَاهِرِينَ إلى يَوْمِ أنْ تَقُومَ السَّاعَةُ**[٢]، وهذا يعني ظهور الدين في البقاء والخلود إلى يوم القيامة، بخلاف الأديان السابقة، فلم يكتب لها البقاء، ولا الظهور، حيث كانت خاصة بزمن معين، ومكان معين، ولم تَبْق لفترة طويلة، كما في اليهودية، والنصرانية وغيرهما من الأديان، التي نُسِخَت بالإسلام فضلاً عن تحريفها، وتبديلها مِن قَبْل، وحكم الله عليهم بالكفر، والشرك، والضلال، كما في قوله تعالى:

---

[١] سورة التوبة، آية: (٣٣).

[٢] صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب نزول عيسى، رقم: (٢٤٧).

﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [2]، وقوله تعالى: ﴿ وَقَالَتْ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا ﴾[3].

وهذا كله من وجوه الإعجاز والتفضيل لها على الرسالات السابقة؛ ومن أجل هذا وجب على العالمين أجمعين الإيمان بها، والسير عليها، وقد ذكر الإمام مسلم في: «باب وجوب الإيمان برسالة النبي محمد ﷺ على جميع الناس، ونسخ الملل بملته»: عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِن هَذِهِ الأُمَّةِ – يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ – ثُمَّ يَمُوتُ وَلَم يُؤْمِن بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِه، إِلَّا كَانَ مِن أَصْحَابِ النَّارِ**»[4].

وقد سبق قوله ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَو أَصْبَحَ فِيْكُم مُوْسَى عليه السلام، ثُمَّ اتَّبَعْتُمُوهُ وَتَرَكْتُمُونِي لَضَلَلْتُم، إِنَّكُم حَظِّي مِن الأُمَمِ وَأَنَا حَظُّكُم مِنَ النَّبِيِّينَ**»[5].

وعن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَا تَسْأَلُوا أَهْلَ الكِتَابِ عَنْ شَيءٍ فَإِنَّهُم لَنْ يَهْدُوكُم وَقَد ضَلُّوا، وَإِنَّكُم إِمَّا أَنْ تُصَدِّقُوا بِبَاطِلٍ وَإِمَّا أَنْ تُكَذِّبُوا بِحَقٍّ، وإِنَّهُ وَاللهِ لَو كَانَ مُوسَى حَيًّا بَيْنَ أَظْهُرِكُم مَا حَلّ لَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي**»[6].

٢) من خصائصه ﷺ الإعجازية عموم رسالته لكل العالمين.

لا خلاف بين العلماء: أن الله تعالى قد خص الرسالة الإسلامية، وفضَّلها على رسالات الأنبياء السابقين بأن جعلها عامة للعالمين جميعًا، وقد دلَّ على ذلك نصوص الشرع من القرآن، والسنة.

---

[1] سورة المائدة آية: (٧٣).

[2] سورة المائدة آية: (٧٢).

[3] سورة المائدة آية: (٦٤).

[4] سبق تخريجه: (ص ٢٣).

[5] سبق تخريجه: (ص ١٠٦).

[6] سبق تخريجه: (ص ٩٠).

أما من القرآن فآيات كثيرة منها ما يلي:

قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً ﴾ [١].

وقوله تعالى: ﴿ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدْ اهْتَدَوا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [٢].

وقوله تعالى: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً ﴾[٣]، فوجه الدلالة من الآيات ظاهر في عمومية الرسالة للناس جميعًا.

وأما السنة فأحاديث كثيرة تؤكد ذلك المعنى من أهمها ما يلي:

١- قوله ﷺ : « ... **وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِه خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً**»[٤]، فمعناه في الكتاب العزيز، وهو قوله ﷻ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ [٥]، وقوله تعالى: ﴿ وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خلا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾[٦]، فكان النبي ممن كان قبلنا لا يكلف من أداء الرسالة إلا ما يدعو به قومه إلى الله، وأما النبي محمد صلوات الله وسلامه عليه فقال الله تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً ﴾ [٧].

وقال تعالى: ﴿لأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ ﴾ [٨].

وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنْ الأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ ﴾ [٩].

---

[١] سورة الأعراف آية: (١٥٨).

[٢] سورة آل عمران آية: (٢٠).

[٣] سورة الفرقان آية: (١).

[٤] أخرجه البخاري، كتاب التيمم، رقم: (٤٢٧ - ٣٢٨) (ج١ ص١٢٨)، و«فتح الباري» (ج١ ص٤٣٦ - ٤٤٠).

[٥] سورة إبراهيم آية: (٤).

[٦] سورة فاطر آية: (٢٤).

[٧] سورة الأعراف آية: (١٥٨).

[٨] سورة الأنعام، آية: (١٩).

[٩] سورة هود آية: (١٧).

وقال تعالى: ﴿ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدْ اهْتَدَوا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾[1] .

٢- وقال ﷺ: «**أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِنَ الأَنْبِيَاءِ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِي الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، وَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلاَةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِي الغَنَائِمُ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ**»[2].

٣- وقال ﷺ: «**لَا يَسْمَعُ بِي رَجُلٌ مِنْ هذِهِ الأُمَّةِ يَهُودِيٌّ، وَلَا نَصْرَانِيٌّ ثُمَّ لَا يُؤْمِنُ بِي إِلَّا كَانَ مِن أَصْحَابِ النَّارِ**»[3].

وكونه ﷺ مبعوثاً إلى الناس كافة معلوم من دين الإسلام بالضرورة؛ ولهذا فإن مذهب أهل السنة والجماعة أنه ﷺ المبعوث إلى عامة الجن، وكافة الورى، بالحق، والهدى، وبالنور والضياء.

قال ابن أبي العز الحنفي: أما كونه مبعوثاً إلى عامة الجن، فقال تعالى حكاية عن قول الجن: ﴿ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [4]، وكذا سورة الجن تدل على أنه أرسل إليهم أيضًا[5].

قال مقاتل[6]: لم يَبْعَث الله رسولاً إلى الإنس والجن قبله، وهذا قول بعيد.

---

[1] سورة آل عمران آية: (٢٠).

[2] سبق تخريجه (ص: ٣٠).

[3] سبق تخريجه (ص: ٢٣).

[4] سورة الأحقاف آية: (٣١).

[5] «شرح العقيدة الطحاوية» (ج١ ص١٦٦).

[6] هو: مقاتل بن حيان، أبو بسطام النبطي البلخي الخراساني الخراز، أحد الأعلام . وثقه يحيى بن معين وأبو داود وغيرهما، روى عن الضحاك ومجاهد وعكرمة والشعبي وغيرهم، هرب أيام أبي مسلم إلى كابل، دعا خلقًا إلى الإسلام فأسلموا، مات بكابل قبل (١٥٠ هـ)، يراجع: «ميزان الاعتدال» (ج٤ ص١٧١)؛ و«الجرح والتعديل» (ج٤ ص٣٥٣)، و«تهذيب التهذيب» (ج١٠ ص٢٧٧ - ٢٧٩).

فقد قال تعالى: ﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنفُسِنَا وَغَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴾ [1]، الآية، والرسل من الأنس فقط، وليس من الجن رسول، كذا قال مجاهد[2]؛ وغيره من السلف والخلف[3].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: «الرسل من بني آدم، ومن الجن نُذُر». وظاهر قوله تعالى حكاية عن الجن: ﴿قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَاباً أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [4]، الآية: تدل على أن موسى مرسل إليهم أيضًا[5].

وروي عن الضحاك بن مزاحم[6]: أنه زعم أن في الجن رسلاً، واحتج بهذه الآية الكريمة[7].

لكن الاستدلال بها لا يفيد لأنها محتملة وليست بصريحة في المراد.

وأما كونه مبعوثاً إلى كافة الورى فقد قال: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً ﴾[1]. وقد قال تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ ﴾[3]، أي: وأنذر من بلغه.

---

[1] سورة الأنعام آية: (١٣٠).

[2] هو: مجاهد بن جبر، أبو الحجاج مولى قيس بن السائب المخزومي . شيخ المفسرين . أحذ التفسير عن ابن عباس .كان ثقة فقيها ورعا عابدًا متقنا . اتهم بالتدليس في الراوية عن عَلِيٍّ وغيره . وأجمعت الأمة على إمامته . مؤلَّفُهُ «تفسير مجاهد» طبع مؤخرا بنفقة حكومة قطر. انظر ترجمته في: «تهذيب التهذيب» (ج١٠ ص٤٤)؛ و«الأعلام» للزركلي (ج٦ ص١٦١).

[3] «شرح العقيدة الطحاوية» (ج١ ص١٦٦).

[4] سورة الأحقاف آية: (٣٠).

[5] «شرح العقيدة الطحاوية» (ج١ ص١٦٦).

[6] هو: الضحاك بن مزاحم الهلالى، أبو القاسم، ويقال أبو محمد، الخراسانى، (أخو محمد بن مزاحم، ومسلم بن مزاحم) توفي بعد (١٠٠ هـ)، روى له : (أبو داود - الترمذي - النسائي - ابن ماجه)، رتبته عند ابن حجر : صدوق كثير الإرسال، ورتبته عند الذهبي : «وثقه أحمد وابن معين»، يراجع: «تهذيب التهذيب» (ج١٠ ص٣٥٢)، و«وفيات الأعيان» (ج٥ ص٢٥٥).

[7] «تفسير ابن كثير» (ج٢ ص٢٣٨)، و«مختصر ابن كثير» (ج١ ص٤٤٢).

وأما قول بعض النصارى إنه رسول إلى العرب خاصة: فظاهر البطلان، فإنهم لما صدقوا بالرسالة لزمهم تصديقه في كل ما يخبر به، وقد قال إنه رسول الله إلى الناس عامة، والرسول لا يكذب، فلزم تصديقه حتمًا، فقد أرسل ﷺ رسله وبعث كتبه في أقطار الأرض إلى كسرى، وقيصر والنجاشي، والمقوقس، وسائر ملوك الأطراف، يدعو إلى الإسلام.

ومن هذه الروايات يظهر المراد، وهو: أن الله فضل النبي ﷺ على الأنبياء جميعًا بجعل رسالته عامة للخلق أجمعين، وبهذا صرح النبي ﷺ في قوله الدال على التفضيل، وهو: «**فُضِّلْتُ عَلَى الأَنْبِيَاءِ** بِكَذَا ... » فهذه من خصائصه التي يراد بها تفضيل الرسالة الخاتمة في أنها عامة للخلق جميعًا، فعن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**فُضِّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِستٍّ: أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ، وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجِدًا، وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً، وَخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ**»[٤].

وعن أبي سعيد ﷺ قال، قال رسول الله ﷺ: «**أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهَا نَبِيٌّ قَبْلِي: بُعِثْتُ إِلَى الْأَحْمَرِ وَالْأَسْوَدِ، وَإِنَّمَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَأُطْعِمْتُ الْمَغْنَمَ، وَلَمْ يَطْعَمْهُ أَحَدٌ كَانَ قَبْلِي، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، وَلَيْسَ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ أُعْطِي دَعْوَةً فَتَعَجَّلَها، وَإِنِّي أَخَّرْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي، وَهِيَ بَالِغَةٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا**»[٥]، وقوله: «**وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً**» في رواية مسلم، «**وَبُعِثْتُ إِلَى كُلِّ أَحْمَرَ وَأَسْوَدَ**»: فقيل المراد بالأحمر: العجم، وبالأسود: العرب، وقيل الأحمر: الإنس، والأسود: الجن، وعلى الأول التنصيص على الإنس من باب التنبيه بالأدنى على الأعلى؛ لأنه مرسل إلى الجميع، وأصرح الروايات في ذلك أشملها رواية أبي هريرة عند

---

[١] سورة سبأ آية: (٢٨).

[٢] سورة الأعراف، آية: (١٥٨).

[٣] سورة الأنعام آية: (١٩).

[٤] سبق تخريجه (ص: ٣٠).

[٥] سبق تخريجه (ص: ٣٠).

مسلم: «**وَأرْسِلْتُ إلَى الخَلْقِ كَافَّةً**»، مع أول حديث أبي هريرة هذا: «**فُضِّلْتُ عَلَى الأنْبِيَاءِ بِستٍّ**: ...» فَذَكَر الخمس المذكورة في حديث جابر؛ إلا الشفاعة، وزاد الخصلتين، وهما: «**وأعطيت جوامع الكلم، وختم بي النبيون**»، فتحصل منه، ومن حديث جابر: سبع خصال ولمسلم أيضًا من حديث حذيفة: «**فُضِّلْنَا عَلى النَّاسِ بِثَلَاثٍ خِصَالٍ: جُعِلَت صُفُوفُنَا كَصُفُوفِ المَلَائِكَةِ**»، وذكر خصلة أخرى وهي: «**وأعطيت هذه الآيات من آخر سورة البقرة من كنز تحت العرش**»، يشير إلى ما حَطَّهُ الله عَن أمَّتِهِ مِنَ الإصْرِ، وتحميل ما لا طاقة لهم به، ورفع الخطأ والنسيان، فصارت الخصال تسعًا، ولأحمد من حديث علي: «**أعطيت أربعًا لم يعطهن أحد من أنبياء الله: أعطيت مفاتيح الأرض ،وسميت أحمد** ...»[1]، فكل ذلك دال على المعنى المراد.

٣) من خصائصه ﷺ الإعجازية أن: معجزة كل نبي انقضت معه، ومعجزاته ﷺ باقية بعده إلى ما شاء الله.

لا خلاف أن: القرآن الكريم هو أعظم معجزات النبي ﷺ، وأن الله تَحَدَّى بِه الإنس والجن أن يأتوا بمثله، فعجزوا، ولن يمكنهم ذلك أبدًا إلى يوم القيامة[2].

وهذا يعني أمرين:

الأول: خلود وأبدية الرسالة إلى ما شاء الله.

الثاني: حفظ الدين إلى يوم القيامة، كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[3]، والذكر: المراد به القرآن والسنة معًا، فكما صان الله كتابه عن التحريف، والتبديل، والتغيير، صان كذلك سنة رسوله ﷺ؛ وذلك لأنه ارتضى ذلك الدين دينًا قيمًا إلى يوم أن تقوم الساعة، قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ

---

[1] أخرجه أحمد في مسنده، مسند علي بن أبي طالب ﷺ، رقم (١٣٦١)، (ج١ ص١٥٨).

[2] «فتح الباري» (ج٦ ص٥٨٣).

[3] سورة الحجر آية: (٩).

لَكُمْ الإِسْلامَ دِيناً ﴾ [1]، وهذا لم يتم لشيء إلا لرسالته ﷺ وقد بين النبي ﷺ ذلك صراحة في **أحاديث كثيرة من أهمها ما يلي:**

١- عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال: «**أَنَا مُحَمَّد النَّبِي الأُمِّي، لَا نَبِيَّ بَعْدِي، أُوْتِيْتُ جَوَامِعَ الكَلِمِ وَخَوَاتِمَهُ، وَعَلِمْتُ كَم خَزَنَة النَّارِ وَحَمَلَةَ العَرْشِ**»[2].

٢- عن جبير بن مطعم، عن أبيه، قال: قال رسول الله: «**أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَنَا أَحْمَدُ، وَأَنَا المَاحِي، الذِي يَمْحُو الله بِيَ الكُفْرَ، وأَنَا الحَاشِرُ الذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى قَدَمي، وَأَنَا العَاقِبُ**»[3].

٤) من خصائصه ﷺ: إرْسَالُه بِرِسَالَةِ الرحمة العامة للعالمين جميعًا.

هَذَا الأَمْرُ مِمَّا شرفه الله به، وفضله على خلقه ورسله جميعًا، ولا يستطيع أحد أن يحققه بمراده، وإنما هو فضل الله يؤتيه من يشاء.

قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِين﴾ [4]، فمن رحمة الله تعالى بالعباد إرسال نبيه محمد ﷺ إليهم، ثم مِن تشريفه لهم: ختم الأنبياء والمرسلين به ﷺ، وإكمال الدين الحنيف له[5]، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِين﴾ [6]، وكما في قوله ﷺ: «**إِنَّما أَنَا رَحْمَةٌ مُهْدَاةٌ**»[7] ليس للمسلمين فحسب، ولا المؤمنين فقط، وإنما للعالمين جميعًا: مؤمنهم،

---

[1] سورة المائدة آية: (٣).

[2] أخرجه أحمد في مسنده، مسند عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنهم، رقم: (٦٦,٦) (ج٢ ص١٧٢)، مسند عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنهم، رقم: (٦٩٨١) (ج٢ ص٢١٢).

[3] أخرجه البخاري، كتاب المناقب، باب ما جاء في أسماء رسول الله ﷺ، رقم (٣٣٣٩) (ج٣ ص١٢٩٩)، وأخرجه مسلم في الفضائل باب في أسمائه ﷺ رقم: (٢٣٥٤).

[4] سورة الأنبياء آية: (١,٧).

[5] «الرسل والرسالات» د. عمر سليمان الأشقر (ص: ٢٣٠) .

[6] سورة الأنبياء آية: (١,٧).

[7] أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن لعن الدواب وغيره، رقم: (٢٥٩٩) (ج٤ ص٢..٦).

وكافرهم، إنسهم وجنِّهم، كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ ﴾[1]، وهذا يعني أنه كانت بعثته حِصْنًا مِن العذاب، فكان في الرسالة المحمدية الرحمة الإلهية لكل البرية، وكما في قوله ﷺ عندما طلب منه يوم أحد الدعاء على المشركين، فقال: «**إِنِّي لَم أُبْعَث لَعَّانًا، وإنَّما بُعِثْتُ رَحْمَة**»[2].

وكما في حديث أبي هريرة: «**إنَّما أنَا رَحْمَةٌ مُهْدَاةٌ**»[3]، وما ورد أنه نبي الرحمة ويشهد لذلك أمران :

الأمر الأول: أن الله رفع الحرج والمشقة عن المكلفين في الشرع الحنيف فكانت رسالته رحمة للمكلفين في الدنيا كما في قوله تعالى: ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ ﴾[4] .

وقوله: ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ [5] .

الأمر الثاني: أن الله يرحم به الخلق كافة في الآخرة كما في الشفاعة العظمى؛ ولهذا جاء وصفه في الحديث: «**أنَا مُحَمَّد وَأحْمَد ونَبِيُّ التَّوْبَة ونَبِيُّ الرَّحْمَة**»[6].

٥) من خصائصه ﷺ: أن الله تعالى جعل في رسالته الهم بالسيئة غير مؤاخذ به، والسيئة إذا فُعِلَت تكتب سيئة، وتضاعف الحسنات إلى عشر أمثالها، وإلى سبعمائة ضعف.

وهذا أمر خص الله سبحانه وتعالى به هذه الأمة: أن جعل سمة الرسالة اليسر، والسماحة، وعدم التعسير، أو التضييق، ونفي الحرج والمشقة، وهو ما يوافق الفطرة؛ ليواكب استمرارية الدعوة، وبقاء هذا الدين.

---

[1] سورة الأنفال آية ٣٣ .

[2] أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن لعن الدواب وغيره، رقم (٢٥٩٩) (ج٤ ص٢٠٠٦).

[3] المستدرك، كتاب الإيمان، رقم (١٠٠) (ج١ ص٩١).

[4] سورة البقرة آية: (١٨٥).

[5] سورة الحج آية: (٧٨).

[6] أخرجه مسلم، كتاب الفضائل، باب في أسمائه ﷺ، رقم: (٢٣٥٥)، (ج٤ ص١٨٢٨)، وأحمد في مسنده، حديث أبي موسى الأشعري ﷺ، رقم: (١٩٥٤٣) (ج٤ ص٣٩٥).

فأحَلَّ لَهُم كثيرًا مما شدد عَلَى مَن سَبَقَهُم، ورفع عنهم الخطأ والنسيان، وما استكرهوا عليه، و لم يكتب عليهم الهم السيئ في النفوس، ولا الوساوس في الصدور ما لم يفعل الإنسان؛ بل يكتب حسنة إذا لم يفعله، ومن هم بحسنة فإنها تكتب له حسنة، فإن عملها تكتب عشرًا إلى أضعاف كثيرة، **وقد دل على ذلك نصوص الشرع ومن ذلك ما يلي:**

١- قال تعالى: ﴿ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ﴾ [١].

٢- قال ﷻ: ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ﴾ [٢].

٣- وقال تعالى:﴿ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡ ﴾ [٣].

٣- وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله ﷻ: **إِذَا هَمَّ عَبْدِي بِسَيِّئَةٍ فَلَا تَكْتُبُوهَا عَلَيْهِ، فَإِنْ عَمِلَهَا فَاكْتُبُوهَا سَيِّئَةً، وَإِذَا هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا فَاكْتُبُوهَا حَسَنَةً، فَإِنْ عَمِلَهَا فَاكْتُبُوهَا عَشْرًا**» [٤].

و في رواية: «**فَإِنْ عَمِلَهَا كَتَبْتُهَا عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِمَائَةِ ضِعْفٍ**»[٥] .

٦) ــ من خصائصه ﷺ : جعل رسالته سمحاء حنيفية وسطية.

لقد جعل الله الإسلام الدين الوسط، الذي ضمنه معاني السماحة والسهولة واليسر.

---

[١] سورة المائدة آية: (٦).

[٢] سورة البقرة آية: (١٨٥).

[٣] سورة الأعراف آية: (١٥٧).

[٤] أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب إذا هم العبد بحسنة كتبت وإذا هم بسيئة لم تكتب، رقم (١٢٨) (ج١ ص١١٧).

[٥] صحيح البخاري كتاب الرقاق، باب: من هم بحسنة أو سيئة، ومسلم كتاب الإيمان، باب: إذا هم العبد بحسنة كتبت، وإذا هم بسيئة لم تكتب رقم: (٢,٣ - ٢,٨).

يؤيد ذلك ما رواه أبوهريرة عن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ**»(١)، وأنه ﷺ قال: «**إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ بِالْيَهُودِيَّةِ وَلَا بِالنَّصْرَانِيَّةِ، وَلَكِنِّي بُعِثْتُ بِالْحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَةِ**»(٢).

فالتسامح من أهم جوانب النزعة الإنسانية في الرسالة الإسلامية، فقد أنشأ الإسلام حضارته، و لم يضق ذرعًا بالأديان السابقة، و لم يتعصب دون الآراء والمذاهب المتعددة، وإنما كان شعاره: ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥ ﴾(٣)، ومن أجل ذلك كانت مبادئ الشريعة الإسلامية في التسامح الديني عنوانًا لكل الأمم.

ومن تلك المبادئ على سبيل المثال ما يلي:

١- أن الأديان السماوية كلها تستقي من معين واحد: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴾(٤).

٢- أن الأنبياء أخوة لا تفاضل بينهم من حيث الرسالة، وأن على المسلمين أن يؤمنوا بهم جميعا: ﴿ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾(٥).

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب الدين يسر، رقم (٣٩) (ج١ ص٢٣).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده، رقم: (٢٢٣٤٥)، (ج٥ ص٢٦٦)، و«مسند الشهاب» (ج٢ ص١١٥).

(٣) سورة الزمر آية: (١٧).

(٤) سورة الشورى آية: (١٣).

(٥) سورة البقرة آية: (١٣٦).

٣- أن العقيدة لا يمكن الإكراه عليها؛ بل لا بد فيها من الإقناع: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[1].

٤- أن الاختلاف في الأديان لا يحول دون البر والصلة ،والضيافة ومما يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حِلّٞ لَّكُمۡ وَطَعَامُكُمۡ حِلّٞ لَّهُمۡۖ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ إِذَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحۡصِنِينَ غَيۡرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِيٓ أَخۡدَانٖۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلۡإِيمَٰنِ فَقَدۡ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾[2] .

٥- أن اختلاف الناس في أديانهم لا يمنع من الحوار الهادف إلى معرفة الحقيقة فلهم أن يجادل بعضهم بعضًا بالحسنى، وفي حدود الأدب والحجة والإقناع ومما يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾[3]، ولا تجوز البذاءة مع المخالفين، ولا سب عقائدهم ولو كانوا وثنيين ومما يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمۡ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرۡجِعُهُمۡ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ[4].

---

[1] سورة البقرة: (٢٥٦).

[2] سورة المائدة آية: (٥).

[3] سورة العنكبوت آية: (٤٦).

[4] سورة الأنعام آية: (١,٨).

٦- إذا اعتدى على الأمة في عقيدتها، وجب رد العدوان؛ لحماية العقيدة ودرء الفتنة ومما يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَلَا عُدۡوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[1]، وكذلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَأَخۡرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخۡرَاجِكُمۡ أَن تَوَلَّوۡهُمۡۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾[2].

٧ – إذا انْتَصَرَت الأمَّةُ على مَن اعتَدَى عليها في الدين، أو أرَاد سَلْبَها حُرِّيَتَها، فلا يجوز الانتقام منهم بإجبارهم على ترك دينهم، أو اضطهادهم في عقائدهم، وحسبهم أن يعترفوا بسلطان الدولة، ويقيموا على الإخلاص لها حتى يكون لهم ما لنا، وعليهم ما علينا[3].

فهذه بعض مبادئ التسامح الديني في الشريعة الإسلامية، وهي توجب على المسلم أن يؤمن بأنبياء الله، ورسله جميعًا، وأن لا يتعرض لأتباعهم بسوء، وأن يكون ليّن القول، يحسن جوارهم، ويقبل ضيافتهم، وله أن يصاهرهم مع ما في ذلك من اختلاط للأسر، وامتزاج للدماء، وأوجب الإسلام على الدولة المسلمة أن تحمي أماكن عبادتهم، وأن لا تتدخل في عقائدهم، ولا تجور عليهم في حكم، وتسويهم بالمسلمين في الحقوق والواجبات العامة، وأن تصون كرامتهم وحياتهم كما تصون كرامة المسلمين وحياتهم، على هذه الأسس قامت الدولة الإسلامية في عهد الرسول الأكرم ﷺ وخلفائه من بعده، وبها رأت الدنيا لأول مرة دينًا يُنشئ حضارة فلا يتعصب على غيره من الأديان، ولا يطرد غير المؤمنين به من مجال العمل الاجتماعي والمنزلة الاجتماعية.

ومن أهم صور التسامح في حياة الرسول ﷺ ما يلي:

١- لما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة، وفيها من اليهود عدد كبير كان من أول ما عمله من شئون الدولة أن أقام بينه وبينهم ميثاقًا، تحترم فيه عقائدهم، وتلتزم فيه الدولة بدفع الأذى عنهم،

---

[1] سورة البقرة آية: (١٩٣).

[2] سورة الممتحنة آية: (٩).

[3] «التاريخ الإسلامي» محمود شاكر (ج٢ ص٣٦٩)، و«من روائع حضارتنا» مصطفى السباعي (ص: ٧٥ – ٧٦).

ويكونون مع المسلمين يدًا واحدة على من يقصد المدينة بسوء، فطبَّق بـذلك رسـول الله ﷺ مبادئ التسامح الديني في البذور الأولى للرسالة الإسلامية.

٢- كان للرسول ﷺ جيران من أهل الكتاب، فكان يتعاهدهم ببرِّه، ويهديهم الهدايا، ويتقبـل منهم هداياهم،حتى أن امرأة يهودية دَسَّت لَهُ السُّمَّ فِي ذِرَاعِ شَاةٍ أَهْدَتْهَا إليه، لما كان من عادته أن يتقبل هديتهم، ويحسن جوارهم، ولما جاء وَفْدُ نصارى الحبشة أنـزلهم رسـول الله ﷺ في المسجد، وقام بنفسه على ضيافتهم، وخدمتهم، وكان مما قاله يومئذ: «**إِنَّهُم لَأَصْحَابُنَا مُكْرَّمِيْنَ فأحُبُّ أنْ أكْرِمَهُم بِنَفْسِي**»[(١)].

٣- لَمَّا جاء وفد نصارى نجران، أنزلهم في المسجد، وسمح لهم بإقامة صلاتهم فيه، فكانوا يصلون في جانب منه، ورسول الله ﷺ والمسلمون يصلون في جانب آخـر، ولَّـا أرادوا أن يناقشـوا الرسول في الدفاع عن دينهم، استمع إليهم وجادلهم، كل ذلك برفق، وأدب، وسماحة خلـق، وقبل رسول الله ﷺ من المقوقس هديته، وقبل منه جارية أرسلها إليه، وتسرى بها رسول الله ﷺ وولدت له إبراهيم الذي لم يعمر إلا أشهر قليلة، ومن وصاياه للمسلمين: «**اسْتَوْصُوا بِـالقِبْطِ فَإِنَّ لَكُم فِيْهَا نَسَبًا وَصِهْرًا**»[(٢)].

ومن صور التسامح في حياة الصحابة رضي الله عنهم والتي تدل بوضوح أنهم كانوا يسيرون على هـدي النبي ﷺ في تسامحه الديني ذي النزعة الإنسانية الرفيعة ما يلي:

١- الخليفة عمر رضي الله عنه حين دخل بيت المقدس فاتحًا يجيب سكانها إلى ما اشـترطوه: مـن أن لا يساكنهم فيها يهودي، وتحين صلاة العصر، وهو داخل كنيسة القدس الكبرى، فيأبى أن يصلي فيها كيلا يتخذها المسلمون من بعد ذريعة للمطالبة بها، واتخاذها مسجدًا[(٣)].

---

(١) «الفصول في السيرة» (ج١ ص٢٩)، و«من روائع حضارتنا» مصطفي السباعي (ص: ٧٥ – ٧٦)، و«حسن المحاضرة» للسيوطي (ج١ ص١١١).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب: تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين، ذكر إسماعيل بن إبراهيم صلوات الله عليهما، رقم (٤,٣٢) (ج٢ ص٦,٣).

(٣) «تاريخ ابن خلدون» (ج٢ ص٢٦٦).

٢- شكت امرأة مسيحية من سكان مصر إلي عمر ﷺ أن: عمرا بن العاص ﷺ، قد أدخل دارها في المسجد كرهًا عنها، فيسأل عمرًا عن ذلك، فيخبره أن المسلمين كثروا، وأصبح المسجد يضيق بهم، وفي جواره دار هذه المرأة، وقد عرض عليها عمرو ثمن دارها، وبالغ في الثمن، فلم ترض، مما اضطر عمروٌ إلى هدم دارها، وإدخالها في المسجد، ووضع قيمة الدار في بيت المال تأخذه متى شاءت، ومع أن هذا مما تبيحه قوانيننا الحاضرة، وهي حالة يعذر فيها عمرو على ما صنع، فإن عُمَرَ لَم يَرْضَ ذلك، وأمر عمرًا أن يهدم البناء الجديد من المسجد، ويعيد إلى المسيحية دارها كما كانت.

فهذه هي الروح المتسامحة، التي سادت المجتمع، الذي أظلته حضارتنا بمبادئها، فإذا بنا نشهد من ضروب التسامح الديني مالا نجد له مثيلاً، في تاريخ العصور حتى في العصر الحديث؛ ولهذا فإن التسامح الديني في الإسلام لا يعهد له مثيل في تاريخ العصور الماضية[١].

٧) من الخصائص الإعجازية للنبي ﷺ: أن الشريعة الإسلامية التي أرسل بها تقرر المساواة بين المسلمين.

هذا جانب آخر من الجوانب الإنسانية في الرسالة الخاتمة، وهو تقرير المساواة حقًا بين الناس من غير نظر إلى ألوانهم، أو أشكالهم، أو أنسابهم، فبعد أن أعلن القرآن مبدأ المساواة في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُم﴾[٢]، وقف الرسول ﷺ في حجة الوداع؛ ليعلن خطابه النبوي: «**أَيُّهَا النَّاسُ: إِنَّ رَبَّكُم وَاحِدٌ، وإِنَّ أَبَاكُم وَاحِدٌ، كُلُّكُم لِآدَم وَآدَمُ مِن تُرَاب، إِنَّ أَكْرَمَكُم عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُم، لَيْسَ لِعَرَبِيٍّ فَضْلٌ عَلَى أَعْجَمِيٍّ إِلَّا بِالتَّقْوَى**»[٣]، وليست المساواة أمورًا نظرية فحسب، وإنما في مجال التطبيق العملي أكثر، **ومن دلائل ذلك ما يلي:**

---

[١] «روائع حضارتنا» مصطفي السباعي (ص: ٧٥ – ٧٦)، و«التاريخ الإسلامي» محمود شاكر (ج٢ ص٣٦٩).

[٢] سورة الحجرات آية: (١٣).

[٣] أخرجه أحمد في مسنده، حديث رجل من أصحاب النبي ﷺ، رقم: (٢٣٥٣٦) (ج٥ ص٤١١).

١- أمر النبي ﷺ يوم فتح مكة بلالاً الحبشي أن يصعد فوق الكعبة، ويرفع الآذان[١]، وهو عبد حبشي، والكعبة هي القبلة المعظمة في الجاهلية والإسلام.

٢- لَم يَرْضَ النبي ﷺ من أبي ذر أن يُعَيِّرَ رجلاً بأمه؛ بل زجره، ونهاه بشدة وقال له: «**إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيْكَ جَاهِلِيَّةٌ**»[٢].

٣- قوله ﷺ لذوي قرباه: «**يَا بَنِي هَاشِم، يَا بَنِي عَبْد الْمُطَّلِب، لَا يَجِيْئُنِي النَّاسُ بِالأَعْمَالِ، وتَجِيْئُونِي بِالأَنْسَابِ**» وذلك لما أنزلت هذه الآية: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾[٣]، دعا رسول الله ﷺ قريشا فاجتمعوا فَعَمَّ وَخَصَّ، فقال: «**يَا بَنِي كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي مُرَّةَ بنِ كَعْبٍ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي هَاشِمٍ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِب، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا فَاطِمَةُ، أَنْقِذِي نَفْسَكِ مِنَ النَّارِ، فَإِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا، غَيْرَ أَنَّ لَكُمْ رَحِمًا سَأَبُلُّهَا بِبَلَالِهَا**»[٤].

ومعناه لا تتكلوا على قرابتي فإني لا أقدر على دفع مكروه يريده الله، وهذا يقرر المساواة الحقة التي تقوم على أساس العمل، والجهد، لا على الوساطة، والرشوة، والمحاباة.

---

[١] أخرجه عبد الرزاق، كتاب: أهل الكتابين، باب: رسالة السلام (ج١٠ ص٣٩٣)، وفي: «مصنف ابن أبي شيبة» (ج١ ص٢,٣).

[٢] أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب ما ينهى من السباب واللعن، رقم: (٥٧,٣)، (ج٥ ص٢٢٤٨)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب إطعام المملوك مما يأكل وإلباسه مما يلبس ولا يكلفه ما يغلبه، رقم (١٦٦١) (ج٣ ص١٢٨٢).

[٣] سورة الشعراء الآية: (٢١٤).

[٤] أخرجه مسلم كتاب الإيمان، باب في قوله تعالى: {وأنذر عشيرتك الأقربين} (ج١ ص١٩٢).

المطلب الثالث

من الخصائص الإعجازية التي يتبين منها منزلة الأمة المحمدية بين الأمم في الدنيا والآخرة.

من الخصائص النبوية التي خص الله بها نبيه خصائص تتعلق بتفضيل الله أمةَ حَبِيْبِهِ ﷺ على الأمم كلها كرامةً للنبي الأكرم ﷺ **وهي أشياء كثيرة منها ما يلي:**

١) من الخصائص الإعجازية للنبي ﷺ ما خصت به أمته من بين الأمم أن جعلها الله خير الأمم .

لا خلاف بين العلماء أن: الله اختار أمة النبي ﷺ على سائر الأمم، وفضلها وكرمها[١]، وسر ذلك التخصيص بيّنه ﷺ في قوله: «**إنَّ الله اخْتَارَ لِي أصْحَابِي عَلَى العَالَمِين**»[٢].

وقوله: «**وَجُعِلَت أمَّتِي خَيْر الأمَمِ**»[٣] وقد جاءت الروايات الصريحة بذلك:

فمن الأدلة الدالة على ذلك في القرآن الكريم ما يلي:

١- قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[٤].

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه في معنى قوله عز وجل: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾[١]، قال: من فعل مِثْلَ فِعْلِهِم كان مِثْلَهُم[٢].

---

[١] «فتح الباري» ابن حجر (ج١ ص٤٣٩)، و«مجموع الفتاوى» (ج٤ ص١,٢)، و«عمدة القاري» (ج١٨ ص١٤٨)، و«الاستذكار» (ج١ ص٣١٠)، و«الشريعة» (ج١ ص٥٠٠)، و«اعتقاد أهل السنة» (ج٤ ص٧٨٥)، ومختصر ابن كثير (ج١ ص٢٤٢).

[٢] أخرجه أبو طاهر المخلص في «المخلصيات»، رقم: (٢٧٣٢)، (ج٣ ص٣٦٨).

[٣] أخرجه أحمد في مسنده، مسند علي بن أبي طالب رضي الله عنه، رقم (٧٦٣) (ج١ ص٩٨).

[٤] سورة آل عمران آية: (١١٠).

وهذا يعني أن الخصوصية في تلك العلة، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر.

وقال ابن عباس ﷺ في معنى قوله: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ : هم الذين هاجروا من مكة إلى المدينة، وشهدوا بدرًا، والحديبية[٣].

ومما يؤيد ذلك قوله ﷺ: «**خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي**»[٤] فخَيْرُ قَرْنِهِ فَضَلًا: أصحابُهُ، فهو لفظ خرج على العموم ومعناه الخصوص، وهذا يعني الصالحين منهم، وأهل الفضل فهم شهداء على الناس يوم القيامة.

وذكر العلماء في وجه الخصوصية أنه: إنما صار أول هذه الأمة خير القرون؛ لأنهم آمنوا حين كفر الناس، وصدقوه حين كذبه الناس، وعزروه ونصروه، وأوَوْهُ، وواسوه بأموالهم، وأنفسهم، وقاتلوا غيرهم على كفرهم حتى أدخلوهم في الإسلام.

وقيل: إنَّ قَرْنَهُ إنما فُضِّلَ لأنهم كانوا غرباء في إيمانهم؛ لكثرة الكفار، وصبرهم على أذاهم، وتمسكهم بدينهم، وإن آخر هذه الأمة إذا أقاموا الدين، وتمسكوا به، وصبروا على طاعة ربهم في حين ظهور الشر والفسق فلهم مثل أجرهم[٥].

٢- وقال الله ﷻ: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً ﴾[٦].

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يُجَاءُ بِنُوحٍ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيُقَالُ لَهُ: هَلْ بَلَّغْتَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، يَا رَبِّ، فَتُسْأَلُ أُمَّتُهُ: هَلْ بَلَّغَكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: مَا جَاءَنَا مِنْ نَذِيرٍ، فَيَقُولُ: مَنْ شُهُودُكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ، فَيُجَاءُ بِكُمْ، فَتَشْهَدُونَ**»، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

---

(١) سورة آل عمران آية: (١١٠).

(٢) «التمهيد» (ج٢٠ ص٢٥١).

(٣) المصدر السابق.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب الشهادات، باب لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد، رقم (٢٥,٩) (ج٢ ص٩٣٨)، وأخرجه مسلم في فضائل الصحابة باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم، رقم (٢٥٣٣) (ج٤ ص١٩٦٢).

(٥) «التمهيد» لابن عبد البر (ج٢٠ ص٢٥١).

(٦) سورة البقرة آية: (١٤٣).

﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً ﴾[1]، ومعنى قوله: {وَسَطًا} أي: عدلا[2].

والوسط هنا: هو الخيار والأجود، كما يقال: قريش أوسط العرب نسبًا ودارًا، أي: خيرها، وكان رسول الله ﷺ وسطًا في قومه، أي: أشرفهم نسبًا، كما أن الوسط: هو التوسط بين الطرفين؛ لتوسطهم في الدين، فهم لا يغالون غلو النصارى في التَّرَهُّبِ، ولا هم أهل تقصير كاليهود، ولكنهم أهل توسط واعتدال، فهم خِيَارٌ أجْوَادٌ مُتَوَسِّطُونَ في الأمور.

٣- وكذلك قوله تعالى: ﴿ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾[3] يعني: اختاركم، واصطفاكم؛ لتكونوا أمة نبيه المصطفي ﷺ.

وأما الأحاديث الدالة على ذلك فكثيرة منها ما يلي:

١- روي أحمد: قال رسول الله ﷺ: «**أَنْتُمْ تُتِمُّونَ سَبْعِينَ أُمَّةً أَنْتُمْ خَيْرُهَا وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللَّهِ**»[4]، وظهر أثر هذا الاختيار في أعمالهم، وأخلاقهم وتوحيدهم، ومنازلهم في الجنة، ومقاماتهم في الموقف، فإنهم أعلى من الناس؛ على تَلٍّ فوقهم يُشْرِفُون عليهم.

٢- وأنه ﷺ قال: «**أَهْلُ الجَنَّةِ عِشْرُونَ وَمِائَةُ صَفٍّ ثَمَانُونَ مِنْهَا مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ وَأَرْبَعُونَ مِنْ سَائِرِ الأُمَمِ**»[5].

---

[1] أخرجه البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قوله تعالى { وكذلك جعلناكم أمة وسطا }، رقم (٦٩١٧) (ج٦ ص٢٦٥٤).

[2] «عظيم قدره» (ص: ٢,٨).

[3] سورة الحج آية: (٧٨).

[4] أخرجه الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة آل عمران، رقم (١٠٠٣) (ج٥ ص٢٢٦)، وأحمد في مسنده، مسند أبي سعيد الخدري ﷺ، رقم (١١٦,٤) (ج٣ ص٦١).

[5] أخرجه الترمذي، كتاب صفة الجنة، باب: ما جاء في صفة أهل الجنة، رقم: (٢٥٤٦)، وقال الترمذي: «هذا حديث حسن» (ج٤ ص٦٨٣)، وأخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الزهد، باب صفة أمة ﷺ، رقم (٤٢٨٩) (ج٢ ص١٤٣٤).

٣- وفي حديث أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ في حديث بعث النار: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنِّي لَأَطْمَعُ أَنْ تَكُونُوا شَطْرَ أَهْلِ الجَنَّةِ**»[١]، ولم يَزِد على ذلك، فإما أن يقال: هذا أصح، وإما أن يقال: إن النبي ﷺ طمع أن تكون أمته شطر أهل الجنة، فأعْلَمَهُ ربه فقال: إنهم ثمانون صفاً من مائة وعشرين صفاً، فلا تَنَافِي بين الحديثين[٢].

ولهذا اتفق أهل العلم جميعًا على: أن الله جعل هذه الأمة خير الأمم، واصطفاهم من جميع الخلق؛ لتكون أمة نبيه وصفيه محمد ﷺ، واجتباها لتكون الأمة الوسط الشاهدة على جميع الأمم السابقة عليهم يوم القيامة[٣].

وفي لفظ: «**أَنْتُم أَفْخَرهَا، وَأَكْرَمهَا عَلَى اللهِ** ﷻ»[٤].

وعن علي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَعْطِيْتُ مَا لَم يُعْطَ أَحَدٌ مِن الأنبياء** ...» الحديث. وفيه: «**وَجُعِلَت أُمَّتِي خَيْر الأُمَمِ**»[٥] نَصّ في التفضيل.

وعن أَبَيِّ بنِ كَعب ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**بَشِّرْ هَذِهِ الْأُمَّةَ بِالسَّنَاءِ، وَالرِّفْعَةِ، وَالنَّصْرِ، وَالتَّمْكِينِ فِي الْأَرْضِ، فَمَنْ عَمِلَ مِنْهُمِ عَمَلَ الْآخِرَةِ لِلدُّنْيَا، لَمْ يَكُنْ لَهُ فِي الْآخِرَةِ نَصِيبٌ**»[١].

---

[١] أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب قوله ﷻ {إن زلزلة الساعة شيء عظيم}، رقمك (٦١٦٥) (ج٥ ص٢١٩٢)، وأخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب قوله: «**يَقُولُ اللهُ لِآدَمَ أَخْرِجْ بَعْثَ النَّارِ مِن كُلِّ أَلْفٍ تِسْعمَائَةٍ وَتِسْعَةٍ وَتِسْعِيْنَ**»، رقم: (٢٢٢) (ج١ ص٢,١).

[٢] «المستدرك على الصحيحين» (ج٤ ص٩٧)، و«نوادر الأصول» (ج١ ص١٤٢).

[٣] «التمهيد» (ج٢٠ ص٢٥١)، و«تفسير الطبري» (ج٣ ص٣٨٩)، و«تفسير القرطبي» (ج٤ ص١٦٦)، و«الدر المنثور» (ج٢ ص٢٩٤)، و«الاستذكار» (ج١ ص٣١)، و«الشريعة» (ج١ ص٥٠٠)، و«روح المعاني» (ج٤ ص٢٧)، و«الصواعق المحرقة» (ج٢ ص٦,٤)، و«فتح الباري» (ج١ ص٤٣٩)، و«مجموع الفتاوى» (ج٤ ص١,٢)، و«فيض القدير» (ج٦ ص٣٩٦)، و«عمدة القاري» (ج١٨ ص١٤٨).

[٤] أخرجه الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب: ومن سورة آل عمران، رقم (٣٠٠٠)، (ج٥ ص٢٢٦)، وأحمد في مسنده، مسند أبي سعيد الخدري ﷺ، رقم (١١٦,٤) (ج٣ ص٦١).

[٥] أخرجه أحمد في مسنده، مسند علي بن أبي طالب ﷺ، رقم: (٧٦٣) (ج١ ص٩٨٠).

وعن ابن عمر[٢] ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**إِنَّمَا أَجَلُكُمْ فِي أَجَلِ مَنْ خَلاَ مِنَ الأُمَمِ، مَا بَيْنَ صَلاَةِ العَصْرِ إِلَى مَغْرِبِ الشَّمْسِ، وَإِنَّمَا مَثَلُكُمْ وَمَثَلُ اليَهُودِ، وَالنَّصَارَى، كَرَجُلٍ اسْتَعْمَلَ عُمَّالًا، فَقَالَ: مَنْ يَعْمَلُ لِي إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ عَلَى قِيرَاطٍ قِيرَاطٍ، فَعَمِلَتِ اليَهُودُ إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ عَلَى قِيرَاطٍ قِيرَاطٍ، ثُمَّ قَالَ: مَنْ يَعْمَلُ لِي مِنْ نِصْفِ النَّهَارِ إِلَى صَلاَةِ العَصْرِ عَلَى قِيرَاطٍ قِيرَاطٍ، فَعَمِلَتِ النَّصَارَى مِنْ نِصْفِ النَّهَارِ إِلَى صَلاَةِ العَصْرِ عَلَى قِيرَاطٍ قِيرَاطٍ، ثُمَّ قَالَ: مَنْ يَعْمَلُ لِي مِنْ صَلاَةِ العَصْرِ إِلَى مَغْرِبِ الشَّمْسِ عَلَى قِيرَاطَيْنِ قِيرَاطَيْنِ، أَلاَ؛ فَأَنْتُمُ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ مِنْ صَلاَةِ العَصْرِ إِلَى مَغْرِبِ الشَّمْسِ، عَلَى قِيرَاطَيْنِ قِيرَاطَيْنِ، أَلاَ لَكُمُ الأَجْرُ مَرَّتَيْنِ، فَغَضِبَتِ اليَهُودُ، وَالنَّصَارَى، فَقَالُوا: نَحْنُ أَكْثَرُ عَمَلًا وَأَقَلُّ عَطَاءً، قَالَ اللَّهُ: هَلْ ظَلَمْتُكُمْ مِنْ حَقِّكُمْ شَيْئًا؟ قَالُوا: لاَ، قَالَ: فَإِنَّهُ فَضْلِي أُعْطِيهِ مَنْ شِئْتُ**»[٣].

ومما جاء في الكتاب والسنة عن طوائف هذه الأمة:

قوله تعالى:﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ﴾[٤]، فهذه الآية تتناول النفر الذين بايعوا النبي ﷺ بيعة الرضوان، وقوله تعالى: ﴿ وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾[٥].

---

[١] أخرجه أحمد في مسنده، حديث أبي العالية عن أبي بن كعب ﷺ، رقم: (٢١٢٥٨ - ٢١٢٦٠) (ج٥ ص١٣٤)، وابن حبان في صحيحه، كتاب البر والإحسان، باب الإخلاص رقم: (٤,٥) (ج٢ ص١٣٢).

[٢] هو: عبد الله بن عمر بن الخطاب، أبو عبد الرحمن: قرشي عدوي، صاحب رسول الله ﷺ نشأ في الإسلام، وهاجر مع أبيه إلى الله ورسوله، شهد الخندق وما بعدها، ولم يشهد بدرا ولا أحدًا لصغره، أفتى الناس ستين سنة، ولما قتل عثمان عرض عليه ناس أن يبايعوه بالخلافة فأبى، شهد فتح إفريقية، كف بصره في آخر حياته، كان آخر من توفي بمكة من الصحابة، وهو من المكثرين من الحديث عن الرسول ﷺ. «الأعلام» للزركلي (ج٤ ص٢٤٦).

[٣] أخرجه البخاري، كتاب الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، رقم: (٤٧٣٣) (ج٣ ص١٢٧٤)، كتاب فضائل القرآن، باب فضل القرآن على سائر الكلام، رقم (٤٧٣٣) (ج٤ ص١٩١٧).

[٤] سورة الفتح آية: (١٨).

[٥] سورة التوبة آية: (١٠٠).

وكذلك ما روي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: كنا يوم الحديبية ألفا وأربعمائة، فقال لنا النبي ﷺ: «**أَنْتُم اليومَ خَيْرُ أَهْلِ الأَرْضِ**»[1].

وقد ورد بأن خير هذه الأمة الصحابة، ثم التابعون[2]، وعن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: «**ثُمَّ يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ، فَيَغْزُو فِئَامٌ مِنَ النَّاسِ، فَيُقَالُ: هَلْ فِيكُمْ مَنْ صَاحَبَ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيُفْتَحُ لَهُمْ، ثُمَّ يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ، فَيَغْزُو فِئَامٌ مِنَ النَّاسِ، فَيُقَالُ: هَلْ فِيكُمْ مَنْ صَاحَبَ مَنْ صَاحَبَ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيُفْتَحُ لَهُمْ**» [3].

وهذا دليل واضح على فضل الصحابة، وبركتهم على من بعدهم.

وكذلك تفضيل كل قرن عن الذي يليه كما تدل عليه الروايات الآتية:

١- عن عبيدة عن عبد الله قال: ثم سئل رسول الله ﷺ : أي الناس خير؟ قال: «**خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ أَقْوَامٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ، وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ**»[4]، قال إبراهيم: كانوا ينهوننا ونحن غلمان عن العهد والشهادات.

٢- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سُئِلَ رسول الله ﷺ: أي الناس خير؟ فقال: «**أَنَا وَالذِيْنَ مَعِي، ثُمَّ الذِيْنَ عَلَى الأَثَرِ، ثُمَّ الذِيْنَ عَلَى الأَثَرِ**»، ثم كأنه رفض مَن بَقِى[5].

---

[1] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب استحباب مبايعة الإمام الجيش عند إرادة القتال وبيان بيعة الرضوان تحت الشجرة، رقم: (١٨٥٦) (ج٣ ص١٤٨٣).

[2] «العقيدة الواسطية» (ج١ ص٢٦)، و«منهاج السنة النبوية» (ج٧ ص٤٥٨)، و«مجموع الفتاوى» (ج٤ ص١,٢).

[3] أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب من استعان بالضعفاء والصالحين في الحرب، رقم (٢٧٤٠) (ج٣ ص١,٦١)، ومسلم في فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم، رقم (٢٥٣٢)، (ج٤ ص١٩٦٢).

[4] أخرجه البخاري، كتاب الأيمان والنذور، باب: إذا قال أشهد بالله أو شهدت بالله، رقم (٦٢٨٢) (ج٦ ص٢٤٥٢)، وأخرجه مسلم، كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، رقم: (٢٥٣٣) (ج٤ ص١٩٦٢١).

[5] أخرجه أحمد في مسنده، مسند أبي هريرة رضي الله عنه، رقم: (٨٤٦٤) (ج٢ ص٣٤٠).

فهذه أخبار صحيحة وصريحة في تفضيل الأمة والصحابة على غيرهم.

٢) من الخصائص الإعجازية للنبي ﷺ ما خُصَّت بِه أمَّتُهُ مِن بين الأمم بأن جعلها الله آخر الأمم في الدنيا، وأولهم حسابا في الآخرة.

مما خص الله ﷻ به هذه الأمة دون غيرها من الأمم، وأفردها عنهم، وأكرمها: أنه ﷻ جعلها آخر الأمم في الوجود، وهي أول الأمم في البعث، والحساب، ودخول الجنة، كما أن النبي ﷺ هو آخر الأنبياء بعثًا وأولهم خلقًا.

ومما يدل على ذلك ما يلي:

١- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «**نَحْنُ الآخِرُونَ، السَّابِقُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ، بَيْدَ أَنَّهُم أُوْتُوا الكِتَابَ مِن قَبْلِنَا** ...»[(١)].

٢- وعن أبي هريرة وحذيفة رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ : « ... **نَحْنُ الآخِرُونَ مِن أَهْلِ الدُّنْيَا، وَالأَوَّلُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ، المَقْضِيُّ لَهُم** - وفي رواية: **المَقْضِيَّ بَيْنَهُم - قَبْلَ الخَلَائِقِ**»[(٢)] يعني: الآخرون السابقون[(٣)].

وقد جعل ﷻ ذلك إكرامًا لنبيه ﷺ، فجعل أمته الآخرون زمانًا، الأولون منزلة، وأنهم أول من يحشر، وأول من يحاسب، وأول من يقضى بينهم، وأول من يدخل الجنة، وكل ذلك دال على تكريمهم، وتفضيلهم، ومنحهم من المولى الكريم ما لم يُعْطِ أحدًا من العالمين.

٣- وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**نَحْنُ الآخِرُونَ الأَوَّلُونَ السَّابِقُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ، بَيْدَ أَنَّهُم أُوْتُوا الكِتَابَ مِن قَبْلِنَا**»[(١)].

---

(١) أخرجه البخاري كتاب الأنبياء، باب: {أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم}، رقم: (٣٢٩٨) (ج٣ ص١٢٨٥)، ومسلم في الجمعة باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة، رقم: (٨٥٥) (ج٢ ص٥٨٥).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجمعة، باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة، رقم: (٨٥٦) (ج٢ ص٥٨٦).

(٣) «عظم قدره» (ص: ٢,٣).

فدل الحديث على أن الأمة المحمدية بالرغم من أنها آخر الأمم بعثًا؛ إلا أنها ستكون أول الأمم يوم القيامة، سابقة على الأمم في الحساب، وفي كل شيء: في البعث، والعرض، ودخول الجنة، وغير ذلك كما جاء في الحديث: **نحن الآخرون السابقون**، أي: الآخرون زمانًا، الأولون منزلة والمراد: أن هذه الأمة وإن تأخر زمنها، إلا أنها تأتي أول الأمم في الآخرة[٢].

فالنص صريح في التفضيل، والتشريف، والتكريم للنبي ﷺ .

٣) من الخصائص الإعجازية للنبي ﷺ ما خصت به أمته من بين الأمم بِيَوْمِ الجُمُعَةِ.

يوم الجمعة: يوم عظيم، وهو من خصائص الأمة المحمدية، هكذا ورد في القرآن الكريم والسنة الصحيحة.

أما القرآن الكريم: فقوله تعالى: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[٣].

قال الطبري: وكان اختلافهم الذي خَذَلَهُم الله فيه وهَدَى له الذين آمنوا بمحمد ﷺ لإصابته: الجمعة ضلوا عنها، وقد فرضت عليهم كالذي فرض علينا، فجعلوها السبت[٤].

ونَصَّ الفُقَهَاءُ علي أن صلاة الجمعة من خصائص هذه الأمة[١].

---

[١] أخرجه البخاري كتاب الأنبياء، باب: {أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم}، رقم: (٣٢٩٨) (ج٣ ص١٢٨٥)، ومسلم في الجمعة باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة، رقم: (٨٥٥) (ج٢ ص٥٨٥).

[٢] «شرح السيوطي» (ج٣ ص٨٧).

[٣] سورة البقرة آية: (٢١٣).

[٤] «تفسير الطبري» (ج٢ ص٣٤٧).

وأما السنة النبوية فقد عنون البخاري بابًا باسم: «باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة»[٢] وذكر فيه فضل يوم الجمعة، وأنه مما خص الله به أمة النبي ﷺ، ويؤيده قوله ﷺ: «**نَحْنُ الْآخِرُونَ، وَنَحْنُ السَّابِقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، بَيْدَ أَنَّ كُلَّ أُمَّةٍ أُوتِيَتِ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِنَا، وَأُوتِينَاهُ مِنْ بَعْدِهِمْ، ثُمَّ هَذَا الْيَوْمُ الَّذِي كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْنَا، هَدَانَا اللهُ لَهُ، فَالنَّاسُ لَنَا فِيهِ تَبَعٌ، الْيَهُودُ غَدًا، وَالنَّصَارَى بَعْدَ غَدٍ**»[٣]، ومما يبين وجه اختصاص الأمة بيوم الجمعة، ما رواه أبو هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : «**أَضَلَّ اللهُ عَنِ الْجُمُعَةِ مَنْ كَانَ قَبْلَنَا، فَكَانَ لِلْيَهُودِ يَوْمُ السَّبْتِ، وَكَانَ لِلنَّصَارَى يَوْمُ الْأَحَدِ، فَجَاءَ اللهُ بِنَا فَهَدَانَا اللهُ لِيَوْمِ الْجُمُعَةِ، فَجَعَلَ الْجُمُعَةَ، وَالسَّبْتَ، وَالْأَحَدَ، وَكَذَلِكَ هُمْ تَبَعٌ لَنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، نَحْنُ الْآخِرُونَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، وَالْأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، الْمَقْضِيُّ لَهُمْ قَبْلَ الْخَلَائِقِ**»[٤].

وقد جعل النبي لهذا اليوم ميزة على غيره، عندما أرشد الأمة إلى أن يكثروا فيه من الصلاة عليه، كما في المسند والسنن، من حديث أوس عن النبي ﷺ : «**إِنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ قُبِضَ، وَفِيهِ النَّفْخَةُ، وَفِيهِ الصَّعْقَةُ، فَأَكْثِرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ فِيهِ، فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ**» قَالَ: قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَيْفَ تُعْرَضُ صَلَاتُنَا عَلَيْكَ وَقَدْ أَرِمْتَ - يَقُولُونَ: بَلِيتَ -؟ فَقَالَ: «**إِنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ**»[٥]، فهذا أمر خاص بالأمة ونبيها دون الأمم والأنبياء، وفيه من الفضل والشرف ما لا يخفى؛ حيث زيادة الأجر

---

[١] «إعانة الطالبين» (ج٢ ص٦٢)، وفي «حاشية الجمل على المنهج لشيخ الإسلام» زكريا الأنصاري (ج٢ ص٦٦٦)، «الاختيارات الفقهية» (ج١ ص١٠)، «الفروع» (ج١ ص٣٢٥).

[٢] «فتح الباري» (ج٢ ص٤٢١)، و«التمهيد» لابن عبد البر (ج١٩ ص٢٠).

[٣] أخرجه مسلم، كتاب الجمعة، باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة، رقم (٨٥٥) (ج٢ ص٥٨٥).

[٤] أخرجه مسلم في الجمعة، باب: هداية هذه الأمة ليوم الجمعة، رقم: (٨٥٥) (ج٢ ص٥٨٥).

[٥] أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الصلاة، باب فضل يوم الجمعة وليلة الجمعة، رقم (١,٤٧) (ج١ ص٣٤٢)، وقال الألباني: صحيح، وأخرجه النسائي في سننه، كتاب الجمعة، باب: إكثار الصلاة على النبي ﷺ يوم الجمعة، رقم: (١٣٧٤)، (ج٣ ص٩١).

والثواب في كثرة الصلاة والسلام من الأمة على النبي ﷺ، وحسن الاتباع بصلاة الجمعة التي يزيدهم قربًا من الله تعالى.

وأنه ﷺ قال: «**سَيِّدُ الْأَيَّامِ يَوْمُ الْجُمُعَةِ، وَأَعْظَمُهَا عِنْدَهُ، وَأَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ يَوْمِ الْفِطْرِ، وَيَوْمِ الْأَضْحَى، وَفِيهِ خَمْسُ خِلَالٍ: خَلَقَ اللَّهُ فِيهِ آدَمَ، وَأَهْبَطَ اللَّهُ فِيهِ آدَمَ إِلَى الْأَرْضِ، وَفِيهِ تَوَفَّى اللَّهُ آدَمَ، وَفِيهِ سَاعَةٌ لَا يَسْأَلُ الْعَبْدُ فِيهَا شَيْئًا، إِلَّا آتَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ مَا لَمْ يَسْأَلْ حَرَامًا، وَفِيهِ تَقُومُ السَّاعَةُ مَا مِنْ مَلَكٍ مُقَرَّبٍ، وَلَا سَمَاءٍ، وَلَا أَرْضٍ، وَلَا رِيَاحٍ، وَلَا جِبَالٍ، وَلَا بَحْرٍ، إِلَّا هُنَّ يُشْفِقْنَ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ**»[1]. فكان سيد الأيام لأمة سيد الخلق ﷺ فهي سيدة الأمم.

ومن فهم هذه المعاني فَهِمَ فضيلة هذا اليوم، وخصوص الأمة المحمدية به، روي عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَت عَلَيْهِ الشَّمْسُ يَومُ الجُمُعَةِ، فِيْهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيْهِ أدْخِلَ الجَنَّةَ، وفِيْهِ أخْرِجَ مِنْهَا**»[2].

٤) ــ ومما خصت به هذه الأمة من بين الأمم: أن جعل الله لها ساعة إجابة في يوم الجمعة.

من الفضائل المحمدية التي خص الله بها أمة خير البرية، أن جعل لهم ساعة إجابة كل يوم جمعة، فضل وكرم من الكريم المنان لأمة حبيبه خير الأنام، وليس ذلك لأحد إلا أمة النبي ﷺ **يؤيد ذلك ما يلي:**

١- عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «**فِي الجُمُعَةِ سَاعَةٌ، لَا يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ، وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي، يَسْأَلُ اللهَ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ**»[3]، وقال بيده: ووضع أنملته على بطن الوسطى والخنصر قلنا يزهدها. فالحديث دليل على أمور منها:

---

[1] أخرجه أحمد في مسنده، زيادة في حديث أبي لبابة بن عبد المنذر البدري ﷺ، رقم: (١٥٥٨٧)، (ج٣ ص٤٣٠)، والحاكم في المستدرك (ج١ ص٢٧٩)، والنسائي في «السنن الكبرى» (ج١ ص٥١٩).

[2] أخرجه مسلم كتاب الجمعة، باب فضل يوم الجمعة، رقم: (٨٥٤) (ج٢ ص٥٨٥).

[3] أخرجه البخاري، كتاب الطلاق، باب الإشارة في الطلاق والأمور، رقم: (٤٩٨٨) (ج٥ ص٢٠٢٩).

أ- فضل يوم الجمعة.

ب- وأن بعضه أفضل من بعض؛ لأن تلك الساعة أفضل من غيرها، وإذا جاز أن يكون يوم أفضل من يوم، جاز أن تكون ساعة أفضل من ساعة.

ج- أن الفضائل لا تدرك بقياس، وإنما بالتسليم، والتعلم، والشكر[1].

٢- وروى مالك[2] في الموطأ، عن أبي هريرة مرفوعًا: «**خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ، يَوْمُ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ أُهْبِطَ مِنَ الْجَنَّةِ، وَفِيهِ تِيبَ عَلَيْهِ، وَفِيهِ مَاتَ. وَفِيهِ تَقُومُ السَّاعَةُ. وَمَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا وَهِيَ مُصِيخَةٌ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، مِنْ حِينِ تُصْبِحُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ شَفَقًا مِنَ السَّاعَةِ. إِلَّا الْجِنَّ وَالْإِنْسَ. وَفِيهِ سَاعَةٌ لَا يُصَادِفُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ وَهُوَ يُصَلِّي، يَسْأَلُ اللَّهَ شَيْئًا، إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ**»، قَالَ كَعْبٌ: ذَلِكَ فِي كُلِّ سَنَةٍ يَوْمٌ؟ فَقُلْتُ: بَلْ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ، فَقَرَأَ كَعْبٌ التَّوْرَاةَ فَقَالَ: صَدَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ فَلَقِيتُ لَقِيتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ سَلَامٍ، فَحَدَّثْتُهُ بِمَجْلِسِي مَعَ كَعْبِ الْأَحْبَارِ، وَمَا حَدَّثْتُهُ بِهِ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ، فَقُلْتُ: قَالَ كَعْبٌ ذَلِكَ فِي كُلِّ سَنَةٍ يَوْمٌ، قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ: كَذَبَ كَعْبٌ، فَقُلْتُ: ثُمَّ قَرَأَ كَعْبٌ التَّوْرَاةَ، فَقَالَ: بَلْ هِيَ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ. فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ: صَدَقَ كَعْبٌ، ثُمَّ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ: قَدْ عَلِمْتُ أَيَّةَ سَاعَةٍ هِيَ. قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَقُلْتَ لَهُ أَخْبِرْنِي بِهَا وَلَا تَضَنَّ عَلَيَّ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ: «**هِيَ آخِرُ سَاعَةٍ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ**»[3].

٣- وفي حديث أنس بن مالك ﷺ أن: رسول الله ﷺ قال: «**أَتَانِي جِبْرِيلُ بِمِثْلِ الْمِرْآةِ الْبَيْضَاءِ فِيهَا نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، قُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ: مَا هَذِهِ؟ قَالَ: هَذِهِ الْجُمُعَةُ، جَعَلَهَا اللَّهُ عِيدًا لَكَ**

---

[1] «التمهيد» لابن عبد البر (ج١٩ ص١٨).

[2] هو: مالك بن أنس بن مالك الأصبحي الأنصاري إمام دار الهجرة، وأحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة، أخذ العلم عن نافع مولى ابن عمر، والزهري، وربيعة الرأي، وكان مشهورا بالتثبت والتحري، يتحرى فيمن يأخذ عنه، ويتحرى في الفتيا، لا يبالي أن يقول: «لا أدري»، اشتهر في فقهه باتباع الكتاب والسنة وعمل أهل المدينة، كان رجلا مهيبا، وجه إليه الرشيد ليأتيه فيحدثه فأبى وقال: العلم يؤتى، ميلاده ووفاته بالمدينة (سنة: ١٧٩ هـ)، مِن تَصَانِيْفِهِ: الموطأ، وجمع فقهه في المدونة، والرسالة إلى الليث بن سعد. انظر: «تهذيب التهذيب» (ج١٠ ص٥)؛ و«وفيات الأعيان» (ج١ ص٤٣٩).

[3] أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الصلاة، باب فضل يوم الجمعة وليلة الجمعة، رقم: (١,٤٦) (ج١ ص٣٤١).

وَلِأُمَّتِكَ، فَأَنْتُمْ قَبْلَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، فِيهَا سَاعَةٌ لَا يُوَافِقُهَا عَبْدٌ يَسْأَلُ اللَّهَ فِيهَا خَيْرًا إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ»، قَالَ: قُلْتُ: **«مَا هَذِهِ النُّكْتَةُ السَّوْدَاءُ؟ قَالَ: هَذَا يَوْمُ الْقِيَامَةِ، تَقُومُ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ، وَنَحْنُ نَدْعُوهُ عِنْدَنَا الْمَزِيدَ»**، قَالَ: **«قُلْتُ: مَا يَوْمُ الْمَزِيدِ؟ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ فِي الْجَنَّةِ وَادِيًا أَفْيَحَ، وَجَعَلَ فِيهِ كُثْبَانًا مِنَ الْمِسْكِ الْأَبْيَضِ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ يَنْزِلُ اللَّهُ فِيهِ، فَوُضِعَتْ فِيهِ مَنَابِرُ مِنْ ذَهَبٍ لِلْأَنْبِيَاءِ، وَكَرَاسِيُّ مِنْ دُرٍّ لِلشُّهَدَاءِ، وَيَنْزِلْنَ الْحُورُ الْعِينُ مِنَ الْغُرَفِ فَحَمِدُوا اللَّهَ وَمَجَّدُوهُ»**، قَالَ: **«ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ: اكْسُوا عِبَادِي، فَيُكْسَوْنَ، وَيَقُولُ: أَطْعِمُوا عِبَادِي، فَيُطْعَمُونَ، وَيَقُولُ: اسْقُوا عِبَادِي، فَيُسْقَوْنَ، وَيَقُولُ: طَيِّبُوا عِبَادِي فَيُطَيَّبُونَ، ثُمَّ يَقُولُ: مَاذَا تُرِيدُونَ؟ فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا رِضْوَانَكَ»**، قَالَ: **«يَقُولُ: رَضِيتُ عَنْكُمْ، ثُمَّ يَأْمُرُهُمْ فَيَنْطَلِقُونَ، وَتَصْعَدُ الْحُورُ الْعِينُ الْغُرَفَ، وَهِيَ مِنْ زُمُرُّدَةٍ خَضْرَاءَ، وَمِنْ يَاقُوتَةٍ حَمْرَاءَ»**[1].

٤- وفي حديث علي بن أبي طلحة، عن أبي هريرة، قال: قيل للنبي ﷺ: لأي شيء سُمِّيَ يوم الجمعة ؟ قال: **«لِأَنَّ فِيهَا طُبِعَتْ طِينَةُ أَبِيكَ آدَمَ، وَفِيهَا الصَّعْقَةُ، وَالْبَعْثَةُ، وَفِيهَا الْبَطْشَةُ، وَفِي آخِرِ ثَلَاثِ سَاعَاتٍ مِنْهَا سَاعَةٌ مَنْ دَعَا اللهَ عَزَّ وَجَلَّ فِيهَا اسْتُجِيبَ لَهُ»**[2].

٥- عن جابر بن عبد الله عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«يَوْمُ الْجُمُعَةِ ثِنْتَا عَشْرَةَ** - يريد: ثنتا عشرة ساعة - **لَا يُوجَدُ مُسْلِمٌ يَسْأَلُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ شَيْئًا، إِلَّا أَتَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، فَالْتَمِسُوهَا آخِرَ سَاعَةٍ بَعْدَ الْعَصْرِ»**[3].

قال أبو عمر: يقال: إن قوله في هذا الحديث: «**التمسوها آخر ساعة بعد العصر**» من قول أبي سلمه، وقال آخرون: الساعة المذكورة في يوم الجمعة هي: ساعة الصلاة، وحينها من الإقامة إلى السلام[4].

---

[1] أخرجه أبو يعلي في مسنده، حديث: أبي عمران الجوني عن أنس بن مالك، رقم: (٤٢٢٨) (ج٧ ص٢٢٨).

[2] أخرجه أحمد في مسنده، رقم: (٨١٠٢)، (ج١٣ ص٤٦٦).

[3] أخرجه أبو داود، كتاب: الصلاة، باب: الإجابة أية ساعة هي في يوم الجمعة؟ رقم: (١,٣٥)، (ج١ ص٣٤٢).

[4] «التمهيد» لابن عبد البر (ج١٩ ص٢٠).

٥) ومما خصت به هذه الأمة من بين الأمم أنهم: يأتون يوم القيامة غُرًا مُحَجَّلِيْنَ مِن آثَارِ الوُضُوءِ.

مما خصت به هذه الأمة من بين الأمم، أنها تأتي يوم القيامة غرًا محجلين من آثار الوضوء، وليس لأحد من الأمم الأخرى ذلك، وأن هذه الخصيصة لهم؛ كي يعرفهم النبي ﷺ يوم القيامة[١].

ومن الأدلة الدالة على ذلك ما يلي:

١- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إِنَّ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ أَثَرِ الْوُضُوءِ**»، فَمَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يُطِيلَ غُرَّتَهُ فَلْيَفْعَلْ[٢].

٢- وعنه أيضًا رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ حَوْضِي أَبْعَدُ مِنْ أَيْلَةَ مِنْ عَدَنٍ لَهُوَ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ الثَّلْجِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ بِاللَّبَنِ، وَلَآنِيَتُهُ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ النُّجُومِ وَإِنِّي لَأَصُدُّ النَّاسَ عَنْهُ، كَمَا يَصُدُّ الرَّجُلُ إِبِلَ النَّاسِ عَنْ حَوْضِهِ**» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ أَتَعْرِفُنَا يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «**نَعَمْ لَكُمْ سِيمَا لَيْسَتْ لِأَحَدٍ مِنَ الْأُمَمِ تَرِدُونَ عَلَيَّ غُرًّا، مُحَجَّلِينَ مِنْ أَثَرِ الْوُضُوءِ**»[٣].

٣- وروي أيضًا عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ خَرَجَ إِلَى الْمَقْبَرَةِ فقال: «**السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِيْنَ، وإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ بِكُم لَاحِقُونَ، وَدِدْتُ أَنِّي رَأيتُ إِخْوَانَنَا**»، قالوا يا رسول الله: ألسنا بإخوانك؟ قال: «**بَلْ أَنْتُمْ أَصْحَابِي، وَإِخْوَانُنَا الَّذِينَ لَمْ يَأْتُوا بَعْدُ، وَأَنَا فَرَطُهُمْ عَلَى الْحَوْضِ**»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ تَعْرِفُ مَنْ يَأْتِي بَعْدَكَ مِنْ أُمَّتِكَ؟ قَالَ: «**أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ لِرَجُلٍ خَيْلٌ غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ فِي خَيْلٍ دُهْمٍ بُهْمٍ أَلَا يَعْرِفُ خَيْلَهُ؟** » قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «**فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنَ الْوُضُوءِ، وَأَنَا فَرَطُهُمْ عَلَى الْحَوْضِ، فَلَيُذَادَنَّ**

---

[١] «الفروع» (ج١ ص٣٢٥)، و«الاختيارات الفقهية» (ج١ ص١).

[٢] متفق عليه واللفظ لمسلم، أخرجه البخاري، كتاب الوضوء، باب: فضل الوضوء والغر المحجلون من آثار الوضوء، رقم: (١٣٦) (ج١ ص٦٣)، ومسلم في الطهارة، باب: استحباب إطالة الغرة والتحجيل، رقم: (٢٤٦) (ج١ ص٢١٦).

[٣] أخرجه مسلم، كتاب الطهارة، باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء، رقم: (٢٤٧) (ج١ ص٢١٧).

رِجَالٌ عَنْ حَوْضِي كَمَا يُذَادُ الْبَعِيرُ الضَّالُّ، أُنَادِيهِمْ أَلَا هَلُمَّ أَلَا هَلُمَّ، فَيُقَالُ: إِنَّهُمْ بَدَّلُوا بَعْدَكَ، فَأَقُولُ: فَسُحْقًا فَسُحْقًا فَسُحْقًا» [1].

وأما قوله: «**فَإِنَّهُم يَأتُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ غُرًا مُحَجَّلِيْنَ مِن الوُضُوءِ**»: ففيه دَليلٌ على أن الأمم أتباع الأنبياء لا يتوضؤون مثل وضوئنا على الوجه، فاليدين فالرجلين؛ لأن الغرة في الوجه، والتحجيل في اليدين والرجلين، وهذا الحديث يدل: أن وضوء سَائِرِ الأمم لا يُكْسِبُها غرة ولا تحجيلا، وأن هذه الأمة بورك لها في وضوئها بما أعطيت من ذلك شرفًا دائما، ولنبيها ﷺ كسائر فضائلها على سائر الأمم، كما فضل نبيها بالمقام المحمود وغيره على سائر الأنبياء[2]، وقد يجوز أن يكون الأنبياء يتوضؤون، فيكسبون بذلك الغرة والتحجيل، ولا يتوضأ أتباعهم ذلك الوضوء ،كما خص بأشياء دون أمته منها: نكاح ما فوق الأربع، والموهوبة بغير صداق، والوصال وغير ذلك، فيكون ذلك من فضائل هذه الأمة: أن تشبه كلها الأنبياء، كما جاء عن موسى عليه السلام أنه قال: أجد أمة كلهم كالأنبياء، فاجعلها أمتي، قال: «تلك أمة أحمد» ... في حديث فيه طول[3].

٤- عن عبد الله بن بسر عن النبي ﷺ قال: «**أُمَّتِي يَومَ القَيَامَةِ غُرٌّ مِنَ السُّجُودِ، مُحَجَّلُونَ مِن الوُضُوءِ**»[4].

٥- وعن الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَنَا أَوَّلُ مَنْ يُؤْذَنُ لَهُ بِالسُّجُودِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يُؤْذَنُ لَهُ أَنْ يَرْفَعَ رَأْسَهُ، فَأَنْظُرَ إِلَى بَيْنِ يَدَيَّ، فَأَعْرِفَ أُمَّتِي مِنْ بَيْنِ الْأُمَمِ، وَمِنْ خَلْفِي مِثْلُ ذَلِكَ، وَعَنْ يَمِينِي مِثْلُ ذَلِكَ، وَعَنْ شِمَالِي مِثْلُ ذَلِكَ**» فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ تَعْرِفُ أُمَّتَكَ مِنْ بَيْنِ الْأُمَمِ فِيمَا بَيْنَ نُوحٍ إِلَى أُمَّتِكَ؟ قَالَ: «**هُمْ غُرٌّ مُحَجَّلُونَ مِنْ أَثَرِ الْوُضُوءِ،**

---

[1] أخرجه أحمد في مسنده، مسند أبي هريرة ﷺ، رقم: (٧٩٨٠) (ج٢ ص٣٠٠).

[2] «عظم قدره» (ص: ٢٧٩)، و«نوادر الأصول» (ج١ ص١٤٨)، و«التمهيد» لابن عبد البر (ج٢٠ ص٢٦١).

[3] «التمهيد» لابن عبد البر (ج٢٠ ص٢٥٧)، و«عظم قدره» (ص: ٢٧٩)، و«جلاء الأفهام» (ج١ ص١٩٤).

[4] أخرجه الترمذي في سننه، باب: ما ذكر في سيما هذه الأمة يوم القيامة من آثار السجود والطهور، رقم: (٦,٧) (ج٢ ص٥,٥)، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ».

لَيْسَ أَحَدٌ كَذَلِكَ غَيْرَهُمْ، وَأَعْرِفُهُمْ أَنَّهُمْ يُؤْتَوْنَ كُتُبَهُمْ بِأَيْمَانِهِمْ، وَأَعْرِفُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ذُرِّيَّتُهُمْ»[1].

٦- وعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قلت يا رسول الله: كَيفَ تَعرِفُ مَن لَم تَر مِن أمتك؟ قال: «**هُمْ غُرٌّ مُحَجَّلُون، بُلْق مِن أثَارِ الوُضُوء**»[2].

٧- عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يَرِدُونَ عَليَّ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِن الوُضُوءِ سِيْمَاءُ أمَّتِي لَيْسَ لِأحَدٍ غَيْرها**»[3]، ولا يكون من الأمم كذلك أحد غيرهم.

فَفِيهِ دَليل على أن: الأمَم أتباع الأنبياء لا يَتَوَضَّؤُونَ مِثْل وضوئنا على الوجه، فاليدين فالرجلين؛ لأن الغرة في الوجه، والتحجيل في اليدين والرجلين، هذا ما لا مدفع فيه على هذا الحديث إلا أن يتأول متأول هذا الحديث أن: وضوء سائر الأمم لا يكسبها غرة ولا تحجيلاً[4].

٦) من خصائص الأمة المحمدية أن: كل مسلم يأتي يوم القيامة ،وله نوران يمشي بهما.

هذا المعنى مستفاد من قوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾[1].

---

[1] أخرجه أحمد في مسنده، باقي حديث أبي الدرداء ﷺ، رقم: (٢١٧٨٥) (ج٥ ص١٩٩)، والحاكم في المستدرك، تفسير سورة الحديد، رقم: (٣٧٨٤) (ج٢ ص٥٢٠).

[2] أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الطهارة وسننها، باب ثواب الطهور، رقم: (٢٨٤) (ج١ ص١,٤)، وأخرجه أحمد في مسنده، حديث عبد الله بن مسعود ﷺ، رقم: (٤٣١٧) (ج١ ص٤٥).

[3] أخرجه ابن ماجه، كتاب الزهد ،باب صفة أمة محمد ﷺ، رقم: (٤٢٨٢).

[4] «التمهيد» لابن عبد البر (ج٢٠ ص٢٦٢)، و«نوادر الأصول» (ج١ ص١٤٩)، وفيه: «وقد قيل: إن سائر الأمم كانوا يتوضؤون - والله أعلم - وهذا لا أعرفه من وجه صحيح، وأما قوله: ﷺ إذ توضأ ثلاثا ثلاثا فقال: «**هَذَا وُضُوئِي وَوُضُوءُ الأَنْبِيَاءِ قَبْلِي**» فحديث ضعيف، لا يجيئ من وجه صحيح، ولا يحتج بمثله، فكيف أن يتعارض به مثل هذا الحديث الذي قد روي من وجوه صحاح ثابتة من أحاديث الأئمة، وحديث: «**هَذَا وُضُوئِي وَوُضُوءُ الأَنْبِيَاءِ قَبْلِي**» فإنما يَدُورُ عَلَى زَيد بن الحواري العَمِّى والد عبد الرحيم بن زيد، وهو انفرد به، وهو ضعيف ليس بثقة؛ ولا ممن يحتج به، وقد اختلف عليه فيه أيضا؛ فرواه عبد الله بن عرابة عن زيد بن الحواري العمى عن معاوية بن قرة عن عبيد بن عمير عن أبي بن كعب عن النبي ﷺ».

وقد اختلف العلماء في المخاطب بهذه الآية على رأيين:

الرأي الأول: أن الخطاب بهذه الآية لأهل الكتاب[٢] ويؤيده ما روي عن النبي ﷺ قال: «**ثَلاَثَةٌ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ: الرَّجُلُ تَكُونُ لَهُ الأَمَةُ، فَيُعَلِّمُهَا فَيُحْسِنُ تَعْلِيمَهَا، وَيُؤَدِّبُهَا فَيُحْسِنُ أَدَبَهَا، ثُمَّ يُعْتِقُهَا فَيَتَزَوَّجُهَا فَلَهُ أَجْرَانِ، وَمُؤْمِنُ أَهْلِ الكِتَابِ، الَّذِي كَانَ مُؤْمِنًا، ثُمَّ آمَنَ بِالنَّبِيِّ ﷺ، فَلَهُ أَجْرَانِ، وَالعَبْدُ الَّذِي يُؤَدِّي حَقَّ اللَّهِ، وَيَنْصَحُ لِسَيِّدِهِ**»[٣].

الثاني: أن الخطاب للمؤمنين من هذه الأمة، ومعنى {آمِنُوا بِرَسُولِهِ}: أي اثبتوا على ذلك ودوموا عليه، يؤتكم كفلين؛ أي: نصيبين، بالإضافة إلى ما كان الأمم قَبْلُ يُعْطَوْنَهُ[٤].

وأما قوله تعالى:﴿ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا ﴾ ففيه أربعة أقوال:

أحدها: يرى ابن عباس وسعيد بن جبير أن المراد به: القرآن[٥].

والثاني: وهو رواية عن ابن عباس أن المراد: نورًا تمشون به على الصراط.

وقال البيضاوي في معنى: ﴿ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا ﴾: يريد المذكور في قوله: {يسعى نورهم بين أيديهم}[٦].

والثالث: يرى مجاهد أن المراد به: الهدى[٧].

والرابع: يرى ابن السائب أن المراد به الإيمان.

---

[١] سورة الحديد آية: (٢٨).

[٢] «زاد المسير» (ج٨ ص١٧٨).

[٣] أخرجه البخاري، كتاب: الجهاد والسير، باب: فضل من أسلم من أهل الكتابين، رقم: (٢٨٤٩) (ج٣ ص١,٩٦).

[٤] «تفسير الثعالبي» (ج٤ ص٢٧٤).

[٥] «زاد المسير» (ج٨ ص١٧٩)، و«تفسير الطبري» (ج١١ ص٦٩٣).

[٦] «تفسير البيضاوي» (ج١ ص٣,٥).

[٧] «زاد المسير» (ج٨ ص١٧٩)، و«تفسير الطبري» (ج١١ ص٦٩٣).

قال الطبري: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذِكْرُه وَعَد هؤلاء القوم أن يجعل لهم نورًا يمشون به، والقرآن مع أتباع رسول الله ﷺ نورًا لمن آمن بهما وصدقهما، وهدى لأن من آمن بذلك فقد اهتدى[1].

٧) ــ من خصائص أمته: ما ذكره الله في وصفها في التوراة والإنجيل من الصلاة المفروضة عليهم، وجعل أناجيلهم في صدورهم، وأنهم يقاتلون المسيح الدجال.

وقد ردت أدلة كثيرة تثبت هذا المعنى منها ما يلي:

١- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال: رسول الله ﷺ **«إِنَّ مُوسَى لَمَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِ التَّوْرَاةُ، وَقَرَأَهَا فَوَجَدَ فِيهَا ذِكْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ فَقَالَ: يَا رَبِّي، إِنِّي أَجِدُ فِي الْأَلْوَاحِ أُمَّةً هُمُ الْآخِرُونَ السَّابِقُونَ، فَاجْعَلْهَا أُمَّتِي قَالَ: تِلْكَ أُمَّةُ أَحْمَدَ قَالَ: يَا رَبِّ، إِنِّي أَجِدُ فِي الْأَلْوَاحِ أُمَّةً هُمُ السَّابِقُونَ الْمَشْفُوعُ لَهُمْ، فَاجْعَلْهَا أُمَّتِي قَالَ: تِلْكَ أُمَّةُ أَحْمَدَ قَالَ: يَا رَبِّ، إِنِّي أَجِدُ فِي الْأَلْوَاحِ أُمَّةً هُمُ الْمُسْتَجِيبُونَ الْمُسْتَجَابُ لَهُمْ، فَاجْعَلْهَا أُمَّتِي قَالَ: تِلْكَ أُمَّةُ أَحْمَدَ قَالَ: يَا رَبِّ، إِنِّي أَجِدُ فِي الْأَلْوَاحِ أُمَّةً أَنَاجِيلُهُمْ فِي صُدُورِهِمْ يَقْرَءُونَهَا ظَاهِرًا، فَاجْعَلْهَا أُمَّتِي قَالَ: تِلْكَ أُمَّةُ أَحْمَدَ قَالَ: يَا رَبِّ، إِنِّي أَجِدُ فِي الْأَلْوَاحِ أُمَّةً يَأْكُلُونَ الْفَيْءَ، فَاجْعَلْهَا أُمَّتِي قَالَ: تِلْكَ أُمَّةُ أَحْمَدَ قَالَ: يَا رَبِّ إِنِّي أَجِدُ فِي الْأَلْوَاحِ أُمَّةً يَجْعَلُونَ الصَّدَقَةَ فِي بُطُونِهِمْ يُؤْجَرُونَ عَلَيْهَا، فَاجْعَلْهَا أُمَّتِي قَالَ: تِلْكَ أُمَّةُ أَحْمَدَ قَالَ: يَا رَبِّ، إِنِّي أَجِدُ فِي الْأَلْوَاحِ أُمَّةً إِذَا هَمَّ أَحَدُهُمْ بِحَسَنَةٍ، فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَ لَهُ حَسَنَةٌ وَاحِدَةٌ، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَ لَهُ عَشْرُ حَسَنَاتٍ، فَاجْعَلْهَا أُمَّتِي قَالَ: تِلْكَ أُمَّةُ أَحْمَدَ قَالَ: يَا رَبِّ، إِنِّي أَجِدُ فِي الْأَلْوَاحِ أُمَّةً إِذَا هَمَّ أَحَدُهُمْ بِسَيِّئَةٍ وَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ تُكْتَبْ، وَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ عَلَيْهِ سَيِّئَةً وَاحِدَةً، فَاجْعَلْهَا أُمَّتِي قَالَ: تِلْكَ أُمَّةُ أَحْمَدَ قَالَ: يَا رَبِّ، إِنِّي أَجِدُ فِي الْأَلْوَاحِ أُمَّةً يُؤْتَوْنَ الْعِلْمَ الْأَوَّلَ وَالْعِلْمَ الْآخِرَ، فَيَقْتُلُونَ قُرُونَ الضَّلَالَةِ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ، فَاجْعَلْهَا أُمَّتِي، قَالَ: تِلْكَ أُمَّةُ أَحْمَدَ، قَالَ: يَا رَبِّ فَاجْعَلْنِي مِنْ أُمَّةِ أَحْمَدَ، فَأُعْطَى عِنْدَ ذَلِكَ**

---

[1] «تفسير الطبري» (ج١١ ص٦٩٣).

خَصْلَتَيْنِ، فَقَالَ: {يَا مُوسَى، إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ} [الأعراف: ١٤٤]، **قَالَ: قَدْ رَضِيتُ يَا رَبِّ»**[١].

٢- ما روي عن عمر بن حفص، وكان من خيار الناس في الجاهلية قال:كان عند أبي أو جدي وَرَقة يتوارثونها قبل الإسلام بزمان، فيها: «بسم الله وقوله الحق، وقول الظالمين في تباب: هذا الذكر لأمة تأتي في آخر الزمان، يأتزرون على أوساطهم، ويغسلون أطرافهم، ويخوضون البحار على أعدائهم، فيهم صلاة لو كانت في قوم نوح ما أهلكوا بالطوفان، أو في ثمود ما أهلكوا بالصيحة، وجاءوا بها إلى رسول الله ﷺ، فأقرها لهم[٢].

٣- وعن عكرمة رَحِمَهُ اللَّهُ قال: إن قوله تعالى ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ [٣] نزلت في قوم من أهل الكتاب آمنوا بمحمد ﷺ قبل بعثته، فلما بُعِثَ كفروا به.

٤- وقال كعب الأحبار: رأيت حَبْرًا مِن اليهود يَبْكِي فقلت له: ما يُبْكِيكَ؟ قال:ذكرت بعض الأمر، قلت: وما هو؟ فقال كعب: لئن أخبرتك ما يبكيك لتصدقني؟ قال: نعم، قال: هل تجد في كتاب الله المُنَزَّلِ أن موسى نظر في التوراة؛ فقال: رب إني أجد أمة خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويؤمنون بالكتاب الأول والكتاب الآخر، ويقاتلون أهل الضلالة حتى يقاتلوا الأعور الدجال فاجعلهم أمتي، قال: تلك أمة محمد، قال الحَبْرُ: نعم، قال: أنشدك الله هل تجد في كتاب الله المنزل أن موسى نظر في التوراة فقال: رب إني أجد أمة إذا أشرف أحدهم على شَرَفٍ كَبَّرَ الله وإذا هَبَط وَادِيًا حَمِدَ الله، الصَّعِيدُ لَهُم طهور، والأرض لهم مسجد حيث كانوا، غُرا محجلين من أثار الوضوء فاجعلهم أمتي، قال: هم أمة أحمد يا موسى، قال الحبر: نعم[٤].

---

[١] «الوفا» لابن الجوزي (ج١ ص١٢٠)، و«تفسير القرطبي» (ج٤ ص٩)، و«تفسير ابن كثير» (ج٢ ص٣٣١).

[٢] أخرجه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» رقم: (١٢٨٩)، (ج٤ ص١٣٠)، وقال مُحَقِّقُهُ مشهور بن حسن: «إسناده ضعيف».

[٣] سورة آل عمران، آية: (١,٦).

[٤] «حلية الأولياء» (ج٥ ص٣٨٥)، و«الوفا» لابن الجوزي (ج١ ص١٢٠).

٨) مِن الخَصَائِصِ الإعْجَازِيَّةِ للنبي ﷺ: ما خُصَّت بِه أمَّتُه مِن بَيْنِ الأمَمِ أن جعل الله علمائها ورثة للأنبياء.

من خصائص الأمة المحمدية أنَّ علمائها ورثة للأنبياء، وهذا يعني اهتمام الإسلام بالعلم والعلماء، وأن الرسالة الإسلامية رسالة العلم، وليس أدَلّ على ذلك من أن أول آيات القرآن نزولا تـــدعو إلى التعلم.

قال تعالى: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ [١]، ومما يدل على أهمية العلم، وشرف العلماء قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [٢].

وهناك أحاديث كثيرة في فضل العلم والعلماء من ذلك ما يلي:

١- عن أبي الدرداء قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا مِنْ طُرُقِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّ الْعَـــالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ، وَمَنْ فِي الْأَرْضِ، وَالْحِيتَانُ فِي جَوْفِ الْمَاءِ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ، كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَـــاءِ، وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا، وَلَا دِرْهَمًا وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ**»[٣]، والأنبياء لم يورثوا إلا العلم، وعلم نبينا ﷺ سنته، فمن تَعَرَّى عن معرفتها لم يكن من ورثة الأنبياء[٤].

ورويت آثار عن الصحابة تدل علي رِفْعَةِ مكانة العلم والعلماء منها:

١- عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: العلماء قادة، والمتقون سادة، ومجالستهم زيادة[٥].

٢- وقال علي ﷺ: العلماء مصابيح الأرض، وخلفاء الأنبياء، وورثة الأنبياء[١].

---

[١] سورة العلق آية: (١).

[٢] سورة فاطر آية: (٢٨).

[٣] أخرجه أبو داود في سننه، كتاب العلم، باب الحث على طلب العلم، رقم: (٣٦٤١) (ج٢ ص٣٤١)، ورواه الترمذي في سننه، كتاب العلم، باب: ما جاء في فضل الفقه على العبادة، رقم: (٢٦٨٢) (ج٥ ص٤٨).

[٤] «صحيح ابن حبان» (ج١ ص٢٨٩).

[٥] أخرجه ابن أبي الدنيا في «الزهد»، رقم: (٤٠٧)، (ص: ١٨٢).

واختُلِفَ في حَدِّ العَالِمِ علي آراء:

فقيل: هو من عَمِلَ بما عَلِم[٢].

وقيل: مَن تَعَلَّم العلم بلا واسطة، كما في قوله تعالى: ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمْ اللَّه﴾ [٣]، ويجمع بينهما بأن: مَن عَمِلَ بما علمَ وَرَّثَهُ الله علم ما لم يعلم[٤].

وقال القرطبي: هذا وعد من الله تعالى بأن من اتقاه عَلَّمَهُ، أي: يجعل في قلبه نورا يفهم به ما يلقى إليه، وقد يجعل الله في قلبه ابتداء فرقانا، أي: فيصلا يفصل به بين الحق والباطل [٥]، ومنه قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا ﴾ [٦].

٩) مِن الخَصَائِص الإعجازية للنبي ﷺ: مَا خُصَّت به أمَّتُه من بين الأمم بليلة القدر.

مما خص الله به نبيه وأمته: ليلة القدر، وهي ليلة نزول القرآن الكريم، ليلة مباركة، أقسم الله ببركتها في القرآن المجيد في قوله تعالى: ﴿ حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴾[٧].

يريد في ليلة القدر، ولا خلاف في اختصاص الله للأمة المحمدية بليلة القدر، حيث إنها ليلة نزول القرآن، كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ۝١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ۝٢

---

[١] لم أقف عليه، ولكن: قال العجلوني في «كشف الخفاء» (ج٢ ص٧٦): «رواه ابن عدي عن علي ﷺ، وهو حديث صحيح كما قال المناوي».

[٢] «تفسير ابن كثير» (ج٤ ص٦٨١)، و«روح المعاني» (ج٢١ ص١٤).

[٣] سورة البقرة آية: (٢٨٢).

[٤] «تفسير ابن كثير» (ج٤ ص٦٨١).

[٥] «تفسير القرطبي» (ج٣ ص٣٧٢).

[٦] سورة الأنفال آية: (٢٩).

[٧] سورة الدخان آية: (١)، (٢)، (٣).

لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ۝٥ ﴾ [1].

قال القرطبي: سميت بذلك لأنه أنزل فيها كتابًا ذا قدر، على رسول ذي قدر، على أمة ذات قدر [2]، وعن ابن عباس أيضا: أن الله تعالى يقضي الأقضية في ليلة نصف شعبان ويسلمها إلى أربابها في ليلة القدر[3]، وقيل: إنما سميت بذلك لعظمها وقدرها وشرفها من قولهم: لفلان قدر أي شرف ومنزلة، وقيل: سميت بذلك لأن للطاعات فيها قدرًا عظيمًا وثوابًا جزيلاً.

وقال أبو بكر الوراق: سميت بذلك لأن من لم يكن له قدر ولا خطر يصير في هذه الليلة ذا قدر إذا أحياها[4]، وقيل: لأنه ينزل فيها ملائكة ذوو قدر وخطر[5].

وقيل: لأن الله تعالى ينزل فيها الخير والبركة والمغفرة.

وقيل: سميت بذلك؛ لأن الله تعالى قدَّر فيها الرحمة على المؤمنين[6]، وقال الخليل: لأن الأرض تضيق فيها بالملائكة،كقوله تعالى:﴿ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ﴾ [7] أي: ضيق[8].

وقيل: كل ما في القرآن من قوله تعالى: {وَمَا أَدْرَاكَ} فَقَد أَدْرَاهُ، وما كان من قوله، {وَمَا يُدْرِيْكَ} فَلَم يُدْرِه.

---

[1] سورة القدر.

[2] «تفسير القرطبي» (ج٢٠ ص ١٢٩).

[3] المرجع السابق.

[4] المرجع السابق.

[5] «تفسير الطبري» (ج١٢ ص٦٥١).

[6] «فتح القدير» (ج٥ ص٦٧٠).

[7] سورة الطلاق آية: (٧).

[8] «تفسير القرطبي» ج٢٠ ص١٢٠)، و«فتح القدير» (ج٥ ص٦٧٠).

ليلة القدر خير من ألف شهر: لعظم فضلها، وعظمها، وفضيلة الزمان إنما تكون بكثرة ما يقع فيه من الفضائل، وفي تلك الليلة يُقْسَمُ الخير الكثير الذي لا يوجد مثله في ألف شهر، أي: العمل فيها خير من العمل في ألف شهر، ليس فيها ليلة القدر[1].

وقيل: يعني بـ{أَلْفِ شَهْرٍ} جميعَ الدهر؛ لأن العرب تذكر الألف غاية للأشياء، كما قال تعالى:﴿ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾[2]، يعني: جميع الدهر.

وقيل: إن العابد كان فيما مضى لا يسمى عابدًا حتى يعبد الله ألف شهر، ثلاثًا وثمانين سنة وأربعة أشهر، فجعل الله تعالى لأمة محمد ﷺ عبادة ليلةٍ خيرًا من ألف شهر كانوا يعبدونها[3].

ووجه الخصوصية أن: رسول الله ﷺ أُرِيَ أعمار الأمم قبله، فكأنه تقاصر أعمار أمته ألا يبلغوا من العمل مثل ما بلغ غيرهم في طول العمر، فأعطاه الله تعالى ليلة القدر، وجعلها خيرا من ألف شهر، وقوله تعالى:﴿ تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ ﴾[4] أي: تهبط من كل سماء، ومن سدرة المنتهى، ومسكن جبريل على وسطها، فينزلون إلى الأرض، ويؤمِّنُونَ على دعاء الناس إلى وقت طلوع الفجر، فذلك قوله تعالى: ﴿ تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا﴾ أي: جبريل عليه السلام[5].

وقال الشيخ الجمل[6]: ليلة القدر من خصائص هذه الأمة، سميت بذلك: لشرفها وعلو قدرها، أو لتقدير الأمور فيها، لقوله تعالى: {فِيْهَا يُفْرَقُ كُلُّ أمْرٍ حَكِيْمٍ}، وقيل: لأن الأرض تضيق

---

[1] «تفسير البيضاوي» (ج١ ص٥١٣)، و«تفسير البغوي» (ج١ ص٤٨٥).

[2] سورة البقرة آية: (٩٦).

[3] «تفسير البغوي» (ج١ ص٤٨٥)، و«فتح القدير» (ج٥ ص٦٧٠).

[4] سورة القدر آية: (٤).

[5] «تفسير القرطبي» (ج٢٠ ص١٣٣)، وفي الترمذي عن الحسن بن علي رضي الله عنهما: «أن رسول الله ﷺ أُرِيَ بَنِي أُمَيَّةَ على منبره فساءه ذلك، فنزلت: {إنا أعطيناك الكوثر}، يعني: نهرا في الجنة، ونزلت: {إنا أنزلناه في ليلة القدر، وما أدراك ما ليلة القدر، ليلة القدر خير من ألف شهر} يَمْلِكُهَا بعدك بنو أمية». قال القاسم بن الفضل الحداني: فَعَدَدْنَاهَا فإذا هي ألف شهر لا تزيد يوما ولا تنقص يوما. قال الترمذي: «حديث غريب». انظر: «عظم قدره» (ص: ٢٣٠).

[6] هو: سليمان بن عمر بن منصور، أبو داود العجيلي الشافعي المصري الأزهري المعروف بالجمل: فقيه، مفسر، مشارك في بعض العلوم، توفي (سنة ١٢,٤ هـ) من تصانيفه: الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين بالرقائق الخفية، فتوحات الوهاب بتوضيح شرح منهج الطلاب للرملي، والمواهب المحمدية بشرح الشمائل الترمذية، والفتوحات الأحمدية بالمنح

بالملائكة فيها، وذهب عكرمة إلى أن التي يُفْرَقُ فيها كل أمر حكيم هي: ليلة النصف من شعبان، والجمهور على أنها: ليلة القدر، وهي أفضل ليالي السنة، وباقية إلى يوم القيامة، وتُرَى حقيقة، ويُسَنُّ لِمَن رَآهَا كَتْمُها؛ لأن رؤيتها كرامة، والكرامة يُسَنُّ إخفاؤها، وقد رأيناها مرة واحدة، ولله الحمد، ويُنْدَبُ إحياؤها بالصلاة، والقراءة، وكثرة الدعاء كما في العيد، ويتأكد فيها: «**اللَّهُمَّ إنَّكَ عَفُوٌّ كَرِيْمٌ تُحِبُّ العَفْوَ فَاعْفُ عَنَّا**»، ويحصل فضلها لمن أحياها وإن لم يشعر بها، ونفيه محمول على نفي الكمال، كما حمل رفعها على رفع عينها، ومن صلى العشاء في جماعة فقد أخذ حَظَّهُ مِنْهَا، ومِن عَلَامَاتِهَا: عَدَم الحَرِّ وَالبَرْد فِيها، ويُنْدَبُ صَوْمُ يَوْمِها وكثرة العبادة فيه، وهي من خصائص هذه الأمة والتي فيها يفرق كل أمر حكيم وباقية إلى يوم القيامة إجماعًا[1].

١٠) مِن الخصائص الإعجازية للنَّبيّ ﷺ ما خُصَّت به أمَّتُه مِن بين الأمم بصيام رمضان.

لا خلاف بين العلماء أن: شَهْرَ رمضان مما اختص الله به الأمة المحمدية باعتبار أن شهر رمضان فرض الله عليهم صيامه؛ لأنه أنزل فيه القرآن، والقرآن معجزة رسول الله لهذه الأمة، فكان فرض الصيام في رمضان من خصائص هذه الأمة[2].

قال تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ

المحمدية على متن الهمزية للبوصيري. ترجمته في: «حلية البشر» (ج٢ ص٦٩٢ – ٦٩٣)، و«معجم المؤلفين» (ج٤ ص٢٧١)، و«هدية العارفين» (ج١ ص٤,٦).

[1] «حاشية الجمل على المنهج» لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري (ج٤ ص٤٧٥).

[2] «حاشية الجمل على المنهج» لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري (ج٤ ص٣١٧)، وقال: «وهو من خصائص هذه الأمة بخلاف مطلق الصوم، وقيل: إنه المفروض على سائر الأمم إلا أن غير هذه الأمة أضلته فالخصوصية في تعيينه».

عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[1]، والقرآن معجزة النبي ﷺ، وهو مما خص الله به النبي ﷺ، وفضل به الأمة المحمدية، فكان رمضان كذلك من خصائصهم التي فضلهم الله بها زيادة في أعمالهم بالصيام والقيام.

وقال الشيخ الجَمَل: مِن خَصَائِصِ هذه الأمة: صَوْمُ رَمَضانَ، ونَظَرُ الله إليهم أوَّلهُ، وتَزَيُّنُ الجنة فيه، وخلوف أفواههم، واستغفار الملائكة لهم حين يفطرون، وعموم المغفرة لهم آخر ليلة من رمضان، واستغفار الحيتان لهم حين يفطرون، والسحور وتأخيره، وتعجيل الفطر، وإباحة الطعام والجماع إلى الفجر، والاسترجاع عند المصيبة، من خصوصيات هذه الأمة: أن أحدا لا يدخل الجنة قبلهم، ومنها الوضوء على الكيفية المخصوصة، والتيمم، وإباحة الغنائم، وأن كل الأرض تصح الصلاة فيها ويجوز جعلها مسجدًا[2].

١١) من الخصائص الإعجازية للنبي ﷺ ما خصت به أمته من بين الأمم أن: جَعَل الله مَسْجِدَ النَّبِيِّ ﷺ تُضَاعَفُ فِيه الأجُورُ للأمَّةِ.

جعل الله مسجد نبيه ﷺ من المساجد التي تضاعف فيها الأجور للمصلين، و لم يكن ذلك لأحد إلا للنبي ﷺ ولأمته من بعده.

وقد دل على ذلك أحاديث كثيرة في الصحاح منها ما يلي:

١- عن جابر قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**خَيْرُ مَا رُكِبَت إلَيْهِ الرَّوَاحِلُ: مَسْجِدُ إبْرَاهِيمَ عليه السلام، وَمَسْجِدِي**»[3]، وهذان المَسْجِدَان تُضَاعَفُ فيهما الصلوات للأمة المحمدية فقط.

---

[1] سورة البقرة آية: ١٨٥ .

[2] «حاشية الجمل على المنهج» لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري ج ٤ ص ٣٩١ .

[3] رواه أحمد في مسنده، مسند جابر بن عبد الله رضي الله عنه، رقم: (١٤٦٥٢) (ج٣ ص٣٣٦)، وابن حبان في صحيحه، كتاب الصلاة، باب المساجد، رقم: (١٦١٦)، وقال شعيب الأرنؤوط: «إسناده صحيح على شرط مسلم».

٢- وقال رسول الله ﷺ: «**لَا يَنْبَغِي لِلْمَطِيِّ أَنْ تُشَدَّ رِحَالُهُ إِلَى مَسْجِدٍ يُبْتَغَى فِيهِ الصَّلَاةُ، غَيْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَالْمَسْجِدِ الْأَقْصَى، وَمَسْجِدِي هَذَا، وَلَا يَنْبَغِي لِامْرَأَةٍ دَخَلَتِ الْإِسْلَامَ، أَنْ تَخْرُجَ مِنْ بَيْتِهَا مُسَافِرَةً إِلَّا مَعَ بَعْلٍ، أَوْ مَعَ ذِي مَحْرَمٍ مِنْهَا، وَلَا يَنْبَغِي الصَّلَاةُ فِي سَاعَتَيْنِ مِنَ النَّهَارِ: مِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْفَجْرِ إِلَى أَنْ تَرْحَلَ الشَّمْسُ، وَلَا بَعْدَ صَلَاةِ الْعَصْرِ إِلَى أَنْ تَغْرُبَ الشَّمْسُ، وَلَا يَنْبَغِي الصَّوْمُ فِي يَوْمَيْنِ مِنَ الدَّهْرِ: يَوْمِ الْفِطْرِ مِنْ رَمَضَانَ، وَيَوْمِ النَّحْرِ**»[(١)].

٣- وعن علي عن النبي ﷺ قال: «**لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ: مَسْجِدِي هَذَا، وَالمَسْجِدِ الحَرَامِ، وَالمَسْجِدِ الأَقْصَى**»[(٢)].

٤- وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**أَنَا خَاتَمُ الأَنْبِيَاءِ، وَمَسْجِدِي خَاتَمُ مَسَاجِدِ الأَنْبِيَاءِ، أَحَقُّ المَسَاجِدِ أَنْ يُزَارَ، وتُشَدُّ إِلَيْهِ الرَّوَاحِلُ**»[(٣)].

٥- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ: «**لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ: المَسْجِدِ الحَرَامِ، ومَسْجِدِي هَذَا، وَالمَسْجِدِ الأَقْصَى**»[(٤)].

٦- وعن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما قال، قال رسول الله ﷺ: «**صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ مِن المَسَاجِدِ إِلَّا المَسْجِدَ الحَرَامَ**»[(٥)].

٨- وقال في حق بيت المقدس: «**مَنْ لَم يَسْتَطِع أَنْ يَأتِيَه فَلْيُهْدِ إِلَيْهِ زَيْتًا يُسْرَجُ فِيْهِ، فَإِنَّ مَنْ أَهْدَى إِلَيْهِ زَيْتًا كَانَ كَمَن أَتَاهُ**»[(١)].

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده، (مسند أبي سعيد الخدري رضي الله عنه)، رقم: (١١٦٢٧) (ج٣ ص٦٤).

(٢) أخرجه البخاري، أبواب التطوع، باب: فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، رقم (١١٣٢)، (ج١ ص٣٩٨)، ومسلم في الحج، باب: لا تشد الرحال إلا لثلاثة مساجد رقم: (١٣٩٧).

(٣) رواه «البزار» كما في «كشف الأستار عن زوائد البزار» رقم: (١١٩٣)، (ج٢ ص٥٦)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (ج٤ ص٤): «رواه البزار، وفيه موسى بن عبيدة، وهو ضعيف».

(٤) أخرجه البخاري، أبواب التطوع، باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، رقم: (١١٣٢)، (ج١ ص٣٩٨)، وأخرجه مسلم في الحج، باب: لا تشد الرحال إلا لثلاثة مساجد، رقم: (١٣٩٧) (ج٢ ص١,١٤).

(٥) أخرجه مسلم، كتاب الحج، باب: فضل الصلاة بمسجدي مكة والمدينة، رقم: (١٣٩٤) (ج٢ ص١,١٢).

٨- وعن أنس بن مالك ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «**مَنْ صَلَّى فِي مَسْجِدِي أَرْبَعِيْنَ صَلَاةً لَا تَفُوتُه صَلَاةٌ: كُتِبَ لَهُ بَرَاءَةٌ مِنَ النَّارِ، وَبَرَاءَةٌ مِنَ العَذَابِ، وَبَرِئَ مِنَ النِّفَاقِ**»[٢].

٩- كما جعل للروضة الشريفة مَكَانة لَيْسَت لِغَيْرِها، وهي جُزْءٌ مِن مَسْجِده ﷺ كما في قوله ﷺ : «**مَا بَيْنَ بَيْتِي إِلَى حُجْرَتِي رَوْضَةٌ مِن رِيَاضِ الجَنَّةِ**»[٣].

١٠- وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ مِنْبَرِي عَلى تُرْعَةٍ مِن تُرَعِ الجَنَّةِ، وَمَا بَيْنَ مِنْبَرِي وَحُجْرَتِي رَوْضَةٌ مِن رِيَاضِ الجَنَّةِ**»[٤].

١١- وعن عبد الله بن زيد قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمِنْبَرِي رَوْضَةٌ مِن رِيَاضِ الجَنَّةِ، وَمِنْبَرِي عَلَى تُرْعَةٍ مِن تُرَعِ الجَنَّةِ**»[٥].

١٢) من الخصائص الإعجازية للنبي ﷺ: ما خُصَّت به أمَّتُه مِن بَيْنِ الأمَمِ بِأن: جَعَلَ الأفْضَلِيَّة فِي الأمة على القُرْبِ من النبي مكانًا وزمانًا، حِسًا وَمَعْنَويًّا.

أمَّا أفْضَلِيَّةُ القُرْبِ المَكَانِيّ فمنها قوله ﷺ: «**مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمِنْبَرِي رَوْضَةٌ مِن رِيَاضِ الجَنَّةِ**»[٦].

وأما القُرْبُ الزَّمَانِيُّ فَمِنْهَ ما روي عن أبي سعيد الخدري قال:قال ﷺ: «**ثُمَّ يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ، فَيَغْزُو فِئَامٌ مِنَ النَّاسِ، فَيُقَالُ: هَلْ فِيكُمْ مَنْ صَاحَبَ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟**

---

[١] أخرجه أبو يعلي في مسنده، حديث ميمونة زوج النبي ﷺ، رقم (٧,٨٨) (ج١٢ ص٥٢٣)، وروى أبو داود قطعة منه من حديث ميمونة مولاة النبي ﷺ، ورواه أبو يعلي بتمامه من حديث ميمونة زوج النبي ﷺ - والله اعلم - ورجاله ثقات.

[٢] أخرجه أحمد في مسنده، مسند أنس بن مالك ﷺ، رقم (١٢٦,٥) (ج٣، ص٥٥)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (ج٣ ص٦٧٧): «رواه أحمد والطبراني في الأوسط ورجاله ثقات».

[٣] أخرجه البخاري، كتاب أبواب التطوع، باب فضل ما بين القبر والمنبر، رقم: (١١٣٧)، (ج١ ص٣٩٩)، أخرجه مسلم في الحج باب ما بين القبر والمنبر روضة من رياض الجنة، رقم: (١٣٩٠).

[٤] أخرجه أحمد في مسنده، مسند أبي هريرة ﷺ، رقم: (٩٣٢٧) (ج٢ ص٤١٢).

[٥] أخرجه أحمد في مسنده، حديث عبد الله بن زيد بن عاصم المازني ﷺ، رقم: (١٦٥,٥) (ج٤ ص٤٠).

[٦] سبق تخريجه.

فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيُفْتَحُ لَهُمْ، ثُمَّ يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ، فَيَغْزُو فِئَامٌ مِنَ النَّاسِ، فَيُقَالُ: هَلْ فِيكُمْ مَنْ صَاحَبَ مَنْ صَاحَبَ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيُفْتَحُ لَهُمْ» [1].

وفي مجموعة من الأحاديث ثُبُوتُ أجْرٍ لِسَكَنِ المَدِيْنَةِ، وما وَرَد في فضل الروضة الشريفة، وفضل الصلاة في مسجده ﷺ، ثم فضل المشاهد التي شَرُفَت بزيارته ﷺ مثل: قباء، ومسجد الجمعة، وبدر وأحد، وغيرها **ومن ذلك مايلي:**

١- ما روي عن أبي هريرة وأبي سعيد أن رسول الله ﷺ قال: «**مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمِنْبَرِي رَوْضَةٌ مِن رِيَاضِ الجَنَّةِ، وَمِنْبَرِي عَلَى حَوْضِي**»[2].

٢- عن أنس رضي الله عنه: عن النبي ﷺ قال: «**اللَّهُمَّ اجْعَل بِالمَدِيْنَةِ ضِعْفَي مَا جَعَلْتَ بِمَكَّةَ مِنَ البَرَكَةِ**»[3].

٣-عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**عَلَى أنْقَابِ المَدِيْنَةِ مَلَائِكَةٌ لَا يَدْخُلُها الطَّاعُونُ وَلا الدَّجَّالُ**»[4].

٤- عن أبي بكرة رضي الله عنه: عن النبي ﷺ قال: «**لَا يَدْخُلُ المَدِيْنَةَ رُعْبُ المَسِيْحِ الدَّجَّال، لَهَا يَوْمَئِذٍ سَبْعَةُ أبْوَابٍ عَلَى كُلِّ بَابٍ مَلَكَانِ**»[5].

---

[1] أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب من استعان بالضعفاء والصالحين في الحرب، رقم: (٢٧٤٠) (ج٣ ص١,٦١)، وأخرجه مسلم في فضائل الصحابة، باب: فضل الصحابة ثم الذين يلونهم، رقم: (٢٥٣٢)، (ج٤ ص١٩٦٢).

[2] سبق تخريجه.

[3] أخرجه البخاري، أبواب فضائل المدينة، باب: المدينة تنفي الخبث، رقم (١٧٨٦) (ج٢ ص٦٦٦)، وأخرجه مسلم في الحج باب فضل المدينة ودعاء النبي ﷺ فيها بالبركة رقم: (١٣٦٩) (ج٢ ص٩٩٤).

[4] أخرجه البخاري، أبواب فضائل المدينة، باب: لا يدخل الدجال المدينة، رقم: (١٧٨١) (ج٢ ص٦٦٤)، وأخرجه مسلم في: الحج، باب: صيانة المدينة من دخول الطاعون والدجال إليها، رقم: (١٣٧٩) (ج٢ ص١٠٠٥).

[5] أخرجه البخاري، أبواب فضائل المدينة، باب: لا يدخل الدجال المدينة، رقم (١٧٨٠) (ج٢ ص٦٦٤).

٥- عن أبي هريرة ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ الإِيْمَانَ لَيَأرِزُ إِلَى المَدِيْنَةِ كَمَا تَأرِزُ الحَيَّةُ إِلَى جُحْرِهَا**»[١].

وأما القرب الحسي فظاهر في تفضيل الصحابة على من بعدهم، ويشهد لذلك حديث النبي ﷺ: «**خَيْرُ القُرُونِ قَرْنِي ثُمَّ الذِيْنَ يَلُونَهُم ثُمَّ الذِيْنَ يَلُونَهُم**»[٢].

وأما القرب المعنوي فَهُو ظَاهِرٌ فِي تفضيل الأكثر حُبًّا لَهُ ﷺ، والأكثر صلاة عليه ﷺ وهذا قرب معنوي له فضله ومكانته.

١٣) مِن الخصائص الإعجازية للنبي ﷺ: مَا خُصَّت بِه أُمَّتُه مِن بَيْنِ الأمم اخْتِبَاءُ دَعوته ﷺ شفاعة لأمته.

هذا الأمر ثَابِتٌ لا خلاف فيه، لثبوته في السنة، ويَشْهَدُ لذلك ما يلي[٣]:

١- ما روى عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ يَدْعُوهَا فَأرِيْدُ أنْ أخْتَبِئَ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأمَّتِي يَوْمَ القِيَامَةِ**»[٤].

٢- وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ، فَتَعَجَّلَ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللهُ مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا**»[٥].

---

[١] أخرجه البخاري، أبواب فضائل المدينة، باب: الإيمان يأرز إلى المدينة، رقم (١٧٧٧) (ج٢ ص٦٦٣)، وأخرجه مسلم في الإيمان، باب: بيان أن الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا، رقم: (١٤٧) (ج١ ص١٣١).

[٢] سبق تخريجه.

[٣] «التمهيد» (ج١٩ ص٦٧)، و«فتح الباري» (ج١ ص٣٦٤ – ٣٤٩).

[٤] أخرجه البخاري، كتاب الدعوات، باب: لكل نبي دعوة مستجابة، رقم (٥٩٤٥)، (ج٥ ص٢٣٢٣)، ومسلم في الإيمان باب اختباء النبي ﷺ دعوة الشفاعة لأمته، رقم: (١٩٨) (ج١ ص١٨٨).

[٥] أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب اختباء النبي ﷺ دعوة الشفاعة لأمته، رقم (١٩٩) (ج١ ص١٨٩).

٣- وعن عوف بن مالك عن النبي ﷺ قال: «**أُعْطِيتُ أَرْبَعًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ كَانَ قَبْلَنَا، وَسَأَلْتُ رَبِّي الْخَامِسَةَ فَأَعْطَانِيهَا، كَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَرْيَتِهِ وَلَا يَعْدُوهَا وَبُعِثْتُ كَافَّةً إِلَى النَّاسِ، وَأُرْهِبَ مِنَّا عَدُوُّنَا مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ طَهُورًا وَمَسَاجِدَ، وَأُحِلَّ لَنَا الْخُمُسُ وَلَمْ يَحِلَّ لِأَحَدٍ كَانَ قَبْلَنَا، وَسَأَلْتُ رَبِّي الْخَامِسَةَ، فَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يَلْقَاهُ عَبْدٌ مِنْ أُمَّتِي يُوَحِّدُهُ إِلَّا أَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ فَأَعْطَانِيهَا**»[1].

٤- عن عبد الله بن مسعود قال: تَحَدَّثْنَا عِنْدَ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ حَتَّى أَكْرَيْنَا الْحَدِيثَ، ثُمَّ تَرَاجَعْنَا إِلَى الْبَيْتِ، فَلَمَّا أَصْبَحْنَا غَدَوْنَا إِلَى نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ: «**عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأَنْبِيَاءُ اللَّيْلَةَ بِأَتْبَاعِهَا مِنْ أُمَّتِهَا، فَجَعَلَ النَّبِيُّ يَجِيءُ وَمَعَهُ الثَّلَاثَةُ مِنْ قَوْمِهِ، وَالنَّبِيُّ يَجِيءُ وَمَعَهُ الْعِصَابَةُ مِنْ قَوْمِهِ، وَالنَّبِيُّ وَمَعَهُ النَّفْرُ مِنْ قَوْمِهِ، وَالنَّبِيُّ لَيْسَ مَعَهُ مِنْ قَوْمِهِ أَحَدٌ، حَتَّى أَتَى عَلَيَّ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ فِي كَبْكَبَةٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ أَعْجَبُونِي، فَقُلْتُ: يَا رَبِّ، مَنْ هَؤُلَاءِ؟ قَالَ: هَذَا أَخُوكَ مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ، قَالَ: وَإِذَا ظِرَابٌ مِنْ ظِرَابِ مَكَّةَ قَدْ سَدَّ وُجُوهَ الرِّجَالِ، قُلْتُ: رَبِّ، مَنْ هَؤُلَاءِ؟ قَالَ: أُمَّتُكَ، قَالَ: فَقِيلَ لِي: رَضِيتَ؟ قَالَ: قُلْتُ: رَبِّ رَضِيتُ، رَبِّ رَضِيتُ، قَالَ: ثُمَّ قِيلَ لِي: إِنَّ مَعَ هَؤُلَاءِ سَبْعِينَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ لَا حِسَابَ عَلَيْهِمْ**»، قَالَ: فَأَنْشَأَ عُكَّاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ أَخُو بَنِي أَسَدِ بْنِ خُزَيْمَةَ، فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، ادْعُ رَبَّكَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، قَالَ: «**اللَّهُمَّ، اجْعَلْهُ مِنْهُمْ**»، قَالَ: ثُمَّ أَنْشَأَ رَجُلٌ آخَرُ، فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، ادْعُ رَبَّكَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، فَقَالَ: «**سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ**» قَالَ: ثُمَّ قَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ: «**فِدَاكُمْ أَبِي وَأُمِّي إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَكُونُوا مِنَ السَّبْعِينَ، فَكُونُوا فَإِنْ عَجَزْتُمْ وَقَصَّرْتُمْ فَكُونُوا مِنْ أَهْلِ الظِّرَابِ، فَإِنْ عَجَزْتُمْ وَقَصَّرْتُمْ فَكُونُوا مِنْ أَهْلِ الْأُفُقِ، فَإِنِّي رَأَيْتُ ثَمَّ أُنَاسًا يَتَهَرَّشُونَ كَثِيرًا**»، قَالَ: فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ: «**إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ مَنْ تَبِعَنِي مِنْ أُمَّتِي رُبُعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ**»، قَالَ: فَكَبَّرْنَا، ثُمَّ قَالَ: «**إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَكُونُوا الثُّلُثَ**»، قَالَ: فَكَبَّرْنَا، ثُمَّ قَالَ: «**إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَكُونُوا الشَّطْرَ**»، قَالَ: فَكَبَّرْنَا، فَتَلَا نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ: {ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ}، قَالَ: فَتَرَاجَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى

---

[1] أخرجه ابن حبان في صحيحه، كتاب: التاريخ، باب: من صفته ﷺ وأخباره، رقم: (٦٣٩٩) (ج١٤ ص٣١٠).

هَؤُلَاءِ السَّبْعِينَ، فَقَالُوا: نَرَاهُمْ أُنَاسًا وُلِدُوا فِي الْإِسْلَامِ، ثُمَّ لَمْ يَزَالُوا يَعْمَلُونَ بِهِ حَتَّى مَاتُوا عَلَيْهِ، قَالَ: فَنَمَى حَدِيثُهُمْ إِلَى نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ ﷺ: «**لَيْسَ كَذَلِكَ، وَلَكِنَّهُمُ الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَكْتَوُونَ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**»[1].

٥- وعن أبي هريرة ﷺ قال: سألت رسول الله ﷺ قلت: مَاذَا رَدَّ إِلَيْكَ رَبُّكَ فِي الشَّفَاعَةِ؟ فَقَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَقَدْ ظَنَنْتُ أَنَّكَ أَوَّلُ مَنْ يَسْأَلُنِي عَنْ ذَلِكَ مِنْ أُمَّتِي، لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الْعِلْمِ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، مَا يَهُمُّنِي مِنَ انْقِصَافِهِمْ عَلَى أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، أَهَمُّ عِنْدِي مِنْ تَمَامِ شَفَاعَتِي، وَشَفَاعَتِي لِمَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُخْلِصًا، يُصَدِّقُ قَلْبُهُ لِسَانَهُ، وَلِسَانُهُ قَلْبَهُ**»[2].

٦- وعن جابر ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الكَبَائِرِ مِن أمَّتِي**»[3].

٧- عن أبي ذر ﷺ قال، قال رسول الله ﷺ: «**أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي: بُعِثْتُ إِلَى الْأَحْمَرِ وَالْأَسْوَدِ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمَ، وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، فَيُرْعَبُ الْعَدُوُّ مِنْ مَسِيرَةِ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجِدًا، وَقِيلَ لِي: سَلْ تُعْطَهْ، وَاخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي فِي الْقِيَامَةِ، وَهِيَ نَائِلَةٌ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - لِمَنْ لَمْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ شَيْئًا**»[4].

١٤) من الخصائص الإعجازية للنبي ﷺ ما خُصَّت به أمَّتُهُ مِن بَيْنِ الأمم بِدُخُولِ العَدَدِ الكثير من أمته الجنة بغير حساب.

---

[1] أخرجه ابن حبان في صحيحه، كتاب التاريخ، باب من صفته ﷺ وأخباره، (ج١٤ ص٣٤١).

[2] أخرجه ابن حبان في صحيحه، كتاب التاريخ، باب الحوض والشفاعة، رقم: (٦٤٦٦) (ج١٤ ص٣٨٤)، ومسند إسحاق بن راهويه، ما يروى عن أبي إدريس وغيره عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ، رقم: (٣٣٧) (ج١ ص٣٤٣).

[3] أخرجه أبو داود، في سننه، كتاب السنة، باب في الشفاعة، رقم (٤٧٣٩) (ج٢ ص٦٤٩)، والترمذي كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ، رقم (٢٤٣٥) (ج٤ ص٦٢٥).

[4] سبق تخريجه ص: (٣٠).

مما خص الله ﷻ به هَذِه الأمة كَرَامَةً للنبي ﷺ أنه سيدخل منها أعدادًا كثيرة الجنة مِن غَيْرِ حساب ولا عذاب، وتكون وجوههم كالشمس أو القمر ليلة البدر، **ويدل على ذلك الأحاديث الآتية:**

١- عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**يَدْخُلُ مِن أمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَاب**»[(١)]، وفي لفظ: «**تُضِيءُ وُجُوهُهُم إضَاءَةَ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ**»[(٢)].

٢- وعن سهل بن سعد رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: «**لَيَدْخُلَنَّ الجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفًا – أَوْ: سَبْعُ مِائَةِ أَلْفٍ – مُتَمَاسِكِينَ، آخِذٌ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ، حَتَّى يَدْخُلَ أَوَّلُهُمْ وَآخِرُهُمُ الجَنَّةَ، وَوُجُوهُهُمْ عَلَى ضَوْءِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ**»[(٣)].

٣- وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «**عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ وَمَعَهُ الرُّهَيْطُ، وَالنَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلَانِ، وَالنَّبِيَّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، إِذْ رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ أُمَّتِي، فَقِيلَ لِي: هَذَا مُوسَى ﷺ وَقَوْمُهُ، وَلَكِنْ انْظُرْ إِلَى الْأُفُقِ، فَنَظَرْتُ، فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَقِيلَ لِي: انْظُرْ إِلَى الْأُفُقِ الْآخَرِ، فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ فَقِيلَ لِي: هَذِهِ أُمَّتُكَ، وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ**»[(٤)].

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب {ومن يتوكل على الله فهو حسبه}، رقم: (٦١,٧) (ج٥ ص٢٣٧٥ - ٢٣٩٩)، وأخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب، رقم: (٢١٦) (ج١ ص١٩٨).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب يدخل الجنة سبعون ألفا بغير حساب، رقم: (٦١٧٦) (ج٥ ص٢٣٩٦)، ومسلم، كتاب: الإيمان، باب: الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب، رقم (٢١٦)، (ج١ ص١٩٧).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب: ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، رقم: (٣,٧٥)، (ج٣ ص١١٨٦)، ومسلم في الإيمان باب: الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة، رقم: (٢١٩) (ج١ ص١٩٨).

(٤) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب: الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب، رقم (٢٢٠)، (ج١ ص١٩٩).

٤- وعن عمران بن حصين ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: «**يَدْخُل الجَنَّةَ مِنْ أمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ**»، قالوا: من هم يا رسول الله؟ قال: «**هُم الذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ، وَلَا يَكْتَوُونَ، وَعَلى رَبِّهِم يَتَوَكَّلُونَ**»[(١)].

٥- وعن رفاعة بن عرابة الجهني ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ أَشْهَدُ عِنْدَ اللَّهِ: مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ ثُمَّ يُسَدِّدُ إِلَّا سُلِكَ بِهِ فِي الْجَنَّةِ، وَلَقَدْ وَعَدَنِي رَبِّي أَنْ يُدْخِلَ مِنْ أُمَّتِي الْجَنَّةَ سَبْعِينَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ لَا يَدْخُلُوهَا حتى تتبوؤوا أَنْتُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَذَرَارِيِّكُمْ مَسَاكِنَ فِي الْجَنَّةِ**»[(٢)].

١٥) من الخصائص الإعجازية للنبي ﷺ: مَا خُصَّت بِه أمَّتُه أنَّ مِن بَيْنِ مَن قَد آمَن بالمصطفى ﷺ ولم يره قَد يَكُون أشَدّ حُبًا لَهُ مِن أقوام رَأوْهُ.

وقد وَرَد ذلك المعنى في أحاديث كثيرة منها ما يلي:

١- ما رَواه أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**مِن أشَدِّ أمَّتِي لِي حُبًا نَاسٌ يَكُونُونَ بَعْدِي، يَوَدُّ أحَدُهُم أنْ لَو رَآنِي بِأهْلِهِ، وَمَالِهِ**»[(٣)].

٢- روي عن أبي سعيد الخدري ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: «**طُوْبَى لِمَن رَآنِي وَآمَنَ بِي، وَطُوبَى ثُمَّ طُوْبَى لِمَن آمَنَ بِي وَلَم يَرَنِي**»[(٤)].

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب {ومن يتوكل على الله فهو حسبه}، رقم: (٦١,٧) (ج٥ ص٢٣٩٩)، وأخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب، رقم: (٢١٨) (ج١ ص١٩٨).

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه، كتاب الإيمان، باب فرض الإيمان، رقم: (٢١٢).

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب فيمن يود رؤية النبي ﷺ بأهله وماله، رقم: (٢٨٣٢) (ج٤ ص٢١٧٨).

(٤) أخرجه أحمد في مسنده، مسند أبي سعيد الخدري ﷺ، رقم (١١٦٩١) (ج٣ ص٧١)، وابن حبان، كتاب إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة رجالهم ونسائهم بذكر أسمائهم رضوان الله عليهم أجمعين، باب فضل الأمة، رقم (٧٢٣٠) (ج١٦ ص٢١٣).

٣- عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ أنَاسًا مِن أمَّتِي يَأتُونَ بَعْدِي، يَودُّ أحَدُهُم لَو اشْتَرَى رُؤْيَتِي بِأهْلِهِ وَمَالِهِ**»[(١)].

١٦) من الخصائص الإعجازية للنبي ﷺ مَا خُصَّت بِه أمَّتُهُ مِن بَيْنِ الأمَمِ: مَا يَحْصُلُ لِأمَّتِهِ ﷺ مِن استِغْفَارِه بَعْدَ وَفَاتِهِ.

مِن عميم كرم الله تعالى على الأمة المحمدية: أنها أمة الرحمة المهداة النبي الموفور الشفقة على أمته، والذي بلغ من شدة حرصه وشفقته على الأمة أنه يستغفر لهم حتى بعد وفاته، وهذا فيه من الإعجاز ما فيه، فضلا عما فيه من الكرم، والفضل الذي ليس بعده فضل؛ لأنه فضل الكريم المنان على نبيه وأمته، والروايات الصحيحة في هذا المعنى أكثر من أن تحصى من أهمها ما يلي:

١- عن عبد الله بن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**إنَّ للهِ مَلَائِكَة سَيَّاحِيْنَ يُبَلِّغُونَ عَن أمَّتِي السَّلَام**»، قال: وقال رسول الله ﷺ: «**حَيَاتِي خَيْرٌ لَكُم تُحَدِّثُونَ وَيُحَدَّث لَكُم، وَوَفَاتِي خَيْرٌ لَكُم تُعْرَض عَلَيَّ أعْمَالُكُم، فَمَا رَأيْتُ مِن خَيْرٍ حَمِدْتُ اللهَ عَلَيْهِ، وَمَا رَأيتُ مِن شَرٍّ اسْتَغْفَرْتُ اللهَ لَكُم**»[(٢)]، وهذا من وفور شفقته ورحمته ﷺ بالأمة، وهذا من وجوه التكريم والتفضيل للأمة على الأمم كلها.

٢- ما جاء في حديث الوفاة من دعائه للأمة: عن عَبْدِ اللَّهِ بن مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ: نُعِيَ إِلَيْنَا حَبِيبُنَا وَنَبِيُّنَا - بِأَبِي هُوَ، وَنَفْسِي لَهُ الْفِدَاءُ - قَبْلَ مَوْتِهِ بِستٍّ، فَلَمَّا دَنَا الْفِرَاقَ جَمَعَنَا فِي بَيْتِ أُمِّنَا عَائِشَةَ فَنَظَرَ إِلَيْنَا فَدَمَعَتْ عَيْنَاهُ، ثُمَّ قَالَ: «**مَرْحَبًا بِكُمْ وَحَيَّاكُمُ اللَّهُ، حَفِظَكُمُ اللَّهُ، آوَاكُمُ اللَّهُ، نَصَرَكُمُ اللَّهُ، رَفَعَكُمُ اللَّهُ، هَدَاكُمُ اللَّهُ، رَزَقَكُمُ اللَّهُ، وَفَّقَكُمُ اللَّهُ، سَلَّمَكُمُ اللَّهُ، قَبِلَكُمُ اللَّهُ، أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَأُوصِي اللَّهَ بِكُمْ وَأَسْتَخْلِفُهُ عَلَيْكُمْ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ، أَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ فِي عِبَادِهِ وَبِلَادِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ قَالَ لِي وَلَكُمْ**: {تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا

---

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرك»، رقم: (٦٩٩١)، (ج٤ ص٩٥)، وقال: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي في «التلخيص».

(٢) أخرجه البزار، كما في: «كشف الأستار عن زوائد البزار»، رقم: (٨٤٥)، (ج١ ص٣٩٧)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (ج٩ ص٢٤): «رواه البزار، ورجاله رجال الصحيح».

يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ} [القصص: ٨٣]، ثُمَّ قَالَ: {أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ} [الزمر: ٦٠]، ثُمَّ قَالَ: «**قَدْ دَنَا الْأَجَلُ وَالْمُنْقَلَبُ إِلَى اللَّهِ، وَإِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، وَإِلَى جَنَّةِ الْمَأْوَى، وَالْكَأْسِ الْأَوْفَى وَالرَّفِيقِ الْأَعْلَى**» فَقُلْنَا: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، فَمَنْ يُغَسِّلُكَ إِذَنْ؟ قَالَ: «**رِجَالُ أَهْلِ بَيْتِي الْأَدْنَى فَالْأَدْنَى**»، قُلْنَا: فَفِيمَا نُكَفِّنُكَ؟ قَالَ: «**فِي ثِيَابِي هَذِهِ إِنْ شِئْتُمْ، أَوْ فِي حُلَّةٍ يَمَنِيَّةٍ، أَوْ فِي بَيَاضِ مِصْرَ**»، قَالَ: قُلْنَا: فَمَنْ يُصَلِّي عَلَيْكَ مِنَّا؟ فَبَكَيْنَا وَبَكَى، وَقَالَ: «**مَهْلًا غَفَرَ اللَّهُ لَكُمْ وَجَزَاكُمْ عَنْ نَبِيِّكُمْ خَيْرًا، إِذَا غَسَّلْتُمُونِي ثُمَّ وَضَعْتُمُونِي عَلَى سَرِيرِي فِي بَيْتِي هَذَا عَلَى شَفِيرِ قَبْرِي فَاخْرُجُوا عَنِّي سَاعَةً، فَإِنَّ أَوَّلَ مَنْ يُصَلِّي عَلَيَّ خَلِيلِي وَجَلِيسِي جِبْرِيلُ، ثُمَّ مِيكَائِيلُ اللَّهِ ﷻ، ثُمَّ إِسْرَافِيلُ اللَّهِ ﷻ، ثُمَّ مَلَكُ الْمَوْتِ اللَّهِ ﷻ مَعَ جُنُودِهِ، ثُمَّ الْمَلَائِكَةُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِأَجْمَعِهَا، ثُمَّ ادْخُلُوا عَلَيَّ فَوْجًا فَوْجًا فَصَلُّوا عَلَيَّ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا وَلَا تُؤْذُونِي بِبَاكِيَةٍ وَلَا صَارِخَةٍ وَلَا رَانَّةٍ، وَلْيَبْدَأْ بِالصَّلَاةِ عَلَيَّ رِجَالُ أَهْلِ بَيْتِي، ثُمَّ أَنْتُمْ بَعْدَ، وَاقْرَءُوا أَنْفُسَكُمْ مِنِّي السَّلَامَ، وَمَنْ غَابَ مِنْ إِخْوَانِي فَأَبْلِغُوهُ مِنِّي السَّلَامَ، وَمَنْ دَخَلَ مَعَكُمْ فِي دِينِكُمْ بَعْدِي فَإِنِّي أُشْهِدُكُمْ أَنِّي أَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَيَّ وَعَلَى كُلِّ مَنْ تَابَعَنِي عَلَى دِينِي مِنْ يَوْمِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**»، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَمَنْ يُدْخِلُكَ قَبْرَكَ مِنَّا؟ قَالَ: «**رِجَالُ أَهْلِ بَيْتِي مَعَ مَلَائِكَةٍ كَثِيرَةٍ يَرَوْنَكُمْ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ**» [(١)].

١٧) مِن الخصائص الإعجازية للنبي ﷺ: مَا خُصَّت بِهِ أمَّتُهُ مِن بَيْنِ الأمَمِ أن الله وملائكته يصلون عليهم إلى يوم القيامة:

وهذا المعنى واضح في الخصوصية والتكريم والتبعية للنبي الأكرم ﷺ، وهو مستفاد من قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾ [(٢)].

وبناء على ذلك اختلف العلماء في حكم الصلاة على غير الأنبياء[(٣)]:

---

(١) أخرجه البزار في «مسنده»، برقم: (٢٠٢٨)، (ج٥ ص٣٩٤)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (ج٩ ص٢٥): «رجاله رجال الصحيح؛ غير: محمد بن إسماعيل بن سمرة الأحمسي، وهو: ثقة».

٢٠٢٨.

(٢) سورة الأحزاب آية: (٤٣).

(٣) «الشفا» (ج٢ ص٨٢) ط: بيروت.

فقال البعض: إن كانت على سَبِيْلِ التَّبَعِيَّةِ – كما تقدم في الحديث –: «اللهم صل على محمد وآله وأزواجه، وذريته»، فهذا جائز بالإجماع[1]، وإنما وقع النزاع فيما إذا أفْرد غير الأنبياء بالصلاة عليهم، فقال قائلون: يجوز ذلك، واحتجوا بقول الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلائِكَتُهُ﴾، وبقوله: ﴿أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾[2]، وبقوله: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ [3] الآية، وبحديث عبد الله بن أبي أوفى[4] قال: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ إذَا أتَاهُ قَوْمٌ بِصَدَقَتِهِم قال: «**اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيْهِم**»، فأتاه أبي بصدقته فقال: «**اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى آلِ أَبِي أَوْفَى**»[5].

وبحديث جابر أن امرأة قالت: يَا رَسُول الله صَلِّ عَلَيَّ وَعَلَى زَوْجِي، فقال: «**صَلَّى اللهُ عَلَيْكِ وَعَلَى زَوْجِكِ**»[6].

وقال الجمهور من العلماء: لا يجوز إفراد غير الأنبياء بالصلاة؛ لأن هذا قد صار شعارًا للأنبياء إذ ذكروا، فلا يلحق بهم غيرهم[7].

ويرى البعض: أنه لا يجوز ذلك؛ لأن الصلاة على غير الأنبياء قد صارت من شعار أهل الأهواء، يصلون على من يعتقدون فيهم، فلا يقتدى بهم في ذلك[1].

---

(1) «تفسير ابن كثير» (ج٣ ص٦٧٧)، و«روح المعاني» (ج٢٢ ص٨٥).

(2) سورة البقرة آية: (١٥٧).

(3) سورة التوبة آية: (١,٣).

(4) هو عبد الله بن أبي أوفى علقمة بن خالد بن الحارث بن أبي أسيد بن رفاعة، أبو محمد، الأسلمي: صحابي روى عن النبي ﷺ، وعنه: إبراهيم بن عبد الرحمن السكسكي، وإبراهيم بن سلم الهجري، قال عمرو بن علي: وهو آخر من مات بالكوفة من الصحابة، وفي كتاب الجهاد من البخاري ما يدل على أنه شهد الخندق، توفي (سنة ٨٦ وقيل ٨٨ هـ)، يراجع: «تهذيب التهذيب» (ج٥ ص١٥١)، و«الطبقات الكبرى» لابن سعد (ج٦ ص٢١).

(5) أخرجه البخاري، كتاب الزكاة، باب صلاة الإمام ودعائه لصاحب الصدقة، رقم: (١٤٢٦) (ج٢ ص٥٤٤)، وأخرجه مسلم في الزكاة، باب: الدعاء لمن أتى بصدقته رقم: (١,٧٨)، (ج٢ ص٥٧٦).

(6) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب: سجود القرآن، باب: الصلاة على غير النبي ﷺ، رقم: (١٥٣٣) (ج١ ص٤٨٠)، وأحمد في مسنده، (مسند جابر بن عبد الله ﷺ) رقم: (١٥٣١٦)، (ج٣ ص٣٩٧).

(7) «تفسير ابن كثير» (ج٣ ص٦٧٧).

ثم اختلف المانعون من ذلك: هل هو من باب التحريم أو الكراهة التنزيهية أو خلاف الأولى؟

على ثلاثة أقوال: حكاها النووي في كتاب الأذكار، ثم قال:

والصحيح الذي عليه الأكثرون أنه: مكروه كراهة تنزيه؛ لأَنَّهُ شِعَارُ أَهْلِ البِدَعِ، وقد نهينا عن شعارهم، والمَكْرُوه هو ما ورد فيه نهي مقصود، وقال أصحابنا - والمعتمد في ذلك - أن: الصلاة صارت مخصوصة في لسان السلف بالأنبياء[٢].

وأما السلام: فقال الجويني: هُوَ فِي معنى الصلاة، فلا يستعمل في الغائب ولا يفرد به غير الأنبياء، فلا يقال عَلِيٌّ عليه السلام، وسواء في هذا الأحياء والأموات، أما الحاضر فيخاطب به فيقال: سلام عليك، وسلام عليكم، أو: السلام عليك أو عليكم، وهذا مُجْمَعٌ عَلَيْهِ، وقد غلب هذا في عبارة كثير من النُّسَّاخِ للكتب أنْ ينفرد عَلِيٌّ رضي الله عنه بأن يقال: عليه السلام من دون سائر الصحابة، أو: كَرَّمَ الله وجهه، وهذا وإن كان معناه صحيحًا، لكن ينبغي أن يُسَوَّى بين الصحابة في ذلك، فإن هذا من باب التعظيم والتكريم، فالشيخان وأمير المؤمنين عثمان أوْلَى بذلك منه رضي الله عنهم[٣].

عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: لَا تَصِحُّ الصلاة على أحد إلا على النبي ﷺ، ولكن يدعو للمسلمين والمسلمات بالمغفرة[٤].

فروي أَنَّه قال: مَا أعلم الصلاة تَنْبَغِي مِن أحَدٍ على أحد إلا على النبي ﷺ[٥].

وروي أن كعباً دخل على عائشة رضي الله عنها، فذكروا رسول الله ﷺ فقال كعب: مَا مِن فَجْرٍ يطلع إلا نزل سبعون ألفًا من الملائكة حتى يَحُفُّونَ بالقبر يضربون بأجنحتهم ويصلون على النبي ﷺ

---

[١] «مختصر ابن كثير» (ج٣ ص١٣٥).

[٢] «الأذكار» للنووي (ج١ ص٢٧٤).

[٣] «تفسير ابن كثير» (ج٣ ص٦٧٧).

[٤] «تفسير ابن كثير» (ج٣ ص٦٧٧).

[٥] «مصنف ابن أبي شيبة» (ج٢ ص٢٥٤).

سبعون ألفًا بالليل وسبعون ألفًا بالنهار؛ حتى إذا انشقت عنه الأرض: خرج في سبعين ألفًا من الملائكة يزفونه[1].

قال النووي: إذا صلى على النبي ﷺ فليجمع بين الصلاة والتسليم ولا يقتصر على أحدهما فلا يقول: صلى الله عليه فقط ولا عليه السلام فقط[2]، وهو مستفاد من هذه الآية الكريمة: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيما﴾ [3] فالأولى أن يقال: صلى الله عليه وسلم تسليمًا.

١٨) ومما خُصَّت به هذه الأمة مِن بَيْنِ الأمم أن الله ﷻ سَمَّاهُم المسلمين وخصهم بالإسلام.

مِمَّا خَصَّ الله تعالى به هذه الأمة وأكرمها وفضلها: أن سماهم المسلمين في القرآن الكريم، ولم يذكر الله بالإسلام والإيمان غير هذه الأمة فذكرت بالإيمان والإسلام جميعا، ولم يَتَحَقَّق ذَلِكَ مع أمَّةٍ ذكرت إلا بالإيمان وفي الكتب السماوية السابقة[4]، كما ارتضى لهم دينه الإسلام، وَلَم يَرِد مثلُ ذلك في حق الأمم السابقة.

فقال الله ﷻ مبينًا بعض الوجوه التي خص بها أمة النبي ﷺ:

﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ [5].

---

[1] «مشكاة المصابيح»، كتاب الفضائل والشمائل، باب فضائل سيد المرسلين، رقم (٥٩٥٥) (ج٣ ص٢٩٥).

[2] «الأذكار» للنووي (ج١ ص٢٧١).

[3] سورة الأحزاب آية: (٥٦).

[4] «تفسير الطبري» (ج٩ ص١٩١)، و«تفسير القرطبي» (ج١٢ ص٩١).

[5] سورة الحج آية: (٧٨).

وقال جل شأنه: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُواْ بِٱلْأَزْلَـٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ۗ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[1].

وعن الحارث الأشعري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: « ... **وَمَنْ ادَّعَى دَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ فَإِنَّهُ مِنْ جُثَا جَهَنَّمَ**»، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَإِنْ صَلَّى وَصَامَ؟ قَالَ: «**وَإِنْ صَلَّى وَصَامَ، فَادْعُوا بِدَعْوَى اللَّهِ الَّذِي سَمَّاكُمُ المُسْلِمِينَ المُؤْمِنِينَ، عِبَادَ اللَّهِ**»[2].

وعن جابر ﷺ قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ قَد أيسَ أنْ يَعْبُدَهُ المُصَلُّونَ فِي جَزِيْرَةِ العَرَبِ، وَلَكِن فِي التَّحْرِيْشِ بَيْنَهُم**»[3].

وقوله: «**فِي التَّحْرِيْشِ بَيْنَهُم**» أي: رضي الشيطان أن يوقع بينهم بالخصومات، والشحناء، والحروب والفتن وغيرها.

كما أخبرنا ﷺ أن: الساعة لَنْ تَقُوم طالما هذا الإسلام موجودًا في الأرض، ولما كان عنوان الإسلام الشهادة؛ لذا فلن تقوم طالما في الأرض مَن يقول: لا إله إلا الله، عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ عَلَى أحَدٍ يَقُولُ: الله الله**»[4].

---

[1] سورة المائدة آية: (٣).

[2] أخرجه ابن حبان، كتاب التاريخ، باب بدء الخلق، رقم: (٦٢٣٣) (ج١٤ ص١٢٤)، ويراجع: «عظم قدره» (ص: ٢١٥).

[3] أخرجه مسلم، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب تحريش الشيطان وبعثه سراياه لفتنة الناس وأن مع كل إنسان قرينا، رقم (٢٨١٢) (ج٤ ص٢١٦٦).

[4] أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب: ذهاب الإيمان آخر الزمان، رقم: (١٤٨) (ج١ ص١٣١).

١٩) مِن الخصائص الإعجازية للنبي ﷺ ما خصت به أمته من بين الأمَمِ أن الله ﷻ أكمَلَ لَها الدِّين، وأتَمَّ عَلَيْهَا النِّعْمَة.

لقد ذَكَر الله ﷻ مِنَّتَهُ على هذه الأمة بأن: أكمل لها الدين، وأتم عليها النعمة، ورضي لها الإسلام دينا، و لم يكن ذلك إلا لهذه الأمة، والحمد لله على فضله ونعمائه.

فقال الله ﷻ: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمْ الإِسْلامَ دِيناً﴾[١] وهذا وَجْهُ تَكْرِيم لا يوجد في تشريع قط إلا التشريع الإسلامي.

ومما يؤيد ذلك مايلي:

١- ما روي عن عمر بن الخطاب ﷺ: أن رجلا مِن اليَهُودِ قَال له: يا أمير المؤمنين؛ آية في كتابكم تقرؤونها، لو علينا معشر اليهود نزلت؛ لاتَّخَذْنَا ذلك اليوم عيداً، قال أي آية؟ قال: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمْ الإِسْلامَ دِيناً ﴾ قال عمر ﷺ: قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذي نزلت فيه على النبي ﷺ: وهو قَائِمٌ بِعَرَفَة، يَوم جمعة[٢].

وإذا كان الله قد رضي لهذه الأمة الإسلام، فإن المؤمن إذا رضي بالإسلام دينًا، أكرمه الله تعالى بأن يذوق حلاوة الإيمان.

٢- ما روي عن العباس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ذَاقَ طَعْمَ الإيْمَان: مَن رَضِيَ بِالله رَبًّا، وَبِالإسْلَامِ دِيْنَا، وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ رَسُولًا**»[٣]، ولهذا كان المؤمن - الذي هذه حاله - يَكْرَهُ الكُفْرَ - رُجُوعًا أوْ تَلَبُّسًا - كما يكره الدخول في النار.

---

[١] سورة المائدة آية: (٣).

[٢] أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب زيادة الإيمان ونقصانه، رقم: (٤٥) (ج١ ص٢٥)، ومسلم أوائل كتاب التفسير رقم: (٣,١٧)، (ج٤ ص٢٣١٢).

[٣] أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من رضي بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد ﷺ رسولا فهو مؤمن وإن ارتكب المعاصي الكبائر، رقم: (٣٤) (ج١ ص٦٢).

٣- روي عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لاَ يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ**»[1] لذلك فإن الله سبحانه وتعالى يحميه.

٢٠) مِن الخَصَائِص الإعجازية للنبي ﷺ ما خُصَّت به أمته من بين الأمم بما حَطَّهُ الله ﷻ عنها من الإصْر وَالأغْلَال.

مما خص الله ﷻ به هذه الأمة، وأكرمها به ومَنَحَهَا إيَّاهُ: أن رَفَعَ عنها الإصر الذي كان على من سبقها، والأغلال التي كانت عليهم، وجعل دينها هو دين اليسر والسماحة، ليس فيه عسر، ولا حرج ولا مشقة؛ بل هو ما كان على وفق الفطرة، ليواكب استمرارية الدعوة، وبقاء هذا الدين، فأحل لهم كثيرًا مما شدد على من سبقهم، ورفع عنهم الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه، و لم يكتب عليهم الهم السيئ في النفوس، ولا الوساوس في الصدر، ما لم يفعل الإنسان؛ بل يكتب حسنة إذا لم يفعله، ومن هم بحسنة فإنها تكتب له حسنة، فإن عملها تكتب له عشرًا إلى أضعاف كثيرة، ووَضَعَ عَنْهُم: القَتْلَ فِي التَّوْبَةِ، وقَرْضَ مَوْضِعِ النَّجَاسَة، ورَخَّصَ لَهُم فِي مُخَالَطَةِ الحَائِضِ، وأَبَاحَ لهم الطيبات من اللحم ... إلخ.

وقال تعالى: ﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ

---

[1] أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان، رقم (١٦) (ج١ ص١٤)، ومسلم في الإيمان باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان رقم: (٤٣)، (ج١ ص٦٦)، و«عظم قدره» (ص: ٢١٧).

[2] سورة الحج، آية: (٧٨).

أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾[1]

وقال ابن رسلان[2]: التيمم من خصائص هذه الأمة، وهو رخصة، وقيل: عزيمة[3].

وقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ أُوْلَٰٓئِكَ مَعَهُۥٓ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾[4].

قال أبو السعود[5] في معنى الآية: ويضع عنهم إصْرَهُم والأغلال التي كانت عليهم أي: يخفف عنهم ما كلفوه من التكاليف الشاقة التي هي من قبيل ما كتب عليهم حينئذ من: كون التوبة

---

[1] سورة المائدة، آية: (٦).

[2] هو: أحمد بن حسين بن حسن بن علي، أبو العباس، الرملي الشافعي، ويعرف بابن رسلان . فقيه شافعي، ولد بالرملة (بفلسطين) وانتقل في كبره إلى القدس، فتوفي بها، عالم شارك في بعض العلوم، ولزم الإفتاء والتدريس مدة، وأجازه قاضي القضاة الباعوني بالإفتاء . توفي (سنة: ٨٤٤ هـ)، ومن تصانيفه: شرح سنن أبي داود، وشرح البخاري، وتصحيح الحاوي؛ فقه، وشرح منهاج الوصول إلى علم الأصول. انظر ترجمته في: «الضوء اللامع» (ج١ ص٢٨٢)، و«الأعلام» (ج١ ص١١٥)، و«معجم المؤلفين» (ج١ ص٢,٤).

[3] «غاية البيان شرح زبد ابن رسلان» (ج١ ص٦١).

[4] سورة الأعراف آية: (١٥٧).

[5] هو: السيد محمد أبو السعود بن السيد علي: فقيه حنفي، من تصانيفه : "فتح الله المعين" على شرح كنز الدقائق، للعلامة منلا مسكين، و"رسالة في كرامات الأولياء"، و لم يحدد سنة وفاته، فقيل: (كان حيا ١١٥٥هـ). انظر: «معجم المؤلفين» (ج١٠ ص٢٤)، ومقدمة «حاشية أبي السعود على شرح منلا مسكين» (ج١ ص٢).

بقتل النفس، وكتعيين القصاص في العمد والخطأ مِن غَيْرِ شرع الدية، وقطع الأعضاء الخاطئة، وقرض موضع النجاسة من الجلد والثوب، وإحراق الغنائم، وتحريم السبت[1].

والمعنى في ذلك أنه: جاء بالتيسير والسماحة كما ورد في الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**بُعِثْتُ بِالحَنِيْفِيَّةِ السَّمْحَةِ**»[2].

وقال ﷺ لأَمِيْرَيْهِ مُعاذ وأبي موسى الأشعري لما بعثهما إلى اليمن: «**بَشِّرَا وَلَا تُنَفِّرَا وَيَسِّرَا وَلَا تُعَسِّرَا وَتَطَاوَعَا وَلَا تَخْتَلِفَا**»[3].

وقال صاحبه أبو برزة الأسلمي: إنِّي غَزَوْتُ مَع رسول الله سِتَّ غَزَواتٍ أو سَبْعَ غَزَواتٍ وثَمان، وشهدت تيسيره[4].

وقد كانت الأمم التي قبلنا في شرائعهم ضيق، فوسع الله على هذه الأمة أمورها وسهلها لهم؛ ولهذا قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ اللهَ تَجَاوَزَ لِأُمَّتِي عَمَّا وَسْوَسَت أوْ حَدَّثَت بِهِ أنْفُسَها مَا لَم تَعْمَل بِه أوْ تَكَلَّم**»[5].

وقال ﷺ: «**إنَّ اللهَ وَضَعَ عَنْ أمَّتِي الخَطَأَ وَالنِّسْيَانَ وَما اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ**»[6].

---

[1] «تفسير أبي السعود» (ج٣ ص٢٧٩).

[2] سبق تخريجه ص: (١,٦).

[3] أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب: ما يكره من التنازع والاختلاف في الحرب وعقوبة من عصى إمامه، رقم (٢٨٧٣) (ج٣ ص١١,٤).

[4] أخرجه البخاري، أبواب العمل في الصلاة، باب إذا انفلتت الدابة في الصلاة، رقم: (١١٥٣) (ج١ ص٤,٥).

[5] أخرجه البخاري، كتاب الأيمان والنذور، باب إذا حنث ناسيا في الأيمان، رقم: (٦٢٨٧) (ج٦ ص٢٤٥٤)، وأخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب تجاوز الله عن حديث النفس والخواطر بالقلب إذا لم تستقر، رقم: (١٢٧) (ج١ ص١١٦).

[6] أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الطلاق، باب طلاق المكره والناسي، رقم: (٢,٤٥) (ج١ ص٦٥٩)، وقال الشيخ الألباني: «صحيح».

ولهذا أرشد الله هذه الأمـــة أن يقولـــوا: ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[1].

وكما في قوله تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[2].

وقال السُّبْكيّ: للشَّارِع في المُكْرَهِ لُطْفَانِ خَفِيَّان: إسقاط حكم الفعل الناشئ عنه، وعدم التكليف بالصبر على ما توعد المكره عليه، وهذه من خصائص هذه الأمة المشرفة بنبيها الكريم على الله، محمد المصطفى ﷺ بأبي وأمي إنه لرؤوف رحيم، ونبي كريم، ومِن ثَمَّ قال ﷺ: «**وَرُفِعَ عَن أُمَّتِي الخَطَأ**»[3].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: قال الله ﷻ: «**إِذَا هَمَّ عَبْدِي بِسَيِّئَةٍ فَلَا تَكْتُبُوهَا عَلَيْهِ، فَإِن عَمِلَها فَاكْتُبُوهَا سَيِّئَةً، وَإِذَا هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَم يَعْمَلْهَا فَاكْتُبُوهَا حَسَنَةً، فَإِنْ عَمِلَهَا فَاكْتُبُوهَا عَشْرًا**»[4].

زاد في رواية: «**فَإِنْ عَمِلَهَا كَتَبْتُهَا عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِمَائَةِ ضِعْفٍ**».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ تَجَاوَزَ لِأُمَّتِي مَا حَدَّثَت بِهِ أَنْفُسَهَا مَا لَم يَتَكَلَّمُوا، أَوْ يَعْمَلُوا بِه**»[1].

---

[1] «تفسير ابن كثير» (ج٢ ص٣٣٥).

[2] البقرة آية: (١٨٥).

[3] «الأشباه والنظائر» للإمام تاج الدين السبكى (ج٢ ص١٢).

[4] سبق تخريجه (ص: ١١٨).

وعن ابن عباس ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: «**رُفِعَ عَن أمَّتِي الخَطَأ وَالنِّسْيَان وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ**»[٢].

ومن أمثلة ما خففه الله على هذه الأمة – وكان على مَن سَبَقَها أشَدّ – أنه كان فيمن سبق أنَّ مَن أرَادَ التَّوبَة يَقْتُل نَفْسَه، كما قال الله ﷻ: ﴿ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [٣]، بينما التوبة في الإسلام الندم، والإقلاع عن الذنب، والاستغفار، وعدم العودة إليه، وقد كان فيمن سبق إذا أصاب ثوب أحدهم – وعند مسلم: جِلْدَ أحَدِهِم – بَوْل: قَرَضَهُ بِالمَقَارِيض، كما في حديث أبي موسى الأشعري ﷺ المتفق عليه، ولَفْظُه لمسلم: عن أبي وائل قال: كان أبُو مُوسَى يُشَدِّدُ فِي البَوْلِ، ويَبُولُ فِي قَارُورَةٍ، ويَقول: إن بَنِي إسْرَائِيْلَ كَان إذَا أصَابَ جِلْدَ أحَدِهم بَوْلٌ قَرَضَهُ بِالمقَارِيْضِ، فقال حذيفة: لَوَدِدْتُ أنَّ صَاحِبَكُم لَا يُشَدِّد هَذَا التَّشْدِيد، فَلَقَد رَأيْتُنِي أنَا وَرَسُول الله ﷺ نَتَمَاشَى، فَأتَى سُبَاطَةً خَلْفَ حَائِطٍ، فَقَامَ كَما يَقُومُ أحَدُكُم فَبَالَ، فَانْتَبَذْتُ مِنْهُ، فَأشَارَ إلَيَّ فَجِئْتُ، فَقُمْتُ عِنْدَ عَقِبِه حَتَّى فَرَغ»[٤].

ويوضح ذلك حديث عبد الرحمن بن حسنة ﷺ قال: انطلقت أنا وعمرو بن العاص إلى النبي ﷺ، فخرج ومعه الدَّرَقَة، ثم استَتَر بها ... الحديث وفيه: فقال ﷺ: «**أَلَم تَعْلَمُوا مَا لَقِيَ صَاحِبُ بَنِي إسرائيل؟ كَانَ إذَا أصَابَهُم البَوْلُ قَطَعُوا مَا أصَابَهُ البَوْلُ مِنْهُم فَنَهَاهُم، فَعُذِّبَ فِي قَبْرِه**»[٥].

---

[١] أخرجه البخاري، كتاب الأيمان والنذور، باب إذا حنث ناسيا في الأيمان، رقم: (٦٢٨٧) (ج٦ ص٢٤٥٤)، ومسلم كتاب الإيمان، باب: تجاوز الله عن حديث النفس والخواطر بالقلب إذا لم تستقر، رقم: (١٢٧) (ج١ ص١١٦)، واللفظ لمسلم.

[٢] أخرجه ابن حبان في «صحيحه» (ج١٦ ص٢,٢)، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط البخاري.

[٣] سورة البقرة آية: (٥٤).

[٤] أخرجه مسلم، كتاب الطهارة، باب المسح على الخفين، رقم: (٢٧٣) (ج١ ص٢٢٨).

[٥] أخرجه أبو داود في «سننه»، كتاب الطهارة، باب الاستبراء من البول، رقم (٢٢) (ج١ ص٥٣)، وقال الشيخ الألباني: «صحيح».

بينما في الإسلام: يَغْسِلُ المكان الذي أصَابَهُ البَوْلُ فقط، سواء كان ثوبًا أم بدنًا أو غير ذلك.

وعن أنس بن مالك ﷺ أن اليهود كانوا إذا حَاضَت المرأة فيهم، لم يؤاكلوها، و لم يجامعوهن في البيوت، فسأل أصحاب النبيِّ ﷺ النبيَّ ﷺ، فأنزل الله تعالى: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمْ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [1]، فقال رسول الله ﷺ: «**اصْنَعُوا كُلَّ شَيءٍ إِلَّا النِّكَاح**» فبلغ ذلك اليهود، فقالوا: ما يُرِيدُ هذا الرجُلُ أنْ يَدَع من أمرنا شيئا إلا خالفنا فيه ...»[2].

٢١) مِن الخصائص الإعجازية للنبي ﷺ ما خصت به أمته من بين الأمم أن المسيح عليه السلام يصلي خلف إمام المسلمين:

لقد تواترت الأخبار بأن المسيح عليه السلام حين ينزل في آخر الزمان، ويقتل الدجال: يصلي خلف إمام هذه الأمة.

فعن جابر ﷺ قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**»، **قَالَ: فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ﷺ، فَيَقُولُ أَمِيرُهُمْ: تَعَالَ صَلِّ لَنَا، فَيَقُولُ: لَا، إِنَّ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ أُمَرَاءُ، تَكْرِمَةَ اللهِ هَذِهِ الْأُمَّةَ**»[3].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**كَيْفَ أَنْتُم إِذَا نَزَل ابنُ مَرْيَم فِيْكُم، وإِمَامُكُم مِنْكُم**»[4].

---

[1] سورة البقرة آية: (٢٢٢).

[2] أخرجه مسلم، كتاب الحيض، باب: جواز غسل رأس زوجها وترجيله وطهارة سؤرها والاتكاء في حجرها وقراءة القرآن فيه، رقم: (٣,٢) (ج١ ص٢٤٦).

[3] أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب نزول عيسى بن مريم حاكما بشريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، رقم (١٥٦)، (ج١ ص ١٣٧).

[4] أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب نزول عيسى بن مريم حاكما بشريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، رقم (١٥٥) (ج١ ص١٥٥).

وعن أبي أمامة ﷺ قال: خطبنا رسول الله ﷺ فكان أكثر خطبته حديثًا عن الدجال ... الحديث، وفيه: «**فَبَيْنَمَا إِمَامُهُمْ قَدْ تَقَدَّمَ يُصَلِّي بِهِمُ الصُّبْحَ، إِذْ نَزَلَ عَلَيْهِمْ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ الصُّبْحَ، فَرَجَعَ ذَلِكَ الْإِمَامُ يَنْكُصُ، يَمْشِي الْقَهْقَرَى، لِيَتَقَدَّمَ عِيسَى يُصَلِّي بِالنَّاسِ، فَيَضَعُ عِيسَى يَدَهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ، ثُمَّ يَقُولُ لَهُ: تَقَدَّمْ فَصَلِّ، فَإِنَّهَا لَكَ أُقِيمَتْ، فَيُصَلِّي بِهِمْ إِمَامُهُمْ**» [(١)].

وعن ابن المسيب[(٢)] ﷺ أنه سمع أبا هريرة ﷺ يقول: قال رسول الله ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا مُقْسِطًا، فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلَ الخِنْزِيرَ، وَيَضَعَ الجِزْيَةَ، وَيَفِيضَ المَالُ حَتَّى لاَ يَقْبَلَهُ أَحَدٌ**»[(٣)]، وفي رواية: «**إِمَامًا مُقْسِطًا وَحَكَمًا عَدْلًا**»[(٤)].

وفي رواية يونس: «**حَكَمًا عَادِلًا**»، ولم يذكر: «**إِمَامًا مُقْسِطًا**»، وفي حديث صالح: «**حَكَمًا مُقْسِطًا**»، كما قال الليث، وفي حديثه من الزيادة: «**وَحَتى تَكُونَ السَّجْدَةُ الوَاحِدَةُ خَيرًا مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيْهَا**»، ثم يقول أبو هريرة: اقرؤوا إن شئتم: {وَإِنْ مِن أَهْلِ الكِتَابِ إِلَّا لَيُؤمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ}[(٥)]، ومعلوم أن عيسى عليه السلام أفضل من المهدي، من حيث كون المسيح عليه السلام رسول الله، ومن أولي العزم، ولكنه علل ذلك بقوله: «**إِنَّ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ أُمَرَاءُ، تَكْرِمَةَ اللهِ هَذِهِ الْأُمَّةَ**»[(٦)].

[(١)] أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الفتن، باب فتنة الدجال وخروج عيسى بن مريم وخروج يأجوج ومأجوج، رقم (٤,٧٧)، (ج٢ ص١٣٥٩).

[(٢)] هو: سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب، قرشي من كبار التابعين، وأحد الفقهاء السبعة بالمدينة المنورة . جمع بين الحديث والفقه والزهد والورع، كان لا يأخذ عطاءا، ويعيش من التجارة بالزيت، وكان أحفظ الناس لأقضية عمر بن الخطاب حتى سمي راوية عمر توفي بالمدينة (سنة: ٩٤ هـ). «الأعلام» للزركلي (ج٣ ص١٥٥).

[(٣)] أخرجه البخاري، كتاب البيوع، باب قتل الخنزير، رقم: (٢١,٩) (ج٢ ص٧٧٤٠)، وأخرجه مسلم في الإيمان، باب: نزول عيسى ابن مريم حاكما بشريعة نبينا محمد ﷺ، رقم: (١٥٥) (ج١ ص١٣٥).

[(٤)] أخرجه مسلم في الإيمان باب: نزول عيسى ابن مريم حاكما بشريعة نبينا محمد ﷺ، رقم: (١٥٥) (ج١ ص١٣٥).

[(٥)] «الإيمان» لابن منده (ج١ ص٥١٤).

[(٦)] أخرجه مسلم في: كتاب الإيمان، باب: نزول عيسى ابن مريم حاكما بشريعة نبينا محمد ﷺ رقم: (١٥٦) (ج١ ص١٣٧).

والمسيح عليه السلام، حينما ينزل من السماء في آخر الزمان لا ينزل بِشَرْعٍ جَدِيدٍ، أو يَحْكُم بما كان قد نزل عليه؛ بل يكون متبعًا للنبي ﷺ، ومطبقًا لشرع النبي ﷺ وهو الإسلام، كما مَرَّ.

٢٢) من الخصائص الإعجازية للنبي ﷺ ما خُصَّت بِه أمَّتُه مِن بين الأمم أن جعلت صفوفها كصفوف الملائكة.

مما خص الله ﷻ به هذه الأمة: أن جعل صفوفها في الصلاة كصفوف الملائكة[١]، كما في حديث حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول ﷺ : «**فُضِّلْنَا عَلَى النَّاسِ بِثَلَاثٍ: جُعِلَتْ صُفُوفُنَا كَصُفُوفِ الْمَلَائِكَةِ، وَجُعِلَتْ لَنَا الْأَرْضُ كُلُّهَا مَسْجِدًا، وَجُعِلَتْ تُرْبَتُهَا لَنَا طَهُورًا، إِذَا لَمْ نَجِدِ الْمَاءَ**»[٢] وذكر خصلة أخرى.

وعن جابر بن سمرة[٣] رضي الله عنه قال: خرج رسول الله ﷺ فقال: «**أَلَا تَصُفُّونَ كَمَا تَصُفُّ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا؟**» فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللهِ، وَكَيْفَ تَصُفُّ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا؟ قَالَ: «**يُتِمُّونَ الصُّفُوفَ الْأُوَلَ وَيَتَرَاصُّونَ فِي الصَّفِّ**»[٤].

٢٣) من الخصائص الإعجازية للنبي ﷺ ما خصت به أمته من بين الأمم أنهم أحِلَّت لهم الغنائم.

مما خص الله ﷻ به هذه الأمة، وفضلها على غيرها: أن أحل لها أن تأكل الغنائم، و لم تحل لأحد من قبل، وذلك أن من كان قبلنا على قسمين:

---

[١] «غاية السول في خصائص الرسول ﷺ» (ج١ ص٦٧).

[٢] أخرجه مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم (٥٢٢) (ج١ ص٣٧١).

[٣] هو: جابر بن سمرة رضي الله عنهما : ابن جنادة بن جندب، أبو عبد الله، السوائي : صحابي، روى عن النبي، وعمر وعلي وعن أبيه وخاله سعد بن أبي وقاص رضي الله عنهم، وعنه: سماك بن حرب وجعفر بن أبي ثور، وأبو عون الثقفي وغيرهم، روى له البخاري ومسلم: (١٤٦ حديثًا)، توفي (سنة: ٧٤ هـ). «الإصابة» (ج١ ص٢١٢).

[٤] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب: الأمر بالسكون في الصلاة والنهي عن الإشارة باليد ورفعها عند السلام وإتمام الصفوف الأول والتراص فيها والأمر بالاجتماع، رقم: (٤٣٠)، (ج١ ص٣٢٢).

الأول منهم: من لم يؤمر بجهاد؛ فلا غنائم له.

والثاني: من أمر بجهاد، وكان إذا غنم يجمع الغنائم في مكان، فإن كانت مقبولة عند الله ﷻ نزلت نار أحرقتها، وإن كان فيها غلول لم تحرق.

أما نحن فقد خفف الله عنا، وعلم أن فينا ضعفًا، وأكرمنا بكرامة حبيبه محمد ﷺ[1]، فقال: ﴿ فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلالاً طَيِّباً ﴾[2]، وقال رسول الله ﷺ : «**أُعْطِيتُ خَمْسًا لَم يُعْطَاهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي**»[3]، - وفي رواية: «سِتًّا»، ومنها: - ... **وأحِلَّت لِيَ الغَنَائِمُ وَلَم تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي**»[4].

٢٤)- ومما خصت به هذه الأمة من بين الأمم أن هذه الأمة شهداء الله في الأرض.

ومما خص الله ﷻ به هذه الأمة وفضلها: أن جعلهم شهداء لله في أرضه لحديث البخاري: «**المُؤْمِنُونَ شُهَدَاءُ اللهِ فِي أَرْضِهِ**»[5].

وفي حديث أبي هريرة ﷺ قال: مَرَّت جِنَازَةٌ عَلَى النبي ﷺ وصَحَابَتِه فأثْنَوا عَلَيْهَا خَيْرًا، قال رسول الله ﷺ: «**وَجَبَت**» ومَرَّت أخْرَى فأثنوا عليها شرًا فقال رسول الله ﷺ: «**وَجَبَت**»، قالوا ما وجبت؟ فقال رسول الله ﷺ: «**المَلَائِكَةُ شُهَدَاءُ اللهِ فِي السَّمَاءِ، وَأَنْتُم شُهَدَاءُ اللهِ فِي الأَرْضِ**»[6].

---

[1] «التمهيد» لابن عبد البر (ج١٩ ص٦٨)، و«القيامة الكبرى» عمر سليمان الأشقر (ص: ١٧٤).

[2] سورة الأنفال آية: (٦٩).

[3] سبق تخريجه (ص: ٣٠).

[4] سبق تخريجه (ص: ٣٠).

[5] أخرجه البخاري، كتاب الشهادات، باب: تعديل كم يجوز، رقم: (٢٤٩٩) (ج٢ ص٩٣٤).

[6] أخرجه البخاري، كتاب الجنائز، باب: ثناء الناس على الميت، رقم: (١٣,١) (ج١ ص٤٦٠)، وأخرجه مسلم في الجنائز، باب: فيمن يثني عليه خير أو شر من الموتى رقم: (٩٤٩)، (ج٢ ص٦٥٥).

وعن أنس ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَمُوتُ فَيَشْهَدُ لَهُ أَرْبَعَةٌ أَهْلُ أَبْيَاتٍ مِنْ جِيرَانِهِ الْأَدْنَيْنَ، إِلَّا قَالَ اللهُ: قَدْ قَبِلْتُ عِلْمَكُمْ فِيهِ، وَغَفَرْتُ لَهُ مَا لَا تَعْلَمُونَ**»[1].

٢٥) من الخصائص الإعجازية للنبي ﷺ ما خُصَّت بِه أمَّتُه مِن بَيْنِ الأمَمِ أنها: خُصَّت بصلاة العشاء.

مما خص الله ﷻ به هذه الأمة دون غيرها: صلاة العشاء، وقد بين ذلك النبي ﷺ عندما خرج على صحابته فصلى بهم وقال: «**أَبْشِرُوا، إِنَّ مِنْ نِعْمَةِ اللَّهِ عَلَيْكُمْ، أَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ يُصَلِّي هَذِهِ السَّاعَةَ غَيْرُكُمْ**»[2].

وفي حديث ابن مسعود ﷺ: «**لَيْسَ مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الْأَدْيَانِ أَحَدٌ يَذْكُرُ اللَّهَ هَذِهِ السَّاعَةَ غَيْرُكُمْ**»[3].

وعن عائشة قالت: أَعْتَمَ رَسُول الله ﷺ بالعشاء حتى ناداه عمر ﷺ: «نام النساء والصبيان»، فخرج رسول الله ﷺ فقال: «**إِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ يُصَلِّي هَذِهِ الصَّلَاةَ غَيْرَكُمْ**» وَلَمْ يَكُنْ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ يُصَلِّي غَيْرَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ[4].

٢٦) مِن الخَصَائِص الإعْجَازِيَّة للنبي ﷺ مَا خُصَّت بِه أمَّتُه مِن بَيْنِ الأمم: أنها تكون شاهدة للأنبياء – عليهم السلام – **عَلَى أُمَمِهِم.**

---

[1] أخرجه أحمد في مسنده، (مسند أبي هريرة ﷺ) رقم: (٩٢٨٤) (ج٢ ص٤,٨)، وصححه ابن حبان والحاكم، وانظر: «التمهيد» (ج١٩ ص٦٧)، و«القيامة الكبرى» عمر سليمان الأشقر (ص: ١٧٤).

[2] أخرجه البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل العشاء، رقم: (٥٤٢) (ج١ ص٢,٧)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب وقت العشاء وتأخيرها، رقم (٦٤١) (ج١ ص٤٤٣).

[3] أخرجه أحمد في مسنده، مسند ابن مسعود، رقم (٣٧٦٠) (ج١ ص٣٩٦).

[4] أخرجه النسائي كتاب الصلاة، باب فضل صلاة العشاء، (ج١ ص٢٣٩)، وقال الشيخ الألباني: «صحيح».

لقد جعل الله ﷻ هذه الأمة شاهدة للأنبياء على أممهم، عندما ينكرون، ويقولون: أنهم ما جاءهم من نذير ولا بشير، وأنهم لم يُبَلِّغُوا مِن قِبَل أنبيائهم، وينكرون على أنبيائهم، فتشهد هذه الأمة للأنبياء السابقين عليهم السلام أنهم قد بلغوا - وهذا منتهى الإكرام والإعجاز في نفس الوقت - حيث يكونون شهداء الأنبياء والرسل الكرام، كيف لا وقد جعلها الله تعالى أمة العدل والوسط والخيار.

قال الله ﷻ: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً ﴾ [1]، وقال الله ﷻ: ﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ [2].

وقد بين النبي ﷺ ذلك عندما قال: «**يُدْعَى نُوحٌ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: هَلْ بَلَّغْتَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيُقَالُ لِأُمَّتِهِ: هَلْ بَلَّغَكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: مَا أَتَانَا مِنْ نَذِيرٍ، فَيَقُولُ: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ، فَتَشْهَدُونَ أَنَّهُ قَدْ بَلَّغَ:** ﴿وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣]، **فَذَلِكَ قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ:** ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾ [3].

٢٧) من الخصائص الإعجازية للنبي ﷺ ما خصت به أمته من بين الأمم أنها أول من يجتاز الصراط.

مما خص الله ﷻ به الأمة المحمدية أنها تكون - مع نبيها ﷺ - أوَّلُ مَن يَجْتَازُ الصِّرَاطَ مِن الأمَمِ، أو الأمة التي يضرب لها الصراط باعتبار أن الراجح أن الصراط من خصائص الأمة

---

[1] سورة البقرة آية: (١٤٣).

[2] سورة الحج، آية: (٧٨).

[3] أخرجه البخاري، كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: {إنا أرسلنا نوحا إلى قومه أن أنذر قومك من قبل أن يأتيهم عذاب أليم }، رقم: (٣١٦١) (ج٣ ص١٢١٥).

المحمدية أو المؤمنين منهم، كما في الحديث الطويل عن أبي هريرة ﷺ، عنه ﷺ، وفيه قوله ﷺ: « ... **وَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ، فَأَكُوْنُ أَنَا وَأُمَّتِي أَوَّلَ مَنْ يُجِيْزُ** ...»[1].

وقد بين رسول الله ﷺ أن أول مَن يُجِيْزُ على الصراط يوم القيامة: هم فقراء المهاجرين ﷺ.

كما في حديث ثوبان مولى رسول الله ﷺ ورضي الله عنه – في قصة سؤال حبر اليهود – وفيه: «**فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: أَيْنَ يَكُونُ النَّاسُ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ؟** فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**هُمْ فِي الظُّلْمَةِ دُونَ الْجِسْرِ**» قَالَ: فَمَنْ أَوَّلُ النَّاسِ إِجَازَةً؟ قَالَ: «**فُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ**»[2].

٢٨) مِن الخَصَائِص الإعجازية للنبي ﷺ ما خصت به أمته من بين الأمم: أنَّهـا أوَّلُ مَـن يَدْخُل الجَنَّة وَأنَّ الجَنَّة مُحَرَّمَةٌ عَلى الناس حتى تدخلها هذه الأمة.

دَلَّت النصوص الصحيحة أنَّ أوَّل مَن يَدْخُل الجنة على الإطلاق رسول الله ﷺ، وأول الأمة أبو بكر الصديق ﷺ، ثم فقراؤها قبل أغنيائِها.

ومن النصوص الدالة على ذلك ما يلي:

١- عن أبي هريرة ﷺقال: قال رسول الله ﷺ: «**نَحْنُ الْآخِرُونَ، وَنَحْنُ السَّابِقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، بَيْدَ أَنَّ كُلَّ أُمَّةٍ أُوتِيَتِ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِنَا، وَأُوتِينَاهُ مِنْ بَعْدِهِمْ، ثُمَّ هَذَا الْيَوْمُ الَّذِي كَتَبَهُ اللَّهُ ﷻ عَلَيْهِمْ، فَاخْتَلَفُوا فِيهِ، فَهَدَانَا اللَّهُ لَهُ، فَالنَّاسُ لَنَا فِيهِ تَبَعٌ، فَلِلْيَهُودِ غَدًا، وَلِلنَّصَارَى بَعْدَ غَدٍ**[3]، فدل الحديث على أشياء كثيرة: منها أن الأمة أسبق من غيرها يوم القيامة.

---

[1] أخرجه البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: {وجوه يومئذ ناضرة، إلى ربها ناظرة}، رقم (٧٠٠٠)، ج٦ ص٢٤,٣)، وأخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب: معرفة طريق الرؤية، رقم: (١٨٢) (ج١ ص١٦٣).

[2] أخرجه مسلم، كتاب الحيض، باب بيان صفة مني الرجل والمرأة وأن الولد مخلوق من مائهما، رقم: (٣١٥) (ج١ ص٢٥٢).

[3] أخرجه مسلم، كتاب الجمعة، باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة، رقم (٨٥٥) (ج٢ ص٥٨٥).

٢- وعن أبي هريرة وحذيفة بن اليمان ﷺ قالا: قال رسول الله ﷺ: «**أَضَلَّ اللهُ عَنِ الْجُمُعَةِ مَنْ كَانَ قَبْلَنَا، فَكَانَ لِلْيَهُودِ يَوْمُ السَّبْتِ، وَكَانَ لِلنَّصَارَى يَوْمُ الْأَحَدِ، فَجَاءَ اللهُ بِنَا فَهَدَانَا اللهُ لِيَوْمِ الْجُمُعَةِ، فَجَعَلَ الْجُمُعَةَ، وَالسَّبْتَ، وَالْأَحَدَ، وَكَذَلِكَ هُمْ تَبَعٌ لَنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، نَحْنُ الْآخِرُونَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، وَالْأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، الْمَقْضِيُّ لَهُمْ قَبْلَ الْخَلَائِقِ**»[(١)].

٣- وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**نَحْنُ الآخِرُونَ الأَوَّلُونَ السَّابِقُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ، بَيْدَ أَنَّهُم أُوتُوا الكِتَابَ مِنْ قَبْلِنَا**»[(٢)].

٤- وعن عمر بن الخطاب ﷺ، عن رسول الله ﷺ قال: «**الْجَنَّةُ حُرِّمَتْ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ حَتَّى أَدْخُلَهَا، وَحُرِّمَتْ عَلَى الْأُمَمِ حَتَّى تَدْخُلَهَا أُمَّتِي**»[(٣)]، ويؤيده ما رواه عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : «**هَلْ تَدْرُونَ أَوَّلَ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ؟**» قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ: «**أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ الْفُقَرَاءُ الْمُهَاجِرُونَ، الَّذِينَ تُسَدُّ بِهِمُ الثُّغُورُ، وَيُتَّقَى بِهِمُ الْمَكَارِهُ، وَيَمُوتُ أَحَدُهُمْ وَحَاجَتُهُ فِي صَدْرِهِ، لَا يَسْتَطِيعُ لَهَا قَضَاءً فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ مَلَائِكَتِهِ: ائْتُوهُمْ فَحَيُّوهُمْ، فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ: نَحْنُ سُكَّانُ سَمَائِكَ، وَخِيرَتُكَ مِنْ خَلْقِكَ، أَفَتَأْمُرُنَا أَنْ نَأْتِيَ هَؤُلَاءِ فَنُسَلِّمَ عَلَيْهِمْ؟ قَالَ: إِنَّهُمْ كَانُوا عِبَادًا يَعْبُدُونِي، لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا، وَتُسَدُّ بِهِمُ الثُّغُورُ، وَيُتَّقَى بِهِمُ الْمَكَارِهُ، وَيَمُوتُ أَحَدُهُمْ، وَحَاجَتُهُ فِي صَدْرِهِ، لَا يَسْتَطِيعُ لَهَا قَضَاءً ... **»[(٤)].

---

(١) أخرجه مسلم في الجمعة باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة رقم(٨٥٥) (ج٢ ص٥٨٥).

(٢) أخرجه البخاري كتاب الأنبياء، باب: {أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم}، رقم: (٣٢٩٨) (ج٣ ص١٢٨٥)، وأخرجه مسلم في الجمعة باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة، رقم: (٨٥٥) (ج٢ ص٥٨٥).

(٣) أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» بإسناد حسن، وانظر: «مجمع الزوائد»، كتاب المناقب، باب ما جاء في فضل الأمة، رقم (١٦٧١٧) (ج١٠ ص٥٩).

(٤) أخرجه أحمد في مسنده، (مسند عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنهما)، رقم (٦٥٧٠) (ج٢ ص١٦٨).

٥- وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : «أَتَانِي جِبْرِيْلُ فَأَرَانِي بَابَ الجَنَّةِ الذِي تَدْخُل مِنْهُ أُمَّتِي، فقال أبو بكر: يَا رَسُول الله، وددت أني كنت معك حتى أنظر إليه، فقال رسول الله ﷺ : «**أَمَا إِنَّكَ يَا أَبَا بَكْرٍ أَوَّلُ مَن يَدْخُل الجَنَّةَ مِن أُمَّتِي**»[1].

٦- وعن أبي أمامة ﷺأن رسول الله ﷺ قال: «**إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ قَامَتْ ثُلَّةٌ مِنَ النَّاسِ يَسُدُّونَ الْأُفُقَ، نُورُهُمْ كَالشَّمْسِ فَيُقَالُ: النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ، فَيَتَحَسَّسُ لَهَا كُلُّ نَبِيٍّ فَيُقَالُ: مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ، ثُمَّ تَقُومُ ثُلَّةٌ أُخْرَى تَسُدُّ مَا بَيْنَ الْأُفُقِ، نُورُهُمْ كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، فَيُقَالُ: النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ، فَيَتَحَسَّسُ لَهَا كُلُّ نَبِيٍّ، فَيُقَالُ: مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ، ثُمَّ تَقُومُ ثُلَّةٌ أُخْرَى تَسُدُّ مَا بَيْنَ الْأُفُقِ نُورُهُمْ مِثْلُ كَوْكَبٍ فِي السَّمَاءِ، فَيُقَالُ: النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ، فَيَتَحَسَّسُ لَهَا كُلُّ نَبِيٍّ، فَيُقَالُ: مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ، ثُمَّ يَحْثِي حَثْيَتَيْنِ، فَيَقُولُ: هَذَا لَكَ يَا مُحَمَّدُ، وَهَذَا مِنِّي لَكَ يَا مُحَمَّدُ، ثُمَّ يُوضَعُ الْمِيزَانُ، وَيُؤْخَذُ فِي الْحِسَابِ**»[2].

٢٩) مِن الخَصَائص الإعجازية للنبي ﷺ مَا خُصَّت به أُمَّتُه مِن بَيْنِ الأمِم بِانْفِرَادِهَا بِدُخُول الجنة من الباب الأيمن.

مما خص الله به الأمة المحمدية: أن جعل الزمرة الأولى منها - وهي التي لا حساب عليها ولا عقاب - تدخل الجنة من الباب الأيمن، وهم شُرَكَاءُ الناس في بقية أبواب الجنة، وفي هذا من التكريم والامتنان والإحسان ما لا يخفى يشهد لذلك ما يلي:

١- عن أبي هريرة ﷺ في حديث الشفاعة الطويل - والذي أوله: قال رسول الله ﷺ: «**أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَومُ القِيَامَةِ ...** »، وفي آخِره يَقُول ﷺ: « **... فَأَنْطَلِق، فَآتِي تَحْتَ العَرْش، فَأَقَع سَاجِدًا لِرَبِّي، ثُمَّ يَفْتَحُ اللهُ عَلَيَّ وَيُلْهِمُنِي مِنْ مَحَامِدِهِ، وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ لِأَحَدٍ قَبْلِي، ثُمَّ يُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، سَلْ تُعْطَهْ، اشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأَقُولُ: يَا**

---

[1] أخرجه أبو داود في «سننه»، كتاب السنة، باب في الخلفاء، رقم: (٤٦٥٢) (ج٢ ص٦٢٤)، وقال الألباني: «ضعيف».

[2] أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (ج٨ ص١٧٣)، و«مسند الشاميين» (ج٢ ص٢,١)، و(ج٣ ص١٦٢)، وقال الحافظ الهيثمي في «مجمع الزوائد» (ج١٠ ص٤,٩): «ورجاله وثقوا».

رَبِّ، أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ، أَدْخِلْ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِ مِنَ الْبَابِ الْأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الْأَبْوَابِ»[1].

٢- عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، نُودِيَ مِنْ أَبْوَابِ الجَنَّةِ: يَا عَبْدَ اللَّهِ هَذَا خَيْرٌ، فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلاَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلاَةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الجِهَادِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الجِهَادِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الرَّيَّانِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ»**، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا عَلَى مَنْ دُعِيَ مِنْ تِلْكَ الأَبْوَابِ مِنْ ضَرُورَةٍ، فَهَلْ يُدْعَى أَحَدٌ مِنْ تِلْكَ الأَبْوَابِ كُلِّهَا، قَالَ: **«نَعَمْ وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ»**[2].

٣٠) من الخصائص الإعجازية للنبي ﷺ ما خُصَّت بِهِ أمَّتُه مِن بَيْنِ الأمم أنها أَكْثَرُ أهْلِ الجَنَّةِ.

من العطاء غير المحدود من رب العطاء والجود لأمة حبيبه ﷺ: أن جعلهم الله أكثر أهل الجنة، وما ذلك إلا صورة من صور التكريم للنبي ﷺ.

يؤيده ما يلي:

١- ما رواه عبد الله بن مسعود ﷺ قال: خطبنا رسول الله ﷺ، فأسند ظهره على قبة أدم فقال: **«أَلَا لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ، اللهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ؟ اللهُمَّ اشْهَدْ، أَتُحِبُّونَ أَنَّكُمْ رُبُعُ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟»** فَقُلْنَا: نَعَمْ، يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَالَ: **«أَتُحِبُّونَ أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟»** قَالُوا: نَعَمْ، يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: **«إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا شَطْرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، مَا أَنْتُمْ فِي سِوَاكُمْ مِنَ الْأُمَمِ إِلَّا كَالشَّعْرَةِ السَّوْدَاءِ فِي الثَّوْرِ الْأَبْيَضِ، أَوْ كَالشَّعْرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي الثَّوْرِ الْأَسْوَدِ»**[3].

---

[1] أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب سورة بني إسرائيل = الإسراء، رقم (٤٤٣٥) (ج٤ ص١٧٤٥)، ومسلم - واللفظ له - كتاب الإيمان، باب: أدنى أهل الجنة منزلة فيها، رقم: (١٩٤) (ج١ ص١٨٤).

[2] أخرجه البخاري، كتاب الصوم، باب الريان للصائمين، رقم: (١٧٩٨)، (ج٢ ص٦٧١)، ومسلم، كتاب الزكاة، باب من جمع الصدقة وأعمال البر، رقم: (١,٢٧) (ج٢ ص٧١١).

[3] أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب كون هذه الأمة نصف أهل الجنة، رقم: (٢٢١)، (ج١ ص٢٠٠).

٢- وعن أبي سعيد الخدري ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنِّي لَأَطْمَعُ أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الجَنَّةِ**» قَالَ: فَحَمِدْنَا اللَّهَ وَكَبَّرْنَا، ثُمَّ قَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنِّي لَأَطْمَعُ أَنْ تَكُونُوا شَطْرَ أَهْلِ الجَنَّةِ ...** »[1].

بل جاء في عدد من الأحاديث ما هو أكثر من النصف: إنما هو الثلثان، ويكون الثلث الباقي من سائر الأمم، وكل ذلك فضل من الله تعالى يعطيه من يشاء، وبهذا يكون الله ﷻ أعطى نبيه سيدنا محمد ﷺ الربع، ثم أعطاه الثلث، ثم أعطاه النصف، ثم أعطاه الثلثين، وبذلك يكون جميع أمته في الجنة، ويحتمل أن يكون ذلك بعدد الداخلين، فيكتمل لها الثلثان، بدخول آخر هذه الأمة ممن يشفع بهم، والله تعالى أعلم فمما خصت به هذه الأمة من بين الأمم أنها ستكون أكثر الأمم في الجنة.

٣- وعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**كَيْفَ أَنْتُمْ وَرُبُعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، لَكُمْ رُبُعُهَا، وَلِسَائِرِ النَّاسِ ثَلَاثَةُ أَرْبَاعِهَا؟**» ، قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «**فَكَيْفَ أَنْتُمْ وَثُلُثَهَا؟**» قَالُوا: فَذَاكَ أَكْثَرُ قَالَ: «**فَكَيْفَ أَنْتُمْ وَالشَّطْرَ؟**» قَالُوا: فَذَلِكَ أَكْثَرُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَهْلُ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِشْرُونَ وَمِائَةُ صَفٍّ أَنْتُمْ مِنْهَا ثَمَانُونَ صَفًّا**»[2].

٤- وعن بريدة[3] ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَهْلُ الجَنَّةِ عِشْرُونَ وَمِائَةُ صَفٍّ ثَمَانُونَ مِنْهَا مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ وَأَرْبَعُونَ مِنْ سَائِرِ الأُمَمِ**»[1]، وفي رواية: قال رسول الله ﷺ «**يَدْخُلُ مِنْ أُمَّتِي**

---

[1] أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب قوله ﷻ: {إن زلزلة الساعة شيء عظيم}، رقم (٦١٦٥) (ج٥ ص٢٣٩٩)، وأخرجه مسلم في الإيمان، باب: قوله: «**يَقُولُ اللهُ لآدَمَ أخْرِج بَعْثَ النَّارِ**»، رقم: (٢٢٢) (ج١ ص٢,١).

[2] أخرجه أحمد في مسنده، (مسند عبد الله بن مسعود) رقم: (٤٣٢٨)، وقال شعيب الأرنؤوط: «صحيح لغيره».

[3] هو بريدة (قال البعض: اسم بريدة عامر، وبريدة لقب) ابن الحصيب بن عبد الله بن الحارث، أبو عبد الله - وقيل غير ذلك – الأسلمي: سكن المدينة ثم انتقل إلى البصرة ثم إلى مرو فمات بها (سنة: ٦٣ هـ): صحابي أسلم حين مرّ به النبي ﷺ مهاجرًا بالغميم، وقيل أسلم بعد منصرف النبي ﷺ من بدر . ثم قدم على رسول الله ﷺ بعد أحدٍ، فشهد معه مشاهده، وشهد الحديبية، وبيعة الرضوان تحت الشجرة، أخباره كثيرة ومناقبه مشهورة. يراجع: «الإصابة» (ج١ ص١٤٦)؛ و«أسد الغابة» (ج١ ص١٧٥)؛ و«تهذيب التهذيب» (ج١ ص٤٣٢).

الْجَنَّةَ سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ»، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، قَالَ: «**اللهُمَّ اجْعَلْهُ مِنْهُمْ**»، ثُمَّ قَامَ آخَرُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ قَالَ: «**سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ**»[٢].

ومعنى قوله ﷺ: «**سبقك بها عكاشة**» لفظُ إخْبَارٍ عَن فِعل ماض مُرَادُهُ: الزجر عن الشيء الذي من أجله أطلق هذه اللفظة، وذلك لما دعا ﷺ لعكاشة وقال: «**اللهم اجعله منهم**»، ثم قام الآخر، فلو دعا له لقام الثالث والرابع وخرج الأمر إلى ما لا نهاية له، ولبطل وعيد الله جل وعلا لمن ارتكب المزجورات من هذه الأمة لرسول الله ﷺ أن يدخلهم النار فحسمهم ذلك عن نفسه[٣].

٥- وعن رفاعة الجهني قال: صَدَرْنَا مع رسول الله ﷺ فقال: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا مِنْ عَبْدٍ يُؤْمِنُ، ثُمَّ يُسَدِّدُ، إِلَّا سُلِكَ بِهِ فِي الْجَنَّةِ، وَأَرْجُو أَلَّا يَدْخُلُوهَا حَتَّى تَبَوَّءُوا أَنْتُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ ذَرَارِيِّكُمْ مَسَاكِنَ فِي الْجَنَّةِ، وَلَقَدْ وَعَدَنِي رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُدْخِلَ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعِينَ أَلْفًا، بِغَيْرِ حِسَابٍ**» [٤].

٦- عن أبي سعيد ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**أَنَا أَكْثَرُ الأَنْبِيَاءِ تَبَعًا يَومَ القِيَامَةِ**»[٥].

---

[١] أخرجه الترمذي عن محمد بن زياد، وأخرجه الحاكم في «المستدرك»، كتاب الإيمان، رقم: (٢٧٣) (ج١ ص١٥٥)، أخرجه أحمد في «مسنده»، (حديث بريدة الأسلمي ﷺ)، رقم: (٢٢٩٩٠) (ج٥ ص٣٤٧).

[٢] أخرجه البخاري، كتاب الطب، باب من اكتوى أو كوى غيره وفضل من لم يكتو، رقم: (٥٣٧٨) (ج٥ ص٢١٥٧)، وأخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب، رقم: (٢١٦) (ج١ ص١١٩٧).

[٣] «صحيح ابن حبان» (ج١٦ ص٢٣٤).

[٤] أخرجه ابن ماجه، رقم: (٣٤٥٨)، وانظر: «مصباح الزجاجة» (ج٤ ص٢٥٦).

[٥] أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب في قول النبي ﷺ: «**أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ يَشْفَعُ فِي الجَنَّةِ وَأَنَا أَكْثَرُ الأَنْبِيَاءِ تَبَعا**»، رقم: (١٩٦) (ج١ ص١٨٨).

٣١) من الخصائص الإعجازية للنبي ﷺ ما خصت به أمته من بين الأمم أن الله سيُرْضِي نَبِيَّهُ ﷺ فيها.

ومما خص الله به هذه الأمة المحمدية: أنه سيرضي نبيه وحبيبه محمدًا ﷺ فيها، ولا يسوؤه، وهذا غاية الإكرام والتبجيل والتشريف والتفضيل الذي يحمل معاني الإعجاز من المولى سبحانه وتعالى لنبيه الحبيب ﷺ.

وقد دل على ذلك القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ومن ذلك ما يلي:

١- قوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾[١].

٢- ما روي عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه، أن النبي ﷺ تلا قول الله عز وجل في إبراهيم عليه السلام: ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[٢]، وقول عيسى عليه السلام:﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[٣]، فرفع يديه وقال: «**اللَّهُمَّ أُمَّتِي أُمَّتِي**» وبكى، فقال الله عز وجل: يا جبريل؛ اذهب إلى محمد - وربك أعلم - فسله ما يبكيك؟ فأتاه جبريل عليه السلام، فسأله، فأخبره رسول الله ﷺ بما قال - وهو أعلم - فقال الله عز وجل: يا جبريل؛ اذهب إلى محمد، فقل:«**إِنَّا سنُرْضِيْكَ فِي أُمَّتِكَ وَلَا نَسُوؤُكَ**»[٤].

٣- وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**عُرِضَت عَلَيَّ الأَنْبِيَاءُ اللَّيْلَة بِأُمَمِهَا، فَجَعَل النَّبِي يَمُر ومَعَهُ الثَّلاثة، والنَّبِي ومَعَه العِصَابة، والنَّبِي ومعَهُ النَّفَر ... ثُمَّ قِيْلَ**

---

[١] سورة الضحى آية: (٥).

[٢] سورة إبراهيم آية: (٣٦).

[٣] سورة المائدة الآية: (١١٨).

[٤] أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب: دعاء النبي ﷺ لأمته وبكائه شفقة عليهم، رقم: (٢,٢)، (ج١ ص١٩١).

لِي: انْظُر عَن يَسَارِكَ، فَنَظَرْتُ، فَإِذَا الأُفُقُ قَدْ سُدَّ بِوُجُوهِ الرِّجَال، فَقِيْلَ لِي: أَرَضِيْتَ؟ فقلت: رَضِيْتُ يَا رَبِّ، رَضِيْتُ يَا رَبِّ ...»[1] الحديث.

٤- وعن حذيفة ﷺ قال: غَابَ عَنَّا رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمًا ، فَلَمْ يَخْرُجْ، حَتَّى ظَنَنَّا أَنْ لَنْ يَخْرُجَ، فَلَمَّا خَرَجَ سَجَدَ سَجْدَةً، فَظَنَنَّا أَنَّ نَفْسَهُ قَدْ قُبِضَتْ فِيهَا، فَلَمَّا رَفَعَ رَأْسَهُ، قَالَ: «**إِنَّ رَبِّي، تَبَارَكَ وَتَعَالَى، اسْتَشَارَنِي فِي أُمَّتِي؛ مَاذَا أَفْعَلُ بِهِمْ، فَقُلْتُ: مَا شِئْتَ أَيْ رَبِّ، هُمْ خَلْقُكَ وَعِبَادُكَ، فَاسْتَشَارَنِي الثَّانِيَةَ، فَقُلْتُ لَهُ كَذَلِكَ، فَقَالَ: لاَ أُحْزِنُكَ فِي أُمَّتِكَ يَا مُحَمَّدُ، وَبَشَّرَنِي أَنَّ أَوَّلَ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي مَعِي، سَبْعُونَ أَلْفًا مَعَ كُلِّ أَلْفٍ سَبْعُونَ أَلْفًا، لَيْسَ عَلَيْهِمْ حِسَابٌ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَيَّ، فَقَالَ: ادْعُ تُجَبْ، وَسَلْ تُعْطَ، فَقُلْتُ لِرَسُولِهِ: أَوَ مُعْطِيَّ رَبِّي سُؤْلِي؟ فَقَالَ: مَا أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ إِلاَّ لِيُعْطِيَكَ، وَلَقَدْ أَعْطَانِي رَبِّي، ﷻ وَلاَ فَخْرَ، وَغَفَرَ لِي مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِي وَمَا تَأَخَّرَ، وَأَنَا أَمْشِي حَيًّا صَحِيحًا، وَأَعْطَانِي أَنْ لاَ تَجُوعَ أُمَّتِي وَلاَ تُغْلَبَ، وَأَعْطَانِي الْكَوْثَرَ، فَهُوَ نَهَرٌ مِنَ الْجَنَّةِ يَسِيلُ فِي حَوْضِي، وَأَعْطَانِي الْعِزَّ وَالنَّصْرَ، وَالرُّعْبُ يَسْعَى بَيْنَ يَدَيْ أُمَّتِي شَهْرًا، وَأَعْطَانِي أَنِّي أَوَّلُ الأَنْبِيَاءِ أَدْخُلُ الْجَنَّةَ، وَطَيَّبَ لِي وَلأُمَّتِي الْغَنِيمَةَ، وَأَحَلَّ لَنَا كَثِيرًا مِمَّا شَدَّدَ عَلَى مَنْ قَبْلَنَا، وَلَمْ يَجْعَلْ عَلَيْنَا مِنْ حَرَجٍ**»[2].

٣٢) مِن الخصائص الإعجازية للنبي ﷺ مَا خُصَّت به أُمَّتُهُ مِن بَيْنِ الأمَمِ بِزِيَادَةِ الثواب مع قِلَّةِ العَمَل يعني: أنها أقل الأمَمِ عَمَلا وَأَكْثَرهم أجْرًا.

مما خص الله ﷻ به هذه الأمة دون غيرها من الأمم، وأفردها عنهم، وأكرمها: أنه ﷻ يعطيها من الثواب أكثر مما يعطي غيرها من الأمم السابقة، مع أن عملها أقل من أعمال تلك الأمم، وأعمارها أقصر من أعمار الأمم السابقة، وبقاؤها في الدنيا أقل زمنا من الوقت الذي بين العصر

---

[1] أخرجه أحمد في مسنده، حديث عبد الله بن مسعود ﷺ، رقم: (٣٨٠٦) (ج١ ص٤٠).

[2] أخرجه أحمد في مسنده، (حديث حذيفة بن اليمان عن النبي ﷺ)، رقم: (٢٣٣٨٤) (ج٥ ص٣٩٣).

إلى المغرب بالنسبة لنهار العالم وفي ذلك من التكريم والتشريف والتفضيل والإعجاز للنبي ﷺ الكثير[1].

يؤيد ذلك ما يلي:

١- وعن ابن عمر رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّمَا مَثَلُكُمْ وَاليَهُودُ وَالنَّصَارَى كَرَجُلٍ اسْتَعْمَلَ عُمَّالًا، فَقَالَ: مَنْ يَعْمَلُ لِي إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ عَلَى قِيرَاطٍ قِيرَاطٍ؟ فَعَمِلَتِ اليَهُودُ عَلَى قِيرَاطٍ قِيرَاطٍ، ثُمَّ عَمِلَتِ النَّصَارَى عَلَى قِيرَاطٍ قِيرَاطٍ، ثُمَّ أَنْتُمُ الَّذِينَ تَعْمَلُونَ مِنْ صَلاَةِ العَصْرِ إِلَى مَغَارِبِ الشَّمْسِ عَلَى قِيرَاطَيْنِ قِيرَاطَيْنِ**»، **فَغَضِبَتِ اليَهُودُ وَالنَّصَارَى، وَقَالُوا: نَحْنُ أَكْثَرُ عَمَلًا وَأَقَلُّ عَطَاءً، قَالَ: «هَلْ ظَلَمْتُكُمْ مِنْ حَقِّكُمْ شَيْئًا؟» قَالُوا: لاَ، فَقَالَ: «فَذَلِكَ فَضْلِي أُوتِيهِ مَنْ أَشَاءُ»** [2].

٢- وعن ابن عمر رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّمَا أَجَلُكُمْ فِي أَجَلِ مَنْ خَلاَ مِنَ الأُمَمِ، مَا بَيْنَ صَلاَةِ العَصْرِ إِلَى مَغْرِبِ الشَّمْسِ، وَإِنَّمَا مَثَلُكُمْ وَمَثَلُ اليَهُودِ، وَالنَّصَارَى، كَرَجُلٍ اسْتَعْمَلَ عُمَّالًا، فَقَالَ: مَنْ يَعْمَلُ لِي إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ عَلَى قِيرَاطٍ قِيرَاطٍ، فَعَمِلَتِ اليَهُودُ إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ عَلَى قِيرَاطٍ قِيرَاطٍ، ثُمَّ قَالَ: مَنْ يَعْمَلُ لِي مِنْ نِصْفِ النَّهَارِ إِلَى صَلاَةِ العَصْرِ عَلَى قِيرَاطٍ قِيرَاطٍ، فَعَمِلَتِ النَّصَارَى مِنْ نِصْفِ النَّهَارِ إِلَى صَلاَةِ العَصْرِ عَلَى قِيرَاطٍ قِيرَاطٍ، ثُمَّ قَالَ: مَنْ يَعْمَلُ لِي مِنْ صَلاَةِ العَصْرِ إِلَى مَغْرِبِ الشَّمْسِ عَلَى قِيرَاطَيْنِ قِيرَاطَيْنِ، أَلاَ، فَأَنْتُمُ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ مِنْ صَلاَةِ العَصْرِ إِلَى مَغْرِبِ الشَّمْسِ، عَلَى قِيرَاطَيْنِ قِيرَاطَيْنِ، أَلاَ لَكُمُ الأَجْرُ مَرَّتَيْنِ، فَغَضِبَتِ اليَهُودُ، وَالنَّصَارَى، فَقَالُوا: نَحْنُ أَكْثَرُ عَمَلًا وَأَقَلُّ عَطَاءً، قَالَ اللَّهُ: هَلْ ظَلَمْتُكُمْ مِنْ حَقِّكُمْ شَيْئًا؟ قَالُوا: لاَ، قَالَ: فَإِنَّهُ فَضْلِي أُعْطِيهِ مَنْ شِئْتُ»**[3].

٢- وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «**مَثَلُ المُسْلِمِينَ وَاليَهُودِ وَالنَّصَارَى، كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَأْجَرَ قَوْمًا، يَعْمَلُونَ لَهُ عَمَلًا إِلَى اللَّيْلِ، فَعَمِلُوا إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ**

---

[1] «عظم قدره» (ص: ٢٨٨)، و«فتح الباري» (ج٤ ص٤٤٩).

[2] أخرجه البخاري، كتاب الإجارة، باب الإجارة إلى صلاة العصر، رقم (٢١٤٩) (ج٢ ص٧٩٢).

[3] أخرجه البخاري، كتاب الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، رقم: (٣٢٧٢).

فَقَالُوا: لاَ حَاجَةَ لَنَا إِلَى أَجْرِكَ، فَاسْتَأْجَرَ آخَرِينَ، فَقَالَ: أَكْمِلُوا بَقِيَّةَ يَوْمِكُمْ وَلَكُمُ الَّذِي شَرَطْتُ، فَعَمِلُوا حَتَّى إِذَا كَانَ حِينَ صَلاَةِ العَصْرِ، قَالُوا: لَكَ مَا عَمِلْنَا، فَاسْتَأْجَرَ قَوْمًا، فَعَمِلُوا بَقِيَّةَ يَوْمِهِمْ حَتَّى غَابَتِ الشَّمْسُ، وَاسْتَكْمَلُوا أَجْرَ الفَرِيقَيْنِ»[1].

٣٣) من الخصائص الإعجازية للنبي ﷺ ما خصت به أمته من بين الأمم أنها كلها تدخل الجنة:

ومما خص الله ﷻ به هذه الأمة دون غيرها من الأمم، وأفردها عنهم، وأكرمها: أنها تدخل الجنة كلها، وذلك أن منهم من يدخل الجنة بلا حساب ولا عقاب، ومنهم من يحاسب حسابًا يسيرًا ثم يدخلها، والقسم الآخر: يدخلون الجنة بالشفاعة، وبرحمه الله ﷻ، بعد أن يحط عنهم ما عليهم من الذنوب، ويجعلها على اليهود والنصارى، ويدفع لكل واحد الله ﷻ من هؤلاء المسلمين المستحقين العقوبة واحد من اليهود والنصارى فكاكا له من النار بينما الأمم الأخرى قسمان: قسم منها في الجنة، وقسم منها في النار، وذلك كله فضل من الله ﷻ ورحمة[2]، وتفضيلا للنبي ﷺ وإظهارًا لوجوه التحدي والإعجاز على المخالفين والمعاندين، **ومن النصوص الدالة على ذلك ما يلي:**

١- عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى**»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَنْ يَأْبَى؟ قَالَ: «**مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى**»[3].

٢- عن أبي سعيد الخدري ﷺقال: قال رسول الله ﷺ : «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَتَدْخُلُنَّ الْجَنَّةَ كُلُّكُمْ إِلَّا مَنْ أَبَى وَشَرَدَ عَلَى اللَّهِ كَشِرَادِ الْبَعِيرِ**»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَنْ يَأْبَى أَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ؟ قَالَ: «**مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى**»[4].

---

[1] أخرجه البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب: من أدرك ركعة من العصر قبل الغروب، رقم: (٥٣٣) (ج١ ص٢,٥).

[2] «فتح الباري» (ج٦ ص٤,٦)، و«عظم قدره» (ص: ٢٩١).

[3] أخرجه البخاري كتاب الإعتصام باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ، رقم: (٦٨٥١) (ج١ ص٢٦٥٥).

[4] أخرجه ابن حبان، في المقدمة، باب الاعتصام بالسنة وما يتعلق بها نقلا وأمرا وزجرا، رقم (١٧)، (ج١ ص١٩٦).

٣- عن أبي موسى الأشعري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**تُحْشَرُ هَذِهِ الْأُمَّةُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَصْنَافٍ: صِنْفٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ، وَصِنْفٍ يُحَاسَبُونَ حِسَابًا يَسِيرًا، وَصِنْفٍ يَجِيئُونَ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَمْثَالُ الْجِبَالِ الرَّاسِيَةِ، فَيَسْأَلُ اللَّهُ عَنْهُمْ - وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ - فَيَقُولُ: مَا هَؤُلَاءِ؟ فَيَقُولُونَ: هَؤُلَاءِ عِبَادٌ مِنْ عِبَادِكَ، قَالَ: حُطُّوها عَنْهُمْ وَاجْعَلُوهَا عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، وَأَدْخِلُوهُمْ بِرَحْمَتِي الْجَنَّةَ**»[(١)].

وعلى هذا فيكون الموصوف بالإباء - وهو الامتناع - إن كان كافرًا فهو لا يدخل الجنة أصلا، وإن كان مسلمًا، فالمراد: منعه من دخولها مع أول داخل من هذه الأمة. إلا من شاء الله تعالى.

٣٤) من الخصائص الإعجازية للنبي ﷺ ما خُصَّت بِه أُمَّتُهُ مِن بَيْنِ الأمَمِ أن خص الله أمته بشفاعات كثيرة في الآخرة.

مما أكرم الله ﷻ به هذه الأمة - وهو إكرام لنبيه وصفيه وحبيبه سيدنا محمد ﷺ -: أن جعل بعضهم يشفع في الأعداد الكثيرة من الناس، سوى ما يقوم به المؤمنون من الشفاعات في هذه الأمة[(٢)]، **ويؤيد ذلك ما يلي:**

١- أنه ﷺ قال: «**يَشْفَعُ يَومَ القِيَامَةِ ثَلَاثَةٌ: الأنْبِيَاءُ، ثُمَّ العُلَمَاءُ، ثُمَّ الشُّهَدَاءُ**»[(٣)].

٢- وأنه ﷺ قال: «**يَشْفَعُ الشَّهِيدُ فِي سَبْعِيْنَ مِنْ أهْلِ بَيْتِهِ**»[(٤)].

---

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرك »، وصححه على شرط الشيخين، وأقره الذهبي، كتاب الإيمان، رقم: (١٩٣) (ج١ ص١٢٦).

(٢) «عقيدة المؤمن» للجزائري (ص: ١٦٤)، و«الشريعة» (ج١ ص٣٥٩)، و«عظم قدره» (ص: ٢٩٥).

(٣) أخرجه ابن ماجه كتاب الزهد، رقم: (٣٧).

(٤) أخرجه أبو داود في «سننه»، كتاب الجهاد، باب في الشهيد يشفع، رقم: (٢٥٢٢)، (ج٢ ص١٩)، وقال الشيخ الألباني: «صحيح».

٣- وعن عبد الله بن شقيق[١] قال: كنت مع رهط بإيلياء، فقال رجل منهم: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يَدْخُلُ الجَنَّةَ بِشَفَاعَةِ رَجُلٍ مِن أمَّتِي أكْثَر مِن بَنِي تَمِيم**» قيل يا رسول الله سواك؟ قال: «**سِوَاي**» فلما قام، قلت: مَن هَذا ؟ قالوا هذا ابن أبي الجدعاء[٢].

٤-وعن أبي سعيد الخدري ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ الرَّجُلَ مِنْ أُمَّتِي لَيَشْفَعُ لِلْفِئَامِ مِنَ النَّاسِ، فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِشَفَاعَتِهِ، وَإنَّ الرَّجُلَ لَيَشْفَعُ لِلْقَبِيلَةِ مِنَ النَّاسِ، فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِشَفَاعَتِهِ، وَإنَّ الرَّجُلَ لَيَشْفَعُ لِلرَّجُلِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ، فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِشَفَاعَتِهِ**»[٣].

٥- وعن المقدام بن معد يكرب[٤]، عن رسول الله ﷺ قال: «**لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللَّهِ ﷻ تِسْعُ خِصَالٍ، يُغْفَرُ لَهُ فِي أَوَّلِ دَفْعَةٍ مِنْ دَمِهِ، وَيَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَيُحَلَّى حُلَّةَ الْإِيمَانِ، وَيُزَوَّجُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ، وَيُجَارُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَيَأْمَنُ الْفَزَعَ الْأَكْبَرَ، وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ؛ الْيَاقُوتَةُ مِنْهُ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَيُزَوَّجُ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً مِنَ الْحُورِ الْعِينِ، وَيُشَفَّعُ فِي سَبْعِينَ إِنْسَانًا مِنْ أَقَارِبِهِ**»[٥].

---

[١] عبد الله بن شقيق العقيلى، أبو عبد الرحمن – ويقال: أبو محمد - البصرى (من بنى عقيل بن كعب بن عامر بن ربيعة بن عامر) من الطبقة الوسطى من التابعين (توفي: ١,٨ هـ)، روى له : البخاري في الأدب المفرد، ومسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، رتبته عند ابن حجر: «ثقة فيه نصب»، قال سمعت يحيى بن معين يقول: «عبد الله بن شقيق من خيار المسلمين لا يطعن حديثه». انظر ترجمته: «رواة التهذيبين» راو رقم ٣٣٨٥، و«الجرح والتعديل» (ج٥ ص٨١).

[٢] أخرجه الترمذي – وصححه، واللفظ له – كتاب: صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ، رقم: (٢٤٣٨)، (ج٤ ص٦٢٦)، ورواه الدارمي في «سننه»، كتاب الرقاق، باب في قول النبي ﷺ: «**يَدْخُلُ الجَنَّةَ بِشَفَاعَةِ رَجُلٍ مِن أمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفًا**»، رقم (٢٨,٨) (ج٢ ص٤٢٣).

[٣] أخرجه أحمد في مسنده، (مسند أبي سعيد الخدري ﷺ) رقم: (١١١٦٤) (ج٣ ص٢٠)، و«مسند أبي يعلي» (ج١٢ ص٢٨)، و«سنن الدارمي» (ج٢ ص٣٢٨)، رقم: (٢٨١١).

[٤] المقدام بن معديكرب الكندي ويكنى أبا يحيى: توفي بالشام سنة سبع وثمانين في خلافة عبد الملك بن مروان وهو ابن إحدى وتسعين سنة. «الطبقات الكبرى» (ج٧ ص٤١٥).

[٥] أخرجه الطبراني في «مسند الشاميين»، رقم: (١١٢٠) (ج٢ ص١٦٧).

٦- وعن علي بن أبي طالب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ وَاسْتَظْهَرَهُ، فَأَحَلَّ حَلَالَهُ، وَحَرَّمَ حَرَامَهُ أَدْخَلَهُ اللَّهُ بِهِ الجَنَّةَ وَشَفَّعَهُ فِي عَشَرَةٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ كُلُّهُمْ قَدْ وَجَبَتْ لَهُ النَّارُ**»[(١)].

٩- وعن أبي أمامة الباهلي[(٢)] ﷺ يقول: قال رسول الله ﷺ: «**يَدْخُل الجَنَّة بِشَفَاعَةِ رَجُلٍ مِن أمَّتِي أكْثَر مِن رَبِيْعَة ومُضَر**»[(٣)].

١٠- وعن الحسن ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : «**يَشْفَعُ عُثْمان ﷺ يوم القيامة لِمِثْلِ رَبِيْعَة ومُضَر**» [(٤)].

٣٥) مِنَ الخَصَائِصِ الإعْجَازِية للنبي ﷺ ما خصت به أمته من بين الأمم أن الكفار يتمنون أن لو كانوا مسلمين:

ومما خص الله ﷻ به هذه الأمة دون غيرها من الأمم، وأفردها عنهم، وأكرمها: أنه إذا رأى الكفار ما يكرم الله ﷻ به الأمة تمنوا أن لو كانوا منها، فينالوا ما نالته من فضل وتكريم وإحسان. قال الله ﷻ: ﴿ الٓرٓۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ وَقُرۡءَانٖ مُّبِينٖ ۝١ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ

---

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه، افتتاح الكتاب في الإيمان وفضائل الصحابة والعلم، باب: فضل من تعلم القرآن وعلمه، رقم: (٢١٦) (ج١ ص٧٨).

(٢) هو: صدي بن عجلان بن وهب، أبو أمامة، الباهلي، غلبت عليه كنيته: صحابي، كان مع علي في "صفين "، روى عن النبي ﷺ وعن عمر وعثمان وعلي وأبي عبيدة ومعاذ وأبي الدرداء وعبادة بن الصامت وغيرهم ﷺ، روى عنه: أبو سلام الأسود ومحمد بن زياد الألهاني وخالد بن معدان وغيرهم، توفي في أرض حمص، وهو آخر من مات من الصحابة بالشام، له في الصحيحين ٢٥٠ حديثا ، توفى (سنة: ٨١ هـ)، انظر ترجمته في: «الإصابة» (ج٢ ص١٨٢)، و«الاستيعاب» (ج٢ ص٧٣٦)، و«طبقات ابن سعد» (ج٧ ص٤١١)، و«الأعلام» (ج٣ ص٢٩١).

(٣) أخرجه الحاكم في «المستدرك»، كتاب معرفة الصحابة رضي الله تعالى عنهم، ذكر: مناقب أويس بن عامر القرني رضي الله تعالى عنه، رقم: (٥٧٢١) (ج٣ ص٤٦١).

(٤) أخرجه الترمذي في «سننه»، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ، رقم: (٢٤٣٩) (ج٤ ص٦٢٧)، وقال الشيخ الألباني: «ضعيف الإسناد مرسل».

كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ ﴾[1]، وذلك حين يدخل أهل الخطايا من المسلمين - مع المشركين - في النار[2] فذلك حين يقول:﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ ﴾[3] .

وعن جابر بن عبد الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : «**إِنَّ نَاسًا مِنْ أُمَّتِي يُعَذَّبُونَ بِذُنُوبِهِمْ، فَيَكُونُونَ فِي النَّارِ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَكُونُوا، ثُمَّ يُعَيِّرُهُمْ أَهْلُ الشِّرْكِ فَيَقُولُونَ لَهُمْ: مَا نَرَى مَا كُنْتُمْ تُخَالِفُونَا فِيهِ مِنْ تَصْدِيقِكُمْ وَإِيْمَانِكُمْ نَفَعَكُمْ، لِمَا يُرِيدُ اللهُ أَنْ يُرِيَ أَهْلَ الشِّرْكِ مِنَ الْحَسْرَةِ، فَمَا يَبْقَى مُوَحِدٌ إِلَّا أَخْرَجَهُ اللهُ**» ثُمَّ تَلَا رَسُولُ اللهِ ﷺ هَذِهِ الْآيَةَ:﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ ﴾[4].

وعن ابن عباس ﷺ قال: ما يزال الله يشفع، ويدخل الجنة، ويرحم ويشفع وحتى يقول: من كان من المسلمين فليدخل الجنة، فذاك حين يقول: ﴿رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾[5].

٣٦) من الخصائص الإعجازية للنبي ﷺ ما خُصَّت به أمَّتُه مِن بَيْنِ الأمم أن جعل الله سادات أهل الجنة منها.

لقد جعل الله ﷻ في هذه الأمة سيدي شباب أهل الجنة، وسيدي كهول أهل الجنة، وسيدة نساء أهل الجنة، وسيد الشهداء.

---

[1] الحجر آية: (١)، و(٢).

[2] «تفسير ابن كثير» (ج٢ ص٥٤٥)، وانظر: « مجمع الزوائد» (ج١٠ ص٣٧٩)، و«سنن الدارمي» (ج١ ص٣١).

[3] سورة الحجر آية: (٢).

[4] أخرجه النسائي في «السنن الكبرى»، رقم (١١٢٠٧)، (ج١٠ ص١٤١)، والطبراني في «المعجم الأوسط»، (٥١٤٦)، (ج٥ ص٢٢٢)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (ج١٠ ص٣٧٩): «رواه الطبراني في الأوسط، ورجاله رجال الصحيح غير بسام الصيرفي، وهو: ثقة».

[5] أخرجه الحاكم في «المستدرك» - وصححه وأقره الذهبي - كتاب التفسير، تفسير سورة الحجر، رقم (٣٣٤٥) (ج٢ ص٣٨٤).

فأما سيدا شباب أهل الجنة فلما رواه أبو سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**الحَسَنُ وَالحُسَيْنُ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الجَنَّةِ**»[1].

وكذلك ما روي عن حذيفة بن اليمان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَمَا رَأَيْتَ الْعَارِضَ الَّذِي عَرَضَ لِي قُبَيْلُ؟**» ، قَالَ: قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: «**فَهُوَ مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ لَمْ يَهْبِطِ الْأَرْضَ قَطُّ قَبْلَ هَذِهِ اللَّيْلَةِ، اسْتَأْذَنَ رَبَّهُ أَنْ يُسَلِّمَ عَلَيَّ، وَيُبَشِّرَنِي أَنَّ الْحَسَنَ، وَالْحُسَيْنَ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَأَنَّ فَاطِمَةَ سَيِّدَةُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ**»[2].

وأما سيدا كهول أهل الجنة فلما رواه أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر: «**هَذَانِ سَيِّدَا كُهُولِ أَهْلِ الجَنَّةِ الأَوَّلِيْنَ وَالآخِرِينَ، إِلَّا النَّبِيينَ وَالمُرْسَلِيْنَ**»[3].

وأما سيد الشهداء فلما روي عن جابر بن عبد الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : «**سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ القِيَامَةِ: حَمْزَةُ بنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ ...**» [4].

وأما سيدة نساء العالمين ففيما روي عن السيدة فاطمة ﷺ قالت: أَسَرَّ إِليَّ رسول الله ﷺ: «**إِن جبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُنِي القُرْآنَ كُلَّ سَنَةٍ مَرَّةً، وَإِنَّهُ عَارَضَنِي العَامَ مَرَّتَيْنِ، وَلاَ أُرَاهُ إِلَّا حَضَرَ أَجَلِي، وَإِنَّكِ أَوَّلُ أَهْلِ بَيْتِي لَحَاقًا بِي**»، فَبَكَيْتُ، فَقَالَ: «**أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ أَهْلِ الجَنَّةِ، أَوْ نِسَاءِ المُؤْمِنِينَ**» فَضَحِكْتُ لِذَلِكَ[5]. وكذلك ما روي عن عائشة ﷺ ،

---

[1] أخرجه الترمذي، كتاب المناقب، باب: مناقب الحسن والحسين عليهما السلام، رقم (٣٧٦٨)(ج٥ ص٦٥٦)، وأحمد بن حنبل في «مسنده»، رقم: (١١,١٢) (ج٣ ص٣) وقال شعيب الأرنؤوط: «إسناده صحيح، رجاله ثقات؛ رجال الشيخين غير يزيد بن مردانبة فقد أخرج له النسائي وهو ثقة».

[2] أخرجه أحمد في «مسنده»، رقم: (٢٣٣٧٧) (ج٥ ص٢٩١)، وأخرجه الترمذي كتاب المناقب، باب: مناقب الحسن والحسين) رقم: (٣٧٨١)، وقال: «حسن».

[3] أخرجه الترمذي كتاب المناقب، باب: في مناقب أبي بكر وعمر ﷺ كليهما، رقم (٣٦٦٤) (ج٥ ص٦١٠)، وقال الشيخ الألباني: «صحيح».

[4] أخرجه الحاكم في «المستدرك»، كتاب الجهاد، رقم (٢٥٥٧) (ج٢ ص١٣٠).

[5] متفق عليه: واللفظ للبخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، رقم (٣٤٢٦) (ج٣ ص١٣٢٦)، ومسلم في فضائل الصحابة باب: فضائل فاطمة بنت النبي ﷺ رقم: (٢٤٥).

أن النبي ﷺ قال وهو في مرضه الذي توفي فيه: «**يَا فَاطِمَةُ، أَلاَ تَرْضَيْنَ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ، أَوْ سَيِّدَةَ نِسَاءِ هَذِهِ الأُمَّةِ**»[1].

وعن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**نَزَلَ مَلَكٌ مِنَ السَّمَاءِ فَاسْتَأْذَنَ اللَّهَ أَنْ يُسَلِّمَ عَلَيَّ لَمْ يَنْزِلْ قَبْلَهَا، فَبَشَّرَنِي أَنَّ فَاطِمَةَ سَيِّدَةُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ**»[2].

٣٧) من الخصائص الإعجازية للنبي ﷺ ما خصت به أمته من بين الأمم: أن جعل الله تعالى إجماع علمائها حجة واختلافهم رحمة.

خص الله أمة حبيبه ﷺ أن جعل إجماعهم حجة؛ لأن مجموعهم لا يكون على باطل، وهذا مقرر عند علماء الأصول ولا خلاف فيه[3].

وقد ورد في الكتاب والسنة أدلة تؤيد ذلك منها مايلي:

قوله تعالى: {وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا} [4].

وجه الدلالة: أن مخالفة الجماعة اتباع سبيل غير المؤمنين وهو منهي عنه[5].

---

[1] أخرجه البخاري، كتاب الاستئذان، باب من ناجى بين يدي الناس ومن لم يخبر بسر صاحبه فإذا مات أخبر به، رقم: (٥٩٢٨) (ج٥ ص٢٣١٧).

[2] أخرجه الحاكم في «المستدرك» كتاب معرفة الصحابة رضي الله تعالى عنهم، ذكر مناقب فاطمة بنت رسول الله ﷺ، رقم (٤٧٢١) (ج٣ ص١٦٤).

[3] «شرح العقيدة الواسطية» لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص: ٢٤٧)، و«أصول السرخسي» (ج١ ص٢٩٧)، و«إرشاد الفحول» (ج١ ص١١٠)، و«الإحكام» للآمدي (ج١ ص٢٦٩)، و«الإحكام» لابن حزم (ج٤ ص٥٩٧)، و«المحصول للرازي» (ج٤ ص٦٢)، و«روضة الناظر» (ج١ ص٢٢٦)، و«الإبهاج» (ج٢ ص٣٤٩).

[4] سورة النساء آية: (١١٥).

[5] «الدر المنثور» (ج٢ ص٦٨٥)، و«فتح القدير» (ج١ ص٧٧٦).

ويدل على ذلك من السنة ما روي عن ابن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَا يَجْمَعُ اللَّهُ أُمَّتِي أَوْ هَذِهِ الْأُمَّةَ عَلَى ضَلَالَةٍ أَبَدًا ، وَيَدُ اللَّهِ عَلَى الْجَمَاعَةِ هَكَذَا ، اتَّبِعُوا السَّوَادَ الْأَعْظَمَ ، فَإِنَّ مَنْ شَذَّ شَذَّ فِي النَّارِ**»[1].

٣٨) مما خص الله به الأمة أن الله يغفر ذنوب العصاة، ويتجاوز عنهم إكرامًا للنبي ﷺ.

قد ورد ذلك في دعائه ﷺ للأمة عشية عرفة ،وغداة المزدلفة في حجة الوداع النبوية فيما رواه عباس بن مرداس ﷺ: أن رَسُولَ اللهِ ﷺ دَعَا لِأُمَّتِهِ عَشِيَّةَ عَرَفَةَ بِالْمَغْفِرَةِ وَالرَّحْمَةِ فَأَكْثَرَ الدُّعَاءَ، قَالَ: فَأَجَابَهُ اللهُ ﷻ: «**أَنِّي قَدْ فَعَلْتُ، إِلَّا ظُلْمَ بَعْضِهِمْ بَعْضًا، فَأَمَّا ذُنُوبُهُمْ فَمَا بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَقَدْ غَفَرْتُهَا لَهُمْ**». فَقَالَ: «**يَا رَبِّ إِنَّكَ قَادِرٌ أَنْ تُثِيبَ هَذَا الْمَظْلُومَ مِنْ مَظْلَمَتِهِ أَوْ تَغْفِرَ لِهَذَا الظَّالِمِ**»، قَالَ: لَمْ يُجِبْهُ تِلْكَ الْعَشِيَّةِ، فَلَمَّا كَانَ غَدَاةَ الْمُزْدَلِفَةِ أَعَادَ الدُّعَاءَ، فَأَجَابَهُ اللهُ ﷻ: «**أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ**»، ثُمَّ تَبَسَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالَ لَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ: يَا رَسُولَ اللهِ، تَبَسَّمْتَ فِي سَاعَةٍ لَمْ تَكُنْ تَبَسَّمُ فِيهَا؟ فَقَالَ ﷺ: «**تَبَسَّمْتُ مِنْ عَدُوِّ اللهِ إِبْلِيسَ لَمَّا عَلِمَ أَنَّ اللهَ ﷻ قَدِ اسْتَجَابَ لِي فِي أُمَّتِي هُوَ يَدْعُو بِالْوَيْلِ وَالثُّبُورِ وَيَحْثِي التُّرَابَ عَلَى رَأْسِهِ**»[2].

قد نالتهم المغفرة عشية عرفة، وستروا من الذنوب، والحق تعالى يقضي تبعات الخلق ولا مرد له ولا معارض وإبليس يقول: لأخرجهم من الستر حتى يعودوا إلى الحالة الأولى عراة، فعطف الله تعالى عليهم، و لم يخيب أضيافه وزائريه، ويسألونه سؤال المساكين، فيضمن عنهم التبعات، ويرضى أهلها عنهم، فغفرها فبقوا في ستره ورضي الحق ﷻ ضمان الكريم الوفي جل وعلا.

---

[1] أخرجه الحاكم في «المستدرك»، كتاب العلم، رقم: (٣٩١) (ج١ ص١٩٩).

[2] أخرجه ابن ماجه، كتاب: المناسك، باب: الدعاء بعرفة (ج ٢ص٢٠١) وفي «الزوائد»: «في إسناده عبد الله بن كتانة قال البخاري لم يصح حديثه، و لم أر من تكلم فيه بجرح ولا توثيق»، وقال الشيخ الألبان : «ضعيف».

وقد وردت أحاديث قريبة من ذلك المعنى منها ما روي عن ابن عباس ﷺ قال: «**مَا يَزَالُ اللَّهُ يَشْفَعُ، وَيُدْخِلُ الْجَنَّةَ، وَيَرْحَمُ وَيُشَفَّعُ حَتَّى يَقُولَ: مَنْ كَانَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَلْيَدْخُلِ الْجَنَّةَ، فَذَاكَ حِينَ يَقُولُ**: {رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمَيْنَ} [1].

٣٩) من الخصائص الإعجازية للنبي ﷺ ما خصت به أمته من بين الأمم بالتأمِين.

خص الله أمة نبيه ﷺ بالتأمين، فلم يعطه أحدًا من النبيين قبله خلا هارون حين دعا موسى، فأمَّن هارون، وهذا – إن ثبت الخبر – لما يرويه ابن خزيمة عن أنس بن مالك يقول: كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ جُلُوسًا، فَقَالَ: «**إِنَّ اللَّهَ أَعْطَانِي خِصَالًا ثَلَاثَةً**»، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ جُلَسَائِهِ: وَمَا هَذِهِ الْخِصَالُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «**أَعْطَانِي صَلَاةً فِي الصُّفُوفِ، وَأَعْطَانِي التَّحِيَّةَ؛ إِنَّهَا لَتَحِيَّةُ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَأَعْطَانِي التَّأْمِينَ وَلَمْ يُعْطِهِ أَحَدًا مِنَ النَّبِيِّينَ قَبْلُ؛ إِلَّا أَنْ يَكُونَ اللَّهُ أَعْطَى هَارُونَ، يَدْعُو مُوسَى وَيُؤَمِّنُ هَارُونُ**»[2].

ولا يخفي ما في الحديث من النص على الخصوصية، وأنها من أجل النبي، فَلَم تُعْطَ لأحَدٍ من النبيين سواه، فأكرم الله بها الأمة من أجله ﷺ.

وفرع الفقهاء على ذلك: فقالوا: السنة أن يجهر الإمام بالقراءة، واستحباب الجهر بالقراءة: جهرًا بَيْنَ المُخَافتَةِ وبَيْنَ الجَهْرِ الرَّفِيع.

وقد روي عن ابن عباس في قوله ﷻ:﴿ **وَلَا تَجْهَر بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا** ﴾ [3] قال نزلت ورسول الله ﷺ مختف بمكة، فكان إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن، فإذا سمعه المشركون سَبُّوا القرآن، ومَن أنْزَلَهُ، ومَنْ جَاءَ بِهِ، فقال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿ **وَلا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ** ﴾ أي:

---

[1] رواه الحاكم في «المستدرك» – وصححه وأقره الذهبي – كتاب التفسير، تفسير سورة الحجر، رقم (٣٣٤٥) (ج٢ ص٣٨٤).

[2] «صحيح ابن خزيمة»، باب: ذكر حسد اليهود المؤمنين على تأمينهم، رقم: (١٥٨٦) (ج٣ ص٣٩)، وانظر: «ضعيف الترغيب والترهيب»، كتاب الصلاة، رقم: (٢٦٨) (ج١ ص٧٠).

[3] سورة الإسراء آية: (١١٠).

بقراءتك، فيسمع المشركون، فيسبوا القرآن ﴿ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا ﴾ عن أصحابك فلا تسمعهم ﴿ وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴾[1].

ويؤيد ذلك أيضا: ما روي عن عائشة قالت: دَخَلَ يَهُودِيٌّ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: السَّأمُ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**وَعَلَيْكَ**» ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ فَهَمَمْتُ أَنْ أَتَكَلَّمَ فَعَلِمْتُ كَرَاهِيَةَ النَّبِيِّ ﷺ لِذَلِكَ فَسَكَتُّ، ثُمَّ دَخَلَ آخَرُ، فَقَالَ: السَّأمُ عَلَيْكَ، فَقَالَ: «**وعَلَيْكَ**» ، فَهَمَمْتُ أَنْ أَتَكَلَّمَ فَعَلِمْتُ كَرَاهِيَةَ النَّبِيِّ ﷺ لِذَلِكَ، ثُمَّ دَخَلَ الثَّالِثُ، فَقَالَ: السَّأمُ عَلَيْكَ، فَلَمْ أَصْبِرْ حَتَّى قُلْتُ: وَعَلَيْكَ السَّأمُ وَغَضَبُ اللَّهِ وَلَعْنَتُهُ إِخْوَانَ الْقِرَدَةِ وَالْخَنَازِيرِ، أَتُحَيُّونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِمَا لَمْ يُحَيِّهِ اللَّهُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفُحْشَ وَلَا التَّفَحُّشَ قَالُوا قَوْلًا فَرَدَدْنَا عَلَيْهِمْ، إِنَّ الْيَهُودَ قَوْمٌ حُسَّدٌ، وَهُمْ لَا يَحْسُدُونَا عَلَى شَيْءٍ كَمَا يَحْسُدُونَا عَلَى السَّلَامِ، وَعَلَى آمِينَ**»[2].

٤٠) من خصائص الأمة ما شرعه الله تعالى لها من صلاة الجماعة.

والمراد بصلاة الجماعة، يعني الارتباط الحاصل بين الإمام والمأموم، ولو واحدا، وهي من خصائص الأمة، كالجمعة والعيدين، والكسوفين، والاستسقاء.

قال المناوي: وحكمة مشروعيتها: قيام نظام الألفة بين المصلين، ولذا شرعت المساجد في المَحَالِّ ليحصل التعاهد باللقاء في أوقات الصلاة بين الجيران، ولأنه قد يعلم الجاهل من العالم ما يجهله من أحكامها، ولأن مراتب الناس متفاوتة في العبادة، فتعود بركة الكامل على الناقص، فتكمل صلاة الجميع[3].

---

[1] أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب سورة بني إسرائيل= الإسراء، رقم: (٤٤٤٥) (ج٤ ص١٧٤٩)، ومسلم في الصلاة، باب: التوسط في القراءة في الصلاة الجهرية، رقم: (٤٤٦)، (ج١ ص٣٢٩).

[2] أخرجه أحمد في «مسنده»، (حديث السيدة عائشة رضي الله عنها)، رقم: (٢٥,٧٣) (ج٦ ص١٣٤)، وأخرجه ابن خزيمة، كتاب الصلاة، باب: الجهر بآمين عند انقضاء فاتحة الكتاب في الصلاة التي يجهر الإمام فيها بالقراءة، رقم (٥٧٤) (ج١ ص٢٨٨).

[3] «إعانة الطالبين» (ج٢ ص٥).

قد ورد عن الرسول ﷺ كثير من الأحاديث في فضل صلاة الجماعة والحث عليها وبيان فضلها منها ما يلي:

١- عن أبي سعيد الخدري أنه سمع رسول الله ﷺ يقول «**صَلَاةُ الجَمَاعَةِ تَفضُلُ صَلَاةَ الفَذِّ بِسَبْعٍ وَعِشْرِيْنَ دَرَجَة**».

٢- وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال «**صَلاَةُ الجَمِيعِ تَزِيدُ عَلَى صَلاَتِهِ فِي بَيْتِهِ، وَصَلاَتِهِ فِي سُوقِهِ، خَمْسًا وَعِشْرِينَ دَرَجَةً، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ، وَأَتَى المَسْجِدَ، لاَ يُرِيدُ إِلَّا الصَّلاَةَ، لَمْ يَخْطُ خَطْوَةً إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَةً، وَحَطَّ عَنْهُ خَطِيئَةً، حَتَّى يَدْخُلَ المَسْجِدَ، وَإِذَا دَخَلَ المَسْجِدَ، كَانَ فِي صَلاَةٍ مَا كَانَتْ تَحْبِسُهُ، وَتُصَلِّي** – يَعْنِي: عَلَيْهِ المَلاَئِكَةُ – **مَا دَامَ فِي مَجْلِسِهِ الَّذِي يُصَلِّي فِيهِ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ، مَا لَمْ يُحْدِثْ فِيهِ**»[1].

٣- وعن أنسٍ: مَن مَشَى إِلَى صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ فِي الجَمَاعَةِ: فَهِيَ كَحَجَّةٍ، وَمَن مَشَى إِلَى صَلَاةِ تَطَوُّعٍ: فَهِيَ كَعُمْرَةٍ نَافِلَةٍ.

٤- وعن أنس – أيضا –: مَن صلى أربعين يوما في جماعة يُدْرِكُ التكبيرة الأولى: كُتِبَ لَهُ بَرَاءَتَانِ، بَرَاءَةٌ مِنَ النار، وبَرَاءَةٌ مِنَ النِّفَاق.

وقد كان السلف يعدون فوات صلاة الجماعة مصيبة، وقد وقع أن بعضهم خرج إلى حائط له – يعني حديقة نخل – فرجع وقد صلى الناس صلاة العصر، فقال: إنا لله فاتتني صلاة الجماعة أشهدكم علي أن حائطي على المساكين صدقة.

وفاتت عبد الله بن عمر رضي الله عنهما صلاة العشاء في الجماعة، فصلى تلك الليلة حتى طلع الفجر جبرا لما فاته من صلاة العشاء في الجماعة.

---

[1] «إعانة الطالبين (ج٢ ص٥ – ٦).

المبحث الثاني

من الخصائص التشريفية للنبي ﷺ.

اختص الله نبيه محمدًا ﷺ بجملة من الخصائص، لم يخص بها أحدًا قبله من الأنبياء؛ تكريمًا لمقامه بين الأنبياء، وتشريفًا لمكانته بين الرسل، والخلق أجمعين، فهي خصائص يغلب عليها طابع التشريف والتكريم، وإن كان فيها معنى الإعجاز، لكن الغالب عليها أنها تشريفية وتكريمية، وتفضيلية، وهذا النوع من الخصائص أشياء كثيرة لا تحصى وسوف أقسم ما أذكره منها إلي قسمين:

أولهما: الخصائص التشريفية في الدنيا.

والثاني: الخصائص التشريفية في الآخرة، عِلْمًا بأن هذا التقسيم للتنوع وليس للاختلاف فهو علي سبيل التقريب حتي لا يتلبس الأمر علي القارئ، وإلا فخصائصه ﷺ لا يمكن حصرها في وقت دون غيره لأنها من الله تعالى، فهي خاصة وعامة في الدنيا والآخرة، ولذا ينقسم الكلام في هذا المبحث إلي مطلبين:

المطلب الأول: من خصائص النبي ﷺ التشريفية في الدنيا.

المطلب الثاني: من خصائص النبي ﷺ التشريفية في الآخرة.

المطلب الأول

من خصائص النبي صلى الله عليه وسلم التشريفية في الدنيا

١) من خصائصه ﷺ التشريفية: كثرة أسمائه ﷺ[١].

من المعلوم أن كثرة الأسماء تدل على شرف المسمى، ولا خلاف في كثرة أسماء النبي ﷺ، وأن الله سَمَّاه بأسماء كثيرة، وهذا يعني تفضيل الله له بذلك، وتشريفه، وتكريمه بما لم يكرم به أحدًا غيره ﷺ ومن أسمائه ما يلي:

١- «**محمد**»:

ومعناه كما يقول أهل اللغة: يقال رجل محمد ومحمود، والمُحَمَّد – كمُعَظَّم -: الّذي كَثُرَتْ خِصالُه المَحمودَةُ[٢]، وهذا يعني أن الله تعالى ألهم أهله أن سموه به، لما علم من جميل صفاته، وكرم شمائله زاده الله شرفا وكرما[٣].

والدليل علي هذا الاسم من القرآن الكريم والسنة النبوية.

فأما القرآن الكريم فقد سماه الله تعالى في كتابه محمداً في قوله تعالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ ﴾[٤]، وأحمد في قوله تعالى: ﴿ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ﴾[٥].

---

[١] «الشفا» (ج١ ص٢٢٩).

[٢] «تاج العروس»، باب الدال المهملة، (ج١ ص١٩٦٢).

[٣] ذكره النووي في «التبيان في آداب حملة القرآن» (ج١ ص١١٧) لأبي زكريا يحيى بن شرف الدين النووي، الناشر : الوكالة العامة للتوزيع – دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

[٤] سورة الفتح آية: (٢٩).

[٥] سورة الصف آية: (٩).

وهذا معناه أن من خصائصه – مع كثرة الأسماء وأنها توقيفية –: أن الله تعالى ضمن أسماءه ثناءه، وعظيم شكره.

وأما الدليل من السنة النبوية فما رواه جبير بن مطعم، عن أبيه، قال: قال رسول الله ﷺ : «**لِي خَمْسَةُ أَسْمَاءٍ: أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَحْمَدُ وَأَنَا المَاحِي الَّذِي يَمْحُو اللَّهُ بِي الكُفْرَ، وَأَنَا الحَاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى قَدَمِي، وَأَنَا العَاقِبُ**»[1].

٢- من أسمائه «أحمد»:

ومعناه أنه أفعل مبالغةً من صفة الحمد ومحمد: مَفْعَلٌ، مبالغة من كثرة الحمد، فهو ﷺ أجَلُّ من حمد، وأفضل من حمد، وأكثر الناس حمداً، فهو أحمد المحمودين، وأحمد الحامدين، ومعه لواء الحمد يوم القيامة ليتم له كمال الحمد ويبعثه ربه مقاماً محموداً كما وعده، يحمده فيه الأولون والآخرون بشفاعته لهم، ويفتح عليه فيه من المحامد – كما قال ﷺ – ما لم يعط غيره، وسمى أمته في كتب أنبيائه بالحمادين، فحقيق أن يسمى محمداً وأحمد، ثم في هذين الاسمين من عجائب خصائصه، وبدائع آياته شيء آخر، وهو: أن الله جل اسمه حمى أن يسمى بهما أحد قبل زمانه، أما أحمد الذي أتى في الكتب وبشرت به الأنبياء: فمنع الله تعالى بحكمته أن يسمى به أحد غيره، ولا يدعى به مدعو قبله، حتى لا يدخل لبس على ضعيف القلب أو شك[2]، قال القرطبي: فمعنى «أحمد»، أي: أحمد الحامدين لربه، والأنبياء صلوات الله عليهم كلهم حامدون الله، ونبينا أحمد أكثرهم حمدًا، وأما «محمد» فمنقول من صفة أيضا وهي في معنى: محمود، ولكن فيه معنى المبالغة والتكرار فالمحمد هو الذي حمِد مرة بعد مرة، كما أن المكرم من الكرم مرة بعد مرة وكذلك الممدوح ونحو ذلك، فاسم محمد مطابق لمعناه، والله سبحانه سماه قبل أن يسمي به نفسه فهذا عَلَمٌ من أعلام نبوته إذ كان اسمه صادقا عليه، فهو محمود في الدنيا؛ لِمَا هُدي إليه ونفع به من العلم والحكمة، وهو محمود في الآخرة بالشفاعة، فقد تكرر معنى الحمد كما يقتضي اللفظ، ثم إنه لم يكن محمدًا حتى كان أحمد حمد ربه، فنبأه وشرفه، فلذلك تقدم اسم «أحمد» على الاسم

---

[1] أخرجه البخاري كتاب المناقب، باب أسماء الرسول ﷺ، رقم: (٣٣٣٩) (ج٣ ص١٢٩٩)، وأخرجه مسلم في الفضائل باب في أسمائه ﷺ، رقم: (٢٣٥٤).

[2] «تفسير القرطبي» (ج١٨ ص ٧٥).

الذي هو «محمد»، فذكره عيسى عليه السلام فقال: اسمُهُ أحمد، وذَكَرَهُ موسى عليه السلام حين قال له ربه: «**تلك أمة أحمد فقال: اللهم اجعلني من أمة أحمد**» فبـ«أحمد» ذكره قبل أن يذكره بـ«محمد» لأن حمده لربه كان قبل حمد الناس له، فلما وُجِدَ وبُعِثَ كان محمدًا بالفعل، وكذلك في الشفاعة يحمد ربه بالمحامد التي يفتحها عليه فيكون أحمد الناس لربه، ثم يشفع فيحمد على شفاعته[1].

والدليل علي هذا الاسم من القرآن الكريم والسنة النبوية.

فأما القرآن الكريم فقد سماه الله تعالى في كتابه أحمد في قوله تعالى: وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ[2].

وأما الدليل من السنة النبوية فما رواه جبير بن مطعم رضي الله عنه أنه ﷺ قال: «**لِي خَمْسَةُ أَسْمَاءٍ: أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَحْمَدُ وَأَنَا المَاحِي الَّذِي يَمْحُو اللَّهُ بِي الكُفْرَ، وَأَنَا الحَاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى قَدَمِي، وَأَنَا العَاقِبُ**»[3].

وفي حديث أبي موسى الأشعري أنه ﷺ سمي لنا نفسه أسماء فقال: «**أَنَا مُحَمَّدٌ وَأَحْمَدُ وَالْمُقَفِّي والحَاشِرُ ونَبِيُّ الرَّحْمَةِ وَنَبِيُّ المَلْحَمَةِ**»[4].

٣- مِن أسماءه «الماحي»:

ثبت ذلك الاسم في السنة والدليل عليه في قوله ﷺ : «**وَأَنَا المَاحِي الذِي يَمْحُو الله بِي الكُفْرَ**»[1].

---

[1] «تفسير الطبري» (ج ١٢ ص ٨٢)، و«فتح القدير» (ج ٥ ص ٣,٩)، و«تفسير البيضاوي» (ج ١ ص ٣٣٣)، و«تفسير البغوي» (ج ١ ص ١,٨).

[2] سورة الصف آية: (٦).

[3] أخرجه البخاري كتاب المناقب، باب أسماء الرسول ﷺ رقم (٣٣٣٩) (ج ٣ ص ١٢٩٩)، وأخرجه مسلم في الفضائل باب في أسمائه ﷺ، رقم (٢٣٥٤).

[4] أخرجه ابن حبان في «صحيحه»، كتاب التاريخ، باب من صفته ﷺ وأخباره، رقم (٦٣١٤)، (ج ١٤ ص ٢٢٠)، وقال شعيب الأرنؤوط: «إسناده صحيح على شرط الشيخين».

وفي معناه وجوه أهمها: أنه به يكون مَحْوُ الكفر إما من مكة وبلاد العرب، وما زوي له من الأرض، ووعد أنه يبلغه ملك أمته، أو يكون المحو عاماً، بمعنى الظهور والغلبة[٢]، كما قال تعالى: ﴿ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ﴾[٣].

وقد ورد تفسيره في الحديث: أنه الذي مُحِيَت به سيئات من اتبعه، وعن أبي موسى الأشعري ﷺ قال ثم كان رسول الله ﷺ يُسَمِّي لَنا نَفْسَه أسماء فقال: «**أَنَا مُحَمَّد وَأَحْمَدُ وَالْمُقَفّى وَالحَاشِرُ، ونَبِيُّ الرَّحْمَةِ، وَنَبِيُّ المَلْحَمَةِ**»[٤].

٤- من أسمائه «العَاقِب»:

ومَعْنَاهُ أي: لَيْسَ بَعْدِي نَبِي، كما قال: «**وَخَاتَم النَّبِيِّين**» وسُمِّي عَاقِباً، لأنه عقب غيره من الأنبياء، **والدليل عليه من السنة النبوية** فيما روي عنه ﷺ قال: «**أَنَا العَاقِبُ**»[٥] والعاقب أي: الذي ليس بعده نبي.

٥- من أسمائه «الحاشر»:

ومعناه: أي الذي يحشر الناس بمشاهدته، كما قال تعالى: ﴿ لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾[٦]، وقيل: على قدمي: على سابِقَتِي، قال الله تعالى: ﴿ أَنَّ

---

[١] أخرجه البخاري كتاب المناقب، باب أسماء الرسول ﷺ رقم: (٣٣٣٩) (ج ٣ ص ١٢٩٩)، وأخرجه مسلم في الفضائل باب في أسمائه ﷺ، رقم (٢٣٥٤).

[٢] «الشفا في حقوق المصطفي» للقاضي عياض (ج١ ص٢٣١) ط: دار الفكر.

[٣] سورة التوبة الآية: (٣٣).

[٤] أخرجه ابن حبان في «صحيحه»، كتاب التاريخ، باب من صفته ﷺ، وأخباره، رقم: (٦٣١٤)، (ج ١٤ ص ٢٢٠)، وقال شعيب الأرنؤوط: «إسناده صحيح على شرط الشيخين».

[٥] أخرجه البخاري، كتاب المناقب، باب ما جاء في أسماء رسول الله ﷺ، رقم: (٣٣٣٩)، (ج ٣ ص ١٢٩٩)، ومسلم في الفضائل باب في أسمائه ﷺ، رقم: (٢٣٥٤).

[٦] سورة البقرة الآية: (١٤٣).

لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾[1]، وقيل: على قدمي: أي قُدّامي، وحَوْلِي، أي: يجتمعون إلى يوم القيامة، وقيل على قدمي: على سُنَّتِي[2].

والدليل عليه من السنة النبوية فيما رواه جبير بن مطعم، عن أبيه، قال: قال رسول الله ﷺ : «**لِي خَمْسَةُ أَسْمَاءٍ: أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَحْمَدُ وَأَنَا المَاحِي الَّذِي يَمْحُو اللَّهُ بِي الكُفْرَ، وَأَنَا الحَاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى قَدَمِي، وَأَنَا العَاقِبُ**»، ومعنى قوله: لي خمسة أسماء: قيل: إنها موجودة في الكتب المتقدمة، وعند أولى العلم من الأمم السالفة.

٦- من أسمائه «طه»:

ومعناه كما قال القرطبي: واختلف في ذلك فقيل: الطاء شجرة طوبى، والهاء النار الهاوية، والعرب تعبر عن الشيء كله ببعضه كأنه أقسم بالجنة والنار، وقال سعيد بن جبير: الطاء افتتاح اسمه طاهر وطيب والهاء افتتاح اسمه هادي، وقيل: طاء يا طامع الشفاعة للأمة، هاء يا هادي الخلق إلى الله، وقيل: الطاء من الطهارة، والهاء من الهداية كأنه يقول لنبيه عليه الصلاة والسلام: يا طاهرا من الذنوب يا هادي الخلق إلى علام الغيوب[3].

والدليل علي هذا الاسم من القرآن الكريم والسنة النبوية.

فأما القرآن الكريم فقد سماه الله تعالى في كتابه طه في قوله تعالى: ﴿**طه**﴾.

وأما الدليل من السنة النبوية فما روي عنه ﷺ : «**إِنَّ لِي عِنْدَ رَبِّي ﷻ عَشَرَةُ أَسْمَاءَ: مُحَمَّد وَأَحْمَد، وأَبُو القَاسِم، والفَاتِح، وَالخَاتِم، وَالماحِي والعَاقِب، وَالحَاشِر، ويَس، وطَه**»[4].

وقد قيل في بعض تفسير طه: هو اسم للنبي ﷺ سماه الله تعالى به كما سماه محمدًا[1].

---

[1] سورة يونس الآية: (٢).

[2] «الشفا» (ج١ ص٢٣١).

[3] «تفسير القرطبي» (ج ١١ ص ١٤٩)، و«فتح القدير» (ج٣ ص ٥,٦).

[4] أخرجه الآجري في «الشريعة»، رقم: (١٠١٥)، (ج٣ ص١٤٨٨)، وقال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (ص: ٨٧٠): «إِسْنَاده ضَعِيف».

٧- ومن أسمائه «يس»:

والدَّلِيلُ علي هذا الاسم مِن القُرآن الكريم والسنة النبوية.

فأما الدليل من القرآن الكريم فقد سماه الله تعالى في كتابه يس في قوله تعالى: ﴿يس﴾ ومعناه: يا سيد، قال سعيد بن جبير: هو اسم من أسماء محمد ﷺ ودليله: ﴿ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾[٢]، وقال أبو بكر الوراق: مَعنَاه يا سيد البشر، وعن كعب: يس قسم أقسم الله به قبل أن يخلق السماء والأرض بألفي عام، قال: يا محمد ﴿ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾[٣].

وأما الدليل من السنة النبوية فما روي عنه ﷺ أنه قال: «**إنَّ لِي عِنْدَ رَبِّي ﷻ عَشَرَةُ أسْمَاءَ: مُحمَّد وَأحْمَد، وأبُو القَاسِم، والفَاتِح، وَالخَاتم، وَالماحِي والعَاقِب، وَالحَاشِر، ويَس، وطَه**»[٤].

٨- **ومن أسمائه في الكتب**: المتوكل، والمختار، ومقيم السنة، والمقدس وروح القدس، وروح الحق، وهو معنى «البارقليط» في الإنجيل، وقال ثعلب: البارقليط: الذي يفرق بين الحق والباطل[٥].

٩- ومن أسمائه «القثم» وروي عنه ﷺ أنه قال: «**أتَانِي مَلَك فَقَال لِي: أنْتَ قثم**»[٦] أي مجتمع. قال: والقثم: الجامع للخير.

١٠ - ومن أسمائه «التاج» والمراد به العمامة، ولم تكن حينئذ إلا للعرب، والعمائم تيجان العرب، وأوصافه وألقابه، وسماته في الكتب كثيرة[١].

---

[١] «تفسير القرطبي» (ج ١١ ص ١٤٩).

[٢] سورة يس آية: (٣).

[٣] سورة يس آية: (٣)، وانظر: «تفسير القرطبي» (ج ١٥ ص ٩).

[٤] أخرجه الآجري في «الشريعة»، رقم: (١٠١٥)، (ج٣ ص١٤٨٨)، وقال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (ص: ٨٧٠): «إِسْنَاده ضَعِيف».

[٥] «عمدة القاري» (ج ١٦ص٩٧).

[٦] لم أقف عليه، وقال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (ص: ٨٧٠): «أخرجه ابْن عدي من حَدِيث عَلّي وَجَابِر وَأُسَامَة بن زيد وَابْن عَبَّاس وَعَائِشَة: بِإِسْنَاد ضَعِيف».

ووجه الخصوصية فيها أن: كثرة الأسماء تدل على شرف المسمى لاسيما أن الله هو الذي سماه بهذه الأسماء، وكناه بها، وهذا أمر لم يثبت لأحد غيره وكانت كنيته المشهورة أبا القاسم، وأبو إبراهيم [٢]، وروي عن أنس أنه لما ولد إبراهيم جاءه جبريل فقال له: «السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَبَا إِبْرَاهِيم»[٣].

١١- وقد جاءت من ألقابه ﷺ وسماته في القرآن أشياء كثيرة، منها: النور، والسراج المنير، والمنذر والنذير، والمبشر والبشير، والشاهد، والشهيد، والحق المبين، وخاتم النبيين، والرؤوف الرحيم، والأمين، وقدم الصدق، ورحمة للعالمين، ونعمة الله، والعروة الوثقى، والصراط المستقيم، والنجم الثاقب، والكريم، والنبي الأمي، والداعي، في أوصاف كثيرة، وسمات جميلة [٤]، وجرى منها في كتب الله المتقدمة، وكتب أنبيائه، وأحاديث رسوله، وإطلاق الأمة جملة من الأسماء كتسميته: بالمصطفى، والمجتبى، وأبي القاسم، والحبيب، ورسول رب العالمين، والشفيع المشفع، والمتقي، والمصلح، والطاهر، والصادق، والمصدوق، والهادي، وسيد ولد آدم، وسيد المرسلين، وإمام المتقين، وقائد الغر المحجلين، وحبيب الله، وخليل الرحمن، وصاحب الحوض المورود والشفاعة، والمقام المحمود، صاحب الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة، وصاحب التاج والمعراج، واللواء، والقضيب، وراكب البراق، والناقة، والنجيب، وصاحب الحجة والسلطان، والخاتم، والعلامة البرهان[٥].

٢) من خصائصه ﷺ التشريفية ما خَصَّهُ الله تعالى به بِما سَمَّاه من أسمائه الحسنى ووصفه به من صفاته العلا.

---

[١] «الشفا» (ج ١ ص ٢٣٥).

[٢] صحيح البخاري (ج ٣ ص ١٣,١)، و«الشريعة (ج ١ ص ٤٦٩).

[٣] أخرجه الحاكم في «المستدرك»، كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين، ذكر نبي الله وروحه عيسى ابن مريم صلوات الله وسلامه عليهما، رقم (٤١٨٨) (ج ٢ ص ٦٦٠).

[٤] «تاريخ الطبري» (ج ١ ص ٢٢١)، و«صفوة الصفوة» (ج ١ ص ٥٤).

[٥] «الشفا» (ج ١ ص ٢٣٤)، و«الخصائص الكبرى» (ج ١ ص ١٣٣).

وهذه خَصِيْصَة وإن ثبتت لبعض الأنبياء، إلا أنها كانت مع النبي ﷺ أكثر وأظهر، حيث جمع الله لحبيبه ﷺ بين أكثر من اسم من أسمائه، فضلا عما وصفه به من صفاته، وقد نص عليها في كتابه، فجمعت هذه الخصيصة بين معاني التشريف، والتكريم والتفضيل، والإعجاز، ومما يجب معرفته هنا: أنه يوجد فرق بين تسمية الله نفسه باسم أو صفه به وبين تسمية النبي ووصفه بذلك الاسم، فصفات الله وأسمائه ليست كصفات خلقه، ولكن يؤخذ من التسمية فقط معني التشريف والتكريم.

قال القاضي عياض: اعلم أن الله تعالى خص كثيرًا من الأنبياء بكرامة خَلَعَهَا عليهم من أسمائه، كتسمية إسحاق، وإسماعيل بعليم، وحليم، وإبراهيم بحليم، ونوح بشكور، وعيسى ويحيى بسبر، وموسى بكريم، وقوى، ويوسف بحفيظ عليم، وأيوب بصابر، وإسماعيل بصادق الوعد، كما في الكتاب العزيز من مواضع ذكرهم[1]، وفضل محمدًا ﷺ : بأن اسماه في كتابه العزيز، وعلى ألسنة أنبيائه بكثير من الأسماء المقدسة؛ إذ لم يجتمع لأحد منها فوق اسمين[2]، أما النبي ﷺ فقد جمع الله له من أسمائه أكثر مما أعطاه لغيره ومن ذلك ما يلي:

١- فمن أسمائه تعالى: الحميد، ومعناه المحمود؛ لأنه حمد نفسه، وحمده عباده، ويكون أيضاً بمعنى الحامد لنفسه ولأعمال الطاعات، وسمي الله تعالى النبي ﷺ محمدًا، وأحمد، فمحمد بمعنى محمود، وكذا وقع اسمه في زبور داود. وأحمد بمعنى أكبر من حمد، وأجل من حمد، وأشار إلى نحو هذا حسان بن ثابت بقوله:

أغَرُّ عَلَيْه للنُّبُوَّة خاتَمٌ *** مِنَ الله مَشْهودٌ يَلوحُ ويُشْهَدُ

وضَمَّ الإلهُ اسْمَ النبيِّ إلى اسمه *** إذا قالَ في الخَمْسِ المُؤَذِّنُ: «أَشْهَدُ»

وَشَقَّ لهُ من اسمه لِيُجِلَّهُ *** فَذُو العرشِ محمودٌ وهذا محمدُ[3]

---

(١) «الشفا» للقاضي عياض (ج١ ص ٣٣٦).

(٢) «الوفا بأحوال المصطفى» (ج ٢ ص ١٨ - ٢٠).

(٣) «الخصائص الكبرى» (ج ١ ص ١٣٣).

٢- ومن أسماء الله سبحانه: الرؤوف الرحيم، وهما بمعنى متقارب، وقد سمى الله نبيه ﷺ في كتابه بذلك، فقال: ﴿ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [١].

٣- ومن أسمائه تعالى: الحق المبين ومعنى الحق: الموجود، والمتحقق أمره، وكذلك المبين، أي البين أمره وإلوهيته، وبان، وأبان بمعنى واحد، ويكون المعنى في حق الرسول ﷺ أي: المبين لعباده أمر دينهم ومعادهم.

وسمي النبي ﷺ بذلك في القرآن، فقال: ﴿ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿ وَقُلْ إِنِّيٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ ﴾ [٣].

وقال تعالى: ﴿ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ﴾[٤] وقال: ﴿ فَقَدْ كَذَّبُواْ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ ﴾ [٥]، قيل: محمد، وقيل القرآن، ومعناه هنا: ضد الباطل، والمتحقق صدقه وأمره وهو بمعنى الأول، والمبين: البين أمره ورسالته، أو المبين عن الله ما بعثه به[٦]، كما قال تعالى: ﴿ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ [٧].

٤- **ومن أسمائه تعالى: النور**، ومعناه ذو النور، أي: خالقه، أو منور السموات والأرض بالأنوار، ومنور قلوب المؤمنين بالهداية وقد سمى الله نبيه ﷺ نوراً، فقال: ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ

---

[١] «تاريخ الطبري» (ج ١ ص ٢٢١)، و«صفوة الصفوة» (ج ١ ص ٥٤).

[٢] سورة الزخرف الآية: (٢٩).

[٣] سورة الحجر الآية: (٨٩).

[٤] سورة يونس الآية : (١,٨).

[٥] سورة الأنعام آية: (٥).

[٦] «الشفا» (ج ١ ص ٢٣٧).

[٧] سورة النحل، الآية: (٤٤).

وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ [1]﴾ ، قيل: محمد، وقيل القرآن، وقال فيه:﴿ وَسِرَاجًا منيرًا﴾[2] سمي بذلك لوضوح أمره، وبيان نبوته، وتنوير قلوب المؤمنين العارفين بما جاء به.

٥- **ومن أسمائه تعالى: الشهيد**، ومعناه العالم، وقيل: الشاهد على عباده يوم القيامة، وسمى الله نبيه ﷺ شهيداً وشاهداً، فقال: ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدًا ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدًا ﴾، [4] وهو بمعنى الأول.

٦- **ومن أسمائه تعالى: الكريم**، ومعناه الكثير الخير، وقيل: المفضل، وقيل العفو، وقيل: العلي. وفي الحديث المروي في أسمائه تعالى: الأكرم، وقد سمى الله تعالى نبيه ﷺ كريمًا بقوله: ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾[5] قيل: محمد، وقال ﷺ : «**أَنَا أَكْرَمُ وَلَد آدَمَ**»[6]، ومعاني الاسم صحيحة في حقه ﷺ.

٧- **ومن أسمائه تعالى: العظيم**، ومعناه الجليل الشأن، الذي كل شيء دونه، وقال تعالى في حق النبي ﷺ: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[7]، ووقع في أول سفر من التوراة، عن إسماعيل: وستلد عظيماً لأمة عظيمة، فهو عظيم وعلى خلق عظيم[8].

---

[1] سورة المائدة آية: (١٥).

[2] سورة الأحزاب آية: (٤٦).

[3] سورة الأحزاب آية: (٤٥).

[4] سورة البقرة آية: (١٤٣).

[5] سورة الحاقة آية: (٤٠).

[6] سبق تخريجه.

[7] سورة القلم الآية : (٤).

[8] «الشفا» للقاضي عياض (ج١ ص٢٣٨)، و«تاريخ الطبري» (ج١ ص٢٢١)، و«صفوة الصفوة» (ج١ ص٥٤).

٨- ومن أسمائه تعالى: الخبير، ومعناه المطلع بكنه الشيء، العالم بحقيقته، وقيل معناه: المخبر، وقال الله تعالى: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرٗا ﴾[١]، والمسؤول الخبير هو النبي ﷺ، وقال غيره: بل السائل النبي ﷺ، والمسؤول هو الله تعالى، فالنبي خبير بالوجهين المذكورين، قيل: لأنه عالم على غاية من العلم بما أعلمه الله من مكنون علمه، وعظيم معرفته، مخبر لأمته بما أذن له في إعلامهم به [٢].

٩- **ومن أسمائه تعالى في الحديث: الشكور** ومعناه: المثيب على العمل القليل، وقيل المثني على المطيعين[٣]، ووصف بذلك نبيه نوحاً عليه السلام فقال: ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ عَبۡدٗا شَكُورٗا ﴾[٤]، وقد وصف النبي ﷺ نفسه بذلك، فقال: «**أفَلَا أكُونُ عَبْداً شَكُوْراً**»[٥] أي: معترفاً بنعيم ربي، عارفاً بقدر ذلك، مثنياً عليه، مجهداً نفسي في الزيادة من ذلك، لقوله تعالى: ﴿ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡ ﴾[٦].

١٠- **ومن أسمائه تعالى: العليم، والعلام. وعالم الغيب والشهادة**، ووصفه نبيه ﷺ بالعلم، وخصه بمزية منه، فقال تعالى: ﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا ﴾[٧]، وقال تعالى: ﴿ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ﴾[٨].

---

[١] سورة الفرقان، الآية: (٥٩).

[٢] «تاريخ الطبري» (ج ١ ص ٢٢١)، و«صفوة الصفوة» (ج ١ ص ٥٤).

[٣] «الشفا» (ج١ ص ٢٤٠).

[٤] سورة الإسراء الآية: (٣).

[٥] أخرجه البخاري، أبواب التهجد، باب قيام النبي ﷺ حتى ترم قدما، رقم (١,٧٨) (ج ١ ص ٣٨٠)، ومسلم في صفات المنافقين وأحكامهم باب إكثار الأعمال والاجتهاد، رقم: (٢٨١٩).

[٦] سورة إبراهيم الآية : (٧).

[٧] سورة النساء الآية : (١١٣).

[٨] سورة البقرة آية: (١٥١).

١١- **ومن أسمائه تعالى: الأول، والآخر**، ومعناهما السابق للأشياء قبل وجودها، والباقي بعد فنائها وتحقيقه أنه ليس له أول ولا آخر.وأما في حق النبي ﷺ فعلى حد قوله : «**كُنْتُ أوَّلَ النَّبِيِّنَ فِي الخَلْقِ وَأخِرَهُم فِي البَعْثِ**»[١]، وفسر بهذا قوله تعالى:﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ﴾[٢]، فقدم محمداً ﷺ، ومنه قوله: «**نَحْنُ الآخِرُونَ السَّابِقُونَ**»[٣]، وقوله: «**أنَا أوَّلُ مَن تَنْشَقُّ عَنْهُ الأرْضُ، وَأوَّلُ مَن يَدْخُلُ الجَنَّةَ، وَأوَّلُ شَافِعٍ، وَأوَّلُ مُشَفَّع وَأنَا خَاتَم النَّبِيِّينَ**»[٤]، فهو آخر الرسل ﷺ[٥].

١٢- **ومن أسمائه تعالى: الولي، والمولى**، ومعناهما الناصر، وقد قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ﴾[٦]، وقال ﷺ: «**أنَا وَلِيُّ كُلِّ مُؤمِنٍ**»[٧]. وقوله تعالى:﴿ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ ۠ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ﴾[٨].

١٣- **ومن أسمائه تعالى: الهادي**، وهو بمعنى توفيق الله لمن أراد من عباده، وبمعنى الدلالة والدعاء. قال الله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَـٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[٩]،

---

[١] أخرجه الطبراني في «مسند الشاميين»، رقم: (٢٦٦٢) (ج ٤ ص ٣٤٠).

[٢] سورة الأحزاب آية: (٧).

[٣] سبق تخريجه ص: (١٦٦).

[٤] سبق تخريجه ص (٧٥).

[٥] «الشفا» (ج١ص ٢٤٠)، و«تاريخ الطبري» (ج١ ص٢٢١)، و«صفوة الصفوة» (ج١ ص٥٤).

[٦] سورة المائدة آية: (٥٥).

[٧] أخرجه النسائي في «السنن الكبرى»، برقم: (٨٠٩٢)، (ج٧ ص٣١٠).

[٨] سورة الأحزاب آية: (٦).

[٩] سورة يونس آية: (٢٥).

وقيل في تفسير «طه» إنه: يا طاهر، يا هادي، يعني النبي ﷺ وقال الله تعالى له: ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[1].

قال تعالى:﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾[2].

١٤- **ومن أسمائه تعالى: القدوس**، ومعناه المنزه عن النقائص المطهر من سمات الحدث، وسمي بيت المقدس بذلك؛ لأنه يتطهر فيه من الذنوب، ومنه: الوادي المقدس، وروح القدس، وفي كتب الأنبياء في أسمائه ﷺ: المقدس، أي: المطهر من الذنوب، كما قال تعالى: ﴿ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾[3]، أو الذي يتطهر به من الذنوب، ويتنزه باتباعه عنه، كما قال: ﴿ويزكيهم ﴾، وقال تعالى: ﴿ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[4]، أو يكون مقدسًا بمعنى مطهرًا من الأخلاق الذميمة والأوصاف الدنية.

وهذه المعاني لم تذكر جملة وتفصيلا في حق شخص سوى النبي محمد ﷺ ولم تجمع لأحد هكذا إلا للنبي ﷺ ولا يخفى ما فيها من دلالات الفضل والتكريم والتشريف التي لم يحظ بها أحد إلا المعصوم ﷺ .

---

[1] سورة الشورى الآية: (٥٢).

[2] سورة القصص الآية: (٥٦).

[3] سورة الفتح الآية: (١).

[4] سورة المائدة الآية: (١٦).

٣) من خصائصه التشريفية ﷺ أن الله اختاره ليكون حبيبًا له ﷻ.

شاع بين المسلمين أنه ﷺ حبيب الله؛ لتخصيص إبراهيم عليه السلام بخليل الرحمن، ومحمد ﷺ بحبيب الله[(١)].

وعن ابن عباس قال: جَلَسَ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَنْتَظِرُونَهُ قَالَ: فَخَرَجَ حَتَّى إِذَا دَنَا مِنْهُمْ سَمِعَهُمْ يَتَذَاكَرُونَ فَسَمِعَ حَدِيثَهُمْ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: عَجَبًا إِنَّ اللَّهَ ﷻ اتَّخَذَ مِنْ خَلْقِهِ خَلِيلًا، اتَّخَذَ مِنْ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا، وَقَالَ آخَرُ: مَاذَا بِأَعْجَبَ مِنْ كَلَامِ مُوسَى كَلَّمَهُ تَكْلِيمًا، وَقَالَ آخَرُ: فَعِيسَى كَلِمَةُ اللَّهِ وَرُوحُهُ، وَقَالَ آخَرُ: آدَمُ اصْطَفَاهُ اللَّهُ، فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ فَسَلَّمَ وَقَالَ: «**قَدْ سَمِعْتُ كَلَامَكُمْ وَعَجَبَكُمْ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلُ اللَّهِ وَهُوَ كَذَلِكَ وَمُوسَى نَجِيُّ اللَّهِ وَهُوَ كَذَلِكَ، وَعِيسَى رُوحُهُ وَكَلِمَتُهُ وَهُوَ كَذَلِكَ وَآدَمُ اصْطَفَاهُ اللَّهُ وَهُوَ كَذَلِكَ، أَلَا وَأَنَا حَبِيبُ اللَّهِ وَلَا فَخْرَ، وَأَنَا حَامِلُ لِوَاءِ الْحَمْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ، وَأَنَا أَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يُحَرِّكُ حِلَقَ الْجَنَّةِ فَيَفْتَحُ اللَّهُ لِي فَيُدْخِلُنِيهَا وَمَعِي فُقَرَاءُ الْمُؤْمِنِينَ وَلَا فَخْرَ، وَأَنَا أَكْرَمُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ وَلَا فَخْرَ**»[(٢)].

ووجه اختصاصه بحبيب الله مايلي:

١- قوله ﷺ: «**أَلَا وَأَنَا حَبِيبُ اللَّهِ وَلَا فَخْرَ، وَأَنَا حَامِلُ لِوَاءِ الْحَمْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ، وَأَنَا أَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يُحَرِّكُ حِلَقَ الْجَنَّةِ فَيَفْتَحُ اللَّهُ لِي فَيُدْخِلُنِيهَا وَمَعِي فُقَرَاءُ الْمُؤْمِنِينَ وَلَا فَخْرَ، وَأَنَا أَكْرَمُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ وَلَا فَخْرَ**»[(٣)].

٢- وفي حديث الوفاة ولقاء الله تعالى: فقال رسول الله ﷺ : «**يَا جِبْرِيلُ، هَذَا الرَّحِيلُ مِنَ الدُّنْيَا، فَبَشِّرْنِي مَا لِي عِنْدَ اللهِ**»؟ قَالَ: أُبَشِّرُكَ يَا حَبِيبَ اللهِ أَنِّي قَدْ تَرَكْتُ أَبْوَابَ السَّمَاءِ قَدْ

---

(١) «رسول الله في القرآن الكريم» (ص: ٢١٧)، و«غاية السول في خصائص الرسول ﷺ» لابن الملقن (ج ١ ص ٧٦).

(٢) أخرجه الترمذي في «سننه»، كتاب المناقب، باب: في فضل النبي ﷺ، رقم: (٣٦١٥)، (ج ٥ ص ٥٨٧)، وقال: «هذا حديث غريب»، وفي «سنن الدارمي»، باب: ما أعطي النبي ﷺ من الفضل، رقم: (٥٤) (ج ١ ص ٤٢).

(٣) أخرجه الترمذي في «سننه»، كتاب المناقب، باب: في فضل النبي ﷺ، رقم: (٣٦١٥)، (ج ٥ ص ٥٨٧)، وقال: «هذا حديث غريب»، وفي «سنن الدارمي»، باب: ما أعطي النبي ﷺ من الفضل، رقم: (٥٤) (ج ١ ص ٤٢).

فُتِحَتْ، وَالْمَلَائِكَةَ قَدْ قَامُوا صُفُوفًا صُفُوفًا بِالتَّحِيَّةِ وَالرَّيْحَانِ يُحَيُّونَ رُوحَكَ يَا مُحَمَّدُ، فَقَالَ: «**لِوَجْهِ رَبِّيَ الْحَمْدُ، وَبَشِّرْنِي يَا جِبْرِيلُ**»، قَالَ: أُبَشِّرُكَ أَنَّ أَبْوَابَ الْجِنَانِ قَدْ فُتِحَتْ، وَأَنْهَارَهَا قَدِ اطَّرَدَتْ، وَأَشْجَارَهَا قَدْ تَدَلَّتْ، وحُورَهَا قَدْ تَزَيَّنَتْ لِقُدُومِ رُوحِكِ يَا مُحَمَّدُ، قَالَ: «**لِوَجْهِ رَبِّيَ الْحَمْدُ، فَبَشِّرْنِي يَا جِبْرِيلُ**»، قَالَ: أَنْتَ أَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ فِي الْقِيَامَةِ. قَالَ: «**لِوَجْهِ رَبِّيَ الْحَمْدُ**»، قَالَ جِبْرِيلُ: يَا حَبِيبِي، عَمَّ تَسْأَلُنِي؟ قَالَ: «**أَسْأَلُكَ عَنْ غَمِّي وَهَمِّي، مَنْ لِقُرَّاءِ الْقُرْآنِ مِنْ بَعْدِي؟ مَنْ لِصَوْمِ شَهْرِ رَمَضَانَ مِنْ بَعْدِي؟ مَنْ لِحَاجِّ بَيْتِ اللهِ الْحَرَامِ مِنْ بَعْدِي؟ مَنْ لِأُمَّتِي الْمُصْطَفَاةِ مِنْ بَعْدِي؟**» قَالَ: أَبْشِرْ يَا حَبِيبَ اللهِ، فَإِنَّ اللهَ ﷻ يَقُولُ: قَدْ حُرِّمَتِ الْجَنَّةُ عَلَى جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأُمَمِ حَتَّى تُدَاخِلَهَا أَنْتَ وَأُمَّتُكَ يَا مُحَمَّدُ، قَالَ: «**الْآنَ طَابَتْ نَفْسِي، إِذَنْ يَا مَلَكَ الْمَوْتِ فَائْتَهِ إِلَى مَا أُمِرْتَ**»[1]، فهذه تسمية جبريل له ووصفه له ﷺ بأنه حبيب الله.

قال القاضي أبو الفضل: اختلف في تفسير الخلة، وأصل اشتقاقها، فقيل: الخليل: المنقطع إلى الله الذي ليس في انقطاعه إليه، ومحبته له اختلال.

وقال بعضهم: أصل الخلة الاصطفاء: وسمي إبراهيم خليل الله، لأنه يوالي فيه ويعادي فيه، وخلة الله له نصره، وجعله إماماً لمن بعده [2]، وقيل: الخليل: أصله الفقير المحتاج المنقطع، مأخوذ من الخلة وهي الحاجة، فسمي بها إبراهيم، لأنه قصر حاجته على ربه، وانقطع إليه بهمه، و لم يجعله قبل غيره، وإذا جاءه جبريل وهو في المنجنيق، ليرمى به في النار، فقال: ألك حاجة ؟ قال: «أما إليك فلا»، وقال بعضهم: أصل الخلة المحبة، ومعناها الإسعاف، والألطاف، والترفيع، والتشفيع، وقد بين ذلك في كتابه تعالى بقوله: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ

---

[1] أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير»، رقم: (٢٦٧٦)، (ج٣ ص٥٨)، وقال الهيثمي في « مجمع الزوائد» (ج٩ ص٣١): «رواه الطبراني، وفيه: عبد المنعم بن إدريس، وهو: كذاب وضاع».

[2] «الشفا في حقوق المصطفي» (ج١ ص٢١٢).

﴿مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾[1] فأوجب للمحبوب ألا يؤاخذ بذنوبه ثم قال: والخلة أقوى من البنوة؛ لأن البنوة قد تكون فيها العداوة، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ فَإِنَّ وَتَغْفِرُواْ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[2]، ولا يصح أن تكون عداوة مع خلة، فإذاً تسمية إبراهيم ومحمد عليهما السلام بالخلة إما بانقطاعهما إلى الله، ووقف حوائجهما عليه، والانقطاع عمن دونه، والإضراب عن الوسائط والأسباب، أو لزيادة الاختصاص منه تعالى لهما، وخفي ألطافه عندهما، وما خالل بواطنهما من أسرار إلهيته، ومكنون غيوبه ومعرفته، أو لاستصفائه لهما، واستصفاء قلوبهما عمن سواه، حتى لم يخاللهما حب لغيره؛ ولهذا قال بعضهم: «الخليل: من لا يتسع قلبه لسواه» وهو عندهم معنى قوله ﷺ: «**لَو كُنْتُ مُتَّخِذاً خَلِيلاً لاتَّخَذْتُ أبَا بَكْرٍ خَلِيلًا، لَكِن أخُوَّةُ الإسْلَامِ**»[3].

واختلف العلماء: أيهما أرفع درجة الخلة أم درجة المحبة؟ على أقوال:

١- فيَرَى بعضُهُم أنهما سواء، فلا يكون الحبيب إلا خليلا، ولا الخليل إلا حبيباً لكنه خص إبراهيم عليه السلام بالخلة، ومحمداً ﷺ بالمحبة[4].

٢- وبعضهم قال: درجة الخلة أرفع، واحتج بقوله ﷺ: «**لَو كُنْتُ مُتَّخِذاً خَلِيلاً غَيْرَ رَبِّي عز وجل**» فَلم يتخذه، وقد أطلق المحبة لفاطمة، وابنيها، وأسامة وغيرهم[5].

---

[1] سورة المائدة الآية: (١٨).

[2] سورة التغابن الآية: (١٤).

[3] أخرجه البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ «**سُدُّوا الأبْوَابَ إلَّا بَابَ أبِي بَكْرٍ**»، رقم: (٣٤٥٤) (ج٣ ص١٣٣٧)، وأخرجه مسلم، كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب: من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه، رقم: (٢٣٨٢) (ج ٤ ص ١٨٥٤).

[4] «عمدة القاري» (ج١٦ ص ١٧٥).

[5] «تحفة الأحوذي» (ج١٠ ص ٩٧).

٣- وأكثرهم جعل المحبة أرفع من الخلة؛ لأن درجة الحبيب نبينا أرفع من درجة الخليل إبراهيم[١]، وأصل المحبة: الميل إلى ما يوافق المحب، ولكن هذا في حق من يصح الميل منه والانتفاع بالوفق، وهي درجة المخلوق، فأما الخالق ﷻ فمنزه عن الأغراض، فمحبته لعبده تمكينه من سعادته، وعصمته وتوفيقه، وتهيئة أسباب القرب، وإفاضة رحمته عليه، وكشف الحجب عن قلبه حتى يراه بقلبه، وينظر إليه ببصيرته، فيكون كما قال في الحديث القدسي: «**فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَه الذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَلِسَانَهُ الذِي يَنْطِقُ بِهِ**»[٢].

ولا ينبغي أن يفهم من هذا سوى التجرد لله، والانقطاع إلى الله، والإعراض عن غير الله، وصفاء القلب لله، وإخلاص الحركات لله، كما قالت عائشة رضي الله عنها: «**كَانَ خُلُقهُ القُرْآن**»[٣] برضاه يرضى، وبسخطه يسخط، ومن هنا عبر بعضهم عن الخلة بقوله:

قَدْ تَخَلَّلْتَ مَسْلَكَ الرُّوحِ مِنِّي *** وَبِذَا سُمِّيَ الْخَلِيلُ خَلِيلَا
فَإِذَا مَا نَطَقْتُ كُنْتَ حَدِيثِي *** وَإِذَا مَا سَكَتُّ كُنْتَ الْغَلِيلَا[٤]

فإذا مزية الخلة وخصوصية المحبة حاصلة لنبينا ﷺ بما دلت عليه الآثار الصحيحة المنتشرة، المتلقاة بالقبول من الأمة، وكفى بقوله تعالى:﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[٥].

---

[١] «الشفا» (ج ١ ص ٢١٤).

[٢] أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب التواضع، رقم: (٦١٣٧) (ج ٥ ص ٢٣٨٤)، وأخرجه ابن حبان في صحيحه، كتاب البر والإحسان، باب ما جاء في الطاعات وثوابها، رقم: (٣٤٧) (ج ٢ ص ٥٨).

[٣] أخرجه أحمد في مسنده، (حديث السيدة عائشة رضي الله عنها)، رقم: (٢٥٣٤١) (ج ٦ ص ١٦٣)، والبخاري في «الأدب المفرد»، في حسن الخلق، (باب من دعا الله أن يحسن خلقه) رقم: (٣,٨) (ج ١ ص ١١٥).

[٤] البيتين في: «البصائر» (ج٢ ص ٥٥٧)، ولم ينسبه، وهو لبشار بن برد في «أدب الدنيا والدين» (ص: ١٤٦).

[٥] سورة آل عمران آية: (٣١).

حكى أهل التفسير أن هذه الآية لما نزلت قال الكفار: إنما يريد محمد أن نتخذه حناناً كما اتخذت النصارى عيسى بن مريم، فأنزل الله غيظاً لهم ورغماً على مقالتهم هذه الآية: ﴿ قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَۖ ﴾[1]، فزاده شرفاً بأمرهم بطاعته، وقرنها بطاعته، ثم توعدهم على التولي عنه بقوله تعالى: ﴿ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾[2].

قال الطحاوي: أنه يجب الإيمان بأن النبي ﷺ: خاتم الأنبياء، وإمام الأتقياء، وسيد المرسلين، وحبيب رب العالمين[3].

قال ابن تيمية شارحًا ومعلقًا: «وحبيب رب العالمين»: ثبت له ﷺ أعلى مراتب المحبة، وهي الخلة، كما صح عنه ﷺ أنه قال: «**إنَّ الله اتَّخَذَنِي خَلِيلاً كَمَا اتَّخَذَ إبْرَاهِيْمَ خَلِيلاً**»[4].

ثم قال في الرد على من خَصَّ النبي بأنه حبيب الله: والحديثان في الصحيح، وهما يبطلان قول من قال: الخلة لإبراهيم والمحبة لمحمد، فإبراهيم خليل الله ومحمد حبيبه، وفي الصحيح أيضاً: «**إنِّي أبْرَأُ إلَى كُلِّ خَلِيْلٍ مِنْ خَلَّتِهِ**»[5].

والمحبة قد ثبتت لغيره، قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾[6]، وقال تعالى: ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾[7]، وقال تعالى:﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُطَّهِّرِينَ ﴾[1]، فبطل قول من خص

---

[1] سورة آل عمران آية: (٣٢).

[2] سورة آل عمران آية: (٣٢)، ويراجع: «تفسير البغوي» (ج ١ ص ٢٥٣).

[3] «العقيدة الطحاوية» (ج١ ص٨).

[4] أخرجه ابن ماجه في «سننه»، افتتاح الكتاب في الإيمان وفضائل الصحابة والعلم، باب: فضل العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه، رقم: (١٤١) (ج ١ ص ٥٠).

[5] أخرجه مسلم، كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب: من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه، رقم: (٢٣٨٣)، (ج ٤ ص ١٨٥٥).

[6] سورة آل عمران آية: (١٣٤).

[7] سورة آل عمران آية: (٧٦).

الخلة بإبراهيم والمحبة بمحمد، بل الخلة خاصة بهما، والمحبة عامة، وحديث ابن عباس ﷺ الذي رواه الترمذي الذي فيه: «**إنَّ إبْرَاهِيْمَ خَلِيْلُ الله، ألَا وأنَا حَبِيْبُ الله وَلَا فَخْر**»: لم يثبت[٢].

وهذا الذي ذكره ابن تيمية يعني أنه يثبت للنبي ﷺ الخلة؛ لأنها أعلى درجات المحبة عنده، وغيره يقول إن المحبة أعلى من الخلة، فكل واحد يحاول أن يثبت الدرجة الأعلى للنبي ﷺ سواء سميت بالخلة، أو سميت بالمحبة، فلا مشاحة في الاصطلاح، كما هو معروف فقهًا، ومع هذا فقد نقل الإمام أبو بكر بن فورك عن بعض المتكلمين كلامًا في الفرق بين المحبة والخلة يطول، جملة إشارته إلى تفضيل مقام المحبة على الخلة، ونذكر منها ما يلي[٣]:

١- قولهم: الخليل يصل بالواسطة، من قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴾[٤]. والحبيب يصل لحبيبه به، من قوله: ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾[٥].

٢ - وقيل: الخليل: الذي تكون مغفرته في حد الطمع، من قوله: ﴿ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴾[٦] والحبيب الذي مغفرته في حد اليقين، من قوله: ﴿ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴾[٧].

---

[١] سورة التوبة آية: (١,٨).

[٢] «شرح العقيدة الطحاوية» (ج١ ص ١٦٤).

[٣] «الشفا في حقوق المصطفى» (ج١ ص ٢١٥)، «الوفا بأحوال المصطفى» (ج٢ ص٢٢).

[٤] سورة الأنعام الآية: (٧٥).

[٥] سورة النجم آية: (٩).

[٦] سورة الشعراء الآية: (٨٢).

[٧] سورة الفتح الآية: (٢).

٣ - والخليل قال: ﴿ وَلَا تُخۡزِنِي يَوۡمَ يُبۡعَثُونَ [١] ﴾ ، والحبيب قيل لـــه: ﴿ يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ ﴾ [٢]، فابتدئ بالبشارة قبل السؤال.

٤ - والخليل قال في المحنة: ﴿ حَسۡبِيَ ٱللَّهُ ﴾ [٣]، والحبيب قيل له: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ ﴾ [٤].

٥ - والخليل قال: ﴿ وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ﴾[٥]، والحبيب قيل له: ﴿ وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ ﴾ [٦]، أعطي بلا سؤال.

٦ - والخليل قال: ﴿ وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ﴾ [٧]، وقد أخبر الله أنه اتخذ إبـــراهيم خليلا [٨]، ويقال أن الحكمة في خصوصية إبراهيم بذلك لكونه ألقي في النار عريانًا، وقيل لأنـــه أول من لبس السراويل، ولا يلزم من خصوصيته عليه السلام بذلك تفضـــيله علـــى محمـــد ﷺ؛ لأن المفضول قد يمتاز بشيء يخص به، ولا يلزم منه الفضيلة المطلقة[٩]، نخلص من هذا أن مزية الخلة وخصوصية المحبة حاصلة لنبينا ﷺ جمعًا بين الأدلة كلها، وليس ذلك لأحد من الخلق إلا للـــنبي محمد ﷺ.

---

[١] سورة الشعراء الآية: (٨٧).

[٢] سورة التحريم آية: (٨).

[٣] سورة الزمر الآية: (٣٨).

[٤] سورة الأنفال الآية: (٦٤).

[٥] سورة الشعراء الآية: (٨٤).

[٦] سورة الشرح آية: (٤).

[٧] سورة إبراهيم الآية: (٣٥).

[٨] «فتح الباري» (ج٦ ص٣٩).

[٩] «فتح الباري» (ج٦ ص٥٥٥).

٤) من الخصائص التشريفية للنبي ﷺ المدح وَالثَّنَاء وتعداد المحاسن التي فضله الله بها في القرآن الكريم.

مِن الخصال والفضائل الكريمة التي شرف الله بها حبيبه في كتابه: المدح والثناء، وتعداد المحاسن، حيث وصفه الله تعالى بأوصاف لم يصف بها أحدًا غيره على سبيل الإجمال، أو التفصيل، فمثلا سمى سور قرآنية باسمه مثل: طه، ومحمد، ويس، والمدثر، والمزمل، وخص سورًا بوصف أشياء خاصة به مثل: الشرح، والضحى، والكوثر، والأحزاب، والفتح، وآيات تعدد أوصافه بالقسم الإلهي، والتحقيق مما لم يذكر في شأن أحد قط إلا النبي ﷺ كقوله تعالى: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[1].

قال القاضي عياض: أعْلَمَ الله تَعَالى المؤمنين، أو العرب، أو أهل مكة، أو جميع الناس – على اختلاف المفسرين مَن المُوَاجَهُ بِهَذا الخِطاب – أنه بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يعرفونه، ويتحققون مكانه، ويعلمونه صدقه وأمانته، فلا يتهمونه بالكذب وترك النصيحة لهم، لكونه منهم، وأنه لم تكن في العرب قبيلة إلا ولها على رسول الله ﷺ ولادة أو قرابة، وهو عند ابن عباس وغيره معنى قوله تعالى: ﴿ إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾[2]، وكونه من أشرفهم، وأرفعهم، وأفضلهم، على قراءة الفتح، وهذه نهاية المدح، ثم وصفه بعد بأوصاف حميدة، وأثنى عليه بمحامد كثيرة، من حرصه على هدايتهم ورشدهم وإسلامهم، وشدة ما يعنتهم ويضر بهم في دنياهم وأخراهم، وعزته ورأفته ورحمته بمؤمنهم، وفي قوله تعالى:﴿ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[3] أعطاه اسمين من أسمائه: رؤوف، رحيم[4].

---

[1] سورة التوبة الآية: (١٢٨).

[2] سورة الشورى آية: (٢٣).

[3] سورة التوبة الآية: (١٢٨).

[4] «الشفا» (ج ١ ص ١٥).

ومثله في الآية الأخرى: في قوله تعالى: ﴿ لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولاً مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴾[1]، وفي الآية الأخرى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولاً مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴾[2]، وقوله تعالى:﴿ كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولاً مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ﴾[3].

وعن ابن عباس ﷺ في قوله تعالى: ﴿ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾[4] قال: من نبي إلى نبي، حتى أخرجك نبياً[5].

وقال السمرقندي[6]: رحمة للعالمين: يعني للجن والإنس، وقيل: لجميع الخلق، للمؤمن رحمة بالهداية، ورحمة للمنافق بالأمان من القتل، ورحمة للكافر بتأخير العذاب[7].

قال ابن عباس: هو رحمة للمؤمنين وللكافرين، إذ عوفوا مما أصاب غيرهم من الأمم المكذبة[8].

---

[1] سورة آل عمران الآية: (١٦٤).

[2] سورة الجمعة الآية: (٢).

[3] سورة البقرة الآية: (١٥١).

[4] سورة الشعراء آية: (٢١٩).

[5] انظر: «إرواء الغليل» (ج ٦ ص ٣٣٢)، وقال: «أخرجه البزار والطبراني ورجالهما رجال الصحيح غير شبيب بن بشر وهو ثقة»، وانظر: «تاريخ الطبري» (ج١ ص٢٢١).

[6] أبو الليث، كنية ثلاثة من علماء الحنفية: أشهرهم نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، أبو الليث الفقيه الملقب بإمام الهدى . قال فيه صاحب الجواهر المضية : الإمام الكبير صاحب الأقوال المفيدة والتصانيف المشهورة . تفقه على أبي جعفر الهندواني وغيره . توفي (سنة: ٣٧٣ هـ)، من كتبه: خزانة الفقه؛ وعيون المسائل؛ والتفسير؛ وتنبيه الغافلين. انظر ترجمته في: «كشف الظنون» (ص ١٩٨١)، و«الجواهر المضية» (ج٢ ص١٩٦ - ٢٦٤)؛ و«الفوائد البهية» (ص: ٢٢٠).

[7] «تفسير النسفي» (ج٣ ص٩٣).

[8] «تفسير ابن كثير» (ج ٣ ص ٧٦٣).

وقال الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۗ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ﴾[1].

قال كعب: المراد بالنور الثاني هنا محمد ﷺ، وقوله تعالى: ﴿ مَثَلُ نُورِهِۦ ﴾ أي نور محمد ﷺ[2].

وقال ابن عباس: المعنى: الله هادي أهل السموات والأرض، ثم قال: مثل نور محمد إذ كان مستودعاً في الأصلاب كمشكاة صفتها كذا، وأراد بالمصباح قلبه، وبالزجاجة صدره، أي كأنه كوكب دري لما فيه من الإيمان والحكمة، {يوقد من شجرة مباركة} أي: من نور إبراهيم، وضرب المثل بالشجرة المباركة[3]، وقوله: ﴿ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ ﴾ أي: تكاد نبوة محمد ﷺ تبين للناس قبل كلامه كهذا الزيت.

وقد سماه الله تعالى في القرآن في غير هذا الموضع نورًا وسراجًا منيرًا، فقال تعالى: ﴿ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ﴾[4].

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴾[5]، وفي وصفه بالسراج المنير أنه سبحانه جعله نورًا حقيقيا، سراجًا منيرًا يضيء القلوب والأبصار والأعين جميعًا في حين قال في حق الشمس وجعلناها سراجًا وهاجًا؛

---

[1] سورة النور الآية: (٣٥).

[2] «تفسير القرطبي» (ج ٦ ص ١١٥)، و«الشفا» (ج١ ص ١٧)، و«الخصائص الكبرى» (ج ٢ ص ٢٩٦).

[3] «تفسير القرطبي» (ج ١٢ ص ٢٣٣).

[4] سورة المائدة الآية: (١٥).

[5] سورة الأحزاب الآية: (٤٥) و(٤٦).

لأنك إذا اقتربت منها أحرقتك، أما نور النبي ﷺ كلما اقتربت منه ازددت إيمانًا وفضلا وشرفًا ﷺ.

ومن هذا قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ﴾ [1]، وقيل معناه: ألم نطهر قلبك حتى لا يؤذيك الوسواس، ووضعنا عنك وزرك الذي أنقض ظهرك: وقيل: أراد ثقل أيام الجاهلية، وقيل: أراد ما أثقل ظهره من الرسالة حتى بلغها[2].

وقيل: عصمناك، ولولا ذلك لأثقلت الذنوب ظهرك[3].

قال القاضي أبو الفضل: هذا تقرير من الله جل اسمه لنبيه ﷺ على عظيم نعمه لديه، وشريف منزلته عنده، وكرامته عليه، بأن شرح قلبه للإيمان والهداية، ووسعه لوعى العلم، وحمل الحكمة، ورفع عنه ثقل أمور الجاهلية عليه، وبغضه لسيرها، وما كانت عليه بظهور دينه على الدين كله، وحط عنه عهدة أعباء الرسالة والنبوة لتبليغه للناس ما نزل إليهم، وتنويهه بعظيم مكانه، وجليل رتبته، ورفعه ذكره، وقرانه مع اسمه اسمه[4].

وقال قتادة [5]: رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة، فليس خطيب، ولا متشهد، ولا صاحب صلاة إلا يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله[1].

---

[1] سورة الشرح كاملة.

[2] «الشفا» (ج١ ص١٩).

[3] «تفسير الثعالبي» (ج ٤ ص ٤٢٤).

[4] «الشفا» (ج ١ ص ١٩).

[5] هو: قتادة بن دعامة بن قتادة السدوسي، من أهل البصرة، ولد ضريرًا، أحد المفسرين والحفاظ للحديث، قال أحمد بن حنبل: قتادة أحفظ أهل البصرة، وكان مع عمله بالحديث رأسا في العربية، ومفردات اللغة وأيام العرب، والنسب مات بواسط في الطاعون (سنة: ١١٨ هـ). «الأعلام» للزركلي (ج ٦ ص ٢٧).

٥) من الخصائص التشريفية مخاطبة الله له بالرسالة والنبوة وعدم ندائه باسمه مجردًا.

من خصائصه التشريفية ما أخبر الله تعالى به في كتابه العزيز من عظيم قدره وشريف منزلته وحظوة رتبته حيث خاطب الله كل نبي باسمه مجردًا فقال في مخاطبة الأنبياء سواه:

قوله تعالى: ﴿ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ ﴾ [٢].

قوله تعالى: ﴿ وَإِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصۡطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [٣]، وقوله تعالى: ﴿ إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوۡقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ فِيمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ﴾ [٤].

وقوله: ﴿ وَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ وَكُلَا مِنۡهَا رَغَدًا حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [٥].

وقوله تعالى: ﴿ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [٦] وقوله: ﴿ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسۡمُهُۥ يَحۡيَىٰ لَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ مِن قَبۡلُ سَمِيًّا ﴾ [٧] وقوله: ﴿ يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيًّا

---

[١] «تفسير الطبري» (ج ١٢ ص ٦٢٧)، و«تفسير ابن كثير» (ج ٤ ص ٦٧٧)، و«فتح القدير» (ج ٥ ص٦٥٥).

[٢] سورة البقرة آية: (٣٣).

[٣] سورة آل عمران آية: (٤٢).

[٤] سورة آل عمران آية: (٥٥).

[٥] سورة البقرة آية: (٣٥).

[٦] الأعراف آية: (١٤٤).

[٧] سورة مريم آية: (٧).

﴾[1]، أما النبي فلم يخاطبه باسمه مجردا وما خاطبه في القرآن إلا بوصف النبوة والرسالة سواء في معرض التشريع أو في مقام التشريف وهذا لم يتحقق لأحد إلا للنبي محمد ﷺ[2].

ومن ذلك الآيات الآتية:

١- قوله تعالى: ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفۡعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِكُم مَّعۡرُوفٗاۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَسۡطُورٗا ﴾[3].

٢- وقوله تعالى: ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ﴾[4]، فلم يذكره باسمه مجردا كما ذكر الأنبياء من قبل: يحيى وزكريا وموسى وآدم وإبراهيم - عليهم السلام - وإنما ذكره موصوفا بالرسالة والنبوة والأنوار والفضل والعطاء فما لم يعطه الله لأحد إلا له ﷺ.

٣- قوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيۡتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِي هَاجَرۡنَ مَعَكَ وَٱمۡرَأَةٗ مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا خَالِصَةٗ لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۗ قَدۡ عَلِمۡنَا مَا فَرَضۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ لِكَيۡلَا يَكُونَ عَلَيۡكَ حَرَجٞۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴾[5].

---

[1] سورة مريم آية: (٩).

[2] «الخصائص الكبرى» (ج ٢ ص ٢٩٦).

[3] سورة الأحزاب آية: (٦).

[4] سورة الأحزاب آية: (٢١).

[5] سورة الأحزاب آية: (٥٠).

٤- قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴾[١].

٥- قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ ﴾[٢].

وبين الله في القرآن أن السابقين كانوا ينادون أنبيائهم بأسمائهم، و لم يكن في ذلك غضاضة، أما النبي فقد نهى الله المؤمنين أن ينادوه باسمه مجردًا ومن ذلك قوله تعالى في شأن السابقين: ﴿ قَالُواْ يَٰصَٰلِحُ قَدۡ كُنتَ فِينَا مَرۡجُوّٗا قَبۡلَ هَٰذَآۖ أَتَنۡهَىٰنَآ أَن نَّعۡبُدَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكّٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ مُرِيبٖ[٣] ﴾ ، وقوله تعالى:﴿ قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ مَا نَفۡقَهُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفٗا ﴾[٤] وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَآۖ إِنَّهُۥ قَدۡ جَآءَ أَمۡرُ رَبِّكَۖ وَإِنَّهُمۡ ءَاتِيهِمۡ عَذَابٌ غَيۡرُ مَرۡدُودٖ ﴾[٥]، وقوله تعالى: ﴿ قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴾[٦]، وقوله تعالى: ﴿ قَالُواْ يَٰهُودُ مَا جِئۡتَنَا بِبَيِّنَةٖ وَمَا نَحۡنُ بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوۡلِكَ وَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴾[٧]، وقوله تعالى: ﴿ قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا فَأَكۡثَرۡتَ جِدَٰلَنَا فَأۡتِنَا بِمَا

---

[١] سورة الأحزاب آية: (٥٩).

[٢] سورة الأحزاب آية: (٤٥)، (٤٦).

[٣] سورة هود آية: (٦٢).

[٤] سورة هود آية: (٩١).

[٥] سورة هود آية: (٧٦).

[٦] سورة هود آية: (٨٧).

[٧] سورة هود آية: (٥٢).

تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾[1]، وقوله تعالى:﴿ قَالُواْ يَـٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾[2].

أما النبي فقد ورد النهي عن مخاطبته باسمه مجردًا في قوله تعالى: ﴿ لَّا تَجْعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[3]، وقد كان الأنبياء يجادلون أممهم عن أنفسهم.

يقول قوم نوح:﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[4]، فقال دافعًا عن نفسه: ﴿ قَالَ يَـٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَـٰلَةٌ وَلَـٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾[5].

وقال قوم هود:﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴾[6]، فقال: ﴿ قَالَ يَـٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَـٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾[7]، وقال فرعون لموسى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَـٰتٍۭ بَيِّنَـٰتٍ ۖ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَـٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴾[8]، فقال موسى:

---

[1] سورة هود آية: (٣٢).

[2] سورة الأعراف آية: (١٣٨).

[3] سورة النور آية: (٦٣).

[4] سورة الأعراف آية: (٦٠).

[5] سورة الأعراف آية: (٦١).

[6] سورة الأعراف آية: (٦٦).

[7] سورة الأعراف آية: (٦٧).

[8] سورة الإسراء آية: (١٠١).

﴿ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَـٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَـٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴾[1].

فتولى الله ﷻ المجادلة عن نبيه ﷺ فلما قالوا: هو شاعر، قال الله تعالى:﴿ وَمَا عَلَّمْنَـٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴾[2]، وقالوا: ﴿كاهن﴾ فقال الله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾[3]، وقالوا: ضال. فقال الله تعالى: ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴾[4]، وقالوا: مجنون، فقال تعالى:﴿ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴾[5].

وأقسم الحق سبحانه وتعالى بحياته، وإنما يقع القسم بالمعظم، فعن ابن عباس قال: ما خلق الله تعالى، وما ذرأ نفسا، وهي أكرم من محمد ﷺ، وما سمعت أن الله أقسم بحياة أحد غيره، فقال: ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾[6] قال ابن عقيل: وأعظم من قوله لموسى: ﴿ وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴾[7] قوله:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَـٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ

---

[1] سورة الإسراء آية: (١,٢).

[2] سورة يس آية: (٦٩).

[3] سورة الحاقة آية: (٤٠ – ٤٣).

[4] سورة النجم آية: (٢ – ٣).

[5] سورة القلم آية: (٣).

[6] سورة الحجر آية: (٧٣).

[7] سورة طه آية: (٤١).

أَجْرًا عَظِيمًا ﴾[1]، وقولـــه: ﴿ لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴾[2]، والمعنى: لا أقسم بالبلد، فإن أقسمت بالبلد فلأنك فيه[3].

وقد أشار الله تعالى إلى أحوال الأنبياء، ثم ذكر التوبة عليهم، فقال: ﴿ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ۝١٢١ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴾[4] فهذا وغيره فيه دلالة على التكريم والتشـــريف الإلهي لعبده ومصطفاه محمدًا ﷺ وأن ذلك الفضل من الله وأنه سبحانه يفعل ما يشاء ويختار.

٦) من خصائصه التشريفية ﷺ القسم ببلده الذي ولد فيه أو حَلَّ فيه.

من خصائصه التي لم تكن لأحد غيره أن أقسم الله سبحانه وتعالى ببلده ﷺ الذي ولد فيه ويبلغ الأمر ذروته في الشرف عندما يجعل ذلك القسم مقيدا بالوقت الذي حل رسول الله ﷺ فيـــه في تلك البلد.

فقـــال الله ﷻ: ﴿ لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴾[5]، وإدخـــال لا النافية للتأكيد شائع في كلام العرب، وفي هذا القسم إظهار لمزيد فضله ﷺ وإشعار بأن شرف المكان بشرف أهله[6]، أي أقسم بالبلد الذي أنت فيه حل والمراد مكة، قال السمرقندي: أجمـــع المفسرون أن معنى {لا أقسم}: أقسم[7].

---

[1] سورة الفتح آية: (١٠).

[2] سورة البلد آية: (١ - ٢).

[3] «الشفا في حقوق المصطفي» (ج ١ ص ٣٣)، و«غاية السول في خصائص الرسول ﷺ» لابن الملقن (ج ١ ص ٧).

[4] سورة طه آية: (١٢١ – ١٢٢).

[5] سورة البلد آية: (١ – ٢).

[6] «عظيم قدره» (ص: ٧٨).

[7] «فتح القدير» (ج٥ ص٤٦٩).

ومعناه نحلف لك بهذا البلد الذي شرفته بمكانك فيه حيا[1]، والمعنى على كلا الحالين أقسم بالبلد الذي حللت فيه؛ لأنه صار ذا شرف بحلولك فيه، أو: لا أقسم بالبلد الذي حللت فيه، وإنما أقسم بك أنت، وهذا شرف عظيم تعجز العقول البشرية عن إدراك أسراره ومعانيه، وشَرَفٌ ما بعده شرف، وفضل فوق كل فضل؛ لأنه سبحانه لا يقسم إلا بما له عظمة وفضل ومكانة عنده سبحانه.

٧) من خصائصه التشريفية القسم له ﷺ.

من خصائصه التشريفية أنه كما أقسم الله سبحانه بحياة الرسول ﷺ وببلده فإنه سبحانه وتعالى أقسم له بأشياء عظيمة: كالقلم، والنجم ،والضحى، وق وغيرها،

وافتتح بها سورا خاصة ،وكلها قسم له ،ودفاع عنه ،وأنه وصل إلى حد الكمال البشري الذي لم يصل إليه غيره، وهذا غاية التقدير والتعظيم والتفخيم. ففي سورة الضحى قال سبحانه: ﴿ وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ۝٤ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ[2]﴾ ففي هذه الآيات من العبرة بما أقسم له عما أخبره به من حاله وبيان مكانته ﷺ عنده: ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴾ وبيان ما في الآخرة له، وأنه أعظم مما في الدنيا: ﴿ وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ﴾، وبيان كرم الله ﷻ في إعطائه حتى رضاه: ﴿ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ﴾ ما هو بين وواضح وقال سبحانه في سورة النجم: ﴿والنجم إذا هوى، ما ضل صاحبكم وما غوى، وما ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى﴾[3].

---

[1] «تفسير القرطبي» (ج٢٠ ص ٥٤)، و«الشفا» (ج١ ص٣٣)، و«غاية السول في خصائص الرسول ﷺ» (ج ١ ص٦٩).

[2] سورة الضحى آية: (١ : ٥).

[3] سورة النجم الآيات: (١ : ٣).

وقال عز شأنه في القسم بـ«ن» وبالقلم: ﴿ نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ۝١ مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ ۝٢ وَإِنَّ لَكَ لَأَجۡرًا غَيۡرَ مَمۡنُونٖ ۝٣ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ ۝٣٨ وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ ۝٣٩ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ۝٤٠ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ ۝٤١ وَلَا بِقَوۡلِ كَاهِنٖۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٤٢ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ۝١٥ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ۝١٦ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ۝١٧ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ۝١٨ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ۝١٩ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ۝٢٠ مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ ۝٢١ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجۡنُونٖ ﴾[3] فالرسول الكريم في الأولى هو الرسول البشري ﷺ وفي الثانية هو: الرسول الملكي، ثم ليس الرسول البشري بمجنون، حاشاه ﷺ، ثم في سورة يس أقسم به على أنه من المرسلين، أو أقسم بالقرآن الحكيم على أنه من المرسلين، فقال:﴿ يسٓ ۝١ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝٣ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾[4]، والمعنى: يا يس، والقرآن الحكيم إنك لمن المرسلين، أو: وَيَس والقرآن الحكيم: إنك لمن المرسلين، وهذا معناه أنه أقسم بهذه الأشياء كلها على أمور هامة للرسول الأكرم ﷺ.

من أهمها ما يلي[5]:

١- قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ﴾[1].

---

[1] سورة القلم الآيات من: (١ : ٤).

[2] سورة الحاقة آيات: (٣٨ : ٤٣).

[3] سورة التكوير، الآيات: (١٥ : ٢٢).

[4] سورة يس آيات (١ : ٤)، وانظر: «عظيم قدره» (ص: ٧٩).

[5] «الشفا» (ج١ ص٣٣)، و«بداية السول في تفضيل الرسول» للعز بن عبد السلام (ص: ٢٨).

٢- قوله تعالى: ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴾ [٢].

٣- قوله تعالى: ﴿ وَلَلْأٓخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ﴾[٣].

٤- قوله تعالى:﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴾[٤] .

وقال القاضي أبو الفضل: تضمنت سورة الضحى من كرامة الله تعالى له، وتنويهه به، وتعظيمه إياه **ستة وجوه:**

الأول: القسم له عما أخبره به مِن حَالِه بقوله تعالى:﴿ وَٱلضُّحَىٰ ۝ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴾، أي ورب الضحى، وهذا من أعظم درجات المبرة.

الثاني: بيان مكانته عنده وحظوته لديه بقوله تعالى: ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴾، أي: ما تركك وما أبغضك[٥]، وقيل: ما أهملك بعد أن اصطفاك.

الثالث: قوله تعالى: ﴿ وَلَلْأٓخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ﴾ قال أبو عبيدة: أي ما لك في مرجعك عند الله أعظم مما أعطاك من كرامة الدنيا[٦].

وقال سهل: أي ما ادخرت لك من الشفاعة، والمقام المحمود خير لك مما أعطيتك في الدنيا.

الرابع: قوله تعالى: ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴾، فهذه الآية جامعة لوجوه الكرامة، وأنواع السعادة، وشتات الإنعام في الدارين، والزيادة.

---

[١] سورة القلم الآية: (٤).

[٢] سورة الضحى آية: (٥).

[٣] سورة الضحى آية: (٤).

[٤] سورة النجم آية: (١٨).

[٥] «الدر المنثور» (ج٨ ص٥٤١)، و«الخصائص الكبرى» (ج٢ ص٢٩٦).

[٦] «زاد المسير» (ج٩ ص١٥٧).

الخامس: ما عدده تعالى عليه من نعمه، وقرره من آلائه قبله في بقية السورة، مِن هدايته إلى ما هداه له، أو هداية الناس به على اختلاف التفاسير، ولا مال له، فأغناه بما آتاه، أو بما جعله في قلبه من القناعة والغنى، ويتيماً فحدب عليه عمه وآواه إليه[1].

وبهذا فقد تنوع القسم التشريعي للرسول الأكرم ﷺ في القرآن على أنواع أربعة وهي:

١. القسم به ﷺ كما في الحجر: {لَعَمْرُكَ إِنَّهُم لَفِي سَكْرَتِهِم يَعْمَهُوْنَ}، أي: وحياتك يا محمد[2].

٢. القسم بالمكان الذي حل فيه، كما في سورة البلد.

٣. القسم له على صِدْقِه ودفاعا عنه، كما في سورة النجم.

٤. القسم على علو مكانته وشرافة منزلته عند الله؛ كما في الضحى.

وهذه كلها خصائص وفضائل وعلامات شاهدة على مكانة النبي الأكرم ﷺ.

٨) من خصائصه ﷺ التشريفية استِمْرَارُ الصَّلَاةِ عليه ﷺ من الله تعالى وملائكته من الأبد للأبد.

ومن عظم قدره ﷺ ورفعة مكانته، وعلو مقامه، وتميزه على سائر الخلق عند الله تعالى ما شرفه الله به من: استمرار صلاة الله وتعالى وملائكته الكرام عليهم السلام عليه ﷺ، من الأبد للأبد، وهذا سر من أسرار التفضيل والإعجاز والتشريف فيها، حيث أمر الله ﷻ المؤمنين أن يصلوا، لكن أبي لهم أن يصلوا عليه؟ والله ﷻ يصلي عليه، قال الله سبحانه وتعالى:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾[3]؛

---

[1] «الشفا» (ج١ ص ٣٧)، و«غاية السول في خصائص الرسول ﷺ» لابن الملقن (ج١ ص ٨٧).

[2] «الخصائص الكبرى» (ج ٢ ص ٢٨٢).

[3] سورة الأحزاب آية: (٥٦).

ولهذا فإن هذه الآية اشتملت على وجوه متعددة من معاني التشريف، والتكريم، والإعجاز المتعلق بشرافة قدر ومقدار رسول الله ﷺ[1].

ومن أهمها ما يلي:

أولا: ما ذكر في الآية الكريمة من جملة {إِنَّ اللهَ} الاسمية، وصيغة الفعل المضارع: {يُصَلُّونَ} تقتضي التجدد والاستمرار، أي: تجدد التمجيد والتشريف الحاصل بالصلاة الدائمة وقتا وقتا على الدوام.

فيكون المعنى: صلاة الله ﷻ وملائكته على النبي ﷺ متجددة باستمرار؛ لذا يكون معنى الآية: أن الله أخبر عباده بمنزلة النبي ﷺ في الملأ الأعلى بأنه ﷻ يثني عليه عند الملائكة، وأن الملائكة تصلي عليه، ثم أمر الله تعالى العالم الأدنى بالصلاة والتسليم عليه؛ ليجتمع الثناء عليه من العالمين العلوي والأدنى جميعًا، ولم يقل أن الله صلى على النبي بصيغة الماضي، وإنما قال: ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ** ﴾ يصلون دائمًا وأبدًا، صلاة دائمة، متجددة، مستمرة، سرمدية، أبدية، لا بداية لها، ولا نهاية من قبل خلق الخلق إلى ما لا نهاية.

وقد قال الله تعالى: ﴿ **يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ** ﴾، ولم يقل يصلون عليك، أو يصلون على محمد، وذلك وجه تكريم آخر له ﷺ وإشعاراً بما اختص به من مزيد من الفخامة، والكرامة، والشرف، وعلو القدر، حيث لم يخاطبه باسمه المجرد، كما أنه لم يقل: على رسوله؛ لأن جانب الرسالة مرتبط بالخلق، وأيضا ليفيد قوة استحقاقه ﷺ بالصلاة عليه؛ لذا علقها بالنبوة، وإن كان قد يعبر بالنبوة على الرسالة.

ولهذا أكد الله تعالى ذلك بالألف واللام (ال) إشارة إلى أنه ﷺ المعروف، والحقيق بهذا الوصف، وهذا التكريم والتشريف ليس إلا للنبي محمد ﷺ خاصة، وإن ذكر في موضع آخر صلاة الله على

---

[1] «عظم قدره» (ص: ١,١ - ١,٢).

المؤمنين، فلأنهم تبع للنبي ﷺ، وأن صلاته على النبي ﷺ ابتداء من غير تبع لأحد، ولا علة لشيء[1].

ثانيا: ما قيمة صلاتنا نحن البشر مع صلاة الملائكة؛ بل ما قيمة صلاة الملائكة مع صلاة الله سبحانه وتعالى المتجددة المستمرة؟ وهل يستطيع أحد من أهل الملأ الأدنى أن يصلي عليه بعدما أخبر الله تعالى أنه وملائكته يصلون عليه؟

فهذا فقط إشارة إلى علو قدره ورفعة مقامه، وأن منزلته فوق التكليف؛ لأنه لا يستطيع أحد أن يصلي عليه بعد صلاة الله وملائكته، فلم يبق إلا أن يشتغل العباد بطلب الصلاة عليه فقط، وهذا سر آخر.

وقد قال لهم النبي لما سألوه: «كَيْفَ نصلي عليك؟» فقال: «**قُوْلُوا اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ** ...»[2]، يعني: اطلبوا من الله أن يصلي؛ لأنكم أنتم لا تستطيعون الصلاة عليه ﷺ ما دام الله تعالى يصلي عليه ﷺ، كما أن جملة: «صلى الله عليه وسلم» جملة دعائية، معناها: طلب الثناء من الله تعالى على النبي ﷺ، ومع هذا فليس ذلك أيضًا إلا لحاجتنا نحن لئن نطلب من الله أن يصلي عليه، ونكثر في الطلب؛ لكي يثيبنا الله تعالى على ذلك؛ لأنه ﷺ ليس بحاجة إلى صلاتنا عليه، طالما أن الله تعالى وملائكته يصلون عليه، لكن الفائدة فيها لنا نحن؛ كي يرحمنا الله، ويعطينا الثواب عليها، وثواب المؤمن إذا صلى على نبيه ﷺ مرة واحدة: أن يصلي الله سبحانه وتعالى عليه عشراً.

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**مَن صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ عَشْرًا**»[3]، والصلاة من الله ﷻ على عبده: هي: إخراج له من الظلمات إلى النور، كما قال ﷻ:

---

[1] «شرح مسلم» للنووي (ج٤ ص١٧١٢)، و«المجتبي» (ج٣ ص٤٧).

[2] أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب: تفسير سورة الأحزاب، رقم (٤٥٢٠)، (ج ٤ ص١٨,٢)، وأخرجه مسلم، كتاب الصلاة، باب: الصلاة على النبي ﷺ بعد التشهد، رقم (٤,٥) (ج ١ ص ٣,٥).

[3] أخرجه مسلم، كتاب الصلاة، باب استحباب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه، ثم يصلي على النبي ﷺ، ثم يسأل الله له الوسيلة، رقم: (٣٨٤)، (ج ١ ص ٢٨٨).

﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمًا ﴾ [1]، فتكون صلاة العبد المسلم على رسول الله ﷺ : هي إخراج ذلك المسلم من الظلمات إلى النور.

ثالثا: أن صلاة العبد على النبي ﷺ هي في الحقيقة طلب من الله تعالى أن يصلي على نبيه ﷺ؛ لأنه يقول:«اللهم صلِّ» والله تعالى أخبرنا أنه يصلي وملائكته باستمرار: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ ﴾ فطلب العبد هو تحصيل حاصل، فهو يطلب من الله تعالى أن يصلي على النبي ﷺ، واكتفى الله تعالى بذلك القدر من العبد، وهو يثيبه عليه أيضًا، وذلك أن مقام النبي ﷺ أعلى وأرفع من أن يناله العبد.

رابعا: إن الله تعالى لا يحب أن تكون لأحد من الخلق منة على رسوله بل المنة على رسول الله ﷺ هي لله تعالى وحده كما في: ﴿ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمًا ﴾ [2]، فإذا نحن صلينا عليه ﷺ – حقيقة – كانت المنة لنا، بينما المنة علينا لله تعالى ولرسوله.

وأيضا فإن صلاتنا عليه يكون مَرْدُودُهَا لَنَا نَحْنُ، حيث يصلي الله تعالى علينا كما صلينا على رسوله ﷺ، وتضاعف صلاة الله علينا عشر مرات عند كل مرة، فنحن نطلب من الله تعالى أن يصلي على النبي ﷺ لحاجتنا نحن كي يرحمنا ربنا، ويغفر لنا، فهي من تشريع الرحمة حيث جعل فضل الصلاة على النبي ﷺ أجرها كله رحمة للأمة، وهذا من خصائصه ﷺ.

خامسا: جعل الله للصلاة على نبيه ﷺ فضائل ومزايا لمن فعلها من الأمة، وهذا وجه اختصاص آخر يقف العقل عنده إجلالا وإكبارًا للمشرع الحكيم سبحانه.

ومن تلك الفضائل ما يلي:

---

[1] سورة الأحزاب، آية: (٤٣).

[2] سورة النساء آية: (١١٣).

١- عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ صَلَّى عَلَى مُحَمَّدٍ، وَقَالَ: اللَّهُمَّ أَنْزِلْهُ الْمَقْعَدَ الْمُقَرَّبَ عِنْدَكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَجَبَتْ لَهُ شَفَاعَتِي**»[(١)].

٢- وعن عبد الله بن أبي طلحة، عن أبيه: ثم أن رسول الله ﷺ جاء ذات يوم والبشرى في وجهه، فقلنا: إنا لنرى البشرى في وجهك، فقال: إنه أتاني الملك فقال: «**إِنَّهُ أَتَانِي الْمَلَكُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ رَبَّكَ يَقُولُ: أَمَا يُرْضِيكَ أَنَّهُ لَا يُصَلِّي عَلَيْكَ أَحَدٌ إِلَّا صَلَّيْتُ عَلَيْهِ عَشْرًا، وَلَا يُسَلِّمُ عَلَيْكَ أَحَدٌ، إِلَّا سَلَّمْتُ عَلَيْهِ عَشْرًا**»[(٢)].

٣- وعن فضالة بن عبيد[(٣)] يقول: سَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَجُلًا يَدْعُو فِي صَلَاتِهِ لَمْ يُمَجِّدِ اللَّهَ، وَلَمْ يُصَلِّ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**عَجِلْتَ أَيُّهَا الْمُصَلِّي**»، ثُمَّ عَلَّمَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَسَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَجُلًا يُصَلِّي، فَمَجَّدَ اللَّهَ وَحَمِدَهُ، وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ادْعُ تُجَبْ، وَسَلْ تُعْطَ**»[(٤)].

٤- وأن ابن عباس كان يقول: اللهم تقبل شفاعة محمد الكبرى، وارفع درجته العليا، وأعطه سؤله في الآخرة والأولى، كما آتيت إبراهيم وموسى عليهما السلام.

٩) من خصائصه التشريفية رفع ذكره ﷺ.

مما لا خلاف فيه بين أهل العلم جميعًا، أن الله رفع ذكر الحبيب المصطفى ﷺ، وأن هذا من الأمور التي خص الله بها نبيه ﷺ، وشرفه وفضله بها **والدليل على ذلك من الكتاب قوله تعالى :**

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده، (حديث رويفع بن ثابت الأنصاري ﷺ)، رقم: (١٧,٣٢) (ج٤ ص ١,٨).

(٢) أخرجه النسائي، باب فضل التسليم على النبي ﷺ، رقم: (١٢٨٣)، (ج ٣ ص٤٤)، وقال الشيخ الألباني: «حسن».

(٣) هو: فضالة بن عبيد بن نافذ بن قيس بن صهيب، أبو محمد، الأنصاري الأوسي، صهيب، أبو محمد، الأنصاري الأوسي، صحابي، ممن بايع تحت الشجرة . شهد أحداً وما بعدها، وشهد فتح الشام ومصر، روى عن النبي وله خمسون حديثاً. انظر ترجمته في: «الإصابة» (ج٣ ص٢,٦)، و«الاستيعاب» (ج٣ ص١٢٦٢)، و«الأعلام» (ج٥ ص٣٤٩).

(٤) أخرجه النسائي في «السنن الكبرى»، كتاب الافتتاح، باب: التمجيد والصلاة على النبي ﷺ في الصلاة، رقم: (١٢٨٤) (ج ٣ ص ٤٤).

﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾[1] والمقام مقام تشريف وتفضيل، وإن كان فيه معنى الإعجاز حيث لا يمكن أن يتحقق ذلك لأحد إلا من قبل الله تعالى.

قال القرطبي معلقًا وشارحًا: هذا من باب التمثيل يشير إلى أن دينه يسود في الأرض، وينتشر، وقيل في اقتران ذكر اسم النبي ﷺ مع اسمه تعالى في الشهادتين في الصلاة، والأذان أي: معنى رفع ذكره ﷺ[2].

وقال مجاهد: يعني بالتأذين، وفيه يقول حسان بن ثابت:

أَغَرُّ عَلَيْه للنُّبُوَّة خاتَمٌ *** مِنَ الله مَشْهودٌ يَلوحُ ويُشْهَدُ

وضَمَّ الإلهُ اسْمَ النبيِّ إلى اسمه *** إذا قالَ في الخَمْسِ المُؤَذِّنُ: «أَشْهَدُ»[3]

وروي الضحاك عن ابن عباس قال: يقول الله له: «لا ذُكِرْتُ إلَّا ذُكِرْتَ مَعِي في الأذان والإقامة، والتشهد، ويوم الجمعة على المنابر، ويوم الفطر، ويوم الأضحى، وأيام التشريق»[4].

وقوله: ورفعنا لك ذكرك يقول: ورفعنا لك ذكرك، فلا أُذْكَرُ إلَّا ذُكِرْتَ مَعِي، وذلك قول: «لا إله إلا الله محمد رسول الله»[5].

وقيل: رفع الله ذكره بأخذ ميثاقه على النبيين وإلزامهم الإيمان به والإقرار بفضله، ثم وعده اليسر والرخاء بعد الشدة وذلك أنه كان بمكة في شدة[6].

وأما الدليل من السنة فأحاديث كثيرة منها ما يلي:

---

[1] سورة الشرح الآيات (١ : ٤).

[2] «تفسير القرطبي» (ج٢٠ ص ١,٦).

[3] «تفسير القرطبي» (ج٢٠ ص ٩٨)، و«فتح القدير» (ج ٥ ص ٦٥٥).

[4] «تفسير البغوي» (ج ١ ص ٤٦٣).

[5] «تفسير الطبري» (ج٣٠ ص ٢٣٥).

[6] «تفسير البغوي» (ج ١ ص ٤٦٣).

١- ما روي عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ «**أَتَانِي جِبْرِيْلُ فَقَــالَ: إنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ يَقُولُ لَكَ: «أَتَدْرِي كَيْفَ رَفَعْتُ ذِكْرَكَ؟ إذَا ذُكِرْتُ ذُكِرْتَ مَعِي»** »[1]، وهذا لم يحظ به أحد غير النبي محمد ﷺ وهو تشريف عظيم من الله تعالى لنبيه.

١٠) من الخصائص التشريفية له ﷺ : رؤيته ﷺ من وراء ظهره.

من الخصال والفضائل الكريمة التي شَرَّف الله بها حبيبه وفضله بها: أنه ﷺ يَرَي مِن خَلْفِه كما يرى مِن أَمَامِهِ وقد دلت النصوص الصحيحة على هذا الفضل وتلك المعجزة، **ومن ذلك ما يلي:**

١- عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**هَلْ تَرَوْنَ قِبْلَتِي هَا هُنَا؟ فَوَاللهِ مَــا يَخْفَــى عَلَيَّ رُكُوعُكُمْ، وَلَا سُجُودُكُمْ إِنِّي لَأَرَاكُمْ وَرَاءَ ظَهْرِي**»[2].

٢ - وعن أبي هريرة ﷺ قال: صَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمًا ثُمَّ انْصَرَفَ فَقَالَ: «**يَا فُلَانُ، أَلَا تُحْسِنُ صَلَاتَكَ؟ أَلَا يَنْظُرُ الْمُصَلِّي إِذَا صَلَّى كَيْفَ يُصَلِّي؟ فَإِنَّمَا يُصَلِّي لِنَفْسِهِ، إِنِّي وَاللهِ لَأُبْصِرُ مِــنْ وَرَائِي كَمَا أُبْصِرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ**» [3].

قال الشافعي[4] معلقًا على رواية: «**إِنِّي لَأَرَاكُم مِن وَرَاءِ ظَهْرِي**»: كرامة من الله تعالى أبانه بها من خلفه.

---

[1] أخرجه ابن حبان في «صحيحه»، كتاب الزكاة، باب ذكر الإخبار عن إباحة تعداد النعم للمنعم على المنعم عليه في الدنيا، رقم (٣٣٨٢) (ج ٨ ص ١٧٥)، وفي «مسند أبي يعلى»، من مسند أبي سعيد الخدري، رقم (١٣٨٠) (ج ٢ ص٥٢٢)، وفي «مجمع الزوائد»، كتاب علامات النبوة، باب: عظم قدره ﷺ، رقم (١٣٩٢٢) (ج ٨ ص ٤٥٥).

[2] أخرجه البخاري، في أبواب المساجد، باب عظة الإمام الناس في إتمام الصلاة وذكر القبلة، رقم (٤,٨) (ج١ ص١٦١)، وأخرجه مسلم في المساجد ومواضع الصلاة، باب: الأمر بتحسين الصلاة وإتمامها والخشوع فيها رقم (٤٢٤) (ج١ ص٣١٩).

[3] أخرجه مسلم، كتاب الصلاة، باب: الأمر بتحسين الصلاة وإتمامها والخشوع فيها، رقم (٤٢٣)، (ج ١ص ٣١٩).

[4] هو: محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع . من بني المطلب من قريش، أحد أئمة المذاهب الأربعة، وإليه ينتسب الشافعية، جمع إلى علم الفقه القراءات وعلم الأصول والحديث واللغة والشعر، ونشر مذهبه بالحجاز والعراق، ثم انتقل إلى مصر (١٩٩ هـــ)، ونشر بها مذهبه أيضا، وبها توفي (سنة ٢,٤ هـــ)، من تصانيفه: الأم في الفقه؛ والرسالة في

وقال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ في شرحه لصحيح مسلم: قال العلماء: معناه أن الله تعالى خلق له ﷺ إدراكًا في قفاه، يبصر به من ورائه، وقد انخرقت العادة له ﷺ بأكثر من هذا، وليس يمنع من هذا عقل ولا شرع؛ بل ورد الشرع بظاهرة فوجب القول به[1].

ويرى جمهور العلماء: أن هذه الرؤية رؤية بالعين حقيقة [2].

قال مجاهد: كان النبي ﷺ يرى مَنْ خَلْفَهُ من الصفوف، كما يرى مَن بَيْنَ يديه[3].

٣ – حديث أنس بن مالك أنه ﷺ قال: «**أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي إِمَامُكُمْ، فَلَا تَسْبِقُونِي بِالرُّكُوعِ وَلَا بِالسُّجُودِ، وَلَا بِالْقِيَامِ وَلَا بِالِانْصِرَافِ، فَإِنِّي أَرَاكُمْ أَمَامِي وَمِنْ خَلْفِي**» ثُمَّ قَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْ رَأَيْتُمْ مَا رَأَيْتُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا**» قَالُوا: وَمَا رَأَيْتَ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «**رَأَيْتُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ**»[4].

وهذه خصيصة له ﷺ لم يعطها الله تعالى لأحد إلا للنبي محمد ﷺ تشريفًا وتكريمًا.

١١) من خصائصه ﷺ شهادة الله وملائكته له ﷺ بالرسالة ودين الحق.

لقد بلغ الأمر ذروته في التعظيم، والتقدير، والتشريف، أن يشهد الله ﷻ وملائكته الكرام عليهم السلام لنبيه وصفيه محمد ﷺ أنه أنزل عليه الكتاب بالحق، وأنه ﷺ أرسله للناس كلـــهم، وأن دينه سيظهر على الأديان؛ لأنه ﷺ مرسل بدين الحق في حين أن باقي الرسل يشهد عليهم النبي محمد ﷺ وأمته، وهذا هو وجه الفرق، والأدلة على ذلك أكثر من أن تحصى منها ما يلي:

أصول الفقه؛ وأحكام القرآن؛ واختلاف الحديث وغيرها .ترجمته في: «تذكرة الحفاظ» (ج١ ص ٣٢٩)؛ و«تاريخ بغداد» (ج٢ ص ٥٦ – ١,٣).

[1] «شرح النووي على مسلم» (ج ٤ ص ١٤٩).

[2] «عمدة القاري» (ج ٤ ص ١٥٦)، و«فيض القدير» (ج ٢ ص ٧٦)، و«تنوير الحوالك» (ج ١ – ص ١٣٩).

[3] «الشفا» (ج ١ ص ٦٧).

[4] أخرجه مسلم، كتاب الصلاة، باب: تحريم سبق الإمام بركوع أو سجود ونحوهما، رقم: (٤٢٦) (ج١ ص ٢٣٠).

١- قوله تعالى: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [١] أي على رسالته ﷺ، وأنه مرسل من ربه بالحق.

٢- قوله تعالى: ﴿ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَشۡهَدُونَۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾ [٢].

٣- وقوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسۡتَ مُرۡسَلٗاۚ قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ وَمَنۡ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ [٣]

٤- وقوله تعالى: ﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَۚ وَأَرۡسَلۡنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولٗاۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾ [٤].

٥- وقوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾[٥].

٦- وقوله تعالى: ﴿ أَوَلَمۡ يَكۡفِهِمۡ أَنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحۡمَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ۝٥١ قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ شَهِيدٗاۖ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ وَكَفَرُواْ بِٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴾[٦]، ففي كل تلك الآيات دلالة واضحة على شهادة الله وملائكته للنبي ﷺ

---

[١] سورة النساء آية: (١٦٥).

[٢] سورة النساء آية: (١٦٥-١٦٦).

[٣] سورة الرعد آية: (٤٣).

[٤] سورة النساء آية: (٧٩).

[٥] سورة الفتح آية: (٢٨).

[٦] سورة العنكبوت آية: (٥٠ - ٥٢).

بالرسالة، وهذا لم يكن لأحد إلا للنبي ﷺ فبدلا من أن يسأله؛ يشهد له هو وملائكته على التبليغ والرسالة، أما في حق الرسل فقال تعالى : ﴿ لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدًا ﴾[1] وقد سبق ذلك.

١٢) من خصائصه التشريفية إمامته بالأنبياء عليهم السلام في بيت المقدس:

من الخصائص التشريفية التي تدل على تقديمه ﷺ وفضله، وعلو منزلته، وعظم شأنه، ورفعة قدره ﷺ: صلاته بالأنبياء – عليه وعليهم الصلاة والسلام – ليلة أسري به إمامًا في بيت المقدس؛ إذ لا يؤم القوم إلا الأفضل والأعلم والأكمل.

فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : «**لَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي الْحِجْرِ وَقُرَيْشٌ تَسْأَلُنِي عَنْ مَسْرَايَ، فَسَأَلَتْنِي عَنْ أَشْيَاءَ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ لَمْ أُثْبِتْهَا، فَكُرِبْتُ كُرْبَةً مَا كُرِبْتُ مِثْلَهُ قَطُّ**»، قَالَ: «**فَرَفَعَهُ اللهُ لِي أَنْظُرُ إِلَيْهِ، مَا يَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ إِلَّا أَنْبَأْتُهُمْ بِهِ، وَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، فَإِذَا مُوسَى قَائِمٌ يُصَلِّي، فَإِذَا رَجُلٌ ضَرْبٌ، جَعْدٌ كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ، وَإِذَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عليه السلام قَائِمٌ يُصَلِّي، أَقْرَبُ النَّاسِ بِهِ شَبَهًا عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيُّ، وَإِذَا إِبْرَاهِيمُ عليه السلام قَائِمٌ يُصَلِّي، أَشْبَهُ النَّاسِ بِهِ صَاحِبُكُمْ** – يَعْنِي: نَفْسَهُ – **فَحَانَتِ الصَّلَاةُ فَأَمَمْتُهُمْ** ... »[2].

١٣) من الخصائص التشريفية له ﷺ أن جعل الله قرنه ﷺ خير قرون بني آدم.

من الخصائص التشريفية والتفضيلية التي تدل على فضله، وعلو منزلته، وعظم شأنه، ورفعة قدره ﷺ: أن جَعَلَ الله ﷻ القرن الذي بعث فيه نبينا محمد ﷺ هو خير قرون الناس كلها، كما أن

---

[1] سورة البقرة آية: (١٤٣).

[2] أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب ذكر المسيح بن مريم والمسيح الدجال، رقم (١٧٢) (ج ١ ص ١٥٦).

قرنه ﷺ هو خير قرون أمته، والقرون التي تلي قرنه ﷺ، وهذا تشريف وتفضيل لم يكن لأحد إلا النبي ﷺ **يدل على ذلك ما يلي:**

١- عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**بُعِثْتُ مِن خَيْرِ قُرُونِ ابْنِ آدَمَ قَرْنًا فَقَرْنًا حَتَّى كُنْتُ مِن القَرْنِ الذِي كُنْتُ فِيْهِ**»[١].

٢- وعن ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**خَيْرُ قُرُونِ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الذِيْنَ يَلُونَهُم، ثُمَّ الذِيْنَ يَلُونَهُم، ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِم يَمِيْنَهُ، وَيَمِيْنُهُ شَهَادَتَهُ**»[٢].

٣- وعن عمران بن حصين ﷺ، أن النبي ﷺ قال: «**خَيْرُكُم قَرْنِي، ثُمَّ الذِينَ يَلُونَهُم، ثُمَّ الذِيْنَ يَلُونَهُم** - قال عمران: فلا أدري أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثة ؟ - **ثُمَّ إنَّ بَعْدَهُم قَوْمًا يَشْهَدُونَ وَلاَ يُسْتَشْهَدُونَ، وَيَخُونُونَ وَلاَ يُؤْتَمَنُونَ، وَيَنْذُرُونَ وَلاَ يَفُونَ، وَيَظْهَرُ فِيهِمُ السِّمَنُ**»، زاد في رواية عند مسلم: «**وَيَحْلِفُونَ وَلَا يُسْتَحْلَفُونَ**»[٣].

١٤) من الخصائص التشريفية له ﷺ أنَّ الله ﷻ وصفه في كتابه عضوًا عضوًا.

مِن الخصائص التشريفية التكريمية للنبي الأكرم ﷺ أن الله وصف أعضاءه في مُحْكَمِ آياته، **وهذا لم يتحقق لأحد قط إلا النبي محمد ﷺ**[٤].

فقال تعالى في ذِكْرِ وَجْهِهِ:﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾[١]، وقال ﷻ في ذِكْرِ عَيْنَيْهِ: ﴿ ولَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ ﴾[٢]، وقال ﷻ في ذِكْرِ لِسَانِه: ﴿ فَإِنَّمَا

---

[١] أخرجه البخاري، كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ، رقم (٣٣٦٤) (ج٣ ص١٣,٥).

[٢] أخرجه البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أصحاب النبي ﷺ، ورضي الله عنهم، رقم (٣٤٥١) (ج ٣ ص ١٣٣٥).

[٣] متفق عليه: أخرجه البخاري، كتاب الشهادات، باب لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد، رقم: (٢٥,٨) (ج٣ ص١٣٦٠)، ومسلم في فضائل الصحابة، باب: فضل الصحابة ثم الذين يلونهم رقم: (٢٥٣٥).

[٤] «الخصائص الكبرى» (ج٢ ص٢٩٨).

يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [٣]، وقال ﷻ في ذِكْرِ يَدِه وعُنُقِه: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ ﴾ [٤].

وقال ﷻ في ذِكْرِ صَدْرِه وَظَهْرِه:﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴾ [٥]، وقال ﷻ في ذِكْرِ قَلْبِهِ: ﴿ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ [٦].

وعن أنس ﷺ قال: « ... **فَتَوَلَّاهُ مِنْهُمْ جِبْرِيلُ، فَشَقَّ جِبْرِيلُ مَا بَيْنَ نَحْرِهِ إِلَى لَبَّتِهِ حَتَّى فَرَغَ مِنْ صَدْرِهِ وَجَوْفِهِ، فَغَسَلَهُ مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ بِيَدِهِ، حَتَّى أَنْقَى جَوْفَهُ، ثُمَّ أُتِيَ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ فِيهِ تَوْرٌ مِنْ ذَهَبٍ، مَحْشُوًّا إِيمَانًا وَحِكْمَةً، فَحَشَا بِهِ صَدْرَهُ وَلَغَادِيدَهُ** - يَعْنِي عُرُوقَ حَلْقِهِ - »[٧].

وقال تعالى في خُلُقِهِ: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [٨].

وَوَصفَهُ كُلَّهُ بِأَنَّهُ نُورٌ فقال: ﴿ قَد جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴾ [٩].

---

[١] سورة البقرة آية: (١٤٤).

[٢] سورة الحجر آية: (٨٨).

[٣] سورة مريم آية: (٩٧).

[٤] سورة الإسراء آية: (٢٩).

[٥] سورة الشرح الآيات: (١ : ٣).

[٦] سورة البقرة آية: (٩٧).

[٧] أخرجه البخاري، كتاب التوحيد، باب قوله: {وكلم الله موسى تكليما}، رقم: (٧,٧٩)، وأخرجه مسلم في الإيمان باب الإسراء برسول الله ﷺ، رقم: (١٦٢) (ج ١ ص١٤٩).

[٨] سورة القلم آية: (٤).

[٩] سورة المائدة آية: (١٥).

١٥) من خصائصه ﷺ التشريفية أن الله تعالى وصفه بأنه نور وسراج منير.

من الفضائل والخصائص التشريفية والتكريمية التي لا حصر لها، والعطاء الذي لا حدود له من رب العطاء على خير البرية ما منحه الله ﷻ، وأكرمه، وفضله، وشرفه به أن وصفه بأنه: نور، يهتدي به من كتب الله له سعادة الدارين، ولا يستنير به من كُتب عليه الشقاوة والطرد والحرمان، وقد ذكر ذلك كما في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ١٥ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ[(١)] ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ٤٦ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا ٤٧ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَدَعۡ أَذَىٰهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴾[(٢)].

فقد وصفه الله ﷻ بالسراج المنير، بينما وصف الشمس بالسراج الوهاج، ووصف القمر بالمنير، فيكون قد جمع بين ضياء الشمس ونور القمر؛ وذلك لأن الوهاج: هو الحار المضْطَرِمُ الاتِّقَاد المتعالي اللَّهَب، وهذا لا يَحْسُنُ أنْ يكون عن قرب؛ لأنه يَحْرِق.

وعَبَّر عَنْهُ بالسراج؛ لأنه يزيل الظلمات، ويقتبس منه المهتدون إلى مناهج الرشد والهداية، كما تزيل الشمس ظلمة الأرض في الليل، ويستضاء به في ظلمات الجهل والغواية، كما يهتدي بالسراج في الظلام[(٣)].

[(١)] سورة المائدة: (١٥)، و(١٦).

[(٢)] سورة الأحزاب: (٤٥ : ٤٨).

[(٣)] «تفسير البيضاوي» (ج١ ص ٣٧٩)، و«تفسير البغوي» (ج١ ص ٣٦١)، و«فتح القدير» (ج٤ ص ٤,٩).

والسراج يضيء من جميع الجهات الكونية، إلى جميع العوالم إلا من عمى وانطفأت بصيرته، كأبي جهل وأمثاله، كما قال تعالى: ﴿ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾[1]، ووصف بصيغة المبالغة ﴿ مُّنِيرًا ﴾؛ لأن الله ﷻ هو الذي نوَّرَهُ، بخلاف السراج، وإن كان نوره من نفسه، وينور غيره لكنه لا يضيء إذا قل زيته، أو دقت فتيلته، بينما نوره ﷺ من الله تعالى، فهو لا يخبو أبدًا.

ولهذا كان النبي ﷺ يدعو ويقول: «**اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا، وَفِي بَصَرِي نُورًا، وَفِي سَمْعِي نُورًا، وَعَنْ يَمِينِي نُورًا، وَعَنْ يَسَارِي نُورًا، وَفَوْقِي نُورًا، وَتَحْتِي نُورًا، وَأَمَامِي نُورًا، وَخَلْفِي نُورًا، وَاجْعَلْ لِي نُورًا**». ثم ذكر: «**عَصَبِي وَلَحْمِي وَدَمِي وَشَعْرِي وَبَشَرِي ...** »[2].

كما وصفه بوصفَي: الشمس والقمر (السراج، المنير)؛ لأن نورهما أتَمّ مِن نور السراج، ثم سماه سراجًا، ولم يُسَمِّه شمسًا ولا قمرًا؛ لأنهما تزولان يوم القيامة، ويُكَوَّرَانِ، بينما نوره ﷺ يبقى، وكذلك: لأن الشمس والقمر لا ينتقلان من مسارهما، بخلاف السراج، ولم يوصفه بالوهاج؛ لأن التوهج يؤذي بعكس النور، فإنه يريح؛ ولهذا كان ﷺ إذا سُرَّ استَنَارَ وَجْهُهُ حتى كأنه قطعة قمر.

وعن أنس ﷺ قال: «لَمَّا كَانَ اليَوْمُ الَّذِي دَخَلَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ المَدِينَةَ أَضَاءَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ، فَلَمَّا كَانَ اليَوْمُ الَّذِي مَاتَ فِيهِ أَظْلَمَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ، وَمَا نَفَضْنَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْأَيْدِي وَإِنَّا لَفِي دَفْنِهِ حَتَّى أَنْكَرْنَا قُلُوبَنَا»[3].

---

[1] سورة الأعراف آية: (١٩٨).

[2] أخرجه البخاري، كتاب الدعوات، باب: الدعاء إذا انتبه بالليل، رقم: (٥٩٥٧) (ج٥ ص ٢٣٢٧)، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه، رقم: (٧٦٣) (ج١ ص٥٢٥).

[3] أخرجه أحمد في «مسنده»، (مسند أنس بن مالك ﷺ)، رقم (١٣٣٣٦) (ج٣ ص ٢٢١).

المطلب الثاني

من الخصائص التشريفية للنبي ﷺ في الآخرة.

١) من الخصائص التشريفية له ﷺ: أنه أفضل الخلق عند الله، وسيِّد ولد آدم في الدنيا والآخرة.

لا خلاف بين العلماء أن من الخصائص التشريفية له ﷺ: أنه أفضل الخلق وأكرم البشر، وسيد ولد آدم، وأفضل الناس منزلة عند الله وأعلاهم درجة، وأقربهم زلفى، وأن الله فضله وشرفه وكرمه بذلك ولهذا قال الطَّحَاوِيُّ: ويَجِبُ الإيمان بأنه خاتم الأنبياء، وإمام الأتقياء، وسيد المرسلين، وحبيب رب العالمين[١]، وقد اتفق العلماء على أن النبي ﷺ أفضل الخلق عند الله في الدنيا والآخرة[٢]؛ **لدلالة النصوص على ذلك ومنها ما يلي:**

١- قال تعالى: ﴿ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾[٣]، ووجه التفضيل في الآية ظاهر حيث اشتملت على عدة أمور أهمها:

أولا: أن الله أنزل على نبيه الكتاب والحكمة معًا.

ثانيا: أن الله علمه بدون واسطة.

ثالثا: أن الله تعالى خص نبيه بذلك العطاء دون غيره.

---

[١] «العقيدة الطحاوية» (ج١ ص٨).

[٢] «الخصائص الكبرى» (ج١ ص ٦)، و«غاية السول في خصائص الرسول» ﷺ لابن الملقن (ج١ ص ٦٦)، و«شرح العقيدة الواسطية» لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص٢٤٢، و٢٤٣)، و«مجموع الفتاوى» (ج١١ ص ٢٢٤)، و«الموافقات» (ج٤ ص ٢٦٦)، و«القواعد الصغرى» (ج١ ص ١٤٩)، و«عمدة القاري» (ج١٥ ص٢٢١)، و««فتح الباري»» (ج٧ ص ٣٤)، و««بداية السول في تفضيل الرسول»» (ص٢٤ : ص٢٧).

[٣] سورة النساء آية: (١١٣).

٢- وقال النبي ﷺ: «**عَنْ جِبْرِيلَ عليه السلام قَالَ: قَلَّبْتُ مَشَارِقَ الْأَرْضِ، وَمَغَارِبَهَا، فَلَمْ أَجِدْ رَجُلًا أَفْضَلَ مِنْ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَلَمْ أَرَ بَيْتًا أَفْضَلَ مِنْ بَيْتِ بَنِي هَاشِمٍ**»[١].

٣- قال رسول الله ﷺ : «**أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ، وَأَنَا أَوَّلُ شَافِعٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ**»[٢].

٤- عن واثلة بن الأسقع[٣] قال، قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ**»[٤]، وفي رواية لابن حبان: «**إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى بَنِي هَاشِمٍ مِنْ قُرَيْشٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ، فَأَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ وَلَا فَخْرَ، وَأَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ، وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ**»[٥].

٥- أنه ﷺ قال: «**أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ القِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ، وَبِيَدِي لِوَاءُ الحَمْدِ وَلَا فَخْرَ، وَمَا مِنْ نَبِيٍّ يَوْمَئِذٍ آدَمَ فَمَنْ سِوَاهُ إِلَّا تَحْتَ لِوَائِي، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الأَرْضُ وَلَا فَخْرَ**»[٦].

٦- وعن جابر رضي الله عنه أنه ﷺ قال: «**إِنَّ اللَّهَ أَعْطَى مُوسَى الْكَلَامَ وَأَعْطَانِي الرُّؤْيَةَ وَفَضَّلَنِي بِالْمَقَامِ الْمَحْمُودِ وَالْحَوْضِ الْمَوْرُودِ**»[١].

---

[١] أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط»، رقم: (٦٢٨٥)، (ج٦ ص٢٣٧)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (ج٨ ص٢١٧): «رواه الطبراني في الأوسط، وفيه موسى بن عبيدة الربذي وهو ضعيف».

[٢] أخرجه مسلم، كتاب الفضائل، باب تفضيل نبينا على جميع الخلائق، رقم (٢٢٧٨) (ج٤ ص ١٧٨٢).

[٣] هو: واثلة بن الأسقع بن عبد العزى بن عبد ياليل، أبو الأسقع، وقيل أبو شداد وقيل غير ذلك، الليثي الكناني، صحابي، أسلم قبل تبوك وشهدها، روى عن النبي ﷺ، وعن أبي مرثد وأبي هريرة وأم سلمة وغيرهم، وقيل: أنه خدم النبي ﷺ ثلاث سنين، من أهل الصفة، ثم نزل الشام، قال أبو حاتم: شهد فتح دمشق وحمص وغيرهما، له في كتب الحديث: (٧٦) حديثاً، توفي (سنة: ٨٣ هـ)، «الإصابة» (ج٣ ص٦٢٦)، و«أسد الغابة» (ج٥ ص٧٧)، و«الأعلام» (ج٩ ص١١٩).

[٤] أخرجه مسلم، كتاب الفضائل، باب فضل نسب النبي ﷺ، وتسليم الحجر عليه قبل النبوة، رقم (٢٢٧٦) (ج٤ ص١٧٨٢).

[٥] أخرجه ابن حبان في «صحيحه»، كتاب التاريخ، باب بدء الخلق، رقم (٦٢٤٢) (ج١٤ ص ١٣٥).

[٦] سبق تخريجه (ص: ٧٥).

٧- وعن ابن عباس قال: «جَلَسَ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَنْتَظِرُونَهُ قَالَ: فَخَرَجَ حَتَّى إِذَا دَنَا مِنْهُمْ سَمِعَهُمْ يَتَذَاكَرُونَ فَسَمِعَ حَدِيثَهُمْ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: عَجَبًا إِنَّ اللَّهَ ﷻ اتَّخَذَ مِنْ خَلْقِهِ خَلِيلًا، اتَّخَذَ مِنْ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا، وَقَالَ آخَرُ: مَاذَا بِأَعْجَبَ مِنْ كَلَامِ مُوسَى كَلَّمَهُ تَكْلِيمًا، وَقَالَ آخَرُ: فَعِيسَى كَلِمَةُ اللَّهِ وَرُوحُهُ، وَقَالَ آخَرُ: آدَمُ اصْطَفَاهُ اللَّهُ، فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ فَسَلَّمَ وَقَالَ: «**قَدْ سَمِعْتُ كَلَامَكُمْ وَعَجَبَكُمْ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلُ اللَّهِ وَهُوَ كَذَلِكَ، وَمُوسَى نَجِيُّ اللَّهِ وَهُوَ كَذَلِكَ، وَعِيسَى رُوحُهُ وَكَلِمَتُهُ وَهُوَ كَذَلِكَ، وَآدَمُ اصْطَفَاهُ اللَّهُ وَهُوَ كَذَلِكَ، أَلَا وَأَنَا حَبِيبُ اللَّهِ وَلَا فَخْرَ، وَأَنَا حَامِلُ لِوَاءِ الْحَمْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ، وَأَنَا أَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يُحَرِّكُ حِلَقَ الْجَنَّةِ فَيَفْتَحُ اللَّهُ لِي فَيُدْخِلُنِيهَا وَمَعِي فُقَرَاءُ الْمُؤْمِنِينَ وَلَا فَخْرَ، وَأَنَا أَكْرَمُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ وَلَا فَخْرَ**»[٢].

٨- وعن ابن عباس، قال: إن الله فضل محمداً ﷺ على أهل السماء، وعلى الأنبياء صلوات الله عليهم، قالوا: فما فضله على أهل السماء؟ قال: إن الله تعالى قال لأهل السماء: ﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾[٣]، وقال لمحمد ﷺ: ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾[٤]، قالوا: فما فضله على الأنبياء ؟ قال: إن الله تعالى قال: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ ﴾[٥]، وقال لمحمد: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِلنَّاسِ ﴾[٦].

---

[١] أخرجه ابن الجوزي في «الموضوعات»، (ج١ ص٢٩٠)، وقال: «هذا حديث موضوع».

[٢] أخرجه الترمذي، كتاب المناقب، باب: في فضل النبي ﷺ، رقم (٣٦١٦)، (ج٥ ص ٥٨٧)، وقال الشيخ الألباني : ضعيف.

[٣] سورة الأنبياء الآية: (٢٩).

[٤] سورة الفتح الآية: (١، ٢).

[٥] سورة إبراهيم الآية: (٤).

[٦] سورة سبأ: الآية: (٢٨).

٩- وعن ابن عباس ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ : «**إنَّ الله قَسَمَ الخَلْقَ قِسْمَين، فَجَعَلِني مِنْ خَيْرِهِم قِسْمًا، فَذَلِك قَوْلُه:** ﴿ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴾ [١]، و﴿ وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ[٢]﴾ **، فَأَنا مِنْ أصحَابِ اليَمِيْن، وَأنَا خَيْرُ أصْحَابِ اليَمِيْن، ثُمَّ جَعَل القِسْمَيْنِ أثْلَاثاً، فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِهَا ثلثا، وَذلِك قَوْلُه تعالى:** ﴿ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ[٣]﴾ و﴿ أَصْحَابُ الْمَشْـَٔمَةِ ﴾ [٤]، و﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴾ [٥]، **فأنا مِنَ السَّابِقِين، وأنَا خَيْرُ السَّابِقِينَ، ثُمَّ جَعَل الأثْلَاثَ قَبَائِل، فَجَعَلَنِي مِن خَيْرِها قَبِيْلَة، وذلك قوله:** ﴿ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [٦]، **فَأنَا أتْقَى وَلَدِ آدَم وَأكْرَمُهُم عَلَى الله، ولا فخر، ثُمَّ جَعَلَ القَبَائِلَ بُيُوتًا، فَجَعَلَنِي مِنْ خَيْرِهَا بيتاً، فذلك قوله تعالى:** ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [٧] .

١٠- ومن الأحاديث الدالة على فضله ﷺ على العالمين أيضًا ما روي عن أنس: «أن النبي ﷺ **أتِيَ بِالبُرَاقِ لَيْلَةَ أسْرِيَ بِهِ، فَاسْتَصْعَبَ عَلَيْهِ، فَقَال لَهُ جِبْرِيلُ: بِمُحَمَّدٍ تَفْعَلُ هَذَا؟ فَمَا رَكِبَكَ أحَدٌ أكْرَمَ عَلَى اللهِ مِنْهُ، فَارْفَضَّ عَرَقاً**»[٨]

---

[١] سورة الواقعة آية: (٢٧).

[٢] سورة الواقعة آية: (٤١).

[٣] سورة الواقعة آية: (٨).

[٤] سورة الواقعة آية: (٩).

[٥] سورة الواقعة آية: (١٠).

[٦] سورة الحجرات آية: (١٣).

[٧] سورة الأحزاب، الآية: (٣٣)، والحديث أخرجه الطبراني في «الكبير»، رقم: (٢٦٧٤)، (ج٣ ص٥٦)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (ج٨ ص٢١٥): «فيه: يحيى بن عبد الحميد الحماني، وغسان بن ربعي، وكلاهما ضعيف».

[٨] أخرجه الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب: ومن سورة بني إسرائيل، رقم: (٣١٣١) (ج٥ ص ٣,١)، و«مسند أبي يعلى»، حديث قتادة عن أنس، رقم: (٣١٨٤) (ج٥ ص ٤٥٩).

١١- ويؤيده حديث أنس: «**أَنَا أَكْرَمُ وَلَدِ آدَمَ عَلَى رَبِّي وَلَا فَخْرَ**»[١] ومعنى: (أنا أكرم ولد آدم على ربي): إخْبَارٌ بما مَنَحُه من السؤدد، وتَحَدُّثٌ بمزيد الفضل والإكرام، (ولا فخر) أي: أن هذه الفضيلة التي نِلْتُهَا كرامة من الله تعالى، لم أَنَلْهَا مِن قِبَلِ نفسي، ولا نلتها بقوتي، فليس لي أن أفتخر بها.

١٢- وروى عنه ﷺ: أبو ذر، وابن عمر، وابن عباس، وأبو هريرة، وجابر بن عبد الله؛ أنه قال: «**أُعْطِيتُ خَمْسًا** - وفي بعضها: ستاً - **لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِنَ الأَنْبِيَاءِ قَبْلِي**[٢]: **نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِي الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، وَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلاَةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِي الغَنَائِمُ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ**»[٣].

وفي رواية: «**وَقِيْلَ لِي: سَل تُعْطَه**» وفي الحديث الآخر عن أبي هريرة: «**نُصِرْتُ بِالرُّعْبَ، وأوتِيْتُ جَوَامِعَ الكَلِمِ، وَبَيْنَا أَنَا نَائِمٌ إِذَ جِيءَ بِمَفَاتِيْح خَزَائِنِ الأَرْضِ فَوُضِعَت فِي يَدِي**»[٤]

١٣- وأن أبا هريرة ﷺ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِابْنِ مَرْيَمَ، وَالأَنْبِيَاءُ أَوْلاَدُ عَلَّاتٍ، لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ نَبِيٌّ**»[٥].

وكان أبو هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: «**مَثَلِي وَمَثَلُ الْأَنْبِيَاءِ كَمَثَلِ قَصْرٍ أُحْسِنَ بُنْيَانُهُ، وَتُرِكَ مِنْهُ مَوْضِعُ لَبِنَةٍ فَطَافَ بِهِ نُظَّارٌ، فَتَعَجَّبُوا مِنْ حُسْنِ بُنْيَانِهِ إِلَّا مَوْضِعَ تِلْكَ اللَّبِنَةِ، لَا يَعِيبُونَ غَيْرَهَا، فَكُنْتُ أَنَا مَوْضِعَ تِلْكَ اللَّبِنَةِ، خُتِمَ بِيَ الرُّسُلُ**»[١].

---

[١] أخرجه الترمذي في «سننه»، كتاب المناقب، باب: في فضل النبي ﷺ، رقم (٣٦١٠) (ج٥ ص ٥٨٥).

[٢] «صحيح البخاري» (ج١ ص١٦٨)، و«صحيح مسلم» (ج١ ص١٧٥، و١٨٨، و٣٧٠).

[٣] أخرجه البخاري كتاب التيمم، رقم: (٣٣٥) (ج١ ص١٦٨)، وأخرجه مسلم، كتاب المساجد، رقم: (٥٢٣)، (ج١ ص١٧٥، و١٨٨، و٣٧٠).

[٤] سبق تخريجه.

[٥] أخرجه البخاري، كتاب الأنبياء، باب: { واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها }، رقم: (٣٢٥٨) (ج٣ ص ١٢٧٠)، وأخرجه مسلم في الفضائل، باب فضائل عيسى عليه السلام، رقم: (٢٣٦٥)، (ج٤ ص١٨٣٧).

١٤- وعن عقبة بن عامر[٢] ﷺ أنه قال: قال عليه السلام: «**إِنِّي فَرَطٌ لَكُمْ، وَأَنَا شَهِيدٌ عَلَيْكُمْ، وَإِنِّي وَاللَّهِ لَأَنْظُرُ إِلَى حَوْضِي الآنَ، وَإِنِّي أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ الأَرْضِ - أَوْ: مَفَاتِيحَ الأَرْضِ - وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا بَعْدِي، وَلَكِنْ أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنَافَسُوا فِيهَا**»[٣].

١٥ - وعن عبد الله بن عمرو ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**أَنَا مُحَمَّدٌ النَّبِيُّ الْأُمِّيُّ، وَلَا نَبِيَّ بَعْدِي، أُوتِيتُ فَوَاتِحَ الْكَلِمِ، وَجَوَامِعَهُ، وَخَوَاتِمَهُ، وَعَلِمْتُ كَمْ خَزَنَةُ النَّارِ وَحَمَلَةُ الْعَرْشِ**»[٤].

١٦- وعن ابن عمر ﷺ: «**بُعِثْتُ بَيْنَ يَدَي السَّاعَةِ**»[٥].

١٧- وعن أبي هريرة ﷺ، عنه عليه السلام: «**مَا مِنَ الأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ إِلَّا أُعْطِيَ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ القِيَامَةِ**»[٦]، ومعنى هذا عند المحققين بَقَاء مُعْجِزَتِه ما بقيت الدنيا، وسائر معجزات الأنبياء ذهبت للحين، و لم يشاهدها إلا الحاضر لها، ومعجزة القرآن يقف عليها قَرْنٌ بعد قرن عياناً لا خبراً إلى القيامة.

---

[١] أخرجه البخاري، كتاب: المناقب، باب خاتم النبيين، رقم: (٣٣٤١ – ٣٣٤٢)، (ج٣ ص١٣,١)، وأخرجه مسلم في الفضائل، باب ذكر كونه ﷺ خاتم النبيين، رقم: (٢٢٨٧)، (ج٤ ص١٧٩٠).

[٢] هو: عقبة بن عامر بن عيسى الجهني، يكنى أبا حماد، وقيل غير ذلك، كان قارئًا عالمًا بالفرائض والفقه، قديم الهجرة والسابقة والصحبة، وهو أحد من جمع القرآن، روى عن النبي ﷺ وعمر، وروى عنه: أبو أمامة وابن عباس وقيس بن أبي حازم وآخرون، ولي إمرة مصر من قبل معاوية (سنة: ٤٤هـ)، توفي في خلافة معاوية. يراجع: «تهذيب التهذيب» (ج٧ ص٢٤٢)، و«الاستيعاب» (ج٣ ص١,٧٣).

[٣] أخرجه البخاري، كتاب الجنائز، باب الصلاة على الشهيد، رقم: (١٢٧٩) (ج١ ص٤٥١)، وله أطراف في: (٣٤,١، ٣٨١٦، ٣٨٥٧، ٦,٦٢، ٦٢١٨)، انظر: «فتح الباري» (ج١ ص٣٣٩).

[٤] أخرجه أحمد في «مسنده»، مسند عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنهما، رقم: (٦٦,٦) (ج٢ ص١٧٢).

[٥] أخرجه أحمد في «مسنده»، (مسند عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما)، رقم: (٥١١٥) (ج٢ ص٥).

[٦] سبق تخريجه (ص: ٢٩).

وقال ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ حَبَسَ عَنْ مَكَّةَ الفِيلَ، وَسَلَّطَ عَلَيْهَا رَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ، فَإِنَّهَا لاَ تَحِلُّ لِأَحَدٍ كَانَ قَبْلِي، وَإِنَّهَا أُحِلَّتْ لِي سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ**»[1].

١٨- وعن ابن عباس ﷺ قال: إنَّ الله فَضَّل محمداً ﷺ على أهل السماء، وعلى الأنبياء صلوات الله عليهم، قالوا: فما فضله على أهل السماء؟ قال: إن الله تعالى قال لأهل السماء: ﴿ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّيٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[2]، وقال لمحمد ﷺ: ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٢ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴾[3]، قالوا: فما فضله على الأنبياء؟ قال: إن الله تعالى قال: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ ﴾[4]، وقال لمحمد: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ ﴾[5].

وعن خالد بن معدان أن نفراً من أصحاب رسول الله ﷺ قالوا: يا رسول الله، أخبرنا عن نفسك. فقال: «**نَعَم، دَعْوَةِ أَبِي إِبْرَاهِيمَ** - يعني قوله: ﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ﴾[6] - **وَبُشْرَى عِيْسَى، وَرَأَت أُمِّي حِيْنَ حَمَلت بِي أَنَّهُ خَرَجَ مِنْهَا نُورٌ أَضَاءَ لَهُ قُصُورُ بُصْرَى مِنْ أَرْضِ الشَّامِ، واسْتُرْضِعْتُ فِي بَنِي**

---

[1] «أعلام النبوة» للماوردي (ج١ ص ٢٢٠)، و«الشريعة» (ج١ ص٤٢٨)، و«دلائل النبوة» للأصبهاني (ج١ ص٣١ – ٣٢).

[2] سورة الأنبياء، الآية: (٢٩).

[3] سورة الفتح الآية: (١، ٢).

[4] سورة إبراهيم الآية: (٤).

[5] سورة سبأ الآية : (٢٨).

[6] سورة البقرة آية: (١٢٩).

سَعْدِ بنِ بَكْرٍ، فَبَيْنَا أنَا مَعَ أخٍ لِي خَلْفَ بُيُوتِنَا نَرْعَى بَهْمًا لَنَا إذَ جَاءَنِي رَجُلَان عَلَيْهِمَا ثِيَـــابٌ بِيْضٌ»[1].

١٩- وفي حديث آخر: «**فُرِجَ عَنْ سَقْفِ بَيْتِي وَأَنَا بِمَكَّةَ، فَنَزَلَ جِبْرِيلُ ﷺ، فَفَرَجَ صَـــدْرِي، ثُمَّ غَسَلَهُ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ جَاءَ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مُمْتَلِئٍ حِكْمَةً وَإِيمَانًا، فَأَفْرَغَهُ**»[2].

٢) من خصائصه التشريفية: اختِصَاصُه يَومَ القيامة بِخُصُوص الكَرَامَةِ.

من الخصال والفضائل الكريمة التي شَرَّف الله بها حبيبه في الآخرة: أن خَصَّه الله تعـــالى بِلِـــوَاء الحمد، وما ذلك إلا لأنه أكرم الخلق على الله، وهو أمر لا يحتاج إلى شرح **والأحاديث الدالـــة على ذلك كثيرة ومنها:**

١ - عن أنس ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ خُرُوجًا إِذَا بُعِثُوا، وَأَنَا خَطِيبُهُمْ إِذَا وَفَدُوا، وَأَنَا مُبَشِّرُهُمْ إِذَا أَيِسُوا، لِوَاءُ الحَمْدِ يَوْمَئِذٍ بِيَدِي، وَأَنَا أَكْرَمُ وَلَدِ آدَمَ عَلَى رَبِّـــي وَلَا فَخْرَ**»[3].

٢ - وفي رواية : «**أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ خُرُوجًا إِذَا بُعِثُوا، وَأَنَا قَائِدُهُمْ إِذَا وَفَدُوا، وَأَنَا خَطِيبُهُمْ إِذَا نَصَتُوا، وَأَنَا شَافِعُهُمْ إِذَا حُبِسُوا، وَأَنَا مُبَشِّرُهُمْ إِذَا أَبْلَسُوا، لِوَاءُ الْكَرَمِ يَوْمَئِذٍ بِيَدِي، وَمَفَاتِيحُ الْجَنَّةِ بِيَدِي، وَأَنَا أَكْرَمُ وَلَدِ آدَمَ عَلَى رَبِّهِ وَلَا فَخْرَ، يَطُوفُ عَلَيَّ أَلْفُ خَادِمٍ كَـــأَنَّهُمْ لُؤْلُـــؤٌ مَكْنُونٌ**»[4].

---

[1] أخرجه الحاكم في «المستدرك»، كتاب التفسير، تفسير سورة إبراهيم عليه السلام، رقم: (٣٣٣٥) (ج٢ ص٣٨١).

[2] أخرجه البخاري، كتاب الصلاة، باب كيف فرضت الصلوات في الإسراء، رقم: (٣٤٢) (ج١ ص١٣٥)، وأخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات وفرض الصلوات، رقم: (١٦٣) (ج١ ص٢٤٨).

[3] أخرجه الترمذي في «سننه»، كتاب المناقب، باب في فضل النبي ﷺ، رقم: (٣٦١٠)، (ج٥ ص٥٨٥)، وقال أبو عيسى: «هذا حديث حسن غريب»، وقال الشيخ الألباني: «ضعيف».

[4] انظر: «مشكاة المصابيح»، كتاب الفضائل والشمائل، باب فضائل سيد المرسلين، رقم: (٥٧٦٥) (ج٣ ص٢٥٣).

٣ – وعن أبي هريرة ﷺ: «**فَأُكْسَى حلَّة من حُلَلِ الْجنَّة، ثمَّ أقوم عَن يَمِين الْعَرْش، لَيْسَ أحد من الْخَلَائق يقوم ذَلِك الْمقَام غَيْرِي**»[(١)].

٤ – وعن أبي سعيد، قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ القِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ، وَبِيَدِي لِوَاءُ الحَمْدِ وَلَا فَخْرَ، وَمَا مِنْ نَبِيٍّ يَوْمَئِذٍ آدَمَ فَمَنْ سِوَاهُ إِلَّا تَحْتَ لِوَائِي، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الأَرْضُ وَلَا فَخْرَ**»[(٢)].

٥– وعن ابن عباس ﷺ: «**أَنا حَامِل لِوَاء الْحَمد يَوْم الْقِيَامَة وَلَا فَخر، وَأَنا أول شَافِع وَأول مُشَفع يَوْم الْقِيَامَة وَلَا فَخر، وَأَنا أول من يُحَرك حلق الْجنَّة فَيفتح الله لي فَأدْخلهَا وَمَعِي فُقَرَاء الْمُؤمنِينَ وَلَا فَخر، وَأَنا أكْرم الْأَوَّلين والآخرين وَلَا فَخر**»[(٣)].

٦ – وعن أنس ﷺ، قال النبي ﷺ: «**أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ القِيَامَةِ، وتَدْرُونَ بِمَ ذَلِك؟ يَجْمَعُ الله الأَوَّلِيْنَ والآخِرِيْنَ – وَذَكَر حَدِيثَ الشَّفَاعَةِ**»، وقوله: «**أنا سيد الناس يوم القيامة**»: هو سيدهم في الدنيا، ويوم القيامة؛ ولكن أشار ﷺ لإنفراده فيه بالسؤدد والشفاعة دون غيره، إذ لجأ الناس إليه في ذلك، فلم يجدوا سواه[(٤)].

والسيد: هو الذي يلجأ الناس إليه في حوائجهم، فكان حينئذ سيدًا منفردًا من بين البشر، لم يزاحمه في ذلك أحد، ولا ادعاه، كما قال تعالى: ﴿ لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ﴾[(٥)]، والملك له تعالى في الدنيا والآخرة، لكن في الآخرة انقطعت دعوى المدعي لذلك في الدنيا وكذلك يلجأ الناس إلى محمد ﷺ في الشفاعة، فكان سيدهم في الآخرة.

---

(١) أخرجه الترمذي في «سننه»، كتاب المناقب، باب في فضل النبي ﷺ، رقم (٣٦١١)، (ج٥ ص٥٨٥)، وقال: «هذا حديث حسن غريب»، وقال الشيخ الألباني: «ضعيف».

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الفضائل، باب تفضيل نبينا ﷺ على جميع الخلائق، رقم: (٢٢٧٨)، (ج٤ ص١٧٨٢).

(٣) أخرجه الترمذي في «سننه»، كتاب المناقب، باب في فضل النبي ﷺ، رقم: (٣٦١٦)، (ج٥ ص٥٨٧)، وانظر: «السلسلة الصحيحة» (ج٤ ص٩٨).

(٤) «الشفا في حقوق المصطفي»، (ج١ ص٢,٨)، و«غاية السول في خصائص الرسول» ﷺ. (ج١ ص ٦٦).

(٥) سورة غافر، الآية: (١٦).

٧ – وعن أنس ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**آتِي بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَسْتفْتِحُ، فَيَقُولُ الْخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ**»[(١)].

٣) من خصائصه التشريفية: اختصاصه بالحوض المورود.

من الخصائص التشريفية التي تدل على تقديمه ﷺ، وفضله، وعلو منزلته، وعظم شأنه، ورفعة قدره ﷺ: اختصاصه بالحوض المورود من بين الأنبياء جميعًا **وقد وردت أحاديث تدل على خصوصيته بالحوض ﷺ ومنها:**

١ – ما روي عن عبد الله بن عمرو ﷺ: قال: قال رسول الله ﷺ: «**حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، وَزَوَايَاهُ سَوَاءٌ، وَمَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ الْوَرِقِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ، وَكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَا يَظْمَأُ بَعْدَهُ أَبَدًا**»[(٢)].

وعن أبي ذر ﷺ نحوه، وقال: «**طُوْلُهُ مَا بَيْنَ عَمَّانَ إِلَى أَيْلَةَ، يَشْخُبُ فِيْهِ مِيْزَابَانِ مِنَ الجَنَّةِ**»[(٣)].

وعن ثوبان ﷺ مثله، وقال: «**أَحَدُهُمَا مِنْ ذَهَبٍ، والآخَرُ مِنْ وَرِقٍ**»، وفي رواية حارثة بن وهب: «**كَمَا بَيْنَ المَدِيْنَةِ وَصَنْعَاءَ**»[(٤)].

وقال أنس: أيلة وصنعاء، وقال ابن عمر: كما بين الكوفة والحجر الأسود، وروى حديث الحوض أكثر من ثلاثين صحابيًّا منهم أنس، وجابر، وسمرة، وابن عمر، وعقبة بن عامر، وحارثة بن وهب الخزاعي، وغيرهم.

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب: في قول النبي ﷺ: «**أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ يَشْفَعُ فِي الجَنَّةِ، وَأَنَا أَكْثَرُ الأَنْبِيَاءِ تَبَعًا**»، رقم: (١٩٧) (ج١ ص ١٨٨).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب في الحوض، رقم: (٦٢,٨) (ج٥ ص ٢٤,٥)، وأخرجه مسلم في الفضائل باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته، رقم: (٢٢٩٢)، و(ج٤ ص١٧٩٣)، وانظر: «فتح الباري» (ج١١ ص٤٦٨)، و«الفصول في السيرة» لابن كثير (ج١ ص٢٧٨).

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته، رقم (٢٣٠٠) (ج٤ ص ١٧٩٨).

(٤) أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب في الحوض، رقم: (٦٢١٩) (ج٥ ص٢٤,٨).

قال عمر بن الخطاب ﷺ: «سَيَأتِي قَوْمٌ يُكَذِّبُونَ بِالقَدَرِ ويُكَذِّبُونَ بِالحَوْضِ ويُكَذِّبُونَ بِالشَّفَاعَةِ»[1].

وعن أنس ﷺ أن زيادً أو ابن زياد ذُكِرَ عنده الحوض فأنكر ذلك، فبلغ ذلك أنسًا فقال: أما والله لأسوءنه غدًا، فقال: ما أنكرتم من الحوض، قالوا: سمعت النبي ﷺ يذكره؟ قال: نعم، ولقد أدركت عجائز بالمدينة لا يصلين صلاة إلا سألن الله تعالى أن يوردهن حوض محمد ﷺ[2].

٤) من خصائصه التشريفية والإعجازية معًا اختصاصه بالشفاعة العظمى، والمقام المحمود.

من الخصائص والفضائل العظيمة التي شَرَّفَ الله بها حَبِيْبَهُ في الآخرة: الشفاعة العظمى والمقام المحمود الذي لا يستطيع أحد أن يقوم فيه غيره قال الله تعالى: ﴿ **عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا** [3]﴾ .

عن ابن عمر ﷺ قال: إن الناس يصيرون يوم القيامة جثا، كل أمة تتبع نبيها، يقولون: يا فلان، اشفع لنا، يا فلان اشفع لنا، حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي ﷺ فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود[4].

وعن أبي هريرة ﷺ: سئل عنها رسول الله ﷺ يعني قوله: {عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا}، فقال: «**هِيَ الشَّفَاعَةُ**»[5].

---

[1] «السنة» لابن أبي عاصم (ج٢ ص٣٢١).

[2] أخرجه أبو يعلي في «مسنده»، حديث: ثابت البناني عن أنس، رقم: (٣٣٥٥) (ج٦ ص٩٦)، وقال حسين سليم: «إسناده صحيح».

[3] سورة الإسراء، الآية: (٧٩).

[4] أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب سورة بني إسرائيل= الإسراء، رقم: (٤٤٤١) (ج٤ ص١٧٤٨).

[5] أخرجه الترمذي في «سننه»، كتاب التفسير، باب سورة بني إسرائيل= الإسراء، رقم: (٣١٣٧) (ج٥ ص٣,٢).

وروى كعب بن مالك، عنه ﷺ: «**يُحْشَرُ النَّاسُ يَومُ القِيَامَةِ، فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي عَلَى تَل، ويَكْسُونِي رَبِّي حُلَّةً خَضْرَاء، ثُمَّ يُؤْذَنُ لِي فَأَقُولُ مَا شَاء اللهُ أنْ أقُولَ، فَذَلِكَ المَقَامُ المَحْمُودُ**»[1].

وعن ابن عمر ﷺ وذكر حديث الشفاعة قال: « ... فيمشي حتى يأخذ بحلقة الجنة، فيومئذ يبعثه الله المقام المحمود الذي وعده، فالمقام المحمود هو: الشفاعة». [2]

وعن أبي موسى ﷺ، أنه ﷺ قال: «**خُيِّرْتُ بَيْنَ أنْ يَدْخُلَ نِصْفُ أمَّتِي الجَنَّةَ وَبَيْنَ الشَّفَاعَةِ فَاخْتَرْتُ الشَّفَاعَةَ؛ لِأَنَّهَا أعَمُّ، أتَرَوْنَهَا للمُتَّقِيْنَ؟ لا؛ وَلَكِنَّهَا للمُذْنِبِيْنَ الخَطَّائِيْنَ المُتَلَوِّثِيْنَ**»[3].

وعن أبي هريرة ﷺ، قال: قلت: يا رسول الله، ماذا ورد عليك في الشفاعة ؟ فقال: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَقَدْ ظَنَنْتُ أَنَّكَ أَوَّلُ مَنْ يَسْأَلُنِي عَنْ ذَلِكَ مِنْ أُمَّتِي، لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الْعِلْمِ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، مَا يَهُمُّنِي مِنَ انْقِصَافِهِمْ عَلَى أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، أَهَمُّ عِنْدِي مِنْ تَمَامِ شَفَاعَتِي، وَشَفَاعَتِي لِمَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُخْلِصًا، يُصَدِّقُ قَلْبُهُ لِسَانَهُ، وَلِسَانُهُ قَلْبَهُ**»[4].

---

[1] أخرجه ابن حبان في «صحيحه»، كتاب التاريخ، باب الحوض والشفاعة، رقم (٦٤٧٩)، (ج١٤ ص٣٩٩)، وقال شعيب الأرنؤوط: «إسناده صحيح»، والحاكم في «المستدرك»، كتاب التفسير، تفسير سورة بني إسرائيل، رقم: (٣٣٨٣)، (ج٢ ص٢٩٥).

[2] أخرجه الطبراني في «الأوسط»، رقم: (٨٧٢٥)، (ج٨ ص٣١٠)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد»: (ج١٠ ص٣٧١): «رواه الطبراني في الأوسط عن مطلب بن شعيب، عن عبد الله بن صالح، وكلاهما قد وثق على ضعف فيه، وبقية رجاله رجال الصحيح».

[3] أخرجه ابن ماجه في «سننه»، كتاب الزهد، باب ذكر الشفاعة، برقم: (٤٣١١)، (ج٢ ص١٤٤١)، وأخرجه أحمد في «مسنده»، (مسند عبد الله بن عمر بن الخطاب ﷺ) رقم: (٥٤٥٢)، (ج٢ ص٧٥)، والطبراني في «الصغير» (ج٢ ص٩)، وانظر: «الفصول في السيرة» (ج١ ص٢٨١).

[4] أخرجه أحمد في «مسنده»، (مسند أبي هريرة ﷺ) رقم: (٨,٥٦) (ج٢ ص٣,٧)، والمنذري في «الترغيب» (ج٤ ص٤٣٧).

وعن أم حبيبة[1] ﵂، قالت: قال رسول الله ﷺ: «**رَأَيْتُ مَا تَلْقَى أُمَّتِي بَعْدِي وَسَفْكَ بَعْضِهِمْ دِمَاءَ بَعْضٍ، وَسَبَقَ ذَلِكَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، كَمَا سَبَقَ فِي الْأُمَمِ قَبْلَهُمْ، فَسَأَلْتُهُ أَنْ يُوَلِّيَنِي شَفَاعَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيهِمْ فَفَعَلَ**»[2].

وقال حذيفة ﵁: يَجْمَعُ الله الناس، في صعيد واحد حيث يسمعهم الداعي، وينفذهم البصر، حفاة عراة كما خلقوا، سكوتاً لا تكلم نفس إلا بإذنه، فينادى محمد فيقول: «**لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، والخَيْرُ فِي يَدَيْكَ، والشَّرُّ لَيْسَ إلَيْكَ، وَالْمُهْتَدِي مَنْ هَدَيْتَ، وَعَبْدُكَ بَيْنَ يَدَيْكَ، ولَكَ وإلَيْكَ، لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنْجَى مِنْكَ إلَّا إلَيْكَ، تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ، سُبْحَانَكَ رَبّ البَيْتِ**» قال: فذلك المقام المحمود الذي ذَكَرَ اللهُ[3].

وقال ابن عباس ﵄: إذا دخل أهل النار النار، وأهل الجنة الجنة، فتبقى آخر زمرة من الجنة وآخر زمرة من النار، فتقول زمرة النار لزمرة الجنة: ما نفعكم إيمانكم، فيدعون ربهم ويضجون، فيسمعهم أهل الجنة فيسلون آدم وغيره بعده في الشفاعة لهم، فكل يعتذر حتى يأتوا محمداً ﷺ، فيشفع لهم، فذلك المقام المحمود[4].

وعن سلمان ﵁[5]: المقام المحمود هو الشفاعة في أمته يوم القيامة. [1]

---

[1] هي: رملة بنت أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية القرشية الأموية، تكنى أم حبيبة: إحدى أمهات المؤمنين، كانت من السابقين إلى الإسلام، هاجرت إلى الحبشة مع زوجها عبيد الله بن جحش فولدت هناك حبيبة، فتنصر عبيد الله ومات بالحبشة نصرانيًا، وبقيت أم حبيبة مسلمة بأرض الحبشة، فأرسل رسول الله ﷺ يخطبها إلى النجاشي، فتزوجها وهي بالحبشة، روت عن النبي ﷺ أحاديث، وعن زينب بنت جحش، توفيت (سنة: ٤٤ وعند البعض ٤٢ هـ)، ترجمتها في: «الإصابة» (ج٤ ص٣,٥)، و«أسد الغابة» (ج٥ ص٥٧٣).

[2] أخرجه أحمد في «مسنده»، (من حديث أم حبيبة)، رقم: (٢٧٤٥٠) (ج٦ ص٤٢٧)، وانظر: «مجمع الزوائد»، (١١٩٨٣)، (ج٧ ص٤٥٧).

[3] أخرجه ابن منده، في كتابه «الإيمان»، الجزء الثاني، ذكر وجوب الإيمان برؤية الله ﷻ، رقم (٩٣٠) (ج٢ ص٨٧٢)، وقال محققه: «إسناده صحيح».

[4] «فتح الباري» (ج١ ص ٣٦٤، و٣٤٩).

[5] يقال: سلمان بن الإسلام، وسلمان الخير، أبو عبد الله ولا يعرف اسم أبيه بفارس، أصله من رامهرمز، وقيل من أصبهان، كان أبوه ذا رئاسة، وخرج هو يطلب الهدى فلازم بعض علماء النصارى ثم خرج إلى يثرب بإشارة بعضهم، فأسر

وقال قتادة: كان أهل العلم يرون المقام المحمود هو شفاعته يوم القيامة، وعلى أن المقام المحمود مقامه عليه الصلاة والسلام للشفاعة مذاهب السلف من الصحابة والتابعين ،وعامة أئمة المسلمين[٢]، وبذلك جاءت الشفاعة مفسرةً في صحيح الأخبار عنه عليه الصلاة والسلام.

وعن أبي هريرة ﷺ: أُتِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمًا بِلَحْمٍ، فَرُفِعَ إِلَيْهِ الذِّرَاعُ، وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ فَنَهَسَ مِنْهَا نَهْسَةً فَقَالَ: «**أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهَلْ تَدْرُونَ بِمَ ذَاكَ؟ يَجْمَعُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَيُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي، وَيَنْفُذُهُمُ الْبَصَرُ، وَتَدْنُو الشَّمْسُ فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنَ الْغَمِّ وَالْكَرْبِ مَا لَا يُطِيقُونَ، وَمَا لَا يَحْتَمِلُونَ، فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: أَلَا تَرَوْنَ مَا أَنْتُمْ فِيهِ؟ أَلَا تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ؟ أَلَا تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ؟ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: ائْتُوا آدَمَ، فَيَأْتُونَ آدَمَ، فَيَقُولُونَ: يَا آدَمُ، أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ، خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ آدَمُ: إِنَّ رَبِّي غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ نَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ، فَيَأْتُونَ نُوحًا، فَيَقُولُونَ: يَا نُوحُ، أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى الْأَرْضِ، وَسَمَّاكَ اللهُ عَبْدًا شَكُورًا، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمْ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ دَعَوْتُ بِهَا عَلَى قَوْمِي، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى إِبْرَاهِيمَ ﷺ، فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ نَبِيُّ اللهِ وَخَلِيلُهُ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمْ إِبْرَاهِيمُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَا يَغْضَبُ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَذَكَرَ كَذَبَاتِهِ، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى مُوسَى، فَيَأْتُونَ مُوسَى**

واسترق وقدم النبي ﷺ المدينة فأسلم وجاهد معه، وكان ذا رأي، وهو الذي أشار بحفر الخندق، ثم شاهد المشاهد وبعض الفتوح، ووَلِيَ إِمْرَةً، وقال الذهبي: ظهر لي أنه ما جاوز (٨٠)، توفي (سنة: ٣٦ هـ). ترجمته في: «الإصابة» (ج٢ ص٦٠)، و«الاستيعاب» (٢ ص٦٣٤)، و«الأعلام» (٣ ص١٦٩)، و«أسد الغابة» (ج٢ ص٣٢٨).

[١] «الشفا» (ج١ ص ٢١٧) و«غاية السول في خصائص الرسول» ﷺ (ج١ ص٦٥).

[٢] «دلائل النبوة» (ج٥ ص ٤٧٧)، و«صحيح ابن حبان» (ج١٤ ص٣٧٨، و٣٨٦)، و«التمهيد» (ج١٩ ص٦٧)، وانظر: «القيامة الكبرى» عمر سليمان الأشقر (ص: ١٧٤).

ﷺ، فَيَقُولُونَ: يَا مُوسَى، أَنْتَ رَسُولُ اللهِ فَضَّلَكَ اللهُ بِرِسَالَاتِهِ، وَبِتَكْلِيمِهِ عَلَى النَّاسِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمْ مُوسَى ﷺ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَتَلْتُ نَفْسًا لَمْ أُومَرْ بِقَتْلِهَا، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى ﷺ، فَيَأْتُونَ عِيسَى، فَيَقُولُونَ: يَا عِيسَى أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، وَكَلَّمْتَ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ، وَكَلِمَةٌ مِنْهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ، وَرُوحٌ مِنْهُ، فَاشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمْ عِيسَى ﷺ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَلَمْ يَذْكُرْ لَهُ ذَنْبًا، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ، فَيَأْتُونِّي فَيَقُولُونَ: يَا مُحَمَّدُ، أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، وَخَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ، وَغَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ، وَمَا تَأَخَّرَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَأَنْطَلِقُ، فَآتِي تَحْتَ الْعَرْشِ، فَأَقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّي، ثُمَّ يَفْتَحُ اللهُ عَلَيَّ وَيُلْهِمُنِي مِنْ مَحَامِدِهِ، وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ لِأَحَدٍ قَبْلِي، ثُمَّ يُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، سَلْ تُعْطَهْ، اشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ، أَدْخِلْ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِ مِنَ الْبَابِ الْأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الْأَبْوَابِ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، إِنَّ مَا بَيْنَ الْمِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ لَكَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَهَجَرٍ، أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى»[1].

وعن ابن عباس رضي الله عنه انه ﷺ قال: «يُوضَعُ لِلْأَنْبِيَاءِ مَنَابِرُ مِنْ ذَهَبٍ يَجْلِسُونَ عَلَيْهَا، وَيَبْقَى مِنْبَرِي لَا أَجْلِسُ عَلَيْهِ، قَائِمٌ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ مُنْتَصِبًا لِأُمَّتِي مَخَافَةَ أَنْ يَبْعَثَ بِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَتَبْقَى أُمَّتِي بَعْدِي، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، أُمَّتِي أُمَّتِي. فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: يَا مُحَمَّدُ، مَا تُرِيدُ أَنْ أَصْنَعَ بِأُمَّتِكَ؟ فَأَقُولُ: يَا رَبِّ اعْدِلْ حِسَابَهُمْ، فَيُدْعَى بِهِمْ فَيُحَاسَبُونَ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ بِرَحْمَةِ اللَّهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ بِشَفَاعَتِي فَمَا أَزَالُ أَشْفَعُ حَتَّى أُعْطَى

---

[1] أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب سورة بني إسرائيل= الإسراء، رقم: (٤٤٣٥)، (ج٤ ص١٧٤٥)، وأخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، رقم: (١٩٤) (ج١ ص ١٨٤).

صِكَاكًا بِرِجَالٍ قَدْ بُعِثَ بِهِمْ إِلَى النَّارِ، وَحَتَّى إِنَّ مَالِكًا خَازِنَ النَّارِ يَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ مَا تَرَكْتَ لِغَضَبِ رَبِّكَ مِنْ أُمَّتِكَ مِنْ نِقْمَةٍ»[1].

و من رواية أنس ﷺ: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لَأَشْفَعَنَّ يَوْمَ القِيَامَةِ لِمَن كَانَ فِي قَلْبِهِ جَنَاحُ بَعُوْضَةٍ إِيْمَانًا**»[2].

فقد اجتمع من اختلاف ألفاظ هذه الآثار: أن شفاعته ﷺ، ومقامه المحمود من أول الشفاعات إلى آخرها، من حين يجتمع الناس للحشر، وتضيق بهم الحناجر، ويبلغ منهم العرق والشمس والوقوف مبلغه، وذلك قبل الحساب، فيشفع حينئذ لإراحة الناس من الموقف، ثم يوضع الصراط، ويحاسب الناس، كما جاء في الحديث عن أبي هريرة وحذيفة.

وهذا الحديث أتقن، فيشفع في تعجيل من لا حساب عليه من أمته إلى الجنة – كما تقدم في الحديث – ثم يشفع فيمن وجب عليه العذاب، ودخل النار منهم حسب ما تقضيه الأحاديث الصحيحة، ثم فيمن قال: لا إله إلا الله. وليس هذا لسواه ﷺ، وفي الحديث الصحيح: «**لَكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ يَدْعُو بِهَا، وَاخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ القِيَامَةِ**»[3].

وفي رواية: «**لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ، فَتَعَجَّلَ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ**»، فتكون هذه الدعوة المذكورة مخصوصةً بالأمة مضمونة الإجابة، وإلا فقد أخبر ﷺ أنه سأل لأمته أشياء من أمور الدين والدنيا وأعطي بعضها، ومنع بعضها، وادَّخَرَ لهم هذه الدعوة ليوم الفاقة، وخاتمة المحن، وعظيم السؤال والرغبة.

---

[1] أخرجه الطبراني في «الأوسط»، رقم: (٢٩٣٧)، (ج٣ ص٢٠٨)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (ج١٠ ص٣٨٠): «فيه محمد بن ثابت البناني، وهو ضعيف».

[2] أخرجه الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» رقم: (٤٢٤٢)، (ج١٤ ص٣٥٥)، وقال الشيخ الألباني في «السلسلة الضعيفة» (ج٩ ص٢٨٥): «ضعيف جدا».

[3] أخرجه البخاري، كتاب الدعوات، باب لكل نبي دعوة مستجابة، (ج١١ ص ٩٦)، وأخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب اختباء النبي ﷺ دعوة الشفاعة لأمته، (ج١ ص١٨٨)، رقم: (١٩٨).

ومعنى الخصوصية لنبينا ﷺ في ذلك: بقاء شريعته إلى يوم القيامة، إذ هي عامة: لقوله: «**وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً**»، ونقل عياض أن الشفاعة المختصة به: شفاعة لا ترد، وقد وقع في حديث ابن عباس: «**وَأُعْطِيْتُ الشّفَاعَةَ فَأَخَّرْتُهَا لِأُمَّتِي، فَهِي لِمَن لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا**»[1].

٥) من الخصائص التشريفية: اختصاصه في الجنة بالوسيلة والدرجة الرفيعة.

من الخصائص التشريفية التي تدل على تقديمه ﷺ، وفضله، وعلو منزلته، وعظم شأنه، ورفعة قدره ﷺ ما خصه الله به من الوسيلة والفضيلة والدرجة العالية الرفيعة، **ومما يؤيد ذلك ما يلي:**

١- عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه سمع النبي ﷺ يقول: «**إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ، فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا اللهَ لِيَ الْوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ، لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ**»[2].

٢- وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : «**إِذَا صَلَّيْتُمْ عَلَيَّ، فَاسْأَلُوا اللَّهَ لِي الْوَسِيلَةَ**»، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْوَسِيلَةُ؟ قَالَ: «**أَعْلَى دَرَجَةٍ فِي الْجَنَّةِ، لَا يَنَالُهَا إِلَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ**»[3].

والوسيلة هي: مرتبة عالية، لا ينالها إلا فرد واحد فقط من جميع الخلق، وهو نبينا محمد ﷺ، والذي سينال هذه المرتبة، يحمده الأولون والآخرون، ويَغْبِطُونَهُ على ذلك الفضل الكريم.

---

[1] «فتح الباري» (ج١ ص٤٣٦).

[2] أخرجه مسلم، كتاب الصلاة، باب استحباب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه ثم يصلي على النبي ﷺ، ثم يسأل الله له الوسيلة، رقم: (٣٨٤) (ج١ ص٢٨٨).

[3] أخرجه أحمد في «مسنده»، (مسند أبي هريرة ﷺ)، رقم: (٧٥٨٨) (ج٢ ص ٢٦٥)، وانظر: «بداية السول في تفضيل الرسول» للعز بن عبد السلام (ص: ٣٩).

وقال ابن كثير: الوسيلة هي: التي يتوصل بها إلى تحصيل المقصود، والوسيلة أيضا: عَلَمٌ عَلَى أعلى منزلة في الجنة، وهي منزلة رسول الله ﷺ وداره في الجنة، وهي أقرب أمكنة الجنة إلى العرش[1].

٣- وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ: اللَّهُمَّ رَبَّ هَذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ، وَالصَّلاَةِ القَائِمَةِ آتِ مُحَمَّدًا الوَسِيلَةَ وَالفَضِيلَةَ، وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتَهُ، حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ**»[2].

والمراد بالفضيلة: المرتبة الزائدة على سائر الخلق، ويحتمل أن تكون منزلة أخرى ... [3].

٤- وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**الوَسِيْلَةُ دَرَجَةٌ عِنْدَ الله، لَيْسَ فَوْقَهَا دَرَجَةٌ، فَسَلُوا الله أنْ يُؤْتِيَنِي الوَسِيْلَةَ وَالفَضِيْلَةَ**»[4].

٦) من الخصائص التشريفية اختصاصه ﷺ بالكوثر.

من الفضائل والخصائص التشريفية التي خص الله به حبيبه يوم القيامة نهر الكوثر، قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ۝٣ ﴾[5]، وهو من خصائصه التفضيلية التي لم تعط لأحد إلا له كما في قوله: ﴿أَعۡطَيۡنَٰكَ﴾ **ويشهد لذلك ما يلي:**

---

[1] ««مختصر ابن كثير»» (ج١ ص ٣٦٢).

[2] أخرجه البخاري، كتاب الأذان، باب الدعاء عند النداء، رقم (٥٨٩) (ج١ ص ٢٢٢).

[3] «حاشية الطحاوي على المراقي» (ج٢ ص ١٩٨).

[4] أخرجه الإمام أحمد في «مسنده»، (مسند أبي سعيد الخدري رضي الله عنه)، رقم (١١٨٠٠) (ج٣ ص٨٣)، وانظر: «مجمع الزوائد»، كتاب الصلاة، باب إجابة المؤذن وما يقول عند الأذان والإقامة، رقم: (١٨٧٦) (ج٢ص ٩٣).

[5] سورة الكوثر.

١- عن أنس: قال رسول الله ﷺ : «**بَيْنَا أَنَا أَسِيرُ فِي الجَنَّةِ، إِذْ عُرِضَ لِي نَهْرٌ حَافَّتَاهُ قِبَابُ اللُّؤْلُؤِ، قُلْتُ لِلْمَلَكِ: مَا هَذَا؟ قَالَ: هَذَا الكَوْثَرُ الَّذِي أَعْطَاكَهُ اللَّهُ، قَالَ: ثُمَّ ضَرَبَ بِيَدِهِ إِلَى طِينَةٍ فَاسْتَخْرَجَ مِسْكًا**»[(١)].

٢- وعن أنس ﷺ قال: بينا رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءة ،ثم رفع رأسه متبسمًا فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله ؟قال: أنزلت علي آنفًا سورة، فقرأ: ﴿ إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ۝٣ ﴾ ثم قال: «**أَتَدْرُونَ مَا الْكَوْثَرُ؟**» فَقُلْنَا اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «**فَإِنَّهُ نَهْرٌ وَعَدَنِيهِ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ، عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ، هُوَ حَوْضٌ تَرِدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، آنِيَتُهُ عَدَدُ النُّجُومِ، فَيُخْتَلَجُ الْعَبْدُ مِنْهُمْ، فَأَقُولُ: رَبِّ، إِنَّهُ مِنْ أُمَّتِي فَيَقُولُ: مَا تَدْرِي مَا أَحْدَثَتْ بَعْدَكَ**»[(٢)].

٣- عن عائشة وعبد الله بن عمرو مثله، قال: «**وَمَجْرَاهُ عَلَى الدُّرِّ وَالْيَاقُوتِ، وَمَاؤُهُ أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، وَأَبْيَضُ مِنَ الثَّلْجِ**»[(٣)].

٤- عن ابن عباس ﷺ أنه قال في الكوثر: هو الخير الذي أعطاه الله إياه، قال أبو بشر قلت لسعيد بن جبير ﷺ فإن الناس يزعمون أنه نهر في الجنة؟ فقال سعيد: النهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه الله إياه[(٤)].

٥- عن حذيفة ﷺ فيما ذَكَرَ ﷺ عن ربه: «**وَأَعْطَانِي الكَوْثَرَ، وَهُوَ نَهْرٌ فِي الجَنَّةِ، يَسِيْلُ فِي حَوْضِي**»[(١)] فماء الحوض يأتي من الكوثر.

---

(١) أخرجه الترمذي، كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ، باب: ومن سورة الكوثر، رقم (٣٣٦٠)، (ج٥ ص٤٤٩)، وقال الشيخ الألباني: «صحيح»، والإمام أحمد في «مسنده»، (مسند أنس بن مالك ﷺ)، رقم (١٣١٧٩) (ج٣ ص ٢,٧).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الصلاة، باب حجة مَن قال البسملة آية من أول كل سورة سوى براءة، رقم (٤٠٠) (ج١ص ٣٠٠).

(٣) أخرجه الترمذي، كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ، باب ومن سورة الكوثر، رقم: (٣٣٦١)، (ج٥ ص٤٤٩)، وقال الشيخ الألباني: صحيح.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب تفسير سورة{ إنا أعطيناك الكوثر }، رقم: (٤٦٨٢) (ج٤ ص ١٩٠).

٧) من الخصائص التشريفية: ما خصه الله تعالى به من المعاني والأسرار العالية في قوله تعالى:

﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴾[٢].

من الخصائص التشريفيّة التي تدل على فضله، وعلو منزلته، وعظم شأنه، ورفعة قدره ﷺ أن الله يعطيه حتى يرضي كما هو ظاهر الآية.

وقد ذكر النووي أنه: ﷺ لما نزلت الآية الكريمة رفع يديه وقال: «**اللَّهُمَّ أمَّتِي! أمَّتِي!**» وبكى فقال الله ﷻ: يا جبريل اذهب إلى محمد – وربك أعلم– فاسأله ما يبكيك؟ فأتاه جبريل عليه السلام فسأله، فأخبره النبي ﷺ بما قال – وهو أعلم – فقال الله تعالى: يا جبريل اذهب إلى محمد فقل: أنا سنرضيك في أمتك، ولا نَسُوءُكَ[٣].

وهذا الحديث موافق لقول الله ﷻ: {وَلَسَوفَ يُعْطِيْكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى}، وأما قوله تعالى: «**وَلَا نَسُوءُكَ**» : تأكيد للمعنى، أي: لا نُحْزِنُك لان الإرضاء قد يحصل في حق البعض بالعفو عنهم ويدخل الباقي النار، فقال تعالى: نرضيك ولا ندخل عليك حزنا بل ننجي الجميع[٤].

قال النووي: هذا الحديث مشتمل على فوائد منها:

١– بيان عظم منزلة النبي ﷺ عند الله تعالى، وعظيم لطفه سبحانه به ﷺ، والحكمة في إرسال جبريل لسؤاله ﷺ: إظهار شرف النبي ﷺ وأنه بالمحل الأعلى فيُسْتَرْضَى ويُكْرَمُ بما يرضيه.

---

[١] أخرجه الإمام أحمد في «مسنده»، (حديث حذيفة بن اليمان عن النبي ﷺ)، رقم (٢٣٣٨٤) (ج٥ ص ٣٩٣)، وانظر: «عظيم قدره ﷺ ورفعة مكانته عند ربه ﷻ» (ص: ١٧٥، و١٧٨).

[٢] سورة الضحى آية: (٥).

[٣] أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب دعاء النبي ﷺ لأمته وبكائه شفقة عليهم، رقم: (٢,٢) (ج١ص ١٩١)، وأخرجه ابن حبان في «صحيحه»، كتاب إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة رجالهم ونسائهم بذكر أسمائهم رضوان الله عليهم أجمعين، باب فضل الأمة،رقم (٧٢٣٥) (ج١٦ ص ٢١٧).

[٤] «شرح النووي على صحيح مسلم» (ج٣ ص٧٩).

٢- بيان كمال شفقة النبي ﷺ على أمته واعتنائه بمصالحهم واهتمامه بأمرهم.

٢ - ومنها استحباب رفع اليدين في الدعاء.

٣- ومنها البشارة العظيمة لهذه الأمة - زادها الله تعالى شرفًا - بما وعدها الله تعالى بقوله: «**سَنُرْضِيْكَ فِي أُمَّتِكَ وَلَا نَسُوءُكَ**»[١].

٨) من خصائصه ﷺ التشريفية أنه ﷺ أول من يجيز على الصراط:

مما خص به ﷺ عن باقي الأنبياء أنه أول من يجتاز بأمته الصراط قبل كل الخلق، ومما يشهد لذلك. حديث أبي هريرة ﷺ - الطويل - قال: إن ناس قالوا لرسول الله ﷺ: يا رسول الله؛ هل نرى ربنا يوم القيامة ؟. .... الحديث، وفيه قوله ﷺ: «**وَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّم، فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي أَوَّل مَن يُجِيْز** ...»[٢].

ولفظ البخاري: «**فَأَكُونُ أَوَّل مَن يُجِيزُ مِن الرُّسُل بِأمته**»[٣].

٩) من خصائصه ﷺ التشريفية أنه ﷺ أول من يقرع باب الجنة:

وكما خص ﷺ بأنه أول من يجيز على الصراط، فإنه ﷺ أول من يقرع باب الجنة، فيفتح له، ولا تفتح لأحد قبله ﷺ.

فعن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَنَا أَكْثَر الأَنْبِياء تَبعًا يَوم القِيامَة، وَأَنَا أَوَّل مَن يَقْرَع بَابَ الجَنَّة**»[١].

---

[١] «شرح النووي على صحيح مسلم» (ج٣ ص ٧٨) و«غاية السول في خصائص الرسول» ﷺ (ج١ ص ٦٧).

[٢] الحديث متفق عليه واللفظ لمسلم؛ أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب الصراط جسر جهنم، رقم (٦٢,٤) (ج٥ ص٢٤,٣)، وأخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، رقم (١٨٢) (ج١ ص١٦٣).

[٣] أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب الصراط جسر جهنم، رقم: (٦٢,٤) (ج٥ ص٢٤,٣).

وعنه ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ «**آتِي يَوم القِيَامَة، فَأسْتَفْتِح، فَيَقُول الخَازِن: مَــنْ أنْــتَ؟ فَأقُول: مُحَمَّد، فَيَقُولُ: بِكَ أمِرتُ، لَا أفْتَح لِأحَدٍ قَبْلَك**»[٢].

١٠) من خصائصه ﷺ التشريفية أنه ﷺ أول من يدخل الجنة.

وكما أنه ﷺ أول من يجيز على الصراط، وأول من يقرع باب الجنة فهو أيضا أول مَنْ يَدْخُل الجنة، ومعه فقراء هذه الأمة وهذا من الخصائص التشريفية التي تدل على تقديمه ﷺ وفضله وعلو منزلته، وعظم شأنه، ورفعة قدره ﷺ وأمته **ويدل على ذلك ما يلي:**

١- عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**آتِي يَومَ القِيامة، فَأستَفْتَح، فَيقُولُ الخَازِن: مَنْ أنْتَ؟ فَأقُولُ: مُحَمد، فَيقول: بِكَ أمِرْتُ، لَا أفْتَحُ لِأحَدٍ قَبْلَك**»[٣].

٢- ويوضِّحه رِواية أخرى يقول فيها أنس أيضًا: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إِنِّي لَأَوَّلُ النَّاسِ تَنْشَقُّ الْأَرْضُ عَنْ جُمْجُمَتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ، آتِي بَابَ الْجَنَّةِ فَآخُذُ حَلْقَتَهُ فَيَقُولُ: مَنْ هَذَا؟ فَأَقُولُ: أَنَا مُحَمَّدٌ فَيَفْتَحُونَ لِي فَأَدْخُلُ، فَأَجِدُ الْجَبَّارُ مُسْتَقْبِلِي فَأَسْجُدْ لَهُ**»[٤].

١١) من خصائصه ﷺ التشريفية أن يكون له ﷺ كرسي عن يمين العرش.

---

[١] أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب في قول النبي ﷺ أنا أول الناس يشفع في الجنة وأنا أكثر الأنبياء تبعا، رقم (١٩٦)، (ج١ ص١٨٨).

[٢] أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب في قول النبي ﷺ أنا أول الناس يشفع في الجنة وأنا أكثر الأنبياء تبعا، رقم: (١٩٧) (ج١ ص ١٨٨).

[٣] أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب في قول النبي ﷺ أنا أول الناس يشفع في الجنة وأنا أكثر الأنبياء تبعا، رقم: (١٩٧) (ج١ ص ١٨٨).

[٤] أخرجه الدارمي في «سننه»، باب ما أعطي النبي ﷺ من الفضل، رقم (٥٢) (ج١ ص ٤١)، وانظر: «كنز العمال»، كتاب القيامة، من قسم الأقوال، وفيه بابان، الإكمال من الشفاعة، رقم: (٣٩,٨٩) (ج١٤ ص٤٧٤).

ومما خصه الله ﷻ يوم القيامة، أن يكون له كرسي عن يمين العرش، ولا يكون ذلك لأحد إلا له ﷺ **ويدل على ذلك ما يلي:**

١- قوله تعالى له مبينا عظم مكانته في الآخرة: ﴿ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴾[١].

٢- ما رواه أبو هريرة ﷺ قال: قال ﷺ: **«أَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الأَرْضُ فَأُكْسَى الْحُلَّةَ مِنْ حُلَلِ الْجَنَّةِ، ثُمَّ أَقُومُ عَنْ يَمِينِ الْعَرْشِ لَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الْخَلَائِقِ يَقُومُ ذَلِكَ الْمَقَامَ غَيْرِي»**[٢].

وهذا هو وجه الخصوصية أنه لا يقوم أحد ذلك المقام غيره ﷺ، فهو مقام من مقاماته يوم القيامة، وما أكثر مقاماته ﷺ يوم القيامة.

١٢) من خصائصه ﷺ التشريفية: تأخير دعوته ﷺ المستجابة.

ومما خصه الله ﷻ به دون غيره من الأنبياء، وشرفه به، وفضله عليهم أن: أخر له ﷺ دعوته المستجابة - التي منحها الله تعالى له - إلى يوم القيامة خلافًا للأنبياء السابقين، فقد استعجلوا دعواتهم، فمنهم من دعا على قومه، ومنهم من دعا في دنياه، **ومما يدل على ذلك ما يلي:**

١- عن أبي بن كعب ﷺ قال: كنت في المسجد، فدخل رجل يصلي، فقرأ قراءة أنكرتها عليه، ثم دخل آخر، فقرأ قراءة سوى قراءة صاحبه، فلما قضينا الصلاة، دخلنا جميعًا على رسول الله ﷺ، فقلت: إن هذا قرأ قراءة أنكرتها عليه، ودخل آخر فقرأ سوى قراءة صاحبه، فأمرهما رسول الله ﷺ فقرآ، فحسّن النبي ﷺ شأنهما، فسقط في نفسي من التكذيب ولا إذ كنت في الجاهلية، فلما رأى رسول الله ﷺ ما قد غشيني: ضَرَبَ فِي صَدْرِي، فَفِضْتُ عَرَقًا، وكأنما أنظر إلى الله ﷻ فرقًا، فقال لي: **«يَا أُبَيُّ أُرْسِلَ إِلَيَّ أَنِ اقْرَأِ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ، فَرَدَدْتُ إِلَيْهِ أَنْ هَوِّنْ عَلَى**

---

[١] سورة الضحى آية: (٤).

[٢] أخرجه الترمذي في سننه، أبواب المناقب، باب: فضل النبي ﷺ، رقم: (٣٦١١)، (ج٥ ص٥٨٦)، وقال: «حديث حسن».

أُمَّتِي، فَرَدَّ إِلَيَّ الثَّانِيَةَ اقْرَأْهُ عَلَى حَرْفَيْنِ، فَرَدَدْتُ إِلَيْهِ أَنْ هَوِّنْ عَلَى أُمَّتِي، فَرَدَّ إِلَيَّ الثَّالِثَةَ اقْرَأْهُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ، فَلَكَ بِكُلِّ رَدَّةٍ رَدَدْتُكَهَا مَسْأَلَةٌ تَسْأَلُنِيهَا، فَقُلْتُ: اللهُمَّ اغْفِرْ لِأُمَّتِي، اللهُمَّ اغْفِرْ لِأُمَّتِي، وَأَخَّرْتُ الثَّالِثَةَ لِيَوْمٍ يَرْغَبُ إِلَيَّ الْخَلْقُ كُلُّهُمْ، حَتَّى إِبْرَاهِيمُ ﷺ»[1].

٢- وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ إِلا لَهُ دَعْوَةٌ قَدْ تَنَجَّزَهَا فِي الدُّنْيَا، وَإِنِّي قَدْ اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي، وَأَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلا فَخْرَ ...»**[2].

٣- عن أنس رضي الله عنه: عن النبي ﷺ قال: **«كُلُّ نَبِيٍّ سَأَلَ سُؤْلًا»** أَوْ قَالَ: **«لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ قَدْ دَعَا بِهَا فَاسْتُجِيبَ، فَجَعَلْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ القِيَامَةِ»** [3].

٤- وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: طلبت رسول الله ﷺ ليلة، فوجدته قائما يصلي، فأطال الصلاة، ثم قال: **«أُوتِيتُ اللَّيْلَةَ خَمْسًا لَمْ يُؤْتَهَا نَبِيٌّ قَبْلِي؛ أُرْسِلْتُ إِلَى الْأَحْمَرِ وَالْأَسْوَدِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ فَيُرْعَبُ الْعَدُوُّ، وَهُوَ عَلَى مَسِيرَةِ شَهْرٍ وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَقِيلَ لِي: سَلْ تُعْطَهْ فَاخْتَبَأْتُهَا شَفَاعَةً لِأُمَّتِي فَهِيَ نَائِلَةٌ مَنْ لَمْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ شَيْئًا»**[4].

---

[1] أخرجه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف وبيان معناه، رقم (٨٢٠) (ج١ ص ٥٦١).

[2] في الصحيح بمعناه، أخرجه البخاري، كتاب الإيمان باب اختباء دعوته لأمته، (ج١ ص ١٨٩)، ومسلم (ج١١ ص ٩٦)، وأخرجه أحمد في «مسنده»، (مسند عبد الله بن العباس بن عبد المطلب عن النبي ﷺ)، رقم (٢٥٤٦) (ج١ ص ٢٨١)، وانظر: «التمهيد» (ج١٩ ص٦٣).

[3] أخرجه البخاري، كتاب الدعوات، باب لكل نبي دعوة مستجابة، رقم (٥٩٤٦) (ج٥ ص ٢٣٢٣)، وأخرجه مسلم في الإيمان باب اختباء النبي ﷺ دعوة الشفاعة لأمته، رقم: (٢٠٠) (ج١ ص ١٨٨).

[4] سبق تخريجه.

١٣) من الخصائص التشريفية للنبي ﷺ على إخوانه من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين أنه: أكملهم، وسيدهم، وخطيبهم، وإمامهم، وخاتمهم.

وهذا بَيِّنٌ فِي التَّشْرِيفِ والتكريم والتعظيم، وقد دل على ذلك أحاديث كثيرة من أهمها ما يلي:

١- عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ القَبْرُ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ، وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ**»[(١)].

٢- وعن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ القِيَامَةِ وَبِيَدي لِوَاءُ الحَمْدِ وَلَا فَخْرَ، وَمَا مِن نَبِيٍّ يَوْمَئِذٍ – آدَمُ فَمَن سِوَاهُ – إِلَّا تَحْتَ لِوَائِي، وَأَنَا أَوَّلُ مَن تَنْشَقُّ عَنْهُ الأَرْضُ وَلَا فَخْرَ**»[(٢)].

ولهذا قال الطحاوي مبينًا مذهب أهل السنة والجماعة: «وجوب الإيمان بأن محمداً عبده المصطفى، ونبيه المجتبى، ورسوله المرتضى»[(٣)].

قال ابن تيمية معلقًا وشارحًا: الاصطفاء والاجتباء والارتضاء: متقارب المعنى، واعلم أن كمال المخلوق في تحقيق عبوديته لله تعالى، وكلما ازداد العبد تحقيقًا للعبودية ازداد كماله وعلت درجته.

ثم قال: وذكر الله نبيه ﷺ باسم العبد في أشرف المقامات، فقال في ذكر الإسراء: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ ﴾[(٤)].

وقال تعالى: ﴿ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ ﴾[(١)]، وقال تعالى: ﴿فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى﴾[(٢)]، وقال تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا ﴾[(٣)]، وبذلك استحق

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الفضائل، باب تفضيل نبينا ﷺ على جميع الخلائق، رقم (٢٢٧٨)، (ج٤ ص١٧٨٣).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) «العقيدة الطحاوية» (ج١ ص ٢٢)، و«شرح العقيدة الطحاوية» (ج١ ص ١٤٩).

(٤) سورة الإسراء آية: (١).

التقديم على الناس في الدنيا والآخرة؛ ولذلك يقول المسيح عليه السلام يوم القيامة، إذا طلبوا منه الشفاعة بعد الأنبياء عليهم السلام: «اذهبوا إلى محمد، عبد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر»، فحصلت له تلك المرتبة بتكميل عبوديته لله تعالى، وما أحسن ما قال حسان رضي الله عنه:

لَوْ لَم يَكُن فِيْهِ آيَاتٌ مُبَيِّنَةٌ *** كَانَتْ بَدِيْهَتُهُ تَأتِيْكَ بِالخَبَرِ[٤]

١٤)– من الخصائص التشريفية أنه صاحب اللواء الأعظم يوم القيامة.

جاءت الروايات عن النبي ﷺ تقرر أن الله فَضَّلَ حبيبه وشرفه يوم القيامة بأنه صاحب اللواء الأعظم، فإنه إذا كان يوم القيامة كان الناس بما فيهم الأنبياء تحت لوائه ﷺ، وهذا غاية التكريم والتقدير والتشريف والتفضيل ومن الأحاديث الدالة على ذلك ما يلي:

١– عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ القِيَامَةِ وَبِيَدي لِوَاءُ الحَمْدِ وَلَا فَخْرَ، وَمَا مِن نَبِيٍّ يَوْمَئِذٍ – آدَمُ فَمَن سِوَاهُ – إِلَّا تَحْتَ لِوَائِي، وَأَنَا أَوَّلُ مَن تَنْشَقُّ عَنْهُ الأَرْضُ وَلَا فَخْرَ»**[٥].

٢– عن عبادة بن الصامت [٦] رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ، مَا مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَهُوَ تَحْتَ لِوَائِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَنْتَظِرُ الْفَرَجَ، وَإِنَّ مَعِي لِوَاءَ الْحَمْدِ، أَنَا**

---

[١] سورة الجن آية: (١٩).

[٢] سورة النجم آية: (٩).

[٣] سورة البقرة آية: (٢٣).

[٤] «شرح العقيدة الطحاوية» (ج١ ص٢٤٩).

[٥] سبق تخريجه، ويراجع: «إتحاف السادة المتقين» (ج١٠ ص٤٩٦)، وذكره ابن كثير في «تفسيره» (ج٢ ص٣٧٥).

[٦] هو: عبادة بن الصامت بن قيس، أبو الوليد، الأنصاري الخزرجي : صحابي، من الموصوفين بالورع، شهد بدراً، وقال ابن سعد: كان أحد النقباء بالعقبة، وآخى النبي ﷺ بينه وبين أبي مرثد الغنوي، وشهد المشاهد كلها بعد بدر، وروى: (١٨١) حديثاً، اتفق البخاري ومسلم على ستة منها، وكان من سادات الصحابة، توفي (سنة: ٣٤هـ). يراجع: «الإصابة» (ج٢ ص٢٦٨)، و«تهذيب التهذيب» (ج٥ ص١١١)، و«الأعلام» (ج٤ ص٣٠).

أَمْشِي وَيَمْشِي النَّاسُ مَعِي حَتَّى آتِيَ بَابَ الْجَنَّةِ فَأَسْتَفْتِحُ فَيُقَالُ: مَنْ هَذَا؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ، فَيُقَالُ: مَرْحَبًا بِمُحَمَّدٍ، فَإِذَا رَأَيْتُ رَبِّي خَرَرْتُ لَهُ سَاجِدًا أَنْظُرُ إِلَيْهِ»[1].

١٥)– من الخصائص التشريفية ما خصه الله به في مخاطبته بقوله: ﴿ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴾[2].

لا أحد يستطيع أن يحصي فضل الله على رسوله، لا في الدنيا، ولا في الآخرة، وأدل دليل على ذلك قوله تعالى مخاطبًا حبيبه في كتابه المنزل: ﴿ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴾، يعني: ما أعددته لك عندي في الآخرة خير لك مما عجلت لك من الكرامة في الدنيا[3].

وقال ابن عباس في معناها: أُرِيَ النبي ﷺ ما فتح الله على أمته بذلك، فنزل جبريل بقوله:﴿ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ۝ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴾، وقيل: الحوض والشفاعة.

وقيل: ما أعد الله لك في الآخرة من المقام المحمود، والحوض المورود والخير الموعود خير مما أعجبك في الدنيا.

وقيل: رضي محمد ألا يدخل أحد من أهل بيته النار.

وقال السدي[4]: هي الشفاعة في جميع المؤمنين[5].

---

[1] أخرجه الحاكم في «المستدرك» رقم: (٨٢)، (ج١ ص٨٣)، وقال: «هذا حديث كبير في الصفات والرؤية، صحيح على شرط الشيخين»، ووافقه الذهبي في «التلخيص».

[2] سورة الضحى آية: (٤).

[3] «تفسير القرطبي» (ج٢٠ ص ٨٦) .

[4] هو: إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة، أبو محمد، السُدِّي – بضم السين وتشديد الدال، نسبة إلى سدة مسجد الكوفة، كان يبيع بها المقانع –: من أهل الكوفة، تابعي، صدوق يهم، ورمي بالتشيع، كان عارفًا بالوقائع وأيام الناس . روى عن أنس وابن عباس، ورأى ابن عمر، وروى عنه شعبة والثوري والحسن بن صالح وآخرون، توفي (سنة: ١٢٧ هـ) من مصنفاته : " تفسير القرآن ". انظر ترجمته في: «النجوم الزاهرة» (ج١ ص٣,٨)؛ و«هدية العارفين» (ج٥ ص٢,٦).

[5] «تفسير القرطبي» (ج٢٠ ص ٨٦).

وعن علي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَشْفَعُ لِأُمَّتِي حَتَّى يُنَادِينِي رَبِّي فَيَقُولُ: أَرَضِيْتَ يَا مُحَمَّد؟ فَأَقُولُ: نَعَم رَضِيْتُ**»[1] وهذا ليس لأحد إلا للنبي ﷺ.

١٦) من الخصائص التشريفية له ﷺ أن جعله الله شاهدا وشهيدا على الأنبياء والأمم السابقة.

من الفضائل والخصائص التشريفية أن جعل الله ﷻ نبيه وصفيه سيدنا محمد ﷺ شهيدًا على الأنبياء السابقين عليه وعليهم الصلاة والسلام، وشهيدًا على أمته، كما جعله الله ﷻ شاهدًا عليهم أيضًا، وعلى الأمم السابقة، وهذا أمر لم يُجْعَل لأحد إلا النبي ﷺ.

ومما يؤيده ما يلي:

١- قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾[2].

٢- وقوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكۡرَةً وَأَصِيلاً ﴾[3].

٣- وقوله تعالى: ﴿ فَكَيۡفَ إِذَا جِئۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةِۭ بِشَهِيدِۢ وَجِئۡنَا بِكَ عَلَىٰ هَـٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾[4]، وشهادة النبي الأكرم ﷺ شهادة عامة على أمته وعلى جميع الأمم، وهذا يتفق مع عمومية رسالته لكل الأمم وللناس عامة إلى يوم الدين، وكما في قوله تعالى:﴿ وَيَوۡمَ نَبۡعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٖ

---

[1] أخرجه البزار في «مسنده»، رقم: (٦٣٨)، (ج٢ ص٢٣٩)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (ج١٠ ص٣٧٧): «فيه محمد بن أحمد بن زيد المداري، و لم أعرفه، وبقية رجاله وثقوا على ضعف في بعضهم».

[2] سورة الأحزاب آية: (٤٥، ٤٦).

[3] سورة الفتح، آية: (٨، ٩).

[4] سورة النساء، آية: (٤١).

شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾[1].

وأما كونه ﷺ شاهدًا على أمته وشهيدًا عليها، كما في قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾[2]، وقوله: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴾[3]، وقوله تعالى:

﴿ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ ۖ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾[4].

وأما الأحاديث النبوية فمنها:

١- عن جابر رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ يَجْمَعُ بَيْنَ الرجلين من قتلى أحد في ثوب واحد، ثم يقول: «**أَيُّهُم أَكْثَرُ أَخْذًا للقُرْآنِ ؟**» فإذا أشير له إلى أحدهما قَدَّمَه فِي اللَّحْدِ، وقال: «**أَنَا شَهِيْدٌ عَلَى هَؤُلَاءِ يَوْمَ القِيَامَةِ**»[5].

٢- وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**يُدْعَى نُوحٌ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: هَلْ بَلَّغْتَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيُقَالُ لِأُمَّتِهِ: هَلْ بَلَّغَكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: مَا أَتَانَا مِنْ نَذِيرٍ، فَيَقُولُ: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ، فَتَشْهَدُونَ أَنَّهُ قَدْ**

---

[1] سورة النحل، آية: (٨٩).

[2] سورة البقرة، آية: (١٤٣).

[3] سورة المزمل آية: (١٥).

[4] سورة الحج آية: (٨٧).

[5] أخرجه البخاري، كتاب الجنائز، باب الصلاة على الشهيد، رقم: (١٢٧٨) (ج١ ص٤٥٠)، وانظر: «فتح الباري» (ج١ ص٤٣٦).

بَلَّغَ: ﴿ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدًا ﴾، فَذَلِكَ قَوْلُه جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدًا ﴾[1] .

[1] أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب تفسير سورة البقرة، رقم: (٤٢١٧) (ج٤ ص١٦٣٢).

المبحث الثالث

من الخصائص التشريعية للنبي ﷺ

خصائص الرسول ﷺ التشريعية هي: الخصائص التي اختص الله بها رسوله الكريم ﷺ، والتي تتعلق بجانب الأحكام والتشريع في العبادات والمعاملات المالية أو الاجتماعية؛ فمن المتفق عليه بين الفقهاء أن الله تعالى خص نبيه ﷺ بخصائص تشريعية، وأحكام متعددة ومتنوعة خُصَّ بها ﷺ ولم يشاركه فيها غيره، وهذه الخصائص التشريعية تشير إلى أن منزلة النبي ﷺ لا يصل إليها أحد؛ لأن الله أوجب عليه وَحَرَّمَ عليه ما ليس لغيره.

بمعنى: أن الله فرض عليه أشياء ليست مفروضة على أحد غيره، وهذا يعني أنه مهما تقرب المتقربون لن يصلوا إلى منزلة النبي ﷺ؛ لأن الله فرض عليه ما لم يفرضه عليهم، وقد قال تعالى في الحديث القدسي: «**مَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ** ... »[1].

فزيادة النبي ﷺ في الفرائض المفروضة عليه تعني: أن كل المنازل في القُرْبِ من الله بعد منزلته، لأنه مهما تعبد المتعبدون، وتقرب المتقربون، فالفرائض عندهم محدودة، وقد شاركوا النبي ﷺ وزاد عليهم ما خصه الله به، فزيادة تقربهم بعد فرائضهم لا تكون إلا بالنوافل، ومعظم نوافلهم كانت فرائض للنبي ﷺ، وفرق بين الفرض والنفل، لأن نية الفرض أقوى من نية النفل[2]؛ ولهذا كانت الفريضة في رمضان بسبعين فريضة فيما سواه، والنفل فيه كفريضة فيما سواه[3]، وبهذا فمهما تعبد المتعبدون لن يستطيعوا أن يصلوا إلى منزلته ﷺ.

---

(1) أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب التواضع، رقم: (٦١٣٧) (ج٥ ص ٢٣٨٤).

(2) «حاشية رد المحتار» (ج٢ ص٢٩١)، و«تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق» (ج١٠ ص٤٠)، و«مغني المحتاج» (ج١ ص٣٤)، و«الموافقات» (ج٣ ص ٢,١)، و«روضة الناظر» (ج١ ص ٢١٥).

(3) أصل ذلك: حديث سعيد بن المسيب عن سلمان قال : خطبنا رسول الله ﷺ في آخر يوم من شعبان فقال: «**أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ أَظَلَّكُمْ شَهْرٌ عَظِيمٌ، شَهْرٌ مُبَارَكٌ، شَهْرٌ فِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، جَعَلَ اللَّهُ صِيَامَهُ فَرِيضَةً، وَقِيَامَ لَيْلِهِ تَطَوُّعًا، مَنْ**

قال النووي: والحكمة فيه زيادة الزلفى والدرجات، فلن يتقرب المتقربون إلى الله تعالى بمثل أداء ما افترض عليهم، قلت: قال إمام الحرمين هنا: قال بعض علمائنا: «الفريضة يزيد ثوابها على ثواب النافلة بسبعين درجة»[1].

وسوف أتناول في هذا البحث خصائص النبي ﷺ التشريعية على تنوعها وتعددها في المطلبين الآتيين:

المطلب الأول: من الخصائص التشريعية التي اختص بها ﷺ دون غيره من الأنبياء والأمة.

المطلب الثاني: الخصائص التشريعية التي اختص بها دون الأمة، وقد يشاركه فيها الأنبياء.

تَقَرَّبَ فِيهِ بِخَصْلَةٍ مِنَ الْخَيْرِ، كَانَ كَمَنْ أَدَّى فَرِيضَةً فِيمَا سِوَاهُ، وَمَنْ أَدَّى فِيهِ فَرِيضَةً كَانَ كَمَنْ أَدَّى سَبْعِينَ فَرِيضَةً فِيمَا سِوَاهُ». «صحيح ابن خزيمة» (ج٣ ص١٩١)، و«السلسلة الضعيفة» (ج٢ ص ٢٦٢).

[1] «روضة الطالبين وعمدة المفتين» (ج٢ ص٤٤٩).

المطلب الأول

من الخصائص التشريعية التي اختص بها ﷺ دون غيره من الأنبياء والأمة

في هذا المطلب أتناول الخصائص التشريعية للنبي ﷺ وهي على أنواع أربعة [1]:

١- ما وجب عليه دون غيره.

٢- ما حرم عليه دون غيره.

٣- ما أباحه الله له دون غيره.

٤- ما فضله الله به من الفضائل التي لم تثبت لغيره.

النوع الأول

من خصائصه التشريعية: ما وجب عليه دون غيره من الأنبياء والأمة

وهي أشياء كثيرة من أهمها:

١) من خصائصه التشريعية: وجوب صلاة الضحى.

من خصائصه التشريعية وجوب صلاة الضحى عليه ﷺ، وقد اختلف الفقهاء في وجوب صلاة الضحى على رسول الله ﷺ، مع اتفاقهم على عدم وجوبها على المسلمين على رأيين:

---

[1] «شرح «مختصر خليل» (ج٣ ص ١٥٧)، و«الإنصاف» (ج٨ ص ٣٩)، و«الإقناع» (ج٣ ص ١٦٢).

الرأي الأول: يري الشافعية [١]، وبعض المالكية [٢] والحنابلة [٣]: أن صلاة الضحى مفروضة على رسول الله ﷺ.

واستدلوا على ذلك بحديث رسول الله ﷺ: «**ثَلاثٌ هُنَّ عَلَيَّ فَرَائِضُ، وَلَكُم تَطَوُّعٌ: النَّحْرُ والوِتْرُ ورَكْعَتَا الضُّحَى**»[٤].

وأقل الواجب منها ركعتان لقوله ﷺ: «**أمِرْتُ بِرَكْعَتَيِ الضُّحَى وَلَم تُؤْمَرُوا بِهَا**»[٥].

الرأي الثاني: يرى المالكية في رواية[٦] والشافعية في وَجْهٍ[٧]: أن صلاة الضحى ليست مفروضة على رسول الله ﷺ لقوله ﷺ : «أمِرْتُ بِالوِتْرِ ورَكْعَتَي الضُّحَى وَلَم تُكْتَب»[٨].

فعلى الرأي الأول: أن وجوب صلاة الضحى من خصائصه ﷺ.

---

[١] «مغني المحتاج» (ج٣ ص١٢٣)، و«الخصائص الكبرى» (ص: ٢٥٣)، وقال النووي: «فمِنْ ذلك: صلاة الضحى، ومنه: الأضحية والوتر والتهجد والسواك والمشاورة على الصحيح في الخمسة، والأرجح: أن الوتر غير التهجد، قلت: جمهور الأصحاب على أن التهجد كان واجبا عليه ﷺ». ««روضة الطالبين وعمدة المفتين» (ج٢ ص٤٤٩).

[٢] «مواهب الجليل» (ج٣ ص٣٩٣)، و«منح الجليل شرح مختصر خليل» (ج٦ ص١٨٦)، و«التاج والإكليل» (ج٣ ص٣٩٣).

[٣] «الإنصاف» (ج٨ ص٣٩)، و«الإقناع» (ج٣ ص١٦٢).

[٤] أخرجه الحاكم في «المستدرك»، كتاب الوتر، ومن كتاب الإمامة وصلاة الجماعة، رقم: (١١١٩) (ج١ص٤٤١)، وانظر: «مجمع الزوائد»، كتاب علامات النبوة، باب ما جاء في الخصائص، رقم: (١٣٩٧٩) (ج٨ ص٤٧٣).

[٥] أخرجه الإمام أحمد في «مسنده»، مسند عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، رقم: (٢٩١٨) (ج١ ص٣١٧)، وقال شعيب الأرنؤوط: «إسناده ضعيف»، وانظر: «مجمع الزوائد»، كتاب علامات النبوة، باب: ما جاء في الخصائص، رقم: (١٣٩٧٨) (ج٨ ص٤٧٣).

[٦] «الفصول في السيرة» (ج١ ص٣,٧).

[٧] «شرح الزرقاني على مختصر خليل» (ج٢ ص١٥٥).

[٨] أخرجه ابن نصر المروزي في: «مختصر قيام الليل» (ص: ٢٧٤)، وضعفه الألباني في «السلسلة الضعيفة» (ج٦ ص٤٩٢).

٢) من خصائصه التشريعية وُجُوبُ السواك.

اتفق الفقهاء علي أن السواك ليس مفروضا علي الأمة لكنهم اختلفوا في حكمه في حق النبي ﷺ علي رأيين:

الرأي الأول: يرى المالكية[١] والشافعية في الراجح[٢] والحنابلة[٣]: أن السواك واجب عليه ﷺ على الصحيح، فوجوبه من خصائصه.

واستدلوا على ذلك: بحديث عبد الله بن حنظلة أن رسول الله ﷺ: «**أمِرَ بِالوُضُوءِ لِكُلِّ صَلَاةٍ، طَاهِرًا وغَيْرَ طَاهِرٍ، فَلَمَّا شَقَّ عَلَيْهِ ذَلِك أُمِرَ بِالسِّوَاكِ لِكُلِّ صَلَاةٍ**»، وفي لفظ: «**وُضِعَ عَنْهُ الوُضُوءُ إلَّا مِنْ حَدَثٍ**»[٤].

الرأي الثاني: يرى الشافعية في وجه[٥] أن السواك في حقه كما هو في حق الأمة مستحب وليس واجبا، فهو ليس من خصائصه.

واستدلوا على ذلك بما يلي:

١- بحديث واثلة بن الأسقع رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أمِرْتُ بِالسِّوَاكِ حَتَّى خَشِيْتُ أنْ يُكْتَبَ عَلَيَّ»[٦].

---

[١] «منح الجليل شرح مختصر خليل» (ج٦ ص١٨٦)، و«مواهب الجليل» (ج٣ ص٣٩٤)، و«التاج والإكليل» (ج٣ ص٣٩٣).

[٢] «نهاية المحتاج» (ج٦ ص١٧٥)، و«روضة الطالبين» (ج٧ ص٣).

[٣] «الإنصاف» (ج٨ ص ٣٩).

[٤] أخرجه الإمام أحمد في «مسنده»، حديث عبد الله بن حنظلة بن الراهب بن أبي عامر الغسيل غسيل الملائكة، رقم: (٢٢٠١٠) (ج٥ ص٢٢٥)، وقال شعيب الأرنؤوط: «إسناده حسن»، وأخرجه ابن خزيمه في «صحيحه»، كتاب الوضوء، باب الدليل على أن الوضوء لا يجب إلا من حدث، رقم: (١٥) (ج١ ص١١)، وقال الأعظمي: «إسناده حسن».

[٥] «الخصائص الكبرى» للسيوطي (ج٢ ص ٣٧١).

[٦] أخرجه الإمام أحمد في «مسنده»، حديث واثلة بن الأسقع من الشاميين رضي الله عنه، رقم: (١٦٠٥٠) (ج٣ ص٤٩٠)، وقال شعيب الأرنؤوط: «حديث حسن لغيره».

٢- حديث أبي أمامة ﷺ أن النبي ﷺ، قال: «**تَسَوَّكُوا فَإِنَّ السِّوَاكَ مَطْهَرَةٌ للفَمِ مَرْضَاةٌ للرَّبِّ، مَا جَاءَنِي جِبْرِيلُ إِلَّا أَوْصَانِي بِالسِّوَاكِ؛ حَتَّى خَشِيْتُ أَنْ يُفْرَضَ عَلَيَّ وَعَلى أُمَّتِي وَلَوْلَا خَشْيَتِي عَلَى أُمَّتِي لَفَرَضْتُهُ عَلَيْهِم، وإِنِّي لأَسْتَاكُ حَتَّى إِنِّي خَشِيْتُ أَنْ تُدَرْدُرَ مَقَادِمُ فَمِي**»[(١)].

ويتفرع على ذلك فرعان:

الفرع الأول: هل المراد بوجوبه في حقه بالنسبة إلى الصلاة المفروضة، أو في النافلة أيضًا، أو إلى الأحوال التي أكدها في حقنا، أو ما هو أعم من ذلك؟

قال ابن الملقن [(٢)]: لم أر فيه نقلا، وسياق حديث عبد الله بن حنظلة السالف يقوي الأول، وادعى ابن الرِّفْعَة في كِفَايَتِهِ في: «باب السواك»: أنه لم يصح أنه ﷺ فعل السواك إلا عند القيام إلى الصلاة، وعند تغير الفم، ثم قال: فإن قلت: قد روى مسلم عن شريح بن هانئ: سألتُ عائشة رضي الله عنها عن أيِّ شيء كان يبدأ به النبي ﷺ إذا دخل بيته قالت: بالسواك[(٣)].

الفرع الثاني: قال الشيخ تقي الدين ابن الصلاح[(٤)] ترددوا في وجوب السواك عليه وقطعوا بوجوب الضحى والأضحى والوتر مع أن مستنده الحديث الضعيف.

ولو عكسوا فقطعوا بوجوب السواك للحديث السالف وترددوا في الأمور الثلاثة لكان أقرب[(٥)].

وكلام ابن الصلاح هنا يعني: الوجوب والخصوصية.

---

(١) أخرجه ابن ماجه، كتاب الطهارة باب السواك، رقم: (٢٨٩)، (ج١ ص١,٦)، وضعفه الألباني.

(٢) هو: عمر بن علي بن احمد بن محمد الأنصاري سراج الدين أبو حفص المصري الشافعي المعروف بابن الملقن، ولد سنة: ٧٢٣، وتوفي سنة: ٨,٤، وله نحو ثلاثمائة مصنف، منها: "إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال"، و"التوضيح لشرح الجامع الصحيح" شرح البخاري، و"خلاصة البدر المنير" في تخريج أحاديث شرح الوجيز للرافعي، و"خلاصة الفتاوي في تسهيل أسرار الحاوي". انظر ترجمته في: «هداية العارفين» (ج١ ص ٤٢٢)، و«الأعلام» للزركلي (ج٥ ص٥٧).

(٣) أخرجه مسلم في «صحيحه»، كتاب الطهارة، باب السواك، رقم (٢٥٣) (ج١ ص٢٢٠).

(٤) هو: عثمان بن عبد الرحمن بن موسى تقي الدين، أبو عمرو المعروف بابن الصلاح، كردي الأصل من أهل شهرزور - كورة واسعة في الجبال بين إربل وهمذان، أهلها كلهم أكراد -: من علماء الشافعية، إمام عصره في الفقه والحديث وعلومه. توفي (سنة: ٦٤٣ هـ)، من تصانيفه: مشكل الوسيط في مجلد كبير؛ والفتاوى وعلوم الحديث، المعروف بمقدمة ابن الصلاح. انظر ترجمته في: «طبقات الشافعية» لابن هداية (ص: ٨٤)، و«معجم المؤلفين» (ج٦ ص٢٥٧).

(٥) «غاية السول في خصائص الرسول» ﷺ (ج١ ص١٠).

٣) من خصائصه التشريعية وجوب الأضحية، وجواز تضحيته ﷺ عن الغير.

اتفق الفقهاء [١] على أن الأضحية كانت فرضًا على رسول الله ﷺ دون أمته، وهذا يعني أنها من خصائصه التشريعية.

والدليل على ذلك: حديث ابن عباس السابق: «**ثَلَاثٌ هُنَّ عَلَيَّ فَرَائِضُ وَلَكُم تَطَوُّع: النَّحْرُ والوِتْرُ، وَرَكْعَتَا الفَجْرِ**»[٢].

ومن خصائصه في الأضحية: أنه ﷺ ضحى عن أمته وليس لأحد أن يضحي عن الغير بغير إذنه.

والدليل على ذلك من السنة فيما يلي:

١- ما رواه جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ ذبح يوم العيد كبشين، ثم قال حين وجههما: «**إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، حَنِيفًا مُسْلِمًا، وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، إِنَّ صَلَاتِي، وَنُسُكِي، وَمَحْيَايَ، وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ، وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ، بِسْمِ اللَّهِ، واللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُمَّ مِنْكَ، وَلَكَ عَنْ مُحَمَّدٍ، وَأُمَّتِهِ**»[٣].

٢- ما رواه أبو سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ ذَبَحَ كَبْشًا أَقْرَنَ بِالْمُصَلَّى، ثم قال: «**اللَّهُمَّ هَذَا عَنِّي وَعَنْ مَنْ لَم يُضَحِّ مِنْ أُمَّتِي**»[٤].

٢- عن أبي رافع أن رسول الله ﷺ كان إذا ضحى اشترى كبشين سمينين أملحين أقرنين، فإذا خطب وصلى ذبح أحد الكبشين بنفسه بالمدية ثم يقول: «**اللَّهُمَّ هَذَا عَنْ أُمَّتِي جَمِيعًا مِمَّنْ شَهِدَ لَكَ بِالتَّوْحِيدِ وَشَهِدَ لِي بِالْبَلَاغِ**»، ثُمَّ يُؤْتَى بِالْآخَرِ فَيَذْبَحُهُ بِنَفْسِهِ وَيَقُولُ: «**هَذَا عَنْ**

---

[١] «مواهب الجليل» (ج٣ ص٣٩٣)، و«منح الجليل شرح مختصر خليل»» (ج٦ ص١٨٦)، و«نهاية المحتاج» (ج٦ ص١٧٥)، و«تلخيص الحبير» (ج٣ ص١١٩)، و«مطالب أولي النهى» (ج٥ ص٣٠)، و«الخصائص الكبرى» (ج٣ ص٢٥٣).

[٢] سبق تخريجه.

[٣] أخرجه الإمام أحمد في «مسنده»، (مسند جابر بن عبد الله رضي الله عنه)، رقم: (١٥,٦٤) (ج٣ ص٣٧٥)، وأخرجه الحاكم في «المستدرك»، أول كتاب المناسك، رقم: (١٧١٦) (ج١ ص٦٣٩).

[٤] أخرجه الحاكم في «المستدرك»، كتاب الأضاحي، رقم: (٧٥٤٩) (ج٤ ص٢٥٤)، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه».

مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ»، ثم يطعمهما المساكين، ويأكل هو وأهله منهما، فمكثنا سنين قد كفانا الله الغرم والمئونة، ليس أحد من بني هاشم يضحي[1].

وجه الدلالة: أنه ﷺ ضحى عن أمته، وليس لأحد أن يضحي عن الغير بغير إذنه[2].

٤) من خصائصه التشريعية وجوب صلاة الوتر عليه ﷺ:

اختلف الفقهاء في اختصاص رسول الله ﷺ بافتراض صلاة الوتر عليه، مع اتفاقهم على أن الوتر ليس بفرض على أمته على رأيين:

الرأي الأول: يرى الحنفية[3]، والشافعية[4]: أن الوتر كان واجبًا على رسول الله ﷺ.

الرأي الثاني: يرى المالكية [5]، والحليمي[6] والعز بن عبد السلام[7] والغزالي[1] من الشافعية[2]: إن هذا الوجوب خاص بالحضر دون السفر [3].

---

[1] أخرجه الإمام أحمد في «مسنده»، حديث أبي رافع رضي الله عنه، رقم: (٢٧٢٣٤) (ج٦ ص٣٩١)، أخرجه الحاكم في «المستدرك»، كتاب التفسير، تفسير سورة الحج، رقم: (٣٤٧٨)، (ج٢ ص٤٢٥)، وقال: «حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه».

[2] «الخصائص الكبرى» للسيوطي (ج٢ ص٣٧١).

[3] «عمدة القاري» (ج٧ ص١٥) ط المنبرية.

[4] «المجموع شرح المهذب» (ج٤ ص٢٠) ط: المكتبة السلفية بالمدينة المنورة، و«الخصائص الكبرى» (ج٢ ص ٣٤٥).

[5] «منح الجليل شرح مختصر خليل»» (ج٦ ص١٨٦)، و«مختصر خليل» (ج١ ص٩٨).

[6] هو: الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم، أبو عبد الله، ولد بجرجان ونشأ ببخارى، تتلمذ على أبي بكر القفال والأودني، كان فقيها شافعيا إماما متقنا، قال الذهبي: كان صاحب وجه في المذهب، وكان رأس الشافعين بما وراء النهر، وقضى في بلاد خراسان، من تصانيفه: المنهاج في شعب الإيمان، توفي: (سنة: ٤٠٣هـ)، انظر ترجمته في: «طبقات ابن السبكي» (ج٣ ص١٤٧)؛ و«تذكرة الحفاظ» (ج٣ ص٢١٩).

[7] هو: عبد العزيز بن عبد السلام أبي القاسم بن الحسن السُّلَمي، يلقب بسلطان العلماء، فقيه شافعي مجتهد، ولد بدمشق وتولى التدريس والخطابة بالجامع الأموي، وانتقل إلى مصر فولي القضاء والخطابة، من تصانيفه: "قواعد الأحكام في مصالح الأنام"، و"الفتاوى"، و"التفسير الكبير"، توفي (سنة: ٦٦٠ هـ). انظر ترجمته ف]: «الأعلام» للزركلي (ج٤ ص١٤٥)، و«طبقات السبكي» (ج٥ ص٨٠).

والدليل على ذلك: ما رواه ابن عمر: كان رسول الله ﷺ يُسَبِّحُ على رَاحِلَتِهِ قِبَلَ أيِّ وَجْهٍ تَوَجَّهَ، ويوتر عليها غير أنه لا يصلي عليها المكتوبة[٤].

وقال النووي: المذهب أن صلاة الوتر واجبة على رسول الله، ولكن جواز صلاتها على الراحلة خاص به عليه الصلاة والسلام[٥].

ففي منح الجليل: ودليل عدم وجوب الوتر عليه بالسفر: فِعْلُهُ فيه على الراحلة[٦].

قال ابن الملقن: وفي ذهني أن القرافي المالكي ادَّعَى وُجُوبَهُ عليه في الحضر دون السفر، وهو كما ظننت، فإنه قال: فعل الوتر في السفر على الراحلة، والوتر لم يكن واجبًا عليه إلا في الحضر، صرح به في شرح المحصول، وشرح التنقية، والحليمي في شعب الإيمان، والشيخ عز الدين في قواعده[٧].

٥) من خصائصه التشريعية وجوب سنة الفجر:

اختلف العلماء في فرضية سنة الفجر على رسول الله ﷺ مع اتفاقهم على عدم وجوبها على غيره على رأيين:

---

(١) هو: محمد بن محمد بن محمد أبو حامد الغزَّالِي بتشديد الزاي، نسبته إلى الغزال (بالتشديد) على طريقة أهل خوارزم وجرجان: ينسبون إلى العطار عطاري، وإلى القصار قصاري، وكان أبوه غزالاً، فقيه شافعي أصولي، متكلم، متصوف، رحل إلى بغداد، فالحجاز، فالشام، فمصر وعاد إلى طوس، من مصنفاته: البسيط؛ والوسيط؛ والوجيز؛ والخلاصة وكلها في الفقه؛ وتهافت الفلاسفة؛ وإحياء علوم الدين، توفي (سنة: ٥,٥ هـ). انظر ترجمته في: «طبقات الشافعية» (ج٤ ص١,١)؛ و«الأعلام» للزركلي (ج٧ ص٢٤٧).

(٢) «تلخيص الحبير» (ج٣ ص١٢٠).

(٣) «نهاية المحتاج» (ج٦ ص١٧٥) ط. المكتبة الإسلامية، و«روضة الطالبين» (ج٧ ص٣).

(٤) أخرجه البخاري، أبواب تقصير الصلاة، باب ينزل للمكتوبة، رقم: (١,٤٧) (ج١ ص٣٧١)، وأخرجه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب جواز صلاة النافلة على الدابة في السفر حيث توجهت، رقم: (٧٠٠) (ج١ ص٤٨٦) ط دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ.

(٥) «شرح النووي على مسلم» (ج٣ ص١١).

(٦) «منح الجليل شرح مختصر خليل» (ج٦ ص ١٨٩).

(٧) «غاية السول في خصائص الرسول» ﷺ (ج١ ص ٦) و«سبل الهدى والرشاد» (ج١٠ ص ٣٩٦).

الرأي الأول: يرى الحنابلة[1] فرضيتها عليه ﷺ، واستدلوا على ذلك بحديث ابن عباس: «ثَلَاثٌ هُنَّ عَلَيَّ فَرَائِضُ وَلَكُم تَطَوُّعٌ: النَّحْرُ وَالوِتْرُ وَرَكْعَتَا الفَجْرِ»[2].

الرأي الثاني: يرى الجمهور أن: الوتر ليس واجبًا على النبي ﷺ لعدم الدليل الدال على ذلك[3].

٦)- من خصائصه التشريعية وجوب قيام الليل:

من المسائل المختلف فيها بين العلماء هل كان قيام الليل واجبًا على النبي ﷺ فيكون من خصائصه؟ **اختلف العلماء في ذلك على رأيين:**

الرأي الأول: يري المالكية[4] وابن كثير[5] والحنابلة [6] أن التهجد كان واجبًا عليه، وأن ذلك من خصائصه[7].

واستدلوا على ذلك: بقول الله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴾[8]، **ففي المنح:** وجوب التهجد أي: نفل الليل؛ لقوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ ﴾ أي: زيادة على الفرائض الخمس، وهو صلاة بعد نوم على المختار[9]، واللفظ يفيد الخصوصية.

---

(1) «مطالب أولي النهى» (ج٥ ص٣٠)، ط. المكتب الإسلامي، و«الخصائص الكبرى» (ج٣ ص٢٥٣).

(2) أخرجه الحاكم في «المستدرك»، كتاب الوتر، رقم: (١١١٩) (ج١ ص٤٤١)، وأخرجه الدارقطني في «سننه»، كتاب الوتر، باب: صفة الوتر وأنه ليس بفرض، وأنه ﷺ كان يوتر على البعير، رقم: (١) (ج٢ ص٢١).

(3) «غاية السول في خصائص الرسول» ﷺ (ج١ ص ٦)، و«نيل الأوطار» (ج٨ ص١,٤).

(4) «منح الجليل شرح مختصر خليل» (ج٦ ص ١٨٩).

(5) «الفصول في السيرة» (ج١ ص٣,٧).

(6) «الإنصاف» (ج٨ ص ٣٩).

(7) «مغني المحتاج» (ج٣ ص١٢٣)، و«الإقناع» (ج٣ ص١٦٢).

(8) سورة الإسراء آية: (٧٩).

(9) «منح الجليل شرح مختصر خليل» (ج٦ ص ١٨٩).

ومما يؤيد ذلك قال في الإنصاف: وكان ﷺ واجبًا عليه قيام الليل، ولم ينسخ على الصحيح من المذهب، ذكره أبو بكر وغيره[1].

وقد روي عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ **نَافِلَةً لَّكَ** ﴾: يعني بالنافلة أنها للنبي ﷺ خاصة، أمر بقيام الليل فكتب عليه، وقال عروة، عن عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ إذا صلى قام حتى تتفطر قدماه، فقالت عائشة: يا رسول الله، تفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ قال: «**يَا عَائِشَةُ أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا؟**»[2].

وروي عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «**ثَلَاثَةٌ عَلَيَّ فَرِيْضَةٌ وهُنَّ سُنَّةٌ لَكُم: الوِتْرُ، والسِّوَاكُ، وقِيَامُ اللَّيْلِ**»[3].

الرأي الثاني: يرى الشافعية في الراجح[4] أن: قيام الليل نسخ في حقه ﷺ كما نسخ في حق الأمة، فإنه كان واجبًا في ابتداء الإسلام على الأمة كافة[5].

قال ابن حجر: قوله: (باب قيام النبي ﷺ من الليل من نومه، وما نسخ من قيام الليل، وقوله تعالى: يَـٰٓأَيُّهَا ﴿ ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا[6] ﴾): كأنه يشير إلى ما أخرجه مسلم عن عائشة قالت « ... فإن الله عز وجل افترض قيام الليل في أول هذه السورة – تعني: سورة المزمل –

---

[1] «الإنصاف» للمرداوي (ج٨ ص ٣٩).

[2] أخرجه مسلم، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة، رقم (٢٨٢٠) (ج٤ ص٢١٧٢).

[3] أخرجه الطبراني في «الأوسط» رقم: (٣٢٦٦)، (ج٣ ص٣١٥)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (ج٨ ص٢٦٤): «فيه موسى بن عبد الرحمن الصنعاني، وهو: كذاب».

[4] «الخصائص الكبرى» (ج٢ ص٣٤٥)، و«غاية السول في خصائص الرسول» ﷺ (ج١ ص٨).

[5] «الخصائص الكبرى» (ج٢ ص٣٤٥)، و«الفصول في السيرة» (ج١ ص٣,٧) ثم قال: «موسى بن عبد الرحمن هذا، ضعيف جداً، ولم يثبت في هذا إسناد»، وانظر: «سنن النسائي»= «المجتبى»: (ج٣ ص٢٣٩).

[6] سورة المزمل الآيتان: (١، ٢).

فقام نبي الله ﷺ وأصحابه حَوْلًا وأمسك الله خاتِمَتها اثني عشر شهرًا في السماء؛ حتى أنزل الله في آخر هذه السورة التخفيف، فصار قيام الليل تطوعًا بعد فريضة[1].

واستغنى البخاري عن إيراد هذا الحديث - لكونه على غير شرطه - بما أخرجه عن أنس فإن فيه: «وكان لا تشاء أن تراه من الليل مصليا إلا رأيته ولا نائما إلا رأيته»[2]، فإنه يدل على أنه كان ربما نام كل الليل، وهذا سبيل التطوع، فلو استمر الوجوب لما أخل بالقيام[3]، وعلى هذا الرأي فلا خصوصية فيها، وهو الراجح.

٧) من خصائصه التشريعية ﷺ قضاء الفوائت من الرواتب:

يرى الفقهاء وجوب قضاء الفوائت من الرواتب على النبي ﷺ وأن ذلك من خصائصه، ووجوبها يعني: أنه ﷺ لو فاتته سنة راتبة وجب عليه قضاؤها بخلاف غيره، فإنه يستحب، ولا يجب، حيث فاتته ﷺ ركعتان بعد الظهر فصلاهما بعد العصر وأثبتهما[4].

والدليل على ذلك من السنة فيما يلي:

١- ما رواه أبو سلمة أنه سأل عائشة عن السَّجْدَتَيْنِ اللتين كان رسول الله ﷺ يصليهما بعد العصر؟ فقالت: كان يصليهما قبل العصر، ثم إنه شُغِلَ عنهما أو نسيهما فصلاهما بعد العصر ثم أثبتهما[5].

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب جامع صلاة الليل ومن نام عنه أو مرض، رقم: (٧٤٦) (ج١ ص٥١٢).

(٢) أخرجه البخاري، أبواب التهجد، باب قيام النبي ﷺ بالليل ونومه، وما نسخ من قيام الليل، رقم (١٠٩٠) (ج١ ص٣٨٣).

(٣) «فتح الباري» (ج٤ ص٢٣٩).

(٤) «الفصول في السيرة» (ج١ ص٣,٨).

(٥) أخرجه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب معرفة الركعتين اللتين كان يصليهما النبي ﷺ بعد العصر، رقم: (٨٣٥) (ج١ ص٥٧٢).

٢- وعن أم سلمة قالت: صلى رسول الله ﷺ العصر ثم دخل بيتي فصلى ركعتين فقلت: يا رسول الله صليت صلاة لم تكن تصليها فقال: «**قَدِمَ عَلَيَّ مَالٌ فَشَغَلَنِي عَنْ رَكْعَتَيْنِ كُنْتُ أَرْكَعُهُمَا قَبْلَ العَصْرِ فَصَلَّيْتُهُمَا الآن**» فقلت: يا رسول الله أفنَقْضِيْهُمَا إذا فاتتنا؟ قال: «**لَا**»[1].

وقال ابن حبان: ذكر البيان بأن من فاتته ركعتا الظهر إلى أن يصلي العصر ليس عليه إعادَتُهُما، وإنما كان ذلك للمصطفى ﷺ خاصة دون أمته[2].

وكان ﷺ إذا صلى صلاة أثبتها، وكان يداوم عليهما، كما ثبت ذلك في الصحيح، وعلى هذا يكون ذلك من خصائصه ﷺ، والمعنى أن الله ﷻ افتَرَضَ عَلَى رسوله ﷺ وخَصَّهُ على خَلْقِه؛ ليزيده به قربًا على قربه إليه، وقيل: بل لغيره إذا اتَّفَقَ له ذلك أن يداوم عليهما فعلى هذا يكون ذلك من خصائصه ﷺ باعتبار الوجوب، فإن قضاء الفوائت من النوافل على غيره مما يستحب ولا يجب لاسيما في السنن.

٨) من خصائصه التشريعية وجوب تخييره نساءه وإمساك مَن اختَارَتْهُ:

ورد في بعض الروايات أن أزواجه ﷺ طالبوه بالتوسع في النفقة حتى تأذى من ذلك، فأمره الله تعالى رسوله عليه الصلاة والسلام أن يُخَيِّرَهُنَّ فقال جل شأنه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا ٢٨ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡمُحۡسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجۡرًا عَظِيمٗا ٢٩ ﴾[3]، فخيَّرهُنَّ، فاخترنه كلهن إلا العامرية اختارت قومها، فأمر ﷺ بإمساك من اختارته منهن بقوله تعالى: ﴿ لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجٖ وَلَوۡ

---

[1] أخرجه ابن حبان في «صحيحه»، كتاب الصلاة، باب قضاء الفوائت، رقم (٢٦٥٣) (ج٦ ص ٣٧٧).

[2] «صحيح ابن حبان» (ج٦ ص٣٧٧).

[3] سورة الأحزاب الآيتان: (٢٨، ٢٩).

أَعۡجَبَكَ حُسۡنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ رَّقِيبٗا ﴾[1]، وذلك مكافأة لهن على إيثارهن رسول الله ﷺ.

ولهذا اتفق الفقهاء[2] أنَّ مِنْ خَصَائِصِه ﷺ ما أوْجَبَه الله عليه مِن تخيير أزواجه، وأن الله أمره به في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ٢٨ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡمُحۡسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجۡرًا ٢٩ عَظِيمٗا ﴾[3]، وقد أخرجا في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها وذكروا هذا التخيير، وأن الله أمره بذلك[4].

والمعنى: أن الله ﷻ افترض على رسوله ﷺ وخصه على خلقه؛ ليزيده به قربًا على قربه إليه تقول السيدة عائشة زوج النبي ﷺ قالت: فأنزلت آية التخيير، فبدأ بي أول امرأة، فقال: «**إِنِّي ذَاكِرٌ لَكِ أَمْرًا وَلَا عَلَيْكِ أَنْ لَا تَعْجَلِي حَتَّى تَسْتَأمِرِي أَبَوَيْكِ**» قالت: قد أعلم أن أبوي لم يكونا يأمراني بفراقك، ثم قال: إن الله قال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ ... ﴾ إلى قوله: ﴿ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴾، قلت أفي هذا أستأمِرُ أبَوَاي، فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة، ثم خير نساءه، فقلن مثل ما قالت عائشة[5].

---

[1] سورة الأحزاب آية: (٥٢).

[2] «منح الجليل شرح مختصر خليل» (ج٦ ص ١٨٩)، و«التاج والإكليل» (ج٣ ص ٣٩٤)، و«غاية السول في خصائص الرسول» ﷺ (ج١ ص ١٨).

[3] سورة الأحزاب الآيتان: (٢٨، ٢٩).

[4] حديث التخيير أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب تفسير سورة الأحزاب، رقم (٤٥,٨) (ج٤ ص ١٧٩٦)، وأخرجه مسلم في «صحيحه»، كتاب الطلاق، باب بيان أن تخيير امرأته لا يكون طلاقا إلا بالنية، رقم (١٤٧٥) (ج٢ ص١١,٣).

[5] أخرجه البخاري، كتاب المظالم، باب: الغرفة والعلية المشرفة في السطوح، رقم (٢٣٣٦) (ج٢ ص ٨٧)، وأخرجه مسلم، كتاب الطلاق، باب بيان أن تخيير امرأته لا يكون طلاقا إلا بالنية، رقم (١٤٧٥) (ج٢ ص ١١,٣).

وعن عطاء قال: قالت عائشة: ثم ما مات رسول الله ﷺ حتى أحل له النساء[1].

فأوجب الله ﷻ عليه ﷺ تخيير نسائه بين مفارقته واختياره[2].

واختلف الفقهاء، هل كان التخيير واجباً عليه أو مستحباً ؟

على وجهين: صحح النووي وغيره الوجوب[3].

وعلى هذا الرأي: يكون ذلك من خصائصه ﷺ .

واختلفوا أيضًا هل كان يجب جوابهن على الفور أو على التراخي؟

على وجهين: قال ابن الصباغ ما معناه: ولا خلاف أنه خَيَّرَ عائشة على التراخي بقوله: «**فَلَا عَلَيْكِ أنْ تَسْتَأمِرِي أبَوَيْكِ**». قالوا: فلما اخترنه، فهل كان يحرم عليه طلاقهن؟

اختلاف على وجهين: صححوا أنه لا يحرم، إلا أن الله تعالى حرم عليه النساء غيرهن مكافأة لصنيعهن، ثم أباحه له لتكون له المنة في ذلك[4]، قالت عائشة رضي الله عنها: ما مات رسول الله ﷺ حتى أبيح له النساء[5].

---

(1) أخرجه الترمذي في «سننه»، كتاب تفسير القرآن، سورة الأحزاب، رقم (٣٢١٦)، (ج٥ ص ٣٥٦)، وقال الشيخ الألباني: «صحيح الإسناد»، وأخرجه النسائي في «سننه»، كتاب النكاح، باب (ما افترض الله ﷻ على رسوله عليه السلام وحرمه على خلقه ليزيده إن شاء الله قربة إليه)، رقم: (٣٢,٤)، ج٦ ص٥٦)، وقال الشيخ الألباني: «صحيح الإسناد».

(2) «روضة الطالبين وعمدة المفتين» (ج٢ ص ٤٥).

(3) «الفصول في السيرة» (ج١ ص٣٢٦)، و«مغني المحتاج» (ج٣ ص١٢٣)، و«الإقناع» (ج٣ ص١٦٢)، و«الخصائص الكبرى» (ج٢ ص ٣٤٨).

(4) «تفسير القرطبي» (ج١٤ ص١٤٤) «المجتبي» (ج٦ ص٥٥)، و«غاية السول في خصائص الرسول» ﷺ (ج١ ص ١٨).

(5) أخرجه الترمذي في «سننه»، كتاب تفسير القرآن، باب: من سورة الأحزاب، رقم: (٣٢١٦) (ج٥ ص٣٥٦)، وأخرجه النسائي في «سننه»، كتاب النكاح، باب: (ما افترض الله ﷻ على رسوله عليه السلام وحرمه على خلقه ليزيده إن شاء الله قربة إليه)، رقم: (٣٢,٤) (ج٦ ص٥٦)، وقال الشيخ الألباني: «صحيح الإسناد».

٩) من خصائصه التشريعية وجوب المشاورة.

اختلف العلماء في فرضية المشاورة على رسول الله ﷺ مع اتفاقهم على سنيتها على غيره، على رأيين:

الرأي الأول: يَرَى المالكية[١] أن الله أَوْجَبَ على نبيه ﷺ أن يشاور أصحابه في الحرب، واستدلوا على ذلك بقوله تعالى: ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾[٢].

وقال هؤلاء: إنما وجب ذلك على رسول الله ﷺ تطييبًا للقلوب، وتعليمًا للناس؛ ليستنوا به عليه الصلاة والسلام.

قال الطبري: ثم اختلف أهل التأويل في المعنى الذي مِنْ أجْلِهِ أمَرَ تعالى ذِكْرُهُ نبيَّهُ ﷺ أن يشاورهم، وما المعنى الذي أمره أن يشاورهم فيه؟

فقال بعضهم: أمر الله نبيه ﷺ بقوله: ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ ﴾ بِمُشَاورة أصحابه في مكايد الحرب، وعند لقاء العدو، تطييبًا منه بذلك أنفسَهم، وتألّفًا لهم على دينهم، ولِيَرَوا أنه يسمع منهم ويستعين بهم، وإن كان الله ﷻ قد أغناه بتدبيره له أمورَه، وسياسته إيّاه وتقويمه أسبابه عنهم[٣].

وفي المنح[٤]: مما خص بوجوبه عليه ﷺ «المشاورة» لذوي الأحلام من أصحابه ﷺ في الآراء في الحروب تطبيبًا لقلوبهم وتأليفًا لهم لا يستفيد منهم علمًا، فالخصوصية له عليه السلام من حيث كونه كامل العقل والمعرفة، وتجب عليه المشاورة.

---

[١] «منح الجليل شرح مختصر خليل» (ج٦ ص ١٩١».

[٢] سورة آل عمران آية: (١٥٩).

[٣] «تفسير الطبري» (ج٣ ص٤٩٤).

[٤] «منح الجليل شرح مختصر خليل» (ج٦ ص ١٩٢).

قال أحمد بن نصر الداودي: إنما كان النبي ﷺ يشاور في الحروب، وفيما ليس فيه حكم بَيِّنٌ الناسَ، وأما ما فيه الأحكام فلا يشاور فيه؛ لأن العلم بها إنما يلتمس منه ﷺ، ولا ينبغي أن يكون أحد أعلم بما أنزل عليه منه، وقد قال الله تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ الآية، وأما غير الأحكام فربما رأوا بأعينهم أو سمعوا بآذانهم شيئا لم يره ولم يسمعه، ويجب على ولاة الأمور مشاورة العلماء فيما لا يعلمون، وفيما أشكل عليهم من أمور الدين ووجوه الكتاب، وفيما يتعلق بمصالح العباد والبلاد وعمارتها، ومن لا يستشير أهل العلم والدين فعزله واجب[1].

الرأي الثاني: يرى قتادة وابن إسحاق[2] والشافعي أن ذلك لم يكن واجبًا. يؤيده ما رواه الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ عن الحسن قوله: لقد كان رسول الله ﷺ غنيًا عن المشاورة، ولكنه أراد أن يستن بذلك الحكام بعده[3].

وعللوا عدم الوجوب: بفقدان دليل يصلح لإثبات الفرضية، وحملوا الأمر في الآية السابقة على الندب أو الإرشاد.

واختلف العلماء بعد ذلك فيما يشاور فيه: بعد اتفاقهم على أنه لا يشاور فيما نزل عليه فيه وحي.

فقال فريق من العلماء: يشاور في أمور الدنيا، كالحروب ومكايدة العدو؛ لأن استقراء ما شاور فيه الرسول ﷺ أصحابه يدل على ذلك.

وقال فريق آخر: يشاور في أمور الدين والدنيا، أما في أمور الدنيا فظاهر، وأما في أمور الدين فإن استشارته لهم تكون تنبيها لهم على علل الأحكام وطريق الاجتهاد[4].

---

(1) «منح الجليل شرح مختصر خليل» (ج٦ ص ١٩٢).

(2) «تفسير القرطبي» (ج٤ ص ٢٤)، و«غاية السول في خصائص الرسول» ﷺ (ج١ ص ١٩).

(3) «الفصول في السيرة» (ج١ ص٣٢٦)، و«تفسير القرطبي» (ج١٦ ص٣٤)، و«تفسير فتح القدير» (ج١ ص٥٩٣).

(4) «حاشية الخرشي على خليل» (ج٣ ص١٥٩)، و«نهاية المحتاج» (ج٦ ص١٧٥)، و«تفسير الطبري» (ج٣ ص٤٩٤)، و«تفسير القرطبي» (ج٤ص ٢٤).

١٠) من خصائصه التشريعية وجوب إنكار المنكر.

من خصائصه ﷺ أن الله فرض عليه ﷺ تغيير المنكر، ولا يسقط عنه هذا للخوف، بخلاف أمته التي يسقط عنها بالخوف؛ وذلك لأن الله تعالى قد تكفل بحفظ رسوله كما تقدم، كما لا يسقط عنه إذا كان المرتكب يزيده الإنكار إغراء، لئلا يتوهم إباحته بخلاف أمته، وإذا كان إنكار المنكر فرض كفاية على أمته فإنه فرض عين عليه ﷺ[١].

ذكر المرداوي[٢] من الحنابلة قال: قال أصحابنا – القاضي وغيره – وفرض عليه ﷺ إنكار المنكر إذا رآه على كل حال، وقال: وفي «الرعاية»: فرض عليه إنكار المنكر إذا رآه على كل حال وغيره في حال دون حال[٣].

وبذلك تكون الخصائص التشريعية الواجبة في حقه ﷺ أظهرها التهجد والسواك، والوتر، والضحى كما هو رأي الجمهور وفي المشاورة، والتخيير ونحوها اختلاف بين الوجوب، والاستحباب، وهذا أيضا من خصائصه أما في حق غيره فليس ثمة ذلك.

١١) من خصائصه التشريعية قضاء دين من مات معسرًا من المسلمين:

اختلف العلماء في قضاء رسول الله ﷺ دين الميت المعسر هل كان ذلك بطريق الوجوب؟ فيكون من خصائصه، على رأيين:

الرأي الأول: يرى المالكية [٤] والشافعية أن ذلك كان فرضًا عليه ﷺ[١].

---

[١] «منح الجليل شرح مختصر خليل» (ج٦ ص١٩٣)، و«الإقناع» (ج٣ ص ١٦٢).

[٢] هو: على بن سليمان بن أحمد المرداوى ثم الدمشقى: فقيه حنبلى، ولد فى مردى قرب نابلس، انتقل إلى دمشق وتوفى بها، من كتبه: «الإنصاف» فى معرفة الراجح من الخلاف، وغيره من كتب الفقه، وله فى الأصول: تحرير المنقول، وشرح التحبير فى شرح التحرير، توفي (سنة: ٨٨٥ هـ). انظر: «موسوعة الأعلام» (ج٢ ص٤).

[٣] «الإنصاف» (ج٨ ص٣٩).

[٤] «منح الجليل شرح مختصر خليل» (ج٦ ص ١٩٢)، و«مواهب الجليل» (ج٣ ص٣٩٦)، واختلف العلماء هل كان القضاء واجبا عليه ﷺ أو تطوعا؟ وهل كان يقضيه من خالص مال نفسه أو من مصالح مال المسلمين؟ وظاهر كلام ابن بطال: أنه كان يقضيه من المصالح، وأنه واجب عليه وعلى من بعده من الأئمة.

الرأي الثاني: يري الشافعية في وجه أن ذلك لم يكن فرضًا عليه[٢]؛ بل كان منه عليه الصلاة والسلام تطوعًا.

ثم اختلفوا أيضًا هل القضاء من بيت مال المسلمين؟ أم من مال رسول الله ﷺ؟ فإن كان من مال نفسه فهي خصوصية لرسول الله ﷺ، أما إن كان من بيت مال المسلمين فليست بخصوصية لرسول الله ﷺ بل يشاركه فيها جميع ولاة المسلمين.

والدليل على ذلك: ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يُؤْتَى بِالرَّجُلِ الْمُتَوَفَّى، عَلَيْهِ الدَّيْنُ، فَيَسْأَلُ: «**هَلْ تَرَكَ لِدَيْنِهِ فَضْلًا؟**»، فَإِنْ حُدِّثَ أَنَّهُ تَرَكَ لِدَيْنِهِ وَفَاءً صَلَّى، وَإِلَّا قَالَ لِلْمُسْلِمِينَ: «**صَلُّوا عَلَى صَاحِبِكُمْ**»، فَلَمَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ الفُتُوحَ، قَالَ: «**أَنَا أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، فَمَنْ تُوُفِّيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَتَرَكَ دَيْنًا، فَعَلَيَّ قَضَاؤُهُ، وَمَنْ تَرَكَ مَالًا فَلِوَرَثَتِهِ**»[٣].

---

[١] «نهاية المحتاج» (ج٦ ص١٧٥)، و«الخصائص الكبرى» (ج٢ ص ٣٤٧).

[٢] «نهاية المحتاج» (ج٦ ص١٧٥).

[٣] أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب الكفالة، باب الدين، رقم (٢١٧٦) (ج٢ ص ٨,٥).

النوع الثاني

الخصائص التشريعية في تحريم بعض الأشياء على النبي ﷺ.

لقد خص الله تعالى نبيه ﷺ بأشياء حرمها عليه دون غيره، تنزيهًا له عليه الصلاة والسلام عن سفاسف الأمور، وإعلاء لشأنه؛ ولأن أجر ترك المحرم أكبر من أجر ترك المكروه، وبذلك يزداد رسول الله ﷺ علوًا عند الله يوم القيامة، وهي أشياء كثيرة **من أهمها ما يلي:**

١) من خصائصه التشريعية أنه كان يحرم عليه – أو يكره له – أكل البصل، والثوم وما له رائحة كريهة.

اختلف العلماء في تحريم ما له رائحة كريهة نحو الثوم والبصل على رسول الله ﷺ على رأيين:

الرأي الأول: يري المالكية [١]: إن ذلك كان محرمًا عليه.

واستدلوا على ذلك: بما رواه البخاري ومسلم أن رسول الله أُتِيَ بِقِدْرٍ فيه خضروات مِن بُقُولٍ، فوجد لها ريحًا، فسأل فأخْبِرَ بمَا فيها من البقول، فقال: «**قَرِّبُوهَا**» أي: إلى بعض أصحابه، فلما رآه كره أكلها، قال: «**كُلْ فَإِنِّي أُنَاجِي مَنْ لَا تُنَاجِي**»[٢].

في المنح: وخص بحرمة أكل كثوم وبصل وفجل وسائر ما له رائحة كريهة إذا كان نيئا لمناجاته الملائكة والرائحة الكريهة تؤذيهم، فإن طبخ حتى ذهبت رائحته فلا يحرم عليه أو أكله[٣].

الرأي الثاني: يرى الشافعية[٤]: أنه لم يكن ذلك محرمًا عليه، ولكن رسول الله ﷺ كان يكره أكله لتعرضه لنزول الوحي عليه في كل ساعة، وإن الملائكة لتتأذى بالريح الخبيثة، وقد استدل

---

[١] «مواهب الجليل» (ج٣ ص٣٩٧)، و«الزر قاني» (ج٢ ص ١٥٨)، «وغاية السول في خصائص الرسول» ﷺ (ج١ص ٢٢).

[٢] أخرجه البخاري، كتاب صفة الصلاة، باب ما جاء في الثوم النيء والبصل والكراث، رقم (٨١٧) (ج١ ص ٢٩٢)، وأخرجه مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب نهي من أكل ثوم أو بصلا أو كراثا أو نحوه، رقم (٥٦٤) (ج١ ص ٣٩٤).

[٣] «منح الجليل شرح مختصر خليل» (ج٦ ص ١٩٣).

[٤] «روضة الطالبين» (ج٧ ص٥).

هؤلاء بما رواه مسلم أن أبا أيوب الأنصاري قال: كان رسول الله ﷺ إذا أتِيَ بطَعَامٍ أكَلَ مِنْـــهُ، وبَعث بفَضْلِهِ إلَيَّ، وإنه بعث إلي يومًا بفَضْلَةٍ لَم يَأكُل مِنْهَا؛ لأن فِيْهَا ثُومًا، فَسَألْتُهُ أحَرَامٌ هُـــوَ؟ قال: «**لَا؛ وَلكِنِّي أكْرَهُهُ مِنْ أجْلِ رِيْحِهِ**»[1].

قال ابن كثير: الصحيح أن ذلك ليس حرامًا عليه ﷺ؛ بل كان أكل ذلك مكروهًا في حقه[2]، وهو اختيار ابن الملقن[3].

والدليل على ذلك ما رواه مسلم "عن أبي أيوب أنه كان يصنع للنبي ﷺ طعامًا، فإذا جيء بـــه إليه سأل عن موضع أصابعه، فيتتبع موضع أصابعه، فصنع له طعامً فيه ثوم، فلما رد إليه سأل عن موضع أصابع النبي ﷺ، فقيل له: لم يأكل، ففزع وصعد إليه، فقال: أحرام هو؟ فقال النبي ﷺ: «**لَا وَلكِنِّي أكْرَهُهُ**» قال: فإني أكْرَهُ ما تَكْرَهُ أو ما كرهت[4].

٢) مِن خصائصه التشريعية أنه كان يَحْرُمُ عليه أخذ الصدقة سواء كانت فرضًا أم تطوعًا:

اتَّفَقَ الفُقَهَاء[5] على أن الله تعالى قد حَرَّمَ على رسوله ﷺ أخذ شيء من صدقات الناس لرسول الله ﷺ، سواء أكانت مفروضة أو تطوعًا، كالزكاة، والكفارة، والنذر والتطوع، صيانة لمنصبه الشريف، ولأنها تنبئ عن ذل الآخذ وعز المأخوذ منه، وقد أبدل الله تعالى رسوله بها الفيء الذي يؤخذ على سبيل الغلبة والقهر، المنبئ عن عز الآخذ وذل المأخوذ منه، وهذا من الخصائص التي

---

[1] أخرجه مسلم، كتاب الأشربة، باب إباحة أكل الثوم وأنه ينبغي لمن أراد خطاب الكبار تركه وكذا ما في معناه، رقم (٢,٥٣) (ج٣ ص ١٦٢٣).

[2] «الفصول في السيرة» (ج١ص ٣١٩).

[3] «غاية السول في خصائص الرسول» ﷺ (ج١ ص ٢٢).

[4] أخرجه مسلم، كتاب الأشربة، باب إباحة أكل الثوم وأنه ينبغي لمن أراد خطاب الكبار تركه وكذا ما في معناه، رقم: (٢,٥٣) (ج٣ ص ١٦٢٣)، وأحمد في «مسنده»، (حديث أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه)، رقم: (٢٣٥٦٤) (ج٥ ص٤١٥).

[5] «منح الجليل شرح مختصر خليل» (ج٦ ص ١٩٣)، و«نهاية المحتاج» (ج٦ ص١٧٥)، و«الخصائص الكبرى» (ج٢ ص٣٥).

خص الله بها حبيبه ﷺ أن حرم عليه هو وأهل بيته الكرام الصدقة، وهذا لم يكن لأحد إلا للنبي ﷺ وآله ﷺ، وما حرمت على آله إلا تكرمة له ﷺ[1].

قال النووي مبينًا المحرمات في غير النكاح: فمنها الزكاة، وكذا الصدقة على الأظهر، وأما الأكل متكئًا وأكل الثوم والبصل والكراث فكانت مكروهة له ﷺ على الأصح، وقيل محرمة ومما عد من المحرمات الخط والشعر[2].

والدليل على ذلك ما يلي:

١- قوله ﷺ: «**إنَّ هَذِهِ الصَّدَقَات إنَّمَا هِيَ أوْسَاخُ النَّاسِ، إنَّها لَا تَحِلُّ لِمُحَمَّدٍ وَلَا لِآلِ مُحَمَّدٍ**»[3].

٢- وروي عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ كان يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة[4]، وهذا عام.

وقد بين ﷺ العلة فقال: «**إنَّمَا هِيَ أوْسَاخُ النَّاسِ**»، فلا يليق به ﷺ وهو أشرف وأفضل الناس أن يأكل من أوساخ الناس، وكذلك أهل بيته الأطهار؛ لأنهم ذوي قرباه وخاصته.

يؤيده ما روي عن أبي هريرة ﷺ قال: أخَذَ الحَسَنُ بنُ علي ﷺ تَمْرَةً مِنْ تَمْرِ الصدقة فجعلها في فيه، فقال النبي ﷺ: «**كخ كخ**» ليطرحها. ثم قال: «**أمَا شَعُرْتَ أنَّا لَا نَأكُلُ**

---

[1] «الخصائص الكبرى» (ج٢ ص ٣٥)، و«الفصول في السيرة» (ج١ ص٣٢٧)، و«مواهب الجليل» (ج٣ ص٣٩٧).

[2] «روضة الطالبين وعمدة المفتين» (ج٢ ص٤٥٠).

[3] أخرجه مسلم، كتاب الزكاة، باب ترك استعمال آل النبي على الصدقة، رقم (١,٧٢)(ج٢ ص٧٥٦).

[4] أخرجه أحمد في «مسنده»، (حديث رفاعة بن شداد عن عمرو بن الحمق ﷺ)، رقم (٢٣٧٨٨) (ج٥ ص ٤٤١)، وأخرجه الدارمي في «سننه»، باب ما أكرم النبي ﷺ من كلام الموتى، رقم: (٦٧) (ج١ ص٤٦).

الصَّدَقَةَ؟»[1]. قال ابن حجر: كان يحرم على النبي ﷺ صدقة الفرض والتطوع[2]، كما نقل فيه غير واحد – منهم الخطابي – الإجماع، لكن حكى غير واحد عن الشافعي في التطوع قولاً، وكذا في رواية عن أحمد، ولفظه في رواية الميموني: «لا يحل للنبي ﷺ وأهل بيته صدقة الفطر وزكاة الأموال والصدقة يصرفها الرجل على محتاج يريد بها وجه الله، فأما غير ذلك: فلا، أليس يقال: كل معروف صدقة»[3].

٣) من خصائصه التشريعية أنه كان يحرم عليه الإهداء لينال أكثر مما أهْدَى.

حرم الله تعالى علي رسول الله ﷺ أن يهدي ليُعْطَى أكْثَرَ مِمَّا أهْدَى لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾ [4]؛ لأنه صلوات الله وسلامه عليه مأمور بأشرف الآداب، وأجل الأخلاق، وهذا من خصائصه ﷺ نقل ذلك عن عبد الله بن عباس وتبعه على ذلك عطاء، ومجاهد، وإبراهيم النخعي، وقتادة، والسدي، والضحاك وغيرهم[5].

قال الطبري: وأما قوله: ﴿ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾ فهذا للنبي خاصة، لم يكن له أن يعطي إلا لله، و لم يكن يعطي ليُعطى أكثر منه[6].

---

[1] أخرجه البخاري، كتاب الزكاة، باب ما يذكر في الصدقة للنبي ﷺ، رقم (١٤٢٠) (ج٢ ص ٥٤٢)، وأخرجه مسلم، كتاب الزكاة، باب: تحريم الزكاة على رسول الله ﷺ وعلى آله، وهم: بنو هاشم وبنو المطلب دون غيرهم، رقم (١,٦٩)، (ج٢ ص٧٥٦).

[2] «فتح الباري» لابن حجر (ج٥ ص ١١٤).

[3] المرجع السابق.

[4] سورة المدثر آية: (٦).

[5] «تفسير القرطبي» (ج١٩ ص٦٦)، و«سنن البيهقي» (ج٧ ص٥١)، و«شرح الزرقاني» (ج٢ ص١٥٩)، و«أسنى المطالب» (ج٣ ص١٠٠).

[6] «تفسير الطبري» (ج١٠ ص١٨٧).

قال الضحاك في معنى: ﴿ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴾ أي: لا تعط العطاء تريد أكثر منه، وهو نهي لرسول الله ﷺ خاصة[1].

٤) من خصائصه التشريعية أنه ﷺ لم يكن له خائنة الأعين.

المراد بخائنة الأعين: الإيماء بما يظهر خلافه، وهو مما حرم على رسول الله ﷺ دون أمته إلا في محظور، والأصل في هذا التحريم عليه هو تنزه مقام النبوة عنه، فقد أخرج أبو داود والنسائي والحاكم وصححه والبيهقي عن سعد بن أبي وقاص أن النبي ﷺ يوم الفتح أَمَّنَ النَّاسَ إِلَّا أَرْبَعَةَ نَفَرٍ وَامْرَأَتَيْنِ، مِنْهُمْ: عَبْدُ اللهِ بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي سَرْحٍ ... وَأَمَّا عَبْدُ اللهِ بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي سَرْحٍ فَإِنَّهُ اخْتَبَأَ عِنْدَ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ ﷺ، فَلَمَّا دَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى الْبَيْعَةِ جَاءَ بِهِ حَتَّى أَوْقَفَهُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ بَايِعْ عَبْدَ اللهِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ ثَلَاثًا كُلُّ ذَلِكَ يَأْبَى، فَبَايَعَهُ بَعْدَ ثَلَاثٍ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: «**أَمَا فِيكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ يَقُومُ إِلَى هَذَا حَيْثُ رَآنِي قَدْ كَفَفْتُ يَدِي عَنْ بَيْعَتِهِ فَيَقْتُلَهُ؟**»، قَالُوا: مَا يُدْرِينَا يَا رَسُولَ اللهِ مَا فِي نَفْسِكَ! هَلَّا أَوْمَأْتَ إِلَيْنَا بِعَيْنِكَ؟ قَالَ: «**إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ لِنَبِيٍّ خَائِنَةُ الْأَعْيُنِ**»[2].

وهذا مما اختص به هو والأنبياء دون الأمم[3]، فهذا من الخصائص النبوية، فلم يكن له أن يومئ بطرفه خلاف ما يظهره كلامه، فيكون من باب اللمز، وظاهر القصة يشير إلى أن ذلك تشريع عام للأنبياء، ولم يصرح بذلك أحد أو ينفيه.

٥) من خصائصه التشريعية أنه ﷺ لم يكن له تعلم الشعر.

دلت النصوص على أن من خصائصه ﷺ أنه ليس له تعلم الشعر.

---

[1] «تفسير ابن كثير» (ج٣ ص٥٧٥).

[2] أخرجه أبو داود في «سننه»، كتاب الجهاد، باب: قتل الأسير ولا يعرض عليه الإسلام، رقم (٢٦٨٣) (ج٢ ص ٦٥)، وأخرجه الحاكم في «المستدرك»، كتاب المغازي والسرايا، رقم: (٤٣٦٠) (ج٣ ص٤٧)، ويراجع: «الإنصاف» (ج٨ ص٣٩)، و«الإقناع» (ج٣ ص١٦٢)، و«مغني المحتاج» (ج٣ ص١٢٣).

[3] «منح الجليل شرح مختصر خليل» (ج٦ ص١٩٦).

والدليل على ذلك قول الله تعالى: ﴿ وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ﴾[1]، وعن عبد الله بن عمر ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ : «**مَا أُبَالِي مَا أَتَيْتُ إِنْ أَنَا شَرِبْتُ تِرْيَاقًا، أَوْ تَعَلَّقْتُ تَمِيمَةً، أَوْ قُلْتُ الشِّعْرَ مِنْ قِبَلِ نَفْسِي**»[2].

فلهذا كان يحرم عليه تعلم الشعر[3]، ولا يحرم على غيره.

لكن فرق البيهقي وغيره بين الرَّجَزِ[4] وغَيْرِهِ مِنَ البُحُورِ، فقال: الرجز جائز عليه؛ لأنه ليس بشعر، وغيره لا يجوز، واستشهد على ذلك بما أنشده عليه الصلاة والسلام من الرجز، وهو يشارك في حفر الخندق، فعن البراء ﷺ قال: رأيت النبي ﷺ يوم الخندق، وهو ينقل التراب حتى وَارَى التُّرَابُ شَعْرَ صَدْرِهِ، وكان رجلا كثير الشعر، وهو يرتجز برَجَزِ عبد الله بن رواحة:

اللَّهُمَّ لَوْلاَ أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا *** وَلاَ تَصَدَّقْنَا وَلاَ صَلَّيْنَا

فَأَنْزِلَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا *** وَثَبِّتِ الأَقْدَامَ إِنْ لاَقَيْنَا

إِنَّ الأَعْدَاءَ قَدْ بَغَوْا عَلَيْنَا *** إِذَا أَرَادُوا فِتْنَةً أَبَيْنَا

يرفع بها صوته[5].

ومَن قال: إن الرجز من الشعر؛ قال: إن هذا خاصَّةً ليس بشعر ؛ لأن الشعر لا يكون شعرًا إلا إن صدر عن قائله بقصد الإشعار، وما كان ذلك في ذكر النبي ﷺ لهذا الرجز الذي قاله[6].

قال ابن الملقن: إن من خصائصه أنه لم يكن له أن يقول شعرا ولا أن يتعلمه[1].

---

[1] سورة يس آية: (٦٩).

[2] أخرجه أبو داود في «سننه»، كتاب الطب، باب في الترياق، رقم: (٣٨٦٩) (ج٢ ص٣٩٩)، أخرجه أحمد في «مسنده»، (مسند عبد الله بن عمرو رضى الله تعالى عنهما)، رقم: (٦٥٦٥) (ج٢ ص١٦٧).

[3] «الفصول في السيرة» (ج١ ص٣٢٧)، و«الخصائص الكبرى» (ج٢ ص٣٥٣).

[4] الرجز هو: نوع من الكلام الموزون يشبه الشعر، وقيل: هو نوع من أوزان الشعر.

[5] أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الرجز في الحرب ورفع الصوت في حفر الخندق، رقم (٢٨٧٠) (ج٣ ص١١,٣).

[6] «أسنى المطالب» (ج٣ ص٩٩)، و«سنن البيهقي» (ج٧ ص٤٢)، و«مطالب أولي النهى» (ج٥ ص٣١ ، و٣٢).

٦) من خصائصه التشريعية أن الله تعالى حرم عليه نكاح الكتابية والكافرة والأمة، والممتنعة عن الهجرة دون غيره.

أولا: نكاح الكتابية: فقد اختلف الفقهاء في: هل كان يحل له ﷺ نكاح الحرة الكتابية؟

اختلفوا في ذلك على وجهين:

الوجه الأول: يرى المالكية[٢] والشافعية في وجه صححه النووي: الحُرْمَةَ[٣]، وهو اختيار ابن الملقن[٤]، واستدلوا بقوله ﷺ «**زَوْجَاتِي فِي الدُّنْيَا زَوْجَاتِي فِي الآخِرَةِ**»[٥].

الوجه الثاني: الإباحة ورجحه ابن كثير، وكأنه مال إليه، ثم قال: والخبر لا حجة فيه، لجواز أن من تزوج به منهن أسلمن.

قال ابن كثير: وهذا الحديث ليس له أصل يعتمد عليه في رفعه، وإنما هو من كلام بعض الصحابة[٦].

وأما الأمة الكتابية: فقطع الجمهور بتحريم نكاحها عليه[٧]، وهي محرمة على غيره أيضًا، وطرد الحناطي الوجهين في أنه هل يحل له نكاح الأمة الكتابية؟

قال النووي في أصل الروضة والمذهب: التحريم، يعني القطع به[١].

---

[١] «غاية السول في خصائص الرسول» ﷺ (ج١ ص ٢٣).

[٢] «منح الجليل شرح مختصر خليل» (ج٦ ص ١٩٦).

[٣] «الفصول في السيرة» (ج١ ص٣٢٧).

[٤] «غاية السول في خصائص الرسول» ﷺ (ج١ ص٢٧).

[٥] قال ابن حجر العسقلاني: حديث «**زَوْجَاتِي فِي الدُّنْيَا زَوْجَاتِي فِي الآخِرَةِ**»، لَم أجِدْهُ بهذا اللفظ، وفي البخاري عن عمار: أنه ذكر عائشة، فقال: «إني لأعلم أنها زوجة نبيكم في الدنيا والآخرة»، وأخرجه أبو الشيخ في كتاب: السنة، من حديثه مرفوعا، وفي البيهقي عن حذيفة: أنه قال لامرأته: «إن سرك أن تكوني زوجتي في الجنة فلا تتزوجي بعدي فإن المرأة لآخر أزواجها»، يراجع: «تلخيص الحبير» (ج٣ ص١٣٢).

[٦] «الفصول في السيرة» (ج١ ص٣٢٧).

[٧] «مغني المحتاج» (ج٣ ص١٢٣).

ثانيا: نكاح الأمة المسلمة.

من الخصائص النبوية أنه يحرم على رسول الله ﷺ نكاح الأمة المسلمة[٢]؛ لأن نكاحها معتبر لخوف العنت – أي: الزنا – وهو ﷺ معصوم عنه، أو لفقدان مَهْرِ الحُرَّةِ، ونكاح رسول الله ﷺ غني عن المهر ابتداء؛ إذ يجوز له أن ينكح بغير مهر؛ ولأن نكاحها يؤدي إلى رِقِّ الولد، ومقام النبوة منزه عن هذا[٣].

ثالثا: نكاح الممتنعة عن الهجرة: من خصائصه، اختصاصه ﷺ بتحريم نكاح المسلمة التي لم تهاجر[٤]، فيحرم عليه نكاح من وجبت عليها الهجرة ولم تهاجر، لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيۡتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِي هَاجَرۡنَ مَعَكَ وَٱمۡرَأَةً مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ قَدۡ عَلِمۡنَا مَا فَرَضۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ لِكَيۡلَا يَكُونَ عَلَيۡكَ حَرَجٞۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٥٠﴾ ﴾[٥].

وفي قراءة عبد الله بن مسعود: {وبنات خالاتك، واللاتي هاجرن معك}، ولِمَا رواه الترمذي وحسنه وابن أبي حاتم عن عبد الله بن عباس قال: نهى رسول الله ﷺ عن أصْنَاف النساء إلا ما كان من المؤمنات المهاجرات قال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيۡتَ

---

[١] «غاية السول في خصائص الرسول» ﷺ (ج١ ص٢٩).

[٢] «الخصائص الكبرى» (ج٢ ص٣٥٧).

[٣] «أحكام الجصاص» (ج٣ ص ٤٤٩)، و«منح الجليل شرح مختصر خليل» (ج٦ ص ١٩٦).

[٤] «الخصائص الكبرى» (ج٢ ص٣٥٦)، و«غاية السول في خصائص الرسول» ﷺ (ج١ ص ١٦).

[٥] سورة الأحزاب آية: (٥٠).

أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ﴾، فأحل الله فتياتكم المؤمنات، وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي، وحرم كل ذات دين غير الإسلام، ثم قال: ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [1]، وقال: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ ﴾، إلى قوله: ﴿ خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ وحرم ما سوى ذلك من أصناف النساء[2].

ولحديث أم هانئ قالت: خطبني رسول الله فاعتذرت إليه، فعذرني، فأنزل الله تعالى: ﴿ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ ﴾ الآية، إلى قوله تعالى: ﴿ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ ﴾، قالت: فلم أكن أحل له؛ لأني لم أكن ممن هاجر معه، كنت من الطلقاء[3]،

وقال الإمام أبو يوسف[4]: لا دلالة في الآية على أن اللاتي لم يهاجرن كن محرمات عليه؛ لأن تخصيص الشيء بالذكر لا ينفي ما عداه[5].

---

[1] سورة المائدة آية: (٥).

[2] أخرجه الترمذي، كتاب تفسير القرآن، سورة الأحزاب، رقم: (٣٢١٥) (ج٥ ص٣٥٥).

[3] أخرجه الترمذي ، كتاب تفسير القرآن، سورة الأحزاب، رقم: (٣٢١٤) (ج٥ ص٣٥٥).

[4] هو: يعقوب بن إبراهيم بن حبيب، القاضي الإمام، من ولد سعد بن حبتة الأنصاري صاحب رسول الله ﷺ أخذ الفقه عن أبي حنيفة رضي الله عنه، وهو المقدم من أصحابه جميعًا، ولي القضاء للهادي والمهدي والرشيد، وهو أول من سُمِّيَ قاضي القضاة، وأول من اتخذ للعلماء زيًا خاصًا، وثقة أحمد وابن معين وابن المديني، قيل : إنه أول من وضع الكتب في أصول الفقه، توفي (سنة: ١٨١ هـ)، من تصانيفه : الخراج؛ وأدب القاضي؛ والجوامع. انظر ترجمته في: «الجواهر المضية» (ص: ٢٢٠، ٢٢٢)؛ و«البداية والنهاية» (ج١٠ ص١٨٠).

[5] «أسنى المطالب» (ج٣ ص١٠٠)، و«مطالب أولي النهى» (ج٥ ص٣١).

النوع الثالث

الخصائص التشريعية التي أباحها الله لنبيه ﷺ دون غيره

لقد شرع الله لنبيه ﷺ أشياء أباحها له و لم تكن لأحد غيره، وهى أشياء كثيرة، من أهمها ما يلي:

١) من خصائصه التشريعية أنه لم يمت ﷺ حتى خيره الله تعالى بين أن يفسح له في أجله ثم الجنة.

من خصائصه ﷺ أنه لَم يَمُت ﷺ حتى خيره الله تعالى بين أن يفسح له في أجله ثم الجنة، وإن أحب لَقِيَ الله سريعًا، فاختار ما عند الله على الدنيا.

والدليل على ذلك[١]: أن النبي ﷺ خطب يومًا فقال: «**إِنَّ رَجُلًا خَيَّرَهُ رَبُّهُ بَيْنَ أَنْ يَعِيشَ فِي الدُّنْيَا مَا شَاءَ أَنْ يَعِيشَ وَيَأْكُلَ فِي الدُّنْيَا مَا شَاءَ أَنْ يَأكُلَ وَبَيْنَ لِقَاءِ رَبِّهِ فَاخْتَارَ لِقَاءَ رَبِّهِ**»، قَالَ: فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ: أَلَا تَعْجَبُونَ مِنْ هَذَا الشَّيْخِ؛ إِذْ ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَجُلًا صَالِحًا خَيَّرَهُ رَبُّهُ بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ لِقَاءِ رَبِّهِ؛ فَاخْتَارَ لِقَاءَ رَبِّهِ، قَالَ: فَكَانَ أَبُو بَكْرٍ أَعْلَمَهُمْ بِمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: بَلْ نَفْدِيكَ بِآبَائِنَا وَأَمْوَالِنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَا مِنَ النَّاسِ أَحَدٌ أَمَنَّ إِلَيْنَا فِي صُحْبَتِهِ وَذَاتِ يَدِهِ مِنْ ابْنِ أَبِي قُحَافَةَ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ ابْنَ أَبِي قُحَافَةَ خَلِيلًا، وَلَكِنْ وُدٌّ وَإِخَاءُ إِيمَانٍ، وُدٌّ وَإِخَاءُ إِيمَانٍ** - مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا - **أَلَا وَإِنَّ صَاحِبَكُمْ خَلِيلُ اللَّهِ**»[٢].

٢) من خصائصه التشريعية أن الله تعالى أباح لَهُ الوِصَال [٣] **في الصيام.**

---

[١] «الفصول في السيرة» (ج١ ص٣٢٨).

[٢] أخرجه الترمذي في «سننه»، كتاب المناقب، باب في مناقب أبي بكر وعمر رضي الله عنهما كليهما، رقم: (٣٦٥٩) (ج٥ ص٦,٧)، وأخرجه أحمد في «مسنده»، (حديث أبي المعلي رضي الله عنه)، رقم: (١٥٩٦٤) (ج٣ ص٤٧٨).

[٣] الوصال أي : تتابع الصوم من غير إفطار بالليل.

لا خلاف بين العلماء[1] على أن الوِصَال من الخصائص النبوية لسيد البرية ﷺ؛ ولهـذا ورد أن رسول الله ﷺ نهى عن الحجامة والمواصلة، ولم يحرمهما إبقاء على أصحابه، فقيل له: يا رسول الله إنك تواصل إلى السحر، فقال: «**إِنِّي أُوَاصِلُ إِلَى السَّحَرِ وَرَبِّي يُطْعِمُنِي وَيَسْقِيْنِي**»[2].

وفي رواية عن قتادة عن أنس: قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَا تَصُومُوا**».

قالوا: فإنك تواصل يا رسول الله! قال: «**إِنِّي لَسْتُ كَأَحَدِكُم، إِنَّ رَبِّي يُطْعِمُنِي وَيَسْقِيْنِي**»[3]، فقطع تَأَسِّيَهُم به بتخصيصه بأن الله تعالى يُطْعِمُهُ ويَسْقِيه.

وقد اختلفوا: هل هما حِسِّيان؟ أو معنويان؟ على قولين[4]: الصحيح: أنهما معنويان، وإلا لما حصل الوصال[5].

قال الخطابي: الوصال من خصائص ما أبيح لرسول الله ﷺ وهو محظور على أمته، ويشبه أن يكون المعنى في ذلك ما يتخوف على الصائم من الضعف، وسقوط القوة، فيعجزوا عن الصيام المفروض، وعن سائر الطاعات، أو يملوها إذا نالتهم المشقة، فيكون سببًا لترك الفريضة، «**إِنِّي أُطْعَمُ وَأُسْقَى**» يحتمل معنيين:

أحدهما: أنِّي أعَانُ عَلى الصِّيام، وأقوى عليه فيكون ذلك لي بمنزلة الطعام والشراب لكم، **ويحتمل** أن يكون قد يؤتى على الحقيقة بطعام وشراب يطعمها، فيكون ذلك تخصيصًا له، وكرامة لا يشركه فيها أحد من أصحابه[6].

---

[1] «منح الجليل شرح مختصر خليل» (ج٦ ص١٩٦)، و«الخصائص الكبرى» (ج٢ ص٣٦).

[2] أخرجه أبو داود في «سننه»، كتاب الصيام، باب في الصائم يحتجم، رقم: (٢٣٧٤) (ج١ ص٧٢٣).

[3] أخرجه الترمذي في «سننه»، كتاب الصيام، باب ما جاء في كراهية الوصال للصائم، رقم: (٧٧٨) (ج٣ ص١٤٨).

[4] «الفصول في السيرة» (ج١ ص٣٢٩).

[5] «عون المعبود» (ج٦ ص٣٤٩)، و«مختصر خليل» (ج١ ص١,٩).

[6] «عون المعبود» (ج٥ ص٢٣٨).

وقد قال ﷺ: «**لَا تُوَاصِلُوا**» قالوا إنك تواصل قال: «**لَسْتُ كَأَحَدٍ مِنْكُم إِنِّي أَطْعَمُ وأُسْقَى** - أو: **إِنِي أَبِيْتُ أَطْعَمُ وَأَسْقَى**»[1].

وهو قول للمالكية، ونُقِلَ عن أحمد، وعبارة المرداوي في تنقيحه: «ويكره الوصال ولا يكره إلى السحر نصًا وتركه أولى».

والمعنى: إن لي مُطْعِمًا حَالَ كَوْنه يُطْعِمُنِي، ولي سَاقيًا حال كونه يَسْقِينِي - بفتح أوله -، وهذه من أهم الخصائص وأجلها، و لم يخالف فيها أحد لدلالة النصوص الصريحة عليها[2].

٣) من خصائصه التشريعية: أنه كان يقبل وهو صائم.

خص الله تعالى نبيه ﷺ بجواز القبلة وهو صائم مع قوة شهوته وذلك حرام على غيره[3].

والدليل على ذلك: ما روي عن عائشة رضي الله عنها: «كان النبي ﷺ يقبل وهو صائم»[4].

وهذه من المسائل المختلف فيها فقيل: كان ذلك خاصًا به ﷺ، وهل يكره لغيره؟ أو يحرم؟ أو يباح؟ أو يبطل صوم من فعله - كما قال ابن قتيبة - ؟ أو يستحب له ؟ أو يفرق بين الشيخ والشاب؟ [5].

ووجه الخصوصية أنه: لم يقل أحد بالتحريم في حقه، أو بطلان صومه ﷺ إذا قَبّلَ بينما في حق غيره قيل ذلك.

---

[1] أخرجه البخاري، كتاب الصوم، باب الوصال ومن قال ليس في الليل صيام، رقم: (١٨٦٠)، (ج٢ ص٦٩٣)، وأخرجه مسلم في الصيام باب النهي عن الوصال في الصوم رقم: (١١,٤).

[2] «عون المعبود» (ج٥ ص ٢٣٩).

[3] «الخصائص الكبرى» (ج٢ ص ٣٦٤).

[4] أخرجه مسلم، كتاب الصيام، باب بيان أن القبلة في الصوم ليست محرمة على من لم تحرك شهوته، رقم: (١١,٦)، (ج٢ ص٧٧٦).

[5] «مغني المحتاج» (ج٣ ص١٢٣)، و«الخصائص الكبرى» (ج٢ ص٣٦٠).

٤) من الخصائص التشريعية: ما أبيح له من النكاح دون غيره، أنه مات صلوات الله وسلامه عليه عن تسع نسوة.

لا خلاف بين العلماء على أن من خصائصه ﷺ الزيادة عن أربع في النكاح، واتفقوا على إباحة تسع، واختلفوا في جواز الزيادة، فالصحيح أنه كان له ذلك.

في الخصائص: قال العلماء لما كان الحُرُّ لِفَضْلِه على العبد يستبيح من النسوة أكثر مما يستبيحه العبد، وجب أن يكون النبي ﷺ لفضله على جميع الأمة يستبيح من النساء أكثر ما تستبيحه الأمة[١]، وفي ذلك فوائد منها ما يلي:

١- نقل محاسنه الباطنة فإنه ﷺ مكمل الظاهر والباطن[٢].

٢- نقل الشريعة التي لم يطلع عليها الرجال[٣].

٣- تشريف القبائل بمصاهرته.

٤- شرح صدره بكثرتهن عما يقاسيه من أعدائه.

٥- زيادة التكليف في القيام بهن مع تحمل أعباء الرسالة، فيكون ذلك أعظم لمشاقه وأكثر لأجره[٤].

٦- أن النكاح في حقه عبادة[٥].

والدليل على ذلك ما في البخاري عن أنس قال: كان رسول الله ﷺ يدور على نسائه في الساعة الواحدة من ليل أو نهار، وهن إحدى عشرة، قلت لأنس: هل كان يطيق ذلك؟ قال: كنا

---

[١] «الخصائص الكبرى» (ج٢ ص٣٦٦).

[٢] «مغني المحتاج» (ج٣ ص١٢٣).

[٣] «تلخيص الحبير» (ج٣ ص١٣٨).

[٤] «تفسير القرطبي» (ج١٤ ص١٩٧).

[٥] «الخصائص الكبرى» (ج٢ ص٣٦٦).

نتحدث أنه أعطي قوة ثلاثين[1]، وفي رواية: «أربعين»، ثم رواه البخاري عن أنس: «وعنده تسع»[2]، وقال أنس ﷺ: «تزوج ﷺ خمس عشرة امرأة، ودخل بثلاث عشرة، واجتمع عنده إحدى عشرة، ومات عن تسع»، وقال أبو عبيد[3]: تزوج رسول الله ﷺ ثماني عشرة امرأة، واتخذ من الإماء ثلاثًا[4].

وهذا كله من خصائصه فلا يجوز لأحد من الأمة الزيادة على أربع نسوة، وكثرة الزوجات في حقه ﷺ للتوسعة في تبليغ الأحكام عنه؛ الواقعة سرًا مما لا يطلع عليه الرجال، ونقل محاسنه الباطنة، فإنه ﷺ كَمُلَ له الظاهر والباطن[5].

٥) من الخصائص التشريعية: ما أباحه الله تعالى له دون غيره أنه يصح تزوجه بلفظ الهبة – أو: أباح الله تعالى له نكاح الهبة –.

من التشريعات التي خص الله بها نبيه ﷺ أنه **أباح له نكاح الهبة**[6]؛ لقوله ﷻ: ﴿ وَٱمۡرَأَةً مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۗ ﴾[7].

---

[1] أخرجه البخاري، كتاب الغسل، باب إذا جامع ثم عاد ودار على نسائه في غسل واحد، رقم: (٢٦٥) (ج١ ص ١,٥).

[2] أخرجه البخاري، كتاب الغسل، باب الجنب يخرج ويمشي في السوق وغيره، رقم: (٢٨٠) (ج١ ص١,٩)، وأخرجه مسلم في: الحيض، باب جواز نوم الجنب واستحباب الوضوء له، رقم: (٣,٩)، (ج١ ص٢٤٩).

[3] هو: القاسم بن سلام، أبو عبيد كان إماما في اللغة والفقه والحديث، قال إسحاق بن راهويه : أبو عبيد أعلم مني وأفقه، قال الذهبي: (كان حافظًا للحديث وعلله، عارفا بالفقه والاختلاف، رأسا في اللغة، إماما في القراءات له فيها مصنف)، ولي قضاء طرسوس، مولده بهراة، ورحل إلى مصر وبغداد، وحج فتوفي بمكة (سنة: ٢٢٤ هـ)، من تصانيفه: كتاب الأموال؛ والغريب المصنف؛ والأمثال. انظر ترجمته في: «تهذيب التهذيب» (ج٧ ص٣١٥)؛ و«طبقات الحنابلة» (ج١ ص٢٥٩).

[4] «الفصول في السيرة» (ج١ ص٣٢٨)، و«الإقناع» (ج٣ ص١٦٢)، و«الإنصاف» (ج٨ ص ٣٩).

[5] «مغني المحتاج» (ج٣ ص١٢٣)، و«الخصائص الكبرى» (ج٢ ص٣٦)، و«غاية السول في خصائص الرسول» (ج١ ص١٦).

[6] «منح الجليل شرح مختصر خليل» (ج٦ ص ١٩٩).

[7] سورة الأحزاب آية: (٥٠).

وإذا عقده بلفظ الهبة فلا مهر بالعقد ولا بالدخول، بخلاف غيره[1]، فهذه خصوصية له ثابتة بالنص، ولا خلاف فيها.

٦) من الخصائص التشريعية: ما كان يباح له دون غيره من التزوج بغير ولي ولا شهود.

من الخصائص التشريعية أنه يباح الزواج للنبي ﷺ من غير ولي ولا شهود[2]، حيث دلت النصوص الصريحة على خصوصية ذلك للنبي ﷺ.

الدليل على ذلك: حديث أم المؤمنين السيدة زينب بنت جحش رضي الله عنها أنها كانت تفخر على أزواج النبي ﷺ وتقول: زوجكن أهاليكن، وزوجني الله من فوق سبع سموات[3].

والمعنى فيه: علو قدره ﷺ، فلا يجوز لأحد أن يتولى الشهادة عليه، أو يكون وليًا عليه في عقد نكاح أو غيره؛ لأنه ﷺ أولى بالمؤمنين من أنفسهم، وكان له ﷺ أن يتزوج بلا ولي ولا شهود، وفى زمن الإحرام .

قال القاضي في الجامع الكبير: ظاهر كلام الإمام أحمد رحمه الله: جواز النكاح له ﷺ بلا ولي، ولا شهود وفى زمن الإحرام، وأطلق أبو الحسين ووالده وغيرهما وجهين:

وقال ابن حامد: لم يكن له النكاح بلا ولي ولا شهود ولا زمن الإحرام مباحًا[4].

٧) من خصائصه التشريعية ما يباح له دون غيره من التزوج في الإحرام.

من خصائص النبي ﷺ جواز النكاح له في الإحرام، وقد اختلف الفقهاء في: هل إباحة الزواج في الإحرام من خصائصه ﷺ، أم لا ؟ على رأيين:

---

(١) «الفصول في السيرة» (ج١ ص٣٢٨).

(٢) «منح الجليل شرح مختصر خليل» (ج٦ ص١٩٩)، و«غاية السول في خصائص الرسول» (ج١ ص١٦).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب التوحيد، باب: {وكان عرشه على الماء }، و{ وهو رب العرش العظيم}، رقم: (٦٩٨٤)، (ج٦ ص٢٦٩٩).

(٤) «الإنصاف» (ج٨ ص ٣٩)، و«مغني المحتاج» (ج٣ ص١٢٣).

أحدهما: عَدم الخصوصية، لعموم الحديث الذي في مسلم عن عثمان، عن رسول الله ﷺ قال: «**لَا يَنْكِحُ الْمُحْرِمُ، وَلَا يُنْكَحُ، وَلَا يَخْطُبُ**»[1]، والمخاطب به العموم عند الأكثرين[2].

الثاني: يرى المالكية أن من خصائصه ﷺ أنه يباح له الزواج وهو محرم[3].

قال ابن كثير: وصححوا الجواز؛ لحديث ابن عباس: أنه ﷺ تزوج ميمونة وهو محرم[4]، ولكن يعارضه ما رواه مسلم عن ميمونة نفسها: «أنه تزوج بها وهما حلالان»، فعن يزيد بن الأصم حدثتني ميمونة بنت الحارث «أن رسول الله ﷺ تزوجها وهو حلال»، قال: وكانت خالتي وخالة ابن عباس[5]، وصاحِبُ القِصَّةِ أعْلَمُ بها من الغير[6]، فعلى الرأي الثاني أن ذلك من خصائصه جواز النكاح في الإحرام بصرف النظر عن الترجيح في المسألة.

٨)- من خصائصه التشريعية إباحة النكاح بغير صداق.

اتفق الفقهاء[7] أن من الخصائص النبوية أنه ﷺ أحل له أن يتزوج بلفظ الهبة، لقوله تعالى: ﴿ وَٱمۡرَأَةٗ مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا خَالِصَةٗ لَّكَ مِن دُونِ

---

(1) أخرجه مسلم، كتاب النكاح، باب تحريم نكاح المحرم وكراهة خطبه، رقم (١٤,٩) (ج٢ ص ١٠٣٠).

(2) «الفصول في السيرة» (ج١ ص٣٢٩)، و«الخصائص الكبرى» (ج٢ ص٣٦)، و«غاية السول في خصائص الرسول» ﷺ (ج١ ص ١٦).

(3) «منح الجليل شرح مختصر خليل» (ج٦ ص ١٩٩).

(4) أخرجه البخاري، أبواب الإحصار وجزاء الصيد، باب تزويج المحرم، رقم (١٧٤٠)، (ج٢ ص ٦٥٢)، وأخرجه مسلم في النكاح باب تحريم نكاح المحرم وكراهة خطبته رقم: (١٤١٠)، (ج٢ ص ١,٣١).

(5) أخرجه مسلم، كتاب النكاح، باب تحريم نكاح المحرم وكراهة خطبه، رقم (١٤١١) (ج٢ ص١,٣٢).

(6) «المجتبي» (ج٦ ص٨٩).

(7) «منح الجليل» (ج٦ ص ١٩٩)، و«مغني المحتاج» (ج٣ ص١٢٣)، و«الخصائص الكبرى» (ج٢ ص٣٦١)، و«الإنصاف» (ج٨ ص ٣٩).

ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[1]، وإذا عَقَدَهُ بِلَفْظِ الهِبَةِ فلا مهر بالعقد ولا بالدخول، بخلاف غيره[2] فهذا مما خص به دون غيره.

قال المَرْدَاوِيُّ: وكان له ﷺ أن يتزوج بلا مهر جَزَمَ بِهِ الأصحاب، وجزم به ابن الجوزي عن العلماء[3].

٩) من خصائصه التشريعية: أنه يجوز له أن يجعل الصداق العتق.

مما خص به ﷺ أنه يجوز له جعل صداق من ينكحها عتقها.

والدليل على ذلك: ما روي عن أنس رضي الله عنه: «**أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَعْتَقَ صَفِيَّةَ، وَجَعَلَ عِتْقَهَا صَدَاقَهَا**».

فقيل: معنى ذلك أنه أعتقها وشرط عليها أن تتزوج به، فوجب عليها الوفاء بالشرط، بخلاف غيره، وقيل: جعل نفس العتق صداقًا، وصح ذلك[4].

وقيل: أعتقها بلا عوض، وتزوجها بلا مهر، لا في الحال ولا في المآل، وقطع به الحافظ أبو بكر البيهقي، وصححه ابن الصلاح والنووي قوله: «وجعل عتقها صداقها»، يعني: أنه لم يمهرها، غير أنه أعتقها، فيكون كقولهم: الجوع زاد من لا زاد له.

وقيل: بل أمهرها جارية، كما رواه البيهقي بإسناد غريب لا يصح، وعلى هذا فالزواج بلا عوض ولا مهر من خصائصه ﷺ.

---

[1] سورة الأحزاب آية: (٥٠).

[2] «الفصول في السيرة» (ج١ ص٣٢٨).

[3] «الإنصاف» (ج٨ ص ٣٩)، و«مغني المحتاج» (ج٣ ص١٢٣)، و«الخصائص الكبرى» (ج٢ ص٣٦١).

[4] «الفصول في السيرة» (ج١ ص٣٢٨).

١٠) من خصائصه التشريعية: ما أبيح له خاصة سقوط القَسْمِ عند أزواجه.

من خصائصه ﷺ **أن الله أباح عدم القسم بين زوجاته** ومما ينبغي أن يقال هنا: هل كان يجب عليه أن يقسم لنسائه وإمائه؟

اختلف الفقهاء في ذلك على رأيين: والذي يظهر من الأحاديث الوجوب، لأنه ﷺ لما مرض جعل يطوف عليهن، وهو كذلك، حتى استأذنهن أن يُمَرَّضَ في بيت عائشة رضي الله عنها فأذِنَّ لَهُ.

وقال أبو سعيد الإصطخري: لا يجب، لقوله تعالى: ﴿ تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِيٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴾[1].

قال السيوطي[2]: باب إباحة عدم القَسْمِ لأزواجه في أحد الوجهين وهو المختار، وصححه الغزالي[3]، واستدل على ذلك بما روي عن محمد بن كعب القرظي قال: كان رسول الله ﷺ موسعا عليه في قسم أزواجه يقسم بينهن كيف شاء، وذلك قول الله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ

---

[1] سورة الأحزاب آية: (٥١).

[2] هو: عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين الخضيري السيوطي، جلال الدين أبو الفضل، أصله من أسيوط، ونشأ بالقاهرة يتيما، وقضى آخر عمره ببيته عند روضة المقياس حيث انقطع للتأليف، كان عالما شافعيا مؤرخا أديبا وكان أعلم أهل زمانه بعلم الحديث وفنونه والفقه واللغة، كان سريع الكتابة في التأليف، ولما بلغ أربعين سنة أخذ في التجرد للعبادة، وترك الإفتاء والتدريس وشرع في تحرير مؤلفاته فألف أكثر كتبه، اهتم بالأخذ من التصانيف المتقدمة ونسبتها إلى نفسه بعد إجراء التقديم والتأخير فيها، توفي (سنة: ٩١١ هـ)، مؤلفاته تبلغ عدتها خمسمائة مؤلف؛ منها: الأشباه والنظائر في فروع الشافعية؛ والحاوي للفتاوى؛ والإتقان في علوم القرآن. انظر: «شذرات الذهب» (ج٨ ص٥١)؛ و«الضوء اللامع» (ج٤ ص٦٥)؛ و«الأعلام» (ج٤ ص٧١).

[3] «الخصائص الكبرى» (ج٢ ص ٣٦٩).

عَلِيمًا حَلِيمًا ﴾[1]، فهذا يعني أن ذلك من الله تعالى، وعللوا عدم القسم في حقه بأن في وجوب القسم عليه شغل عن لوازم الرسالة، وقد صح أنه كان يطوف على نسائه في الساعة الواحدة، وذلك ينافي وجوب القسم[2].

١١) من خصائصه التشريعية: مَا أُبِيْحَ لَهُ مِن تَبَدُّلِ أزواجه.

من الخصائص التشريعية أنه لا يحل له ﷺ تبدل زوجاته بعد أن اخترن الله ورسوله والدار الآخرة والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿ لا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ﴾[3]، وهذا من التشريع الخاص بالنبي ﷺ حرمة تبدل الزوجات أو حل ذلك علي الروايتين من الخصوصيات.

وقد اختلف الفقهاء في ذلك على رأيين:

الرأي الأول: ذهب جمهور العلماء [4]، ومنهم: ابن عباس، ومجاهد، والضحاك، وقتادة وغيرهم، أن هذه الآية نزلت مجازاة لأزواج النبي ﷺ ورضًا عنهن على حسن صنيعهن في اختيارهن الله ورسوله والدار الآخرة لَمَّا خَيَّرَهُنَّ رسول لله ﷺ كما في أية التخيير، فلما اخترن رسول الله ﷺ كان جزاؤهن أن الله تعالى قَصَرَهُ عليهن، وحَرَّمَ عليه أن يتزوج بغيرهن، أو يستبدل بهن أزواجًا غيرهن، ولو أعجبه حسنهن إلا الإماء، والسراري، فلا حرج عليه فيهن، ثم إنه تعالى رفع عنه الحرج في ذلك، ونسخ حكم هذه الآية، وأباح له التزوج، ولكن لم يقع منه بعد ذلك تزوج؛

---

[1] سورة الأحزاب آية: (٥١).

[2] «الخصائص الكبرى» (ج٢ ص ٣٦٩).

[3] سورة الأحزاب آية: (٥٢).

[4] «غاية السول في خصائص الرسول» ﷺ (ج١ ص ١٩)، وقال: «وخالف أبو حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقال: دام التحريم و لم ينسخ واستدل بأوجه:
أحدها: أن قوله {مِنْ بَعْدُ} يدل على التأبيد، والجواب: أنه لا دلالة في ذلك على عدم النسخ.
وثانيها: أنه تعالى جعل جزاء لاختيارهن فلا يحسن الرجوع فيه.

لتكون المنة لرسول الله ﷺ عليهن[1]، وهذا تشريع خاص به ﷺ، ففي المنح: وخص بحرمة تبدل – أي: تبديل – أزواجه اللاتي خيرهن فاخترنه، لقوله تعالى: ﴿ لا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ﴾ الآية.

قال ابن عباس رضي الله عنهما أي: لا يحل لك أن تطلق امرأة من أزواجك وتنكح غيرها، وهذا لم ينسخ[2].

وعلى هذا الرأي: فإن حرمة تبدل الزوجات أيضًا من خصائصه ﷺ يعني: أنه لا يحل له أن يطلق امرأة من أزواجه بعد نزول الآية وأن هذا لم ينسخ.

الرأي الثاني: يرى الشافعية [3] أن معنى الآية: ﴿ لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ ﴾ أي: من بعد ما ذكرنا لك من صفة النساء اللاتي أحللنا لك من نسائك، اللاتي آتيت أجورهن، وما ملكت يمينك، وبنات العم والعمات، والخال والخالات، والواهبة وما سوى ذلك من أصناف النساء: فلا يحل لك، وهو مروي عن أبي بن كعب ومجاهد، **يؤيد ذلك ما يلي:**

١- ما رواه محمد بن أبي موسى عن زياد عن رجل من الأنصار قال: قلت لأبي بن كعب: أرأيت لو أن أزواج النبي ﷺ توفين أما كان له أن يتزوج؟ فقال: وما يمنعه من ذلك؟ قال: قلت قول الله تعالى: ﴿ لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ ﴾ فقال: إنما أحل الله له ضربًا من النساء، فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ

---

[1] «الفصول في السيرة» (ج١ ص٣٢٨).

[2] «منح الجليل شرح مختصر خليل» (ج٦ ص ١٩٤).

[3] «الخصائص الكبرى» (ج٢ ص ٣٤٨).

يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّـٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَـٰلَـٰتِكَ ٱلَّـٰتِى هَاجَرۡنَ مَعَكَ ﴾ [1] ثم قيل له:﴿ لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ ﴾.

٢- روى عن ابن عباس ﷺ قال: نهي رسول الله ﷺ عن أصناف النساء إلا ما كان من المؤمنات المهاجرات بقوله تعالى: ﴿ لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجٍ ﴾ [2]، فأحل الله فتياتكم المؤمنات، وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي وحرم كل ذات دين غير الإسلام، ثم قال: ﴿ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلۡإِيمَـٰنِ فَقَدۡ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلۡأَخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَـٰسِرِينَ ﴾ [3].

وقال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ٱلَّـٰتِىٓ ءَاتَيۡتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّـٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَـٰلَـٰتِكَ ٱلَّـٰتِى هَاجَرۡنَ مَعَكَ وَٱمۡرَأَةً مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِىِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِىُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [4]، وحرم ما سوى ذلك من أصناف النساء.

وعلي هذا فإباحة تبدل الزوجات من الخصائص.

قال الخطيب: النوع الثالث: التخفيفات والمباحات وهي كثيرة: منها تزويج من شاء من النساء لمن شاء، ولو لنفسه بغير إذن من المرأة ووليها متوليًا الطرفين، وزوجه الله تعالى، وأبيح له الوصال وصفي المغنم، ويحكم ويشهد لولده ولنفسه، وأبيح له نكاح تسع، وقد تزوج ﷺ بضع

---

[1] أخرجه الدارمي في «سننه»، ومن كتاب النكاح، باب قول الله تعالى {لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِن بَعْدُ}، رقم: (٢٢٤٠)، (ج٢ص ٢,٥)، و«الفصول في السيرة» (ج١ ص٣٢٨).

[2] سورة الأحزاب آية: (٥٢).

[3] سورة المائدة آية: (٥).

[4] سورة الأحزاب آية: (٥٠).

عشرة، ومات عن تسع، وكثرة الزوجات في حقه ﷺ للتوسعة في تبليغ الأحكام عنه الواقعة سرًا مما لا يطلع عليه الرجال، ونقل محاسنه الباطنة[1].

قال أحمد: روي عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما مات رسول الله ﷺ حتى أحل الله له النساء[2].

ويؤيده ما روي عن أم سلمة أنها قالت: لم يمت رسول الله ﷺ حتى أحل الله له أن يتزوج من النساء ما شاء إلا ذات محرم، وذلك قول الله تعالى: ﴿ تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِيٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ ﴾[3]الآية، فجعلت هذه ناسخة للتي بعدها في التلاوة كآيتي عدة الوفاة في سورة البقرة، الأولى ناسخة للتي بعدها.

١٢) من خصائصه التشريعية: حقه ﷺ في الغنيمة والفيء.

خص الله تعالى رسوله ﷺ بخمس الغنيمة وإن لم يَحْضُر الوَقْعَةَ؛ لقوله تعالى: ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ ﴾[4]، وأبيح له الصَّفِيُّ مِن المَغْنَمِ، وهو ما يختاره قبل القسمة من الغنيمة، كسيف ودرع ونحوهما، ومنه: صَفِيَّةُ أم المؤمنين التي اصطفاها من المغنم لنفسه[5].

---

(١) «مغني المحتاج» (ج٣ ص١٢٣)، و«الخصائص الكبرى» (ج٢ ص٣٦٢)، و«الإنصاف» (ج٨ ص٣٩)، و«الإقناع» (ج٣ ص١٦٢).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سورة الأحزاب آية: (٥١).

(٤) سورة الأنفال آية: (٤١).

(٥) «روضة الطالبين» (ج٧ ص٧)، و«كشاف القناع» (ج٥ ص٢٧)، و«الزرقاني» (ج٢ ص١٦٠).

قال السيوطي: باب اختصاصه ﷺ بأربعة أخماس الفيء وخُمْس خُمس الفيء، والغنيمة، وباصطفاه ما يختاره من الغنيمة قبل القسمة من جارية وغيرها[1].

والدليل على ذلك: ما رواه عمر رضي الله عنه قال: إن الله كان خص رسول الله ﷺ في هذا الفيء بشيء لم يعطه أحدًا غيره، فقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[2]، فكانت هذه خالصة لرسول الله ﷺ، والله ما احتازها دونكم ولا استأثر بها عليكم، قد أعطاكموها وبثها فيكم حتى بَقِيَ منها هذا المال[3].

---

[1] «الخصائص الكبرى» (ج٢ ص٣٦١).

[2] سورة الحشر آية: (٧).

[3] أخرجه البخاري، كتاب الخمس، باب فرض الخمس، رقم: (٢٩٢٧) (ج٣ ص ١١٢٦).

النوع الرابع

ما اختص به من الفضائل التشريعية دون غيره

اختص الله تعالى رسوله ﷺ بفضائل تشريعية ليزيد فضله، وهذه الفضائل أكثر من أن تعد، وسوف أورد شيئًا من فضائله التشريعية – وهي كثيرة – ومنها على سبيل المثال ما يلي:

١) من الفضائل التشريعية: جواز اختصاصه ﷺ من شاء بما شاء من الأحكام:

لما كان رسول الله ﷺ مشرعًا لا ينطق عن الهوى، فإن له أن يَخُصَّ مَن شاء بما شاء من الأحكام، كجَعْلِهِ شهادة خزيمة بشهادة رجلين[١]، وإجازته الأضحية بالعَنَاق (الجَذْع) لأبي بردة، فعن البراء قال: خَطَبَنَا النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ الأَضْحَى بَعْدَ الصَّلاَةِ، فَقَالَ: «**مَنْ صَلَّى صَلاَتَنَا، وَنَسَكَ نُسُكَنَا، فَقَدْ أَصَابَ النُّسُكَ، وَمَنْ نَسَكَ قَبْلَ الصَّلاَةِ، فَإِنَّهُ قَبْلَ الصَّلاَةِ وَلاَ نُسُكَ لَهُ**»، فَقَالَ أَبُو بُرْدَةَ بْنُ نِيَارٍ خَالُ البَرَاءِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَإِنِّي نَسَكْتُ شَاتِي قَبْلَ الصَّلاَةِ، وَعَرَفْتُ أَنَّ اليَوْمَ يَوْمُ أَكْلٍ وَشُرْبٍ، وَأَحْبَبْتُ أَنْ تَكُونَ شَاتِي أَوَّلَ مَا يُذْبَحُ فِي بَيْتِي، فَذَبَحْتُ شَاتِي وَتَغَدَّيْتُ قَبْلَ أَنْ آتِيَ الصَّلاَةَ، قَالَ: «**شَاتُكَ شَاةُ لَحْمٍ**» قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَإِنَّ عِنْدَنَا عَنَاقًا لَنَا[٢]جَذَعَةً هِيَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ شَاتَيْنِ، أَفَتَجْزِي عَنِّي؟ قَالَ: «**نَعَمْ وَلَنْ تَجْزِيَ عَنْ أَحَدٍ بَعْدَكَ**» [٣].

وتزويجه رجلا على ما معه من القرآن، فعن سهل بن سعد قال: جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله إنِّي قَد وَهَبْتُ لَكَ مِن نَفْسِي، فقال رَجُلٌ زَوِّجْنِيْهَا قال: «**قَدْ زَوَّجْنَاكَهَا بِمَا مَعَك مِن القُرْآنِ**»[٤].

---

[١] أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب تفسير سورة الأحزاب، رقم (٤٥,٦) (ج٤ ص ١٧٩٥).

[٢] العَنَاقُ: الأنثى من الماعز لا تتم لها سنة.

[٣] أخرجه أبو داود في «سننه»، كتاب الضحايا، باب ما يجوز في الضحايا من السن، رقم (٢٨٠٠) (ج٢ ص١,٥).

[٤] أخرجه البخاري في عدة مواضع بأرقام: [٤٧٤١، ٤٧٤٢، ٤٧٩٩، ٤٨٢٩، ٤٨٣٣، ٤٨٣٩، ٤٨٤٢، ٤٨٤٧، ٤٨٥٤، ٤٨٥٥، ٥٥٣٣، ٦٩٨١].

وتزويجه أم سليم أبا طلحة على إسلامه[1] فعن أنس ﷺ: أن أم سليم تزوجت أبا طلحة على إسلامه[2].

٢) من الفضائل التشريعية: اختصاصه ﷺ بأنه أولى بالمؤمنين من أنفسهم.

خص الله نبيه ﷺ دون أحد من أمته بأنه أولى بالمؤمنين من أنفسهم؛ لقوله تعالى: ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ ﴾[3]، ويترتب على ذلك كثير من الأحكام من ذلك:

١- وجوب مَحَبَّتِهِ أكْثَر من النفس والمال والولد؛ لما رواه البخاري عن عمر بن الخطاب ﷺ أنه قال للنبي ﷺ : لأنت أحب إلي من كل شيء إلا نفسي التي بين جنبي، فقال له ﷺ : «**لَنْ يُؤْمِنَ أحَدُكُم حَتَّى أكُوْنَ أحَبَّ إلَيْهِ مِنْ نَفْسِهِ**»، فقال عمر: والذي أنزل عليك الكتاب لأنت أحب إلي من نفسي التي بين جَنْبَيَّ، فقال له النبي ﷺ: «**الآنَ يَا عُمَر**»[4].

٢- وجوب فدائه بالنفس والمال والولد.

٣- وجوب طاعته وإن خالفت هوى النفس، وغير ذلك.

ويتفرع على ذلك مايلي:

١- أنه يزوج من شاء من النساء بمن شاء من الرجال إجبارًا بغير رضاهن ورضا آبائهن[5]، **والدليل على ذلك:** ما ذكره الطبري: أن أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط، وكانت من أول

---

[1] «الخصائص الكبرى» (ج٢ ص ٣٧).

[2] أخرجه الحاكم في «المستدرك»، كتاب النكاح، رقم (٢٧٣٦) (ج٢ ص١٩٦)، وتعليق الذهبي في «التلخيص»: «على شرط البخاري ومسلم».

[3] سورة الأحزاب آية: (٦).

[4] أخرجه البخاري، كتاب الأيمان والنذور، باب كيف كانت يمين النبي ﷺ، رقم: (٦٢٥٧) (ج٦ ص٢٤٤٥).

[5] «الخصائص الكبرى» (ج٢ ص٣٧١).

من هاجر من النساء، فوهبت نفسها للنبي ﷺ، فزوجها زيد بن حارثة، فَسَخِطَت هِيَ وأخُوهَا، وقالا: إنما أردنا رسول الله ﷺ فَزَوَّجَنَا عَبْدَهُ، فنزل القرآن: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾[1] إلى آخر الآية قال: وجاء أمر أجْمَع من هذا: ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ﴾[2]، قال: فذاك خاص وهذا إجماع[3].

٢- وله على ذلك تزويج الصغيرة من غير بناته.

٣- كان له في النكاح ما لم يكن لغيره[4].

٣) من الفضائل التشريعية اختصاصه بأنه لا يجوز التقدم بين يديه ورفع الصوت بحضرته:

خَصَّ الله نبيه ﷺ دون أمته بأنه لا يجوز التقدم بين يديه - أي سبقه بالاقتراح عليه - لأن رسول الله مسدد بالوحي[5]؛ ولقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[6]، كما لا يجوز رفع الصوت بحضرته عليه الصلاة والسلام حتى يَعلُو صوت المتكلم على صوت رسول الله، لقوله تعالى في سورة الحجرات: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ

---

[1] سورة الأحزاب آية: (٣٦).

[2] سورة الأحزاب، آية: (٦).

[3] «تفسير الطبري» (ج١٠ ص٣٠٠).

[4] «الخصائص الكبرى» (ج٢ ص٣٧١).

[5] «منح الجليل شرح مختصر خليل» (ج٦ ص٢٠٠)، و«كشاف القناع»: (ج٥ ص٣٤)، و«تلخيص الحبير» (ج٣ ص١٤٢).

[6] سورة الحجرات آية: (١).

بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾[1]، قال ابن كثير: قال العلماء: يُكْرَهُ رَفْع الصَّوت عِنْدَ قَبْرِه ﷺ كما كان يكره في حياته عليه الصلاة والسلام؛ لأنَّه محترم حيًا وفي قبره ﷺ دائمًا، ثم نهى عن الجهر له بالقول، كما يجهر الرجل لمخاطبه ممن عداه بل يخاطب بسكينة ووقار وتعظيم؛ ولهذا قال تبارك وتعالى: ﴿ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ ﴾، كما قال تعالى: ﴿ لَّا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ﴾[2]، وقوله ﷻ: ﴿ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾[3]، أي: إنما نهيناكم عن رفع الصوت عنده خشية أن يغضب من ذلك، فيغضب الله تعالى لغضبه، فيحبط عمل من أغضبه وهو لا يدري[4].

٤) من الفضائل التشريعية اختصاصه ﷺ بأن أزواجه أمهات المؤمنين: لقد خص الله تعالى نبيه بتشريعات له وحده، لم يشرك معه غيره دلالة على رفعة قدره، وسمو منزلته، وقد ثبت ذلك بقول الله تعالى: ﴿ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ۗ ﴾[5]، ومعنى هذه الأمومة: الاحترام، والطاعة، وتحريم العقوق، ووجوب التعظيم، لا في تحريم بناتهن وجواز الخلوة بهن، ولا تنتشر الحرمة إلى من عداهن[6].

فقد شرف الله تعالى أزواج نبيه ﷺ بأن جعلهن أمهات المؤمنين أي في وجوب التعظيم والمبرة، والإجلال وحرمة النكاح على الرجال، وحجبهن رضي الله تعالى عنهن، بخلاف الأمهات.

---

[1] سورة الحجرات آيات: (١، ٢).

[2] سورة النور آية: (٦٣).

[3] سورة الحجرات آية: (٢) .

[4] تفسير ابن كثير (ج٤ ص٢٦٢).

[5] سورة الأحزاب آية: (٦).

[6] «الفصول في السيرة» (ج١ ص٣٣٢)، و«مواهب الجليل» (ج٣ ص٤٠)، و«التاج والإكليل» (ج٣ ص٤٠).

وقيل: لما كانت شفقتهن عليهم كشفقة الأمهات أنزلن منزلة الأمهات، ثم هـذه الأمومـة لا توجب ميراثا كأمومة التبني، وجاز تزويج بناتهن ولا يجعلن أخوات للناس[1].

وهذا مما اختص به ﷺ من الفضائل والإكرام فمنه أن زوجاته اللاتي تـوفي عنـهن - رضي الله عنهن - محرمات على غير أب[2].

واختلف الفقهاء هل هن أمهات للمؤمنين فقط؟ أم هن أمهات للمؤمنات أيضا؟ على وجهين:

الوجه الأول: أنهن أمهات الرجال والنساء تعظيمًا لحقهن على الرجال والنساء.

قال القرطبي: لا فائدة في اختصاص الحصر في الإباحة للرجال دون النساء والذي يظهر لي أنهن أمهات الرجال والنساء تعظيما لحقهن على الرجال والنساء[3].

الوجه الثاني: أنهن أمهات للرجال فقط دون النساء، وهو قول عائشة رضي الله عنها، قال ابن العربي[4]: وهو الصحيح وهذا تفريع على أن جمع المذكر السالم هل يدخل فيه النساء؟ وهـي مقـررة في الأصول.

وهل يقال في إخوتهن: أخوال المؤمنين؟ فيه نزاع، والنص جوازه.

وهل يطلق على بناتهن أخوات المؤمنين؟

قال الشوكاني: تخصيص المؤمنين يدل على أنهن لسن أمهات نساء المؤمنين، ولا بناتهن أخـوات المؤمنين، ولا أخوتهن أخوال المؤمنين[1].

---

[1] «تفسير القرطبي» (ج١٤ ص١١٠) .

[2] «روضة الطالبين وعمدة المفتين» (ج٢ ص ٤٥٢).

[3] «تفسير القرطبي» (ج١٤ ص١١٠).

[4] هو: محمد بن عبد الله بن محمد، أبو بكر، المعروف بابن العربي، حافظ متبحر، وفقيه، من أئمة المالكية، بلغ رتبة الاجتهاد، رحل إلى الشرق، وأخذ عنه الطرطوشي والإمام أبي حامد العزالي، ثم عاد إلى مراكش، وأخذ عنه القاضي عياض وغيره، أكثر من التأليف، توفي (سنة: ٥٤٣ هـ)، من تصانيفه: عارضة الأحوذي شرح الترمذي؛ وأحكام القرآن؛ والمحصول في علم الأصول؛ ومشكل الكتاب والسنة. و«شجرة النور الزكية» (ص: ١٣٦)؛ و«الأعلام» للزركلي (ج٧ ص١,٦).

نص الشافعي في المختصر على جوازه، وجوزه بعض الأصحاب، ومنع منه آخرون.

وهل يقال له ﷺ: أبو المؤمنين؟

نقل البغوي[٢] عن بعض الأصحاب الجواز[٣]، وقد قرأ ابن عباس رضي الله عنه: «وَهُوَ أَبٌ وَأَزْوَاجُه أُمَّهَاتهم»، وقرأ أبي: «وَأَزْوَاجُه أُمَّهَاتُهُم وَهُوَ أَبٌ لَهُم».

ونَقَل الوَاحِدِيُّ[٤] عن بعض الأصحاب المَنْع، لقوله تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ ﴾[٥]، ولكن المراد أَبَاهُم فِي النَّسَبِ، وإلا فقد روي أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّما أَنَا لَكُم مِثْل الوَالِد ...»[٦].

فمَعْنَى كَوْن أزواجه أمهات للمؤمنين كما هو صريح الآية، فيحمل على الحقيقة، أي: أمهات حقيقية، فيحرم الزواج بهن، ويجب احترامهن، ويحرم عقوقهن، وهذا من الخصائص التي لم تثبت لأحد غيره ﷺ.

---

[١] «فتح القدير» (ج٤ ص٣٧٢).

[٢] هو: الحسين بن مسعود بن محمد، الفراء، البغوي، شافعي، فقيه، محدث، مفسر، نسبته إلى (بغشور) من قرى خراسان بين هراة ومرو، من مصنفاته: التهذيب في فقه الشافعية؛ وشرح السنة في الحديث؛ ومعالم التنزيل في التفسير، (توفي سنة ٥١٦ هـ). يراجع: «الأعلام» للزركلي (ج٢ ص٢٨٤)؛ و«ابن الأثير» (ج٦ ص١,٥).

[٣] «الفصول في السيرة» (ج١ ص٣٣٢).

[٤] هو: علي بن أحمد بن محمد الواحدي النيسابوري، أبو الحسن: كان من أولاد التجار، أصله من ساوة (مدينة على جادة حجاج خراسان)، فقيه شافعي، واحد عصره في التفسير، كان إماما عالما بارعا محدثا، توفي بنيسابور (سنة: ٤٦٨ هـ)، من تصانيفه: البسيط ؛ والوسيط؛ والوجيز كلها في التفسير؛ وأسباب النزول. انظر: «طبقات الشافعية» لابن السبكي (ج٣ ص٢٨٩)؛ و«معجم المؤلفين» (ج٧ ص٢٦).

[٥] سورة الأحزاب آية: (٤٠).

[٦] أخرجه النسائي، كتاب الطهارة، باب النهي عن الاستطابة بالروث، رقم (٤٠) (ج١ ص٣٨)، وقال الشيخ الألباني: «حسن صحيح»، وأخرجه ابن ماجه في «سننه»، كتاب الطهارة وسننها، باب الاستنجاء بالحجارة والنهي عن الروث والرمة، رقم: (٣١٣) (ج١ ص١١٤).

٥) من فضائله ﷺ التشريعية أن أزواجه أفضل نساء الأمة.

من الخصائص التشريعية للنبي ﷺ أن جعل الله أزواج النبي ﷺ هُنَّ أفْضَل نساء الأمة **والدليل على ذلك:** تضعيف أجرهن، بخلاف غيرهن، ثم أفضلهن خديجة وعائشة، كما في قوله تعالى: ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾[1]، وقوله: ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ﴾[2]، وهذا من خصائص النبي ﷺ وأزواج النبي ﷺ أن يضاعف لهن العذاب ليس ضعفًا واحدًا؛ وإنما ضعفين، يعني: تُعَاقَبُ الواحدة إذا خالفت بأربع عقوبات من عقوبات الحرة، أو ثمانية من عقوبات الأمة، وهكذا.

قال النووي: ومما خص به تفضيل زوجاته على سائر النساء، وجعل ثوابهن وعقابهن مضاعفًا، ولا يحل أن يسألهن أحد شيئاً إلا من وراء حجاب، ويجوز أن يسأل غيرهن مشافهة، قلت: وأفضل زوجاته ﷺ خديجة وعائشة رضي الله عنهما، قال المتولي: واختلفوا أيتهما أفضل[3].

٦) من الفضائل التشريعية: اختصاصه ﷺ بتفضيل قرابته على الأمة.

من الخصائص التشريعية للنبي ﷺ أن الله تعالى فضل قرابة النبي ﷺ على الأمة، وقد عقد البخاري وغيره بابًا في مناقب قرابة رسول الله ﷺ، ومنقبة فاطمة عليها السلام بنت النبي ﷺ خاصة[4] ذكروا فيها الأحاديث الدالة على ذلك خاصة ومنها ما يلي:

١- قال النبي ﷺ: «**فَاطِمَةُ سَيِّدَةُ نِسَاءِ أَهْلِ الجَنَّةِ**»[1].

---

[1] سورة الأحزاب آية: (٣٢).

[2] سورة الأحزاب آية: (٣٠).

[3] «روضة الطالبين» (ج٢ ص٤٥٢).

[4] «غاية السول في خصائص الرسول» ﷺ (ج١ ص٥٥).

٢- وعن عائشة رضي الله عنها: أنَّ فَاطِمَة عليها السلام أرسَلَت إلى أبي بكر تسأله ميراثها من النبي ﷺ مما أفاء الله على رسوله ﷺ، تطلب صدقة النبي ﷺ التي بالمدينة وفدك، وما بقي من خمس خيبر، فقال أبو بكر رضي الله عنه: إن رسول الله ﷺ قال: «**لَا نُورَثُ، مَا تَرَكْنَا فَهُوَ صَدَقَةٌ، إِنَّمَا يَأْكُلُ آلُ مُحَمَّدٍ مِن هَذَا المَال – يَعْنِي: مَال الله – لَيْسَ لَهُم أنْ يَزِيْدُوا عَلَى المَأكَلِ**»، وإني والله لا أغير شيئاً من صدقات النبي ﷺ التي كانت عليها في عهد النبي ﷺ، ولأعملن فيها بما عمل فيها رسول الله ﷺ، فتشهد علي ثم قال: إنا قد عرفنا يا أبا بكر فضيلتك - وذَكَرَ قرابتهم من رسول الله ﷺ وحَقَّهُم - فتَكَلَّمَ أبُو بَكْرٍ فقال: والذي نفسي بيده لَقَرَابَةُ رسول الله ﷺ أحب إلى أن أصل من قرابتي[٢].

٣- وعن أبي بكر رضي الله عنه قال: ارقُبُوا محمدًا ﷺ في أهل بيته[٣].

٤- وعن المِسْوَرِ بنِ مَخْرَمَةَ[٤]: أن رسول الله ﷺ قال: «**فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي، فَمَنْ أَغْضَبَهَا أغْضَبَنِي**»[١].

---

[١] أخرجه البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب: مناقب قرابة رسول الله ﷺ ومنقبة فاطمة عليها السلام بنت النبي ﷺ، رقم (٣٤٢٦) (ج٣ ص١٣٦٠)، وأخرجه الترمذي في «سننه»، كتاب المناقب، باب مناقب الحسن والحسين عليهما السلام، رقم: (٣٧٨١) (ج٥ ص٦٦٠).

[٢] أخرجه البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب: مناقب قرابة رسول الله ﷺ ومنقبة فاطمة عليها السلام بنت النبي ﷺ، رقم (٣٥,٨) (ج٣ ص١٣٦٠).

[٣] أخرجه البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب قرابة رسول الله ﷺ ومنقبة فاطمة عليها السلام بنت النبي ﷺ، رقم (٣٥,٩) (ج٣ ص١٣٦١).

[٤] هو: المِسْوَرُ بنُ مَخْرَمَة بن نوفل بن أهيب، أبو عبد الرحمن القرشي الزهري، له ولأبيه صحبة، كان فقيهًا من أهل العلم والدين، روى عن النبي ﷺ وعن أبيه وخاله عبد الرحمن بن عوف وأبي بكر وعمر بن الخطاب وآخرين، روى عنه ابنته أم بكر ومروان بن الحكم وسعيد بن المسيب وابن أبي مليكة وغيرهم، كان مع خاله عبد الرحمن بن عوف ليالي الشورى، وكان بمكة مع ابن الزبير وقتل في الحصار، توفي (سنة: ٦٤ هـ). انظر ترجمته في: «الإصابة» (ج٣ ص٤١٩)؛ و«الأعلام» للزركلي (ج٨ ص١٢٣).

٥- وعن عائشة رضي الله عنها قالت: دعا النبي ﷺ فاطمة ابنته في شكواه الذي قبض فيها، فسارَّها بشيء فبكت، ثم دعاها فسارها فضحكت، قالت: فسألتها عن ذلك، فقالت: سارَّني النبي ﷺ فأخبرني أنه يُقْبَضُ فِي وَجَعِهِ الذي توفي فيه فبكيت، ثم سارني فأخبرني أنِّي أول أهل بيته أتْبَعُه فضَحِكْتُ»[٢].

قال ابن حجر: قرابة النبي ﷺ يريد بذلك من ينسب إلى جده الأقرب، وهو عبد المطلب من صحب النبي ﷺ منهم، أو من رآه من ذكر وأنثى، وهم علي وأولاده والحسن، والحسين، ومحسن، وأم كلثوم من فاطمة عليها السلام، وجعفر وأولاده: عبد الله وعون ومحمد، ويقال: إنه كان لجعفر بن أبي طالب ابن اسمه أحمد، وعقيل بن أبي طالب وولده مسلم بن عقيل، وحمزة بن عبد المطلب وأولاده يعلى وعمارة وأمامة، والعباس بن عبد المطلب وأولاده الذكور عشرة وهم: الفضل وعبد الله وقثم وعبيد الله والحارث ومعبد وعبد الرحمن وكثير وعون وتمام، وفيه يقول العباس: **تَمُّو بِتَمَامٍ فَصَارُوا عَشَرَه يَا رَبِّ فَاجْعَلْهُم كِرَامًا بَرَرَه**[٣].

ويقال: إن لكل منهم رواية، وكان له من الإناث: أم حبيب وآمنة وصفية وأكثرهم من لبابة أم الفضل، ومعتب بن أبي لهب، والعباس بن عتبة بن أبي لهب ،وكان زوج آمنة بنت العباس، وعبد الله بن الزبير بن عبد المطلب وأخته ضباعة، وكانت زوج المقداد بن الأسود، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وابنه جعفر، ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب وابناه المغيرة والحارث، ولعبد الله بن الحارث هذا رواية، وكان يلقب: «ببَّه» بموحدتين الثانية ثقيلة، وأميمة وأروى وعاتكة وصفية بنات عبد المطلب أسلمت صفية وصحبت، وفي الباقيات خلاف[٤].

---

[١] أخرجه البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب قرابة رسول الله ﷺ ومنقبة فاطمة عليها السلام بنت النبي ﷺ، رقم: (٣٥١٠) (ج٣ ص١٣٦١)، و«فتح الباري» (ج٨ ص٤٦٨)، و«مغني المحتاج» (ج٣ ص١٢٣).

[٢] أخرجه البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب قرابة رسول الله ﷺ ومنقبة فاطمة عليها السلام بنت النبي ﷺ، رقم: (٣٥١١) (ج٣ ص١٣٦١).

[٣] «فتح الباري» ابن حجر (ج٧ ص٧٨)، و«عمدة القاري» (ج١٦ ص٢٢١).

[٤] «فتح الباري» ابن حجر (ج٧ ص٧٨).

ثم قال معنى قول أبي بكر: «ارقبوا محمدا في أهل بيته»[1]، يخاطب بذلك الناس ويوصيهم بـــه، والمراقبة للشيء المحافظة عليه، يقول: احفظوه فيهم فلا تؤذوهم ولا تسيئوا إليهم[2].

يؤيده قوله ﷺ: «**فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي، فَمَن أغْضَبَهَا أغْضَبَنِي**»[3]، وقال الـــنبي ﷺ: «**فَاطِمَـــةُ سَيِّدَةُ نِسَاءِ أهْلِ الجَنَّةِ**»[4].

ومن ذلك أيضًا مناقب الحسن والحسين رضي الله عنهما وقد ورد فيهما روايات كثيرة في الصحاح منها ما يلي:

١- عن أبي هريرة رضي الله عنه: عانق النبي ﷺ الحَسَنَ، وعن أنس رضي الله عنه قال: لم يكن أحد أشبه بالنبي ﷺ من الحسن بن علي رضي الله عنه[5].

٢- وعن الحسن سمع أبا بكرة سمعت النبي ﷺ على المنبر والحسن إلى جنبه، ينظر إلى النـــاس - مرة وإليه مرة ويقول: «**ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ، وَلَعَلَّ الله أنْ يُصْلِحَ به بَيْنَ فِئَتَيْنِ مِن الْمُسْلِمِين**»[6].

٣- عن أسامة بن زيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنَّه كان يأخذه والحسن ويقول: «**اللهُمَّ إنِّي أحِبُّهُمَـــا فَأحِبَّهُمَا**»[7].

---

[1] أخرجه البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب قرابة رسول الله ﷺ ومنقبة فاطمة عليها السلام بنت النبي ﷺ، (٣٥٠٩) (ج٣ ص١٣٦١)، وبرقم: (٣٥٤١)، باب مناقب الحسن والحسين رضي الله عنهما.

[2] «فتح الباري» (ج٨ ص٤٦٨)، و«مغني المحتاج» (ج٣ ص١٢٣).

[3] أخرجه البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب قرابة رسول الله ﷺ ومنقبة فاطمة عليها السلام بنت النبي ﷺ، رقم: (٣٥١٠) (ج٣ ص١٣٦١).

[4] أخرجه البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب قرابة رسول الله ﷺ ومنقبة فاطمة عليها السلام بنت النبي ﷺ، رقم: (٣٤٢٦) (ج٣ ص١٣٦٠).

[5] أخرجه البخاري،كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب الحسن والحسين رضي الله عنهما،رقم: (٣٥٤٢) (ج٣ ص١٣٧٠).

[6] أخرجه البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، رقم: (٣٤٣٠) (ج٣ ص١٣٢٨).

[7] أخرجه البخاري ،كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب الحسن والحسين رضي الله عنهما ، رقم: (٣٥٣٧) (ج٣ ص١٣٦٩).

٤- وعن أنس بن مالك ﷺ: أتي عبيد الله بن زياد برأس الحسين بن علي، فجعل في طست فجعل ينكت، وقال في حسنه شيئاً، فقال أنس: كان أشبههم برسول الله ﷺ، وكان مخضوباً بالوسمة[١].

٥- عن عدي قال: سمعت البراء ﷺ قال: رأيت النبي ﷺ والحسن بن علي على عاتقه يقول: «**اللهُمَّ إنِّي أحِبُّهُ فَأحِبَّهُ**»[٢].

٦- وعن عقبة بن الحارث قال: رأيت أبا بكر ﷺ وحمل الحسن، وهو يقول: بِأبِي شَبِيْهٌ بِالنَّبِي لَيْسَ شَبيها بِعَلِيّ، وعلي يضحك[٣].

٧- وعن ابن عمر ﷺ قال: قال أبو بكر: ارقُبُوا محمداً ﷺ في أهل بيته[٤].

٨- وعن أنس ﷺ قال: لَم يكن أحد أشبه بالنبي ﷺ من الحسن بن علي[٥].

٩- وعن محمد بن أبي يعقوب سمعت ابن أبي نعيم سمعت عبد الله بن عمر وسأله عن المحرم - قال شعبة: أحسبه يقتل الذباب - فقال: أهل العراق يسألون عن الذباب! وقد قتلوا ابن ابنة رسول الله ﷺ، وقال النبي ﷺ: «**هُما رَيْحَانَتَايَ مِن الدُّنْيَا**»[٦].

---

[١] أخرجه البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب الحسن والحسين رضي الله عنهما، رقم: (٣٥٣٨) (ج٣ ص ١٣٧٠).

[٢] أخرجه البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب الحسن والحسين رضي الله عنهما، رقم: (٣٥٣٩) (ج٣ ص١٣٧٠)، وأخرجه مسلم في فضائل الصحابة باب فضائل الحسن والحسين رضي الله عنهما رقم: (٢٤٢٢)، (ج٤ ص١٨٨٢).

[٣] أخرجه البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب الحسن والحسين رضي الله عنهما، رقم: (٣٥٤٠) (ج٣ ص١٣٧٠).

[٤] سبق تخريجه.

[٥] سبق تخريجه.

[٦] أخرجه البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب الحسن والحسين رضي الله عنهما، رقم: (٣٥٤٣) (ج٣ ص١٣٧١).

٧) من الفضائل التشريعية اختصاصه ﷺ بأنه يحرم نكاح زوجاته اللاتي توفي عنهن إجماعًا.

مما فضل الله به نبيه ﷺ، و لم يجعله لأحد غيره أنه ﷻ حرم على الأُمَّةِ نكاح زوجات النبي ﷺ مِن بَعْدِه وهذا ليس لأحد إلا النبي ﷺ.

والعلة في ذلك مايلي:

أ- أنهن أمهات للمؤمنين[١]، لذا حرم الله ﷻ نكاحهن من بعده ﷺ.

ب- أنهن أزواجه في الجنة، وإذا لم تتزوج المرأة بعد موت زوجها، فهي له في الآخرة، كما روى عن حذيفة ﷺ: أنه قال لامرأته إن شئت أن تكوني زوجتي في الجنة فلا تزوجي بعدي فإن المرأة في الجنة لأخر أزواجها في الدنيا. فلذلك حرم الله على أزواج النبي ﷺ أن ينكحن بعده لأنهن أزواجه في الجنة[٢].

ت- ولأنه ﷺ حي؛ ولهذا حكى الماوردي وجهًا أنه لا يجب عليهن عدة الوفاة.

ث- وعلل ابن الملقن: وتحريم نكاحهن لما في إحلالهن لغيره من النقص لمنصبه[٣]، قال الله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا [٤]﴾ .

عن قتادة أن رجلا قال: لو قبض رسول الله ﷺ تزوجت عائشة فأنزل الله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴾ ، الآية ونزلت: ﴿ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ ﴾.

---

[١] «منح الجليل شرح مختصر خليل» (ج٦ ص١٩٣).

[٢] أخرجه البيهقي في «السنن الكبرى»، كتاب النكاح، باب: ما خص به من أن أزواجه أمهات المؤمنين وأنه يحرم نكاحهن من بعده على جميع العالمين، رقم: (١٣١٩٩) (ج٧ ص٦٩)، وذكره الألباني في «السلسلة الصحيحة»، رقم: (١٢٨١) (ج٣ ص ٢٧٥).

[٣] «غاية السول في خصائص الرسول» ﷺ (ج١ص٥٢).

[٤] سورة الأحزاب آية: (٥٣).

وقال القشيري: قال ابن عباس قال رجل من سادات قريش من العشرة الذين كانوا مع رسول الله ﷺ على حراء في نفسه: لو توفي رسول الله ﷺ لتزوجت عائشة وهي بنت عمي.

قال مقاتل: هو طلحة بن عبيد الله قال ابن عباس: وندم هذا الرجل على ما حدث به في نفسه، فمشى إلى مكة على رجليه، وحمل على عشرة أفراس في سبيل الله وأعتق رقيقا فكفر الله عنه[1].

واختلفوا فيمن طلقها أو فارقها في حال حياته على ثلاثة أوجه:

أحدها: أن من دخل بها تحرم على غيره، وهو مذهب الشافعي[2]، حيث نص على التحريم مطلقاً، واستدل بعموم قوله تعالى: ﴿ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ﴾.

والثاني: يرى الشافعية في وجه أنه لا تصير زوجاته محرمات على غيره إلا أن يموت عنهن.

والدليل على ذلك آية التخيير، فإنه لو لم تخير للغير، لما كان في تخييره لهن فائدة[3]، وبهذا يعلم أن تلك الخصوصية فيمن مات عنهن النبي ﷺ وهن زوجاته، فيحرم على الغير الزواج بهن.

وعللوا التحريم لوجوب محبة رسول الله ﷺ فإن العادة أن زَوْج المرأة يكره زوجها الأول، قال في الروضة: وهذا أرجح[4].

وثالثها: وذكر أنه الصحيح وصححه الماوردي[5]، وجزم به صاحب الحاوي الصغير أنه يحرم المدخول بها فقط.

---

[1] «تفسير القرطبي» (ج١٤ ص١٩٧).

[2] «غاية السول في خصائص الرسول» ﷺ (ج١ص٥٢).

[3] «الفصول في السيرة» (ج١ ص٣٣٢).

[4] «غاية السول في خصائص الرسول» ﷺ (ج١ ص٥٢).

[5] هو: علي بن محمد بن حبيب الماوردي نسبته إلى بيع ماء الورد، ولد بالبصرة وانتقل إلى بغداد، إمام في مذهب الشافعي، كان حافظا له، وهو أول من لقب بـ (أقضى القضاة) في عهد القائم بأمر الله العباسي، وكانت له المكانة الرفيعة عند الخلفاء وملوك بغداد، اتهم بالميل إلى الاعتزال، توفي في بغداد سنة ٤٥٠ هـ، من تصانيفه: الحاوي في الفقه، والأحكام السلطانية، وأدب الدنيا والدين؛ وقانون الوزارة. انظر ترجمته في: «طبقات الشافعية» (ج٣ ص٣,٣ – ٣١٤)؛ و«الأعلام» للزركلي (ج٥ ص١٤٦).

واستدلوا علي ذلك بما روي: أن الأشعث بن قيس نكح المستعيذة في زمن عمر ﷺ فهم عُمَرُ برجمها، فأخبر أنه لم يكن مدخولا بها، فكف عنهما[1].

كذا أورده الإمام الغزالي والقاضي قال: هم بجلد الأشعث بدل رجمه[2].

قال الخطيب: النوع الرابع الفضائل والإكرام وهي كثيرة جدًا منها: تحريم منكوحاته على غيره سواء أكن موطوءات أم لا، مطلقات أم لا، باختيارهن أم لا، وتحريم سراريه وهن إماؤه الموطوءات بخلاف غير الموطوءات، وتفضيل زوجاته على سائر النساء على ما يأتي، وثوابهن وعقابهن مضاعف، وهن أمهات المؤمنين، فلا يقال لهن أمهات المؤمنات، بخلافه ﷺ فإنه أب للرجال والنساء، وأما قوله تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ ﴾ فمعناه: ليس أحد من رجالكم ولد صلبه، ويحرم سؤالهن إلا من وراء حجاب، وأفضلهن خديجة، ثم عائشة، وأفضل نساء العالمين: مريم بنت عمران إذْ قِيْلَ بنبوتها، ثم فاطمة بنت رسول الله ﷺ، ثم خديجة، ثم عائشة، ثم آسية امرأة فرعون، وأما خبر الطبراني: «خير نساء العالمين مريم بنت عمران، ثم خديجة بنت خويلد، ثم فاطمة بنت محمد ﷺ، ثم آسية امرأة فرعون»[3]، فأجاب عنه ابن العماد بأن: خديجة إنما فضلت فاطمة باعتبار الأمومة لا باعتبار السِّيَادَة، وهو ﷺ خاتم النبيين وأفضل الخلق على الإطلاق، وخُصَّ بأَنَّهُ أوَّل النبيين خلقًا، وبتقديم نبوته، فكان نبيا وآدَمُ مُنْجَدِلٌ فِي طِيْنَتِهِ، وبتقَدُّم أخذ الميثاق عليه، وبأنه أول من قال: «بلى» وقت: «ألست بربكم»، وبخلق آدم، وجميع المخلوقات لأجله وبكتابة اسمه الشريف على العرش، والسموات، والجنان، وسائر ما في الملكوت، وبشق صدره الشريف[4].

---

[1] «روح المعاني» (ج٢٢ ص٧٣).

[2] «غاية السول في خصائص الرسول» ﷺ (ج١ ص ٥٣).

[3] «مغني المحتاج» (ج٣ ص ١٢٣).

[4] أخرجه ابن حبان، في «صحيحه»، كتاب إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة رجالهم ونسائهم بذكر أسمائهم رضوان الله عليهم أجمعين، (ج١٥ ص٤٠١)، وقال شعيب الأرنؤوط: «حديث صحيح».

٨) من فضائله التشريعية اختصاصه ﷺ بأن من قذف عائشة أم المؤمنين قتل.

هذا الحكم من خصائص أحَبِّ أزواج النبي ﷺ إليه، وهو وإن كان من خصائص عائشة رضي الله عنها لكنه ما ثَبَتَ لَها إلا لِمَكَانَتِهَا عند النبي ﷺ، وقد اتَّفَق العلماء على من سب السيدة الطاهرة عائشة رضي الله عنها قتل إجماعاً، حكاه السهيلي وغيره، وذلك لنص القرآن على براءتها[١].

والخصوصية هنا في الإجماع ودليله القرآن، وفيمن عداها من الزوجات قولان، فهذا من خصائص السيدة الطاهرة عائشة رضي الله عنها أم المؤمنين زوج النبي الأكرم ﷺ أما غيرها فليس لها ذلك.

٩) من فضائله التشريعية: اختصاصه ﷺ بقتل مَن سَبَّهُ أو انتقصه.

اختص الله تعالى نبيه بأن من استهان به كفر، ومن سبه أو هجاه قتل هذه خصيصة ليست لأحد بعد رسول الله ﷺ؛ إذ لا خلاف بين العلماء على أن سَبَّ النبي صريحًا، أو كناية من مسلم أو كافر رجلاً كان أو امرأة: جريمة من أكبر الجرائم، وموجبة للقتل[٢].

والدليل على ذلك: الأحاديث المتضافرة في ذلك، التي يطول ذكرها هنا، ومن ذلك حديث ابن عباس في الأعمى الذي قتل أم ولده لما وقعت في النبي ﷺ، وذكر ذلك للنبي ﷺ فقال: «**أَلَا اشْهَدُوا أَنَّ دَمَهَا هَدَرٌ**»[٣].

وعن أبي بَرْزَة: أن رجلاً سب أبا بكر ﷺ، فقلت: ألا ضربت عنقه؟ فقال: ما كانت لأحد بعد النبي ﷺ[٤].

---

[١] «فتح الباري» (ج٨ ص٤٧٦).

[٢] «الخصائص الكبرى» (ج٢ ص٣٨).

[٣] أخرجه أبو داود في «سننه»، كتاب الحدود، باب الحكم فيمن سب النبي، رقم: (٤٣٦١) (ج٢ ص٥٣٣)، وفي «الجامع الصغير وزيادته» (ج١ ص٥٦٤) قال الشيخ الألباني: (صحيح)، حديث رقم: (٣٣٢٨) في: «صحيح الجامع».

[٤] أخرجه أبو يعلي في «مسنده»، مسند أبي بكر الصديق رضي الله عنه، رقم: (٨٢) (ج١ ص ٨٤)، وقال حسين سليم أسد: «إسناده صحيح»، وأخرجه البيهقي في «سنن البيهقي الكبرى»، رقم: (١٣١٥٥) (ج٧ ص٦٠).

وقد صنف في ذلك الشيخ الإمام ابن تيمية كتابه «الصارم المسلول على من سب الرسول ﷺ» وهو من أحسن الكتب المؤلفة في ذلك[1].

١٠) من فضائله التشريعية اختصاصه ﷺ بأنه إذا سَبَّ رجلاً ليس حقيقًا بذلك يكون ذلك كفارة له.

هذه خصوصية لَم تَثْبُت لِأحَدٍ إلا للنبي ﷺ، ودليلها ما أخرجاه في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «**اللهُمَّ إِنِّي اتَّخَذْتُ عِنْدَكَ عَهْدًا لَنْ تُخْلِفَنِيهِ، فَأَيُّمَا مُؤْمِنٍ سَبَبْتُهُ، أَوْ جَلَدْتُهُ، فَاجْعَلْ ذَلِكَ كَفَّارَةً لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»[2]، وهذا من عظيم رحمته ومنتهى شفقته ﷺ بالأمة؛ ولهذا لما ذكر مسلم في صحيحه في فضل معاوية رضي الله عنه، أَوْرَدَ أولاً هذا الحديث، ثم أَتْبَعَهُ بحديث: «**لَا أَشْبَعَ اللهُ بَطْنَه**» فيحصل منهما مزية لمعاوية رضي الله عنه[3].

١١) من فضائله التشريعية اختصاصه ﷺ بأن كل نسب وسبب ينقطع نفعه وبِرّه يوم القيامة إلا نسبه وسببه وصهره ﷺ.

هذه شرافة وفضيلة وخصوصية للنبي ﷺ، وهو أمر مقرر بين العلماء أن كُلَّ نَسَبٍ وسَبَبٍ ينقطع يوم القيامة إلا نسبه ﷺ وأن ذلك مستثني من قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ

---

[1] ويراجع: «جريمة سب النبي ﷺ وعقوباتها في الفقه الإسلامي والقانون الدولي العام» د. حسن السيد خطاب، بحث مُحَكَّمٌ بمجلة بحوث ودراسات المدينة المنورة، العدد ٢٧ لشهر شوال - ذي الحجة ١٤٢٩هـ (أكتوبر – ديسمبر ٢٠٠٨م)، والعدد ٢٨ لشهر محرم - ربيع الأول ١٤٣٠هـ (يناير – مارس ٢٠٠٩م).

[2] أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب من لعنه النبي ﷺ أو سبه أو دعا عليه وليس هو أهلا لذلك كان له زكاة وأجرا ورحمة،رقم: (٢٦٠١) (ج٤ ص ٢٠٠٧).

[3] «الفصول في السيرة» (ج١ ص ٣٣٣).

أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴾[1]، وبذلك صرحت الأحاديث النبوية بها، ومن ذلك ما يلي:

١- روي الإمام أحمد أن رسول الله ﷺ قال: «**فَاطِمَة بَضْعَةٌ مِنِّي يغيظني ويَبْسُطُنِي مَا يَبْسُطُهَا، وإن الأنساب يَوْمَ القِيَامَةِ تَنْقَطِعُ غَيْرَ نَسَبِي وسَبَبِي وَصِهْرِي**»[2].

وقيل: ينتفع يومئذ بالانتساب إليه، ولا ينتفع بسائر الأنساب، وهذا أرجح من الذي قبله؛ بل ذلك ضعيف، قال الله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾[3]، وهكذا في آي كثيرة دالة على أن كل أمة تدعى برسولها الذي أرسل إليها[4].

ومما يتفرع على ذلك: وأولاد بناته ينسبون إليه، وأولاد بنات غيره لا ينسبون إليه في الكفاءة وغيرها، قلت كذا قال صاحب التلخيص، وأنكره القفال وقال: لا اختصاص في انتساب أولاد البنات والله أعلم[5].

١٢) من فضائله التشريعية: اختصاصه ﷺ بأنه كان لا ينتقض وضوؤه بالنوم.

من الخصائص المتفق عليها: أنه ﷺ لا ينتقض وضوؤه بالنوم.

والدليل على ذلك من السنة فيما يلي:

١- حديث ابن عباس أنه ﷺ نام حتى نفخ ثم صلى، وربما قال اضطجع حتى نفخ ثم قام فصلى[1].

---

[1] سورة المؤمنون آية: (١,١).

[2] هذا الحديث أخرجه الحاكم في «المستدرك»، كتاب معرفة الصحابة رضي الله تعالى عنهم، ذكر مناقب فاطمة بنت رسول الله ﷺ، رقم (٤٧٤٧)، (ج٣ ص١٥٣)، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه».

[3] سورة النحل آية: (٨٩).

[4] «الفصول في السيرة» (ج١ ص٣٣٢).

[5] «روضة الطالبين وعمدة المفتين» (ج٢ ص٤٥٣).

٢- روي عن ابن عباس قال: بتُّ عِنْدَ خَالَتِي مَيْمُونَةَ لَيْلَةً فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ اللَّيْلِ، فَلَمَّا كَانَ فِي بَعْضِ اللَّيْلِ قَامَ النَّبِيُّ ﷺ «فَتَوَضَّأَ مِنْ شَنٍّ مُعَلَّقٍ وُضُوءًا خَفِيفًا يُخَفِّفُهُ وَيُقَلِّلُهُ، وَقَامَ يُصَلِّي، فَتَوَضَّأْتُ نَحْوًا مِمَّا تَوَضَّأَ، ثُمَّ جِئْتُ فَقُمْتُ، عَنْ يَسَارِهِ، فَحَوَّلَنِي فَجَعَلَنِي عَنْ يَمِينِهِ، ثُمَّ صَلَّى مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ اضْطَجَعَ فَنَامَ حَتَّى نَفَخَ، ثُمَّ أَتَاهُ الْمُنَادِي فَآذَنَهُ بِالصَّلَاةِ، فَقَامَ مَعَهُ إِلَى الصَّلَاةِ، فَصَلَّى وَلَمْ يَتَوَضَّأْ»، قُلْنَا لِعَمْرٍو إِنَّ نَاسًا يَقُولُونَ: «إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ تَنَامُ عَيْنُهُ وَلاَ يَنَامُ قَلْبُهُ»، قَالَ عَمْرٌو سَمِعْتُ عُبَيْدَ بْنَ عُمَيْرٍ يَقُولُ: «رُؤْيَا الأَنْبِيَاءِ وَحْيٌ»، ثُمَّ قَرَأَ ﴿ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ ﴾[٢]، وسببه ما ذكر في حديث عائشة رضي الله عنها أنها سألته فقالت: يا رسول الله تنام قبل أن توتر؟ فقال: «**يَا عَائِشَةَ، تَنَامُ عَيْنَايَ وَلَا يَنَامُ قَلْبِي**»[٣].

واختلفوا: هل كان ينتقض وضوؤه بمس النساء؟ على وجهين، والأشهر منهما الانتقاض. وكأن مأخذ من ذهب إلى عدم الانتقاض حديث عائشة في صحيح مسلم: قالت: فَقَدْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَيْلَةً مِنَ الْفِرَاشِ فَالْتَمَسْتُهُ فَوَقَعَتْ يَدِي عَلَى بَطْنِ قَدَمَيْهِ وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ وَهُمَا مَنْصُوبَتَانِ وَهُوَ يَقُولُ: «**اللهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ**»[٤]، وهذا ما يثبت الخصوصية له ويؤيده ما روي عن عائشة أيضا: أن رسول الله ﷺ كان يتوضأ ثم يقبل ثم يصلي ولا يحدث وضوءًا[٥]، وكان هذا القائل ذهب إلى تخصيص ذلك به ﷺ.

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الوضوء، باب التخفيف في الوضوء، رقم: (١٣٨) (ج١ ص٦٤).

(٢) سورة الصافات آية: (١,٢).

(٣) أخرجه أبو داود في «سننه»، كتاب الطهارة، باب في الوضوء من النوم، رقم: (٢,٢) (ج١ص١,١)، وأخرجه أحمد في «مسنده»، (حديث السيدة عائشة رضي الله عنها)، رقم: (٢٤١١٩) (ج٦ ص٣٦)، وانظر: «التمهيد» (ج٢١ ص٧٣)، و«فتح الباري» (ج٦ ص٥٧٩).

(٤) أخرجه مسلم، كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود، رقم: (٤٨٦) (ج١ ص٣٥٢).

(٥) أخرجه أبو يعلي في «مسنده»، مسند عائشة، رقم: (٤٤,٧) (ج٧ ص٣٧٤)، وقال حسين سليم أسد: «رجاله رجال الصحيح»، وانظر: «التحقيق في أحاديث الخلاف» (ج١ ص١٧٣).

قال ابن كثير: ولكن الخصوم لا يقنعون منه بذلك، بل يقولون: الأصل في ذلك عدم التخصيص إلا بدليل[1]، وهذا يعني أن الخصوصية مختلف فيها وهي على رأي المثبت لها من الخصائص والأصل الإثبات لا النفي، كما هو مقرر في الأصول؛ ولأن شأنه وحاله ﷺ الخصوصية.

١٣) من فضائله التشريعية اختصاصه ﷺ بطهارة شعره وكل فضلات جسمه ﷺ.

هذه الخصوصية لا خلاف فيها لما روي عن أنس أنه ﷺ: لما حلق شعره في حجته أمر أبا طلحة يفرقه على الناس، وهذا إنما يكون من الخصائص إذا حكمنا بنجاسة شعر من سواه، المنفصل عنه في حال الحياة، وهو أحد الوجهين، فأما الحديث الذي رواه عمر بن سفينة، عن أبيه عن جده، قال: احتجم النبي ﷺ ثم قال لي: «**خُذ هَذَا الدَّمَ فَادْفِنْهُ مِنَ الدَّوَابِّ وَالطَّيْرِ**، أو قال: **النَّاسِ والدَّوَابِّ**» شك ابن أبي فديك، قال: فتغيبت به فشربته. قال: ثم سألني، فأخبرته أني شربته، فضحك[2].

ومن طريق أخرى فقال: حدثنا عبيد بن القاسم سمعت ابن عبد الله بن الزبير يحدث عن أبيه قال: احتجم النبي ﷺ وأعطاني دمه فقال: «**اذْهَب فَوَارِهِ، لَا يَبْحَثُ عَنْهُ سَبُعٌ أوْ كَلْبٌ أوْ إنْسَانٌ**»، قال: فتنحيت فشربته، ثم أتيته فقال: «**مَا صَنَعْتَ؟**» قلت صنعت الذي أمرتني، قال: «**مَا أرَاكَ إلّا قَدْ شَرِبْتَهُ**»، قلت: نعم. قال: «**مَاذَا تَلْقَى أمَّتِي مِنْكَ؟!**»[3].

---

[1] «الفصول في السيرة» (ج١ ص٣٠٠)، و«روضة الطالبين وعمدة المفتين» (ج٢ ص ٤٥١).

[2] أخرجه الطبراني في «الكبير»، رقم: (٦٤٣٤)، (ج٧ ص٨١)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (ج٨ ص٢٧٠): «رجال الطبراني ثقات».

[3] أخرجه البيهقي في «سنن البيهقي الكبرى»، كتاب النكاح، باب تركه الإنكار على من شرب بوله ودمه، رقم (١٣١٨٥) (ج٧ ص٦٧).

قال البيقهي: روي ذلك من وجه آخر عن أسماء بنت أبي بكر وسلمان الفارسي في شرب ابن الزبير دمه ﷺ[1].

فلهذا قيل بطهارة سائر فضلاته ﷺ حتى البول والغائط[2]، واستأنسوا في ذلك لما روي عن حكيمة بنت أميمة عن أمها قالت: كان للنبي ﷺ قدح من عيدان يبول فيه، ويضعه تحت سريره، فقام فطلبه، فلم يجده فسأل فقال: «**أَيْنَ القَدَحُ ؟**» قالوا: شربته بَرَّة – خادم أم سلمة التي قدمت معها من أرض الحبشة – فقال النبي ﷺ : «**لَقَد احتَظَرَت مِنَ النَّارِ بِحِظَارٍ**»[3]، و لم يأمرها النبي ﷺ بِغَسْل فَمِها وإنما قال: «**أَمَا إِنَّكِ لَا تَتَّجِعِيْنَ بَطْنَكِ أَبَدًا**»[4] وهي أم أيمن وسميت بذلك أم بركة.

١٤) من فضائله التشريعية اختصاصه ﷺ بأن صلاته النافلة قاعدًا كصلاته قائمًا؛ إن لم يكن له عذر بخلاف غيره، فإنه على النصف من ذلك.

اتفق الفقهاء على أن من خصائصه ﷺ أن صلاته النافلة قاعدًا كصلاته قائمًا؛ إن لم يكن له عذر بخلاف غيره، فإنه على النصف من ذلك .

واستدلوا على ذلك: بما رواه عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**صَلَاةُ الرَّجُلِ قَاعِدًا نِصْفُ الصَّلَاةِ**»، قَالَ: فَأَتَيْتُهُ، فَوَجَدْتُهُ يُصَلِّي جَالِسًا، فَوَضَعْتُ يَدِي عَلَى رَأْسِهِ، فَقَالَ: «**مَا لَكَ؟ يَا عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرٍو**» قُلْتُ: حُدِّثْتُ يَا رَسُولَ اللهِ أَنَّكَ قُلْتَ: «**صَلَاةُ الرَّجُلِ**

---

[1] «الفصول في السيرة» (ج١ ص٣٠٠)، وانظر: «المجتبي» (ج٤ ص١٨١٤)، والطبراني في «الأوسط» والبيهقي في «الدلائل».

[2] «تلخيص الحبير» (ج١ ص٣١)، و«المجتبي» (ج٤ ص١٨١)، و«الخصائص الكبرى» (ج١ ص٣٢).

[3] أخرجه الطبراني في «الكبير»، رقم: (٥٣٠٧)، (ج٥ ص٢٧٣)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (ج٣ ص٧): «ورجاله رجال الصحيح».

[4] أخجره الطبراني في «الكبير»، رقم: (٢٣٠)، (ج٢٥ ص٨٩)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (ج٨ ص٢٧١): «فيه أبو مالك النخعي وهو ضعيف».

قَاعِدًا عَلَى نِصْفِ الصَّلَاةِ»، وَأَنْتَ تُصَلِّي قَاعِدًا، قَالَ: «**أَجَلْ، وَلَكِنِّي لَسْتُ كَأَحَدٍ مِنْكُمْ**»[1]، وهذا نص شريف على الخصوصية.

١٥) من فضائله التشريعية اختصاصه ﷺ بأنه كان يجب على المصلي إذا دعاه رسول الله ﷺ أن يجيبه.

من الخصائص المتفق عليها بين العلماء أنه **يجب على المصلي إذا دعاه رسول الله ﷺ أن يجيبه**[2]، **والدليل على ذلك**: ما روي عن أبي سعيد بن المعلى قال: كُنْتُ أُصَلِّي فِي المَسْجِدِ، فَدَعَانِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ أُجِبْهُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي كُنْتُ أُصَلِّي، فَقَالَ: «**أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ**: ﴿ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾[3]؟ ثُمَّ قَالَ لِي: «**لَأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ السُّوَرِ فِي القُرْآنِ، قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ المَسْجِدِ**»، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي، فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ، قُلْتُ لَهُ: «**أَلَمْ تَقُلْ لَأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ سُورَةٍ فِي القُرْآنِ**»، قَالَ: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ «**هِيَ السَّبْعُ المَثَانِي، وَالقُرْآنُ العَظِيمُ الَّذِي أُوتِيتُهُ**»، وليس هذا لأحد سواه[4].

اللهم إلا ما حكاه الأوزاعي عن مكحول أنه كان يوجب إجابة الوالدة في الصلاة؛ لحديث جريج الراهب: أنه دعته أمه، وهو قائم يصلي فقال: اللهم أمي وصلاتي، ثم مضى في صلاته. فلما كانت المرة الثانية فعل مثل ذلك، ثم الثالثة فدعت عليه، فاستجاب الله منها فيه، وكان من

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب جواز النافلة قائما وقاعدا وفعل بعض الركعة قائما وبعضها قاعدا، رقم: (٧٣٥)، (ج١ص ٧,٥).

(٢) «منح الجليل شرح مختصر خليل» (ج٦ ص ١٩٢)، و«مواهب الجليل» (ج٣ ص٣٩٥).

(٣) سورة الأنفال آية: (٢٤).

(٤) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب ما جاء في فاتحة الكتاب، رقم: (٤٢,٤) (ج٤ ص١٦٢٣).

قصته ما ذكر في صحيح البخاري[1] وغيره، وقد حكي مقررًا و لم ينكر، والجمهور على أن ذلك لا يجب؛ بل لا يصلح في الصلاة شيء من كلام الناس، وقد يحمل ذلك على صلاة النافلة في حق الأم، أما النبي ﷺ فيجب إجابته مطلقًا، اللهم إلا ما جوزه الإمام أحمد من مخاطبة الإمام بما ترك من آخر الصلاة؛ لحديث ذي اليدين[2].

١٦) من فضائله التشريعية اختصاصه ﷺ بأنه لم يأكل من الضب.

من فضائله التشريعية انه ﷺ لم يأكل من الضب بالرغم من أنه حلال، ولكنه أمسك عنه، وقال ﷺ : فيما رواه ابن عمر قال: سأل رجل رسول الله ﷺ عن أكل الضب ؟ فقال ﷺ: «**لَا آكُلُهُ وَلَا أحَرِّمُهُ**»[3] أي: على الناس.

قال العلماء في بيان وجه عدم أكله: وإنما أمسك عن أكله عيافة[4].

وقد قال له خالد بن الوليد: أحرام الضب يا رسول الله ؟ قال: «**لَا، وَلَكِنَّهُ لَم يَكُن بِأرْضِ قَوْمِي، فَأَجِدُنِي أعَافُهُ**»[5].

وقد استفاد العلماء من الحديث أنه: يكره لكل من كره أكل شيء أن يأكله.

لما روى أبو داود عنه ﷺ أنه قال: «**إنَّ مِنَ القرف التَّلَف**»[1]، وقد كره الأطباء ذلك، لما يؤدي إليه من سوء المزاج.

---

[1] أخرجه البخاري، كتاب أبواب العمل في الصلاة، باب إذا دعت الأم ولدها في الصلاة، رقم (١١٤٨) (ج١ص ٤,٤)، وأخرجه مسلم في البر والصلة والآداب، باب تقديم بر الوالدين على التطوع بالصلاة، رقم: (٢٥٥٠).

[2] أخرجه أبو داود في «سننه» ، كتاب الصلاة، باب السهو في السجدتين، رقم (١,١١)، (ج١ ص٣٣١).

[3] أخرجه مسلم، كتاب الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان، باب إباحة الضب، رقم (١٩٤٣) (ج٣ ص١٥٤١).

[4] «عمدة القاري» (ج٢١ ص١٣٧).

[5] أخرجه البخاري، كتاب الأطعمة، باب ما كان النبي ﷺ لا يأكل حتى يسمى له فيعلم ما هو، رقم: (٥,٧٦) (ج٥ ص٢٠٦٠)، وأخرجه مسلم، كتاب الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان، باب إباحة الضب، رقم (١٩٤٥) (ج٣ ص١٥٤١).

١٧) من فضائله التشريعية: اختصاصه التي ليست لغيره أن الكذب عليه ﷺ ليس كالكذب على غيره [٢].

لا خلاف بين العلماء في خصوصية النبي الأكرم **بأن الكذب عليه ﷺ ليس كالكذب على غيره**، وقد تواترت عنه صلوات الله وسلامه عليه أنه قال: «**مَن كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّداً فَلْيَتَبَوَّأ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ**»[٣].

وما روي عن رِبْعِيِّ بنِ حراش أنه سمع عليًا ﷺ يخطب، قال: قال رسول الله ﷺ : «**لَا تَكْذِبُوا عَلَيَّ فَإِنَّهُ مَن يَكْذِب عَليَّ يَلِجِ النَّارَ**»[٤].

و لهذا أجمع العلماء على كُفْرِ مَن كَذَبَ عليه متعمدًا مُسْتَجِيْزًا لذلك.

واختلفوا في المُتَعَمِّدِ فَقَط، فقال الشيخ أبو محمد: يكفر أيضًا، وخالفه الجمهور.

لكن لو تاب هل تقبل روايته؟

اختلفوا في ذلك على قولين:

القول الأول: يرى الإمام أحمد بن حنبل أنه لا تقبل؛ لقوله ﷺ «**إنَّ كَذِبَاً عَلَيَّ لَيْسَ كَكَذِبٍ عَلَى أحَدٍ مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ فَلْيَتَبَوَّأ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ**»[١]، قالوا: ومعلوم أن من كذب على غيره

---

[١] أخرجه أبو داود في «سننه»، كتاب الطب، باب: في الطيرة، رقم: (٣٩٢٣)، (ج٤ ص١٩)، وقال الألباني: «ضعيف الإسناد».

[٢] «الفصول في السيرة» (ج١ ص٣٣٣).

[٣] روي هذا الحديث من طريق نَيِّفٍ وثمانين صحابياً، وصرح بتواتره ابن الصلاح، والنووي، وغيرهما من حفاظ الحديث، وهو الحق، وأخرجه البخاري، كتاب العلم، باب إثم من كذب على النبي ﷺ، رقم: (١,٧) (ج١ ص٥٢)، وأخرجه في عدة مواضع بأرقام: (١١٠، ١٢٢٩، ٣٢,٩، ٣٢٧٤)، وأخرجه مسلم، في المقدمة، باب تغليظ الكذب على رسول الله ﷺ (ج١ ص١٠).

[٤] أخرجه البخاري، كتاب العلم، باب إثم من كذب على النبي ﷺ، رقم (١,٦) (ج١ ص٥٢)، وأخرجه مسلم في المقدمة باب تغليظ الكذب على رسول الله ﷺ رقم: (١) (ج١ ص٩).

فقد أثم وفسق، وكذلك الكذب عليه، لكن من تاب من الكذب على غيره يقبل بالإجماع، فينبغي أن لا تقبل رواية من كذب عليه، فرقًا بين الكذب عليه والكذب على غيره[٢].

القول الثاني: يري الجمهور أنه: تقبل روايته؛ لأن قصارى ذلك أنه كفر، ومن تاب من الكفر قبلت توبته وروايته، وهذا هو الصحيح [٣].

١٨) من فضائله التشريعية اختصاصه ﷺ بأن البلد الذي بعث فيه أشرف بقاع الأرض ثم مهاجره.

لا خلاف بين العلماء على أفضلية البقاع التي شرفت برسول الله ﷺ، فأقام بها، وسكنها، أو حل فيها في سفره، أو غَزْوِهِ: كمكة، والمدينة، والطائف وخيبر، وبيت المقدس وغيرها.

ومما يؤيد ذلك: ما ذكره العلماء في تفسير قوله تعالى:﴿ لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ﴾ [٤]، فالبلد مراد به مكة إجماعًا؛ لقوله تعالى بعده:﴿ وَأَنتَ ﴾ - أي: الرسول ﷺ - ﴿ حِلّ ﴾، أي: حال أو حلال ﴿ وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ﴾، أي: مكة.

وقد اختلف في المراد بقوله: {حِلٌّ}: هل هو من الإحلال بالمكان؟، أو: هو من التحلل ضد الإحرام؟

---

[١] أخرجه البخاري، كتاب الجنائز، باب ما يكره من النياحة على الميت، رقم (١٢٢٩) (ج١ ص٤٣٤)، وأخرجه مسلم في المقدمة باب تغليظ الكذب على رسول الله ﷺ رقم: (٤) (ج١ ص١٠).

[٢] «الفصول في السيرة» (ج١ ص٢٩٢)، و«خصائص المصطفى ﷺ بين الغلو والجفاء»،تأليف: الصادق بن محمد بن إبراهيم، (ص: ٤٤).

[٣] «صحيح مسلم» (ج١ ص٩، و١٠، و١١).

[٤] سورة البلد آيات: (١، ٢).

فأكثر المفسرين: أنه من الإحلال ضد الإحرام، واختلفوا في المراد بالإحلال هذا فقيل: هو إحلال مكة له في عام الفتح، و لم تحل لأحد قبله ولا بعده، وقيل: حل: أي حلال له ما يفعل بمكة غير آثم، بينما هم آثمون بفعلهم[1].

وقيل: حل: أي من المشركين معظمون هذا البلد وحرمته في نفوسهم، ولكنهم مستحلون إيذاءك وإخراجك، وذكر أبو حيان: أنه من الحلول والبقاء والسكن، أي وأنت حال بها.

وعلى الأول يكون إخباراً عن المستقبل ووعداً بالفتح، وأنها تحل له بعد أن كانت حراماً، فيقاتل أهلها وينتصر عليهم أو أنه تسلية له، وأن الله عالم بما يفعلون به، وسينصره عليهم[2].

وعلى الثاني: يكون تأكيداً لشرف مكة؛ إذ هي أولاً فيها بيت الله وهو شرف عظيم، ثم فيها رسول الله ﷺ حال فيها بين أهلها، والذي يظهر – والله تعالى أعلم –: أن هذا الثاني هو الراجح، وإن كان أقل قائلاً، وذلك لقرائن من نفس السورة ومن غيرها من القرآن الكريم منها مايلي:

أ- أن حلوله ﷺ بهذا البلد له شأن عظيم فعلاً، وأهمه: أن الله رافع عنهم العذاب؛ لوجوده فيهم، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ﴾[3]، فكأنه تعالى يقول: وهذا البلد الآمن من العذاب، وهؤلاء الآمنون من العذاب بفضل وجودك فيهم.

ب- وأنه ﷺ بحلوله فيها بين أظهرهم، يلاقي من المشاق ويصبر عليها[4].

ومما يتفرع على ذلك اختلاف الفقهاء في أفضلية مكة والمدينة وقد اختلفوا في ذلك على رأيين:

---

[1] «أضواء البيان» للشنقيطي (ج٩ ص١٧٦).

[2] «الكشاف» (ج١ ص١٣٦٥).

[3] سورة الأنفال آية: (٣٣).

[4] «أضواء البيان» للشنقيطي (ج٩ ص١٧٦).

الرأي الأول: وهو قول الجمهور أن مكة أفضل من المدينة المنورة، وهو مذهب أهل مكة، والكوفة، وقول عطاء، وابن وهب، وابن حبيب، والشافعي والعز بن عبد السلام وغيرهم، واحتجوا بما روي أنه ﷺ قال: «**صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيْمَا سِوَاهُ إِلَّا المَسْجِدَ الحَرَامَ**»[1].

ويؤيده ما روي أنه ﷺ قال: «**صَلَاةٌ فِي المَسْجِدِ الحَرَامِ أَفْضَلُ مِنَ مِائَةِ صَلَاةٍ فِي مَسْجِدِي هَذا**»[2].

وما رواه أبو هريرة أنه ﷺ قال: «**صَلَاةٌ فِي المَسْجِدِ الحَرَامِ بِمَائَةِ أَلْفِ صَلَاةٍ، وَصَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي بِأَلْفِ صَلَاةٍ**»[3].

وأن مكة بها مناسك الحج وآيات بينات كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَلَمِينَ ﴾[4].

وهذه الآيات: كالركن، والمقام، والحجر، والصفا والمروة، وزمزم، ومنى وعرفة، والمزدلفة ونحوها.

الرأي الثاني: أن المدينة المنورة أفضل البقاع، وهو مأثور عن مالك بن أنس رحمه الله، وجمهور أصحابه.

وقد حكى ذلك عياض عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ونقل الاتفاق على أن قبره الذي ضم جسده بعد موته أفضل بقاع الأرض[5].

---

(1) أخرجه مسلم، كتاب الحج، باب فضل الصلاة بمسجدي مكة والمدينة، رقم: (١٣٩٤) (ج٢ ص١,١٢).

(2) أخرجه أحمد في «مسنده»، رقم: (١٣١١٧)، (ج٢٦ ص٤١)، وقال الأرنؤوط: «إسناده صحيح على شرط مسلم».

(3) أخرجه البزار في «مسنده» رقم: (٤١٤٢)، (ج١٠ ص٧٧)، وقال: «إِسْنَادُهُ حَسَنٌ».

(4) سورة آل عمران آية: (٩٦).

(5) «الفصول في السيرة» (ج١ ص٣٣٣)، و«الشفا» (ج٢ ص٩١).

وقد سبقه إلى حكاية هذا الإجماع القاضي أبو الوليد الباجي[1]، وابن بطال[2] وغيرهما، وأصل ذلك ما روي أنه لما مات ﷺ اختلفوا في موضع دفنه، فقيل: بالبقيع، وقيل بمكة، وقيل ببيت المقدس، فقال أبو بكر ﷺ: «إن الله لم يكن ليقبض نبيه إلا في أحب البقاع إليه»، واستدل به على أن المدينة أفضل من مكة؛ لأنه أثبت أن الأرض التي بين البيت والمنبر من الجنة، وقد قال في الحديث الآخر: «**لَقَابَ قَوْسِ أَحَدِكُم فِي الجَنَّةِ خَيْرٌ مِن الدُّنْيَا وَمَا فِيْهَا**»[3].

قال القاضي عياض: لا خلاف أن موضع قبره أفضل بقاع الأرض، ونقل البجاوي عن السبكي الإجماع على أن قبره ﷺ أفضل البقاع وهو مستثنى من تفضيل مكة على المدينة[4].

ومن الأحاديث الدالة على ذلك ما يلي:

١- عن أبي هريرة وسعد بن أبي وقاص قالا: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ الْمَدِينَةَ مُشَبَّكَةٌ بِالْمَلائِكَةِ، عَلَى كُلِّ نَقْبٍ مِنْهَا مَلَكَانِ يَحْرُسَانِهَا، لَا يَدْخُلُهَا الطَّاعُونُ وَلا الدَّجَّالُ، مَنْ أَرَادَهَا بِسُوءٍ أَذَابَهُ اللَّهُ كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ**»[5].

---

[1] هو: سليمان بن خلف بن سعد، أبو الوليد الباجي، نسبة إلى مدينة باحة بالأندلس، من كبار فقهاء المالكية، رحل إلى المشرق ١٣ سنة، ثم عاد إلى بلاده ونشر الفقه والحديث، وكان بينه وبين ابن حزم مناظرات ومجادلات ومجالس، وشهد له ابن حزم، وكان سببا في إحراق كتب ابن حزم، ولي القضاء في بعض أنحاء الأندلس، توفي (سنة: ٤٧٤ هـ)، من تصانيفه: الاستيفاء شرح الموطأ، وله: شرح المدونة؛ وأحكام الفصول في أحكام الأصول. يراجع: «الديباج المذهب» (ص: ١٢٢)؛ و«الأعلام» للزركلي (ج٣ ص١٨٦).

[2] هو: علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال، ويعرف باللجام، عالم بالحديث، من أهل قرطبة، فقيه مالكي، وبنو بطال في الأندلس يمانيون، ينقل عنه ابن حجر كثيرًا في «فتح الباري» من كتابه: «شرح البخاري»، وله أيضًا: «الاعتصام» في الحديث، توفي (سنة: ٤٤٩ هـ). انظر: «الأعلام» للزركلي(ج٥ ص٩٦)؛ و«معجم المؤلفين» (ج٧ ص٨٧)؛ و«شجرة النور الزكية» (ص: ١١٥).

[3] أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الحور العين، وصفتهن يحار فيها الطرف شديدة سواد العين شديدة بياض العين، رقم: (٢٦٤٣) (ج٣ ص١,٢٩).

[4] «الشفا» (ج٢ ص٩١).

[5] أخرجه أحمد في «مسنده»، حديث: سعد بن أبي وقاص ﷺ، رقم: (١٥٩٣) (ج١ ص١٨٣)، وانظر: «مجمع الزوائد»، باب لا يدخل الدجال ولا الطاعون المدينة، رقم: (٥٨٣٣)، (ج٣ ص٦٦٢).

٢- وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «**إِنَّ الإِيمَانَ لَيَأْرِزُ إِلَى المَدِينَةِ كَمَا تَأْرِزُ الحَيَّةُ إِلَى جُحْرِهَا**»[١]، يعني: يرجع إليها الإيمان وقوله: «**مَنِ اسْتَطَاعَ أَنْ يَمُوتَ بِالْمَدِينَةِ فَلْيَمُتْ بِهَا، فَإِنِّي أَشْفَعُ لِمَنْ مَاتَ بِهَا**»[٢].

٣- وعن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال في المدينة: «**مَنْ أَرَادَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ بِسُوءٍ، أَذَابَهُ اللهُ كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ**»[٣].

٤- وروى عن أبي هريرة أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنِّي أُحَرِّمُ مَا بَيْنَ لَابَتَيِ الْمَدِينَةِ أَنْ يُقْطَعَ عِضَاهُهَا، أَوْ يُقْتَلَ صَيْدُهَا**»، وَقَالَ: «**الْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ، لَا يَدَعُهَا أَحَدٌ رَغْبَةً عَنْهَا إِلَّا أَبْدَلَ اللهُ فِيهَا مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ، وَلَا يَثْبُتُ أَحَدٌ عَلَى لَأْوَائِهَا وَجَهْدِهَا إِلَّا كُنْتُ لَهُ شَفِيعًا، أَوْ شَهِيدًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»[٤]، ومثله عن عائشة قالت: سمعت سعدًا ﷺ قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**لَا يَكِيْدُ أَهْلَ المَدِيْنَةِ أَحَدٌ إِلَّا انْمَاعَ، كَمَا يَنْمَاعُ المِلْحُ فِي المَاءِ**»[٥].

٥- وخطب مروان بن الحكم بمكة، فذكر مكة وفضلها، فأطنب فيها فقال رافع بن خديج: ذكرت مكة وفضلها، وهي على ما ذكرت، و لم أسمعك ذكرت المدينة، أشهد لسمعت رسول الله ﷺ يقول: «**المَدِيْنَةُ أَفْضَل مِن مَكَّةَ**»[٦].

---

[١] أخرجه البخاري في أبواب فضائل المدينة، باب الإيمان يأرز إلى المدينة، رقم: (١٧٧٧) (ج٢ ص٦٦٣)، وأخرجه مسلم في الإيمان، باب بيان أن الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا، رقم: (١٤٧) (ج١ ص١٣١).

[٢] أخرجه الترمذي، كتاب المناقب، باب: فضل المدينة رقم: (٣٩١٧) (ج٥ ص ٧١٩)، وقال: «حسن غريب»، وأخرجه ابن حبان في «صحيحه»، كتاب الحج، باب فضل المدينة، رقم: (٣٧٤١) (ج٩ ص٥٧)، وقال شعيب الأرنؤوط: «إسناده صحيح على شرط الشيخين».

[٣] أخرجه أحمد في «مسنده»، حديث: سعد بن أبي وقاص ﷺ، رقم (١٥٩٣) (ج١ ص ١٨٣)، وانظر: «مجمع الزوائد»، باب لا يدخل الدجال ولا الطاعون المدينة، رقم (٥٨٣٣)، (ج٣ ص ٦٦٢).

[٤] أخرجه مسلم، كتاب الحج، باب من أراد أهل المدينة بسوء أذابه الله، رقم (١٣٨٧) (ج٢ ص ١٠٠٨).

[٥] أخرجه البخاري، أبواب فضائل المدينة، باب إثم من كاد أهل المدينة، رقم (١٧٧٨) (ج٢ ص٦٦٥)، وأخرجه مسلم في الحج، باب من أراد أهل المدينة بسوء أذابه الله رقم: (١٣٨٧).

[٦] «فضائل المدينة» (ج١ ص٢٣).

٦- وروي ابن حبان[١] أن أسلم مولى عمر بن الخطاب أخبره: أنه زار عبد الله بن عياش المخزومي فرأى عنده نبيذا وهو بطريق مكة، فقال له أسلَم: إن هذا الشراب يحبه عمر بن الخطاب، فحمل عبد الله بن عياش قدحًا عظيمًا، فجاء به إلى عمر بن الخطاب فوضعه في يديه، فقربه عمر إلى فيه، ثم رفع رأسه، فقال عمر: إن هذا لشراب طيب، فشرب منه، ثم ناوله رجلا عن يمينه، فلما أدبر عبد الله ناداه عمر بن الخطاب فقال: أأنت القائل لمكة خير من المدينة، فقال عبد الله: فقلت هي حرم الله وأمنه، وفيها بيته، فقال عمر: لا أقول في بيت الله، ولا في حرمه شيئًا، ثم قال عمر: أأنت القائل لمكة خير من المدينة، قال: فقلت هي حرم الله وأمنه، وفيها بيته، فقال عمر: لا أقول في حرم الله ولا في بيته شيئا ثم انصرف[٢].

وكأن عمر ﷺ لم يوافقه على ما قال، لكن لما كانت المسألة مما تختلف فيها وجهات النظر؛ لأنها اجتهادية لم ينكر عليه عمر؛ لما روي عن حفصة قالت: سمعت عمر يقول: اللهم قتلا في سبيلك، ووفاة ببلد نبيك، قالت فقلت: وأني يكون هذا قال: يأتي به الله إذا شاء، فكان الناس يتعجبون من ذلك ولا يدرون ما وجهه حتى طعن أبو لؤلؤة عمر ﷺ[٣].

---

[١] هو: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان، أبو حاتم، البستي، نسبته إلى: (بُست) في سجستان، تنقل في الأقطار في طلب العلم: محدث، مؤرخ، عالم بالطب والنجوم، ولي القضاء بسمرقند ثم قضاء نسا، قال ابن السمعاني: «كان إمام عصره»، توفي (سنة: ٣٥٤ هـ)، من مصنفاته: «المسند الصحيح على التقاسيم والأنواع» المشهور بـ«صحيح ابن حبان» في الحديث، وروضة العقلاء في الأدب؛ والثقات في رجال الحديث. انظر: «طبقات الشافعية» (ج٢ ص١٤١)؛ و«الأعلام» للزركلي (ج٦ ص٣,٦)؛ و«شذرات الذهب» (ج٣ ص١٦).

[٢] أخرجه الإمام مالك في «موطئه»، رواية يحيى الليثي، كتاب الجامع، باب جامع ما جاء في أمر المدينة، رقم: (١٥٨٦)، (ج٢ ص٨٩٤).

[٣] أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط»، رقم: (٢٧٩٥) (ج٣ ص١٥٩)، وانظر: «فتح الباري» (ج٤ ص١,١)، وفي «العلل» للدارقطني (ج٢ ص١٤٠): «وسئل عن حديث حفصة عن عمر، أنه كان يقول: اللهم قتلا في سبيلك، ووفاة بلد نبيك، قالت فقلت: أنى يكون هذا؟ فقال: يأتي الله به إذا شاء» فقال: يرويه زيد بن أسلم، واختلف عنه، فرواه روح بن القاسم وحفص بن ميسرة عن زيد بن أسلم عن أمه عن حفصة، ورواه هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن أبيه عن حفصة، والصحيح: قول من قال عن أمه».

٧- وروي أنس بن مالك ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «**لَيْسَ مِنْ بَلَدٍ إِلَّا سَيَطَؤُهُ الدَّجَّالُ، إِلَّا مَكَّةَ، وَالمَدِينَةَ، لَيْسَ لَهُ مِنْ نِقَابِهَا نَقْبٌ، إِلَّا عَلَيْهِ المَلاَئِكَةُ صَافِّينَ يَحْرُسُونَهَا، ثُمَّ تَرْجُفُ المَدِينَةُ بِأَهْلِهَا ثَلاَثَ رَجَفَاتٍ، فَيُخْرِجُ اللَّهُ كُلَّ كَافِرٍ وَمُنَافِقٍ**»[١].

٨- وعن عبد الله بن يزيد قال: سمعت زيد بن ثابت ﷺ يقول: لما خرج النبي ﷺ إلى أحد، رجع ناس من أصحابه، فقالت فرقة: نقتلهم، وقالت فرقة: لا نقتلهم، فنزلت: ﴿ **فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوا** ﴾[٢]، وقال النبي ﷺ: «**إِنَّها تَنْفِي الرِّجَالَ كَمَا تَنْفِي النَّارُ خَبَثَ الحَدِيدْ**»[٣].

٩- عن علي بن أبي طالب وأبي هريرة ﷺ قالا: قال رسول الله ﷺ: «**مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمِنْبَرِي رَوْضَةٌ مِن رِيَاضِ الجَنَّةِ**»[٤].

١٩) من فضائله التشريعية اختصاصه ﷺ بالدفن في البنيان:

ذكر العلماء أن من خصائصه ﷺ الدفن في البنيان ذكر ذلك المرداوي، الحجاوي وغيرهما.

قال في الإنصاف: والدفن بالبنيان مختص به، قالت عائشة: لئلا يتخذ قبره مسجدًا، واتخاذها مساجد يتناول شيئين: أن يبنى عليها مسجدا، أو يصلى عندها من غير بناء، وهو الذي خافه هو، وخافته الصحابة إذا دفنوه بارزا خافوا أن يصلى عنده فيتخذ قبره مسجدا[٥]، **وقال جماعة: لوجهين:**

---

[١] أخرجه البخاري، في باب لا يدخل الدجال المدينة، باب لا يدخل الدجال المدينة ،رقم (١٧٨٢) (ج٢ ص ٦٦٥)، وأخرجه مسلم في الفتن وأشراط الساعة باب قصة الجساسة، رقم: (٢٩٤٣) (ج٤ ص٢٢٦٥).

[٢] سورة النساء آية: (٨٨).

[٣] أخرجه البخاري، في أبواب فضائل المدينة، باب المدينة تنفي الخبث، رقم: (١٧٨٥) (ج٢ ص٦٦٥).

[٤] أخرجه البخاري، في أبواب التطوع، باب فضل ما بين القبر والمنبر، رقم: (١١٣٧)، وأخرجه مسلم في الحج، باب: ما بين القبر والمنبر روضة من رياض الجنة، رقم (١٣٩٠)، (ج٢ ص١٠١٠).

[٥] «مجموع الفتاوى» (ج٢٧ ص١٦٠) .

أحدهما: قوله ويدفن الأنبياء حيث يموتون رواه الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ.

والثاني: لئلا تمسه أيدي العصاة والمنافقين[1].

وفي «الإقناع» في خصائصه ﷺ: والدفن في البنيان مختص به لئلا يتخذ قبره مسجدا، وزيارة قبره مستحبة للرجال والنساء[2].

٢٠) من فضائله التشريعية اختصاصه ﷺ بأن الله تعالى جمع له بين القبلتين:

من الخصائص التشريعية التفضيلية للنبي ﷺ أن الله تعالى جمع له بين القبلتين[3]، وقد دل على ذلك القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمۡ عَن قِبۡلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيۡهَاۚ قُل لِّلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ وَمَا جَعَلۡنَا ٱلۡقِبۡلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيۡهَآ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِۚ وَإِن كَانَتۡ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿١٤٣﴾ قَدۡ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجۡهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبۡلَةٗ تَرۡضَىٰهَاۚ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَحَيۡثُ مَا كُنتُمۡ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ شَطۡرَهُۥۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ

---

[1] «الإنصاف» (ج٨ ص٣٩)، و«الفروع» (ج٢ ص ٢١٧).

[2] «الإقناع» (ج٣ ص١٦٢)، فصل: خصائص النبي ﷺ.

[3] «خصائص المصطفى ﷺ بين الغلو والجفاء» تأليف: الصادق بن محمد (ص: ٣٣).

لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾[1].

قال ابن كثير: وقد جاء في هذا الباب أحاديث كثيرة، وحاصل الأمر أنه قد كان رسول الله ﷺ أمِرَ باستقبال الصخرة من بيت المقدس، فكان بمكة يصلي بين الركنين وهو مستقبل صخرة بيت المقدس، فلما هاجر إلى المدينة تعذر الجمع بينهما فأمره الله بالتوجه إلى بيت المقدس، قاله ابن عباس والجمهور ... قال: والمقصود أن التوجه إلى بيت المقدس كان بعد مقدمه إلى المدينة واستمر على ذلك بضعة أشهر، وكان يكثر الدعاء والابتهال أن يوجه إلى الكعبة التي هي قبلة إبراهيم فأجيب إلى ذلك[2].

٢١) من فضائله التشريعية اختصاصه ﷺ بأن الله تعالى أحلّ له مكة ساعة من نهار.

من الخصائص التشريعية التفضيلية للنبي ﷺ أن الله تعالى أحل له مكة ساعة من نهار يوم الفتح ومما يدل على ذلك ما لرواه ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ يوم الفتح فتح مكة: **«لَا هِجْرَةَ وَلَكِن جِهَادٌ وَنِيَّةٌ، وإذَا استُنْفِرْتُم فَانْفِرُوا»**[3].

وقال يوم الفتح فتح مكة: **«إِنَّ هَذَا البَلَدَ حَرَّمَهُ اللَّهُ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ، فَهُوَ حَرَامٌ بِحُرْمَةِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ، وَإِنَّهُ لَمْ يَحِلَّ القِتَالُ فِيهِ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَلَمْ يَحِلَّ لِي إِلَّا سَاعَةً مِنْ**

---

[1] سورة البقرة آية: (١٤٢، ١٤٣).

[2] «تفسير ابن كثير» (ج١ ص٢٥٨)، و«مختصر خليل» (ج١ ص١,٩).

[3] أخرجه البخاري، أبواب الإحصار وجزاء الصيد، باب لا يحل القتال بمكة، رقم: (١٧٣٧)، (ج٢ ص٦٥١)، وأخرجه مسلم في الحج، باب تحريم مكة وصيدها وخلاها وشجرها ولقطتها، وفي الإمارة، باب: المبايعة بعد فتح مكة على الإسلام، رقم: (١٣٥٣)، (ج٢ ص٩٨٦).

نَهَارٍ، فَهُوَ حَرَامٌ بِحُرْمَةِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَة»[1].

٢٢) من فضائله التشريعية اختصاصه ﷺ بأنَّ الدجال لا يدخل بلدتيه.

من الخصائص التشريعية التفضيلية للنبي ﷺ أنه تعالى حَرَّم على الدجال دُخُول بَلْدَتَيْهِ، لِما رواه أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَيْسَ مِنْ بَلَدٍ إِلَّا سَيَطَؤُهُ الدَّجَّالُ، إِلَّا مَكَّةَ، وَالمَدِينَةَ، لَيْسَ لَهُ مِنْ نِقَابِهَا نَقْبٌ، إِلَّا عَلَيْهِ المَلاَئِكَةُ صَافِّينَ يَحْرُسُونَهَا، ثُمَّ تَرْجُفُ المَدِينَةُ بِأَهْلِهَا ثَلاَثَ رَجَفَاتٍ، فَيُخْرِجُ اللَّهُ كُلَّ كَافِرٍ وَمُنَافِقٍ**»[2].

٢٣) من فضائله التشريعية اختصاصه ﷺ بأن الطاعون لا يدخل مدينته:

من الخصائص التشريعية التفضيلية للنبي ﷺ أن الله تعالى منع مدينته المنورة من وباء الطاعون[3].

ومما يدل على ذلك: ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**عَلَى المَدِيْنَةِ مَلَائِكَةٌ لَا يَدْخُلُها الطَّاعُونُ وَلَا الدَّجَّال**»[4].

---

[1] أخرجه البخاري أبواب الجزية والموادعة، باب: إثم الغادر للبر والفاجر (ج٣ ص١١٦٤).

[2] أخرجه البخاري، أبواب فضائل المدينة، باب: لا يدخل الدجال المدينة، رقم: (١٧٨٢) (ج٢ ص٦٥٥)، وأخرجه مسلم في الفتن وأشراط الساعة، باب: قصة الجساسة رقم: (٢٩٤٣) (ج٤ ص٢٢٦٥).

[3] «خصائص المصطفى ﷺ بين الغلو والجفاء» تأليف: الصادق بن محمد (ص: ٣٣) رسالة ماجستير بالجامعة الإسلامية .

[4] أخرجه البخاري، أبواب فضائل المدينة، باب لا يدخل الدجال المدينة، رقم: (١٧٨١) (ج٢ ص٦٦٤)، وأخرجه مسلم في الحج، باب: صيانة المدينة من دخول الطاعون والدجال إليها، رقم: (١٣٧٩) (ج٢ ص١٠٠٥).

٢٤) من فضائله التشريعية اختصاصه ﷺ بأن الله تعالى جمع له من مراتب الوحي.

من الخصائص التشريعية التفضيلية للنبي ﷺ أن الله تعالى جمع له بين مراتب الوحي التي كانت للأنبياء السابقين وغيرها مما لم يتحقق معهم وجاءت للوحي معه مراتب عديدة [١]، وهي:

الأولى: الرؤيا الصالحة، وكانت مبدأ وحيه ﷺ وكان لا يرى الرؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، فعن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: «كان أول ما بُدئ به رسول الله ﷺ الرؤيا الصادقة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح»[٢].

الثانية: ما كان يلقيه الملك في روعه وقلبه من غير أن يراه، أخرج أبو نعيم في الحلية عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ رَوْحَ الْقُدُسِ نَفَثَ فِي رُوعِي أَنَّ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَكْمِلَ أَجَلَهَا وَتَسْتَوْعِبَ رِزْقَهَا فَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ وَلَا يَحْمِلَنَّ أَحَدَكُمُ اسْتِبْطَاءُ الرِّزْقِ أَنْ يَطْلُبَهُ بِمَعْصِيَةٍ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُنَالُ مَا عِنْدَهُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ**» [٣]، قال الهيثمي [٤]: فيه عُفير بن معدان وهو ضعيف [٥]، وقال شعيب الأرنؤوط: صحيح بشواهده[١].

---

[١] «خصائص المصطفى» ﷺ بين الغلو والجفاء»، تأليف: الصادق بن محمد (ص: ٣٣).

[٢] أخرجه البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، رقم: (٣) (ج١ص ٤)، وأخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله، ﷺ، رقم (١٦٠) (ج١ ص١٣٩).

[٣] أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء»، (ج١٠ ص٢٧)، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة»، رقم: (٢٨٦٦).

[٤] هو: أحمد بن حجر الهيتمي – وعند البعض: الهيثمي بالثاء المثلثة – السعدي، الأنصاري، شهاب الدين أبو العباس، ولد في محلة أبي الهيثم بمصر، ونشأ وتعلم بها: فقيه شافعي، مشارك في أنواع من العلوم، تلقى العلم بالأزهر، وانتقل إلى مكة وصنف بها كتبه وبها توفي (سنة: ٩٧٣ هـ)، من تصانيفه: تحفة المحتاج شرح المنهاج؛ والإيعاب شرح العباب المحيط بمعظم نصوص الشافعية والأصحاب؛ والصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة؛ وإتحاف أهل الإسلام بخصوصيات الصيام. انظر ترجمته في: «معجم المؤلفين» (ج٢ ص١٥٢)؛ و«الأعلام» للزركلي (ج١ ص٢٢٣).

[٥] «مجمع الزوائد» (ج٤ ص١٢٣).

الثالثة: أنه ﷺ كان يتمثل له الملك رجلاً فيخاطبه، وفي هذه المرتبة كان يراه الصحابة أحياناً، أخرج مسلم من حديث عمر رضي الله عنه الطويل وفيه: «**يَا عُمَر أَتَدْرِي مَن السَّائِلُ؟**»، قال: الله ورسوله أعلم، قال: «**فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُم يُعَلِّمُكُم دِيْنَكُم**»[٢].

الرابعة: أنه كان يأتيه مثلُ صَلْصَلَةِ الجَرَس، أخرج البخاري من حديث عائشة رضي الله عنها أنَّ الحارث بن هشام رضي الله عنه سأل النبي ﷺ فقال: «كَيْفَ يَأتِيْكَ الوَحْيُ؟» فقال رسول الله ﷺ : «**أَحْيَانًا يَأْتِينِي مِثْلَ صَلْصَلَةِ الجَرَسِ، وَهُوَ أَشَدُّهُ عَلَيَّ، فَيُفْصَمُ عَنِّي وَقَدْ وَعَيْتُ عَنْهُ مَا قَالَ** ... الحديث»[٣].

الخامسة: أنه كان يرى الملك في صورته التي خُلق عليها، أخرج الشيخان من حديث ابن مسعود رضي الله عنه لما سُئل عن تفسير قوله تعالى: ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴾[٤]، قال رضي الله عنه: «**إِنَّه رَأى جِبْرِيلَ لَهُ سِتِّمَائَةِ جَنَاحٍ**»[٥].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «من زعم أنَّ محمداً رأى ربه فقد أعظم، ولكن رأى جبريل في

---

(١) حاشية «زاد المعاد» لابن القيم (ج١ ص٧٩).

(٢) أخرجه البخاري، باب: سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة، رقم (٥٠)، (ج١ ص٢٧)، وأخرجه برقم: (٤٤٩٩)، وأخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله سبحانه وتعالى، رقم: (٩) (ج١ ص٤٠).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، رقم (٢) (ج١ص ٤)، وأخرجه مسلم، كتاب الفضائل، با ب عرق النبي ﷺ في البرد وحين يأتيه الوحي، رقم (٢٣٣٣) (ج٤ ص ١٨١٦).

(٤) سورة النجم: الآيات: (٩، و١٠).

(٥) أخرجه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب: إذا قال أحدكم آمين والملائكة في السماء فوافقت إحداهما الأخرى غفر له ما تقدم من ذنبه، رقم (٣٠٦٠) (ج٣ ص١١٨١)، وأخرجه مسلم في الإيمان باب في ذكر سدرة المنتهى، رقم: (١٧٤)، (ج١ ص١٥٨).

صورته وخَلقه ساداً ما بين الأفق[1].

السادسة: ما أوحاه الله إليه وهو فوق السموات ليلة المعراج.

السابعة: كلام الله منه إليه بلا واسطة مَلَكٍ كما كلَّم الله تعالى موسى بن عمران عليه السلام، لما رواه أنس بن مالك في حديث طويل وفيه: « ...**ثُمَّ ذَهَبَ بِي إِلَى السِّدْرَةِ الْمُنْتَهَى، وَإِذَا وَرَقُهَا كَآذَانِ الْفِيَلَةِ، وَإِذَا ثَمَرُهَا كَالْقِلَالِ**»، قَالَ: «**فَلَمَّا غَشِيَهَا مِنْ أَمْرِ اللهِ مَا غَشِيَ تَغَيَّرَتْ، فَمَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللهِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْعَتَهَا مِنْ حُسْنِهَا، فَأَوْحَى اللهُ إِلَيَّ مَا أَوْحَى** ... الحديث»[2].

---

[1] سبق تخريجه .

[2] أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ، رقم: (١٦٢)، (ج١ ص١٤٥).

المطلب الثاني

من الخصائص التشريعية التي اختص بها دون أمته وقد يشاركه فيها الأنبياء

من الخصائص التشريعية خصائص اختص بها النبي ﷺ دون الأمة لكن يشاركه فيها الأنبياء وهي كثيرة **ومنها ما يلي:**

١) من الخصائص التي يشترك فيها هو والأنبياء من قبله أنه ﷺ كان تنام عيناه، ولا ينام قلبه.

وقد اتفق العلماء على أنه ﷺ هو والأنبياء خصوا بأنهم لا تنام قلوبهم.

والدليل على ذلك: أن البخاري ذكر ذلك صريحًا فيما رواه عن ابن عباس قال: بِتُّ عند خالتي ميمونة ليلة، فقام النبي ﷺ من الليل، فلما كان في بعض الليل قام النبي ﷺ، فتوضأ من شنٍّ مُعَلَّقٍ وُضُوءًا خفيفًا، وقام يصلي فتوضأت نحوًا مما توضأ، ثم جئت فقمت عن يساره، فحولني، فجعلني عن يمينه، ثم صلى ما شاء الله، ثم اضطجع، فنام حتى نفخ ثم آتاه المنادي، فآذنه بالصلاة، فقام معه إلى الصلاة فصلى و لم يتوضأ، قلنا لعمرو إن ناسًا يقولون إن رسول الله ﷺ تنام عينه ولا ينام قلبه؟ قال عمرو سمعت عبيد بن عمير يقول: «رُؤْيَا الأَنْبِيَاءِ وَحْيٌ» ثم قرأ: ﴿ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ ﴾[1].

وسببه ما ذكر في حديث عائشة رضي الله عنها أنها سألته فقالت: يا رسول الله تنام قبل أن توتر؟ فقال: «**يَا عَائِشَةَ، تَنَام عَيْنَاي وَلَا يَنَامُ قَلْبِي**»[2].

وهو من خصائص الأنبياء؛ وذلك لقربهم من الله تعالى، وسمو درجاتهم واختصاصهم بالوحي، ونحو ذلك كما أن قلوبهم مملوءة بالله تعالى، فهم في معيته أبدًا.

---

[1] سورة الصافات، آية: (١,٢)، والحديث: أخرجه البخاري، كتاب الوضوء، باب التخفيف في الوضوء، رقم: (١٣٨)، (ج١ ص٦٤)، وأخرجه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه، رقم: (٧٦٣) (ج١ ص٥٢٥).

[2] أخرجه أبو داود في «سننه»، كتاب الطهارة، باب في الوضوء من النوم، رقم: (٢,٢) (ج١ ص١,١)، وأخرجه أحمد في «مسنده»، (حديث السيدة عائشة رضي الله عنها)، رقم (٢٤١١٩)، (ج٦ ص٣٦).

٢) من الخصائص التي يشترك فيها هو والأنبياء من قبله أنه يرى ما لا يرى الناس حوله.

مما خص الله به نبيه ﷺ، وكذا الأنبياء أنه ﷺ كان يرى ما لا يرى الناس من حوله، وقد دلت على ذلك النصوص الصريحة، ومن ذلك ما يلي:

١- عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال لها: «**هَذَا جِبْرِيلُ يَقْرَأُ عَلَيْكِ السَّلَامَ**»، فقالت رضي الله عنها: «يا رسول الله، ترى ما لا نرى»[(١)].

٢- وعنها في حديث الكسوف الذي في الصحيحين: «**وَاللهِ لَو تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُم قَلِيلاً وَلَبَكَيْتُم كَثِيْراً**»[(٢)].

٣- عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قرأ رسول الله ﷺ : ﴿ هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا ﴾[(٣)] حتى ختمها، ثم قال: «**إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ، وَأَسْمَعُ مَا لَا تَسْمَعُونَ أَطَّتِ السَّمَاءُ، وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعَ إِلَّا وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِدًا لِلَّهِ، وَاللَّهِ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا، وَمَا تَلَذَّذْتُمْ بِالنِّسَاءِ عَلَى الفُرُشِ وَلَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعُدَاتِ تَجْأَرُونَ إِلَى اللَّهِ، لَوَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ شَجَرَةً تُعْضَدُ**»[(٤)].

٣) من الخصائص التي يشترك فيها هو والأنبياء من قبله: أن من رآه في المنام فقد رآه حقًا.

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الاستئذان، باب تسليم الرجال على النساء والنساء على الرجال، رقم: (٥٨٩٥) (ج٥ ص٢٣,٦).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الكسوف، باب الصدقة في الكسوف، بأرقام: (٩٩٩، ١٠٠٠، ١٠٠٢، ١٠٠٧، ١٠٠٩، ١,١٥، ١,١٦، ١١٥٤، ١٣,٦، ٣,٣١، ٤٣٤٨، ٤٩٢٣، ٥..٦)، وأخرجه مسلم في الكسوف باب صلاة الكسوف، رقم: (٩,١).

(٣) سورة الإنسان آية: (١).

(٤) أخرجه الترمذي، كتاب الزهد، باب في قول النبي ﷺ: «**لَو تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُم قَلِيْلًا**»، رقم: (٢٣١٢) (ج٤ ص٥٥٦)، وأخرجه الحاكم في «المستدرك»، كتاب التفسير، تفسير سورة: {هَل أَتَى عَلَى الإنْسَانِ}، رقم: (٣٨٨٣)، (ج٢ ص٥٥٤)، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد، و لم يخرجاه).

من خصائص الأنبياء أن رؤيتهم في المنام حق، فمن رأى النبي ﷺ في المنام فهو حق، فقد رآه لما روي أنه ﷺ قال: «**ومَن رَآنِي فِي المَنامِ فقَد رَآنِي حَقًّا، فَـإنَّ الشَّـيْطَانَ لَـا يَتَمَثَّـلُ فِـي صُورَتِي**»[1].

لكن بشرط أن يراه على صورته التي هي صورته في الحياة الدنيا، كما رواه ابن عباس، والراجح أن رؤية الأنبياء مطلقا حق.

واتفقوا أن من نقل عنه حديثاً في المنام أنه لا يعمل به؛ لعدم الضبط في رواية الرائي، فإن المنـام محل تضعف فيه الروح ويقل ضبطها[2].

٤) من الخصائص التي يشترك فيها هو والأنبياء من قبله أنه لم يكن ليورث بعد موته:

من الخصائص النبوية لأنبياء الله تعالى أن لا أحد يرثهم من بعدهم على المستوى المادي[3]، وإنما ميراثهم على المستوى المعنوي، إذ العلماء ورثة الأنبياء؛ ولهذا لا خلاف أنه ﷺ لا يورث لما رواه أبو بكر ﷺ، إن رسول الله ﷺ قال: «**لَا نُورَثُ، مَا تَرَكْنَا فَهُوَ صَدَقَةٌ**»[4].

عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**لَا يَقْتَسِمُ وَرَثَتِي دِيْنَارًا، مَا تَرَكْتُ بَعدَ نَفَقَةِ نِسَائِي ومَؤونَةِ عَامِلِي فَهُو صَدَقَةٌ**»[5].

---

[1] أخرجه البخاري، كتاب العلم، باب إثم من كذب على النبي ﷺ، رقم (١١٠)، وأخرجه مسلم، كتاب الرؤيا، باب: من رأي النبي ﷺ، رقم: (١٠، و١١، و١٣).

[2] «الفصول في السيرة» (ج١ ص٢٨٤)، و«مختصر خليل» (ج١ ص١,٩).

[3] «منح الجليل شرح مختصر خليل» (ج٦ ص٢٠٠)، و«مواهب الجليل» (ج٣ ص٣٩٩)، و«مختصر خليل» (ج١ ص١,٩)، و«حاشية القليوبي» (ج٣ ص١٩٨).

[4] أخرجه البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب قرابة رسول الله ﷺ، ومنقبة فاطمة عليها السلام بنت النبي ﷺ، رقم: (٣٥,٨)، (ج٣ ص١٣٦٠).

[5] أخرجه البخاري، كتاب الوصايا، باب: نفقة القيم للوقف، رقم: (٢٦٢٤)، (ج٣ ص١٠٢٠)، وأخرجه مسلم في الجهاد والسير باب قول النبي ﷺ: «**لَا نُوْرَثُ مَا تَرَكْنَا صَدَقَة**»، رقم: (١٧٦٠) (ج٣ ص١٤٨٢).

وعن أبي بكر ﷺ أنه ﷺ قال: «**نَحْنُ مَعْشَرَ الأَنْبِيَاءِ لَا نُوْرَثُ**»[1]، فعلى هذا يكونون قد اشتركوا في هذه الصفة دون بقية المكلفين، فهي من خصائص الأنبياء جميعًا.

٥) من الخصائص التي يشترك فيها هو والأنبياء من قبله أنه كان معصومًا في أقواله وأفعاله.

من خصائص النبوة العصمة، بمعنى: أنه لا يجوز عليه ﷺ التعمد، ولا الخطأ الذي يتعلق بأداء الرسالة، ولا يُقَرّ فيبقى عليه، فلا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى؛ فلهذا قال كثير من العلماء: لم يكن له الاجتهاد، لأنه قادر على النص. وقال آخرون: بل له أن يجتهد، ولكن لا يجوز عليه الخطأ، وقال آخرون: بل لا يقر عليه، فعلى الأقوال كلها هو واجب العصمة لا يتصور استمرار الخطأ عليه، بخلاف سائر أمته، فإنه يجوز ذلك كله على كل منهم منفرداً [2]، فأما إذا اجتمعوا كلهم على قول واحد فلا يجوز عليهم الخطأ كما سبق، وفيما يلي شيء مما ذكره العلماء في عصمته ﷺ[3] فلا خلاف في ثبوت العصمة للأنبياء جميعًا [4]، ولا خلاف أن الله تعالى قد عصم الله نبيه ﷺ، عصمه من النار، وعصمه من الذنوب، عصمه قبل البعثة وبعدها، قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾[5]، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّا كَفَيۡنَٰكَ ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ ۝٩٥ ٱلَّذِينَ يَجۡعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴾[6]، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا ۝١ لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ

---

[1] أخرجه الإمام أحمد في «مسنده»، (مسند أبي هريرة ﷺ)، رقم (٩٩٧٣) (ج٢ ص ٤٦٣)، وقال شعيب الأرنؤوط: «إسناده صحيح على شرط الشيخين».

[2] «الفصول في السيرة» (ج١ ص٢٨٤)، و«مختصر خليل» (ج١ ص١,٩).

[3] «الشفا» (ج٢ ص١٢٦)، و«تفسير أبي السعود» (ج١ ص١٥٦)، و«التحرير والتنوير» (ج١ ص٢٥٠).

[4] «الموافقات» (ج٣ ص٢٦٥)، و«الفتاوى الكبرى» (ج٣ ص٤٧٤)، و«عمدة القاري» (ج٢٣ ص١٥٥)، و«المواقف» (ج٣ ص٤٢٥).

[5] سورة المائدة آية: (٦٧).

[6] سورة الحجر آية: (٩٥).

نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾[2].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قالوا يا رسول الله إنك تداعبنا قال: «**إِنِّي لَا أَقُولُ إِلَّا حَقًّا**»[3]، وهذا واضح الدلالة على المراد، والكلام في عصمته ﷺ على النحو الأتي:

أولا: العصمة قبل النبوة.

لقد عَصَمَ الله الأنبياء عن الشرك والكفر، فَلَم ينقل أحد من أهل الأخبار أن أحدًا نُبِّئ واصطفي ممن عرف بكفر، أو شرك قبل ذلك[4].

وقد تعارضت الأخبار والآثار عن الأنبياء قبل النبي ﷺ بتنزيههم عن النقائص منذ ولدوا، وقبل بعثتهم، واتفقت على أن الله عصم نبيه محمد ﷺ منذ ولادته، وقبل بعثته، بل وقبل ولادته، ورباه على عينه، وأنشأه على أحسن الكمالات، وقصة شق صدره السابقة تؤيد ذلك، وذلك كما يلي:

أما قبل ولادته فيدل على ذلك قوله ﷻ: ﴿ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾[5].

---

[1] سورة الفتح آية: (١).

[2] سورة النجم آيات: (٣، ٤).

[3] أخرجه الترمذي في «سننه»، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في المزاح، رقم: (١٩٩٠)، (ج٤ ص٣٥٧)، وقال أبو عيسى: «هذا حديث حسن صحيح»، وقال الشيخ الألباني: «صحيح»، وأخرجه أحمد في «مسنده»، (مسند أبي هريرة ﷺ)، رقم (٨٤٦٢) (ج٢ ص٣٤٠).

[4] «الشفا» للقاضي عياض (ج٢ ص١١٠)، و«مختصر خليل» (ج١ ص١,٩).

[5] سورة الشعراء آية: (٢١٩).

وجه الدلالة: دلت الآية على أن الله ﷻ رفع قدر نبينا ﷺ، وصانه عن نكاح الجاهلية، نقله في الأصلاب الطاهرات بالنكاح الصحيح، مِن لَدُن آدَم عليه السلام، ينقله من أصلاب الأنبياء، وأولاد الأنبياء، حتى أخرجه بالنكاح الصحيح ﷺ[1].

ويؤيد ذلك ما يلي:

١- ما رواه ابن جريج قال أخبرني جعفر بن محمد، عن أبيه قال: أن رسول الله في ﷺ قال: «**خَرَجْتُ مِن نِكَاحٍ وَلَم أخْرُج مِن سِفَاحٍ**»[2].

٢- وروي عن ابن عباس في قول الله ﷻ: ﴿ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾[3]: قال: من صلب نبي إلى صلب نبي حتى صرت نبيًّا[4].

وأما بعد ولادته وقبل البعثة فمما يدل على ذلك ما يلي:

١- قد روي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَا هَمَمْتُ بِقَبِيحٍ مِمَّا يَهُمُّ بِهِ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ إِلَّا مَرَّتَيْنِ مِنَ الدَّهْرِ كِلْتَاهُمَا عَصَمَنِي اللَّهُ مِنْهُمَا، قُلْتُ لَيْلَةً لِفَتًى كَانَ مَعِي مِنْ قُرَيْشٍ بِأَعْلَى مَكَّةَ فِي غَنَمٍ لِأَهْلِنَا نَرْعَاهَا: أَبْصِرْ لِي غَنَمِي حَتَّى أَسْمُرَ هَذِهِ اللَّيْلَةَ بِمَكَّةَ كَمَا يَسْمُرُ الْفِتْيَانُ، قَالَ: نَعَمْ، فَخَرَجْتُ، فَلَمَّا جِئْتُ أَدْنَى دَارٍ مِنْ دُورِ مَكَّةَ سَمِعْتُ غِنَاءً، وَصَوْتَ دُفُوفٍ، وَمَزَامِيرَ، قُلْتُ: مَا هَذَا؟ قَالُوا: فُلَانٌ تَزَوَّجَ فُلَانَةَ لِرَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ تَزَوَّجَ امْرَأَةً مِنْ قُرَيْشٍ، فَلَهَوْتُ بِذَلِكَ الْغِنَاءِ، وَبِذَلِكَ الصَّوْتِ حَتَّى غَلَبَتْنِي عَيْنِي، فَنِمْتُ فَمَا أَيْقَظَنِي إِلَّا مَسُّ الشَّمْسِ، فَرَجَعْتُ إِلَى صَاحِبِي، فَقَالَ: مَا فَعَلْتَ؟ فَأَخْبَرْتُهُ، ثُمَّ فَعَلْتُ لَيْلَةً أُخْرَى مِثْلَ ذَلِكَ، فَخَرَجْتُ، فَسَمِعْتُ مِثْلَ ذَلِكَ، فَقِيلَ لِي: مِثْلُ مَا قِيلَ لِي، فَسَمِعْتُ كَمَا**

---

[1] «الشريعة» (ج١ ص٤٣٤).

[2] أخرجه عبد الرزاق في «مصنفه»، كتاب الطلاق، باب: الدعوة، رقم: (١٣٢٧٣)، (ج٧ ص٣٠٣)، والآجري في «الشريعة»، كتاب: الإيمان والتصديق بأن الجنة والنار مخلوقتان، باب: ذكر قول الله ﷻ {وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِيْنَ}.

[3] سورة الشعراء آية: (٢١٩).

[4] انظر: «مجمع الزوائد»، كتاب التفسير، باب سورة طسم الشعراء، رقم: (١٣٨١٩)، (ج٨ ص ٢١٤)، وقال: «رواه البزار، ورجاله ثقات».

سَمِعْتُ، حَتَّى غَلَبَتْنِي عَيْنِي، فَمَا أَيْقَظَنِي إِلَّا مَسُّ الشَّمْسِ، ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى صَاحِبِي، فَقَالَ لِي: مَا فَعَلْتَ؟ فَقُلْتُ: مَا فَعَلْتُ شَيْئًا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **فَوَاللَّهِ، مَا هَمَمْتُ بَعْدَهُمَا بِسُوءٍ مِمَّا يَعْمَلُهُ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ، حَتَّى أَكْرَمَنِي اللَّهُ بِنُبُوَّتِهِ»**[1].

٢- ويؤيده ما رواه ابن مسعود: أنه ﷺ قال: «**مَا مِنْكُم مِنْ أحَدٍ إلَّا وَقَد وُكِلَ بِهِ قَرِيْنُهُ مِنَ الجِنِّ**»، قَالوا وَإيَّاكَ؟ يَا رَسُولَ الله؟! قال: «**وَإيَّايَ إلَّا أنَّ الله أعَانَنِي عَلَيْهِ فَأسْلَم، فَلَا يَأمُرُنِي إلَّا بِخَيْرٍ**»[2].

٣- ويقول عن أصنام الجاهلية: «مَا أبْغِضُ شَيئًا بُغْضِي لَهُم». ويقول: «**رَأيتُ كُلَّما دَنَوتُ مِنْ صَنَمٍ مِنْ أصْنَامِ الجَاهِلِيَّة، إلَّا رَجُلٌ أبْيَضُ يَصِيْحُ بِي: وَرَاءَكَ يَا مُحَمَّد لَا تَمَسَّهُ**»[3].

ثانيا: العصمة من الناس

لقد منع الله نبيه من الكافرين، وعصمه، وحفظه، ورعاه، فلم يصل إليه المشركون بسوء يضره، وقد دل على ذلك آيات القرآن الكريم، والآثار المروية عن الصحابة ﷺ ومن ذلك:

أما القرآن الكريم ففي آيات منها ما يلي:

١- قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾[4]؛ أي: يمنعك الله من فتك المشركين، وكيدهم وشرهم.

---

[1] أخرجه ابن حبان في «صحيحه»، كتاب التاريخ، باب بدء الخلق، رقم: (٦٢٧٢) (ج١٤ ص١٦٩)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (ج٨ ص٢٢٦): «رجاله ثقات».

[2] أخرجه مسلم في «صحيحه»، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب تحريش الشيطان وبعثه سراياه لفتنة الناس وأن مع كل إنسان قرينا، رقم: (٢٨١٤) (ج٤ ص٢١٦٧).

[3] أخرجه ابن سعد في «طبقاته (ج١ ص١٠٠)، وانظر: «موارد الظمآن» (ج١ ص٥١٥).

[4] سورة المائدة آية: (٦٧).

٢- وقوله تعالى: ﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ، إِنَّا كَفَيۡنَٰكَ ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ ۝٩٥ ٱلَّذِينَ يَجۡعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴾[1]، أي: فلا تخف مما سوى الله شيئا وامض لأمره وبلغ رسالته، فإن الله كافيك مَنْ عاداك.

٣- قوله تعالى: ﴿ وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ ﴾[2] أي: إنك محاط بالحفظ والرعاية، والعناية الإلهية.

وَإِذَا العِنَايَةُ لَاحَظَتْكَ عُيُونُهَا *** نَمْ فَالمَخَاوِفُ كُلُّهُنَّ أَمَانُ

وأما الأدلة من السنة ففيما يلي:

١- عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ يُحرس حتى نزلت الآية: ﴿ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ ﴾[3]، فأخرج رأسه من القبة فقال لهم: «**يَا أَيُّها النَّاسُ انْصَرِفُوا فَقَد عَصَمَنِي الله**»[4].

وذكر الطبري [5]، وابن كثير[6]: أن ﷺ كان إذا نزل منزلا اختار له أصحابه شجرة ظليلة، فيقيل تحتها، فأتاه أعرابي فاخترط سيفه، ثم قال: من يمنعك مني؟ قال: «**الله!**» فرعدت يد

---

[1] سورة الحجر آية: (٩٤)، و(٩٥).

[2] سورة الطور آية: (٤٨).

[3] سورة المائدة آية: (٦٧).

[4] أخرجه الترمذي في «سننه»، كتاب تفسير القرآن، باب: ومن سورة المائدة، رقم (٣,٤٦) (ج٥ ص٢٥١).

[5] «تفسير الطبري»، تفسير سورة المائدة، آية: (٦٧)، (ج٤ ص٦٤٦).

[6] «تفسير ابن كثير»، تفسير سورة المائدة، آية: (٦٧)، (ج٢ ص ١,٦)، والحديث أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة ذات الرقاع، رقم: (٣٩,٥) (ج٤ ص١٥١٥)، وأخرجه مسلم في الفضائل، باب: توكله على الله تعالى وعصمة الله تعالى له من الناس، رقم: (٨٤٣) (ج١ ص٥٧٦) بلَفْظ: عن جابر قال: أقبلنا مع رسول الله ﷺ حتى إذا كنا بذات الرقاع، وكنا إذا أتينا على شجرة ظليلة تركناها لرسول الله ﷺ، قال: فجاء رجل من المشركين وسيف رسول الله ﷺ معلق بشجرة فأخذ سيف نبي الله ﷺ فاخترطه، فقال لرسول الله ﷺ: أتخافني ؟ قال: «لا»، قال: فمن يمنعك مني؟ قال: «**اللهُ يَمْنَعُنِي مِنْكَ**»، قال: فتهدده أصحاب رسول الله ﷺ فأغمد السيف وعلقه، قال فنودي بالصلاة فصلى بطائفة ركعتين ثم تأخروا

الأعرابي وسقط السيف منه، قال: وضرب برأسه الشجرة حتى انتثر دماغه، فأنزل الله: ﴿ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾.

٢- وقد روي عن جابر بن عبد الله ﷺ قال: قاتل رسول الله ﷺ محارب خصفة بنخل، فرأوا من المسلمين غرة، فجاء رجل منهم يقال له: غورث بن الحرث؛ حتى قام على رأس رسول الله ﷺ بالسيف فقال: من يمنعك مني؟ قال: «**الله** ﷻ»، فسقط السيف من يده، فأخذه رسول الله ﷺ فقال: «**مَن يَمْنَعُكَ مِنِّي؟**» قال: كن كَخَيْرِ آخِذٍ، قال: «**أَتَشْهَدُ أنْ لَا إلَهَ إلَّا الله**»، قال: لا ولكني أعاهدك أن لا أقاتلك، ولا أكون مع قوم يقاتلونك، فخلى سبيله، قال: فذهب إلى أصحابه قال: قد جئتكم من عند خير الناس[1]، وقد حكيت مثل هذه الحكاية، وأنها جرت له يوم بدر، وقد انفرد من أصحابه لقضاء حاجته، فتبعه رجل من المنافقين ... وذكر مثله.

٣- وذكر عبد بن حميد، قال: كانت حمالة الحطب تضع العضاه - وهي جمر - على طريق رسول الله ﷺ فكأنما يطؤها كثيباً أهيل، وذكر ابن اسحاق عنها: أنها لما بلغها نزول: ﴿ تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ ﴾، وذَكَرَها بِما ذَكَرَهَا الله مع زوجها من الذَّمِّ: أتت رسول الله ﷺ وهو جالس في المسجد ومعه أبو بكر، وفي يدها فِهْرٌ من الحجارة[2]، فلما وقفت عليهما لَم تَرَ إلا أبَا بَكْرٍ، وأخذ الله تعالى بِبَصَرِهَا عن نبيه ﷺ، فقالت: يا أبا بكر، أين صاحِبُكَ؟ فقد بلغني أنه يهجوني، والله لو وَجَدْتُهُ لضَرَبْتُ بهذا الفِهْرِ فَاهُ[3].

وصلى بالطائفة الأخرى ركعتين، قال فكانت لرسول الله ﷺ أربع ركعات وللقوم ركعتان»، لمسلم، ولم يذكرا أنه كان سبب نزول الآية.

[1] أخرجه أحمد في «مسنده»، حديث جابر بن عبد الله، رقم: (١٤٩٧١) (ج٣ ص٣٦٤)، وأخرجه ابن حبان في «صحيحه»، كتاب الصلاة، باب صلاة الخوف، رقم (٢٨٨٣) (ج٧ ص ١٣٨).

[2] «الشفا في حقوق المصطفي» (ج١ ص ٣٤٩)، موارد الظمآن (ج١ ص٥١٥).

[3] «سيرة ابن هشام» (ج٢ ص٢٠٠)، «الإعلام بما في دين النصارى» (ج١ ص٣٧٦)، «تفسير القرطبي» (ج٢٠ ص٢١٦).

٤- ومنه القصة المشهورة في ليلة الهجرة، والكفاية التامة عندما أخافته قريش، وأجمعت على قتله وبَيَّتُوهُ، فخرج عليهم من بيته، فقام على رؤوسهم، وقد ضرب الله تعالى على أبصارهم، وذر التراب على رؤوسهم، وخَلُصَ منهم، وحمايته عن رؤيتهم في الغار بما هيأ الله له من الآيات، ومن العنكبوت الذي نسج عليه، حتى قال أمية بن خلف حين قالوا: تدخل الغار: ما أرَبُكُم فيه، وعليه من نسج العنكبوت ما أرى أنه قبل أن يولد محمد ووقعت حمامتان على فم الغار، فقالت قريش: لو كان فيه أحد لما كانت هناك الحمام[١].

٥- وقصته مع سراقة بن مالك بن جعشم حين الهجرة، وقد جعلت قريش فيه وفي أبي بكر الجعائل، فأنذر به، فركب فرسه واتبعه حتى إذا قرب منه دعا عليه النبي ﷺ، فساخت قوائم فرسه، فخر عنها، واستقسم، بالأزلام، فخرج له ما يكره، ثم ركب ودنا حتى سمع قراءة النبي ﷺ، وهو لا يلفت، وأبو بكر ﷺ يلتفت فقال للنبي ﷺ : أُتِيْنَا. فقال: «**لَا تَحْزَن إنَّ الله مَعَنَا**»، فساخت ثانية إلى ركبتها، وخر عنها، فزجرها فنهضت ولقوائمها مثل الدخان، فناداهم بالأمان، فكتب له النبي ﷺ أماناً، كتبه ابن فهيرة، وقيل أبو بكر، وأخبرهم بالأخبار، وأمره النبي ﷺ ألا يترك أحداً يلحق بهم، فانصرف يقول للناس: كفيتم ما ها هنا[٢]، وقيل: بل قال لهما: أراكما دعوتما علي، فادعوا لي، فنجا، ووقع في نفسه ظهور النبي ﷺ[٣].

٦- عن أبي هريرة ﷺ أن أبا جهل وَعَدَ قريشًا: لئن رأى محمدًا يصلي ليطأن رقبته، فلما صلى النبي ﷺ أعلموه، فأقبل، فلما قرب منه وَلَّى هاربًا ناكصًا على عقبيه، متقيًا بيديه، فسئل فقال: لما دنوت منه أشْرَفْتُ على خندق مملوء ناراً كدت أهوي فيه، وأبصرت هولاً عظيماً، وخفق أجنحة قد ملأت الأرض، فقال النبي ﷺ: «**لَوْ دَنَا مِنِّي لَاخْتَطَفَتْهُ المَلائِكَةُ عُضْوًا عُضْوًا**»[٤]، ثم

---

[١] «الشفا» (ج١ ص٣٥٠).

[٢] أخرجه البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، رقم: (٣٤١٩)، وأخرجه مسلم في الزهد والرقائق، باب: في حديث الهجرة: (حديث الرحل) رقم: (٢..٩).

[٣] «الشفا» (ج١ ص٣٥٠)، و«الفصول في السيرة» (ج١ ص٣٣٢).

[٤] أخرجه مسلم ، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب قوله تعالى: {إن الإنسان ليطغى، أن رآه استغنى} (ج٤ ص٢١٥٤).

أنزل على النبي ﷺ[1]: ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ۝٨ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ۝١٠ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ۝١١ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ۝١٢ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١٣ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ۝١٤ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ۝١٥ نَاصِيَةٍ كَـٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ۝١٦ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ۝١٧ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ۝١٨ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ۝١٩ ﴾[2].

ثالثًا: عصمة النبي ﷺ في أقواله وأفعاله.

وأما أقواله ﷺ فقامت الدلائل الواضحة بصحة المعجزة على صدقه، وأجمعت الأمة فيما كان طريقه البلاغ أَنَّهُ معصوم فيه من الإخبار عن شيء منها بخلاف ما هو به، لا قصدًا وعمدًا، ولا سهوًا وغلطًا[3].

أما تعمد الخُلْفِ في ذلك فمُنْتَفٍ، بدليل المعجزة القائمة مقام قول الله فيما قال اتفاقًا، وباتفاق أهل الملة إجماعًا، فقد وقع إجماع المسلمين[4] أنه لا يجوز عليه خُلْفٌ في القول في إبلاغ الشريعة، والإعلام بما أخبر به عن ربه، وما أوحاه إليه من وحيه، لا على وجه العمد، ولا على غير عمد، ولا في حالي الرضا والسخط، والصحة والمرض.

والدليل على ذلك من القرآن الكريم والسنة النبوية والمعقول:

أما الدليل من القرآن الكريم ففيما يلي:

---

(1) «تفسير أبي السعود» (ج٩ ص١٧٩)، و«تفسير ابن كثير» (ج٤ ص٦٨٣)، و«التحرير والتنوير» (ج١ ص٤٨٦٥).

(2) سورة العلق الآيات: (٦، و١٩).

(3) «الشفا» (ج٢ ص١٢٣)، و«مجمع الزوائد» (ج٨ ص٢٦٩).

(4) «تنزيه الأنبياء» (ج١ ص١٤) لأبي الحسن علي بن أحمد السبتي الأموي، ط. دار الفكر المعاصر – بيروت، ط١، ١٩٩٠، تحقيق : د.محمد رضوان الداية، و«المواقف» (ج٣ ص٤٢٥) لعضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي، دار الجيل – بيروت، ط١، (١٩٩٧) تحقيق : د.عبد الرحمن عميرة.

١- قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلۡحَقِّ مِن رَّبِّكُمۡ ﴾[١].

٢- وقوله تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْ ﴾[٢]، فلا يَصِحُّ أن يوجد منه في هذا الباب خبر بخلاف مخبره على أي وجه كان.

وأما الدليل من السنة:

فحديث أبي هريرة ﷺ أنه ﷺ قال: «إِنِّي لَا أَقُولُ إِلَّا حَقًّا»[٣].

وأما الدليل من المعقول فإنه لو جَوَّزْنَا عليه الغلط وَالسَّهْوَ، لَما تَمَيَّز لنا مِن غيره، ولاختلط الحق بالباطل، فالمعجزة مشتملة على تصديقه جملة خصوص، فتنزيه النبي عن ذلك كله واجب برهانًا وإجماعًا كما قاله أبو إسحاق[٤].

رابعًا: عصمة النبي ﷺ من الشيطان.

أجمعت الأمة على عصمة النبي ﷺ من الشيطان وكفايته منه، في جسمه وخاطره بالوساوس، وبأي أنواع الأذى. **والدليل على ذلك من السنة فيما يلي:**

١- عن عبد الله بن مسعود، قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَا مِنْكُم مِنْ أحَدٍ إلَّا وَقَد وُكِلَ بِهِ قَرِيْنُهُ مِنَ الجِنِّ**»، قَالوا وَإيَّاكَ؟ يَا رَسُولَ الله؟! قال: «**وَإيَّايَ إلَّا أنَّ الله أعَانَنِي عَلَيْهِ فَأسْلَم، فَلَا يَأمُرُنِي إلَّا بِخَيْرٍ**»[٥]، وعن عائشة: بمعناه. ورُوِيَ: «**فأسلمُ**» بضم الميم، أي: فأسلم أنا منه،

---

[١] سورة النساء، الآية: (١٧٠).

[٢] سورة الحشر آية: (٧).

[٣] أخرجه الترمذي في «سننه»، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في المزاح، رقم: (١٩٩٠)، قال أبو عيسى: «هذا حديث حسن صحيح»، وقال الشيخ الألباني: صحيح، (ج٤ ص٣٥٧)، وأخرجه أحمد في «مسنده»، (مسند أبي هريرة ﷺ)، رقم (٨٤٦٢) (ج٢ ص٣٤٠).

[٤] «الشفا» (ج٢ ص ١٢٤).

[٥] أخرجه مسلم، كتاب المنافقين، باب تحريش الشيطان رقم: (٢٨١٤) (ج٤ ص٢١٦٧).

وصحح بعضهم هذه الرواية ورَجَّحَهَا. وروي: «**فأسلمَ**» يعني:[1] القرين، أنه انتقل من حال كفره إلى الإسلام، فصار لا يأمر إلا بخير، كالمَلَكِ. ورواه بعضهم: «**فاسْتَسْلَمَ**».

٢- عن أبي هريرة، ﷺ قال ﷺ: «**إنَّ الشَّيْطَان عَرَضَ لِي فَشَدَّ عَلَيَّ لِيَقْطَعَ الصَّلَاةَ عَلَيَّ، فَأَمْكَنَنِي اللهُ مِنْهُ فَذعتُه، وَلَقَد هَمَمْتُ أنْ أوْثِقَهُ إلَى سَارِيَةٍ حَتَّى تُصْبِحُوا، فَتَنْظُرُوا إليه، فَذَكَرْتُ قَوْلَ سُلَيْمَان** عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾[2]، **فَرَدَّهُ اللهُ خَاسِئًا**»[3].

وكل هذا فقد كفاه الله أمره، وعصمه ضره وشره، فإن قيل: فما معنى قوله الله تعالى: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[4] فقد قال بعض المفسرين: إنها راجعة إلى قوله: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾[5]، ثم قال: وإما ينزعنك: أي يستخفنك غضب يحملك على ترك الإعراض عنهم فاستعذ بالله تعالى.

وقيل: النزع هنا الفساد، كما قال تعالى: .﴿مِنْ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ ﴾[6] وقيل: ينزغنك: يغرينك ويحركنك.

والنزغ: أدنى الوسوسة، فأمره الله تعالى أنه: متى تحرك عليه غضب على عدوه، أو رام الشيطان من إغرائه به وخواطر أداني وساوسه، لم يجعل له سبيل إليه: إن يستعيذ منه، فيكفى أمره، ويكون سبب تمام عصمته؛ إذ لم يسلط عليه بأكثر من التعرض له، ولم يجعل به قدرة عليه، وقد قيل في هذه الآية غير هذا، وكذلك لا يصح أن يتصور له الشيطان في صورة الملك، ويلبس عليه، لا في أول الرسالة ولا بعدها، والاعتماد في ذلك دليل المعجزة، بل لا يشك النبي أن يأتيه

---

[1] «الشفا» (ج٢ ص١١٨)، و«مجمع الزوائد» (ج٨ ص٢٧٢).

[2] سورة ص آية: (٣٥).

[3] أخرجه البخاري، في أبواب العمل في الصلاة، باب: ما يجوز من العمل في الصلاة، رقم (١١٥٢) (ج١ ص٤,٥).

[4] سورة الأعراف آية: (٢٠٠).

[5] سورة الأعراف آية: (١٩٩).

[6] سورة يوسف الآية: (١٠٠).

من الله الملك ورسوله حقيقة إما بعلم ضروري يخلقه الله له، أو ببرهان يظهره لديه، لتتم كلمة ربك صدقاً وعدلاً، لا مبدل لكلماته[1].

فإن قيل: فما معنى قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴾[2].

قال ابن حزم: ذهب جميع أهل الإسلام إلى أنه لا يجوز البتة أن يقع من نبي أصلا معصية بعمد: لا صغيرة ولا كبيرة، وهذا القول الذي ندين به ولا ندين بسواه، ولكن قد يقع منهم السهو، من غير قصد؛ أو قصد الشيء يريدون به وجه الله، لكنه لا يقرهم الله عليه؛ بل ينهاهم عن ذلك. ويظهر الله ذلك لعباده ويبينه لهم، كما في قصة ابن أم مكتوم، والسيدة زينب بنت جحش رضي الله عنها، وهذا الحكم يختلف فيه الأنبياء عن سائر البشر[3].

فالبشر غير مؤاخذين بما سَهَو فيه، وكذلك ما قصدوا به وجه الله فلم يصادف مراد الله؛ بل هم مأجورون عليه لقوله ﷺ: «**إِذَا حَكَمَ الحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ، فَلَهُ أَجْرَانِ،وإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ**»[4].

ولهذا قال ﷺ: «**مَا مِنْكُم مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَلَه شَيْطَان**»، قالوا: وأنت يا رسول الله؟ قال: «**وَأَنَا؛ إِلَّا أَنَّ الله أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ فَلَا يَأمُرُنِي إِلَّا بِخَيْرٍ**»[5] وهذا وجه الفرق.

---

(1) «صحيح مسلم» (ج٤ ص٢١٦٨)، و«كنز العمال» (١١٨,٩ - ٣١٩٥٧).

(2) سورة الحج، الآية: (٥٢).

(3) «الفصل في الملل» (ج٤ ص٢).

(4) أخرجه البخاري، كتاب الإعتصام بالكتاب والسنة، باب أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ، رقم (٦٩١٩) (ج٦ ص ٢٦٧٥)، وأخرجه مسلم، كتاب الأقضية، باب بيان أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ، رقم (١٧١٦) (ج٣ ص١٣٤٢).

(5) أخرجه مسلم في «صحيحه»، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب: تحريش الشيطان وبعثه سراياه لفتنة الناس وأن مع كل إنسان قرينا، رقم: (٢٨١٤) (ج٤ ص٢١٦٧).

عِصْمَتُهُ فيما يتصل بأمور الدنيا وأحوال نفسه.

اتفق العلماء على: أن ما ليس سبيله من الأخبار التي لا مُسْتَنَدَ لَهَا إلى الأحكام، ولا أخبار المعاد، ولا تضاف إلى وحي؛ بل في أمور الدنيا وأحوال نفسه، فالذي يجب اعتقاده تنزيه النبي ﷺ أن يَقَعَ خَبَرُه في شيء من ذلك بخلاف مخبره، لا عمدًا ولا سهوًا ولا غلطًا، وأنه معصوم من ذلك في حال رضاه وفي سخطه، وجده ومزحه وصحته ومرضه[1].

والدليل على ذلك ما يلي:

١- اتفاق السلف وإجماعهم إلى تصديق جميع أحواله، والثقة بجميع أخباره في أي باب كانت، وعن أي شيء وقعت، وأنه لم يكن لهم توقف ولا تردد في شيء منها، ولا استثبات عن حاله عند ذلك، هل وقع فيها سهو أم لا؟

وأنه لما احتج ابن أبي الحقيق اليهودي على عمر حين أجلاهم من خيبر بإقرار رسول الله ﷺ، احتج عليه عمر رضي الله عنه بقوله ﷺ: «**كَيْفَ بِكَ إِذَا أَخْرَجْتَ مِن خَيْبَر؟**» فقال اليهودي: كانت هزيلة من أبي القاسم، فقال عمر: كذبت يا عدو الله[2].

٢- أن تَعَمُّدَ الكَذِبِ في أمور الدنيا معصية، والإكثار منه كبيرة بإجماع، مسقط للمروءة، وكل هذا مما ينزه عنه منصب النبوة[3].

سادسًا: عصمة الأنبياء من الفواحش والكبائر والصغائر.

أجمع المسلمون على عصمة الأنبياء من الفواحش والكبائر الموبقات، ومستند الجمهور في ذلك الإجماع[1]، وكذلك لا خلاف أنهم معصومون من كتمان الرسالة والتقصير في التبليغ؛ لأن كل ذلك تقتضي العصمة منه المعجزة، مع الإجماع على ذلك من الكافة [2].

---

[1] «الشفا» (ج٢ ص١٣٥).

[2] أخرجه البخاري، كتاب الشروط، باب إذا اشترط في المزارعة إذا شئت أخرجتك، رقم: (٢٥٨٠) (ج٢ ص٩٧٣).

[3] «الشفا» (ج٢ ص١٣٦)، و«سنن الترمذي» (ج٥ ص٤٨٢).

والجمهور قائلون بأنهم معصومون من ذلك من قبل الله معتصمون باختيارهم وكسبهم إلا حسينا النجار، فإنه قال: لا قدرة لهم على المعاصي أصلاً[٣].

وأما الصغائر فجوزها جماعة من السلف وغيرهم على الأنبياء، وهو مذهب أبي جعفر الطبري، وغيره من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين[٤].

وذهبت طائفة أخرى من المحققين والمتكلمين إلى عصمتهم من الصغائر كعصمتهم من الكبائر، وهو الراجح[٥].

وأما المباحات فجائز وقوعها منهم؛ إذ ليس فيها قدح، بل هي مأذون فيها، وأيديهم كأيدي غيرهم مسلطة عليها، إلا أنهم بما خصوا به من رفيع المنزلة، وشرحت له صدورهم من أنوار المعرفة، واصطفوا به من تعلق هممهم بالله والدار الآخرة، لا يأخذون من المباحات إلا الضرورات، مما يتقوون به على سلوك طريقهم، وصلاح دينهم، وضرورة دنياهم، وما أخذ على هذه السبيل التحق طاعة، وصار قربة[٦].

---

(١) «موطأ مالك» (ج١ ص١٠٠)، و«تفسير القرطبي» (ج٢ ص١٢٥)، و««تفسير البيضاوي»» (ج١ ص٣,٣)، و«المواقف» (ج٣ ص٤٢٥)، و«تفسير أبي السعود» (ج١ ص١٥٦)، و«الملل والنحل» (ج١ ص١٤٥)، و«عمدة القاري» (ج٢٣ ص١٥٥).

(٢) «مسند أحمد» (ج٣ ص١٤)، و«تفسير القرطبي» (ج٢٠ ص٢٣٣).

(٣) «الشفا» (ج٢ ص١٤٤).

(٤) «التحرير والتنوير» (ج١ ص٢٥)، وفي عصمة الأنبياء من الصغائر خلاف بين أصحاب الأشعري وبين الماتريدي، وهي في كتب الكلام على أن نبوءة آدم فيما يظهر كانت بعد النزول إلى الأرض، فلم تكن له عصمة قبل ذلك؛ إذ العصمة عند النبوءة.

(٥) «الشفا» (ج٢ ص١٤٤).

(٦) «الشفا» (ج٢ ص١٤٥).

المبحث الرابع

من الخصائص الأخلاقية والخِلقية للنبي ﷺ.

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: من الخصائص الأخلاقية للنبي ﷺ.

المطلب الثاني: من الخصائص الخِلقية للنبي ﷺ.

المطلب الأول

من الخصائص الأخلاقية للنبي ﷺ.

كل من تعرف على شيء من الأخلاق المحمدية لا يسعه إلا أن يقول: أن الأخلاق الحميدة، والفضائل المجيدة، وخصال الكمال البشرى كلها مأخوذة من رسول الله ﷺ[1]؛ لقد بلغ رسول الله ذروة الكمال الإنساني في أخلاقه وخصاله وفي جميع جوانب حياته، وهو وجهٌ من وجوه الإعجاز الأخلاقي. وإذا كان حاتم الطائي مضرب المثل في الكرم حتى إنه ذبح فرسه وقدمه طعامًا لضيفانه، وعنترة كان مثالاً في الشجاعة والفروسية، لم يبل في الحروب أحدٌ بلاءه، وقيس بن سعد بن عبادة بلغ الذروة في الدهاء، ولولا الورع ما غلبه خصومه في خصومة قط، فإن تفوق النبي ﷺ شمل كل هذه الجوانب، وبلغ ذروتها، وتربع على عرشها دون منازع[2].

ولهذا يذكر المحققون من العلماء أن الأنبياء وإن شاركوا النبي ﷺ فى بعض الخصائص والفضائل النبوية وكذا اتصف بها نفر من أمته من بعده: لكنه ﷺ خص بأعلاها وأكملها، فهو الأكمل خُلقا، والأخلاق من قبله دالة عليه، ومن بعده مستمدة منه، ومن ذلك خصوصيته ﷺ بعظيم الصفات ومكارم الأخلاق، وهذا يعني انتشار أنوار الشمائل المحمدية في الأخيار من كافة البرية، ومن الأمة المحمدية بما يعني أن أنواره ﷺ ملأت الكون من قبل ولادته ومن بعدها، وذلك لأن الله تعالى ربى حبيبه وأدبه على الكمال كله بالأخلاق الحميدة، والآداب الشريفة التي اتفق جميع العقلاء على تفضيل صاحبها، وتعظيم المتصف بالخُلق الواحد منها، فضلاً عما فوقَه، وأثنى الشرع على جميعها، وأمر بها، ووعد السعادة الدائمة للمتخلق بها، ووصف بعضها بأنه من أجزاء النبوة، وهي المسماة بحسن الخلق، وهو الاعتدال في قوى النفس وأوصافها، والتوسط فيها، فكلها كانت خلق نبينا محمد ﷺ على الانتهاء في كمالها، والاعتدال إلى غايتها، حتى أثنى الله

---

[1] «تحفة الأحوذي» (ج١٠ ص٨٢)، و«عون المعبود» (ج١٣ ص٩٤)، و«بداية السول في تفضيل الرسول» للعز بن عبد السلام (ص: ٤٢).

[2] {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ} جمع وترتيب أبى عبد الرحمن سلطان على (ص: ٦٧).

بذلك عليه، فقال تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[1]، وقالت السيدة عائشة رضي الله عنها: «**كَانَ خُلُقُه القُرْآنُ**»[2]، يرضى برضاه، ويسخط بسخطه، وقال ﷺ: «**بُعِثْتُ لِأتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلَاقِ**»[3]، ومن تأمل هذا المعنى يجد أنه ﷺ لم يبعث بالأخلاق، وكذلك لم يبعث بمكارم الأخلاق، وإنما ليتمم مكارم الأخلاق، أي: يعليها ويزكيها، وكيف يتمم مكارم الأخلاق وهو غير متصف بها؟ فلا بد أن يكون على أعلى درجة من أتمها وعاليها، بل يكون هو في رتبة أعلى من مكارم الأخلاق، وهو معنى الزيادة في الكمال البشري، والزيادة في الكمال النبوي.

وما أحسن ما قاله قاضي المدينة المنورة – القاضي عياض – في هذا المعنى: الأخلاق الحميدة، والفضائل المجيدة، وخصال الكمال العديدة، كلها مأخوذة من رسول الله ﷺ، والأمر أوسع من أن ينظر فيه بشر، فمجال هذا الباب في حقه ﷺ ممتد، وتنقطع دون نفاده الإدلاء، وبحر علم خصائصه زاخر لا تكدره الدلاء[4].

ويلاحظ أنه ﷺ لم يَقُل: بعثت بالأخلاق، ولم يقل: بعثت لأتمم ألأخلاق، وإنما قال: لأتمم مكارم الأخلاق، ولاشك أن من يتمم مكارم الأخلاق يكون موصوفًا بما هو أعلى من مكارم الأخلاق، وهذا واضح في قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ أي: فوق الأخلاق العالية العظيمة؛ ولهذا روي عن الصحابة أجمعين أنه ﷺ: أحسن الناس وأبهى الناس وأكرم الناس

---

[1] سورة القلم الآية: (٤).

[2] أخرجه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب جامع صلاة الليل ومن نام عنه أو مرض، رقم: (٧٤٦) (ج١ ص٥١٢).

[3] أخرجه الحاكم في «المستدرك»، كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين، ومن كتاب آيات رسول الله ﷺ التي هي دلائل النبوة، رقم: (٤٢٢١) (ج٢ ص٦٧٠)، وقال: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه»، وتعليق الذهبي في التلخيص: «على شرط مسلم»، وفي «شرح الزرقاني» (ج٤ ص٣٢١) بلفظ: «حسن الأخلاق»، ورواه البزار وإسناده حسن، باب: في حسن خلقه وحيائه وحسن معاشرته، وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأتَمِّم صَالِح الأخْلَاق»، وأخرجه أحمد ورجاله رجال الصحيح، وأخرجه البزار إلا أنه قال: «لأتَمِّم مَكَارِمَ الأخْلَاق». «مجمع الزوائد» (ج٨ ص١٨٨).

[4] «الشفا» للقاضي عياض (ج١ ص١٥٣)، و«عون المعبود» (ج١٣ ص٩٤).

وأجود الناس، وكان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقاً وخلقا، فعن أنس ﷺ قال: «**كان النبي ﷺ أحْسَنَ النَّاسِ وَأشْجَعَ النَّاسِ وَأجْوَدَ النَّاسِ**»[1].

وعن البراء قال: كان رسول الله ﷺ أحْسَنَ النَّاسِ وَجْهًا وأحْسَنَهُم خُلُقًا[2].

ووجه الخصوصية: ما ذكره المحققون أنه ﷺ كان مجبولاً على المكارم في أصل خلقته وأول فطرته، وأنها لم تحصل له باكتساب ولا رياضة؛ ولكن بجود إلهي وخصوصية ربانية، ووجه تمام الكمال والخصوصية فيه قوله ﷺ: «**أدَّبَنِي رَبِّي فَأحْسَنَ تَأدِيْبِي**»[3].

وهذا يعني أن الفضائل كلها اجتمعت، واكتملت في النبي ﷺ فبلغت الكمال البشرى؛ بل والكمال النبوي، وأدل دليل على ذلك أن الله سبحانه أقسم بأشياء عظيمة، ليعلم العقل البشري حقيقتها، ولا يحيط بعظمتها على عظمة أخلاقه ﷺ فقال: ﴿ نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ۝١ مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ ۝٢ وَإِنَّ لَكَ لَأَجۡرًا غَيۡرَ مَمۡنُونٖ ۝٣ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ﴾[4]، وعن عائشة ﵂ أنها قالت: إنَّ خُلُقَ نبي الله ﷺ كان القرآن[5]، **ومعنى هذا**: أنه ﷺ قد ألزم نفسه ألا يفعل إلا ما أمره به القرآن، ولا يترك إلا ما نهاه عنه، فصار امتثال أمر ربه خلقاً له وسجية، صلوات الله وسلامه عليه إلى يوم الدين.

---

(1) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الشجاعة في الحرب والجبن، رقم: (٢٦٦٥) (ج٣ ص١,٣٨)، وأخرجه مسلم، في الفضائل، باب: في شجاعة النبي ﷺ وتقدمه للحرب، رقم: (٢٣,٧) (ج٤ ص١٨,٢).

(2) أخرجه البخاري، كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ، رقم: (٣٣٥٦) (ج٣ ص١٣,٣)، وأخرجه مسلم في الفضائل، باب: في صفة النبي ﷺ وأنه كان أحسن الناس وجها، رقم: (٢٣٣٧).

(3) ذكره المتقي الهندي في: «كنز العمال»، كتاب الفضائل من قسم الأفعال، الفصل الثالث في: فضائل متفرقة تُنْبِئ عَنْ التَّحَدُّثِ بِالنِّعَم وفيه ذكر نسبه، رقم: (٣١٨٩٥) (ج١١ ص٥٣٤)، وقال: «إسناده ضعيف»، وكشف الخفاء، حرف الهمزة، الهمزة مع الدال المهملة، رقم: (١٦٤) (ج١ص٦٧)، وقال ابن تيمية: «لا يعرف له إسناد ثابت»، لكن قال في «الدرر»: صححه أبو الفضل ابن ناصر، وقال في «اللآلئ»: «معناه صحيح؛ لكن لم يأت من طريق صحيح»، وذكره ابن الجوزي في: «الأحاديث الواهية»، فقال: «لا يصح ففي إسناده ضعفاء لا مجاهيل».

(4) سورة القلم الآيات: (١، و٢، و٣، و٤).

(5) الحديث سبق تخريجه.

وقد قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ [1]﴾ ، فكانت أخلاقه ﷺ أشرف الأخلاق، وأكرمها، وأبرها، وأعظمها، وأعلى من أعلاها، فأخلاقه هي الهداية عينها؛ لأنها القرآن الكريم الذي يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا، ولا يخفي أنه ﷺ أول من عمل بالقرآن، وأول المؤمنين، وإمام الذين علموا الخلق عبادة رب العالمين جل وعلا، فكان ﷺ أشجع الناس، وأشجع ما يكون عند شدة الحروب وقد روي أنه قال: «**أَدَّبَنِي رَبِّي فَأَحْسَنَ تَأْدِيْبِي**»[2].

وعن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَنَّ اللهَ أَدَّبَنِي فأَحْسَنَ تَأْدِيْبِي، ثُمَّ أَمَرَنِي بِمَكَارِمِ الأَخْلَاقِ فَقَالَ:** ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴾[3].

قال أبو بكر ﷺ: ما رأيت أفصح منك فمن أدبك يا رسول الله قال: «**أَدَّبَنِي رَبِّي وَنَشَأْتُ فِي بَنِي سَعْدٍ**»[4] وهو وإن كان فيه ضعف لكن قال ابن حجر: معناه صحيح[5]؛ ولهذا لا يمكن

---

[1] سورة الإسراء آية: (٩).

[2] «كشف الخفاء» (ج١ ص٧٢)، وقال ابن تيمية: «لا يعرف له إسناد ثابت، لكن قال في «الدرر»: صححه أبو الفضل ابن ناصر، وقال في «اللآلئ»: معناه صحيح؛ لكن لم يأت من طريق صحيح»، وذكره ابن الجوزي في «الأحاديث الواهية» فقال: «لا يصح، ففي إسناده ضعفاء لا مجاهيل»، وأسنده سِبْطُه في «مرآة الزمان» بطرق كلها تدور على: السدي عن علي بن أبي طالب أنه قال: يا رسول الله كلنا من العرب، فما بالك أفصحنا، فقال: «**أَتَانِي جِبْرِيلُ بِلُغَةِ إِسْمَاعِيْل وَغَيْرِهَا مِنَ اللغَاتِ، فَعَلَّمَنِي إِيَّاهَا**»، قال السبط: والسدي اسمه: عبد الرحمن إمام كل فن، وعنه نقل التفسير والقصص وغيرهما، قال: وقد ذكره جدي في «زاد المسير» وعامة كتبه». «كشف الخفاء» (ج١ ص٧).

[3] سورة الأعراف الآية: (١٩٩).

[4] «كشف الخفاء»، حرف الهمزة، الهمزة مع الدال المهملة، رقم: (١٦٤) (ج١ص٦٧)، وقال ابن تيمية: «لا يعرف له إسناد ثابت، لكن قال في «الدرر»: صححه أبو الفضل ابن ناصر، وقال في «اللآلئ»: معناه صحيح، لكن لم يأت من طريق صحيح».

[5] قال في «الأصل»: رواه العسكري عن علي ﷺ قال: قدم بنو نهد بن زيد على النبي ﷺ فقالوا: أتيناك من غوري تهامة، وذكر خطبتهم وما أجابهم به النبي ﷺ قال: فقلنا يا نبي الله نحن بنو أب واحد ونشأنا في بني سعد بن بكر»، وسنده ضعيف جدا، وإن اقتصر شيخنا – يعني: الحافظ ابن حجر – على الحكم عليه تقليبها في بعض فتاويه، ولكن معناه صحيح. «كشف الخفاء» (ج١ ص٧٢).

لأحد قط أن يضاهيه في محاسن ومعالي الأخلاق فكان ﷺ أكرم الناس وأفضل الناس[1]، وكان ﷺ أعلم الخلق بالله، وأفصح الخلق نطقًا، وأنصح الخلق للخلق، وأحلم الناس، وكان ﷺ أشد الناس تواضعًا في وقار، صلوات الله وسلامه عليه إلى يوم الدين، في السيرة أنه ﷺ لما دخل مكة يوم الفتح جعل يطأطئ رأسه من التواضع، حتى إن مقدم رحله ليصيب عثنونه، وهو من شعر اللحية[2].

وكان ﷺ أشد حياء من العذراء في خدرها، ومع ذلك فهو أشد الناس بأسًا في أمر الله، وهكذا مدح الله ﷻ أصحابه، حيث قال تبارك وتعالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴾[3]، ومن طالع سير الأنبياء منذ صباهم إلى مبعثهم حقق ذلك، كما عرف من حال عيسى وموسى، ويحيى، وسليمان، وغيرهم عليهم السلام؛ بل غرزت فيهم هذه الأخلاق في الجبلة، وأودعوا العلم والحكمة في الفطرة، قال الله تعالى: ﴿وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾[4]، قال المفسرون: أعطي يحيى العلم بكتاب الله تعالى في حال صباه.

---

[1] «صحيح مسلم» (ج٤ ص١٨,٣).

[2] «الفصول في السيرة» (ج١ ص٢٦٤).

[3] سورة الفتح آية: (٢٩).

[4] سورة مريم الآية: (١٢).

وقال معمر[1]: عنه ﷺ قال: «**رَحِمَ الله أخِي يَحْيَى حِيْنَ دَعَاهُ الصِّبْيَانُ إلَى اللعِبِ وَهُوَ صَغِيْرٌ فَقَال: أللَّعِبِ خُلِقْتُ!**»[2].

ولهذا قال الماوردي: فضائل سيدنا محمد ﷺ ثابتة قبل النبوة، وكيف لا وهو المهيأ لأشرف الأخلاق وأجمل الأفعال، المؤهل لأعلى المنازل وأفضل الأعمال، لأنها أصول تقود إلى ما ناسبها ووافقها، وتنفرد مما باينها وخالفها، ولا منزلة في العالم أعلى من النبوة التي هي سفارة بين الله تعالى وعباده تبعث على مصالح الخلق وطاعة الخلق [3]، وأعلى منازل النبوة منزلة خاتم النبيين وإمامهم وخطيبهم وشفيعهم فبلا شك لم يكن في الخلق من قاربه في فضله، ولا داناه في كماله خلقاً وخلقاً وقولاً وفعلاً، بل ولم تشهد الدنيا نبيًّا مثله في كمال أدبه وخلقه، وجميع صفته وبذلك وصفه الله تعالى في كتابه بقوله: ﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ** ﴾[4]، وقال ﷺ: «**أدَّبَنِي رَبِّي فَأحْسَنَ تَأدِيْبِي**»[5]؛ ولهذا صح أن يقسم الله على عظمة تلك الأخلاق المحمدية في كتابه، فإنه سبحانه لا يقسم إلا على الأشياء العظيمة التي تستحق أن يقسم الله تعالى عليها، لاسيما أنه ﷻ أقسم بأشياء عظيمة جدا، لا يحيط العقل البشري بها وهي: ﴿ نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ﴾ [6] ليس على نفي التهم المنسوبة إليه فقط،كما في قوله: ﴿ مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ ﴾[1]

---

[1] هو: معمر بن راشد بن أبي عمرو، أبو عروة، الأزدي، الحداني بالولاء، فقيه حافظ للحديث، متقن، ثقة، من أهل البصرة، روى عن ثابت البناني وقتادة والزهري وعاصم الأحول وصالح بن كيسان وعبد الله بن طاوس وغيرهم، وعنه شيخه يحيى بن أبي كثير وعمرو بن دينار وأبو إسحاق السبيعي وابن المبارك وابن عيينة وعيسى بن يونس وغيرهم، وقال ابن معين والنسائي: ثقة، وقال عمرو بن علي: كان من أصدق الناس، توفي (سنة: ١٥٣هـ). «تهذيب التهذيب» (ج١٠ ص٢٤٣)، و«الأعلام» (ج٨ ص١٩٠).

[2] «كنز العمال» كتاب الفضائل من قسم الأفعال، باب: يحيى بن زكريا عليهما الصلاة والسلام، رقم: (٣٢٤٢٥)، (ج١١ ص٧٢٩).

[3] «أعلام النبوة» (ج١ ص٢٥٤).

[4] سورة القلم آية: (٥).

[5] سبق تخريجه.

[6] سورة القلم آية: (١).

وليس على أنه ﷺ بلغ الدرجات العالية من الأخلاق الفاضلة فقط، وإنما على أنه ﷺ على خلق عظيم، وفي تأكيد الكلام بأن والقسم والجملة الاسمية كل ذلك دلالات على أن الأمر كبير حقًا وعظيم.

وقد ذكر القاضي عياض رحمه الله فصلا في كمال خلق النبي ﷺ ومنه قوله: وعلى هذا فالكمال المعتبر في البشر يكون من أربعة أوجه:

أحدها: كمال الخَلْق.

والثاني: كمال الخُلُق.

والثالث: فضائل الأقوال.

والرابع: فضائل الأعمال.

وكل ذلك مكتمل فيه من غير خلاف، وأنه فوق أعلى درجات الأخلاق العلية والعظيمة، وفيما يلي جانب يسير من بعض هذه الصفات وشيء من المكارم والأخلاق التي اتصف بها سيد الخلق ﷺ على سبيل المثال لا الحصر، فالحصر لا مكان له في هذا الباب، **ومن ذلك ما يلي**:

١) من خصائصه ﷺ الأخلاقية: خلق الحياء، وحسنه وبهائه باتصاف سيد الخلق به.

أما معناه: فالحياء رقة تعتري وجه الإنسان عند فعل ما يتوقع كراهته، أو ما يكون تركه خيرًا من فعله.

والإغضاء: التغافل عما يكره الإنسان بطبيعته.

ومصدر الحياء هو النبي المصطفى ﷺ؛ ولهذا وصفه كل العلماء بقولهم: كان النبي ﷺ الأشد حياء، وأكثرهم عن العورات إغضاء، وكما قال الله سبحانه: ﴿ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ

---

(١) سورة القلم آية: (٢).

فَيَسْتَحْيِۦ مِنكُمْۖ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْيِۦ مِنَ ٱلْحَقِّۚ﴾[1] الآية. وبهذا الوصف الذي ذكـــره الله في القرآن زاد ت صفة الحياء بهاءً على بهائها إذ لا يوجد أحد أفضل منه ﷺ يوصف به.

وعن أبي سعيد الخدري[2] ﷺ : كان رسول الله ﷺ أشد حياء من العذراء في خدرها، وكان إذا كره شيئاً عرفناه في وجهه[3]؛ ولهذا جعل ﷺ الحياء خلق الإسلام، فقال ﷺ : «**إنَّ لِكُلِّ دِيْنٍ خُلُقًا وخُلُقُ الإسْلَامِ الحَيَاءُ**»[4].

وما ذلك إلا لأهميته من بين سائر الأخلاق؛ لأنه إذا لم تستح فاصنع ما شئت، وكان ﷺ لطيف البشرة، رقيق الظاهر، لا يُشَافِهُ أحدًا بما يكرهه حياءً وكَرَمَ نَفْسٍ، وعن عائشة ﷺ : كـــان النبي ﷺ إذا بلغه عن أحد ما يكرهه لم يقل: ما بال فلان يقول كذا؟ ولكن يقول: ما بال أقوام يصنعون، أو يقولون كذا ! ينهى عنه، ولا يسمى فاعله[5].

وروى أنس ﷺ أنه دخل عليه رجل به أثر صفرة، فلم يقل له شيئًا، وكان ﷺ لا يواجه أحـــدًا بما يكره، فلما خرج قال: «**لَو قُلْتُم لَهُ: يَغْسِلُ هَذَا**»[6].

وعن عبد الله بن عمرو ﷺ قال: لم يكن النبي ﷺ فاحشًا ولا متفحشًا، وكان يقول: «**إنَّ مِن خِيَارِكُم أحْسَنُكُم أخْلاقًا**»[1].

---

[1] سورة الأحزاب آية: (٥٣).

[2] «الشمائل المحمدية والخصائص المصطفوية» للترمذي (ص: ١٢٥) ط١، (١٤٢٤ هـــ) نشر مكتبة نزار بالرياض.

[3] أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب من لم يواجه الناس بالعتاب، رقم: (٥٧٥١) (ج٥ ص٢٢٦٣)، كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ،رقم: (٣٣٦٩) (ج٣ ص١٣,٦)، وأخرجه مسلم في الفضائل، باب: كثرة حيائه ﷺ، رقم: (٢٣٢٠)، (ج٤ ص١٨,٩).

[4] «الموطأ» رواية يحيى الليثي، كتاب حسن الخلق، باب ما جاء في الحياء، رقم (١٦١٠) (ج٢ ص٩,٥)، أخرجه ابن ماجه في «سننه»، كتاب الزهد، باب الحياء، رقم: (٤١٨١) (ج٢ ص١٣٩٩)، وقال الشيخ الألباني: حسن.

[5] «عيون الأثر» (ج٢ ص٤٣٤)، «الشفا» (ج١ ص١١٩).

[6] «مختصر الشمائل»، باب ما جاء في خلق رسول الله ﷺ، رقم: (٢٩٧) (ج١ ص١٨١).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: لم يكن النبي ﷺ فاحشًا ولا متفحشًا ولا صخابًا بالأسواق، ولا يجزي بالسيئة، السيئة، ولكن يعفو ويصفح[٢].

وقد حكي مثل هذا الكلام عن التوراة عبد الله بن سلام، وعبد الله بن عمرو بن العاص وروي عنه أنه كان من حيائه ﷺ لا يثبت بَصَرَهُ في وجه أحد.

وهذا شيء عظيم من أسرار أخلاقه التي دعا إليها الأمة للتحلي بها في الدنيا؛ كي تعظم في الآخرة.

كما أنه ﷺ كان يُكَنِّي عما اضطره الكلام إليه مما يكره، وكذا ما روي عن عائشة: ما رأيت فرج رسول الله ﷺ قط[٣].

٢) من خصائصه الأخلاقية: الجود، والكرم، والسماحة التي لم توجد في أحد كما هي عند رسول الله ﷺ.

وأما الجود والكرم، والسخاء والسماحة: فمعانيها متقاربة، وقد فرق بعضهم بينها بفروق، فجعلوا الكرم الإنفاق بطيب النفس فيما يعظم خطره ونفعه، وسموه أيضًا حرية، وهو ضد النذالة[٤]، **والسماحة**: التجافي عما يستحقه المرء عند غيره بطيب نفس، وهو ضد الشكاسة.

---

[١] أخرجه البخاري، كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ، رقم (٣٣٦٦)، (ج٣ ص١٣,٥)، وأخرجه مسلم في الفضائل باب كثرة حيائه ﷺ، رقم: (٢٣٢١)، (ج٤ ص١٨١١).

[٢] أخرجه الترمذي في «سننه»، باب: ما جاء في خلق النبي ﷺ، رقم (٢,١٦) (ج٤ ص٣٦٩)، وأخرجه ابن حبان في «صحيحه»، كتاب التاريخ، باب من صفته ﷺ وأخباره، رقم: (٦٤٤٣) (ج١٤ ص٣٥٥).

[٣] أخرجه أحمد في «مسنده»، (حديث السيدة عائشة رضي الله عنها)، رقم: (٢٤٣٨٩)، وقال شعيب الأرنؤوط: «إسناده ضعيف لإبهام الراوي عن عائشة»، (ج٦ ص٦٣)، أخرجه ابن ماجه في «سننه»، كتاب الطهارة وسننها، باب النهي أن يرى عورة أخيه، رقم: (٦٦٢)، (ج١ ص٢١٧)، باب التستر عند الجماع، ورقم: (١٩٢٢) (ج١ص ٦١٩).

[٤] «الشفا» (ج١ ص١١١).

والسخاء: سهولة الإنفاق، وتجنب اكتساب ما لا يحمد، وهو الجود، وهو ضد التقتير، وكان ﷺ لا يوازى في هذه الأخلاق الكريمة، ولا يبارى، بهذا وصفه كل من عرفه، وقد كان ﷺ موصوفًا بالمعالي العالية، والمراتب الفاضلة من محاسن الأخلاق، وصالحها وأحسنها، وكذلك في السخاء والجود لم يضاهيه أحد من الخلق في جوده، وعطائه، حتى يحسبه من عرف كيف كان جوده، أنه مخصوص به دون غيره **وقد رويت أحاديث كثيرة في ذلك منها ما يلي:**

١- عن ابن المنكدر[١] قال، سمعت جابر بن عبد الله ﷺ يقول: ما سئل النبي ﷺ عن شيء - من متاع الدنيا - فقال: لا[٢].

٢- وقال ابن عباس ﷺ: كان النبي ﷺ أجود الناس بالخير، وأجود ما كان في شهر رمضان، وكان إذا لقيه جبريل عليه السلام أجود بالخير من الريح المرسلة[٣].

٣- وعن أنس ﷺ أن رجلاً سأله فأعطاه غنمًا بين جبلين، فرجع إلى بلده، وقال: أسلِمُوا، فإن محمدًا يعطي عطاء من لا يخشى فاقة[٤]، وأعطى غير واحد مائة من الإبل، وأعطى صفوان مائة ثم مائة ثم مائة، وهذه كانت حاله ﷺ قبل أن يبعث، وقد قال له ورقة بن نوفل: إنك تحمل الكل وتكسب العدوم.

---

[١] هو: محمد بن المنكدر بن عبد الله بن الهدير، أبو بكر، القرشي، التميمي، أحد الأئمة «الأعلام»، زاهد، من رجال الحديث، أدرك بعض الصحابة، وروى عنه، له نحو مائتي حديث، قال ابن عيينة: ابن المنكدر من معادن الصدق، ويجتمع إليه الصالحون، ولم يدرك أحد أجدر أن يقبل الناس منه، توفي (سنة: ١٣٠ هـ). «تهذيب التهذيب» (ج٩ ص٤٧٣ – ٤٧٥)، و«الأعلام» (ج٧ ص٣٣٣).

[٢] أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب حسن الخلق والسخاء وما يكره من البخل، رقم: (٥٦٨٧) (ج٥ ص٢٢٤٤)، وأخرجه مسلم في الفضائل باب ما سئل رسول الله ﷺ شيئا قط، فقال: لا، رقم: (٢٣١١).

[٣] أخرجه البخاري، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، رقم (٦) (ج١ ص٦)، وأخرجه مسلم في الفضائل باب كان النبي ﷺ أجود الناس بالخير، رقم: (٢٣,٨).

[٤] أخرجه مسلم، كتاب الفضائل، باب ما سئل رسول الله ﷺ شيئا قط، فقال: لا، وكثرة عطائه، رقم: (٢٣١٢) (ج٤ ص ١٨,٦).

٤- وجاءه رجل، فسأله فقال: «**مَا عِنْدِي شَيءٌ وَلَكِن ابْتَع عَلَيَّ، فَإذَا جَاءَنَا شَيءٌ قَضَيْنَاهُ**»[١]، فقال له عمر: ما كلفك الله ما لا تقدر عليه، فكره النبي ﷺ ذلك، فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله، أنفق ولا تخف من ذي العرش إقلالاً، فتبسم النبي ﷺ، وعرف البشر في وجهه، وقال: «**بِهَذا أمِرْتُ**»[٢].

٣) من خصائصه أنه لم يماثله أحد في وفور شفقته ورأفته، وسعة رحمته لجميع الخلق ﷺ.

وأما الشفقة والرأفة والرحمة لجميع الخلق ثم بالأمة فمن رحمته بالأمة قال الله تعالى فيه: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[٣].

ومن رحمته بالكافة قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾[٤].

قال بعض العلماء: من فضله عليه الصلاة السلام أن الله تعالى أعطاه اسمين من أسمائه، فقال: ﴿ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾، فقد زين الله تعالى محمدًا ﷺ بزينة الرحمة، فكان رحمة، وجميع شمائله وصفاته رحمة على الخلق، فمن أصابه شيء من رحمته فهو الناجي في الدارين من كل مكروه، والواصل فيهما إلى كل محبوب، ألا ترى أن الله يقول: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً

---

[١] «مختصر الشمائل المحمدية»، باب ما جاء في خلق رسول الله ﷺ، رقم: (٣٣٦٩) (ج١ ص١٨٥)، وانظر: «تخريج أحاديث الإحياء»، وقال العراقي: «أخرجه الترمذي في «الشمائل» من حديث عمر، وفيه: موسى بن علقمة القروي لم يروه غير ابنه هارون، رقم: (٣٤٨) (ج٢ ص٣١٤).

[٢] «كنز العمال»، كتاب «الشمائل» من قسم الأفعال الذي ذكره الشيخ جلال الدين رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه جمع الجوامع، باب سخاؤه ﷺ رقم: (١٨٦٣٧) (ج٧ ص٣٥٢).

[٣] سورة التوبة، الآية: (١٢٨).

[٤] سورة الأنبياء، الآية: (١,٧)، و«بداية السول في تفضيل الرسول» للعز بن عبد السلام (ص: ٤٣).

لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾، فكانت حياته رحمة، ومماته رحمة، كما قال عليه السلام: «**حَيَاتِي خَيْرٌ لَكُمْ تُحَدِّثُونَ وَيُحَدَّثُ لَكُمْ ، وَوَفَاتِي خَيْرٌ لَكُمْ تُعْرَضُ عَلَيَّ أَعْمَالُكُمْ ، فَمَا كَانَ مِنْ حَسَنٍ حَمِدْتُ اللَّهَ عَلَيْهِ ، وَمَا كَانَ مِنْ سَيِّئٍ اسْتَغْفَرْتُ اللَّهَ لَكُمْ**»[1]، وكما قال عليه الصلاة والسلام: «**إِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ إِذَا أَرَادَ رَحْمَةَ أُمَّةٍ مِنْ عِبَادِهِ، قَبَضَ نَبِيَّهَا قَبْلَهَا، فَجَعَلَهُ لَهَا فَرَطًا وَسَلَفًا بَيْنَ يَدَيْهَا، وَإِذَا أَرَادَ هَلَكَةَ أُمَّةٍ، عَذَّبَهَا وَنَبِيُّهَا حَيٌّ، فَأَهْلَكَهَا وَهُوَ يَنْظُرُ، فَأَقَرَّ عَيْنَهُ بِهَلَكَتِهَا حِينَ كَذَّبُوهُ وَعَصَوْا أَمْرَهُ**»[2].

ومن فرط شفقته ﷺ على أمته مبالغته في تحذيرهم مما يضرهم، **ومما يدل على ذلك ما يلي:**

١- قوله ﷺ: «**مَثَلِي وَمَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ، كَمَثَلِ رَجُلٍ أَتَى قَوْمًا فَقَالَ: رَأَيْتُ الجَيْشَ بِعَيْنَيَّ، وَإِنِّي أَنَا النَّذِيرُ العُرْيَانُ، فَالنَّجَا النَّجَاءَ، فَأَطَاعَتْهُ طَائِفَةٌ فَأَدْلَجُوا عَلَى مَهْلِهِمْ فَنَجَوْا، وَكَذَّبَتْهُ طَائِفَةٌ فَصَبَّحَهُمُ الجَيْشُ فَاجْتَاحَهُمْ**»[3].

قال العلماء: أصله أن الرجل إذا أراد إنذار قومه وأعلامهم بما يوجب المخافة نزع ثوبه، وأشار به إليهم إذا كان بعيدًا منهم ليخبرهم بما دهمهم، وأكثر ما يفعل هذا ربيئة القوم، وهو طليعتهم ورقيبهم.

قالوا: وإنما يفعل ذلك؛ لأنه أبين للناظر، وأغرب وأشنع منظرًا، فهو أبلغ في استحثاثهم في التأهب للعدو.

وقيل معناه: أنا النذير الذي أدركني جيش العدو فأخذ ثيابي فأنا أنذركم عريانًا، وقوله فالنجاء ممدود أي: انجوا النجاء أو اطلبوا النجاء[1].

---

[1] «مجمع الزوائد» كتاب علامات النبوة، باب: ما يحصل لأمته ﷺ من استغفاره بعد وفاته، رقم: (١٤٢٥٠) (ج٨ ص٥٩٤)، و«كنز العمال»، كتاب الفضائل من قسم الأفعال، وفيه: عشرة أبواب، الفصل الثالث في فضائل متفرقة تنبيء عن التحدث بالنعم وفيه ذكر نسبه ﷺ، رقم: (٣١٩,٣) (ج١١ ص٥٣٧).

[2] أخرجه مسلم، كتاب الفضائل، باب إذا أراد الله تعالى رحمة أمة قبض نبيها قبلها، رقم: (٢٢٨٨) (ج٤ ص١٧٩١).

[3] أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب الانتهاء عن المعاصي، رقم: (٦١١٧) (ج٥ ص٢٣٧٨)، وأخرجه مسلم في الفضائل باب شفقته ﷺ على أمته رقم: (٢٢٨٣)، (ج٤ ص١٧٨٨).

٢- وعن ابن شهاب، قال: غزا رسول الله ﷺ غزوة، وذكر حنينًا، قال: فأعطى رسول الله ﷺ صفوان بن أمية مائة من النعم، ثم مائة، ثم مائة، عن سعيد بن المسيب أن صفوان قال: والله لقد أعطاني ما أعطاني وإنه لأبغض الخلق إلي، فما زال يعطيني حتى إنه لأحب الخلق إلي[٢].

٣- وروي أن أعرابيًا جاءه يطلب منه شيئًا، فأعطاه، ثم قال: «**أَحْسَنْتُ إِلَيْكَ؟**» قال الأعرابي: لا، ولا أجْمَلْت[٣] فغضب المسلمون وقاموا إليه، فأشار إليهم أن كفوا، ثم قام ودخل منزله، وأرسل إليه، وزاده شيئًا، ثم قال: «**أَحْسَنْتُ إِلَيْكَ؟**» قال: نعم، فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرًا[٤]، فقال له النبي ﷺ: «**إِنَّك قلت مَا قلت وَفِي نَفْس أَصْحَابِي شَيْء من ذَلِك، فَإِن أَحْبَبْت فَقل بَين أَيْديهم مَا قلت بَين يَدي حَتَّى يذهب من صُدُورهمْ مَا فِيهَا عَلَيْك**» قَالَ: نعم، فَلَمَّا كَانَ الْغَد أَو الْعشي جَاءَ فَقَالَ النَّبِي ﷺ: «**إِن هَذَا الْأَعرَابِي قَالَ مَا قَالَ فزدناه فَزعم أَنه رَضِي أَكَذَلِك؟**» فَقَالَ الْأَعرَابِي: نعم، فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا، فَقَالَ ﷺ «**إِن مثلي وَمثل هَذَا الْأَعرَابِي كَمثل رجل كَانَت لَهُ نَاقَة شَرَدت عَلَيْهِ فاتبعها النَّاس فَلم يزيدوها إِلَّا نفورا، فناداهم صَاحب النَّاقة خلوا بيني وَبَين نَاقَتي فَإِنِّي أرْفق وَأعلم، فَتوجه لَهَا صَاحب النَّاقة بَين يَديهَا فَأخذ لَهَا من قمام الأَرْض فَردهَا هونا حَتَّى جَاءَت واستناحت وَشد عَلَيْهَا رَحلهَا واستوى عَلَيْهَا، وَإِنِّي لَو تركتكم حَيْثُ قَالَ الرجل مَا قَالَ فقتلتموه دخل النَّار**»[٥].

---

[١] «تحفة الأحوذي» ج١٠ ص٦٩)، و«عون المعبود» (ج١٣ ص٩٤).

[٢] أخرجه مسلم، كتاب الفضائل، باب ما سئل رسول الله ﷺ شيئا قط، فقال: لا، وكثرة عطائه، رقم: (٢٣١٣) (ج٤ ص١٨,٦).

[٣] «مجمع الزوائد»، علامات النبوة، باب في حسن خلقه وحيائه وحسن معاشرته، رقم: (١٤١٩٣) (ج٨ ص٥٧٦).

[٤] «الشفا» (ج١ ص١٢٣).

[٥] «مجمع الزوائد»، كتاب علامات النبوة، باب في حسن خلقه وحيائه وحسن معاشرته، رقم: (١٤١٩٣) (ج٨ ص٥٧٦).

٤- وروي عنه أنه ﷺ قال: «**لَا يُبْلِغُنِي أحَد مِنْكُم عَن أحَدٍ مِن أصْحَابِي شَيئًا، فَإنِّي أحِبُّ أنْ أخْرَجَ إلَيْكُم وأنَا سَلِيم الصَّدْرِ**»[(١)].

٥- ومن شفقته على أمته عليه السلام تخفيفه وتسهيله عليهم، وكراهته أشياء مخافة أن تفرض عليهم، كقوله: «**لَوْلَا أنَّ أشُقَّ عَلَى أمَّتِي لَأمَرْتُهُم بِالسَّوَاكِ مَعَ كُلِّ صَلَاةٍ**»[(٢)]، وكراهته دخول الكعبة لئلا يعنت أمته، وأنه كان يسمع بكاء الصبي فيتجوز في صلاته.

٦- ومن شفقته ﷺ على المكذبين والمعاندين أنه كان يحزن عليهم، وكان القرآن ينزل يواسيه ويسليه، كما في قوله: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَـٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَـٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾[(٣)]، وقوله: ﴿ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ ﴾[(٤)]، وما ثبت أنه ﷺ دعا ربه وعاهده، فقال: «**إنَّمَا أنَا بَشَرٌ فَأيُّمَا رَجُلٍ مِنَ المُسْلِمِينَ سَبَبْتُهُ أوْ لَعَنْتُهُ أوْ جَلَدْتُهُ فَاجْعَلْهَا لَهُ زَكَاة وَرَحْمَةً**»[(٥)].

ولما كذبه قومه أتاه جبريل عليه السلام، فقال له: إن الله تعالى قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك، وقد أمر ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداه ملك الجبال وسلم عليه، وقال: مرني بما شئت، وإن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين. قال النبي ﷺ : «**بَل أرْجُو أنْ يُخْرِجَ الله مِنْ**

---

(١) أخرجه أبو داود في «سننه»، كتاب الأدب، باب في رفع الحديث من المجلس، رقم: (٤٨٦٠) (ج٥ ص١٨٣)، وقال الشيخ الألباني: «ضعيف»، وأخرجه أحمد مسند عبد الله بن مسعود، رقم: (٣٧٥٩) (ج١ ص٣٩٦)، والترمذي، كتاب المناقب، باب فضل أزواج النبي ﷺ، رقم: (٣٨٩٦) (ج٥ ص٧١٠).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الجمعة، باب: السواك يوم الجمعة، رقم: (٨٤٧) (ج٢ ص٣٧٤)، وأخرجه مسلم كتاب الطهارة باب السواك، رقم: (٢٥٢) (ج١ ص٢٢٠).

(٣) سورة الكهف آية: (٦).

(٤) سورة النحل آية: (١٢٧).

(٥) أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب من لعنه النبي ﷺ أو سبه أو دعا عليه وليس هو أهلا لذلك كان له زكاة وأجرا ورحمة، رقم: (٢٦٠١) (ج٤ ص٢٠٠٧).

أصْلَابِهِم مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ وَلَا يُشْرِكُ بِهِ شَيئاً»[1]، وهذا منتهى الشفقة والرحمة التي غمر الله بها حبيبه محمدا ﷺ.

٧- وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ما خُيِّرَ رَسُول الله ﷺ بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثمًا، فإن كان إثمًا: كان أبعد الناس منه، وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها[2].

٨- قال ابن مسعود رضي الله عنه: كان رسول الله ﷺ يتخولنا بالموعظة في الأيام كراهة السآمة علينا[3].

٨- وعن عائشة رضي الله عنها أنها ركبت بعيراً وفيه صعوبة، فجعلت ترده، فقال رسول الله ﷺ : «**عَلَيْكِ بِالرِّفْقِ**»[4].

٩- وعنها - أيضا - رضي الله عنها أنها ركبت بعيرًا فَلَعَنَتْهُ، فقال النبي ﷺ: «**لَا تَرْكَبِيْهِ**»[5].

١٠- عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنِّي لَأَدْخُلُ فِي الصَّلَاةِ أُرِيْدُ أَنْ أُطِيْلَهَا فَأَسْمَع بُكَاءَ الصَّبِي فَأُخَفِّفُ مِمَّا أَعْلَم مِن شِدَّةِ وَجْدِ أُمِّه بِهِ**»[6].

---

[1] أخرجه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم: آمين، والملائكة في السماء، فوافقت إحداهما الأخرى: غفر له ما تقدم من ذنبه، رقم: (٣,٥٩) (ج٣ ص١١٨٠)، وأخرجه مسلم في الجهاد والسير، باب: ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين رقم: (١٧٩٥)، (ج٣ ص١٤٢٠).

[2] أخرجه البخاري، كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ، رقم: (٣٣٦٧) (ج٣ ص١٣,٦)، وأخرجه مسلم في الفضائل باب مباعدته ﷺ للآثام، رقم: (٢٣٢٧)، (ج٤ ص١٨١٣).

[3] أخرجه البخاري، كتاب العلم، باب ما كان النبي ﷺ يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا، رقم: (٦٨) (ج١ ص٣٨)، وأخرجه مسلم بلفظ: «كان يتخولنا بالموعظة في الأيام مخافة السآمة علينا»، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب الاقتصاد في الموعظة، رقم: (٢٨٢١) (ج٤ ص٢١٧٢).

[4] أخرجه مسلم في «صحيحه»، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: فضل الرفق، رقم: (٢٥٩٤)، (ج٤ ص٢٠٠٤).

[5] «مسند أبي يعلى»، مسند عائشة رضي الله عنها ، رقم: (٤٧٣٥)، (ج٨ ص١٨٠).

[6] أخرجه ابن حبان في «صحيحه»، كتاب الصلاة، باب فرض متابعة الإمام، رقم: (٢١٣٩) (ج٥ ص٥١٠).

٤) من خصائصه الأخلاقية أنه لم يكن أحَدٌ مِن الخلق يشبهه في تواضعه ﷺ بالرغم من علو منصبه، ورفعة رتبته فكان النبي الأكرم ﷺ أشد الناس تواضعاً، وحسبك أنه خُيِّرَ بَيْنَ أن كان نبياً ملكًا أو نبيًا عبدًا، فاختار أن يكون نبيًا عبدًا[١].

فكان ذلك من خصوصياته، حيث وصل في التواضع إلى درجة أعطى بها ما لم يعط أحدًا من الخلق، فدل على أنه خص من التواضع بشيء لم ولن يصل إليه أحد قط؛ لأنه هو وحده سيد ولد آدم؛ ولذا لا نبالغ إذا قلنا أن ذلك الخلق زاد حسنًا وجمالا باتصاف سيد البشر به، ومما يدل على ذلك الخلق العظيم ووجاهته بين الأخلاق باتصاف سيد الخلق ﷺ به ما يلي:

١- عن أبي أمامة، قال: خرج علينا رسول الله ﷺ متكئاً على عصا، فقمنا له، قال: «**لَا تَقُومُوا كَمَا تَقُومُ الأعَاجِمُ، يُعَظِّمُ بَعْضُهُم بَعْضاً**»[٢] وقال ﷺ: «**إنَّما أنَا عَبْدٌ آكُلُ كَمَا يَأكُلُ العَبْدُ، وأجْلِسُ كَمَا يَجْلِسُ العَبْدُ**»[٣].

٢- ما ورد في حديث عمر رضي الله عنه: «**لَا تُطْرُونِي كَمَا أطْرَت النَّصَارَى ابنُ مَرْيَم، إنَّما أنَا عَبْدٌ فَقُولُوا: عَبْدُ الله وَرَسُولُه**»[٤].

---

[١] أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير»، باب: العين، أحاديث عبد الله بن العباس، رقم: (١,٦٨٦) (ج١٠ ص٢٨٨)، وأخرجه أبو يعلى في «مسنده»، تابع [مسند عائشة رضي الله عنها]، رقم: (٤٩٢٠) (ج٨ ص٣١٨)، وأخرجه عبد الرزاق في «مصنفه»، (كتاب أهل الكتابين)، باب: (الأكل متكئا)، رقم: (٤٩٢٠) (ج١٠ ص ٤١٧).

[٢] أخرجه أبو داود في «سننه»، كتاب الأدب، باب في قيام الرجل للرجل، رقم: (٥٢٣٠) (ج٢ ص٧٧٩)، وأخرجه أحمد في «مسنده»، (حديث أبي أمامة الباهلى: الصدى بن عجلان بن عمرو بن وهب الباهلى عن النبي ﷺ)، رقم: (٢٢٢٣٥) (ج٥ ص٢٥٣).

[٣] «مجمع الزوائد»، كتاب علامات النبوة، باب في تواضعه ﷺ، رقم: (١٤٢٢٦) (ج٨ ص٥٨٦). و«كنز العمال»، الفصل الأول في: آداب الأكل، رقم: (٤,٧,٨) (ج١٥ ص ٣٣٥)، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (ج٤ ص١١٥)، والهيثمي في «إتحاف السادة المتقين» (ج٨ ص٤٠).

[٤] أخرجه البخاري، كتاب الأنبياء، باب: {واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها}، رقم: (٣٢٦١) (ج٣ ص١٢٧١)، وكتاب: أحاديث الأنبياء، وكتاب الحدود (ج١٢ ص١٤٥)، وكتاب المظالم رقم: (٢٤٦٢).

٣- قال أنس: كان رسول الله ﷺ يركب الحمار، ويجيب دعوة العبد، وكان يوم بني قريظة على حمار مخطوم بحبل من ليف عليه إكاف[١].

٤- ومن عظمة تواضعه ﷺ قوله: «**لَا يَقُولَنَّ أحَدُكُم إنِّي خَيْرٌ مِنْ يُونَس بنِ مَتَّى**»[٢].

وفي رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما: عن النبي ﷺ قال: «**مَا يَنْبَغِي لِعَبْدٍ أنْ يَقُولَ إنِّي خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بنِ مَتَّى**»[٣].

وقال للذي قال له: يا خير البرية: «**ذَاكَ إبْرَاهِيمُ**»[٤].

٥- ما روي عن عائشة عندما سئلت عما كان يفعله النبي ﷺ في بيته قالت: «**كَان يَكُونُ فِي مِهْنَةِ أهْلِهِ فإذَا حَضَرَت الصَّلَاةُ قَام فَصَلَّى**»[٥].

٦-. وعن أنس: إن كانت الأمَةُ مِن إمَاءِ أهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله ﷺ فتنطلق به حيث شاءت حتى تقضي حاجتها، وعن جرير أن رجلا دخل عليه، فأصابته من هيبته رعدة فقال له: «**هَوِّن عَلَيْكَ فَإنِّي لَسْتُ بِمَلِكٍ، إنَّما أنَا ابنُ امْرَأةٍ مِن قُرَيْشٍ تَأكُلُ القَدِيْدَ**»[٦].

٧- وعن أبي هريرة رضي الله عنه: دخلت السوق مع النبي ﷺ، فاشترى سراويل وقال للوزان: «**زِنْ وَأرْجِح**» وذكر القصة قال: فوثب إلى يد النبي ﷺ يقبلها، فجذب يده، وقال: «**هَذَا تَفْعَلُهُ**

---

[١] أخرجه الترمذي، رقم: (١,١٧) (ج٣ ص٣٣٧)، وأخرجه ابن ماجه في «سننه»، كتاب الزهد، باب البراءة من الكبر والتواضع، رقم: (٤١٧٨) (ج٢ ص١٣٩٨).

[٢] أخرجه البخاري، كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: {وإن يونس لمن المرسلين}، رقم: (٣٢٣١) (ج٣ ص١٢٥٤).

[٣] أخرجه البخاري، كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى { وإن يونس لمن المرسلين}، رقم: (٣٢٣٤)، (ج٣ ص١٢٥٤)، ومسلم في الفضائل، باب في ذكر يونس عليه السلام، رقم: (٢٣٧٦).

[٤] أخرجه مسلم، كتاب الفضائل، باب من فضائل إبراهيم الخليل عليه السلام، رقم: (٢٣٦٩) (ج٤ ص١٨٣٩).

[٥] أخرجه البخاري، كتاب الجماعة والإمامة، باب من كان في حاجة أهله فأقيمت الصلاة فخرج، رقم: (٦٤٤) (ج١ ص٢٣٩).

[٦] أخرجه ابن ماجه في كتاب: الأطعمة، باب: القديد رقم: (٣٣١٢)، وصححه الألباني.

الأعَاجُم بِمُلُوكِهَا، وَلَسْتُ بِمَلِكٍ، إنَّما أنَا رَجُلٌ مِنْكُم»، ثم أخذ السراويل، فذهَبْتُ لأحملـــه، فقال: صاحب الشيء أحق بشيئه أن يحمله»[1].

٨- وعن عائشة ﵂ قالت: قال رسول الله ﷺ: **«يَا عَائِشَةُ لَوْ شِئْتُ لَسَارَتْ مَعِـــي جِبَـــالُ الذَّهَبِ. جَاءَنِي مَلَكٌ إنَّ حُجْزَتَهُ لَتُسَاوِي الْكَعْبَةَ فَقَالَ: إنَّ رَبَّكَ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ، وَيَقُـــولُ لَكَ: إنْ شِئْتَ نَبِيًّا عَبْدًا، وَإنْ شِئْتَ نَبِيًّا مَلِكًا. قَالَ: فَنَظَرْتُ إلَى جِبْرِيلَ قَالَ: فَأَشَارَ إلَـــيَّ أَنْ ضَعْ نَفْسَكَ قَالَ: فَقُلْتُ: نَبِيًّا عَبْدًا»**. قَالَ: فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ ذَلِكَ لَا يَأْكُلُ مُتَّكِئًا يَقُولُ: **«آكُلُ كَمَا يَأْكُلُ الْعَبْدُ، وَأَجْلِسُ كَمَا يَجْلِسُ الْعَبْدُ»**[2].

٥) من خصائصه الأخلاقية: ما كان عليه من الوقار، وحسن الهدي والمروءة.

وأما وقاره ﷺ وصمته، ومروءته وحسن هديه، فقد جاءت الروايات الكثيرة تصفه وصفًا دقيقًا ،وكلها تجمع على أنه خص بالكمال، منه: الكمال البشري، والكمال النبـــوي، وأعطـــى مـــا يتناسب مع ذلك، **ومن ذلك ما يلي:**

١- روى أبو سعيد الخدري ﵁: كان رسول الله ﷺ إذا جلس في مجلس احتبى بيديه، وكذلك كان أكثر جلوسه لله محتبيًا[3].

٢- وقال عبد الله بن مسعود ﵁: إن أحسن الهدي هدي محمد ﷺ[4].

وعن جابر بن عبد الله ﵁: كان في كلام رسول الله ﷺ ترتيل أو ترسيل[1].

---

[1] أخرجه أبو يعلي في «مسنده»، تابع حديث مسند أبي هريرة ﵁، رقم (٦١٦٢) (ج١١ ص٢٣)، وانظر: «مجمع الزوائد»، كتاب اللباس، باب في السراويل، رقم: (٨٥١٠)، (ج٥ ص٢١٢).

[2] «مسند أبي يعلى»، تابع مسند عائشة ﵂، رقم: (٤٩٢٠) (ج٨ ص٣١٨)، وانظر: «مجمع الزوائد»، كتاب علامات النبوة، باب في تواضعه ﷺ، رقم: (١٤٢١٠) (ج٨ ص٥٨٢).

[3] انظر: «مجمع الزوائد»، كتاب الأدب، باب ما جاء في الجلوس وكيفيته وخير المجالس، رقم (١٢٩٢٥) (ج٨ ص١١٦)، و«كنز العمال»، كتاب الشركة من قسم الأفعال، {الجلوس والمجالس}، رقم: (١٨٤٨٠) (ج٧ ص٢٩٠).

[4] أي: تبيين وتَؤُدَة، والحديث في: «كنز العمال»، كتاب الزكاة، وفيه: فضائل السخاء والصدقة وفضل الفقراء والفقر وما يتعلق بهما وفيه ثلاثة أبواب، تتمة الإكمال من ذم السؤال، رقم: (١٦٧٦٤) (ج٦ ص٧٩٨).

٣- قال ابن أبي هالة: [٢] كان سكوته على أربع: على الحلم، والحذر، والتقدير والتفكر[٣].

٤- قالت عائشة: كان رسول الله ﷺ يحدث حديثاً لو عده العاد أحصاه[٤].

٥- وكان ﷺ يحب الطِّيْبَ والرائحة الحسنة، ويستعملها كثيراً، ويحض عليهما، ويقول: «**حُبِّبَ إِلَيَّ مِن دُنْيَاكُم النِّسَاءُ، وَجُعِلَت قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاة**»[٥].

٦- ووصفه هند بن أبي هالة التميمي فقال: كان رسول الله ﷺ دائم البشر، سهل الخلق، لين الجانب، ليس بفظ، ولا غليظ، ولا صخاب، ولا فحاش، ولا غياب، ولا مداح، يتغافل عما لا يشتهي، ولا يوئس منه، ولا يخيب فيه، قد ترك نفسه من ثلاث: المراء، والإكثار، ومما لا يعنيه، وترك نفسه من ثلاث: كان لا يذم أحدا، ولا يعيره، ولا يطلب عورته، ولا يتكلم إلا فيما رجا ثوابه.

إذا تكلم أَطْرَقَ جُلَسَاؤُه كأنما على رؤوسهم الطير، وإذا سكت تكلموا ولا يتنازعون عنده، من تكلم أنصتوا له حتى يفرغ حديثهم عنده حديث أوليتهم، يضحك مما يضحكون منه، ويتعجب مما يتعجبون منه، ويصبر للغريب على الجفوة من منطقه، ومسألته حتى إذا كان أصحابه

---

[١] أخرجه أبو داود في «سننه»، كتاب الأدب، باب: الهدي في الكلام، رقم: (٤٨٣٨)، (ج٤ ص٢٦٠)، وصححه الألباني.

[٢] هند بن أبى هالة: النباش بن زرارة التميمى الأسيدى (ربيب النبى ﷺ؛ أمه خديجة بنت خويلد): صحابى جليل، توفي يوم الجمل، وقيل بعد ذلك بالبصرة، روى له: (الترمذي في الشمائل).

[٣] أخرجه أبو علي البزاز في «مشيخة ابن شاذان الصغرى»، رقم: (٦١)، (ص: ٤٥)، وانظر: «عون المعبود» (ج١٣ ص٩٠)، و«تحفة الأحوذي» (ج١٠ ص٥).

[٤] أخرجه البخاري، كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ، رقم: (٣٣٧٤) (ج٣ ص١٣,٧)، وأخرجه مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب التثبت في الحديث وحكم كتابة العلم، رقم: (٢٤٩٣) (ج٤ ص٢٢٩٨).

[٥] أخرجه النسائي في «سننه»، كتاب: عشرة النساء، باب حب النساء، رقم: (٣٩٣٩)، (ج٧ ص٦١)، قال الألباني: «حسن صحيح».

ليستجلبوهم، ويقول: إذا رأيتم طالب الحاجة يطلبها أرشدوه، ولا يقبل الثناء إلا من مكـــافئ، ولا يقطع على أحد حديثه حتى يجوزه فيقطعه بنهي أو قيام[1].

٦) من خصائصه الأخلاقية شدة خوفه من ربه، وكثرة طاعته له، وشدة عبادته:

وأما خوفه ﷺ من ربه، وطاعته له، وشدة عبادته، فعلى قدر علمه بربه، ولا أحد أعلم بالله منه ﷺ على الإطلاق وهذا هو وجه الخصوصية؛ ولذا قال:

١- ﷺ: «**إنَّ أتْقَاكُم وأعْلَمَكُم بِالله أنَا**»[2].

٢- وكان يصلى حتى ترم قدماه، فقيل له: أتكلف هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبـــك ومـــا تأخر قال: «**أفَلَا أكُونُ عَبْداً شَكُوراً؟**»[3].

٣- وقالت عائشة رضي الله عنها: كان عمل رسول الله ﷺ دِيْمَةً، وأيكم يطيق ما كان يطيق![4].

٤- وقالت: كان يَصُومُ حتى نقول: لا يفطر، ويفطر حتى نقول: لا يصوم[5]، ونحوه عن ابـــن العباس، وأم سلمه، وأنس[6].

---

(١) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير»، باب الهاء، في من اسمه هند، رقم: (٤١٤) (ج٢٢ ص١٥٥)، والبيهقي في «شعب الإيمان»، فصل في خلق الرسول ﷺ وخلقه، رقم: (١٤٣٠) (ج٢ص١٥٤).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ: «**أنا أعْلَمُكُم بِالله**»، وأن المعرفة فعل القلب، رقم: (٢٠) (ج١ ص١٦).

(٣) أخرجه البخاري، أبواب التهجد، باب قيام النبي ﷺ حتى ترم قدما، رقم: (١,٧٨) (ج١ ص٣٨٠)، وأخرجه مسلم في صفات المنافقين وأحكامهم باب إكثار الأعمال والاجتهاد، رقم: (٢٨١٩).

(٤) أخرجه البخاري، كتاب الصوم، باب هل يخص شيئا من الأيام، رقم: (١٨٨٦) (ج٢ ص٧,١)، وأخرجه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضيلة العمل الدائم من قيام الليل وغير، رقم: (٧٨٣) (ج١ ص٥٤١).

(٥) أخرجه أبو داود، كتاب الصيام، باب في صوم المحرم، رقم (٢٤٣٠) (ج١ ص٧٣٨)، وقال الشيخ الألباني: صحيح، وفي «سنن الترمذي»، كتاب الصوم، باب ما جاء في سرد الصوم، رقم: (٧٦٨) (ج٣ ص١٣٩).

(٦) «سنن الترمذي»، كتاب الزهد، برقم: (٢٣١٣).

٥- وعن أنس قال: كنت لا تشاء أن تراه من الليل مصلياً إلا رأيته مصليًا، ولا نائماً إلا رأيته نائماً[١].

٦- وقال عوف بن مالك[٢]: كنت مع رسول الله ﷺ ليلة فاستاك، ثم توضأ، ثم قام يصلي، فقمت معه، فبدأ فاستفتح البقرة، فلا يمر بآية رحمة إلا وقف فسأل، ولا يمر بآية عذاب إلا وقف فتعوذ، ثم ركع، فمكث بقدر قيامه، يقول: «**سُبْحَانَ ذِي الجَبَرُوتِ وَالمَلَكُوتِ وَالعَظَمَةِ**»، ثم سجد وقال مثل ذلك، ثم قرأ آل عمران، ثم سورة سورة، يفعل مثل ذلك. وعن حذيفة مثله، وقال سجد نحواً من قيامه، وجلس بين السجدتين نحوًا منه، وقال: حتى قرأ البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة[٣].

٧- وقال عليه السلام: «**وَاللهِ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ إِلَيهِ فِي اليَوْمِ أَكْثَرَ مِن سَبْعِينَ مَرَّةً**»[٤].

٧) من خصائصه الأخلاقية: نظافة جسمه، وطيب رائحته، ونزاهته عن الأقذار.

خص الله نبيه بأمور لا توجد في أحد إلا النبي ﷺ.

ومنها ما يلي: أما نظافة جسمه، وطيب ريحه وعرقه، ونزاهته عن الأقذار وعورات الجسد، فقد خصه الله في ذلك بخصائص لم توجد في غيره لم توجد في أحد غيره على الإطلاق، ثم تممها بنظافة الشرع وخصال الفطرة العشر[١]، **والأحاديث في ذلك كثيرة منها ما يلي:**

---

[١] أخرجه البخاري، أبواب التهجد، باب قيام النبي ﷺ بالليل، ونومه وما نسخ من قيام الليل، رقم: (١٠٩٠) (ج١ ص٣٨٣).

[٢] هو: عوف بن مالك بن أبي عوف، أبو عبد الرحمن، الأشجعي الغطفاني، صحابي من الشجعان الرؤساء رضي الله عنه، وأول مشاهده خيبر، وكانت معه راية أشجع يوم الفتح، روى عن النبي وعن عبد الله بن سلام، وروى عنه أبو مسلم الخولاني، وأبو إدريس الخولاني، وجبير بن نفير، وعبد الرحمن بن عامر، وغيرهم، له ٦٧ حديثًا، توفي (سنة: ٧٣ هـ). انظر ترجمته في: «الإصابة» (ج٣ ص٤٣)، و«الاستيعاب» (ج٣ ص١٢٢٦)، و«الأعلام» (ج٥ ص٢٧٨).

[٣] أخرجه الإمام أحمد في «مسنده»، (حديث عوف بن مالك الأشجعي الأنصاري رضي الله عنه)، رقم: (٢٤,٢٦) (ج٦ ص٢٤)، وهو في «مسند الشاميين» حديث: (معاوية عن عمرو بن قيس الكندي ثم السكوني)، رقم: (٩٠٢) (ج٣ ص١٦٩)، وانظر: «عون المعبود» (ج١٣ ص٩٤)، و«تحفة الأحوذي» (ج١٠ ص٥٤).

[٤] أخرجه البخاري، كتاب الدعوات، باب استغفار النبي ﷺ في اليوم والليلة، رقم (٥٩٤٨) (ج٥ ص٢٣٢٤).

١- ما روي أنه ﷺ قال: «**تَنَظَّفُوا بِكُلِّ مَا استَطَعْتُم فَإنَّ الله تَعَالَى بَنَي الإسْلَامَ علَى النَّظَافَةِ وَلَنْ يَدْخُلَ الجَنَّةَ إلَّا كُلَّ نَظِيفٍ**»[٢].

ووجه ذلك: أنه أكمل الخَلْق ديناً وَخَلقاً وخُلقاً.

٢- عن أنس ﷺ قال: ما شممت عنبرًا قط، ولا مسكًا، ولا شيئًا أطيب من ريح رسول الله ﷺ[٣].

٣- وعن جابر بن سمرة: أنه ﷺ مسح خده، قال: فوجدت ليده برداً وريحاً، كأنما أخرجها من جؤنة عطار[٤] وهذا من خصائصه بلا خلاف.

٤- وعن أنس: دخل علينا النبي ﷺ، فقال عندنا، فعرق، وجاءت أمي بقارورة، فجعلت تَسْلُتُ العرق فيها، فاستيقظ النبي ﷺ، فقال: «**يَا أمَّ سُلَيمٍ مَا هَذَا الذِي تَصْنَعِيْنَ؟**» قالت: هذا عرقك نجعله في طيبنا، وهو من أطيب الطيب[٥] وهذا لم يُعْرَف لِغيره ﷺ.

٥- وعن جابر: لم يكن النبي ﷺ يمر في طريق فيتبعه أحد إلا عرف أنه سلكه النبي ﷺ من طيبه[٦].

٦- وذكر اسحاق بن راهويه [١] أن تلك كانت رائحته بِلا طِيْبٍ، ﷺ وعن أبي جحيفة قال: خرج رسول الله ﷺ بالهاجرة إلى البَطْحَاء فتوضأ ثم صلى الظهر، وقام الناس فجعلوا يأخذون

---

[١] «الشفا» (ج١ ص٦١).

[٢] «كنز العمال»، كتاب الطهارة وفيه خمسة أبواب ،رقم (٢٠٢٦) (ج٩ ص٤٨٨).

[٣] أخرجه مسلم، كتاب الفضائل، باب طيب رائحة النبي ﷺ ولين مسه والتبرك بمسحه، رقم (٢٣٣٠) (ج٤ ص١٨١٤).

[٤] أخرجه مسلم، كتاب الفضائل، باب طيب رائحة النبي ﷺ ولين مسه والتبرك بمسحه، رقم: (٢٣٢٩) (ج٤ ص١٨١٤).

[٥] أخرجه مسلم، كتاب الفضائل، باب طيب عرق النبي ﷺ والتبرك به، رقم: (٢٣٣١) (ج٤ ص١٨١٥).

[٦] «الشفا» (ج١ ص٦٣).

يديه فيمسحون بهما وجوههم، قال: فأخذت بيده فوضعتها على وجهي، فإذا هي أبرد من الثلج وأطيب رائحة من المسك[٢].

٧- حديث علي ﷺ: غسلت النبي ﷺ، فذهبت أنظر ما يكون من الميت فَلَم أجِد شيئاً، فقلت: طبت حياً وميتاً، قال: وسطعت منه ريح طيبة لم نجد مثلها قط[٣].

٨- ومثله قال أبو بكر ﷺ حين قبل النبي ﷺ بعد موته: «فِدَاكَ أبِي وأمِّي مَا أطْيَبَكَ حيا وميتا»[٤].

٨) من خصائصه الأخلاقية ما خصه الله به من وفور عقله، وقوة حواسه، وفصاحة لسانه بما لا يوجد في أحد مثله قط، وبيان ذلك فيما يلي:

١- أما وفور عقله، وذكاء لبه، وقوة حواسه، وفصاحة لسانه، واعتدال حركاته، وحسن شمائله: فلا مرية أنه كان أعقل الناس وأذكاهم وأفصحهم، وأحسنهم، ومن تأمل تدبيره أمر بواطن الخلق وظواهرهم، وسياسة العامة والخاصة، مع عجيب شمائله، وبديع سيره، فضلاً عما أفاضه من العلم، وقرره من الشرع دون تعلم سبق، ولا ممارسة تقدمت، ولا مطالعة للكتب منه، لم يمتر في رجحان عقله، وثقوب فهمه لأول بديهة، وهذا ما لا يحتاج إلى تقرير

---

[١] هو: إسحاق بن إبراهيم بن مخلد من بني حنظلة من تميم عالم خراسان في عصره، طاف البلاد لجمع الحديث، وأخذ عنه أحمد والشيخان، قال فيه الخطيب البغدادي: «اجتمع له الفقه والحديث والحفظ والصدق والورع والزهد»، استوطن نيسابور وتوفي بها سنة ٢٣٨ هـ. يراجع : «تهذيب التهذيب» (ج١ ص٢١٦)؛ و«الانتقاء» (ص: ١,٨).

[٢] أخرجه البخاري، كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ، رقم: (٣٣٦٠) (ج٣ ص١٤,٣).

[٣] أخرجه البزار في «مسنده»، مما روى سعيد بن المسيب عن علي، رقم (٥١٩) (ج٢ ص١٥٣)، وأخرجه أحمد في «مسنده»، (مسند عبد الله بن العباس بن عبد المطلب عن النبي ﷺ)، رقم (٢٣٥٧) (ج١ ص٢٦٠)، وأخرجه البيهقي في «سنن البيهقي» الكبرى كتاب الجنائز، (باب ما يؤمر به من تعاهد بطنه وغسل ما كان به من أذى)، رقم: (٦٤١٨) (ج٣ ص٣٨٨).

[٤] أخرجه الإمام أحمد في «مسنده»، (مسند أبي بكر الصديق ﷺ)، رقم: (١٨) (ج١ ص٥).

لتحقيقه. فهو أمر بديهي لا يحتاج إلى دليل لوضوحه، ولكل من تعرف على سيرته لا يماري في ذلك[1].

٢- قال وهب بن منبه[2]: قرأت في أحد وسبعين كتاباً، فوجدت في جميعها أن النبي ﷺ أرجح الناس عقلاً، وأفضلهم رأياً[3].

وفي رواية أخر: فوجدت في جميعها أن الله تعالى لم يعط جميع الناس من بدء الدنيا إلى انقضائها من العقل في جنب عقله ﷺ إلا كحبة رمل من بين رمال الدنيا[4].

ومما يدل على أفضليته ﷺ عن غيره في ذلك ما يلي:

١- قال مجاهد: كان رسول الله ﷺ إذا قَام في الصلاة يرى من خلفه كما يرى من بين يديه، وبه فسر قوله تعالى: ﴿ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾[5].

وفي الصحيحين عنه عليه السلام: «**إِنِّي لَأَرَاكُم مِن وَرَاءِ ظَهْرِي**»[6]، وعن عائشة مثله، قالت: زيادة زاده الله إياها في حجته.

وفي بعض الروايات: «**إِنِّي لَأَنْظُرُ مِن وَرَائِي كَمَا انْظُرُ مِن بَيْنِ يَدَيَّ**»[7].

---

[1] «عون المعبود» (ج١٣ ص٩٩)، و«تحفة الأحوذي» (ج١٠ ص٥٦).

[2] هو: وهب بن منبه الأبناوي الصنعاني الذماري، أبو عبد الله: مؤرخ، كثير الاخبار عن الكتب القديمة، عالم بأساطير الأولين ولا سيما الاسرائيليات، يعد في التابعين، أصله من أبناء الفرس الذين بعث بهم كسرى إلى اليمن، وأمه من حمير، ولد ومات بصنعاء وولاه عمر بن عبد العزيز قضاءها، توفي سنة ١١٤. يراجع: «الأعلام» للزركلي (ج٨ ص١٢٥).

[3] «تاريخ دمشق» (ج٣ ص٣٨٦).

[4] «الشريعة» (ج١ ص٤٧١).

[5] سورة الشعراء آية: (٢١٩).

[6] أخرجه البخاري، أبواب المساجد، باب عظة الإمام الناس في إتمام الصلاة وذكر القبلة، رقم (٤,٨) (ج١ ص١٦١)، وأخرجه مسلم في المساجد ومواضع الصلاة، باب الأمر بتحسين الصلاة وإتمامها والخشوع فيها، رقم: (٤٢٤).

[7] «مجمع الزوائد»، كتاب الصلاة، باب في الصف للصلاة، رقم: (٢٤٩٣) (ج٢ ص٢٤٨).

٢- عن عائشة، قالت: كان النبي ﷺ يرى في الظلمة كما يرى في الضوء[١].

٣ - الأخبار الكثيرة الصحيحة في رؤيته ﷺ للملائكة والشياطين مما لا يقدر عليه غيره، وكل ذلك دليل على قوة حواسه عن غيره، **ومن ذلك**:

أ- أن الله تعالى رفع له بيت المقدس حين وصفه لقريش بعد رحلة الإسراء والمعراج[٢].

ب- عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ، قال: «**لَمَّا تَجَلَّى اللهُ لِمُوسَى عليه السلام كَانَ يُبْصِرُ النَّمْلَةَ عَلَى الصَّفَا فِي اللَيلَةِ الظَّلْمَاءِ مَسِيْرَةَ عَشَرَةِ فَرَاسِخَ**»: ولا يَبْعُدُ على هذا أن يختص نبينا بما ذكرناه من هذا الباب بعد الإسراء والحظوة بما رأى من آيات ربه الكبرى[٣].

ج- قد جاءت الأخبار بأنه صرع أبا ركانة أشد أهل وقته، وكان دعاه إلى الإسلام وصارع أبا ركانة في الجاهلية وكان شديداً، وعاوده ثلاث مرات، كل ذلك يصرعه رسول الله ﷺ [٤].

د- قال أبو هريرة رضي الله عنه: ما رأيت أحداً أسرع من رسول الله ﷺ في مشيه، كأنما الأرض تطوى له، إنا لنجهد أنفسنا وهو غير مكترث[٥].

٩) من خصائصه الأخلاقية: العفو.

مما جمل الله تعالى به نبيه ﷺ أن جعله أعظم الناس عفوا.

ويؤيد ذلك: روايات ومواقف كثيرة تحكي جانبًا من عظيم عفوه ﷺ بما لم يوجد في أحد غيره، **ومنها ما يلي:**

---

[١] أخرجه ابن عدي، والبيهقي في «الدلائل»، وهو: ضعيف، انظر: «السلسلة الضعيفة»، رقم: (٣٤١) (ج١ ص٥١٥).

[٢] أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب ذكر المسيح بن مريم والمسيح الدجال، رقم (١٧٢) (ج١ ص١٥٦).

[٣] «الشفا» (ج١ ص٦٩).

[٤] «تلخيص الحبير»، كتاب السبق والرمي، (ج٤ ص١٦٢).

[٥] أخرجه أحمد في «مسنده»، (مسند أبي هريرة رضي الله عنه)، رقم (٨٥٨٨) (ج٢ ص٣٥٠)، وانظر: «مشكاة المصابيح»، كتاب الفضائل والشمائل، باب فضائل سيد المرسلين، رقم: (٥٧٩٥) (ج٣ ص٢٥٩).

١- قوله ﷺ عندما طلب منه الدعاء على المشركين: «**إِنِّي لَم أُبْعَث لَعَّانًا وَلَكِنِّي بُعِثْتُ رَحْمَةً**»[١].

٢- وروي أنه لما كسرت رباعيته، وشج وجهه يوم أحد، شق ذلك على أصحابه، وقالوا: لو دعوت عليهم ؟ فقال: «**إِنِّي لَم أُبْعَث لَعَّاناً، وَلَكِنِّي بُعِثْتُ دَاعِياً وَرَحْمَةً، اللَّهُم اهْدِ قَوْمِي فَإِنَّهُم لَا يَعْلَمُونَ**»[٢].

٣- واتَّفَقَ العُلَمَاء أنه ﷺ كان أعظم الناس عفواً، لا ينتقم لنفسه، ولهذا لما تصدى له غورث بن الحارث ليقتله والسيف بيده، وقال لرسول الله ﷺ : من يمنعك مني، قال له: «**الله!**» فسقط السيف من يده، فقال له عليه الصلاة والسلام، وقد أخذ السيف: «**مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟**»، فقال: كن خير آخذ، فتركه وعفا عنه، فجاء إلى قومه، فقال: جئتكم من عند خير الناس[٣].

٤- وعفا عليه الصلاة والسلام عن اليهودية التي سَمَّتْهُ في الشاة بعد اعترافها على الصحيح [٤].

٥- ولم يؤاخذ لبيد بن الأعصم إذ سَحَرَهُ، ولا عبد الله بن أَبيّ وأشباهه من المنافقين بعظيم ما نقل عنهم قولاً وفعلاً.

١٠) من خصائصه الأخلاقية ﷺ الشجاعة.

لا خلاف بين العلماء أنه ﷺ كان أشجع الناس.

ومما يؤيد ذلك روايات كثيرة منها ما يلي:

---

[١] أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن لعن الدواب وغيرها، رقم (٢٥٩٩) (ج٤ ص٢٠٠٦)، و«مسند أبي يعلى»، حديث: أبو حازم عن أبي هريرة رضي الله عنه، رقم (٦١٧٤) (ج١١ ص٣٥).

[٢] حديث ضعيف، ورد في «الجامع الصغير وزيادته»، رقم: (٣٥٥٩) (ج١ ص٣٥٦)، وانظر: «عون المعبود» (ج١٣ ص٩٤)، و«تحفة الأحوذي» (ج١٠ ص٥٤).

[٣] سبق تخريجه.

[٤] «الشفا» (ج١ ص١,٧).

١- سئل البراء: أفررتم عن رسول الله ﷺ يوم حنين ؟ قال: لكن رسول الله لم يفر، إن هوازن كانوا قومًا رماة، وإنا لما لقيناهم حملنا عليهم، فانهزموا فأقبل المسلمون على الغنائم، واستقبلونا بالسهام، فأما رسول الله ﷺ، فلم يفر، فلقد رأيته وإنه لعلى بغلته البيضاء، وإن أبا سفيان آخذ بلجامها والنبي ﷺ، يقول: «**أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِب، أَنَا ابنُ عَبْدِ المطَّلِب**»[١].

٢- قال ابن عمر ﷺ: ما رأيت أشجع ولا أنجد ولا أجود ولا أرضى من رسول الله ﷺ[٢].

٣- وعن أنس ﷺ: كان النبي ﷺ أحسن الناس وأجوده الناس وأشجع الناس، لقد فزع أهل المدينة ليلة، فانطلق ناس قبل الصوت، فتلقاهم رسول الله ﷺ راجعاً قد سبقهم إلى الصوت، وهو على فرس لأبي طلحة عري، والسيف في عنقه وهو يقول: «**لَنْ تُرَاعُوا**»[٣].

٤- وقال عمران بن حصين ﷺ: ما لقي النبي ﷺ كتيبة إلا كان أول من يضرب[٤].

٥- وقال علي بن أبي طالب ﷺ لَمَّا حَضَرَ البَأسُ يَومَ بَدْرٍ اتَّقَيْنَا برسول الله ﷺ، وكان مِنْ أشَدِّ الناس ما كان، أو لم يكن أحد أقرب إلى المشركين منه[٥]، وقيل: كان الشجاع هو الذي يقرب منه ﷺ، لقربه من العدو.

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب من قاد دابة غيره في الحرب، رقم (٢٧,٩) (ج٣ ص ١,٥١)، وبأرقام أخرى [٢٧١٩، ٢٧٧٢، ٢٨٧٧، ٤,٦١، ٤,٦٣]، وأخرجه مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب في غزوة حنين، رقم (١٧٧٦) (ج٣ ص١٤٠٠).

(٢) أخرجه الدارمي، في «سننه»، في المقدمة باب في حسن النبي ﷺ، رقم: (٥٩) (ج١ ص٤٤)، وقال حسين سليم أسد: «رجاله ثقات».

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الفضائل، باب في شجاعة النبي عليه السلام وتقدمه للحرب، رقم (٢٣,٧) (ج٤ ص ١٨,٢).

(٤) انظر: «تخريج أحاديث الإحياء»، كتاب الأمر بالمعروف، بيان شجاعته ﷺ، رقم: (٨) (ج٢ ص٣١٦).

(٥) أخرجه أحمد في «مسنده»، (مسند علي بن أبي طالب ﷺ)، رقم: (١,٤٢)، (ج١ ص١٢٦)، وقال شعيب الأرنؤوط: «إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين غير حارثة بن مضرب فمن رجال أصحاب السنن وهو ثقة»، وأخرجه الحاكم في «المستدرك»، كتاب قسم الفيء، والأصل من كتاب الله ﷻ، رقم: (٢٦٣٣)، (ج٢ ص١٥٥)، وقال الذهبي في التلخيص: «صحيح».

١١) من خصائصه الأخلاقية طيب النفس.

لا خلاف بين العلماء أنه ﷺ كان أكثر الناس تبسماً، وأطيبهم نفساً، ما لم ينزل عليه قرآن، أو يعظ، أو يخطب.

مما يؤيد ذلك ما يلي:

١- قال عبد الله بن الحارث[١] رضي الله عنه: ما رأيت أحداً أكثر تبسماً من رسول الله ﷺ[٢].

٢- وقال جرير [٣] رضي الله عنه : ما حجبني رسول الله ﷺ منذ أسلمت ولا رآني إلا تبسم في وجهي[٤]، وكان ﷺ يمازح أصحابه، ويخالطهم، ويحادثهم، ويداعب صبيانهم، ويجلسهم في حجره، ويجيب دعوة الحر، والعبد، والأمة، والمسكين، ويعود المرضى في أقصى المدينة، ويقبل عذر المعتذر.

---

[١] هو: عبد الله بن الحارث بن جزء بن عبد الله بن معدي كرب بن عمرو، أبو الحارث، الزبيدي، صحابي محدث، نزيل مصر، شهد فتح مصر روى عن النبي ﷺ، روى عنه سليمان بن زياد الحضرمي، وعقبة بن مسلم التُّجيبي، وعبيد الله بن المغيرة وعبيد بن ثمامة المرادي وغيرهم، وذكر أبو جعفر الطحاوي: أن وفاته كانت بأسفل أرض مصر، توفي (سنة: ٨٦ هـ). «تهذيب الكمال» (ج١٤ ص٣٩٢ - ٣٩٣).

[٢] أخرجه الترمذي في «سننه»، كتاب المناقب، باب في بشاشة النبي ﷺ، رقم: (٣٦٤١)، (ج٥ ص ٦,١)، وقال أبو عيسى: «هذا حديث حسن غريب»، وقال الشيخ الألباني: «صحيح»، وأخرجه أحمد في «مسنده»، (حديث عبد الله بن الحرث بن جزء الزبيدي)، رقم (١٧٧٤٠) (ج٤ ص ١٩٠).

[٣] هو: جرير بن عبد الله بن جابر بن مالك، أبو عمرو - وقيل: أبو عبد الله - البجلي، من قبيلة بجيلة إحدى القبائل اليمانية: صحابي، روى عن النبي ﷺ وعن عمر ومعاوية، قال الإمام أحمد : حدثنا محمد ابن عبيد حدثنا إسماعيل عن قيس عن جرير قال: «ما حجبني رسول الله ﷺ منذ أسلمت، ولا رآني إلا تبسم في وجهي»، توفي (سنة: ٥١ هـ) انظر: «البداية والنهاية» (ج٥ ص٧٧)، و(ج٨ ص٥٥)، و«تهذيب التهذيب» (ج٢ ص٧٣).

[٤] أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب من لا يثبت على الخيل، رقم (٢٨٧١) (ج٣ ص١١,٤)، وأخرجه مسلم في فضائل الصحابة، باب من فضائل جرير بن عبد الله رضي الله عنه، رقم: (٢٤٧٥)، (ج٤ ص١٩٢٥).

٣- قال أنس ﷺ : ما رأيت رجلا التقم أذن رسول الله ﷺ فينحي رأسه حتى يكون الرجل هو الذي ينحي رأسه، وما رأيت رجلا أخذ بيده فترك يده حتى يكون الرجل هو الذي يدع يده[١].

٤- كان ﷺ يبدأ مَنْ لَقِيَهُ بالسلام، ويبدأ أصحابه بالمصافحة، ولم يَرَ قَطّ مادًا رجليه بين أصحابه، حتى لا يضيق بهما على أحد، يكرم من يدخل عليه وربما بسط له ثوبه، ويؤثره بالوسادة التي تحته، ويعزم عليه في الجلوس عليها إن أبى، ويكني أصحابه، ويدعوهم بأحب أسمائهم تكرمة، ولا يقطع على أحد حديثه.

٥- روي أنه ﷺ كان لا يجلس إليه أحد وهو يصلي إلا خفف صلاته، وسأله عن حاجته، فإذا فرغ عاد إلى صلاته[٢].

١٢) مما خص به ﷺ أنه سمي بالأمين قبل النبوة.

كان أهل مكة وكل من عرف النبي ﷺ يسمونه بالأمين وذلك لما عرفوا من أمانته، وعدله وصدقه **ويؤيد ذلك ما يلي:**

١- ما روي عن الربيع بن خيثم[٣]: كان يتحاكم إلى رسول الله ﷺ في الجاهلية قبل الإسلام[٤].

---

[١] أخرجه أبو داود في «سننه»، كتاب الأدب، باب في حسن العشرة، رقم: (٤٧٩٤)، (ج٢ ص ٦٦٧)، وقال الشيخ الألباني: «حسن»، وأخرجه أبو يعلي في «مسنده»، حديث: ثابت البناني عن أنس، رقم: (٣٤٧١) (ج٦ ص١٨٧)، وانظر: «فتح الباري» (ج٦ ص ٥٦٨).

[٢] انظر: «تخريج أحاديث الإحياء»، كتاب الأمر بالمعروف، باب: آداب المعيشة وأخلاق النبوة، رقم: (١)، (ج٢ ص٢٧٨)، و«عون المعبود» (ج١٣ ص٩٤)، و«تحفة الأحوذي» ج١٠ ص٥٤).

[٣] هو: الربيع بن خيثم بن عائذ بن عبد الله بن موهب بن منفذ الثوري، أبو يزيد، الكوفي، روى عن النبي ﷺ مرسلاً، وعن عبد الله بن مسعود، وعبد الرحمن بن أبي ليلى، وأبي أيوب الأنصاري، وغيرهم قال الشعبي: كان الربيع أشد أصحاب ابن مسعود ورعًا، وقال منذر والثوري: شهد مع علي صفين. توفي (سنة: ٦٣، وقيل: ٦١هـ). انظر: «تهذيب التهذيب» (ج٣ ص٢٤٢)، و«تهذيب الكمال» (ج٩ ص٧٠ - ٧٦).

[٤] «الطبقات الكبرى» (ج١ ص١٥٧).

وقال النضر بن الحارث[1] لقريش: قد كان محمد فيكم غلاماً حدثاً، أرضاكم فيكم، وأصدقكم حديثاً، وأعظمكم أمانة، حتى إذا رأيتم في صدغيه الشيب، وجاءكم بما جاءكم به قلتم ساحر! لا والله ما هو بساحر[2].

٢- وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ يبايع النساء بالكلام بهذه الآية: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ وَأَرْجُلِهِنَّ أَيْدِيهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى فَبَايِعْهُنَّ مَعْرُوفٍ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[3]، قالت: وما مست يد رسول الله ﷺ يد امرأة إلا امرأة يملكها[4].

وقال ﷺ للأعرابي: «**وَيْحَكَ! فَمَن يَعْدِلِ إنْ لَم أعْدِلِ؟**»[5].

٣- أنهم لم يجدوا أحدا يأمنوه على أموالهم إلا النبي ﷺ بالرغم من معاندتهم في عدم الإيمان به.

والدليل على ذلك: أنه كانت لهم عنده أمانات عند الهجرة.

وقصارى القول في أخلاقه: أنه لو ماء البحار بجمعها كان المداد لِوَصْفِ أحْمَدَ مَا كفي، ولو استقصي علماء الخلائق عد أوصافه لن تعرفا، وكُلّ من وصفه أو نعته قال: لم ير قبله ولا بعده مثله[6]. وما ذكرت فقط الا بعض أمثلة من بعض جوانب الأخلاق عنده ﷺ.

---

[1] هو: النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف، من بني عبد الدار، من قريش: صاحب لواء المشركين ببدر، كان من شجعان قريش ووجوهها، له اطلاع على كتب الفرس وغيرهم، قرأ تاريخهم في: «الحيرة»، وقيل: هو أول من غنى على العود بألحان الفرس، وهو ابن خالة النبي ﷺ، ولما ظهر الاسلام استمر على عقيدة الجاهلية، وآذى رسول الله ﷺ كثيرا، توفي (سنة ٥٢ هـ).

[2] «فتح الباري» (ج٦ ص٥٦٠).

[3] سورة الممتحنة آية: (١٢).

[4] أخرجه البخاري، كتاب الأحكام، باب بيعة النساء، رقم: (٦٧٨٨) (ج٦ ص٢٦٣٧).

[5] «ظلال الجنة»، باب المارقة والحرورية والخوارج السابق لها خذلان خالقه، رقم: (٩٤٣) (ج٢ ص١٦٧).

[6] «الوفا» (ج١ ص٤٦٦).

المطلب الثاني

من الخصائص الخلقية للنبي ﷺ.

قد صنف العلماء في هذا الباب كثيرًا، فأحسن من جمع في ذلك الإمام أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي رَحِمَهُ اللَّهُ في كتاب الشمائل، وقد استوعب ذلك بأسانيده، وشرحه الحافظ ابن عساكر رَحِمَهُ اللَّهُ، وقد ذكر الشيخ النووي في تهذيبه فصلاً مختصرًا فيه، ولم يَخْلُ كتاب من كتب الحديث، الصحاح والمسانيد والسنن والموطآت من إفراد باب، أو فصل للحديث عن أوصافه، ومناقبه وشمائله ﷺ؛ وذلك لأنه وصف للجمال والنور النبوي المحمدي؛ ولذا اهتم به العلماء[1]، وسوف أذكر شيئًا مفصلا من ذلك العطاء الإلهي، والنور المحمدي، والكمال النبوي فيما يلي:

أولا: صفة وجه النبي ﷺ:

وصف الصحابة رضوان الله عليهم ملامح وجه النبي الكريم ﷺ وصفًا دقيقًا **ومن ذلك ما يلي:**

١- قال البراء رضي الله عنه: كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وجهًا، وأحسنهم خلقًا، ليس بالطويل البائن ولا بالقصير[2].

---

[1] «الشمائل المحمدية» للترمذي (ص: ٣)، و«الشمائل الشريفة» لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار طائر العلم للنشر والتوزيع، تحقيق: حسن بن عبيد باحبيشي، و«الأنوار في شمائل النبي المختار» لمحيي السنة الحسين بن مسعود البغوي (ت: ٥١٦هـ) حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: دار الضياء للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - ١٩٨٩م، و«جوامع السيرة» (ج١ ص٢١)، «جوامع السيرة»، وخمس رسائل أخرى لعلي بن أحمد بن سعيد بن حزم، الأندلسي، الظاهري، ت: إحسان عباس: دار المعارف - مصر الطبعة الأولى، سنة: ١٩٠٠م.

ويراجع في صفة الرسول ﷺ: «الطبقات الكبرى» لابن سعد (ج١ ص٢ : ١٢٠)، و«مسند الإمام أحمد بن حنبل»، بتحقيق أحمد محمد شاكر، في الأحاديث: (٦٨٤، ٧٤٤، ٧٩٨، ٩٤٤، ٩٤٦، ٩٤٧، ١,٥٣، ١١٢٢، ١٢٩٩، ١٣٠٠)، وكتاب: «شرح الشمائل» للترمذي (ج١ ص٨ – ٦٧) بشرح العلامة على القارئ.

[2] أخرجه البخاري كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ، رقم (٣٣٥٦) (ج٣ ص ١٣,٤)، وبعدة أرقام أخرى: [٣٣٥٨، ٣٣٥٩، ٥٥١٠، ٥٥٦١]، وأخرجه مسلم في الفضائل باب في صفة النبي ﷺ وأنه كان أحسن الناس وجها، رقم: (٢٣٣٧)، (ج٤ ص ١٨١٨).

٢- وسئل البراء ﷺ أكان وجه رسول الله ﷺ حديدا مثل السيف؟ قال: لا ولكنه مثل القمر[١]، وفي رواية لمسلم: عن جابر بن سمرة ﷺ: قال رجل: وجهه ﷺ مثل السيف؟ فقال جابر: لا؛ مثل الشمس والقمر مستديرا[٢].

٣- وعن جابر بن سمرة ﷺ قال: رأيت رسول الله ﷺ في ليلة إضحيان وعليه حلة حمراء فجعلت أنظر إليه وإلى القمر، فَلَهُوَ كان في عيني أحسن من القمر[٣].

٤- وقال كعب بن مالك[٤] ﷺ: كان ﷺ إذا سر استنار وجهه كأنه قطعة قمر، وكنا نعرف ذلك منه[٥].

٥- عن امرأة من هِمذان قالت: حججت مع النبي ﷺ وهو يطوف بالكعبة عليه بردان أحمرن، قال أبو إسحاق فقلت لها: شبهيه، قالت: كالقمر ليلة البدر، لم أر قبله ولا بعده مثله[٦].

٦- عن عمار بن ياسر ﷺ قال: قلت للربيع بنت معوذ ﷺ صِفِي لنا رسول الله ﷺ قالت: لو رأيته لقلت الشمس طالعة[١].

---

[١] أخرجه البخاري كتاب المناقب، باب: صفة رسول الله ﷺ، رقم: (٣٣٥٩) (ج٣ ص١٣,٤).

[٢] أخرجه مسلم، كتاب الفضائل، باب شيبه ﷺ، رقم (٢٣٤٤) (ج٤ ص١٨٢٢).

[٣] أخرجه الترمذي في «سننه»، كتاب الأدب عن رسول الله ﷺ باب ما جاء في الرخصة في لبس الحمرة للرجال، رقم (٢٨١١) (ج٥ ص ١١٨)، و«مسند أبي يعلى»، حديث ميمونة زوج النبي ﷺ، رقم (٧٤٧٧) (ج١٣ ص٣٨٦).

[٤] هو: كعب بن مالك بن أبي كعب أبو عبد الله (أو : أبو عبد الرحمن) الأنصاري الخزرجي السلمي (بفتحتين)، بايع النبي ﷺ ليلة العقبة، غزا مع النبي ﷺ الغزوات، وتخلف عن غزوة تبوك لشدة الحر، فهو أحد الثلاثة الذين تيب عليهم حيث نزل فيهم {لقد تاب الله على النبي} إلى قوله: {وعلى الثلاثة الذين خلفوا}، روى عنه أولاده وابن عباس وجابر وغيرهم. توفي بالشام في خلافة معاوية وقيل أيام قتل علي بن أبي طالب ﷺ. «الإصابة في تمييز الصحابة» (ج٣ ص٣,٢)؛ و«أسد الغابة» (ج٤ ص٢٤٧).

[٥] أخرجه البخاري كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ، رقم (٣٣٦٣) (ج٣ ص ١٣,٥)، وأخرجه مسلم في التوبة باب حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه، رقم: (٢٧٦٩)، (ج٤ ص٢١٢٠).

[٦] «تحفة الأحوذي» (ج١٠ ص٨٣٠)، و«الأنوار في شمائل النبي المختار» (ج١ ص٨٩)، و«جوامع السيرة» (ج١ ص٢١)، و«نبي الرحمة» ورقة تعريفية بمحمد ﷺ، لمحمد مسعد ياقوت (ج١ ص١٠، و١٣).

٧- وعن أبي هريرة ﷺ قال: ما رأيت أحسن من النبي ﷺ كأن الشمس تجري في وجهه وما رأيت أحدا أسرع في مشيه منه كأن الأرض تطوى له، إنا لنجتهد وإنه غير مكترث[٢].

وهكذا يتفق الوصافون له ﷺ على أن وجهه كان مستديرًا مثل القمر، وكان وجهه مستنيرا، له ضوء كضوء الشمس أو القمر في ليلة اكتماله والسماء صافية[٣].

ثانيا: صفة لون النبي ﷺ.

روى كثير من الصحابة صفة لون رسول الله ﷺ: ومن ذلك ما يلي:

١- روى عن أنس بن مالك ﷺ أنه قال: كان ﷺ رَبْعَة من القوم، ليس بالطويل ولا بالقصير، أزهر اللون، ليس بأبيض ولا آدم، ليس بجعد، قطط، ولا بالسبط، رجل نزل عليه القرآن وهو ابن أربعين سنة، فلبث بمكة عشر سنين ينزل عليه، وبالمدينة عشر سنين ثم توفي وهو ابن ستين، وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء، قال ربيعة: فرأيت شعرا من شعره قد احمَرَّ، فسألت، فقيل: مِنَ الطيب[٤].

٢- وفي حديث أبي الطفيل قال: كان أبيض مليح الوجه[٥].

٣- وفي رواية عن أنس ﷺ: وكان بياضه إلى السمرة[١].

---

[١] أخرجه الدارمي في «سننه»، في المقدمة (باب في حسن النبي ﷺ) رقم: (٦٠) (ج١ ص٤٤)، وانظر: «مجمع الزوائد»، كتاب علامات النبوة، باب صفته ﷺ، رقم: (١٤,٣٤) (ج٨ ص٤٩٧)، و«دلائل النبوة» (ج١ ص٢١٠، و٢١١)، و«فتح الباري» (ج٦ ص٥٦٧).

[٢] أخرجه أحمد في «مسنده»، (مسند أبي هريرة ﷺ)، رقم (٨٥٨٨) (ج٢ ص٣٥٠)، وقال شعيب الأرنؤوط: «حسن».

[٣] «جوامع السيرة» (ج١ ص٢١).

[٤] أخرجه البخاري كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ، رقم: (٣٣٥٩) (ج٣ ص١٣,٤).

[٥] أخرجه مسلم، كتاب الفضائل، باب كان النبي ﷺ أبيض مليح الوجه، رقم: (٢٣٤٠) (ج٤ ص١٨٢٠)، وأخرجه البخاري في «الأدب المفرد»، (باب الهدي والسمت الحسن)، رقم (٧٩٠).

٤- وروي عن أنس ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ أزهر اللون[٢].

٥- وقال علي بن أبي طالب ﷺ : كان رسول الله ﷺ مشربا وجهه حمرة[٣].

ومثله عن نافع بن جبير[٤] قال: وصف لنا علي النبي ﷺ فقال: كان أبيض مشرب إلى الحمرة. ولا تعارض بين الروايات. فإن المشرب منه حمرة وما تحت الثياب فهو الأبيض الأزهر[٥].

ويؤيد ذلك: ما روي عن محرش الكعبي قال: اعتمر رسول الله ﷺ من الجعرانة ليلا فنظرت إلى ظهره كأنه سبيكة فضة[٦].

وقد أزال أبي خيثمة [٧] ما يوهم ظاهرة التعارض بين الروايات فقال: ما رواه أحمد عن أنس ﷺ في قوله: «أسمر اللون» رواه غيره بلفظ: «أزهر اللون»، ونظرنا من روى صفة لونه ﷺ غـــير

---

[١] انظر: «كنز العمال»، كتاب الشمائل من قسم الأفعال الذي ذكره الشيخ جلال الدين رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه جمع الجوامع، باب في حليته ﷺ، رقم: (١٨٥٥٥) (ج٧ ص٣٢١).

[٢] أخرجه البخاري، كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ، رقم (٣٣٥٤) (ج٣ ص١٣,٢)، وأخرجه مسلم في الفضائل باب في صفة النبي ﷺ ومبعثه وسنه، رقم (٢٣٣٠) (ج٤ ص ١٨١٤).

[٣] أخرجه أحمد في «مسنده»، (مسند علي بن أبي طالب ﷺ)، رقم (١,٥٣) (ج١ ص١٢٧٠)، وانظر: «كنز العمال»، كتاب الشمائل من قسم الأفعال الذي ذكره الشيخ جلال الدين رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه جمع الجوامع، {باب في حليته ﷺ}، رقم: (١٨٥٦٩) (ج٧ ص٣٢٦).

[٤] هو: نافع بن جبير بن مطعم بن عدى بن نوفي، من قريش: من كبار الرواة للحديث.تابعي. ثقة.من أهل المدينة، كان فصيحا، عظيم النخوة، جهير المنطق، يفخم كلامه، وفيه تيه، وكان ممن يؤخذ عنه ويفتى بفتواه، توفي (سنة: ٩٩ هـــ).

[٥] «عون المعبود» (ج١٣ ص٩٤)، و«تحفة الأحوذي» (ج١٠ ص٥٤)، و«الأنوار في شمائل النبي» (ج١ ص٩٠)، و«جوامع السيرة» (ج١ ص٢١).

[٦] أخرجه النسائي في «سننه»، كتاب مناسك الحج، دخول مكة ليلا، رقم (٢٨٦٤) (ج٥ ص٢٠٠)، وأخرجه الإمام أحمد في «مسنده»، (حديث محرش الكعبي الخزاعي ﷺ)، رقم (١٥٥٥١) (ج٣ ص ٤٢٦).

[٧] ابن أبي خيثمة أحمد بن زهير (أبي خيثمة) بن حربابن شداد النسائي ثم البغدادي، أبو بكر: مؤرخ، من حفاظ الحديث. كان ثقة، راوية للأدب، بصيرا بأيام الناس، له مذهب، ونسب إلى القول بالقدر، أصله ومولده ووفاته ببغداد، سنة ٢٧٩ هـ. من تصنيفه: (التاريخ الكبير) كما في «تذكرة النوادر». انظر: «الأعلام» للزركلي (ج١ ص١٢٨).

أنس كلهم وصفوه بالبياض دون السمرة، وهم خمسة عشر صحابيًّا: منهم أبو بكـــر، وعمـــر، وعلي، وأبو جحيفة، وابن عمر، وابن عباس، وهند بن أبي هالة، والحسن بن علي، وأبو الطفيل، ومخرش الكعبي، وابن مسعود، والبراء بن عازب، وسعد بن أبي وقاص، وعائشة، وأبو هريرة[1]،

وقال ابن أبي خيثمة: ولونه الذي لا شك فيه: الأبيض الأزهر المشرب من حمرة، وإلى السمرة ما ضحى منه للشمس والريح، وأما ما تحت الثياب فهو الأبيض الأزهر[2].

ثالثا: صفة عين رسول الله ﷺ وفمه.

تعددت الروايات التي يصف فيها الصحابة رضوان الله عليهم عين رسول الله وفمه، **ومن ذلك ما يلي:**

١- عن جابر بن سمرة ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ ضليع الفم، أشكل العينين، منهوش العقب. قال شعبة: قلت لسماك: ما ضليع الفم؟ قال واسع الفم، قلت ما أشكل العينين ؟ قال طويل شق العين، قال قلت ما منهوش العقب؟ قال: قليل اللحم[3].

٢- روي أن رجلا سأل عليًا: يا أمير المؤمنين انعت لنا رسول الله ﷺ صفه لنا، قال: كان ليس بالذاهب طولا فوق الربعة، إذا جاء مع القوم غمرهم، أبيض شديد الوضح، ضخم الهامة، أغـــر أبلج، أهدب الأشفار، شثن - ضخم - الكفين والقدمين، إذا مشى يتقلع، كأنمـــا ينحـــدر في صبب، كأن العرق في وجهه اللؤلؤ لم أر قبله، ولا بعده مثله ﷺ بأبي وأمي[4].

---

[1] «نظم المتناثر» لجعفر الحسني الإدريسي الشهير بالكتاني (ج١ ص٢٩٠).

[2] «تحفة الأحوذي» ج١٠ ص٨٦)، و«فتح الباري» (ج٦ ص٥٦)، و«الأنوار في شمائل النبي المختار» (ج١ ص٨٩).

[3] أخرجه مسلم، كتاب الفضائل، باب في صفة فم النبي ﷺ وعينيه وعقبيه، رقم: (٢٣٣٩) (ج٤ ص١٨٢٠).

[4] انظر: «مجمع الزوائد»، كتاب علامات النبوة، باب صفته ﷺ، رقم (١٤٠٢٠) (ج٨ ص٤٨٦)، و«كنز العمال»، كتاب الشمائل من قسم الأفعال، {باب في حليته ﷺ}، (ج٧ ص٣٢٣).

٣- وعن أبي هريرة ﷺ قال كان ﷺ أهدب أشفار العينين[١].

٤- وعن علي ﷺ قال: كان في الوجه تدوير، أبيض مشرب بحمرة، أدعج العينين أهدب الأشفار[٢].

رابعا: صفة جبين رسول الله ﷺ

وصف الصحابة جبين رسول الله ﷺ ومن ذلك ما يلي:

١- عن أبي هريرة ﷺ قال: كان ﷺ أَهْدَبَ أَشْفَارِ العَيْنَيْنِ، بعيد ما بين المنكبين مفاض الجبين[٣].

٢- وعن الحسن بن علي ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ واسع الجبين، أزج الحواجب سوابغ من غير قرن، بينهما عِرْقٌ يُدِرُّهُ الغَضَبُ، أقنى العرنين، له نور يعلوه، يحسبه من لم يتأمله أشم، كث اللحية، سهل الخدين، ضليع الفم، أشنب، مفلج الأسنان، دقيق المسربة، كأن عنقه جيد دمنة في صفاء الفضة معتدل الخلق[٤].

---

[١] أخرجه البخاري في الأدب المفرد، آداب المجالس، (باب: إذا التفت التفت جميعا)، رقم: (١١٥٥) (ج١ ص١١٥٥)، و«شرح الشمائل» للترمذي (ج١ ص٤٣)، و«الأنوار في شمائل النبي المختار» (ج١ ص٨٩).

[٢] أخرجه الترمذي، كتاب المناقب، باب ما جاء في صفة النبي ﷺ، ورقم: (٣٦٣٨) (ج٥ ص٥٩٩).

[٣] أي: واسع، أزج أي: متقوس الحاجب مع طول في طَرفه وامتداد، وقيل الزجج دقة الحاجبين. «مسند الشاميين»، حديث: (الزهري عن سعيد بن المسيب)، رقم: (١٧١٧) (ج٣ ص١٩).

[٤] يدره الغضب: يحركه الغضب ويظهره، والحديث في: «مجمع الزوائد»، كتاب علامات النبوة، باب صفته ﷺ، رقم: (١٤,٢٦) (ج٨ ص٤٨٧)، وأخرجه الترمذي في «الشمائل» باب ما جاء في خلق رسول الله ﷺ، رقم: (٧)، و«كنز العمال»، كتاب الشركة من قسم الأفعال، الباب الأول {في حليته ﷺ}، رقم: (١٧٨,٧) (ج٧ ص٥٠)، «تحفة الأحوذي» (ج١٠ ص٨٦).

٣- وعن ابن عباس ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ أفلج الثنيتين، وكان إذا تكلم رؤى كالنور يخرج من بين ثناياه[١].

خامسا: صفة رأس رسول الله ﷺ ولحيته.

ذكر أصحاب السير وصفًا دقيقًا لصفة رأس رسول الله ﷺ، ولحيته عن أصحابه ﷺ، ومن ذلك ما يلي:

١- عن علي بن أبي طالب قال: كان رسول الله ﷺ ضخم الرأس واللحية[٢].

٢- وعن نافع بن جبير ﷺ قال: وصف لنا علي رسول الله ﷺ فقال: كان ضخم الهامة عظيم اللحية، وفي رواية قال: كان ﷺ كث اللحية[٣].

سادسا: صفة شعر رسول الله ﷺ .

مما وصف به الصحابة شعر رسول الله ﷺ ما يلي:

١- عن أنس ﷺ قال: كان شعر رسول الله ﷺ رَجِلًا، ليس بالسبط، ولا الجعد، بين أذنيه وعاتقه[١].

---

[١] أخرجه الدارمي في «سننه»، في المقدمة، باب في حسن النبي ﷺ، رقم: (٥٨) (ج١ ص٤٤)، و«كنز العمال» كتاب الشركة من قسم الأفعال، الباب الأول {في حليته ﷺ}، رقم: (١٧٨١٩) (ج٧ ص٥٤) و«مجمع الزوائد» (ج٨ ص٢٧٩).

[٢] أخرجه الإمام أحمد في «مسنده»، (مسند علي بن أبي طالب ﷺ)، رقم: (٧٤٦) (ج١ ص٩٦)، «كنز العمال»، كتاب «الشمائل» من قسم الأفعال الذي ذكره الشيخ جلال الدين رحمه الله في كتابه جمع الجوامع، {باب في حليته ﷺ}، رقم (١٨٥٦٩) (ج٧ ص٣٢٦).

[٣] «كنز العمال»، كتاب الشركة من قسم الأفعال، الباب الأول {في حليته ﷺ}، رقم: (١٧٨٣٣) (ج٧ ص٥٨)، وانظر: «الجامع الصغير وزيادته»، رقم (٨٩٥١) (ج١ ص٨٩٦)، وقال الشيخ الألباني: (حسن)، وانظر حديث رقم: (٤٨٢٠) في «صحيح الجامع».

٢- عن أنس ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ رَجِلَ الشعر ليس بالسبط، ولا الجعد القطط[٢].

٣- وعن أنس ﷺ أيضا قال: كان شعر رسول الله ﷺ إلى شحمة أذنيه[٣].

٣- وفي رواية أخرى عن أنس ﷺ: كان شعر رسول الله ﷺ إلى أنصاف أذنيه[٤].

٤- وقال البراء بن عازب ﷺ: كان رسول الله ﷺ مَرْبُوعًا بَعِيْدَ مَا بين المنكبين، يبلغ شعره شحمة أذنيه، عليه حلة حمراء، ما رأيت أحسن منه[٥].

٥- وقالت أم هانئ[٦]: قدم النبي ﷺ مكة وله أربع غدائر، أي: عقائص[٧].

---

[١] أخرجه البخاري، كتاب اللباس، باب الجعد، رقم: (٥٥٦٥) (ج٥ ص٢٢١١)، وأخرجه مسلم، كتاب الفضائل، باب صفة شعر النبي ﷺ، رقم: (٢٣٣٨) (ج٤ ص١٨١٩).

[٢] أخرجه الإمام أحمد في «مسنده»، (مسند أنس بن مالك ﷺ)، ورقم: (١٣٥٤٣) (ج٣ ص٢٤٠)، وأخرجه أبو يعلى في «مسنده»، حديث: ربيعة الرأي عن أنس، رقم: (٣٦٤٣)، (ج٦ ص ٣١٩)، وقال حسين سليم أسد: «إسناده صحيح».

[٣] أخرجه أبو داود في «سننه»، كتاب الترجل، باب ما جاء في الشعر، رقم: (٤١٨٥) (ج٢ ص٤٨١).

[٤] أخرجه مسلم، كتاب الفضائل، باب صفة شعر النبي ﷺ، رقم (٢٣٣٨) (ج٤ ص١٨١٩).

[٥] أخرجه البخاري، كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ، رقم (٣٣٥٨) (ج٣ ص١٣,٣)، وأخرجه مسلم، كتاب الفضائل، باب في صفة النبي ﷺ، وأنه كان أحسن الناس وجها، رقم: (٢٣٣٧) (ج٤ ص١٨١٨).

[٦] هي: أم هانئ بنت أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمية ابنة عم النبي ﷺ، اسمها فاختة وهو الأشهر، وقيل غير ذلك، من فواضل نساء عصرها، لها صحبة، أسلمت عام الفتح، وكان زوجها هبيرة بن عمرو بن عائذ المخزومي، فلما أسلمت وفتح الرسول ﷺ مكة هرب زوجها هبيرة إلى نجران، روت عن النبي ﷺ (٤٦ حديثًا)، وروى عنها عبد الله بن عباس وآخرون. وقد خطبها رسول الله ﷺ ولم يتزوجها، ماتت في خلافة معاوية. «الإصابة» (ج٤ ص٥,٣)، و«أعلام النساء» (ج٤ ص١٤).

[٧] أخرجه أبو داود كتاب الترجل، باب في الرجل يعقص شعره، رقم: (٤١٩١) (ج٤ ص٨٣)، والترمذي، كتاب اللباس، باب ٣٩ دخول النبي ﷺ مكة، رقم: (١٧٨١) (ج٤ ص٢٤٦) وقال: «حسن غريب».

٦- وعن ابن عباس ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ يُحِبُّ مُوَافَقَةَ أهْلِ الكِتَابِ فيما لم يؤمر فيه، وكان أهل الكتاب يسدلون أشعارهم وكان المشركون يفرقون رؤوسهم فسدل رسول الله ﷺ ناصيته ثم فرق بعد[١].

وحاصل ما سبق: أن شَعْرَهُ ﷺ كان جُمَّة ووفْرَةً، ولِمَّة فوق الجمة، ودون الوفرة، والوفرة: ما بلغ شحمة الأذن، واللمة - بكسر اللام -: ما نزل عن شحمة الأذن، والجُمَّةُ هي: مجتمع شعر الرأس، وهي أكثر من الوفرة ما نزل عن ذلك إلى المنكبين[٢].

سابعا: صفة شيب رسول الله ﷺ وخضابه.

أما صفة شيبه ﷺ فقد جاءت فيها الروايات الآتية:

١- قال أنس بن مالك ﷺ: قُبِضَ رسول الله ﷺ وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء[٣].

٢- وعن جابر بن سمرة قال: ما كان في رأس رسول الله ﷺ ولا في لحيته من الشيب إلا شعرات في مفرق رأسه إذا ادَّهَن وارَاهُنَّ الدُّهْنُ[٤].

٣- وعن ثابت[٥] قال:سألت أنس بن مالك: هل خَضَبَ رسول الله ﷺ؟ فقال: لا، إنه لم يبر من الشيب ما يخضب، ولو شئت أن أعد شمطات كن في لحيته، ولكن أبو بكر خضب[١].

---

[١] أخرجه البخاري،كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ، (ج٣ ص١٣,٥) رقم: (٣٣٦٥)، وأخرجه مسلم كتاب الفضائل باب سدل النبي ﷺ شعره.

[٢] هامش: «دلائل النبوة» نقلا عن الحافظ العراقي (ج١ ص٢٢٧)، و«دلائل النبوة» للبيهقي (ج١ ص٢٢٥، و٢٢٧)، و«سنن أبو داود» (ج٤ ص٥٤)، و«سنن الترمذي» (ج٥ ص٥٩٨)، و«شرح الشمائل» للترمذي (ج١ ص٤٣).

[٣] أخرجه البخاري، كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ، رقم: (٣٣٥٤) (ج٣ ص١٣,٢)، وأخرجه مسلم، كتاب الفضائل، باب في صفة النبي ﷺ، ومبعثه وسنه، رقم: (٢٣٤٧) (ج٤ ص١٨٢٤).

[٤] أخرجه الإمام أحمد في «مسنده»، (حديث جابر بن سمرة ﷺ)، رقم (٢,٨٧٢) (ج٥ ص٩٠).

[٥] هو: ثابت بن أسلم، أبو محمد، البناني، البصري، من تابعي أهل البصرة، روى عن أنس وابن الزبير وابن عمر وعبد الله بن مغفل، وروى عنه حميد الطويل وشعبة، وجرير بن حازم وحماد بن سلمة وحماد بن زيد ومعمر وغيرهم، قال السمعاني:

٥- وعن إياد بن أبي رمثة قال: انطلقت مع أبي نحو رسول الله ﷺ، فلما رأيته قال لي: هل تدري من هذا؟ فقلت: لا، قال: إن هذا رسول الله ﷺ، فاقشعررت حين قال ذلك، وكنت أظن رسول الله ﷺ شيئًا لا يشبه الناس، فإذا هو بشر، ذو وقرة بها ردع من صفاء، وعليه بردان أخضران[٢].

٦- وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كان النبي ﷺ يلبس النعال السبتية، ويصفر لحيته بالورس والزعفران[٣]، وكان ابن عمر يفعل ذلك.

ثامنا: صفة كَفَّي رسول الله ﷺ وذراعيه وساقيه وصدره، وبُعْد ما بين منكبيه.

جاء في وصف كَفَّي رَسُول الله ﷺ وذراعيه وساقه وصدره ما يلي:

١- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ بعيد ما بين المنكبين[٤].

٢- وقال أنس: كان ﷺ شثن - ضخم - الكفين؛ لم أر بعده ولا قبله مثله[٥].

٣- وفي رواية أخرى للبخاري عن أنس أيضا: كان النبي ﷺ ضخم الكفين والقدمين، لم أر بعده شبها له[١].

كان من أعبد أهل البصرة، وقال العجلي: ثقة، رجل صالح، وقال ابن سعد: «كان ثقة مأمونا»، توفي (سنة: ١٢٧)، وقيل: (١٢٣ هـ). «تهذيب التهذيب» (ج٢ ص٤,٢)، و«الأنساب» (ج٢ ص٣٣٠).

[١] أخرجه مسلم، كتاب الفضائل، باب شيبه ﷺ، رقم: (٢٣٤١) (ج٤ ص١٨٢١).

[٢] أخرجه أبو داود، كتاب الترجل، باب ما جاء في خضاب الصفرة، رقم: (٤٢,٦) (ج٤ ص٨٦)، وأخرجه الترمذي، كتاب الأدب، باب ما جاء في الثوب الأخضر، رقم: (٢٨١٢) (ج٥ ص١١٩).

[٣] أخرجه أبو داود، كتاب الترجل، باب ما جاء في خضاب الصفرة، رقم (٤٢١٠) (ج٢ ص٤٨٥)، أخرجه النسائي، كتاب الزينة، تصفير اللحية بالورس والزعفران، رقم: (٥٢٤٤) (ج٨ ص١٨٦).

[٤] «مسند الشاميين»، حديث: (الزهري عن سعيد بن المسيب)، رقم (١٧١٧) (ج٣ ص١٩٠)، و«دلائل النبوة» للبيهقي (ج١ ص ٢٢٥)، و«الشمائل» للترمذي (ج١ ص٤٣)، و«الأنوار في شمائل النبي المختار» (ج١ ص٩١).

[٥] انظر: «مجمع الزوائد»، كتاب علامات النبوة، باب صفته ﷺ، رقم (١٤٠٢٠) (ج٨ ص٤٨٦)، و«كنز العمال»، كتاب الشمائل من قسم الأفعال، { باب في حليته ﷺ }، (ج٧ ص٣٢٣).

٥- وعن جابر بن سمرة ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ لا يضحك إلا تبسما، وكان في ساقيه حموشة، وكنت إذا نظرت إليه قلت: أكحل العينين وليس بأكحل[٢].

تاسعا: صفة قامَة رسول الله ﷺ.

وصف الصحابة قامَة رسول الله ﷺ ومن ذلك ما يلي:

١- قال أنس ﷺ: كان ﷺ رَبْعَةً مِنَ القوم ليس بالطويل ولا بالقصير[٣].

٢- وقال البراء ﷺ: كان رسول الله ﷺ أَحْسَنَ النّاسِ وَجْهًا، وأحسنهم خلقا، ليس بالطويل الذاهب ولا بالقصير[٤].

٣- وعن سعيد بن المسيب ﷺ قال: سمعت أبا هريرة يصف النبي ﷺ، فقال: كان ﷺ رَبْعَةً وهو إلى الطول أقرب، وكان يُقْبِلُ جَميعا، ويُدْبِرُ جميعا، ولم أر قبله مثله ولا بعده[٥].

عاشرا: رائحة رسول الله ﷺ وعرقه ولين يده ﷺ[٦].

الروايات في وصف رائحة رسول الله ﷺ وعرقه أكثر من أن تحصى **ومن ذلك ما يلي:**

---

[١] أخرجه البخاري، كتاب اللباس، باب الجعد، رقم (٥٥٦٨) (ج٥ ص٢٢١٢).

[٢] أخرجه الترمذي، كتاب المناقب، باب: في صفة النبي ﷺ، رقم (٣٦٤٥) (ج٥ ص ٦,٣)، وأخرجه الإمام أحمد في «مسنده»، (ومن حديث أبي عبد الرحمن عن مشايخه من حديث جابر بن سمرة عن النبي ﷺ)، رقم: (٢,٩٥٥) (ج٥ ص٩٧).

[٣] أخرجه البخاري، كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ)، رقم (٣٦٤٣) (ج٣ ص ١٣,٢).

[٤] أخرجه الإمام مسلم، كتاب الفضائل، باب في صفة النبي ﷺ، وأنه كان أحسن الناس وجها، رقم: (٢٣٣٧) (ج٤ ص١٨١٨).

[٥] أخرجه البخاري في الأدب المفرد، (باب خير المجالس أوسعها)، و(باب إذا التفت التفت جميعا)، رقم: (١١٥٥) (ج١ ص٢٩٥).

[٦] «تحفة الأحوذي» (ج١٠ ص٥٧)، و«فتح الباري» (ج٦ ص٥٧٢)، و«الأنوار في شمائل النبي المختار» (ج١ ص٩١).

١- قال أنس ﷺ: ما مسست حريرًا ولا ديباجًا ألين من كف النبي ﷺ، ولا شَمَمتُ ريحا قط أو عَرْفًا قَطّ أطيب من ريح أو عرق النبي ﷺ[١].

٢- وعن أنس ﷺ أيضًا: كان ﷺ أزْهَرَ اللون، كأن عرقه اللؤلؤ، إذا مشى تكفأ، ولا مسست ديباجة، ولا حريرة ألين من كف رسول الله ﷺ، ولا شممت مِسْكَة، ولا عنبرة أطيب من رائحة رسول الله ﷺ[٢].

٣- وفي مسند أحمد قال: أتى النبي ﷺ بدلو من ماء، فشرب منه، ثم مج في الدلو، ثم صب في البئر، أو شرب من الدلو، ثم مَجّ في البئر ففاح منها مثل ريح المسك[٣].

٤- وعن أنس ﷺ قال: دخل النبي ﷺ، فقال عندنا فعرق، وجاءت أمي بقارورة، فجعلت تسلت العرق فيها، فاستيقظ النبي ﷺ، فقال: يا أم سليم ما هذا الذي تصنعين؟ قالت: هذا عرقك نجعله في طيبنا، وهو من أطيب الطيب[٤].

قال النووي: وهذا مما أكرمه الله به، وقال إسحق بن راهويه: فهذه الرائحة كانت رائحة رسول الله ﷺ من غير طيب، فكانت الريح الطيبة صفته، وإن لم يمسس طيبا، ومع هذا كان يستعمل الطيب في أكثر أوقاته مبالغة في طيب رائحته لملاقاة الملائكة والوحي[٥].

---

[١] أخرجه البخاري، كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ، رقم: (٣٣٦٨) (ج٣ ص١٣,٦)، وأخرجه مسلم في الفضائل باب طيب رائحة النبي ﷺ ولين مسه، رقم: (٢٣٣٠)، (ج ٤ ص ١٨١٤).

[٢] أخرجه مسلم، كتاب الفضائل، باب طيب رائحة النبي ﷺ، ولين مسه والتبرك بمسحه، رقم: (٢٣٣٠) (ج٤ ص١٨١٤).

[٣] أخرجه الإمام أحمد في «مسنده»، (حديث وائل بن حجر رضي الله تعالى عنه)، رقم (١٨٨٥٨) (ج٤ ص٣١٥).

[٤] أخرجه مسلم، كتاب الفضائل، باب طيب عرق النبي ﷺ والتبرك به، رقم: (٢٣٣١)، (ج٤ ص١٨١٥).

[٥] «تحفة الأحوذي» (ج١٠ ص٨٥)، و«الأنوار في شمائل النبي المختار» (ج١ ص٩).

وفيما يلي الوصف الجامع لصفة الرسول ﷺ:

قال علي رضي الله عنه: لَم يَكُن النبي ﷺ بالطويل ولا بالقصير البائن[1]، وكان رَبْعَةً مِنَ القَوْمِ، ولم يكن بالجعد القطط[2]، ولا بالسَّبْطِ، كان جعدا رجلا، وكان في الوجه تدوير أبيض، مشرب، أدعج العينين، أهدب الأشفار، جليل المشاش والكنف، ذا مشربة، شثن الكفين والقدمين، إذا مشى تقلع كأنما يمشي في جيب، وإذا التفت التفت معا، بين كتفيه خاتم النبوة، أجود الناس كفا، وأجرأ الناس صدرًا، وأصدق الناس لهجة، وأوفى الناس ذمة، وألينهم عريكة[3]، وأكرمهم عشرة، من رآه بديهة هابه، ومن خالطه معرفة أحبه، يقول ناعته لم أر قبله ولا بعده مثله[4].

وقال النووي: كان ﷺ ليس بالطويل البائن ولا القصير، ولا الأبيض الأمهق[5]، ولا الآدم، ولا الجعد القطط ولا السبط[6]، وتوفي وليس في رأسه عشرون شعرة بيضاء، وكان حسن الجسم بعيد ما بين المنكبين، له شعر إلى منكبيه، وفي وقت إلى شحمة أذنيه، وفي وقت إلى نصف أذنيه،

---

(1) ولا بالقصير المتردد، أي: المتناهي في القصر، كأنه تردد بعض خلقه على بعض، وانضم بعضه على بعض، وتداخلت أجزاؤه.

(2) رجل قَطّ الشعر وقَططُه: أي قصيره جعده، والسبط نقيضه، وشعرٌ رَجِلٌ: بين السبوطة والجعودة. «شرح النووي على مسلم» (ج١٥ ص ٩٢)، و«جوامع السيرة» (ج١ ص٢٢).

(3) وألينهم عَرِيْكَة: العريكة الطبيعة، يقال: «فلان لين العريكة» إذا كان سلسا مطواعا منقادا قليل الخلاف والنفور. «تحفة الأحوذي» (ج١٠ ص٨٥)، و«الأنوار في شمائل النبي المختار» (ج١ ص٩٧).

(4) الحديث أخرجه الترمذي في «سننه»، كتاب المناقب، باب ما جاء في صفة النبي ﷺ، رقم: (٣٦٣٨) (ج٥ ص٥٩٩).

(5) الأمهق: الشديد البياض الذي لا يخالط بياضه شيء من الحمرة، والآدم: الأسمر. «جوامع السيرة» (ج١ ص٢٢).

(6) ولم يكن بالجعد القطط ولا بالسبط، كان جعدا رجلا - بكسر الجيم ويفتح ويسكن – أي: لم يكن شعره شديد الجعودة ولا شديد السبوطة؛ بل بينهما، ولم يكن بالمطهَّم - بتشديد الهاء المفتوحة – أي: المنتفخ الوجه، وقيل: الفاحش السِّمَن، وقيل: النحيف الجسم، وهو من الأضداد. كذا في «النهاية»، ولا بالمكلثم: اسم مفعول من الكلثمة، وهو اجتماع لحم الوجه بلا جهومة، كذا في القاموس، وقال في النهاية هو: من الوجوه القصير الحنك الدني الجبهة المستدير مع خفة اللحم، أراد أنه كان أسيل الوجه، ولم يكن مستديرا انتهى. وقال الطيبي: أي لم يكن مستديرا كاملا؛ بل كان فيه تدوير ما. «تحفة الأحوذي» (ج١٠ ص: ٨٣).

كث اللحية، شثن الكفين، أي غليظ الأصابع، ضخم الرأس والكراديس[1]، في وجهه تدوير، أدعج العينين طويل أهدابهما، أحمر المآقي ذا مشربة، وهي الشعر الدقيق من الصدر إلى السرة، كالقضيب، إذا مشى تقلع كأنما ينحط من صبب أي يمشي بقوة، والصبب: الحدور، يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر، كان وجهه كالقمر، حسن الصوت، سهل الخدين، ضليع الفم، سواء الصدر والبطن، أشعر المنكبين والذراعين وأعالي الصدر، طويل الزندين رحب الراحة، أشكل العينين[2]، أي طويل شقهما، منهوس العقبين، أي قليل لحم العقب، بين كتفيه خاتم النبوة، كزر الحجلة وكبيضة الحمامة، وكان إذا مشى كأنما تطوى له الأرض، ويجدون في لحاقه وهو غير مكترث. وكان يسدل شعر رأسه، ثم فرقه، وكان يرجله، ويسرح لحيته ويكتحل بالإثمد كل ليلة، في كل عين ثلاثة أطراف عند النوم، وكان أحب الثياب إليه القميص والبياض والحبرة، وهي ضرب من البرود فيه حمرة، وكان كم قميصه ﷺ إلى الرسغ، ولبس في وقت حلة حمراء وإزاراً ورداء، وفي وقت ثوبين أخضرين، وفي وقت جبة ضيقة الكمين، وفي وقت قباء، وفي وقت عمامة سوداء، وأرخى طرفها بين كتفيه، وفي وقت مرطاً أسود أي كساء، ولبس الخاتم والخف والنعل.

وفي رواية: كأن عرقه اللؤلؤ، وريح عرقه أطيب من المسك الأذفر، ليس بالطويل ولا بالقصير.

وفي رواية: إذا وضع رداءه عن منكبيه فكأنه سبيكة فضة، وإذا ضحك تلألأ، لم أر قبله ولا بعده مثله[3]، وقال أنس بن مالك رضي الله عنه: ما مسست ديباجاً ولا حريراً ألين من كف رسول الله ﷺ، ولا شممت رائحة قط أطيب من رائحة رسول الله ﷺ ولقد خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين فما قال لي أف قط، ولا قال لشيء فعلته: لم فعلته؟ ولا لِشَيءٍ لَم أفْعَله: ألا فعلت كذا؟[4].

---

[1] الكراديس: كل عظمين التقيا في مفصل، وأوطف الأشفار: أي كان في هدب أشفار عينيه طول. «جوامع السيرة» (ج١ص ٢٢).

[2] «شرح النووي على مسلم» (ج١٥ ص ٩٢)، و«فتح الباري» (ج٦ ص٥٧٥)، و«نبي الرحمة» (ج١ ص ١١).

[3] «عون المعبود» (ج١٣ ص٩٢)، و«الأنوار في شمائل النبي المختار» (ج١ ص ٩٧).

[4] سبق تخريجه.

وقال عبد الله بن سلام[1]: لَمَّا قدم النبي ﷺ المدينة انْجَفَل الناس إليه، فلما نظرت إليه عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب[2].

وقالت هند بنت أبي هالة تَصِفُه ﷺ عندما قال لها زوجها: صفيه لي يا أم معبد، قالت: رأيت رجلا ظاهر الوضاءة، أبلج الوجه، حسن الخلق، لم تعبه ثجلة (ثجل: ضخم البطن)، و لم تزر به صعلة (الصعل: صغر الرأس) وسيم، قسيم في عينيه دعج، وفي أشفاره وطف، وفي صوته صهل، وفي عنقه سطع، وفي لحيته كثافة، أزج، أقرن، إن صمت فعليه الوقار، وإن تكلم سما وعلاه البهاء، أجمل الناس، وأبهى من بعيد، وأحلاه وأحسنه من قريب، حلو المنطق، لا هذر، ولا نزر، كأن منطقة خرزات نظم ينحدرون ربع، لا ييأس من طول، ولا تقتحمه عين من قصر، غصن بين غصنين، فهو أنظر الثلاثة منظرًا، وأحسنهم قدرًا، له رفقاء يحفون به، إن قال أنصتوا لقوله، وإن أمر تبادروا أمره، محفود محسود لا عابس ولا مفند[3].

قال أبو معبد[4]: هو والله صاحِبُ قريش الذي ذكر لنا من أمره ما ذكر بمكة ولقد هممت أن أصحبه، ولأفعلن إن وجدت إلى ذلك سبيلا، وأصبح صوت بمكة عاليا يسمعون الصوت ولا يدرون من صاحبه وهو يقول:

جَزَى اللَّهُ رَبُّ النَّاسِ خَيْرَ جَزَائِهِ *** رَفِيقَيْنِ قَالَا خَيْمَتَيْ أُمِّ مَعْبَدِ

هُمَا نَزَلَاهَا بِالْهُدَى وَاهْتَدَتْ بِهِ *** فَقَدْ فَازَ مَنْ أَمْسَى رَفِيقَ مُحَمَّدِ

فَيَالَ قُصَيٍّ مَا زَوَى اللَّهِ عَنْهُمُ *** بِهِ مِنْ فِعَالٍ لَا تُجَازَى سُؤْدُدِ

لِيَهْنِ بَنِي كَعْبٍ مَقَامُ فَتَاتِهِمْ *** وَمَقْعَدُهَا لِلْمُؤْمِنِينَ بِمَرْصَدِ

---

[1] هو الصحابي الجليل: عبد الله بن سلام بن الحارث، أبو يوسف، الأنصاري رضي الله عنه، كان يهودياً فأسلم عند قدوم النبي ﷺ المدينة، وكان اسمه: «الحصين» فسماه رسول الله ﷺ «عبد الله» وفيه الآية:{وشهد شاهد من بني إسرائيل}، والآية: {ومن عنده علم الكتاب} وشهد مع عمر رضي الله عنه فتح بيت المقدس والجابية. توفي (سنة: ٤٣ هـ). انظر: «الإصابة» (ج٢ ص٣٢٠)، و«الأعلام» (ج٤ ص٢٢٣).

[2] سبق تخريجه.

[3] «عون المعبود» (ج١٣ ص٩٢)، و«جوامع السيرة» (ج١ ص٢٢).

[4] هو: المقداد بن عمرو، ويعرف بابن الأسود الكندى البهرانى الحضرمى، أبو معبد أو أبو عمرو: صحابى من الأبطال، وهو أحد السبعة الذين كانوا أول من أظهر الاسلام، شهد بدرا وغيرها وسكن المدينة ودفن بها (سنة: ٣٧ هـ). انظر: موسوعة «الأعلام» (ج٢ ص١٤٦).

سَلُوا أُخْتَكُمْ عَنْ شَاتِهَا وَإِنَائِهَا *** فَإِنَّكُمُ إِنْ تَسْأَلُوا الشَّاةَ تْشَهَدِ

دَعَاهَا بِشَاةٍ حَائِلٍ فَتَحَلَّبَتْ *** عَلَيْهِ صَرِيحًا ضَرَّةُ الشَّاةِ مُزْبِدِ

فَغَادَرهَا رَهْنًا لَدَيْهَا لِحَالِبٍ *** يُرَدِّدُهَا فِي مَصْدَرٍ ثُمَّ مَوْرِدِ[1].

وعادة العلماء أن يختموا هذه الفصول، بذكر حديث الحسن عن أبي هالة، لجمعه من شمائله وأوصافه كثيرًا، وإدماجه جملة كافيةً من سيره وفضائله وهو ما يرويه عن علي بن الحسين، قال: قال الحسن بن علي: سألت خالي هند بن أبي هالة عن حلية رسول الله ﷺ – وكان وصافاً – وأنا أرجو أن يصف لي منها شيئاً أتعلق به، قال[2]: كان رسول الله ﷺ فخماً مفخماً، يتلألأ وجهه تلألأ القمر ليلة البدر، أطول من المربوع، وأقصر من المشذب[3]، عظيم الهامة، رجل الشعر[4]، إن انفرقت عقيقته فرق[5]، وإلا فلا يجاوز شعره شحمة أذنه، إذا هو وفره، أزهر اللون[6]، واسع الجبين، أزج الحواجب[7]، سوابغ من غير قرن[8]، بينهما عرق يدره الغضب،

---

[1] «المعجم الكبير» (ج٤ ص ٤٨).

[2] هذا حديث حسن صحيح، أخرجه الترمذي في «الشمائل المحمدية»، رقم (٢٢٦) (ج١ ص١٨٤)، وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد»، كتاب علامات النبوة، باب صفته ﷺ، رقم (١٤,٢٦) (ج٨ ص٤٨٧)، والمتقي الهندي في كتاب الشمائل من قسم الأفعال الذي ذكره الشيخ جلال الدين رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه جمع الجوامع، { باب في حليته صلى الله عليه وسلم }، رقم (١٨٥٣٥) (ج٧ ص ٣١٤).

[3] قوله «المشذب»: أي البائن الطول في نحافة، وهو مثل قوله في الحديث الآخر: «ليس بالطويل الممغط».

[4] والشعر الرَّجِلُ: الذي كأنه مشط فتكسر قليلاً، ليس بسبط ولا جعد. «عون المعبود» (ج١٣ ص٩٤)، و«تحفة الأحوذي» (ج١٠ ص٥٤)، و«نبي الرحمة» (ج١ ص١١).

[5] والعقيقة: شعر الرأس، أراد إن انفرقت من ذات نفسها فرقها، وإلا تركها معقوصة، ويروى: عقيصته.

[6] وأزهر اللون: نيره، وقيل: أزهر: حسن، ومنه: زهرة الحياة الدنيا، أي زينتها، وهذا كما قال في الحديث الآخر : ليس بالأبيض الأمهق ولا بالآدم. والأمهق: هو الناصع البياض، والآدم : الأسمر اللون، ومثله في الحديث الآخر: أبيض مشرب : أي فيه حمرة. قال في «النهاية» الإشراب خلط لون بلون كأن أحد اللونين سقى اللون الآخر يقال بياض مشرب حمرة بالتخفيف، وإذا شدد كان للتكثير والمبالغة، وهذا لا ينافي ما في بعض الروايات: «وليس بالأبيض» لأن البياض المثبت ما خالطه حمرة والمنفي ما لا يخالطها وهو الذي تكرهه العرب. «عون المعبود» (ج١٣ ص٩٤).

[7] والحاجب الأزج: المقوس الطويل، الوافر الشعر.

[8] والقرن: اتصال شعر الحاجبين، وضده البلج، ووقع في حديث أم معبد وصفه بالقرن.

أقنى العرنين[١]، له نور يعلوه، ويحسبه من لم يتأمله أشم، كث اللحية، أدعج[٢]، سهل الخدين، ضليع الفم أشنب[٣]، مفلج الأسنان[٤]، دقيق المسربة[٥]، كأن عنقه جيد دمية في صفاء الفضة، معتدل، بادناً[٦] متماسكاً، سواء البطن والصدر[٧]، مشيح الصدر، بعيد ما بين المنكبين ضخم الكراديس[٨] أنور المتجرد، موصول ما بين اللبة والسرة بشعر يجري كالخط، عاري الثديين، ما سوى ذلك، أشعر الذراعين والمنكبين وأعالي الصدر، طويل الزندين[٩]، رحب الراحة[١٠]، شثن الكفين والقدمين[١١]، سائل الأطراف[١]، أو قال: سائن الأطراف، سبط العصب، خمصان

---

[١] والأقنى: السائل الأنف المرتفع وسطه، والأشم: الطويل قصبة الأنف.

[٢] والأدعج: الشديد سواد الحدقة، وفي الحديث الآخر: أشكل العين وأسجر العين، وهو الذي في بياضه حمر. أدعج العينين الدعج، والدعجة السوداء في العين وغيرها يريد: أن يخلو عينيه كان، وقيل: الدعج شدة يخلو العين في شدة بياضها. كذا في النهاية. «الشفا» (ج١ ص١٥٥)، و«نبي الرحمة» (ج١ ص ١١).

[٣] والشنب: رونق الأسنان وماؤها، وقيل رقتها وتحزيز فيها كما يوجد في أسنان الشباب.

[٤] والفلج: فرق بين الثنايا.

[٥] ودقيق المسربة: خيط الشعر الذي بين الصدر والسرة.

[٦] بادن: ذو لحم متماسك، معتدل الخلق، يمسك بعضه بعضا، مثل قوله في الحديث الآخر: لم يكن بالمطهم ولا بالمكلثم، أي: ليس بمسترخي اللحم، والمكلثم : القصير الذقن. «الشفا» (ج١ ص ١٥٦).

[٧] وسواء البطن والصدر: أي مستويهما. ومشيح الصدر: – إن صحت هذه اللفظة – فيكون من الإقبال، وهو أحد معاني أشاح، أي: أنه كان بادي الصدر، ولم يكن في صدره قعس، وهو تطامن فيه، وبه يتضح قوله قبل: «سواء البطن والصدر»، أي: ليس بمتقاعس الصدر ولا مفاض البطن، ولعل اللفظ مسيح بالسين المهملة، وفتح الميم: بمعنى عريض، كما وقع في الرواية الأخرى، وحكاه ابن دريد. «عون المعبود» (ج١٣ ص٩٤، و٩٥)، و«الأنوار في شمائل النبي المختار» (ج١ ص١١٦).

[٨] والكراديس: رؤوس العظام، وهو مثل قوله في الحديث الآخر: جليل المشاش والكتد، والمشاش: رؤوس المناكب، والكتدر مجتمع الكتفين. «نبي الرحمة» (ج١ ص١١).

[٩] والزندان: عظما الذراعين.

[١٠] ورحب الراحة: أي واسعها، وقيل: كنى به عن سعة العطاء والجود.

[١١] وشثن الكفين والقدمين: لحيمهما.

الأخمصين[٢]، مسيح القدمين[٣]، ينبو عنهما الماء، إذا زال زال تقلعا[٤]، ويخطو تكفأً[٥]، ويمشي هوناً، ذريع المشية[٦]، إذا مشى كأنما ينحط من صبب، وإذا التفت التفت جميعاً، خافض الطرف، نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء، جل نظره الملاحظة، يسوق أصحابه، ويبدأ من لقيه بالسلام.

قلت: صف لي منطقه.

قال: كان رسول الله ﷺ متواصل الأحزان، دائم الفكرة، ليست له راحة، ولا يتكلم في غير حاجة، طويل السكوت، يفتتح الكلام ويختمه بأشداقه[٧]، ويتكلم بجوامع الكلم فصلاً، لا فضول فيه ولا تقصير، دمثاً ليس بالجافي ولا المهين، يعظم النعمة وإن دَقَّت، لا يذم شيئاً، لم يكن يذم ذواقاً، ولا يمدحه، ولا يقام لغضبه إذا تعرض للحق بشيء حتى ينتصر له، ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها، إذا أشار أشار بكفه كلها، وإذا تعجب قلبها وإذا تحدث اتصل بها، فضرب بإبهامه اليمنى راحته اليسرى، وإذا غضب أعرض وأشاح[٨]، وإذا فرح غض طرفه، جل ضحكه التبسم، ويفتر عن مثل حب الغمام[٩].

---

[١] سائل الأطراف: أي طويل الأصابع. وذكر ابن الأنباري، أنه روي: ساين – بالنون – وهما بمعنى، تبدل اللام من النون إن صحت الرواية بها، وأما الرواية الأخرى: وسائر الأطراف: فإشارة إلى فخامة جوارحه.

[٢] خمصان الأخمصين: أي متجافي أخمص القدم، وهو الموضع الذي لا تناله الأرض من وسط القدم.

[٣] ومسيح القدمين: أي أملسهما، ولهذا قال: ينبو عنهما الماء، وفي حديث أبي هريرة خلاف هذا، قال فيه: إذا وطئ بكلها، ليس له أخمص، وهذا يوافق معنى قوله: مسيح القدمين، وبه قالوا: سمي المسيح بن مريم، أي لم يكن له أخمص، وقال السهيلي في المسيح بن مريم: فعيل بمعنى فاعل، لأنه كان يؤتى بذوي العاهات فيمسح على مواضعها فتزول، والمسيح الدجال: بمعنى مفعول، أي ممسوح العين، كما جاء في الحديث. رجع إلى الأول: وقيل: مسيح، لا لحم عليهما، وهذا أيضاً يخالف قوله: شثن القدمين.

[٤] والتقلع: رفع الرجل بقوة. «الشفا» (ج١ ص١٥٧).

[٥] والتكفؤ: الميل إلى سنن المشي وقصده. «عون المعبود» (ج١٣ ص٩٤)، و«تحفة الأحوذي» (ج١٠ ص: ٥٤، و٥٧).

[٦] والذريع: الواسع الخطو، أي أن مشيه كان يرفع فيه رجليه بسرعة ويمد خطوه خلاف مشية المختال، ويقصد سمته وكل ذلك يرفق وتثبت دون عجلة كما قال : كأنما ينحط من صبب.

[٧] وقوله: يفتتح الكلام ويختمه بأشداقه : أي لِسَعَةِ فمه، والعرب تتمادح بهذا، وتذم بصغر الفم.

[٨] أشاح: مال وانقبض.

[٩] ووحب الغمام : البرد. «تحفة الأحوذي» (ج١٠ ص٥٤، و٥٧)، و«فتح الباري» (ج٦ ص٥٧٠، و٥٧٥).

قال الحسين: سألت أبي عن دخول رسول الله ﷺ، فقال: كان دخوله لنفسه مأذوناً له في ذلك، فكان إذا أوى إلى منزله جزأ دخوله ثلاثة أجزاء: جزءاً لأهله، وجزءاً لنفسه، وجزءًا جزأه بينه وبين الناس، فيرد ذلك على العامة بالخاصة[1]، ولا يدخر عنهم شيئاً، فكان من سيرته في جزء الأمة إيثار أهل الفضل بإذنه وقسمته على قدر فضلهم في الدين، منهم ذو الحاجة، ومنهم ذو الحاجتين، ومنهم ذو الحوائج، فيتشاغل بهم، ويشغلهم فيما أصلحهم، والأمة من مسألته عنهم وإخبارهم بالذي ينبغي لهم، ويقول: «**لِيُبْلِغ الشَّاهِد مِنْكُم الغَائِب، وأبْلِغوني حَاجَةَ مَن لَا يَسْتَطِيع إبْلَاغِي حَاجَتَه، فَإنَّهُ مَن أبْلَغَ سُلْطَاناً حاجَةَ مَنْ لَا يَستَطِيع إبْلَاغها ثَبَّت الله قَدَمَيه يَوم القِيَامة، لا يُذْكَر عِنْدَه إلا ذلك، وَلَا يُقْبَلُ مِن أحَدٍ غَيْرَه**».

وقال في حديث سفيان بن وكيع: يدخلن رواداً [2]، ولا يتفرقون إلا عن ذواق،[3] ويخرجون أدلة ـــ يعني الفقهاء.

قلت: فأخبرني عن مخرجه كيف كان يصنع فيه ؟

قال: كان رسول الله ﷺ يخزن لسانه إلا مما يعنيهم ويؤلفهم ولا يفرقهم، يكرم كريم كل قوم، ويوليه عليهم، ويحذر الناس، ويحترس منهم، من غير أن يطوي عن أحد بشره وخلقه، ويتفقد أصحابه، ويسأل الناس، ويحسن الحسن ويصوبه، ويقبح القبيح ويوهنه، معتدل الأمر غير مختلف، لا يغفل مخافة أن يغفلوا أو يملوا، لكل حال عنده عتاد[4]، لا يقتصر عن الحق، ولا يجاوزه إلى

---

[1] قوله : فيرد ذلك بالخاصة على العامة: أي جعل من جزء نفسه ما يوصل الخاصة إليه، فتوصل عنه العامة، وقيل : يجعل منه للخاصة ثم يبذلها في جزء آخر للعامة.

[2] ويدخلون رواداً : أي محتاجين إليه .

[3] ولاينصرفون إلا عن ذواق قيل: عن علم يتعلمونه، ويشبه أن يكون على ظاهره، أي في الغالب والأكثر. «عون المعبود» (ج١٣ ص٩٤)، و«الأنوار في شمائل النبي المختار» (ج١ ص٨٩)، و«جوامع السيرة» (ج١ ص٢٢).

[4] والعتاد: العدة، والشيء الحاضر المعد.

غيره، الذي يلونه من الناس خيارهم، وأفضلهم عند أعمهم نصيحة، وأعظمهم عنده منزلة أحسنهم مواساة وموازرة[1].

فسألته عن مجلسه: عما كان يصنع فيه، فقال: كان رسول الله ﷺ لا يجلس ولا يقوم إلا على ذكر، ولا يوطن الأماكن[2]، وينهى عن إيطانها، وإذا انتهى إلى قوم جلس حيث ينتهي به المجلس، ويأمر بذلك، ويعطي كل جلسائه نصيبه حتى لا يحسب، جليسه أن أحداً أكرم عليه فيه، من جالسه أو قاومه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه، من سأله حاجة لم يرده إلا بها أو بميسور من القول، قد وَسِعَ الناس بسطه وخلقه، فصار لهم أباً، وصاروا عنده في الحق سواء، متقاربين متفاضلين فيه التقوى، وفي الرواية الأخرى: صاروا عنده في الحق سواء، مجلسه مجلس حلم وحياء، وصبر وأمانة، لا ترفع فيه الأصوات، ولا تؤبن فيه الحرم، ولا تثنى فلتاته، وهذه الكلمة، من غير الروايتين، يتعاطون فيه بالتقوى متواصفين، يوقرون فيه الكبير، ويرحمون الصغير، ويرفدون ذا الحاجة، ويرحمون الغريب.

فسألته عن سيرته ﷺ في جلسائه، فقال: كان رسول الله ﷺ دائم البشر، سهل الخلق، لين الجانب، ليس بفظ ولا غليظ، ولا سخاب[3]، ولا فحاش، ولا عياب ولا مداح، يتغافل عما لا يشتهي ولا يوئس منه، قد ترك نفسه من ثلاث: الرياء، والإكثار، وما لا يعنيه.

وترك الناس من ثلاث: كان لا يذم أحداً، ولا يعيره، ولا يطلب عورته، ولا يتكلم إلا فيما يرجو ثوابه، إذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير، إذا سكت تكلموا، لا يتنازعون عنده الحديث، من تكلم عنده أنصتوا له حتى يفرغ، حديثهم حديث أولهم، يضحك مما يضحكون منه، ويتعجب مما يتعجبون منه، ويصبر للغريب على الجفوة في المنطق، ويقول: إذا

---

(1) والمؤازرة : المعاونة. «تحفة الأحوذي» (ج١٠ ص٧٥).

(2) وقوله: لا يوطن المواطن، أي لا يتخذ لمصلاه موضعاً معلوماً، وقد ورد نهيه عن هذا مفسراً في غير هذا الحديث. وصابره: أي حبس نفسه على ما يريد صاحبه. «فتح الباري» (ج٦ ص٥٧٦).

(3) السخاب: الكثير الصياح . «عون المعبود» (ج١٣ ص٩٤).

رأيتم صاحب الحجة يطلبها فأرفدوه، ولا يطلب الثناء إلا من مكافئ[1]، ولا يقطع على أحد حديثه حتى يتجوزه فيقطعه بانتهاء أو قيام[2].

[1] وقوله: ولا يقبل الثناء إلا من مكافئ : قيل: مقتصد في ثنائه ومدحه، وقيل : إلا من مسلم، وقيل إلا من مكافئ على يد سبقت من النبي ﷺ.

[2] هنا انتهى حديث سفيان بن وكيع. «عون المعبود» (ج١٣ ص٩٤)، و«تحفة الأحوذي» (ج١٠ ص٥٤، و٥٧).

المبحث الخامس

من خصائصه ﷺ ما افترضه الله له من حقوق وواجبات على الأمة والعالمين

في نهاية هذا البحث أجد أنه من الضروري أن أشير إلى عظم حقه ﷺ على العالمين، وتعدد واجبات الأمة نحوه ﷺ؛ لأن الحقوق تتلاشى أمام حقه ﷺ، فليس لأحد من الخلق مهما كان حق إلا بعد حقه، فحقه ﷺ مقدم على حقوق الوالد والولد والناس أجمعين، بل مقدم على حق الإنسان نفسه كما في قوله ﷺ: «**لَا يُؤْمِنُ أحَدُكُم حَتَّى أكُونَ أحَبَّ إلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ والنَّاسِ أجْمَعِيْنَ**»[1].

وهذا ليس لأحد إلا له ﷺ، وتلك هي أشد الخصائص المحمدية التي ينفرد بها ﷺ: في وجوب الإيمان به علي المكلفين أجمعين، ووجوب طاعته واتباعه، وحبه، وتوقيره، والتأدب معه على المؤمنين جميعًا، وأن الأمة إذا لم تمتثل لتلك الواجبات والخصائص لم تكن متبعة، أو تكون مقصرة في اتباعه، فضلا عن عدم اكتمال إيمانها، أو تحقيقه البتة مما يجعل الحاجة ماسة إلى معرفة تلك الحقوق والواجبات، والتي تقدم على كل حق وواجب؛ لأنها حقوق رسول الله ﷺ، وأن بعض المسلمين اليوم قد يغالون في تعاملهم مع النبي ﷺ، فيهملون حقوقه، أو يتجاوزونها، وبعضهم قد ينكر حقه لجهله به، وغياب القدوة في التعامل، لبعد العهد عن الصحابة والتابعين، مما يؤدي ذلك إلى خلل في الإيمان؛ ولذا يتناول هذا المبحث فرعين:

المطلب الأول: من خصائصه ﷺ ما افترضه الله له على العالمين.

المطلب الثاني: من خصائصه ﷺ ما افترضه الله له على الأمة.

---

[1] سبق تخريجه (ص: ١٥).

المطلب الأول:

من خصائصه ﷺ: ما افترضه الله له على العالمين.

من خصائص النبي ﷺ ما خصه الله تعالى به من وجوب الإيمان به ﷺ، وهو حق عامٌّ على كل المكلفين من الأنس والجن، والعرب والعجم منذ بعثته إلى يوم الدين[1] ؛ لأن رسالته عامة وخالدة، وأنه رسول الله للعالمين أجمعين.

وهذا يعني أمرين:

أولهما: أنه لا يتم لأحد الإيمان بالله تعالى حتى يؤمن بالله ورسوله ﷺ[2].

ثانيهما: أن من كفر بالرسول ﷺ، فهو كافر بالله تعالى، ومن كذّب الرسول ﷺ فقد كذب الله تعالى.

قال القاضي عياض: الإيمان بالنبي محمد ﷺ واجب متعين لا يتم إيمان إلا به، ولا يصح إسلام إلا معه[3]

قال السيوطى: ومن خصائصه أن الله تعالى فرض طاعته على العالم فرضًا مطلقًا لا شرط فيه ولا استثناء[4].

---

[1] «تفسير الطبري» (ج١١ ص٣٤١)، و«تفسير البيضاوي» (ج١ ص٦٥)، و«فتح القدير» (ج٢ ص٣٧٠)، و«الخصائص الكبرى» (ج٢ ص ٢٩٧)، و«مجموع الفتاوى» (ج١١ ص ٤٣١)، و«شرح العقيدة الطحاوية» (ج١ ص٦٩)، و«تفسير أبي السعود» (ج٨ ص ١,٨) و«الخصائص الكبرى» (ج١ ص٦) وقال: قال الشيخ تقي الدين السبكي في كتابه التعظيم والمنة في لتؤمنن به ولتنصرنه في هذه الآية من التنويه بالنبي ﷺ وتعظيم قدره العلي ما لا يخفي وفيه مع ذلك: أنه على تقدير مجيئه في زمانهم يكون الأمر مرسلا إليهم فتكون نبوته، ورسالته عامة لجميع الخلق من زمن آدم إلى يوم القيامة وتكون الأنبياء وأممهم كلهم من أمته ويكون قوله بعثت إلى الناس كافة لا يختص به الناس من زمانه إلى يوم القيامة.

[2] «الشفا» للقاضي عياض (ج٢ ص٢).

[3] «الشفا» (ج٢ ص٢).

[4] «الخصائص الكبرى» (ج٢ ص٢٩٧).

واستدلوا على ذلك من القرآن والسنة :

فأما الأدلة من القرآن الكريم فآيات منها مايلي:

١- قوله تعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا ﴾[١].

ولا خلاف أن رسوله في الآية هو النبي محمد ﷺ[٢].

ومن لم يجمع بين الإيمان بالله ورسوله فهو كافر، وأنه مستوجب للسعير بكفره وتنكير سعيرا للتهويل[٣].

ومن لم يؤمن أيها الأعراب بالله ورسوله منكم، ومن غيركم، فيصدقه على ما أخبر به ويقر بما جاء به من الحق من عند ربه، فإنا أعددنا لهم جميعًا سعيرًا من النار تستعر عليهم في جهنم إذا وردوها يوم القيامة[٤].

٢- وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولاً ﴾[٥].

٣- وقوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[١].

---

[١] سورة الفتح الآية: (١٣).

[٢] «تفسير أبي السعود» (ج٨ ص١,٨).

[٣] «تفسير البيضاوي» (ج١ ص٢,٢).

[٤] «تفسير الطبري» (ج١١ ص٣٤١).

[٥] سورة النساء آية: (٤٧).

وجه الدلالة: أن الخطاب في الآية عام؛ لأن الرسول ﷺ مبعوث إلى كافة الثقلين، فيقول الله تعالى لنبيه ورسوله ﷺ: قل يا محمد: يا أيها الناس- وهذا خطاب للأحمر، والأسود، والعربي، والعجمي: ﴿ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ﴾ أي: جميعكم، وهذا من شرفه وعظمته ﷺ أنه خاتم النبيين، وأنه مبعوث إلى الناس كافة[٢].

فأمره سبحانه أن يقول هذا القول المقتضي لعموم رسالته إلى الناس جميعًا، لا كما كان غيره من الرسل – عليهم السلام – فإنهم كانوا يبعثون إلى قومهم خاصة.

كما في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا ﴾[٣] فالبرهان هو النبي محمد ﷺ، ويجب على الناس جميعًا؛ بل الإنس والجن الإيمان به ﷺ، وإلا فلا إيمان لهم.

وأما الأدلة من السنة ففيما يلي:

١- عن أبي هريرة ﷺ، عن رسول الله ﷺ، قال: «**أُمِرْتُ أنْ أقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أنْ لَا إلَهَ إلَّا اللهُ، وَيُؤمِنُوا بِي وَبِمَا جِئْتُ بِهِ، فَإذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُم وَأمْوَالَهُم إلَّا بِحَقِّهَا، وَحِسَابُهُم عَلَى اللهِ**»[٤].

ثم قال: والإيمان به ﷺ هو: تصديق نبوته، ورسالة الله له، وتصديقه في جميع ما جاء به وما قاله، ومطابقة تصديق القلب بذلك، وشهادة اللسان بأنه رسول الله، فإذا اجتمع التصديق به بالقلب، والنطق بالشهادة بذلك اللسان، تم الإيمان به، والتصديق له، كما ورد في الحديث نفسه

---

[١] سورة الأعراف آية: (١٥٨).

[٢] «تفسير ابن كثير» (ج٢ ص ٣٣٩)، و«تفسير البيضاوي» (ج١ ص٦٥)، و«فتح القدير» (ج٢ ص ٣٧٠).

[٣] سورة النساء آية: (١٧٤).

[٤] أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب {فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم}، رقم: (٢٥) (ج١ ص١٧)، وأخرجه مسلم في الإيمان باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، رقم: (٢٢) (ج١ ص٥١).

من رواية عبد الله بن عمر ﷺ: «أمِرْتُ أنْ أقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أنْ لَا إلَـهَ إلَّـا اللهُ، وَأنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ».

وقد بينه في حديث جبريل، إذ قال: أخبرني عن الإسلام، قال النبي ﷺ : «أنْ تَشْهَدَ أنْ لَا إلَهَ إلَّا اللهُ، وَأنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ»[1] ... وذَكَرَ أرْكَانَ الإسلام[2].

الإيمان بالرسول: هو تصديقه وطاعته واتباع شريعته[3].

فيجب على كل أحد تصديق الرسول في جميع ما أخبر به، وطاعته في جميع ما أمر به[4].

٢- عن جابر بن عبد الله: أن النبي ﷺ قال: «**أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي: نُصِـرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِي الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِـي أَدْرَكَتْـهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِي المَغَانِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ، وَكَـانَ النَّبِـيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً**»[5].

والإيمان به يستلزم عدة أمور منها:

١- الإيمان بعموم رسالته إلى كافة الثقلين: إنسهم، وجنهم.

٢- الإيمان بكونه خاتم النبيين، ورسالته خاتمة الرسالات.

٣- الإيمان بكون رسالته ناسخة لما قبلها من الشرائع.

---

[1] أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة، رقم (٥٠) (ج١ ص ٢٧)، وأخرجه مسلم في الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان رقم: (٩ و١٠)، وأخرجه عن عمر ﷺ في الباب نفسه رقم (٩) (ج١ ص٣٩).

[2] «الشفا» (ج٢ ص٣)، و«سبل الهدى والرشاد» (ج١١ ص ٤٢٣).

[3] كتاب «اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم» (ص: ٩٢).

[4] «مجموع الفتاوى» (ج١١ ص٤٣١).

[5] سبق تخريجه (ص: ٣٠).

٤- الإيمان بأنه ﷺ قد بلغ الرسالة وأكملها، وأدى الأمانة، ونصح لأمته حتى تركهم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها.

٥- الإيمان بعصمته ﷺ .

٦- الإيمان بما له من حقوق: كوجوب طاعته، ومحبته وتعظيمه ﷺ.

فيجب تصديق النبي ﷺ في كل ما أخبر به عن الله ﷻ، من أنباء ما قد سبق وأخبار ما سيأتي، وفيما أحل من حلال وحرّم من حرام، والإيمان بأن ذلك كله من عند الله ﷻ، لقوله تعالى:

﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾[1].

قال شارح العقيدة الطحاوية: يجب على كل أحد أن يؤمن بما جاء به الرسول إيمانًا عامًا مجملا[2].

---

[1] سورة النجم آيات (٣، و٤).

[2] «شرح العقيدة الطحاوية» (ج١ ص٦٩).

المطلب الثاني

من خصائصه ﷺ: ما افترضه الله تعالى له على الأمة.

اتفق العلماء على أن الله تعالى فرض على كل من آمن بالنبي ﷺ مجموعة من الواجبات لنبيه ﷺ، وهي حقوق للنبي ﷺ يجب القيام بها حقًا لله تعالى، وهي من أشرف الحقوق علي الأمة، ونسبت للنبي ﷺ؛ لبيان فضل الله عليه، حيث لم يثبت لغيره مثلها، ونسبت لله تعالى لأنه سبحانه الآمر بها؛ ولبيان عظمتها وشرفها عند الله تعالى.

وهي حقوق كثيرة منها ما يلي:

١) من الحقوق والواجبات التي خص الله بها نبيه ﷺ: أن أوجب على الأمة طاعته، وامتثال أمره.

اتفق العلماء على أن الله تعالى أوجب على الأمة طاعة الرسول ﷺ، وجعلها من طاعته[١] وقرنها بطاعته في كتابه، وحذر من مخالفتهم أمر الرسول ﷺ أو أن يجعلوا أمر النبي ﷺ كأمر سائر الخلق.

قال القاضي عياض: وأما وجوب طاعته، فإذا وجب الإيمان به، وتصديقه فيما جاء به وجبت طاعته؛ لأن ذلك مما أتى به[٢].

والأدلة على ذلك كثيرة منها ما يلي:

١- قال تعالى: ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴾[٣].

---

[١] «الخصائص الكبرى» (ج٢ ص ٢٩٧)، و«سبل الهدى والرشاد» (ج١١ ص ٤٢٤)، و«الشفا» (ج٢ ص ٦)، و«السيرة النبوية عند الهيثمي في مجمع الزوائد» (ج١ ص ٢٥).

[٢] «الشفا» (ج٢ ص٦).

[٣] سورة آل عمران أية: (١٣٢).

٢- وقال الله ﷻ: ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ﴾[١] فقد عبر عن طاعة الرسول ﷺ بالمضارع ﴿ يُطِعِ ﴾، وهو الذي يقتضي الحال والمستقبل، وعبر عن طاعته ﷻ بالماضي ﴿ أَطَاعَ ﴾ الذي يدل على الوقوع والتحقيق.

فمن أطاع الرسول ﷺ حالا فقد وقعت طاعته قبل ذلك طاعة لله تعالى، الذي أرسله، وأمر بطاعته؛ لذا فمن أطاعه ﷺ كان في الحقيقة مطيعًا لله ﷻ[٢].

٣- وقال تعالى:﴿ قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾[٣].

٤- وقال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ﴾[٤].

٥- وقال تعالى: ﴿ لَّا تَجۡعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيۡنَكُمۡ كَدُعَآءِ بَعۡضِكُم بَعۡضٗاۚ ﴾[٥]، أثنى الله على من رضي بما حكم له النبي أو أعطاه.

٦- وقال تعالى: ﴿ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ رَضُواْ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ ﴾[٦].

٧- وقال الله ﷻ: ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ﴾[٧].

---

[١] سورة النساء آية: (٨٠).

[٢] «الخصائص الكبرى» (ج٢ ص ٢٩٧).

[٣] سورة آل عمران: (٣٢).

[٤] سورة النساء آية: (٦٥).

[٥] سورة النور آية: (٦٣).

[٦] سورة التوبة آية: (٥٩).

[٧] سورة المائدة آية: (٩٢).

٨- وقال تعالى: ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ [١] ﴾ .

٩- وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيۡهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمًا ﴾ [٢]

فالذي يباشر المبايعة هو رسول الله ﷺ والله تعالى يقول: ﴿ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ ﴾ ويقول: ﴿ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيۡهُ ٱللَّهَ ﴾ مع أن المبايع هو رسول الله ﷺ.

وفي كل ذلك من الحكم والأسرار والمكانة العالية للمصطفى ﷺ ما لا يخفى على المؤمن العاقل، صاحب القلب الواعي، والفهم الثاقب، والعقل النير[٣].

١٠- وقال جل شأنه: ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴾ [٤].

١١- وقال عز من قائل: ﴿ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدٗا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴾ [٥].

١٢- وقال الله ﷻ عن إتباع نبيه ﷺ، وأنه موجب لمحبة الله سبحانه وتعالى: ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [٦].

---

[١] سورة النساء آية: (٨٠).

[٢] سورة الفتح آية: (١٠).

[٣] «الشريعة» (ج١ ص٥٠).

[٤] سورة آل عمران، آية: (١٣٢).

[٥] سورة النساء آية: (١٤).

[٦] سورة آل عمران، آية: (٣١).

فمتبع النبي ﷺ محب ومحبوب لله ﷻ، فهو يحب الله ﷻ ابتداء، وبعد الاتباع يكون محبوبًا لله تعالى، فإذا كان إتباعه ﷺ يعطي متبعه محبة الله ﷻ، فكيف هي محبة الله تعالى لنبيه ﷺ؟

لقد قفل الله تعالى جميع الأبواب إلا باب اتباع النبي ﷺ، فمن تبعه أحبه الله، وغفر له ذنوبه، ورحمه، ولهذا لما نزلت هذه الآية قال بعض الكفار: إن محمدًا يريد أن نتخذه حنانا كما اتخذ النصارى عيسى حنانا[1]، فأنزل الله ﷻ الآية التي بعدها: ﴿ قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾[2].

وأما الأدلة من السنة النبوية على وجوب طاعته ﷺ ففيما يلي:

١- عن عروة بن الزبير[3] قال: إن الزبير كان يُحَدِّثُ أنه خاصم رجلا من الأنصار، وقد شهد بدرا، إلى النبي ﷺ في شراج من الحرة كانا يسقيان به النخل، فقال النبي ﷺ: «**اسْقِ، ثُمَّ أَرْسِلِ إِلَى جَارِكَ**»، فغضب الأنصاري وقال: يا رسول الله أن كان ابنَ عمتك، فتَلَوَّنَ وَجْهُ رسول الله ﷺ، ثم قال للزبير: «**اسْقِ ثُمَّ احْبِس المَاءَ حَتَى يَرْجِعَ إِلَى الجَدْرِ**»[4]، فاستوفى النبي ﷺ للزبير حقه في صريح الحكم.

وكان النبي ﷺ قبل ذلك قد أشار إلى الزبير بِرَأيٍ فِيْهِ سعَة له وللأنصاري، فلما أغضب الأنصاري رسول الله ﷺ استَوْفَى رسول الله ﷺ حقه في صريح الحكم.

---

[1] «الشفا» (ج١ ص٢١٥).

[2] سورة آل عمران، آية: (٣٢).

[3] هو: عروة بن الزبير بن العوام بن خويلد، وأمه أسماء بنت أبي بكر، من كبار التابعين، فقيه محدث، أخذ عن أبيه وأمه، وخالته السيدة عائشة، وعنه خلق كثير، لم يدخل في شيء من الفتن، انتقل من المدينة إلى البصرة، ثم إلى مصر فأقام بها سبع سنين، وتوفي بالمدينة، وبها " بئر عروة " تنسب إليه، معروفة الآن، توفي (سنة ٩٩ هـ)، انظر: «تهذيب التهذيب» (ج٧ ص١٨٠)، و«الأعلام» للزركلي (ج٥ ص١٧).

[4] أخرجه البخاري، كتاب المساقاة، باب شرب الأعلى إلى الكعبين، رقم: (٢٢٣٣) (ج٢ ص٨٣٢).

قال عروة: قال الزبير: ما أحسب هذه الآية نزلت إلا في ذلك: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾[1]، ومن هنا نقول جعل الله ﷻ طاعة نبيه وصفيه محمدًا ﷺ طاعة له ﷻ، كما جعل مبايعته للمؤمنين مبايعة لله ﷻ، كما قرن الله ﷻ طاعته ﷺ بطاعته ﷻ، كما جعل اتباع النبي ﷺ موجبا لمحبته ﷻ، و لم يسبق ذلك لأحد من الأنبياء السابقين عليهم الصلاة والسلام.

٢- وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ أطَاعَنِي فَقَد أطَاعَ اللهَ، وَمَن عَصَانِي فَقَد عَصَى الله...**»[2].

٣- وعن جابر بن عبد الله ﷺ، عن النبي ﷺ - في قصة رؤية الملائكة - ... وفي آخره: «**فَمَن أطَاعَ مُحَمَّدا ﷺ فقد أطَاعَ الله، ومَن عَصَى مُحَمَّدًا ﷺ فقد عصى الله، ومحمد ﷺ فَرْقُ بين النَّاسِ**»[3].

ولهذا اتفق العلماء على وجوب امتثال ما قاله شرعًا دون ما ذكره ﷺ من معايش الدنيا على سبيل الرأي، كما في حديث آبار النخل، عن موسى بن طلحة عن أبيه قال: مررت مع رسول الله ﷺ بقوم على رؤوس النخل، فقال: «**مَا يَصْنَعُ هَؤُلَاءِ؟**» فقالوا: يلقحونه يجعلون الذكر في الأنثى فيتلقح، فقال رسول الله ﷺ: «**مَا أظُنُّ يُغْنِي ذَلِك شَيْئًا**»، قال: فأخبروا بذلك فتركوه، فأخبر رسول الله ﷺ بذلك فقال: «**إنْ كَانَ يَنْفَعُهُم ذَلِك فَلْيَصْنَعُوهُ، فَإنِّي إنَّما ظَنَنْتُ ظَنًا فَلَا**

---

[1] سورة النساء آية: (٦٥).

[2] أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب يقاتل من وراء الإمام ويتقى به، رقم: (٢٧٩٧) (ج٣ ص١٠٨٠)، وأخرجه مسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، رقم: (١٨٣٥)، (ج٣ ص١٤٦٦).

[3] أخرجه البخاري، كتاب الإعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ، رقم: (٦٨٥٢) (ج٦ ص٢٦٥٥).

تُؤَاخِذُونِي بِالظَّنِّ، وَلَكن إذَا حَدَّثْتُكُم عَن الله شَيئًا: فَخُذُوا بِهِ فإنِّي لَنْ أكْذِبَ علَى الله ﷻ»[1].

٢) من الحقوق والواجبات التي خص الله بها نبيه ﷺ: وجوب تقديم محبته على الوالد والولد والنفس والناس أجمعين.

لا خلاف بين العلماء أنه يجب عي كل مسلم أن يكون شديد الحب للنبي ﷺ، وأنه لا يتحقق الإيمان، أو لا يكمل الإيمان إلا بذلك؛ لما روي عن أنس ﷺ قال: قال ﷺ: «**لَا يُؤْمِنُ أحَدُكُم حَتَّى أكُونَ أحَبَّ إليه مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أجْمَعِيْن**»[2].

وهذا يعني أمران:

أولهما: لا وجود للإيمان مع عدم حبه ﷺ.

ثانيهما: لا يتحقق كمال الإيمان إلا إذا كان حبه للنبي ﷺ أعظم مما سواه.

ولبيان معنى المحبة، وكيفية حبه ﷺ يجب توضيح الأمور الآتية:

١- معنى المحبة.

٢- الأدلة على وجوب محبته ﷺ .

٣- علامات حبه ﷺ .

٤- ثواب محبته.

٥ - صور من محبة الصحابة والسلف للنبي ﷺ .

---

[1] أخرجه مسلم، كتاب الفضائل، باب وجوب امتثال ما قاله شرعا دون ما ذكره ﷺ من معايش الدنيا على سبيل الرأي، رقم: (٢٣٦١) (ج٤ ص١٨٣٥).

[2] سبق تخريجه (ص: ١٥).

٦- سيرة السّلف في تعظيم رواية حديث الرّسول ﷺ وسننه.

أولا: معنى المحبة.

أ- المحبة لغة: اسم للحب[١].

ويرى ابن القيم أن مادة كلمة: "حب" تدور في اللغة على خمسة أشياء:

أحدها: الصفاء والبياض، ومنه قولهم لصفاء بياض الأسنان ونضارتها: "حبب الأسنان"

الثاني: العلو والظهور، ومنه: "حبب الماء وحبابه" وهو ما يعلوه عند المطر الشديد، وحبب الكأس منه.

الثالث: اللزوم والثبات، ومنه، حب البعير وأحب، إذا برك ولم يقم[٢].

ب- المعنى الشرعي لمحبة النبي ﷺ:

مَحَبَّة النبي ﷺ تعني أن يكون أحب إلى المؤمن من نفسه وولده، وجميع الخلق كما دلت على ذلك الأدلة من القرآن والسنة.

فهذه المحبة الواجبة له ﷺ هي من محبة الله، فهي حب لله وفي الله، ذلك لأن محبة الله توجب محبة ما يحبه الله، والله يحب نبيه وخليله ﷺ، فوجب بذلك محبته حقًا، فهي متفرعة عن محبة الله وتابعة لها.

وبمقتضى هذه المحبة يجب موافقة الرسول ﷺ في حب ما يحبه وكره ما يكرهه، أي بتحقيق المتابعة له فيحب بقلبه ما أحب الرسول، ويكره ما كرهه الرسول، ويَرضى بما يُرضي الرسول، ويسخط ما يسخط الرسول، ويعمل بجوارحه بمقتضى هذا الحب والبغض[٣].

---

[١] «لسان العرب»، حرف الباء، مادة حبب، (ج١ ص ٢٨٩).

[٢] «مدارج السالكين» (ج٣ ص ٩) .

[٣] «فتح المجيد» (ج١ ص٣٨٤).

ثانيا: الأدلة على وجوب محبته ﷺ.

وقد دلت النصوص ليس على وجوب محبته فقطم وإنما على وجوب تقديم محبته على محبة غيره، فحب النبي ﷺ أصل عظيم من أصول الدين، ولا إيمان لمن لم يكن حب النبي ﷺ عنده أشد من حب ولده ووالده ونفسه والناس أجمعين[1].

فمن الآيات القرآنية الدالة على ذلك ما يلي:

١- قال الله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [2]، ففي الآية دلالة وحجة على إلزام محبته، ووجوب فرضها، واستحقاقه ﷺ لها، إذ وبخ الله تعالى من كان ماله، وأهله، وولده أحب إليه من الله ورسوله، وأوعدهم وهددهم بقوله تعالى: ﴿ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ﴾ [3]، ثم حكم عليهم وفَسَّقَهُم بتمام الآية، وأعلمهم أنهم حينئذ يكونون ممن ضل و لم يهده الله.

وأما الأدلة من السنة النبوية ففيما يلي:

١- عن أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**لَا يُؤْمِنُ أحَدُكُم حَتَّى أكُونَ أحَبَّ إلَيْهِ مِنْ وَالِـدِهِ وَوَلَدِهِ والنَّاسِ أجْمَعِيْنَ**»[4].

---

[1] «فتح الباري» (ج١ ص٥٨).

[2] سورة التوبة الآية: (٢٤).

[3] سورة التوبة الآية : (٢٤).

[4] سبق تخريجه (ص: ١٥).

٢- وعن أنس ﷺأن رسول الله ﷺ قال: «**ثَلَاثٌ مَن كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الإِيْمَان: أنْ يَكُون الله ورسوله أحَبَّ إليه مِمَّا سِوَاهُما، وأنْ يُحِبَّ المَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إلَّا لله، وَأنْ يَكْرَهَ أنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ**»[(١)].

٣- عن عمر بن الخطاب ﷺ أنه قال للنبي ﷺ : لأنت أحب إلي من كل شيء إلا نفسي التي بين جنبي، فقال له ﷺ : «**لَنْ يُؤْمِنَ أحَدُكُم حَتَّى أكُوْنَ أحَبَّ إلَيْهِ مِنْ نَفْسِهِ**»، فقال عمر: والذي أنزل عليك الكتاب لأنت أحب إلي من نفسي التي بين جَنْبَيَّ، فقال له النبي ﷺ: «**الآنَ يَا عُمَر**»[(٢)]، أي: في جميع الأحوال يرى نفسه في ملكه ﷺ لا يذوق إلا حلاوة سنته؛ لأن النبي ﷺ قال: «**لَا يُؤْمِنُ أحَدُكُم حَتَّى أكُوْنَ ...**»، وهذا يعني كمال الحب له ﷺ لا مجرد الحب.

٤- قال سهل: مَن لَم يَر ولاية الرسول عليه أحب إليه من نفسه، فليس بمؤمن[(٣)]، وهذا الحب ليس مجرد كلام، ولا شعارات جوفاء، وإنما هو عمل بالجوارح والأركان والجنان، يتمثل في المسارعة في طاعته والتنافس الشديد في موافقته ﷺ والإقتداء بسنته، والتأدب بآدابه ،والتخلق بأخلاقه ﷺ وكما قال الشاعر: إنَّ المُحِبَّ لِمَن يُحِبُّ مُطِيْعُ.

ثالثا: علامات حب النبي ﷺ:

لقد أوجب الله تعالى على المؤمنين تحقيق محبة النبي ﷺ اعتقادًا وقولاً وعملاً وتقديم محبته ﷺ على محبة أنفسهم، وأولادهم وأهليهم، كما في قوله ﷺ: «**لَا يُؤْمِنُ أحَدُكُم حَتَّى أكُونَ أحَبَّ إلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أجْمَعِيْنَ**»[(٤)].

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان، رقم (١٦) (ج١ ص١٤)، وأخرجه مسلم في الإيمان باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان، رقم (٤٣)، (ج١ ص ٦٦).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) «الشفا» (ج٢ ص١٩).

(٤) سبق تخريجه (ص: ١٥).

ومِن المعلوم أن من أحب شيئاً آثَرَهُ وَآثَرَ مُوَافَقَتَهُ وإلا لم يكن صادقاً في حبه، وكان مدعياً لمحبته، فالصادق في محبة النبي ﷺ تظهر علامة ذلك عليه.

وقد ذَكَرَ العلماء علامات لِحُبه ﷺ يستطيع المسلم أن يعرف من خلالها صدق حبه للنبي الأكرم ﷺ وبالمحافظة عليها يزدد حبه له ﷺ.

قال القاضي عياض: اعلم أن من أحب شيئاً آثره، وآثر موافقته، وإلا لم يكن صادقاً في حبـــه، وكان مدعياً، فالصادق في حُبِّ النبي ﷺ مَنْ تَظْهَرُ عَلَامَةُ ذلك عليه.

ومن علامات محبته ﷺ مايلي:

١- **الاقتداء به،** والتمسك بسنته، وإتباع أقواله وأفعاله، واجتناب نواهيه، والتأدب بآدابه في عسره ويسره، ومنشطه ومكرهه.

والدليل على ذلك من الكتاب المجيد مايلي:

أ- قوله تعالى: ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ ﴾[١].

ب- وقال تعالى: ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾[٢].

ومن السنة قوله ﷺ: «**لَا يُؤْمِنُ أحَدُكُم حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعاً لِمَا جِئْتُ بِهِ**»[٣].

٢- **إيثار ما شرعه من أقوال وأفعال** ونحوها على هوى النفس، وشهواتها، والدليل على ذلك من القرآن الكريم قول الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَـٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ

---

[١] سورة آل عمران الآية : (٣١).

[٢] سورة الأحزاب، الآية: (٢١).

[٣] الحديث صححه النووي في كتابه: «الأربعون النووية»، الحديث الحادي والأربعون، وقال: «حديث حسن صحيح رويناه في كتاب الحجة بإسناد صحيح» (ج١ ص١,٧).

إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٌۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾[1]، فيجب إيثار التمسك بهديه وشرعه، والسير على نهجه على هوى النفس.

وأما الدليل من السنة الشريفة: فما رواه أنس ﷺ قال: قال لي رسول الله ﷺ: «**يَا بُنَيَّ، إِنْ قَدَرْتَ أَنْ تُصْبِحَ وَتُمْسِيَ لَيْسَ فِي قَلْبِكَ غِشٌّ لِأَحَدٍ فَافْعَلْ**» ثُمَّ قَالَ لِي: «**يَا بُنَيَّ وَذَلِكَ مِنْ سُنَّتِي، وَمَنْ أَحْيَا سُنَّتِي فَقَدْ أَحَبَّنِي، وَمَنْ أَحَبَّنِي كَانَ مَعِي فِي الجَنَّةِ**»[2]، فمن اتصف بهذه الصفة فهو كامل المحبة لله ورسوله، ومن خالفها في بعض هذه الأمور فهو ناقص المحبة، ولا يخرج عن اسمها.

يعني على قدر التمسك بهديه، وإيثار موافقة أقوال وأفعال النبي ﷺ على هوى النفس: يكون الحب، فهو معيار دقيق، وميزان للمكلف يعرف به الصدق من الادعاء الخالي عن الدليل.

٣- **ومن علامات محبة النبي ﷺ كثرة ذكره له،** فمن أحب شيئاً أكثر ذكره؛ لأن ذلك من لوازم الحب، فيكون النبي ﷺ معه في كل أحواله، ومن ثم لا يفعل إلا ما يوافق هديه، وفوق هذا يعيش في معيته، وقربه المعنوي، وقد قال تعالى ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمۡ وَأَنتَ فِيهِمۡ ﴾.

فهو حصن للأمة من العذاب ما دام في قلوبهم حب النبي ﷺ، وما داموا يعيشون على هديه وفي معيته.

٤- **ومنها كثرة شوقه إلى لقائه؛** لأن كل حبيب يحب لقاء حبيبه، ويتشوق للقائه ورؤياه.

والدليل على ذلك من السنة الشريفة فيما يلي:

---

[1] سورة الحشر الآية: (٩).

[2] أخرجه الترمذي في «سننه»، كتاب العلم، باب ما جاء في الاخذ بالسنة واجتناب البدع، رقم: (٢٦٧٨) (ج٥ ص٤٦).

١- ما رواه أبو هريرة أن: رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ مِنْ أشَدِّ أمَّتِي لِي حُبًّا نَاسٌ يَكُونُونَ بَعْدِي يَوَدُّ أحَدُهُم أنْ لَو رَآنِي بِأهْلِهِ وَمَالِهِ**»[١].

٢- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ أنَاسًا مِن أمَّتِي يَأتُونَ بَعْدِي يَوَدُّ أحَدُهُم لَو اشْتَرَى رُؤيَتِي بِأهْلِهِ وَمَالِهِ**»[٢]، وهذا من أعظم المبشرات لأمته، ومن عظيم الفضل والكـــرم الذي مَنّ الله تعالى به عليه ﷺ.

٥- **ومن علامات حبه**: الإكثار من ذكره، فمن أحب شيئاً أكثر من ذكره ويتزايد شوقا للقائه، قال ابن القيم رحمه الله: كلما أكثر من ذكر المحبوب واستحضاره في قلبه، واستحضار محاسنه ومعانيه الجالبة لحبه، تضاعف حبه له، وتزايد شوقه إليه واستولى على جميع قلبه، وهو أمر دقيق عظيم حيث يكون هناك فرق بين سماع اسمه ﷺ، وسماع اسم غيره أدبًا، واحترامًا وتوقيرا له ﷺ[٣].

وهكذا كان الصحابة، والسلف من بعده، والروايات على ذلك كثيرة، وسوف يأتي مزيد منها في بيان كيف كان الصحابة يتعاملون مع النبي ﷺ، وكما قال إسحاق التُجَيْبِيّ[٤]: كان أصحاب النبي ﷺ بعده لا يذكرونه إلا خشعوا، واقشعرت جلودهم وبكوا، وكذلك كثير من التابعين منهم من يفعل ذلك محبة له وشوقاً إليه، ومنهم من يفعله تهيباً وتوقيراً[٥]، وهذا كله

---

[١] أخرجه ابن حبان في «صحيحه»، كتاب إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة رجالهم ونسائهم بذكر أسمائهم رضوان الله عليهم أجمعين، باب فضل الأمة، رقم: (٧٢٣١) (ج١٦ ص٢٢٤).

[٢] أخرجه الحاكم في «المستدرك»، باب في ذكر فضائل التابعين، رقم: (٦٩٩١) (ج٤ ص٩٥)، وفي تعليق الذهبي: «صحيح».

[٣] «جلاء الأفهام» (ج١ ص ٤٤٧).

[٤] إسحاق بن ابراهيم بن مسرة التجيبي مولاهم، الكتاني، الطليطلي، نزيل قرطبة المالكي (أبو ابراهيم): فقيه، توفي بطليطلة في رجب لعشر بقين منه، من تصانيفه: كتاب «النصائح». يراجع: «سير النبلاء» (ج١٠ ص١٦٣)، و«معجم المؤلفين» (ج٢ ص٢٢٩).

[٥] «الشفا» (ج٢ص ٢٦).

باعتبار أن المرء كلما كان مستحضرا قلبه لمحبوبه يتضاعف حبه له، وشوقه له، ويستحضر محاسنه، ومعاينة أخلاقه، ويقتدي به ويتشبه به ويجري على لسانه مدحه والثناء عليه ونحو ذلك.

٦- ومن علامات محبته ﷺ أن يكون المسلم محبًا لمن أحبه النبي ﷺ، ومن هو بسببه من آل بيته، وصحابته من المهاجرين والأنصار، وأن يعادي من عاداهم، ويبغض من أبغضهم وسبهم، فمن أحب شيئاً أحب من يحبه؛ لأنه بذلك يكون مقدمًا لهوى المحبوب على هواه، وذلك من دلالات الحب: إنَّ المحب لمن يحب مطيع.

وقد قال النبي ﷺ في الحسن والحسين: «**اللهُمَّ إنِّي أحِبُّهُمَا فَأحِبَّهُمَا**»[(١)]. وفي رواية في الحسن رضي الله عنه قال: «**اللهُمَّ إنِّي أحِبُّهُ فَأحِبَّهُ**»[(٢)].

و قال ﷺ: «**مَنْ أحَبَّهُمَا فَقَد أحَبَّنِي، وَمَنْ أبْغَضَهُمَا فَقَد أبْغَضَنِي**»[(٣)].

وقال ﷺ: «**اللَّهَ اللَّهَ فِي أَصْحَابِي، لَا تَتَّخِذُوهُمْ غَرَضًا بَعْدِي، فَمَنْ أَحَبَّهُمْ فَبِحُبِّي أَحَبَّهُمْ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ فَبِبُغْضِي أَبْغَضَهُمْ، وَمَنْ آذَاهُمْ فَقَدْ آذَانِي، وَمَنْ آذَانِي فَقَدْ آذَى اللَّهَ، وَمَنْ آذَى اللَّهَ فَيُوشِكُ أَنْ يَأْخُذَهُ**»[(٤)].

وقال رسول الله ﷺ في فاطمة رضي الله عنها: «**إنَّهَا بَضْعَةٌ مِنِّي، يُغْضِبُنِي مَا أغْضَبَهَا**»[(١)].

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب الحسن والحسين رضي الله عنهما، رقم (٣٥٣٧) (ج٣ ص١٣٦٩).

(٢) أخرجه مسلم في فضائل الصحابة باب فضائل الحسن والحسين رضي الله عنهما، رقم: (٢٤٢٢)، (ج٤ ص ١٨٨٢).

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده»، (مسند أبي هريرة رضي الله عنه)، رقم: (٧٨٦٣) (ج٢ ص٢٨٨)، وتعليق شعيب الأرنؤوط: «إسناده قوي رجاله ثقات رجال الشيخين»، وأخرجه الحاكم في «المستدرك»، كتاب معرفة الصحابة رضي الله تعالى عنهم، ومن مناقب الحسن والحسين ابني بنت رسول الله ﷺ، رقم: (٤٧٧٧)، وتعليق الذهبي في التلخيص: «صحيح»، (ج٣ ص١٨٢).

(٤) أخرجه الترمذي، كتاب المناقب عن رسول الله ﷺ، باب في فضل من بايع تحت الشجرة، رقم (٣٨٦٢) (ج٥ ص٦٩٦)، وقال الشيخ الألباني: «ضعيف»، وأخرجه الإمام أحمد، (حديث عبد الله من مغفل المزني رضي الله عنه)، رقم (٢٠٥٦٨) (ج٥ ص ٥٤).

وقال ﷺ لعائشة في أسامة بن زيد ﷺ: «**أَحِبِّيْهِ فَإِنِّي أُحِبُّهُ**»[٢].

وقال: «**آيَةُ الإِيْمَانِ حُبُّ الأَنْصَارِ، وآيَةُ النِّفَاقِ بُغْضُهُم**»[٣]، وذلك باعتبار أن النبي يُحِبُّهُم فَمَن أَحَبَّ النبي ﷺ أحب ما يحب النبي ﷺ.

وفي حديث ابن عمر ﷺ: «**مَن أَحَبَّ العَرَبَ فَبِحُبِّي أَحَبَّهُم، وَمَن أَبْغَضَهُم فَبِبُغْضِي أَبْغَضَهُم**»[٤]، فبالحقيقة من أحب شيئاً أحب كل شيء يحبه.

٧- **ومن علاماته بغض من أبغض الله ورسوله**، ومعاداة من عاداه، ومجانبة من خالف سنته، وابتدع في دينه، واستثقاله كل أمر يخالف شريعته، قال الله تعالى: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[٥] فحب أصحاب النبي ﷺ من علامات محبته، ومن علامات الإيمان الحق، وكراهية وبغض أعداء النبي من علامات الحب والإيمان كما نصت الآية؛ ولأن هؤلاء الصحابة أحبوا النبي ﷺ من كل قلوبهم، وضحوا في سبيله بكل شيء، فاستحقوا أن

---

[١] أخرجه البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب قرابة رسول الله ﷺ ومنقبة فاطمة عليها السلام بنت النبي ﷺ، رقم: (٣٥١٠) (ج٣ ص ١٣٦١).

[٢] أخرجه الترمذي، كتاب المناقب، باب مناقب أسامة بن زيد ﷺ، رقم (٣٨١٨) (ج٥ ص٦٧٧)، وقال الشيخ الألباني: «حسن»، وأخرجه ابن حبان في «صحيحه»، كتاب إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة رجالهم ونسائهم بذكر أسمائهم رضوان الله عليهم أجمعين، رقم (٧,٥٨)، (ج١٥ ص٥٣٤).

[٣] أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب علامة الإيمان حب الأنصار، رقم: (١٧) (ج١ ص١٤)، وأخرجه مسلم في الإيمان باب الدليل على أن حب الأنصار وعلي ﷺ من الإيمان، رقم (٧٤) (ج١ ص٨٥).

[٤] أخرجه الحاكم في «المستدرك»، كتاب معرفة الصحابة رضي الله تعالى عنهم، فمنها ذكر فضائل قريش، رقم (٦٩٥٣) (ج٤ ص ٨٣).

[٥] سورة المجادلة، آية: (٢٢).

يكون حب المؤمن لهم أشد؛ لأنه جزء من حب النبي ﷺ؛ لأنه ﷺ أحبهم فهؤلاء أصحابه ﷺ قد قتلوا أحباءهم، وقاتلوا آباءهم[1] وأبناءهم في مرضاته.

٨- **ومن علاماته أن يحب القرآن الذي أتي به ﷺ**، وهدى به واهتدى، وتخلق به حتى قالت عائشة رضي الله عنها: «**كَان خُلُقُهُ القُرْآن**»[2].

وحبه للقرآن تلاوته، والعمل به وتفهمه، ويحب سنته، ويقف عند حدودها.

قال سهل بن عبد الله: علامة حب الله حب القرآن، وعلامة حب القرآن حب النبي ﷺ، وعلامة حب النبي ﷺ حب السنة، وعلامة حب السنة حب الآخرة، وعلامة حب الآخرة بغض الدنيا، وعلامة بغض الدنيا ألا يدخر منها إلا زاداً وبلغة إلى الآخرة[3].

وقال ابن مسعود: لا يسأل أحد عن نفسه إلا القرآن، فإن كان يحب القرآن فهو يحب الله ورسوله.

٩- ومن علامات محبته الذَّبُّ والدفاع عن سنته ﷺ وذلك بحمايتها من انتحال المبطلين، وتحريف الغالين وتأويل الجاهلين، ورد شبهات الزنادقة والطاغين وبيان أكاذيبهم.

١٠- ومن علامات محبته ﷺ الثناء عليه بما هو أهله، وأبلغ ذلك ما أثنى عليه ربه جل وعلا به، وما أثنى به هو على نفسه، وأفضل ذلك: الصلاة والسلام عليه، لأمر الله ﷻ، وتوكيده، قال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ

---

[1] أخرجه أحمد في «مسنده»، (حديث السيدة عائشة رضي الله عنها)، رقم: (٢٥٣٤١) (ج٦ ص١٦٣)، وأخرجه البخاري في «الأدب المفرد»، في حسن الخلق، (باب من دعا الله أن يحسن خلقه) رقم: (٣,٨) (ج١ ص١١٥).

[2] سبق تخريجه.

[3] «إحياء علوم الدين» (ج٤ ص٣٣٢).

وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾[1]، ففي هذه الآية أمر بالصلاة عليه؛ لهذا قال النبي ﷺ: «**البَخِيْلُ مَن ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَم يُصَلّ عَلَيَّ**»[2].

رابعا: ثواب محبته:

أما ثواب محبته فهو شيء عظيم وقد دلت عليه النصوص ومن ذلك ما يلي:

١- عن أنس ﷺ أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: متى الساعة يا رسول الله ؟ قال: «**مَا أَعْدَدتَ لَهَا؟**» قال: مَا أعددت لها من كثير صلاة ولا صوم ولا صدقة، ولكني أحب الله ورسوله، قال: «**أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ**»[3].

٢- وعن صفوان بن قدامة[4]: هاجرت إلى النبي ﷺ فأتيته، فقلت: يا رسول الله، ناولني يدك أبايعك، فناولني يده، فقلت يا رسول الله، إني أحبك، قال: «**المَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ**»[5].

وهذه منزلة لا تساويها منزلة أخرى فمنتهي أمَلِ كُلِّ مُؤمِنٍ أنْ يَكُونَ مَعَ الحبيب ﷺ.

خامسا: صور من مَحَبَّةِ الصحابة للنبي ﷺ وشوقهم وتعظيمهم له.

لقد ضرب الصحابة أروع الأمثلة في كيفية حبهم وشوقهم وتعظيمهم للنبي في حياته، وبعد مماته مما يعد نبراسًا مضيئا للأمة من بعد، **ومن أمثلة ذلك مايلي:**

---

[1] سورة الأحزاب آية: (٥٦).

[2] أخرجه الإمام أحمد في «مسنده»، (حديث الحسين بن علي ﷺ)، رقم: (١٧٣٦) (ج١ ص٢,١)، وتعليق شعيب الأرنؤوط: «إسناده قوي»، وأخرجه ابن حبان في «صحيحه»، كتاب الرقائق، باب الأدعية، رقم: (٩,٩) (ج٣ ص١٨٩).

[3] أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب علامة الحب في الله ﷻ، رقم (٥٨١٩) (ج٥ ص٢٢٨٣)، وأخرجه مسلم في البر والصلة والآداب باب المرء مع من أحب، رقم: (٢٦٣٩)، (ج٤ ص٢,٣٢).

[4] صفوان: بن قدامة التميمي المزني من بني امرئ القيس بن زيد مناة بن تميم. قال ابن السكن: يقال له صحبة، حديثه في البصريين. انظر: «الإصابة في معرفة الصحابة» (ج٢ ص٤٣).

[5] «مجمع الزوائد»، باب ما جاء في صفوان بن قدامة ﷺ، رقم: (١٥٩٦٧) (ج٩ ص٦,٨)، كشف الخفاء، حرف الميم، رقم: (٢٢٨٤) (ج٢ ص١٢٨١).

١- حديث عمر ﷺ، وقوله للنبي ﷺ: «**لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي**». وما تقدم عن الصحابة في مثله[١].

٢- وروي عن أبي بكر ﷺ أنه قال للنبي ﷺ: والذي بعثك بالحق لإسلام أبي طالب، كان أقر لعيني من إسلامه - يعني: أباه أبا قحافة - وذلك أن إسلام أبي طالب كان أقر لعينك[٢].

٣- وعن عمر بن الخطاب ﷺ قاله للعباس ﷺ: أن تُسْلِم أحب إلي مِن أن يسلم الخطاب، لأن ذلك أحب إلى رسول الله ﷺ[٣].

٤- وعن ابن إسحاق أن امرأة من الأنصار قتل أبوها وأخوها وزوجها يوم أحد مع رسول الله ﷺ، فقالت: ما فعل رسول الله ﷺ ؟ قالوا: خيراً، هو بحمد الله كما تحبين، قالت: أرونيه حتى انظر إليه، فلما رأته قالت: كل مصيبة بعدك جلل[٤].

٥- وسئل علي بن أبي طالب ﷺ: كيف كان حبكم لرسول الله ﷺ ؟ قال: كان والله أحب إلينا من أموالنا وأولادنا وآبائنا وأمهاتنا، ومن الماء البارد على الظمأ[٥].

٦- ولما احتضر بلال[٦] ﷺ نادت امرأته: واحزاناه! فقال: واطرباه! غداً ألقى الأحبة، محمداً وحزبه[١]، ومثله عن حذيفة بن اليمان ﷺ.

---

[١] سبق تخريجه.

[٢] «تاريخ دمشق» (ج٦٦ ص٣٢٧)، و«الشفا» (ج٢ ص٢٢).

[٣] «مجمع الزوائد»، كتاب المناقب، باب ما جاء في العباس عم رسول الله ﷺ، ومن جمع معه من ولده، رقم: (١٥٤٦٨) (ج٩ ص٤٣٥).

[٤] «البداية والنهاية» (ج٤ ص٤٧)، و«تاريخ الطبري» (ج٢ ص٧٤)، و«عيون الأثر» (ج٢ ص ٣٢).

[٥] «الشفا» (ج٢ ص٢٢).

[٦] بلال بن رباح: المؤذن يكنى أبا عبد الله، وقال بعضهم يكنى أبا عمرو، وهو مولى أبي بكر الصديق ﷺ اشتراه بخمس أواق، وقيل بسبع أواق وقيل بتسع أواق ثم أعتقه، وكان له خازناً ولرسول الله ﷺ مؤذناً، شهد بدراً وأحداً وسائر المشاهد، مع رسول الله ﷺ، وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين عبيدة بن الحارث بن المطلب، وقيل: آخى بينه وبين أبي رويحة الخثعمي. يراجع: «الإصابة في معرفة الصحابة» (ج٢ ص ٤٣).

٧ - ولما أخرج أهل مكة زيد بن الدثنة[٢] من الحرم ليقتلوه قال أبو سفيان ابن حرب: أنشدك بالله يا زيد، أتحب أن محمداً الآن عندنا مكانك تضرب عنقه، وإنك في أهلك ؟ فقال زيد: والله ما أحب أن محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة، وإني جالس في أهلي، فقال أبو سفيان: ما رأيت من الناس أحدًا يحب أحدًا كحب أصحاب محمد محمداً![٣].

٨- عن عمرو بن العاص ﷺ، قال: وما كان أحد أحب إلى من رسول الله ﷺ، ولا أجل في عيني منه، وما كنت أطيق أن أملأ عيني منه إجلالاً له، ولو سئلت أن أصفه ما أطقت؛ لأنّي لم أكن أملا عيني منه[٤].

٩- وروى عن أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ كان يخرج على أصحابه من المهاجرين والأنصار وهم جلوس، فيهم أبو بكر، وعمر، فلا يرفع أحد منهم إليه بصره إلا أبو بكر وعمر، فإنّهما كانا ينظران إليه وينظر إليهما، ويتبسمان إليه ويبتسم إليهما[٥].

١٠- وروى أسامة بن شريك[٦]، قال أتيت النبيّ ﷺ وأصحابه حوله كأنّما على رؤوسهم الطّير، وفي حديث صفته: إذا تكلم أطَرَقَ جُلَسَاؤُهُ كأنّما على رؤوسهم الطّير[١].

---

[١] «بدائع الفوائد» (ج٣ ص ٧٣٥).

[٢] هو: زيد بن الدثنة بن معاوية بن عبيد بن عامر الأنصاري والخزرجي، صحابي، شهد بدرًا وأحدًا، وأرسله النبي ﷺ في سرية عاصم بن ثابت، وخبيب بن عدي، وأسره المشركون يوم الرجيع مع خبيب بن عدي، فبيع بمكة من صفوان بن أمية ليقتله بأبيه، ولما أرادوا قتله، قال له أبو سفيان: يا زيد أتحب أن محمدًا عندنا الآن مكانك فتضرب عنقه وأنك في أهلك؟ فقال: والله ما أحب أن محمدًا الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وأني جالس في أهلي، فقال أبو سفيان: ما رأيت أحدًا من الناس يحب أحدًا كحب أصحاب محمد محمدًا. يراجع: «الإصابة» (ج١ ص٥٦٥)، و«طبقات ابن سعد» (ج٢ ص٥٥).

[٣] «البداية والنهاية» (ج٤ ص٦٥).

[٤] أخرجه مسلم كتاب الإيمان، باب كون الإسلام يهدم ما قبله وكذا الهجرة والحج، رقم (١٢١)، (ج١ ص١١٢).

[٥] أخرجه الترمذي في «سننه»، كِتَاب الْمَنَاقِبِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَاب فِي مَنَاقِبِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ رضي الله عنهما، رقم: (٣٦٦٨) (ج٥ ص٦١٢).

[٦] هو: أسامة بن شريك الثعلبي: من بني ثعلبة بن يربوع قاله الطبراني، وأبو نعيم. وقيل: من بني ثعلبة بن سعد قاله ابن حبان، وقيل من بني ثعلبة بن بكر بن وائل؛ قاله ابن السكن وابن منده، وابن عبد البر، وقال فيه أيضاً الذبياني الغطفاني

١١- وقال عروة بن مسعود [٢] حين وجهته قريش عام القضية إلى رسول الله ﷺ، ورأى من تعظيم أصحابه له ما رأى، وأنّه لا يتوضأ إلا ابتدروا وضوءه، وكادوا يقتتلون عليه، ولا يبصق بصاقًا، ولا يتنخم نخامة إلا تلقوها بأكفهم فدلكوا بها وجوههم وأجسادهم، ولا تسقط منه شعرة إلا ابتدروها، وإذا أمرهم بأمر ابتدروا أمره، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدّون إليه النّظر؛ تعظيمًا له، فلمّا رجع إلى قريش قال: يا معشر قريش، إنّي جئت كسرى في ملكه، وقيصر في ملكه والنّجاشي في ملكه، وإنّي والله ما رأيت ملكًا في قوم قط مثل محمد في أصحابه[٣].

١٢- وعن أنس ﷺ: لقد رأيت رسول الله ﷺ والحلاق يحلقه، وقد أطاف به أصحابه، فما يريدون أن تقع شعره إلا في يد رجل[٤].

١٣- وفي حديث طلحة [٥] ﷺ: إنّ أصحاب رسول الله ﷺ قالوا لأعرابيّ جاهل: سله عمّن قضى نحبّه من هو؟ وكانوا لا يجترئون على مسألته يوقرونه ويهابونه، فسأله الأعرابيّ فأعرض

وتعقبه الرشاطي بأن بكرا ليس له من الولد من سمي ثعلبة وبأن قولهم في نسبة الذبياني الغطفاني، دل على أنه من بني ثعلبة بن سعد بن ذبيان. «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» (ج١ ص٢٥).

[١] أخرجه أحمد في «مسنده» حديث أسامة بن شريك ﷺ ،رقم (١٨٤٧٦) ، (ج٤ ص٢٧٨)، وقال شعيب الأرنؤوط: «إسناده صحيح»، وفي «المستدرك»، كتاب العلم، في توفير العالم، رقم: (٤١٦) (ج١ ص٢,٩).

[٢] هو: عروة بن مسعود بن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن ثقيف، ويكنى عروة أبا يعفور، وأمه سبيعة بنت عبد شمس بن عبد مناف بن قصي.أسلم سنة تسع من الهجرة، وقتله جل من بني مالك يقال له أوس بن عوف، وقال عنه رسول الله ﷺ: " مثل عروة مثل صاحب ياسين، دعا قومه الله فقتلوه. يراجع: «الطبقات الكبرى» لابن سعد (ج٥ ص٥,٤).

[٣] أخرجه أحمد في «مسنده»، (حديث المسور بن مخرمة الزهري ومروان بن الحكم رضي الله تعالى عنه)، رقم: (١٨٩٣٠)، (ج٤ ص٣٢٣).

[٤] أخرجه مسلم، كتاب الفضائل، باب قرب النبي ﷺ من الناس وتبركهم به، رقم: (٢٣٢٥) (ج٤ ص١٨١٢).

[٥] هو: طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو القرشي ﷺ، أبو محمد، صحابي، شجاع، وهو أحد العشرة المبشرين، وأحد الستة أصحاب الشورى، وأحد الثمانية السابقين إلى الإسلام، ويقال له: " طلحة الجود "، و"طلحة الخير"، و"طلحة الفياض"، وكل ذلك لقبه به رسول الله ﷺ في مناسبات مختلفة، شهد أحداً وثبت مع رسول الله ﷺ، وبايعه على الموت، فأصيب بأربعة وعشرين جرحاً، ووقى النبي ﷺ بنفسه واتقى النبل عنه بيده حتى شلت أصبعه، شهد الخندق وسائر المشاهد.

عنه، ثمّ سأله فأعرض عنه، ثمّ إنّي اطّلعت من باب المسجد وعليّ ثياب خضر فلمّا رآني رسول الله ﷺ قال: «**أَيْنَ السَّائِلُ عَمَّن قَضَى نَحْبَهُ؟**» قال: أنا يا رسول الله، قال: «**هَذَا مِمَّن قَضَى نَحْبَهُ**»[1].

١٤- وفي حديث أنس بن مالك ﷺ: كان أصحاب رسول الله يقرعون بابه بالأظافير[2].

سادسا: سيرة السّلف في تعظيم رواية حديث الرّسول وسننه.

بالإضافة إلى ما سبق من توقير الصّحابة للنبيّ ﷺ كذلك وَرَدَ عن السلف ما يدلّ على تعظيمهم لرواية حديثه وسنته بعد وفاته، ومن ذلك ما يلي:

١- قال إبراهيم بن عبد الله الأنصاريّ - قاضي المدينة -: مرّ مالك بن أنس على أبي حازم، وهو يحدث، فجازه، وقال: إنّي لم أجد موضعًا أجلس فيه، فكرهت أن آخذ حديث رسول الله ﷺ وأنا قائم[3].

٢- وقال الإمام مالك: جاء رجل إلى ابن المسيّب، فسأله عن حديث وهو مضطجع، فجلس وحدثه، فقال له الرجل: وددت أنك لم تَتَعَنَّ، فقال: إنّي كرهت أن أحدثك عن رسول الله ﷺ وأنا مضطجع[4].

٣- وروي عن ابن سيرين[5] أنه قد يكون يَضْحَك، فإذا ذكر عنده حديث النبيّ ﷺ خَشَعَ[1].

توفي (سنة: ٣٦ هـ). «الإصابة» (ج٢ ص٢٢٩)، و«الاستيعاب» (ج٢ ص٧٦٤)، و«تهذيب التهذيب» (ج٥ ص٢٠)، و«الأعلام» (ج٣ ص٣٣١).

[1] أخرجه الترمذي، كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ، باب ومن سورة الأحزاب، رقم: (٢٣,٣) (ج٥ ص٣٥٠).

[2] أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» كتاب الاستئذان، باب قرع الباب، رقم: (١٠٨٠) (ج١ ص٣٧١)، قال الشيخ الألباني: «صحيح»، «مجمع الزوائد» كتاب الأدب، باب قرع الباب، رقم: (١٢٨,٢) (ج ٨ ص٨٥).

[3] «الجامع لأخلاق الراوي» للبغدادي (ج٢ ص٥٢، و٥٣) بتصرف، و«جامع بيان العلم» لابن عبد البر (ج٢ ص١٢٢).

[4] «مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة»، لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، (ج١ ص٥٢)، الناشر: الجامعة الإسلامية - المدينة المنورة الطبعة الثالثة، ١٣٩٩هـ.

[5] هو: محمد بن سيرين البصري، الأنصاري بالولاء، أبو بكر، تابعي، مولده ووفاته بالبصرة، نشأ بزازًا وتفقه، كان أبوه مولى لأنس بن مالك، ثم كان هو كاتب لأنس بفارس، كان إمام وقته في علوم الدين بالبصرة، روى الحديث عن أنس بن

٤- وكان الأعمش[٢] إذا حدث وهو على غير وضوء تيمم[٣].

٥- وكان قتادة لا يحدث إلا على طهارة، ولا يقرأ حديث النبيّ ﷺ إلا على وضوء[٤].

٦- قال ابن مهدي[٥]: مشيت يومًا مع مالك إلى العقيق، فسألته عن حديث، فانتهرني، وقال لي: كنت في عيني أجل من أن تسأل عن حديث رسول الله ﷺ ونحن نمشي[٦].

٧- وقد سئل عن أيوب السختياني[٧]: ما حدثتكم عن أحد إلا وأيوب أفضل منه، وقال: وحج حجتين، فكنت أرمقه ولا أسمع منه، غير أنّه كان إذا ذكر النبيّ ﷺ بكى حتى أرحمه، فلمّا رأيت منه ما رأيت، وإجلاله للنبيّ ﷺ كتبت عنه[١].

مالك وزيد بن ثابت والحسن بن علي واشتهر بالورع وتأويل الرؤيا، ينسب إليه كتاب «تعبير الرؤيا» توفي (سنة: ١١٠ هـ). «الأعلام» للزركلي.

[١] «الجامع» للبغدادي (ج١ ص٥٧، و٥٨)، و«الشفا» (ج٢ ص٤٦).

[٢] هو: سليمان بن مهران، أبو محمد، الأسدي الكوفي الكاهلي، الملقب بالأعمش: تابعي، مشهور، روى عن أنس وعبد الله بن أبي أوفى، وزيد بن وهب، وقيس بن أبي حازم، وطلحة بن نافع، وعامر الشعبي، وإبراهيم النخعي وعدي بن ثابت، وغيرهم توفي (سنة: ١٤٨ هـ). انظر: «تهذيب التهذيب» (ج٤ ص٢٢٤)، و«الأعلام» (ج٣ ص١٩٨).

[٣] «مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة»، (ج١ ص٥٢).

[٤] «الشفا» (ج٢ ص٣٧).

[٥] هو: عبد الرحمن بن مهدي بن حسان، أبو سعيد، البصري، العنبري، محدث، حافظ من كبار حفاظ الحديث وأسماء الرجال، سمع السفيانين والحمادين وشريكًا، ولزم مالكًا وأخذ عنه وانتفع به، روى عنه ابن وهب وابن حنبل وابن المديني وأبو ثور، وكان الشافعي يرجع إليه في الحديث، وقال: لا أعرف له نظيرًا في الدنيا، خرج عنه البخاري ومسلم له تصانيف في الحديث، توفي (سنة: ١٩٨هـ). انظر: «الأعلام» (ج٤ ص١١٥).

[٦] «جامع بيان العلم» لابن عبد البر (ج٢ ص١٢٢)، و«الجامع» للبغدادي (ج١ ص٥٧، و٥٨)، و«الكافي في فقه الإمام أحمد» (ج١ ص٥١٨)، و«المغني» (ج٣ ص٥٩٩، و٦٠٠) بتصرف، و«الإنصاف» (ج٤ ص٥٣)، و«منار السبيل» (ج١ ص١٨٧).

[٧] هو: أيوب بن أبي تميمة كيسان، أبو بكر، السختياني البصري، تابعي، سيد فقهاء عصره، من حفاظ الحديث، رأى أنس بن مالك، وروى عن عمرو بن سلمة الجرمي، وحميد بن هلال، وأبي قلابة، والقاسم بن محمد، وعبد الرحمن بن القاسم، وعطاء وعكرمة وغيرهم، وعنه الأعمش وقتادة وشعبة ومالك وابن إسحاق وغيرهم . قال علي بن المديني : له نحو ثمانمائة حديث، وقال مالك: «كان من العالمين العاملين الخاشعين» توفي (سنة: ١٣١هـ). و«سير أعلام النبلاء» (ج٦ ص١٥)، و«الأعلام» (ج١ ص٣٨٢).

٨- وكان مالك إذا ذكر النبيّ ﷺ يتغيّر لونه، وينحني حتى يصعب ذلك على جلسائه، وقد سئل عن سبب ذلك، فقال: لو رأيتم ما رأيت لما أنكرتم علي ما ترون، ولقد كنت أرى محمد ابن المنكدر - وكان سيد القراء - لا نكاد نسأله عن حديث أبداً إلا يبكي حتى نرحمه، ولقد كنت أرى جعفر الصادق[٢] وكان كثير الدعابة والتبسم، فإذا ذكر عنده النبي ﷺ اصفَرَّ، وما رأيته يحدث عن رسول الله ﷺ إلا على طهارة، وقد اختلفت إليه زماناً فما كنت أراه إلا على ثلاث خصال: إما مصليًا، وإما صامتًا، وإما يقرأ القرآن، ولا يتكلم فيما لا يعنيه، وكان من العلماء والعباد الذين يخشون الله ﷻ، ولقد كان عبد الرحمن بن القاسم بن أبي بكر الصديق يذكر النبي ﷺ فينظر إلى لونه كأنه نزف - أي: سال منه الدم - وقد جف لسانه في فمه هيبة لرسول الله ﷺ، ولقد كنت آتي عامر بن عبد الله بن الزبير فإذا ذكر عنده النبي ﷺ بكى حتى لا يبقى في عينيه دموع، ولقد رأيت الزهري وكان من أهنأ الناس وأقربهم، فإذا ذكر عنده النبي ﷺ فكأنه ما عرفك ولا عرفته[٣].

٩- وكان عبد الرحمن بن مهدي إذا قرأ حديث النبي ﷺ أمرهم بالسكوت، وقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ ﴾[٤]، وأنه يجب له من الإنصات عند قراءة حديثه ما يجب له عند سماع قوله، إجلالا وتوقيرًا واحترامًا وتعظيمًا له ﷺ.

---

[١] «سبل الهدى والرشاد» (ج١٢ ص ٣٩٥)، و«الشفا» (ج٢ ص٤١).

[٢] أبو عبد الله جعفر الصادق بن محمد الباقر الهاشمي العلوي: أحد أئمة الزيدية، روى عنه مالك والثوري وابن عيينة، وقال أبو حنيفة عنه: «ما رأيت أفقه منه» توفي (سنة: ١٤٨ هـ). موسوعة «الأعلام» (ج٢ ص١٢٩).

[٣] «سبل الهدى والرشاد» (ج١٢ ص٣٩٥)، و«الشفا» (ج٢ ص ٤٢).

[٤] سورة الحجرات آية: (٢).

٣) من الحقوق والواجبات التي خص الله بها نبيه ﷺ أن الله أَوْجَبَ تَعْزِيْرَهُ وتَوْقِيْرَهُ وتعظيمه ﷺ على أمته في حياته وبعد مماته[١].

إنَّ تعظيم النبي ﷺ، وإجلاله، وتوقيره، شعبة عظيمة من شعب الإيمان، وهذه الشعبة غير شعبة المحبة؛ بل إن منزلتها ورتبتها فوق منزلة ورتبة المحبة؛ لأنه ليس كل محب معظمًا، ألا ترى أن الوالد يحب ولده ولكن حبه إياه يدعوه إلى تكريمه، ولا يدعوه إلى تعظيمه، والولد يحب والده فيجمع له بين التكريم والتعظيم، والسيد قد يحب مماليكه ولكنه لا يعظمهم، والمماليك يحبون ساداتهم ويعظمونهم.

فدل هذا على أن التعظيم رتبته فوق رتبة المحبة، وعلى هذا فمن حق النبي ﷺ على أمته أن يهاب، ويعظم ويوقر، ويُجَلَّ أكثر من كل ولد لوالده، ومن كل عبد لسيده، فهذا حق من حقوقه الواجبة له، مما يزيد على لوازم الرسالة، وهو ما أمر الله به في كتابه العزيز قال تعالى: ﴿ لِّتُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ ﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[٣]، فبَيَّنَ سبحانه أن حق الرسول ﷺ في أمته أن يكون معزرًا موقرًا مهيبًا، وأخبر سبحانه أن الفلاح إنما يكون لمن جمع بين الإيمان به وتعزيره، ولا خلاف في أن التعزير هاهنا التعظيم.

وعن ابن عباس في قوله: ﴿ وَعَزَّرُوه ﴾ يعني: عظموه ووقروه[٤].

وقال الطبري: تعينونه، وقُرئ: تُعَزِّرُوه - بِزَايَيْنِ - مِنَ العِزّ[١].

---

[١] «حقوق النبي ﷺ على أمته في ضوء الكتاب والسنة» (ج ٢ ص٤١٩)، و«مختصر ابن كثير» (ج٢ ص ٧٨).

[٢] سورة الفتح آية: (٩).

[٣] سورة الأعراف آية: (١٥٦).

[٤] «فتح القدير» (ج٢ ص ٣٦٧)، و«تفسير البيضاوي» (ج١ ص٦٤)، و«تفسير البغوي» (ج١ ص٢٨٨).

وقال ابن كثير: أي: عظموه ووقروه[٢]، ونُهيَ عن التقدم بين يديه بالقول، وسوء الأدب بسبقه بالكلام.

ففي القرآن الكريم آيات كثيرة جاء فيها التأكيد على هذا الحق من حقوقه ﷺ، وبخاصة في جوانب معينة من جوانب تعظيمه، ومن تلك الآيات ما يلي:

١- قوله تعالى: ﴿ لَّا تَجْعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ﴾[٣].

ففي هذه الآية نهي من الله للمسلمين أن يدعوا رسول الله ﷺ بغلظ وجفاء، وأمر لهم أن يدعوه بلين وتواضع.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيرها: ومن ذلك: أن الله أمر بتعزيره فقال: ﴿ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ ﴾[٤] والتعزير: اسم جامع لنَصْرِهِ وتأييده ومَنْعِهِ مِن كُلِّ ما يؤذيه.

والتوقير: اسم جامع لكل ما فيه سكينة وطمأنينة، من الإجلال والإكرام، وأن يعامل من التشريف والتكريم والتعظيم بما يصونه عن كل ما يخرجه عن حد الوقار[٥].

ومن ذلك: أنه خصه في المخاطبة بما يليق به، فنهى أن يقولوا: يا محمد، أو: يا أحمد، أو: يا أبا القاسم، ولكن يقولوا: يا رسول الله، يا نبي الله، وكيف لا يخاطبونه بذلك، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أكرمه في مخاطبته إياه، بما لم يكرم به أحدًا من الأنبياء، فَلَم يَدْعُهُ باسمه في القرآن قط؛ بل بأعز أوصافه

---

[١] «تفسير الطبري» (ج٦ ص٨٢)، و«مختصر ابن كثير» (ج٢ ص٧٨)، و«تفسير البغوي» (ج١ ص٢٨٨).

[٢] «تفسير ابن كثير» (ج٢ ص٣٣٥)، و«تفسير البيضاوي» (ج١ ص٦٤).

[٣] سورة النور آية: (٦٣).

[٤] سورة الفتح آية: (٩).

[٥] «الصارم المسلول» (ج١ ص٤٢٥).

وهي النبوة والرسالة ونحوها يقـــول: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا ﴾ [1].

وقال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ﴾[2]، وقـــال تعـــالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [3]، وقال تعـــالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَـٰكَ شَـٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا نَذِيرٗا ﴾ [4]، وقال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ ﴾ [5].

وقال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ﴾ [6]، وقال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾ [7]، وقال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝ قُمۡ فَأَنذِرۡ ﴾ [8].

وقال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [9]، مع أنه سبحانه قال لآدم أبو البشر: ﴿ وَقُلۡنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ ﴾ [10]، وكذا قوله تعـــالى: ﴿ قَالَ يَـٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ ﴾ [1].

---

[1] سورة الأحزاب آية: (٢٨).

[2] سورة الأحزاب آية: (٥٠).

[3] سورة الأحزاب آية: (٥٩).

[4] سورة الأحزاب آية: (٤٥).

[5] سورة الطلاق آية: (١).

[6] سورة التحريم آية: (١).

[7] سورة المزمل آية: (١).

[8] سورة المدثر آية: (١).

[9] سورة الأنفال آية : (٦٤).

[10] سورة البقرة آية: (٣٥).

وقال تعالى مخاطبًا نبيه نوح: ﴿ **يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ** ﴾ [٢].

وقال تعالى مخاطبًا خليله إبراهيم: ﴿ يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَآ ﴾ [٣].

وقال تعالى مخاطبا نبيه داود: ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ [٤].

وقال تعالى مخاطبا نبيه عيسى: ﴿ إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱذۡكُرۡ نِعۡمَتِي عَلَيۡكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ ﴾ [٥].

ومن ذلك أيضا: أنه حرم التقدم بين يديه بالكلام حتى يأذن، وحرم رفع الصوت فوق صوته، وأن يجهر له بالكلام كما يجهر الرجل للرجل، وأخبر أن ذلك سبب حبوط العمل، فهذا يدل على أنه يقتضي الكفر؛ لأن العمل لا يحبط إلا به، وأخبر أن الذين يغضون أصواتهم عنده هم الذين امتحنت قلوبهم للتقوى، وأن الله يغفر لهم ويرحمهم، وأخبر أن الذين ينادونه، وهو في منزله لا يعقلون لكونهم رفعوا أصواتهم عليه، ولكونهم لم يصبروا حتى يخرج، ولكن أزعجوه إلى الخروج. فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ۝٢ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ ﴾ [٦].

---

[١] سورة البقرة آية: (٣٣).

[٢] سورة هود آية: (٤٦).

[٣] سورة هود آية: (٧٦).

[٤] سورة ص آية: (٢٦).

[٥] سورة المائدة آية (١١٠).

[٦] سورة الحجرات آيات: (٢، ٣).

و من ذلك أيضا: أنه حرم على الأمة أن يُؤذُوهُ بِمَا هُوَ مُبَاحٌ فِي تَعَامُلِ بَعْضِهِم بَعْضًا تمييزًا لـــه، مثل: نكاح أزواجه من بعده، فقال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ مِ .أَزْوَٰجَهُۥ بَعْدِهِۦٓ ﴾ [1].

وأوجب على الأمة لأجله احترام أزواجه وجعلهن أمهات في التحريم والاحترام، فقال تعـــالى: ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ ﴾ [2].

فحق علينا أن نحبه، ونجله، ونعظمه، ونهابه، فبهذا نكون من المفلحين: ﴿ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ أُوْلَٰٓئِكَ مَعَهُۥٓ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [3].

فالآية بينت أن الفلاح إنما يكون لمن جمع إلى الإيمان به تعزيره، ولا خلاف أن «التعزير» هنا: التعظيم فلقد سَجَّل الله في هذه الآية الفلاح بأسلوب الحصر للذين تأدبوا بهذا الأدب القرآني الرفيع.

وكما قال تعالى في علو مقامه الأشرف، وبيان حقه على كل مؤمن ومؤمنـــة: ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٨ لِّتُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ [4]، وقد ذهب علماء السلف إلى أن الضمير في قولـــه جـــل شـــأنه: ﴿ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ ﴾ راجع إلى رسول الله ﷺ، ومعناه: تعظموا رسول الله ﷺ، وتُفَخِّمُـــوهُ فِـــي أدَبِ المخاطبة، والتحدث إليه ومجالسته.

---

[1] سورة الأحزاب آية: (٥٣).

[2] سورة الأحزاب آية: (٦).

[3] سورة الأعراف آية: (١٥٦).

[4] سورة الفتح آيات: (٨، ٩).

قال ابن تيمية: فالتسبيح لله وحده، والتعزير والتوقير للرسول ﷺ، والإيمان بالله ورسوله، فهذه الآيات وغيرها نزلت لتُبَيِّنَ مَقَامَ شَرَفِ رسول الله ﷺ وعظيم منزلته عند ربه، مما يوجب على المؤمنين برسالته أن يكونوا في مخاطباتهم معه على سنن الإجلال والتعظيم[1].

سيرة السلف في تعظيم النبي ﷺ وتوقيره بعد موته.

جاءت الآثار عن السلف بوجوب تعظيم النبي ﷺ وتوقيره بعد موته، كما كان في حياته، وتوقير آل بيته وأصحابه، وإعظام أمكنته، وأسبابه، فمن الأول وهو وجوب تعظيم حرمة النبي ﷺ بعد موته ما يلي:

١- قال القاضي عياض: اعلم أن حرمة النبي ﷺ بعد موته، وتوقيره وتعظيمه، لازم كما كان حال حياته، وذلك عند ذكره ﷺ، وذكر حديثه وسنته، وسماع اسمه وسيرته، ومعاملة آله وعترته، وتعظيم أهل بيته وصحابته[2].

٢- وقال أبو إبراهيم التُّجَيْبِيُّ: واجب على كل مؤمن متى ذكره - أو ذُكِرَ عِنْدَهُ - أن يخضع ويخشع، ويتوقر ويسكن من ح«ركته، ويأخذ في هيبته وإجلاله بما كان يأخذ به نفسه لو كان بين يديه، ويتأدب بما أدبنا الله به[3].

٣- وقال مالك - وقد سُئِلَ عَنْ أيوب السختياني -: ما حدثتكم عن أحد إلا وأيوب أفضل منه، وقال: وحج حجتين، فكنت أرمقه ولا أسمع منه، غير أنه كان إذا ذكر النبي ﷺ بكى حتى أرحمه، فلما رأيت منه ما رأيت، وإجلاله للنبي ﷺ كتبت عنه[4].

---

[1] «بغية المرتاد» (ج١ ص٤,٥).

[2] «الشفا» (ج٢ ص٤٠).

[3] «الشفا» للقاضي عياض (ج٢ ص٤٠).

[4] «التعديل والتجريح» (ج١ ص٣٨٦).

٤- وقال مصعب بن عبد الله[١]: كان مالك إذا ذكر النبي ﷺ يتغير لونه، وينحني حتى يصعب ذلك على جلسائه، فقيل له يوماً في ذلك، فقال لو رأيتم ما رأيت لما أنكرتم علي ما ترون، ولقد كنت أرى محمد ابن المنكدر، وكان سيد القراء لا نكاد نسأله عن حديث أبداً إلا يبكي حتى نرحمه، ولقد كنت أرى جعفر بن محمد الصادق، وكان كثير الدعابة والتبسم، فإذا ذكر عنده النبي ﷺ اصفَرَّ، وما رأيته يحدث عن رسول الله ﷺ إلا على طهارة، وقد اختلفت إليه زماناً فما كنت أراه إلا على ثلاث خصال: إما مصلياً، وإما صامتاً، وإما يقرأ القرآن، ولا يتكلم فيما لا يعنيه، وكان من العلماء والعباد الذين يخشون الله ﷻ، ولقد كان عبد الرحمن بن القاسم يذكر النبي ﷺ فينظر إلى لونه كأنه نزف منه الدم، وقد جف لسانه في فمه هيبةً لرسول الله ﷺ، ولقد كنت آتي عامر بن عبد الله بن الزبير فإذا ذكر عنده النبي ﷺ بكى حتى لا يبقى في عينيه دموع، ولقد رأيت الزهري وكان مِن أهْنَأ الناس وأقربهم، فإذا ذكر عنده النبي ﷺ فكأنه ما عرفك ولا عرفته، ولقد كنت آتي صفوان بن سليم، وكان من المتعبدين المجتهدين، فإذا ذكر النبي ﷺ بكى، فلا يزال يبكي حتى يقوم الناس عنه ويتركوه[٢].

٥- وروي عن قتادة أنه كان إذا سمع الحديث أخذه العويل والزويل، ولما كثر على مالك الناس قيل له: لو جعلت مستملياً يسمعهم؟ فقال: قال الله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ﴾ [٣] وحرمته حَياً وميتاً سواء[٤].

---

[١] هو: مصعب بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوام، ويكنى: أبا عبد الله، نزل بغداد وروى عن مالك بن أنس «الموطأ»، وروى عن الدراوردي وإبراهيم بن سعد وعبد العزيز بن أبي حازم وعن أبيه وغيرهم، وكان إذا سئل عن القرآن يقف ويعيب من لا يقف، وتوفي ببغداد (سنة: ٢٣٦ هـ في شوال). «الطبقات الكبرى» لابن سعد (ج٧ ص٣٤٤).

[٢] «مجموع الفتاوى» (ج١ ص ٢٢٩).

[٣] سورة الحجرات آية: (٢).

[٤] «الشفا» (ج٢ ص٤٣).

٦- وكان ابن سيرين ربما يضحك، فإذا ذكر عنده حديث النبي ﷺ خشع[١].

٧- وكان عبد الرحمن بن مهدي[٢] إذا قرأ حديث النبي ﷺ أمرهم بالسكوت، وقال: ﴿ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ ﴾، ويتأول أنه يجب له من الإنصات عند قراءة حديثه ما يجب له عند سماع قوله [٣].

ومن لوازم توقيره وبره ﷺ:

توقير أصحابه وبرهم، ومعرفة حقهم، والإقتداء بهم، وحسن الثناء عليهم، والاستغفار لهم، والإمساك عما شجر بينهم، ومعاداة من عاداهم، والإضراب عن أخبار المؤرخين، وجهلة الرواة، وضلال المبتدعين، وأن يلتمس لهم فيما نقل عنهم من مثل ذلك فيما كان بينهم من الفتن أحسن التأويلات، ويخرج لهم أصواب المخارج: إذ هُمْ أهْلُ ذلك، ولا يذكر أحد منهم بسوء، ولا يغمص عليه أمر؛ بل تذكر حسناتهم وفضائلهم، وحَمِيْدُ سِيْرَتِهم، ويُسْكَتُ عما وراء ذلك، **عملا بالنصوص القرآنية والنبوية الدالة على ذلك ومنها ما يلي:**

١- قال تعالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ

---

[١] «الشفا» للقاضي عياض (ج٢ ص٤٣).

[٢] هو: عبد الرحمن بن مهدي بن حسان العنبري اللؤلؤي، أبو سعيد البصري، من كبار حفاظ الحديث، مولده ووفاته في البصرة، قال الشافعي: لا أعرف له نظيراً في الدنيا، وذكره ابن حبان في «الثقات» وقال: كان من الحفاظ المتقنين وأهل الورع في الدين ممن حفظ وجمع وتفقه وصنف وحدث، له تصانيف في الحديث، توفي (سنة: ١٩٨هـ). «تهذيب التهذيب» (ج ٦ ص٢٧٩).

[٣] «الشفا» (ج٢ ص٤٣).

سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ﴾[1].

٢- وقال: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾[2].

٣- وقال الله تعالى: ﴿ لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيۡهِمۡ وَأَثَٰبَهُمۡ فَتۡحٗا قَرِيبٗا ﴾[3].

٤- وقال تعالى: ﴿ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا ﴾[4].

ومن السنة النبوية ما يلي:

١- عن حذيفة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**اقْتَدُوا بِالَّذَيْنِ مِنْ بَعْدِي: أَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ**»[5].

٢- وعن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَثَلُ أَصْحَابِي كَمَثَلِ المِلْحِ فِي الطَّعَامِ، لَا يَصْلُحُ الطَّعَامُ إِلَّا بِهِ»[1].

---

[1] سورة الفتح الآية: (٢٩).

[2] سورة التوبة الآية: (١٠٠).

[3] سورة الفتح الآية: (١٨).

[4] سورة الأحزاب الآية: (٢٣).

[5] «مسند الشاميين»، حديث: (المطعم عن عبد الله بن عنبسة الكلاعي) رقم: (٩١٣)، (ج٢ ص٥٧)، و«مجمع الزوائد» باب فضل عمار بن ياسر وأهل بيته ﷺ، رقم: (١٥٦,٦) (ج٩ ص٤٨٤).

٣- وقال ﷺ: «**اللَّهَ اللَّهَ فِي أَصْحَابِي، لَا تَتَّخِذُوهُمْ غَرَضًا بَعْدِي، فَمَنْ أَحَبَّهُمْ فَبِحُبِّي أَحَبَّهُمْ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ فَبِبُغْضِي أَبْغَضَهُمْ، وَمَنْ آذَاهُمْ فَقَدْ آذَانِي، وَمَنْ آذَانِي فَقَدْ آذَى اللَّهَ، وَمَنْ آذَى اللَّهَ فَيُوشِكُ أَنْ يَأْخُذَهُ**»[٢].

٤- وقال ﷺ: «**لَا تَسُبُّوا أصْحَابِي، فَلَو أَنْفَقَ أَحَدُكُم مِثْلَ أحُدٍ ذَهَباً مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِم وَلَا نَصِيْفَهُ**»[٣].

٥- وقال ﷺ: «**مَن سَبَّ أصْحَابِي فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ الله والمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أجْمَعِيْنَ، لَا يَقْبَلُ الله مِنْهُ صَرْفًا وَلَا عَدْلاً**»[٤].

٦- وقال ﷺ: «**إذَا ذُكِرَ أصْحَابِي فَأمْسِكُوا**»[٥].

٧- وقال ﷺ في حديث جابر: «**إِنَّ اللَّهَ اخْتَارَ أَصْحَابِي عَلَى الْعَالَمِينَ، سِوَى النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ، وَاخْتَارَ لِي مِنْ أَصْحَابِي أَرْبَعَةً – يَعْنِي: أَبَا بَكْرٍ، وَعُمَرَ، وَعُثْمَانَ، وَعَلِيًّا، رَحِمَهُمُ اللَّهُ –**

---

[١] أخرجه أبو يعلى في «مسنده»، مسند أنس بن مالك، ما أسنده الحسن بن أبي الحسن عن أنس بن مالك، رقم: (٢٧٦٢)، وقال حسين سليم أسد: «إسناده ضعيف»، (ج٥ ص١٥١)، وانظر: «مجمع الزوائد»، باب ما جاء في أصحاب رسول الله ﷺ وأصهاره، رقم (١٦٣٩٥) (ج٩ص٧٣٩).

[٢] أخرجه الترمذي،كتاب المناقب عن رسول الله ﷺ، باب في فضل من بايع تحت الشجرة، رقم: (٣٨٦٢) (ج٥ ص٦٩٦)، وقال الشيخ الألباني: «ضعيف»، وأخرجه الإمام أحمد، (حديث عبد الله من مغفل المزني رضي الله عنه)، رقم: (٢,٥٦٨)، (ج٥ ص٥٤).

[٣] أخرجه البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ (لو كنت متخذا خليلا)، رقم: (٣٤٧٠) (ج٣ ص١٣٤٣)، وأخرجه مسلم في فضائل الصحابة باب تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم رقم: (٢٥٤٠) (ج٤ ص١٩٦٧).

[٤] انظر: «مجمع الزوائد»، كتاب المناقب، باب ما جاء في حق الصحابة رضي الله عنهم والزجر عن سبهم، رقم: (١٦٤٢٤) (ج٩ ص٧٤٦)، و«كنز العمال»، الفصل الأول في فضائل الصحابة إجمالا، رقم: (٣٢٤٧٧) (ج١١ ص٧٤٨)، وأخرجه الطبراني في «الكبير» (ج١٢ ص١٤٢).

[٥] انظر: «مجمع الزوائد»، كتاب القدر، باب النهي عن الكلام في القدر، رقم: (١١٨٥٠)، (ج٧ ص٤١١)، و«كنز العمال»، الباب الثاني في الاعتصام بالكتاب والسنة، رقم: (٩,١)، (ج١ ص٣١٦).

فَجعَلَهُمْ أَصْحَابِي، وَقَالَ فِي أَصْحَابِي: كُلُّهُمْ خَيْرٌ، وَاخْتَارَ أُمَّتِي عَلَى الأُمَمِ، وَاخْتَارَ أُمَّتِي أَرْبَعَ قُرُونٍ، الْقَرْنُ الأَوَّلُ، وَالثَّانِي، وَالثَّالِثُ ، وَالرَّابِعُ»[1].

٨- وقال ﷺ: «**مَنْ أَبْغَضَ عُمَرَ فَقَدْ أَبْغَضَنِي، وَمَنْ أَحَبَّ عُمَرَ فَقَدْ أَحَبَّنِي، وَإِنَّ اللَّهَ باهَى بِالنَّاسِ عَشِيَّةَ عَرَفَةَ عَامَّةً، وباهَى بِعُمَرَ خَاصَّةً، وَإِنَّهُ لَمْ يَبْعَثْ نَبِيًّا إِلَّا كَانَ فِي أَمَّتِهِ مُحَدَّثٌ، وَإِنْ يَكُنْ فِي أُمَّتِي مِنْهُمْ أَحَدٌ فَهُوَ عُمَرُ**» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ مُحَدَّثٌ؟ قَالَ: «**تَتَكَلَّمُ الْمَلَائِكَةُ عَلَى لِسَانِهِ**»[2].

٩- وقال ﷺ في الأنصار - فيما رواه أنس بن مالك -: «**إِنَّ الأَنْصَارَ كَرِشِي وَعَيْبَتِي، وَإِنَّ النَّاسَ سَيَكْثُرُونَ، وَيَقِلُّونَ، فَاقْبَلُوا مِن مُحْسِنِهِم، وَاعْفُوا عَنْ مُسِيْئِهِم**»[3].

١٠- وقال: «**احْفَظُونِي فِي أَصْحَابِي، ثُمَّ الذِيْنَ يَلُونَهُم، ثُمَّ الذِيْنَ يَلُونَهُم، ثُمَّ يَفْشُو الكَذِب حَتَّى يَشْهَدَ الرَّجُلُ وَمَا يُسْتَشْهَد، وَيَحْلِفَ وَمَا يُسْتَحْلَف**»[4].

ومن لوازم توقيره ﷺ توقير وبر آله وذريته، وأمهات المؤمنين أزواجه.

والأدلة على ذلك كثيرة ومنها ما يلي:

١- قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرًا ﴾[5].

٢- وعن زيد بن أرقم [1]، قال: قام رسول الله ﷺ: يومًا فينا خطيبا بماء يدعى خما بين مكة والمدينة ،فحمد الله، وأثنى عليه، ووعظ، وذكر، ثم قال: «**أَمَّا بَعْدُ، أَلَا أَيُّهَا النَّاسُ فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ**

---

[1] أخرجه البزار كما في: «كشف الأستار عن زوائد البزار»، رقم: (٢٧٦٣)، (ج٣ ص٢٨٨)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (ج١٠ ص١٦): «رجاله ثقات، وفي بعضهم خلاف».

[2] أخرجه الطبراني في «الأوسط»، رقم: (٦٧٢٦)، (ج٧ ص١٨)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (ج٩ ص٦٩): «فيه أبو سعد خادم الحسن البصري، و لم أعرفه، وبقية رجاله ثقات».

[3] أخرجه مسلم في «صحيحه»، كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب من فضائل الأنصار رضي الله تعالى عنهم، رقم: (٢٥١٠) (ج٤ ص١٩٤٩).

[4] أخرجه ابن ماجه في «سننه»، كتاب الأحكام، باب كراهية الشهادة لمن لم يستشهد، رقم: (٢٣٦٣) (ج٢ ص٧٩١).

[5] سورة الأحزاب الآية: (٣٣).

يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ رَبِّي فَأُجِيبَ، وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ: أَوَّلُهُمَا كِتَابُ اللهِ فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ فَخُذُوا بِكِتَابِ اللهِ، وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ»، فَحَثَّ عَلَى كِتَابِ اللهِ وَرَغَّبَ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: **«وَأَهْلُ بَيْتِي أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي»**، فَقَالَ لَهُ حُصَيْنٌ: وَمَنْ أَهْلُ بَيْتِهِ؟ يَا زَيْدُ أَلَيْسَ نِسَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ؟ قَالَ: نِسَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، وَلَكِنْ أَهْلُ بَيْتِهِ مَنْ حُرِمَ الصَّدَقَةَ بَعْدَهُ، قَالَ: وَمَنْ هُمْ؟ قَالَ: هُمْ آلُ عَلِيٍّ وَآلُ عَقِيلٍ، وَآلُ جَعْفَرٍ، وَآلُ عَبَّاسٍ قَالَ: كُلُّ هَؤُلَاءِ حُرِمَ الصَّدَقَةَ؟ قَالَ: نَعَمْ[٢].

٣- وقال ﷺ: **«إِنِّي تَارِكٌ فِيْكُم مَا إِنْ أَخَذْتُم بِهِ لَم تَضِلُّوا: كِتَابَ اللهِ، وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي، فَانْظُرُوا كَيْفَ تَخْلُفُونِي فِيْهِمَا»**[٣].

٤- قال بعض العلماء: معرفتهم هي معرفة مكانهم من النبي ﷺ، وإذا عرفهم بذلك عرف وجوب حقهم وحرمتهم بسببه[٤].

٥- وعن عمر بن أبي سلمة رضي الله عنه: لما نزلت: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [٥]، وذلك في بيت أم سلمة، دعا فاطمة وحسنًا وحسينًا، فجللهم

---

[١] هو: زيد بن أرقم بن زيد بن قيس، أبو عمر وقيل أبو عامر، الخزرجي الأنصاري، صحابي، غزا مع النبي ﷺ سبع عشرة غزوة، روى عن النبي ﷺ وعن علي رضي الله عنه، وعنه أنس بن مالك كتابة، وأبو إسحاق السبيعي وعبد الرحمن بن أبي ليلى، وأبو عمر الشيباني وغيرهم، وهو الذي أنزل الله تصديقه في سورة المنافقين، وله في كتب الحديث: (٨٠) حديثاً، توفي (سنة: ٦٨هـ). انظر: «الإصابة» (ج١ ص٥٦٠)، و«الأعلام» (ج٣ ص٣٩٥).

[٢] أخرجه مسلم، كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه، رقم: (٢٤,٨)، (ج٤ ص١٨٧٣).

[٣] أخرجه الترمذي في «سننه»، كتاب المناقب، باب مناقب أهل النبي ﷺ، رقم (٣٧٨٦) (ج٥ ص٦٦٢)، وقال الشيخ الألباني: «صحيح»، وانظر: «مجمع الزوائد»، كتاب المناقب، باب في فضل أهل البيت رضي الله عنهم، رقم: (١٤٩٦٢) (ج٩ ص٢٥٧).

[٤] «الشفا» للقاضي عياض (ج٢ ص٤٨).

[٥] سورة الأحزاب الآية : (٣٣).

بكساء، وعَلِيٌّ خلف ظهره فجلله بكسائه، ثم قال: «**اللهُمَّ هَؤلَاءِ أهْلُ بَيْتِي، فَأذْهِب عَنْهُم الرِّجْسَ، وَطَهِّرْهُم تَطْهِيرًا**»[1].

٦- وعن سعد بن أبي وقاص ﷺ : ولما نزلت هذه الآية: ﴿ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴾[2]، دعا رسول الله ﷺ عليا وفاطمة وحسنا وحسينا، فقال: «**اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أهْلِي**»[3].

٧- وقال النبي ﷺ في علي: «**مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ**»[4].

٨- وقال للعباس: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَدْخُلُ قَلْبَ رَجُلٍ الإِيمَانُ حَتَّى يُحِبَّكُمْ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ**»، ثُمَّ قَالَ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ آذَى عَمِّي فَقَدْ آذَانِي فَإِنَّمَا عَمُّ الرَّجُلِ صِنْوُ أَبِيهِ**»[5].

٩- وكان يأخذ أسامة بن زيد[6] ويقول: «**اللَّهُمَّ إنِّي أحِبُّهُمَا فَأحِبَّهُمَا**»[1].

---

[1] أخرجه الترمذي في «سننه»، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة الأحزاب، رقم (٣٢,٥) (ج٥ ص٣٥١)، (ج٥ ص٣٥١)، وقال الشيخ الألباني: «صحيح».

[2] سورة آل عمران آية: (٦٣).

[3] أخرجه مسلم، كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب من فضائل علي بن أبي طالب ﷺ، رقم (٢٤,٤) (ج ٤ ص١٨٧٠).

[4] أخرجه الترمذي في «سننه»، كتاب المناقب، باب مناقب علي بن أبي طالب ﷺ، رقم (٣٧١٣) (ج٥ ص٦٣٣)، وقال الشيخ الألباني: «صحيح»، وأخرجه ابن ماجه في «سننه»، افتتاح الكتاب في الإيمان وفضائل الصحابة والعلم، (فضل علي بن أبي طالب ﷺ)، رقم: (١٢١) (ج١ ص٤٥).

[5] أخرجه أحمد في «مسنده»، (حديث عبد المطلب بن ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب ﷺ)، رقم: (١٧٥٥١) (ج٤ ص١٦٥)، وأخرجه الترمذي، كتاب المناقب، باب مناقب العباس بن عبد المطلب ﷺ، رقم (٣٧٥٨) (ج٢ ص ٦٥٢).

[6] هو: أسامة بن زيد بن حارثة بن شراحيل، أبو محمد: صحابي جليل، ولد بمكة ونشأ على الإسلام؛ لأن أباه كان من أول الناس إسلاماً، وكان رسول الله ﷺ يحبه حباً جماً، وينظر إليه نظره إلى سبطية: الحسن والحسين، قال ابن سعد : مات النبي ﷺ وله عشرون سنة، وقد روى عن أسامة من الصحابة أبو هريرة وابن عباس، ومن كبار التابعين أبو عثمان النهدي

١٠- وقال أبو بكر ﷺ: والذي نفسي بيده لقرابة رسول الله ﷺ أحب إلى أن أصل من قرابتي[٢].

١١- وقال ﷺ: «**مَنْ أحَبَّنِي وَأحَبَّ هَذَيْنِ** - وأشار إلى حسن وحسين وأباهما وأمهما - **كَانَ مَعِي فِي دَرَجَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ**»[٣].

ومن الآثار المروية عن السلف في توقير آل بيت النبي ﷺ ما يلي:

١- وعن عقبة بن الحارث [٤]: رأيت أبا بكر ﷺ، جعل الحسن على عنقه وهو يقول: بأبي شبيه بالنبي، ليس شبيهاً بعلي، وعلي ﷺ يضحك[٥].

٢- وأن زيد بن ثابت ركب يومًا فأخذ ابن عباس بِرِكَابِهِ، فقال له: تنح يا ابن عم رسول الله ﷺ فقال له: هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا وكبرائنا فقال زيد: أرني يدك، فأخرج يده فقبلها، فقال: هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا[٦].

٣- ودخلت بنت أسامة بن زيد ﷺ صاحب رسول الله ﷺ - على عمر بن عبد العزيز، ومعها مولى لها يمسك بيدها، فقام لها عمر، ومشى إليها حتى جعل يدها بين يديه، ويداه في ثيابه،

وأبو وائل وآخرون، وفضائله كثيرة وأحاديثه شهيرة، توفي (سنة: ٥٤ هـ). «الإصابة» (ج١ ص٣١)، و«الأعلام» (ج١ ص٢٨١).

[١] أخرجه البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب الحسن والحسين رضي الله عنهما، رقم (٣٥٣٧) (ج٣ ص١٣٦٩).

[٢] أخرجه البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب قرابة رسول الله ﷺ ومنقبة فاطمة عليها السلام بنت النبي ﷺ، رقم: (٣٥,٨) (ج٣ ص ١٣٦٠).

[٣] أخرجه الترمذي في «السنن»، كتاب المناقب، باب مناقب علي بن أبي طالب ﷺ، رقم (٣٧٣٣)، (ج٥ ص٦٤١)، وأحمد في «مسنده»، (مسند علي بن أبي طالب ﷺ)، رقم (٥٧٦) (ج١ ص٧٧).

[٤] هو: عقبة بن الحارث ابن عامر بن نوفل بن عبد مناف بن قصي، وأمه خديجة أو أمامة بنت عياض بن رافع من خزاعة، أسلم عقبة يوم الفتح. «الطبقات الكبرى» لابن سعد (ج٥ ص٤٤٧).

[٥] أخرجه البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب الحسن والحسين رضي الله عنهما، رقم (٣٥٤٠) (ج٣ ص١٣٧٠).

[٦] ذكره المتقي الهندي في «كنز العمال»، كتاب الفضائل من قسم الأفعال، زيد بن ثابت ﷺ، رقم: (٣٧,٦١) (ج١٣ ص٣٧٠).

ومشى بها حتى أجلسها على مجلسه، وجلس بين يديها، وما ترك لها حاجةً إلا قضاها وأكرمها[1].

٤- ولما فَرَضَ عمر بن الخطاب لابنه عبد الله في ثلاثة آلاف، ولأسامة بن زيد في ثلاثة آلاف وخمسمائة، قال عبد الله لأبيه: لم فضلته، فوالله ما سبقني إلى مشهد؟ فقال له: لأن زيداً كان أحب إلى رسول الله ﷺ من أبيك، وأسامة أحب إليه منك، فآثرت حب رسول الله ﷺ على حبي[2].

٥- وقيل لابن عباس: ماتت فلانة - لبعض أزواج النبي ﷺ - فسجد، فقيل له: أتسجد هذه الساعة ؟ فقال: أليس قال رسول الله ﷺ : «**إِذَا رَأَيْتُم آيةً فَاسْجُدُوا**» وأي: آية أعظم من ذهاب أزواج النبي ﷺ[3].

٦- وكان أبو بكر وعمر يزوران أم أيمن مولاة النبي ﷺ، ويقولان: كان رسول الله ﷺ يزورها[4].

٧- ولما وردت حليمة السعدية على النبي ﷺ بَسَطَ لها رداءه وقضى حاجتها، فلما توفي وفدت على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فصنعا بها مثل ذلك[5].

---

[1] «تاريخ دمشق» (ج٧٠ ص٨).

[2] «الشفا» للقاضي عياض (ج٢ ص٥١).

[3] أخرجه أبو داود في «السنن»، كتاب الصلاة، باب السجود عند الآيات، رقم (١١٩٧) (ج١ ص٣٨٣)، وقال الشيخ الألباني: «حسن»، والترمذي، كتاب المناقب، باب فضل أزواج النبي ﷺ، رقم: (٣٨٩١) (ج٥ ص٧,٨).

[4] «الشفا» للقاضي عياض (ج٢ ص٤١١) ط - دار الفكر بيروت ١٤,١ هـ.

[5] أخرجه أبو داود، كتاب الأدب، باب في بر الوالدين، رقم: (٥١٤٤) (ج٢ ص٧٥٨)، أخرجه ابن حبان في «صحيحه»، كتاب الرضاع، رقم: (٤٢٣٢) (ج١٠ ص٤٤).

٤) من الحقوق والواجبات التي خص الله بها نبيه ﷺ أن الله أوجب على المؤمنين الصلاة والسلام على النبي ﷺ.

لا خلاف بين علماء الأمة في وجوب والصلاة والسلام على النبي ﷺ على كل المؤمنين.

والدليل على ذلك: قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾[1].

وبيان هذا الحق يستلزم بيان سبعة أمور وهي:

الأمر الأول: معنى الصلاة على النبي ﷺ .

الأمر الثاني: الأدلة على مشروعية الصلاة على النبي ﷺ .

الأمر الثالث: حكم الصلاة على النبي ﷺ .

الأمر الرابع: فضيلة الصلاة والتسليم على النبي ﷺ .

الأمر الخامس: المواطن التي يستحب فيها الصلاة والسلام على النبي ﷺ .

الأمر السادس: الفوائد والثمرات الحاصلة بالصلاة عليه.

الأمر السابع: في ذم من لم يصل على النبي ﷺ.

---

[1] سورة الأحزاب الآية: (٥٦).

الأمر الأول: معنى الصلاة على النبي ﷺ.

أ- للصلاة في اللغة معنيان:

أحدهما: الدعاء والتبريك.

والثاني: العبادة[1].

فمن الأول قوله تعالى: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[2].

وقول النبي ﷺ: «**إِذَا دُعِيَ أَحَدُكُم فَلْيُجِب فَإِنْ كَانَ صَائِمًا فَلْيُصَلّ**»[3].

قال الجمهور معناه: فليدع لأهل الطعام بالمغفرة والبركة ونحو ذلك.

وأصل الصلاة في اللغة الدعاء[4].

والدعاء نوعان: دعاء عبادة، ودعاء مسألة، والعابد داع، كما أن السائل داع، وبهما فسر قوله تعالى: وَقَالَ ﴿ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾[5].

قال الطبري في معنى الآية: اعبدوني وأخلصوا لي العبادة[6].

قيل: أطيعوني أثبكم، وقيل: سلوني أعطكم، والصواب أن الدعاء يعم النوعين[1].

---

[1] «الصحاح في اللغة» (ج١ ص٣٩٥)، و«الاشارات في علم العبارات» (ج١ ص٢١).

[2] سورة التوبة آية: (١,٣).

[3] أخرجه مسلم في «صحيحه»، كتاب النكاح، باب الأمر بإجابة الداعي إلى دعوة، رقم: (١٤٣١) (ج٢ ص١,٥٤).

[4] «صحيح مسلم» (ج٢ ص١,٥٤).

[5] سورة غافر آية: (٦).

[6] «تفسير الطبري» (ج١١ ص٧٢).

ب- المعني الشرعي لصلاة الله ﷻ على نبيه ﷺ.

لما كانت الصلاة التي أمِرَت بِها هذه الأمة على النبي ﷺ تَعْني: الطَّلَبَ من الله ما أخبر به من صلاته عليه، إذ المصلي يقول: «اللَّهُمَّ صَلّ عَلَى مُحَمَّد ... الخ»، فالأمر هنا يتطلب شرح معنى صلاة الله ﷻ على نبيه ﷺ.

قال ابن القيم[٢]: «وأما صلاة الله سبحانه فنوعان: عامة وخاصة.

فالنوع الأول: الصلاة العامة، وهي صلاته على عباده المؤمنين:

قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمًا ﴾[٣]، ومنه دعاء النبي ﷺ بالصلاة على آحاد المؤمنين كقوله: ﷺ **«اللَّهُمَّ صَلّ عَلَى آلِ أبِي أوْفَى»**[٤].

النوع الثاني: صلاته الخاصة على أنبيائه، ورسله، وخصوصًا على خاتمهم وخيرهم محمد ﷺ[٥].

واختلف في معنى الصلاة منه ﷻ على أقوال:

---

[١] «جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام» محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ط. دار العروبة - الكويت الطبعة الثانية، ١٤٠٧ – ١٩٨٧، تحقيق : شعيب الأرناؤوط - عبد القادر الأرناؤوط (ج١ ص ١٥٥).

[٢] هو: محمد بن أبي بكر بن سعد الزرعي، شمس الدين من أهل دمشق، من أركان الإصلاح الإسلامي، واحد من كبار الفقهاء، تتلمذ على ابن تيمية وانتصر له، و لم يخرج عن شيء من أقواله، وقد سجن معه بدمشق، كتب بخطه كثيرا وألف كثيرا، من تصانيفه : الطرق الحكمية، ومفتاح دار السعادة، والفروسية؛ ومدارج السالكين، توفي (سنة: ٧٥١ هـ). يراجع: «الأعلام» (ج٦ ص٢٨١)؛ و«الدار الكامنة» (ج٣ ص٤٠٠)؛ و«جلاء العينين» (ص: ٢٠).

[٣] سورة الأحزاب، آية: (٤٣).

[٤] أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب الزكاة، باب صلاة الإمام ودعائه لصاحب الصدقة، انظر: «فتح الباري» (ج٣ ص٣٦١) رقم: (١٤٩٧)، وأخرجه مسلم في «صحيحه»، كتاب الزكاة، باب الدعاء لمن أتى بصدقته (ج٣ ص١٢١).

[٥] «جلاء الأفهام» (ص: ١٥٥)، و«حقوق النبي ﷺ على أمته في ضوء الكتاب والسنة» (ج٢ ص٥,٦).

القول الأول: إنها رحمته، وروي عن سفيان الثوري وغير واحد من أهل العلم قالوا: صلاة الرب الرحمة وصلاة الملائكة الاستغفار[1].

وقال المبرد[2]: أصل الصلاة الرحمة، فهي من الله رحمة، ومن الملائكة رِقَّةٌ تبعث على استدعاء الرحمة، فهذا يعني أن الصلاة من الله زيادة فضل، ورفع درجات، وعلو منزلة وتشريف وتكريم وتفضيل، وعطاء لا يتناهى.

وقد ورد في الحديث: صفة صلاة الملائكة على من جلس ينتظر الصلاة: «**اللَّهُمَّ اغْفِر لَهُ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ**»[3] فهذا دعاء، قال ابن القيم: وهذا القول هو المعروف عند كثير من المتأخرين [4].

القول الثاني: إن صلاة الله مغفرته.

وأورد ابن حجر في الفتح: عن مقاتل بن حيان قال: «صلاة الله مغفرته وصلاة الملائكة الاستغفار»، قال ابن القيم: «وهذا القول هو من جنس الذي قبله»[5].

القول الثالث: أن معنى صلاة الله تعالى على نبيه ثناؤه وتعظيمه وإظهار شرفه وفضله وحرمته.

فإذا قلنا اللهم صل على محمد، فإنما نريد: اللهم عظم محمدًا في الدنيا بإعلاء ذكره وإظهار دينه، وإبقاء شريعته، وفي الآخرة بتشفيعه في أمته، وإجزال أجره ومثوبته، وإبداء فضله للأولين

---

[1] أخرجه الترمذي، كتاب: أبواب الوتر، باب: ماجاء في فضل الصلاة على النبي، رقم (٤٨٥) (ج٢ ص٣٥٥).

[2] محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأزدي، المعروف بالمبرد إمام العربية ببغداد في زمانه، وأحد أئمة الأدب والأخبار، توفي ببغداد (سنة: ٢٨٦ هـ). «الأعلام» (ج٧ ص١٤٤).

[3] أخرجه البخاري، كتاب: أبواب المساجد، باب الحدث في المسجد، رقم (٤٣٤) (ج١ص١٧١)، وأخرجه مسلم في المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاة الجماعة وانتظار الصلاة رقم: (٦٤٩) (ج١ ص٤٥٨).

[4] «جلاء الأفهام» (ج١ ص ١٥٨).

[5] «جلاء الأفهام (ج١ ص١٥٨).

والآخرين بالمقام المحمود وتقديمه على كافة المقربين والشهود. قال أبو العالية[1]: «صلاة الله ثناؤه عليه عند الملائكة»[2].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: الصلاة المأمور بها في هذه الآية هي الطلب من الله ما أخبر به عن صلاته وصلاة ملائكته، وهي ثناء عليه وإظهار لفضله، وشرفه وإرادة تكريمه وتقريبه، فهي تتضمن الخبر والطلب، وسُمِّيَ هذا السؤال مِنَّا والدعاء صلاةً عَلَيْهِ لوجهين:

أحدهما: أنه يتضمن ثناء المصلي عليه والإشارة بذكر شرفه وفضله والإرادة والمحبة كذلك من الله تعالى، فقد تضمنت الخبر والطلب.

والوجه الثاني: أن ذلك سمي منا صلاة لسؤالنا من الله أن يصلي عليه، فصلاة الله عليه ثناؤه وإرادته لرفع ذكره وتقريبه، وصلاتنا نحن عليه سؤالنا الله تعالى أن يفعل ذلك به[3].

وزاد الحافظ ابن حجر: أن صلاة الله على خلقه تكون خاصة وتكون عامة، فصلاته على أنبيائه هي ما تقدم من الثناء والتعظيم، وصلاته على غيرهم: الرحمة فهي التي وسعت كل شيء[4].

قال القشيري[5]: «الصلاة على النبي ﷺ من الله تشريف وزيادة وتكرمة، وعلى مَن دُوْنَ النبي رَحْمَة، وبهذا التقرير يَظْهَرُ الفَرْقُ بين النبي ﷺ، وبين سائر المؤمنين حيث قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ

---

[1] هو: رُفَيْعُ (بالتصغير) بن مهران أبو العالية الرياحي مولاهم، البصري أدرك الجاهلية وأسلم بعد وفاة النبي ﷺ بسنتين ودخل على أبي بكر وصلى خلف عمر: ثقة، توفي سنة تسعين وقيل بعد ذلك. «تهذيب التهذيب» (ج٣ ص٢٨٤-٢٨٦).

[2] ذكره تعليقا البخاري في «صحيحه»، كتاب التفسير، باب تفسير قوله تعالى {إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ} الآية، انظر: «فتح الباري» ابن حجر (ج١١ ص١٥٦).

[3] «جلاء الأفهام» (ج١ ص١٦٢).

[4] «فتح الباري» ابن حجر (ج١١ ص١٥٦).

[5] هو: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة، أبو القاسم، النيسابوري، القشيري الشافعي، من بني قشير بن كعب، الملقب زين الإسلام، شيخ خراسان في عصره: فقيه، أصولي، محدث، حافظ، مفسر، متكلم، أديب، ناثر، ناظم، من تصانيفه: "التيسير في التفسير"، ويقال له: "التفسير الكبير"، و"الرسالة القشيرية"، و"لطائف الإشارات". توفي (سنة ٤٦٥ هـ). «طبقات السبكي» (ج٣ ص٢٤٣)، و«الأعلام» (ج٤ ص١٨٠)، و«معجم المؤلفين» (ج٦ ص٦).

ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ ﴾، وقال تعالى قبل ذلك في السورة المذكورة: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ ﴾، ومن المعلوم أن القدر الذي يليق بالنبي ﷺ من ذلك أرفع مما يليق بغيره، وهذه الآية شرف الله بها رسوله عليه السلام في حياته وموته، وذكر منزلته منه، وطهر بها سوء فِعْلِ مَن استَصْحَبَ في جهته فكرة سوء، أو في أمر زوجاته ونحو ذلك، والصلاة من الله رحمته ورضوانه، ومن الملائكة الدعاء والاستغفار، ومن الأمة الدعاء ،والتعظيم لأمره[1].

وأن الصلاة عليه بمعنى: الطلب والدعاء من الله أن يصلي عليه لعجز العبد عن الصلاة عليه، ما دام أن الله يصلي عليه، فكيف يصلي العبد عليه؟ وهذا واضح من سياق الحديث، حيث فهم الصحابة كيفية التسليم عليه، وسألوا عن الصلاة عليه، فسكت النبي فترة، وهذا السكوت يدل على المعنى المقصود من السؤال: كيف نصلي عليك ؟ فقال: «**قُولُوا اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ**».

والدليل ما روي عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه أن بَشِيْرَ بنَ سَعْدٍ قال: يا رسول الله أمرنا الله أن نصلي عليك فكيف نصلي عليك؟ فسكت حتى تمنينا أنا لم نسأله، ثم قال: «**قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ؛ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إبْرَاهِيْمَ، وَبَارِك عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إبْرَاهِيْمَ، فِي العَالَمِيْنَ إنَّكَ حَمِيْدٌ مَجِيْدٌ**»[2].

و أما التسليم الذي أمر الله تعالى به عباده: فقال القاضي بن بكير: نزلت هذه الآية على النبي ﷺ، فأمر الله أصحابه أن يسلموا عليه، وكذلك مَن بعدهم آمرو أن يسلموا على النبي ﷺ عند حضورهم قبره، وعند ذكره.

وفي معنى السلام عليه ثلاثة وجوه:

أحدها: السلامة لك ومعك، ويكون السلام مصدر.

---

[1] «تفسير القرطبي» (ج١٤ ص٢,٥).

[2] أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب تفسير سورة الأحزاب، رقم (٤٥٢٠) (ج٤ ص١٨,٢)، وأخرجه مسلم، كتاب الصلاة، باب الصلاة على النبي ﷺ بعد التشهد، رقم: (٤,٥) (ج١ ص ٣,٥).

الثاني: أي السلام على حفظك، ورعايتك متول له، وكفيل به، ويكون هنا السلام اسم الله[1].

الثالث: أن السلام بمعنى المسالمة له والانقياد[2]، كما قال: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾[3].

الأمر الثاني: **الأدلة من القرآن والسنة على مشروعية الصلاة على النبي ﷺ**.

١- **الأدلة من القرآن**: قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾[4].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: والمقصود من هذه الآية: أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أخبر عباده بمنزلة عبده ونبيه عنده في الملأ الأعلى، بأنه يثني عليه عند الملائكة المقربين، وأن الملائكة تصلي عليه، ثم أمر تعالى أهل العالم السفلي بالصلاة والتسليم عليه ليجتمع الثناء عليه من أهل العالمين العلوي والسفلي جميعًا[5].

فهذه الآية شرف الله بها رسوله ﷺ في حياته وبعد موته، وفيها تنبيه على كمال الرسول ﷺ، ورفعة درجته، وعلو منزلته عند الله، وعند خلقه، ورفع ذكره، فقوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ

---

[1] «الشفا» للقاضي عياض (ج٢ ص٦٠)، و«تفسير أبي السعود» (ج٧ ص١١٣)، و«تفسير البغوي» (ج١ ص٣٧٢)، و«تفسير الجلالين» (ج١ ص ٥٥٩)، و«زاد المسير» (ج٦ ص٤١٨).

[2] «الشفا» (ج٢ ص٦١).

[3] سورة النساء آية: (٦٥).

[4] سورة الأحزاب آية: (٥٦).

[5] «مختصر ابن كثير» (ج٣ ص١٣٥).

﴿ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ ﴾، أي: يثني الله عليه بين الملائكة، وفي الملأ الأعلى لمحبته تعالى، ويثني عليه الملائكة المقربون، ويدعون له ويتضرعون.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾، اقتداء بالله وملائكته وجزاء له على بعض حقوقه عليكم، وتكميلا لإيمانكم، وتعظيمًا له ﷺ، ومحبةً وإكرامًا وزيادة في حسناتكم، وتكفيرًا من سيئاتكم.

وقد أمر الله تعالى في كتابه بالصلاة والتسليم عليه جملة فقال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾، فأمر الله عباده أن يصلوا عليه ويسلموا، وقدم قبل أمرهم بذلك إخبارهم بأن ملائكته يصلون عليه، لينبئهم بذلك على ما في الصلاة.

٢- الأدلة من السنة النبوية:

ورد في شأن الصلاة على النبي ﷺ كثير من الأحاديث، التي وضحت وبينت ما يتعلق بشأن هذه الصلاة من جهة مشروعيتها، وكيفيتها، ومواطنها، وفضلها إلى غير ذلك من الجوانب المتعلقة بها، **ومن ذلك مايلي:**

١- عن عبد الله بن عمرو قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ، فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا اللهَ لِيَ الْوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ، لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ**»[1].

[1] أخرجه مسلم، كتاب الصلاة، باب: استحباب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه، ثم يصلي على النبي ﷺ، ثم يسأل الله له الوسيلة، رقم: (٣٨٤) (ج١ ص٢٨٨).

٢- روى أنس بن مالك ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً وَاحِدَةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرَ صَلَوَاتٍ، وَحُطَّتْ عَنْهُ عَشْرُ خَطِيئَاتٍ، وَرُفِعَتْ لَهُ عَشْرُ دَرَجَاتٍ**»[١].

الأمر الثالث: حكم الصلاة على النبي ﷺ.

أولا: لا خلاف بين الفقهاء في مشروعية الصلاة على النبي ﷺ، للأمر بها في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾[٢]

وقال الشوكاني: والمقصود من هذه الآية أن الله سبحانه أخبر عباده بمنزلة نبيه عنده في الملأ الأعلى، بأنه يثني عليه عند ملائكته، وأن الملائكة تصلي عليه، وأمر عباده بأن يقتدوا بذلك ويصلوا عليه[٣].

وجاءت الأحاديث المتواترة عن رسول الله ﷺ بالأمر بالصلاة عليه، وكيفية الصلاة عليه.

فقد روى البخاري عند تفسير هذه الآية: قيل لرسول الله ﷺ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَمَّا السَّلاَمُ عَلَيْكَ فَقَدْ عَرَفْنَاهُ، فَكَيْفَ الصَّلاَةُ عَلَيْكَ؟ قَالَ: «**قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ**»[٤].

ثانيا: الحكم التكليفي:

فرق العلماء بين حكم الصلاة على النبي ﷺ في الصلاة، وخارجها.

---

[١] أخرجه النسائي في «سننه»، باب الفضل في الصلاة على النبي ﷺ، رقم (١٢٩٧) (ج٣ ص٥٠)، وقال الشيخ الألباني: «صحيح».

[٢] سورة الأحزاب آية: (٥٦).

[٣] «فتح القدير» (ج٤ ص٤٢٧).

[٤] سبق تخريجه.

أما خارج الصلاة فقد اختلف العلماء في حكم الصلاة على النبي ﷺ على رأيين:

الرأي الأول: يرى جمهور العلماء أن الصلاة على النبي ﷺ فرض على الجملة، غير محدد بوقت، لأمر الله تعالى بالصلاة عليه، وحمل الأئمة والعلماء الأمر على الوجوب.

الرأي الثاني: قال ابن كثير: محمل الآية عنده على الندب، وادعى فيه الإجماع، ولعله فيما زاد على مرة، والواجب منه الذي يسقط به الحرج ومأثم ترك الفرض: مرة، كالشهادة له بالنبوة، وما عدا ذلك فمندوب مرغب فيه، من سنن الإسلام وشعار أهله[1].

قال القاضي أبو الحسن ابن القصار[2]: المشهور عن أصحابنا أن ذلك واجب في الجملة على الإنسان، وفرض عليه أن يأتي بها مرةً من دهره مع القدرة على ذلك، وقال القاضي أبو بكر بن بكير: افترض الله على خلقه أن يصلوا على نبيه ويسلموا تسليما، ولم يجعل ذلك لوقت معلوم، فالواجب أن يكثر المرء منها، ولا يغفل عنها، وقال القاضي أبو محمد بن نصر: الصلاة على النبي ﷺ واجبة في الجملة.

وروى مالك وأصحابه وغيرهم من أهل العلم أن الصلاة على النبي ﷺ فرض بالجملة بعقد الإيمان، لا تتعين في الصلاة، وأن من صلى عليه مرةً واحدةً من عمره سقط الفرض عنه[3].

وقال أصحاب الشافعي: الفرض منها الذي أمر الله تعالى به رسوله ﷺ هو في الصلاة[4].

وأما الصلاة على النبي ﷺ في الصلاة فمختلف فيها أيضًا على رأيين:

---

[1] «تفسير ابن كثير» (ج٣ ص٦٦٨).

[2] هو: علي بن أحمد، أبو الحسن، البغدادي، الأبهري الشيرازي، المعروف بابن القصار، فقيه، مالكي أصولي، حافظ، ولي قضاء بغداد، تفقه بأبي بكر الأبهري وغيره، وبه: تفقه أبو ذر الهروي والقاضي عبد الوهاب ومحمد بن عمروس وغيرهم، قال أبو ذر: هو أفقه من رأيت من المالكيين توفي (سنة: ٣٩٨ هـ). «شجرة النور الزكية» (ص: ٩٢)، و«معجم المؤلفين» (ج٧ ص١٢).

[3] «الشفا» (ج٢ ص ٦٢).

[4] «الشفا» للقاضي عياض ج٢ ص٤٢٢)، و«تفسير أبي السعود» (ج٧ ص ١١٣).

الأول: يرى الإمامان أبو جعفر الطبري، والطحاوي وغيرهما: إجماع جميع المتقدمين والمتأخرين من علماء الأمة على أن: الصلاة على النبي ﷺ في التشهد غير واجبة[1].

الثاني: يرى الشافعي أن من لم يصل على النبي ﷺ من بعد التشهد الأخير، وقبل السلام، فصلاته فاسدة، وإن صلى عليه قبل ذلك لم تُجْزِهِ.

قال القاضي عياض مبينًا الراجح في المسألة: ولا سلف للشافعي في هذا القول ولا سنة يتبعها، وقد بلغ في إنكار هذه المسألة عليه لمخالفته فيها من تقدمه: جماعة، وشنعوا عليه الخلاف فيها، منهم: الطبري، والقشيري، وغير واحد، لكن هذا عير مسلّم لهم؛ لأن هناك من يرى رأي الشافعي، فقد حكي عن مالك وسفيان أنها في التشهد الأخير مستحبة، وأن تاركها في التشهد مسيء.

وحكى ابن القصار وعبد الوهاب: أن محمد بن المَوَّازِ يَرَاها فَرضًا في الصلاة؛ كقول الشافعي[2].

وأوجب إسحاق الإعادة مع تعمد تركها دون النسيان، وعلى هذا يمكن حَمْلُ كلام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ؛ ولهذا قال أبو بكر ابن المنذر خروجًا من الخلاف: يستحب ألا يصلي أحد صلاةً إلا صلى فيها على رسول الله ﷺ، فإن ترك ذلك فصلاته مجزئة في مذهب مالك، وأهل المدينة، وسفيان الثوري، وأهل الكوفة من أصحاب الرأي وغيرهم، وهو قول جملة أهل العلم.

وفي المذهب المالكي ثلاثة أقوال في الصلاة: الوجوب، والسنة، والندب، وقد خالف الخطابي من أصحاب الشافعي وقال: وليست بواجبة في الصلاة، وهو قول أكثر الفقهاء إلا الشافعي، ولا أعلم له فيها قدوةً[3].

والدليل على أنها ليست من فروض الصلاة، وعمل السلف الصالح قبل الشافعي وإجماعهم عليه هذا: تشهد ابن مسعود الذي اختاره الشافعي، وهو الذي علمه له النبي ﷺ، ليس فيه الصلاة على النبي ﷺ، وكل من روى التشهد عن النبي ﷺ، كأبي هريرة، وابن عباس، وجابر وابن

---

[1] «الدر المنثور» (ج٦ ص٥٦٠)، و«تفسير القرطبي» (ج١٤ ص٢,٥).

[2] «الشفا» للقاضي عياض (ج٢ ص٦٣).

[3] «الشفا» للقاضي عياض (ج٢ ص٦٣)، و«الدر المنثور» (ج٦ ص٥٦٠)، و«تفسير القرطبي» (ج١٤ ص٢,٥).

عمر، وأبي سعيد الخدري: لم يذكروا فيه صلاة على النبي ﷺ، وقد قال ابن عباس، وجابر: كان النبي ﷺ يعلمنا التشهد كما يعلمنا السورة من القرآن.

وقال ابن عمر: كان أبو بكر يعلمنا التشهد على المنبر كما يعلمون الصبيان في الكتاب.

وفي الحديث: «**لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَم يُصَلِّ عَلَى نَبِيِّ اللهِ فِي صَلَاتِهِ**»[1].

لكن قال ابن القصار: معناه: كاملةً، أو لمن لم يصل علي مرة في عمره، وضعف أهل الحديث كلهم رواية هذا الحديث[2].

وفي حديث ابن مسعود، عن النبي ﷺ: «**مَن صَلَّى صَلاةً لَم يُصَلّ فِيهَا عَلَيَّ وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِي: لَم تُقْبَل مِنْهُ**»[3].

قال الدار قطني[4]: الصواب أنه من قول أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين: «لو صليت صلاةً لم أصل فيها على النبي ﷺ ولا على آل بيته لرأيت أنها لا تتم»، ولعل كلام الشافعي هنا ومن وافقه محمول على الورع، وحسن الأدب مع النبي ﷺ، أو: أن هناك آثار مروية عن الصحابة، تؤيد ما ذهب إليه[5].

---

[1] أخرجه الحاكم في «المستدرك»، ومن كتاب الإمامة وصلاة الجماعة، باب التأمين، رقم (٩٩٢) (ج١ ص٤,٢).

[2] «الشفا» للقاضي عياض (ج٢ ص٦٣).

[3] «التحقيق في أحاديث الخلاف» (ج ١ص٤,٢)، وفيه: جابر الجعفي ضعيف وقد اختلف عنه فوقفه على أبي مسعود تارة ورفعه تارة.

[4] على بن عمر بن أحمد بن مهدى، أبو الحسن الدارقطنى، الشافعى، أول من صنف القراءات، ولد بدار القطن من أحياء بغداد ورحل إلى مصر وعاد إلى بغداد فتوفى بها من تصانيفه كتاب «السنن»، توفى (سنة: ٣٨٥ هـ). موسوعة «الأعلام» (ج١ ص٢,٩).

[5] «الشفا» بتعريف حقوق المصطفى (ج٢ ص٦٤) مذيلا بالحاشية المسماة: «مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفاء» ط. دار الفكر الطباعة والنشر والتوزيع.

الأمر الرابع: **فضيلة الصلاة على النبي ﷺ والتسليم عليه**.

وردت أحاديث كثيرة في فضل الصلاة والسلام عليه ﷺ من أهمها ما يلي:

١- عن عبد الله بن عمرو قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ، فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا اللهَ لِيَ الْوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ، لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ**»[(١)].

٢- وعن جابر بن عبد الله، قال: قال النبي ﷺ: «**مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ: اللَّهُمَّ رَبَّ هَذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ، وَالصَّلَاةِ القَائِمَةِ آتِ مُحَمَّدًا الوَسِيلَةَ وَالفَضِيلَةَ، وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتَهُ، حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ**»[(٢)].

٣- روى أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً وَاحِدَةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرَ صَلَوَاتٍ، وَحُطَّتْ عَنْهُ عَشْرُ خَطِيئَاتٍ، وَرُفِعَتْ لَهُ عَشْرُ دَرَجَاتٍ**» [(٣)].

٤- وعن أنس، عَنْ أَبِي طَلْحَةَ رضي الله عنه، قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ يَتَهَلَّلُ وَجْهُهُ مُسْتَبْشِرًا، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّكَ لَعَلى حَالٍ مَا رَأَيْتُكَ عَلَى مِثْلِهَا، قَالَ: «**وَمَا يَمْنَعُنِي؟، أَتَانِي جِبْرِيلُ، فَقَالَ: بَشِّرْ أُمَّتَكَ مَنْ صَلَّى عَلَيْكَ صَلَاةً، كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِهَا عَشْرَ حَسَنَاتٍ، وَكَفَّرَ، عَنْهُ بِهَا عَشْرَ سَيِّئَاتٍ، وَرَفَعَ لَهُ بِهَا عَشْرَ دَرَجَاتٍ، وَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِ بِمِثْلِ قَوْلِهِ، وَعُرِضَتْ عَلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»[(٤)].

[(١)] أخرجه مسلم، كتاب الصلاة، باب استحباب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه ثم يصلي على النبي ﷺ ثم يسأل الله له الوسيلة، رقم (٣٨٤) (ج١ ص ٢٨٨).

[(٢)] أخرجه البخاري، كتاب الأذان، باب الدعاء عند النداء، رقم (٥٨٩) (ج١ ص٢٢٢).

[(٣)] أخرجه النسائي في «سننه»، (باب الفضل في الصلاة على النبي ﷺ)، رقم (١٢٩٧) (ج٣ ص٥٠)، وقال الشيخ الألباني: صحيح.

[(٤)] أخرجه أبو يعلى في «مسنده»، مسند أبي طلحة، رقم (١٤٢٥) (ج٣ ص١٥)، وانظر: «كنز العمال»، كتاب الإيمان والإسلام من قسم الأفعال وفيه أربعة أبواب، الباب السادس في الصلاة عليه وعلى آله عليه الصلاة والسلام، رقم: (٢٢١١) (ج١ ص٧٧١).

٥- وفي رواية عن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ جِبْرِيلَ عليه السلام أَتَانِي فَبَشَّرَنِي، فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ عز وجل يَقُولُ: مَنْ صَلَّى عَلَيْكَ صَلَّيْتُ عَلَيْهِ، وَمَنْ سَلَّمَ عَلَيْكَ سَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَسَجَدْتُ لِلَّهِ عز وجل شُكْرًا**»[(١)].

٦- وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «**أَوْلَى النَّاسِ بِي يَوْمَ القِيَامَةِ أَكْثَرُهُم عَلَيَّ صَلَاةً**»[(٢)].

٧- وعن عامر بن ربيعة رضي الله عنه [(٣)]: قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**مَا مِن مُسْلِمٍ يُصَلِّي عَلَيَّ إِلَّا صَلَّت عَلَيْهِ المَلَائِكَةُ مَا صَلَّى عَلَيَّ، فَلْيُقِلَّ العَبْدُ مِنْ ذَلِك أَوْ لِيُكْثِر**»[(٤)].

٨-و عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أنه ﷺ قال: «**مَن قَالَ حِينَ يَسْمَعُ المُؤَذنَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحمداً عَبْدُه ورَسُولُه، رَضِيْتُ بِاللهِ رَبــاً وبِمُحَمَّــدٍ رَسُــولًا، وبِالإِسْلَامِ دِيناً: غُفِرَ لَهُ**»[(٥)].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده»، (حديث عبد الرحمن بن عوف الزهري رضي الله عنه)، رقم: (١٦٦٤) (ج١ ص١٩١)، وفي «المستدرك»، ومن كتاب الإمامة وصلاة الجماعة، باب التأمين، رقم: (٨١٠) (ج١ ص٣٤٤)، وتعليق الذهبي قي التلخيص: «على شرطهما».

(٢) أخرجه الترمذي، أبواب الوتر، باب ما جاء في فضل الصلاة على النبي ﷺ، رقم (٤٨٤) (ج٢ ص٣٥٤)، وأخرجه ابن حبان في «صحيحه»، كتاب الرقائق، باب الأدعية، رقم: (٩١١) (ج٣ ص١٩٢)، وذكره الهيثمي في «موارد الظمآن» رقم: (٢٣٨٩).

(٣) هو: عامر بن ربيعة بن كعب بن مالك العنزي، أبو عبد الله: صحابي كان أحد السابقين الأولين، وهاجر إلى أرض الحبشة الهجرتين، وشهد بدراً وسائر المشاهد روى عنه جماعة من الصحابة، منهم: ابن عمرو وابن الزبير، توفي (سنة: ٣٢ هـــ)، وقيل غير ذلك. «الإصابة» (ج٢ ص٢٤٩)، و«الاستيعاب» (ج٢ ص٧٩٠».

(٤) أخرجه ابن ماجه في «سننه»، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب الصلاة على النبي ﷺ، رقم: (٩,٧) (ج١ ص٢٩٤)، وقال الشيخ الألباني: حسن، وأخرجه الإمام أحمد في «مسنده»، (حديث عامر بن ربيعة رضي الله عنه)، رقم (١٥٧٢٧) (ج٣ ص ٤٤٦)، وتعليق شعيب الأرنؤوط: «حديث حسن».

(٥) أخرجه مسلم كتاب الصلاة، باب استحباب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه ثم يصلي على النبي ﷺ ثم يسأل الله له الوسيلة، رقم (٣٨٦) (ج١ ص٢٩٠).

الأمر الخامس: من المواطن التي يستحب فيها الصلاة والسلام على النبي ﷺ.

قرر العلماء أن هناك مواطن كثيرة يستحب عندها الصلاة والسلام على النبي ﷺ، ومن تلك المواطن التي يستحب فيها الصلاة عليه ﷺ - على سبيل المثال - ما يلي:

١- من مواطن الصلاة عليه عِنْدَ ذِكْرِهِ.

وقد اختلف في وجوبها كلما ذكر اسمه على رأيين:

الرأي الأول: يرى أبو جعفر الطحاوي وأبو عبد الله الحليمي أنه تجب الصلاة عليه كلما ذكر اسمه[١].

الرأي الثاني: يرى البعض أنها مستحبة، وليست بفرض يأثم تاركه[٢].

ثم اختلفوا: فقالت فرقة: تجب الصلاة عليه في العمر مرة واحدة؛ لأن الأمر المطلق لا يقتضي تكرارًا، والماهية تحصل بِمَرَّةٍ وهذا محكي عن أبي حنيفة، ومالك، والثوري، والأوزاعي، قال عياض وابن عبد البر: وهو قول جمهور الأمة[٣].

وقالت فرقة: بل تجب في كل صلاة في تشهدها الأخير - كما تقدم -، وهو قول الشافعي وأحمد في آخر الروايتين عنه[٤]، وقالت طائفة الأمر بالصلاة أمر استحباب لا أمر إيجاب[٥].

٢- من مواطن الصلاة عليه ﷺ: في الخطبة.

وقد اختلف في اشتراطها لصحة الخطبة على رأيين:

---

[١] «فتح القدير» (ج٤ ص٤٢٧)، و«تفسير الطبري» (ج١٠ ص ٣٢٩).

[٢] «جلاء الأفهام» (ج١ ص٣٦٨).

[٣] «فتح القدير» (ج٤ ص٤٢٧).

[٤] «تفسير القرطبي» (ج١٤ ص٢,٥).

[٥] «جلاء الأفهام» (ج١ ص٣٨٢).

الرأي الأول: يرى الشافعي [1]، وأحمد في المشهور[2] من مذهبَيْهِمَا أنه لا تصح الخطبة إلا بالصلاة عليه، واحتج لوجوبها في الخطبة بقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ [3].

قال ابن عباس رضي الله عنهما : رفع الله له ذكره فلا يذكر إلا ذكر معه[4].

الرأي الثاني: يرى أبو حنيفة[5]، ومالك: أنها تصح بدونها [6]، وهو وجه في مذهب أحمد[7].

٣- من مواطن الصلاة عليه ﷺ : عند دخول المسجد والخروج منه.

وذلك لما رواه الإمام أحمد عن عبد الله بن الحسن عن أمه فاطمة بنت الحسين عن جدته فاطمة بنت رسول الله ﷺ قالت: " كان رسول الله ﷺ إِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ يَقُولُ: «**بِسْمِ اللَّهِ، وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي وَافْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ**»، وَإِذَا خَرَجَ قَالَ: «**بِسْمِ اللَّهِ، وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي، وَافْتَحْ لِي أَبْوَابَ فَضْلِكَ**»[8].

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: إذا مَرَرْتُم بالمساجد فصلوا على النبي ﷺ[9].

---

[1] «عمدة القاري» (ج١٩ ص٢٨٨).

[2] «المغني» (ج٢ ص٤,٥).

[3] سورة الشرح.

[4] «جلاء الأفهام» (ج١ ص٣٦٨).

[5] «تفسير القرطبي» (ج١٤ ص٢,٥).

[6] «تحفة الأحوذي» (ج٩ ص٣٧٣).

[7] «المغني» (ج٢ ص٤,٥).

[8] أخرجه ابن ماجه في «سننه»، كتاب المساجد والجماعات، باب الدعاء عند دخول المسجد، رقم (٧٧١) (ج١ ص٢٥٣)، وأخرجه الإمام أحمد في «مسنده»، (أحاديث فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم)، رقم: (٢٦٤٦٠)، (ج٦ ص٢٨٣).

[9] «فضل الصلاة على النبي»، رقم: (٨٠) (ج١ ص٧٠).

٤- **ومن مواطن الصلاة عليه ﷺ: في صلاة الجنازة**، فإن السنة أن يقرأ في التكبيرة الأولى فاتحة الكتاب، وفي الثانية يصلي على النبي ﷺ، وفي الثالثة يدعو للميت، وفي الرابعة يقول اللهم لا تحرمنا أجره، ولا تفتنا بعده.

قال ابن القيم: واختلف في توقف صحة الصلاة عليها، فقال الشافعي، وأحمد في المشهور من مذهبهما: إنها واجبة في الصلاة، لا تصح إلا بها، ورواه البيهقي عن عبادة بن الصامت وغيره من الصحابة، وقال مالك وأبو حنيفة: تستحب وليست بواجبة وهو وجه لأصحاب الشافعي[١].

الدليل على مشروعيتها في صلاة الجنازة ما روى الشافعي: أن السنة في الصلاة على الجنازة أن يكبر الإمام، ثم يقرأ بفاتحة الكتاب بعد التكبيرة الأولى سرًا في نفسه، ثم يصلي على النبي، ويخلص الدعاء للجنازة في التكبيرات لا يقرأ في شيء منهن ثم يسلم سرًا في نفسه[٢].

٥- **من مواطن الصلاة عليه ﷺ: في تكبير العيد.**

لما روي أن ابن مسعود وأبا موسى وحذيفة، خرج عليهم الوليد بن عقبة يوماً قبل العيد فقال لهم: إن هذا العيد قد دنا فكيف التكبير فيه؟ قال عبد الله: تبدأ فتكبر تكبيرة تفتتح بها الصلاة وتحمد ربك، وتصلي على النبي ﷺ، ثم تدعو وتكبر وتفعل مثل ذلك، ثم تكبر وتفعل مثل ذلك، ثم تكبر وتفعل مثل ذلك، ثم تقرأ ثم تكبر وتركع، ثم تقوم فتقرأ وتحمد ربك وتصلي على النبي ﷺ، ثم تدعو وتكبر وتفعل مثل ذلك ثم تركع، فقال حذيفة وأبو موسى: صدق أبو عبد الرحمن[٣].

---

[١] «جلاء الأفهام» (ج١ ص٣٦٤).

[٢] «مسند الشافعي» ترتيب السندي للشيخ زاهد الكوثري، (ص: ٦٢٠)، و«مسند الشافعي» (ج١ ص٣٥٩) ط. دار الكتب العلمية - بيروت.

[٣] «جلاء الأفهام»، الموطن الحادي والأربعون من مواطن الصلاة عليه في أثناء صلاة العيد، (ج١ ص٤٤٢).

٦- **من مواطن الصلاة عليه ﷺ : ختم الدعاء** بها، فيستحب ختم الدعاء بالصلاة عليه ﷺ؛ لما رواه عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: الدعاء موقوف بين السماء والأرض لا يصعد منه شيء حتى تصلي على نبيك.[1]

٧- **من مواطن الصلاة عليه ﷺ : يوم الجمعة وليلة الجمعة.**

يستحب الإكثار من الصلاة عليه يوم الجمعة وليلة الجمعة؛ لقول الرسول الله ﷺ: «**إِنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ قُبِضَ، وَفِيهِ النَّفْخَةُ، وَفِيهِ الصَّعْقَةُ، فَأَكْثِرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ فِيهِ، فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ**» قَالَ: قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَيْفَ تُعْرَضُ صَلَاتُنَا عَلَيْكَ وَقَدْ أَرِمْتَ - يَقُولُونَ: بَلِيتَ -؟ فَقَالَ: «**إِنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ**»[2].

وقد بين ﷺ لما ذا خص يوم الجمعة بذلك فيما رواه أبو الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَكْثِرُوا الصَّلَاةَ عَلَيَّ يَوْمَ الْجُمُعَةِ؛ فَإِنَّهُ مَشْهُودٌ، تَشْهَدُهُ الْمَلَائِكَةُ، وَإِنَّ أَحَدًا لَنْ يُصَلِّيَ عَلَيَّ، إِلَّا عُرِضَتْ عَلَيَّ صَلَاتُهُ، حَتَّى يَفْرُغَ مِنْهَا**» قَالَ: قُلْتُ: وَبَعْدَ الْمَوْتِ؟ قَالَ: «**وَبَعْدَ الْمَوْتِ، إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ، فَنَبِيُّ اللَّهِ حَيٌّ يُرْزَقُ**»[3].

---

[1] أخرجه الترمذي، أبواب الوتر، باب ما جاء في فضل الصلاة على النبي ﷺ، رقم: (٤٨٦)، ورواه أيوب بن موسى عن سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب، وقال الشيخ الألباني: «حسن»، «كنز العمال»، كتاب الأذكار من قسم الأفعال من الكتاب الثاني من حرف الهمزة، باب في الصلاة عليه ﷺ، رقم (٣٩٨٤) (ج٢ ص ٣٨٦).

[2] أخرجه أبو داود في «سننه»، باب فضل يوم الجمعة وليلة الجمعة، رقم: (١,٤٧) (ج١ ص٣٤٢)، وقال الشيخ الألباني: «صحيح»، وأخرجه سنن النسائي في «سننه»، كتاب الجمعة، (إكثار الصلاة على النبي ﷺ يوم الجمعة)، رقم: (١٣٧٤) (ج٣ ص٩١).

[3] أخرجه ابن ماجه في «سننه»، كتاب الجنائز، باب ذكر وفاته ﷺ، رقم: (١٦٣٧) (ج١ ص٥٢٤)، وانظر: «كشف الخفاء»، حرف الهمزة، حرف الهمزة مع الكاف، رقم: (٥,١) (ج١ ص١٨٨).

٨- **من مواطن الصلاة عليه ﷺ: عند زيارة قبره ﷺ.**

يستحب الصلاة والسلام عليه عند زيارة قبره ﷺ ففي جلاء الأفهام: الموطن الرابع عشر من مواطن الصلاة عليه عند الوقوف على قبره لما روي عن مالك عن عبد الله بن دينار قال: رأيت عبد الله بن عمر يقف على قبر النبي ﷺ فيصلي على النبي، ويدعو لأبي بكر، وعمر رضي الله عنهما[١].

٩- **من مواطن الصلاة عليه ﷺ: مع ذكر الله عند الذبح.**

ويستحب الصلاة على النبي ﷺ مع ذكر الله عند الذبح، لقوله تعالى: ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾، والمعنى: يقول الله تعالى: لا أذكر إلا ذكرت معي[٢].

وخالفهم في ذلك الجمهور وقالوا: هذا موطن يفرد فيه ذكر الله تعالى، كما عند الأكل، والدخول والوقاع وغير ذلك مِمَّا لم ترد فيه السنة بالصلاة على النبي ﷺ وعند الهَمِّ والشدائد وطلب المغفرة[٣].

١٠- **من مواطن الصلاة عليه الصلاة عليه ﷺ: بعد إجابة المؤذن، وعند الإقامة.**

لما روى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله يقول: «**إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ، فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا اللهَ لِيَ الْوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ، لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ**»[٤].

١١- **من مواطن الصلاة عليه ﷺ: على الصفا والمروة.**

---

[١] «جلاء الأفهام»، (ج١ ص٣٩٩).

[٢] «تفسير الطبري» (ج٨ ص٣).

[٣] «جلاء الأفهام» (ج١ ص٤,٨).

[٤] سبق تخريجه.

لِمَا وَرَدَ أنَّ: عُمَرَ كان يكبر على الصفا ثلاثًا يقول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، ثم يصلي على النبي ﷺ، ثم يدعو ويطيل القيام والدعاء، ثم يفعل على المروة نحو ذلك[1].

١٢- من مواطن الصلاة على النبي ﷺ: عند استلام الحجر.

لما روي أن ابن عمر رضي الله عنهما كان إذا أراد أن يستلم الحجر قال: اللهم إيمانا بك وتصديقا بكتابك وسنة نبيك ويستلمه، وقد تقدم أن من مواطن الصلاة عليه على الصفا والمروة[2].

١٣- من مواطن الصلاة عليه ﷺ: عقب ختم القرآن.

وهذا لأن المحل محل دعاء[3].

وأما مواطن السلام على النبي ﷺ ففي التشهد في الصلاة .

لما روي عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّلاَمُ، فَإِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ، فَلْيَقُلْ: التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ، السَّلاَمُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، السَّلاَمُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ، فَإِنَّكُمْ إِذَا قُلْتُمُوهَا أَصَابَتْ كُلَّ عَبْدٍ لِلَّهِ صَالِحٍ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ**»[4].

هذا أحد مواطن التسليم عليه، وسنته أول التشهد.

وقد روى عن ابن عمر رضي الله عنه أنه كان يقول ذلك، إذا فرغ من تشهده، وأراد أن يسلم، واستحب مالك في أن يسلم بمثل ذلك قبل السلام.

---

[1] «فضل الصلاة على النبي»، رقم: (٨٧) (ج١ ص٧٤»، وقال أنه ضعيف، و«جلاء الأفهام» (ج١ ص٤,٢).

[2] أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط»، الجزء الخامس، باب: (من اسمه محمد)، رقم: (٥٤٨٦) (ج٥ ص ٣٣٨).

[3] «جلاء الأفهام» (ج١ ص٤,٢).

[4] أخرجه البخاري، كتاب صفة الصلاة، باب التشهد في الآخرة، رقم (٧٩٧)، (ج١ ص٢٨٦)، وأخرجه مسلم في الصلاة باب التشهد في الصلاة رقم: (٤,٢) (ج١ ص٣,١).

واستحب أهل العلم أن ينوي الإنسان حين سلامه كل عبد صالح في السماء والأرض من الملائكة وبني آدم والجن.

قال مالك في المجموعة: وأحب للمأموم إذا سلم إمامه أن يقول: السلام على النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين.

الأمر السادس: الفوائد والثمرات الحاصلة بالصلاة عليه:

ذكر ابن القيم وغيره فوائد كثيرة للصلاة علي النبي ﷺ ومنها ما يلي:

الأولى: امتثال أمر الله ﷻ.

الثانية: موافقته سبحانه في الصلاة عليه، وإن اختلفت الصلاتان فصلاتنا عليه دعاء وسؤال، وصلاة الله تعالى عليه ثناء وتشريف .

الثالثة: موافقة ملائكته فيها.

الرابعة: حصول عشر صلوات من الله على المصلي مرة.

الخامسة: أنه يرفع عشر درجات.

السادسة: أنه يكتب له عشر حسنات.

السابعة: انه يمحي عنه عشر سيئات.

الثامنة: أنه يرجى إجابة دعائه إذا قدمها إمامه، فهي تصاعد الدعاء إلى عند رب العالمين.

التاسعة: أنها سبب لشفاعته إذا قرنها بسؤال الوسيلة له أو افردها.

العاشرة: أنها سبب لغفران الذنوب كما تقدم.

الحادية عشرة: أنها سبب لكفاية الله العبد ما أهمه.

الثانية عشرة: أنها سبب لقرب العبد منه يوم القيامة[1].

---

[1] «جلاء الأفهام» (ج١ ص٤٤٩).

الأمر السابع: في ذم من لم يصل على النبي ﷺ.

اتفق العلماء على ذم من ذكر عنده اسم النبي ﷺ فلم يصل عليه وتأثيمه بذلك.

واستدلوا على ذلك بأحاديث كثيرة منها ما يلي:

١- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَم يُصَلّ عَلَيَّ، وَرَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ دَخَلَ رَمَضَانُ ثُمَّ انْسَلَخَ قَبْلَ أَنْ يُغْفَرَ لَهُ، وَرَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ أَدْرَكَ عِنْدَهُ أَبَوَاهُ الكِبَرَ فَلَم يُدْخِلَاهُ الجَنَّةَ**»[(١)].

٢- وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن ﷺ أنه قال: «**إِنَّ البَخِيْلَ كُلَّ البَخِيْلِ الذِي ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَم يُصَلّ عَلَيَّ**»[(٢)].

٣- قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ ذُكِرْتَ عِنْدَهُ فَلَم يُصَلّ عَلَيْكَ فَأَبْعَدَهُ الله**»[(٣)].

٤- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال أبو القاسم ﷺ: «**مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا لَمْ يَذْكُرُوا اللَّهَ فِيهِ، وَلَمْ يُصَلُّوا عَلَى نَبِيِّهِمْ، إِلَّا كَانَ عَلَيْهِمْ تِرَةً، فَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُمْ**»[(٤)].

٥- وعن أبي هريرة رضي الله عنه: «**مَنْ نَسِيَ الصَّلَاةَ عَلَيَّ خَطِئَ طَرِيْقَ الجَنَّةِ**»[(٥)].

[(١)] سبق تخريجه .

[(٢)] سبق تخريجه .

[(٣)] أخرجه ابن حبان في «صحيحه»، كتاب البر والإحسان، باب حق الوالدين، رقم (٤,٩) (ج٢ ص١٤٠)، أخرجه الحاكم في «المستدرك»، ومن كتاب الإمامة وصلاة الجماعة، كتاب الدعاء والتكبير والتهليل والتسبيح والذكر، رقم: (٢,١٥) (ج١ ص٧٣٤).

[(٤)] أخرجه الترمذي، كتاب الدعوات، باب في القوم يجلسون ولا يذكرون الله، رقم (٣٣٨٠) (ج٥ ص٤٦١)، وقال الشيخ الألباني: «صحيح»، وفي «صحيح ابن خزيمة»، كتاب الصلاة، باب ترك القنوت عند زوال الحادثة التي لها يقنت، رقم (٦٢٣) (ج١ص ٣١٥).

[(٥)] أخرجه ابن ماجه في «سننه»، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب الصلاة على النبي ﷺ، رقم: (٩,٨)، (ج١ ص٢٩٤)، و«كنز العمال»، الباب السادس في الصلاة عليه وعلى آله عليه الصلاة والسلام، رقم: (٢١٦٠) (ج١ ص٧٥٤)، و(خطئ) أي: الأعمال الصالحة طرق إلى الجنة والصلاة من جملها، فتركها كلية ترك لطريق الجنة أي لطريقها.

٦- وعن قتادة، عنه ﷺ: «**مِنَ الجَفَاءِ أنْ أذْكَرَ عِنْدَ رَجُلٍ فَلَم يُصَل عَلَيَّ**»[١].

٧- وعن جابر رضي الله عنه عنه ﷺ: «**مَا جَلَسَ قَومٌ مجلساً فَتَفَرَّقُوا ولَم يُصَلُّوْا على النبي إلاَّ كَأَنَّمَا قَامُوا عَن أَنْتَنَ مِنَ الجِيْفَةِ**»[٢].

٨- وعن أبي سعيد، عن النبي ﷺ، قال: «**لَا يَجْلِسُ قَومٌ مَجْلِسًا لَا يُصَلُّونَ فِيه عَلى رَسُــول الله ﷺ إلَّا كَانَ عَلَيْهِم حَسْرَةً، وإنْ دَخَلوا الجَنَّة لِمَا يَرَونَ مِنَ الثَّوَابِ**»[٣].

وحكى أبو عيسى الترمذي، عن بعض أهل العلم، قال: إذا صلى الرجل على الــنبي ﷺ مــرة في المجلس أجزأ عنه ما كان في ذلك المجلس[٤].

٥) من الحقوق والواجبات التي خص الله بها نبيه ﷺ أن الله تعالى حرم على الأمة نداء الــنبي ﷺ باسمه مجردًا.

أمر الله ألا ينادى النبي ﷺ باسمه مجردا، أو يكون مثل باقي الخلق في ذلك، كما في قوله ﷻ: ﴿ لَّا تَجْعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ﴾[٥]؛ ولذا أوجب الله سبحانه توقيره ﷺ وترك إكثار سؤاله عما لا ضرورة إليه، أو لا يتعلق به تكليف، وما لا يقع، نهاهم عــن إكثــار السؤال، والابتداء بالسؤال عما لا يقع، وكره ذلك؛ **لِمَعَانٍ منها:**

---

[١] انظر: «كنز العمال»، الباب السادس في الصلاة عليه وعلى آله عليه الصلاة والسلام، رقم (٢١٥٦) (ج١ص ٧٥٣).

[٢] «الأمثال في الحديث» (ج١ ص٣٢٢)، وقال: «إسناده حسن».

[٣] انظر: «كنز العمال»، كتاب الصحبة من قسم الأقوال وفيه أربعة أبواب، {حق المجالس والجلوس}، رقم: (٢٥٤٢٥)، (ج٩ ص٢٧٦)، و«العلل المتناهية»، حديث فيما يفوت تارك الذكر، (ج٢ ص٨٣٨»، و«الجامع الصغير وزيادته»، (ج١ ص١٣٥٩)، وقال الشيخ الألباني: (صحيح)، انظر حديث رقم: (٧٦٢٤) في «صحيح الجامع».

[٤] أخرجه الترمذي في «سننه»، باب: قول رسول الله ﷺ: «**رَغِمَ أنْفُ رَجُلٍ**»، رقم: (٣٥٤٥) (ج٥ ص٥٥٠)، وقال الشيخ الألباني: «حسن صحيح».

[٥] سورة النور آية: (٦٣).

١- أنه ربما كان سببًا لتحريم شيء على المسلمين، فيلحقهم به المشقة، وقد بَيَّن هذا بقوله ﷺ في الحديث: «**أعْظَمُ المُسْلِمِين جُرْمًا: مَن سَألَ عَنْ شَيءٍ لَم يُحَرَّم عَلَى المُسْلِمِينَ فَحُرِّمَ عَلَيْهِم مِنْ أجْلِ مَسألَتِه**»[١].

٢- ومنها: أنه ربما كان في الجواب ما يكرهه السائل، ويسوؤه؛ ولهذا أنزل الله تعالى في ذلك قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُواْ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾[٢]، كما صرح به في الحديث في سبب نزولها.

قوله ﷺ: «**إنَّ أعْظَمَ المُسْلِمِيْنَ فِي المُسْلِمِيْنَ جُرْمًا مَن سَألَ عَنْ شَيءٍ لَم يُحَرَّم عَلَى المُسْلِمِيْنَ فَحُرِّمَ عَلَيْهِم مِن أجْلِ مَسْألَتِهِ**»[٣].

٦) من الحقوق والواجبات التي خص الله بها نبيه ﷺ أن الله جعل إيذاء النبي ﷺ في حياته، أو بعد مماته، إيذاءً لله تعالى.

وقد اتفق الفقهاء علي أن سابَّ النبي من المسلمين يكون مرتدًا[٤] واتفقوا على أنه يُعَدُّ سابًا له ﷺ كل من ألحق به ﷺ عيبًا أو نقصًا، في نفسه، أو نسبه، أو دينه، أو خصلة من خصاله، أو ازدراه، أو لعنه أو شتمه، أو عابه، أو قذفه، أو استخف به، ونحو ذلك[١].

---

[١] أخرجه البخاري، كتاب الإعتصام بالكتاب والسنة، باب ما يكره من كثرة السؤال وتكلف ما لا يعنيه، رقم: (٦٨٥٩)، (ج٦ ص٢٦٥٨)، وأخرجه مسلم في الفضائل، باب: توقيره ﷺ وترك إكثار سؤاله، رقم: (٢٣٥٨).

[٢] سورة المائدة آية: (١,١).

[٣] سبق تخريجه.

[٤] «رد المحتار» (ج١٦ ص٢٨٥)، و«التاج والإكليل» لـ«مختصر خليل» (ج١٢ ص٧١)، و«حاشية الجمل على المنهج» (ج٥ ص١٢٢)، و«الكافي في فقه ابن حنبل» (ج٤ ص٥٩)، و«الإنصاف» (ج٤ ص٢٥٧)، و«سبل الهدى والرشاد» (ج١٢ ص٢٣).

وقال أبو بكر بن المنذر: أجمع عوام أهل العلم على أن من سب النبي ﷺ يقتل، وممن قال ذلك: مالك بن أنس، والليث، وأحمد، وإسحاق، وهو مذهب الشافعي، قال القاضي أبو الفضل: وهو مقتضى قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ولا تقبل توبته

وفي فقه المالكية: من سب النبي ﷺ أو عابه أو ألحق به نقصًا في نفسه، أو دينه، أو نسبه، أو خصلة من خصاله، أو عرض به، أو شبهه بشيء على طريق السب له، والإزراء عليه، أو التصغير لشأنه، أو الغض منه أو العيب له، فهو ساب له، وحكم الساب: يقتل[٢]، **وقال الخطيب** مبيناً مذهب الشافعية في أن المسلم إذا سب النبي ﷺ يصير مرتدًا: مَنْ نَفَى «الرسل»، أو: نفى نبوة نبي أو ادعى نبوةً بعد نبينًا ﷺ، أو صدق مُدَّعِيَها، أو قال: النبي ﷺ أسود، أو أمرد، أو غير قرشي، أو قال: النبوة مكتسبة، أو تنال رتبتها بصفاء القلوب، أو أوْحِيَ إليَّ، و لم يدع نبوة، أو كذب رسولا أو نبيًا، أو سبه، أو استخف به ،أو باسمه، أو باسم الله، أو أمره، أو وَعْدِه أو وعيده أو جحد آية من القرآن مجمعًا على ثبوتها، أو زاد فيه آية معتقدًا أنها منه، أو استخف بسنة كما لو قيل له كان النبي ﷺ إذا أكل لعق أصابعه الثلاثة: فقال ليس هذا بأدب[٣].

وقال ابن مفلح [٤] مبينا مذهب الحنابلة: ومَن تكررت ردته، أو كفر بسحره، أو سب الله، أو رسوله ﷺ، أو تنقصه، وقيل: ولو تعريضا، فمن عرض بشيء من ذكر الرب فعليه القتل، مسلما أو كافرا[٥].

عند هؤلاء المذكورين، وبمثله قال: أبو حنيفة، وأصحابه، والثوري وأهل الكوفة، والأوزاعي في المسلم، لكنهم قالوا: هي رِدَّةٌ. انظر: «الروض الأنف» (ج٣ ص٢٣٠)، و«زاد المعاد» (ج٥ ص٥٤)، و«حقوق النبي ﷺ على أمته في ضوء الكتاب والسنة» (ج١ ص ٥٤).

[١] «فتح القدير» (ج١٣ ص٢,٣)، و«شرح «مختصر خليل»» للخرشي (ج٢٣ ص ٢٢٢)، و«الفقه علي المذاهب» (ج٤ ص١,٧)، و«أحكام أهل الذمة» (ج٣ ص١٤٥٧)، و«الشفا» (ج٢ ص٢,٩)، و«الإنصاف» (ج٧ ص ٢٢٤).

[٢] «التاج والإكليل لمختصر خليل» (ج١٢ ص٧١).

[٣] «مغني المحتاج» (ج٤ ص١٣٣)، ويراجع : «المجموع» (ج١٩ص٤٢٧)، و«فتح الوهاب» (ج٢ ص٣١٦)، و«روضة الطالبين» (ج١٠ ص٦٤).

[٤] هو: محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج أبو عبد الله اعلم أهل عصره بمذهب الإمام أحمد بن حنبل ولد ونشأ في بيت المقدس وتوفى بصالحية دمشق، من مؤلفاته: كتاب الفروع، والنكت، والفوائد السنية على مشكل المحرر لابن تيمية وغيرها، توفي (سنة: ٧٦٣ هـ). موسوعة «الأعلام» (ج٢ ص٢٢).

[٥] «الفروع» لابن مفلح (ج١١ ص٣٣٥).

وهذا الحكم حُكي فيه الإجماع، فقد نقل ابن عابدين[1] وابن نجيم[2] أن ابن المنذر[3] قال: أجمع عوام أهل العلم على أن من سب النبي ﷺ يقتل، وممن قال ذلك مالك بن أنس، والليث، وأحمد، وإسحاق، وهو مذهب الشافعي وقال القاضي أبو الفضل: وهو مقتضى قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ولا تقبل توبته عند هؤلاء المذكورين، وبمثله قال أبو حنيفة، وأصحابه، وأهل الكوفة، في المسلم، لكنهم قالوا: هي ردة[4]، وعلق ابن عابدين بقوله: والحاصل أنه نقل الإجماع على كفر الساب، ثم نقل عن مالك، ومن ذكر بعده: أنه لا تقبل توبته، فعلم أن المراد من نقل الإجماع على قتله قبل التوبة[5].

وقد توافرت الأدلة علي تحريم سب النبي وانتقاصه ومن ذلك مايلي:

أما الأدلة الدالة علي تجريم الاعتداء علي النبي ﷺ من الكتاب المجيد ففيما يلي:

١- قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾[6].

---

[1] هو: محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين، دمشقي: كان فقيه الديار الشامية، وإمام الحنفية في عصره، صاحب (رد المحتار على الدر المختار) المشهور بحاشية ابن عابدين، وابنه محمد علاء الدين (١٢٤٤ - ١٣,٦ هـ) المشهور أيضا بابن عابدين صاحب: «قوة عيون الأخيار» الذي هو تكملة لحاشية والده السابقة الذكر، من تصانيف ابن عابدين الأب: «العقود الدرية في تنقيح الفتاوى الحامدية»، و«نسمات الأسحار» توفي (سنة: ١٢٥٢ هـ). «الأعلام» للزركلي (ج٦ ص٢٦٧).

[2] هو: زين الدين بن إبراهيم بن محمد فقيه حنفي مصري، له تصانيف منها: «الأشباه والنظائر» في أصول الفقه، و«البحر الرائق في شرح كنز الدقائق» وغيرها، توفي (سنة: ٩٧٠)، موسوعة «الأعلام» (ج٢ ص٦٥).

[3] هو: محمد بن إبراهيم بن المنذر، نيسابوري، من كبار الفقهاء المجتهدين، لم يكن يقلد أحدًا؛ وعده الشيرازي في الشافعية، لقب بشيخ الحرم، أكثر تصانيفه في بيان اختلاف العلماء، توفي في (سنة: ٣١٩ هـ)، ومن تصانيفه: المبسوط في الفقه؛ والأوسط في السنن، والإجماع، والاختلاف والإشراف على مذاهب أهل العلم واختلاف العلماء. انظر: «الأعلام» للزركلي (ج٦ ص٨٤).

[4] «حاشية رد المحتار» (ج٤ ص ٤١٧)، و«البحر الرائق شرح كنز الدقائق» (ج١٣ ص٤٩٦)، و«سبل الهدى والرشاد» (ج١٢ ص٢٣).

[5] «حاشية رد المحتار» (ج٤ ص٤١٨).

[6] سورة الأحزاب الآية: (٥٧).

وجه الدلالة من الآية وجوه منها مايلي:

الوجه الأول: أن أذية رسوله ﷺ تشمل كل ما يؤذيه من الأقوال، أو من الأفعال [1].

أما الأقوال فمثل: قولهم عنه ﷺ: ساحر، وشاعر، وكاهن، ومجنون.

وأما فعلهم فمثل: كسر رباعيته، وشج وجهه يوم أحد، وبمكة إلقاء السَّلَى على ظهره، وهو ساجد إلى غير ذلك[2]، فالآية مطلقة في كل من يتعرض لإيذاء النبي ﷺ مسلم، أو كافر، بلا فرق في هذا بين المسلم، والكافر، وسواء بالتعريض، أو التصريح، فكل من تعرض لرسول الله ﷺ بما فيه استهانة، فهو كالسب الصريح، فإن الاستهانة بالنبي كفر، وكذلك انتقاص قدره مبيح للدم، **وأما الأدلة من السنة النبوية على تحريم إيذاء النبي ﷺ فأحاديث كثيرة منها ما يلي:**

١- أمر النبي ﷺ بقتل كعب بن الأشرف، وقوله: «**مَن لِكَعْبِ بنِ الأشْرَفِ! فَإنَّهُ يُـؤذِي اللهَ ورَسُولَهُ**»[3]، ووجَّه إليه مَن قَتَلَهُ غِيْلَةً دُون دعوة، بخلاف غيره من المشركين، وعلل قتله بأذاه له، فدل أن قتله إياه لغير الإشراك بل للأذى[4]، وعن محمد بن أبي عبس عن أبيه عن جده قال: كان كعب بن الأشرف يقول الشعر، ويخذل عن النبي ﷺ، ويخرج في غطفان، فقال النبي ﷺ: «**مَنْ لِي بِابْنِ الأشْرَفِ فَقَدَ آذَى اللهَ وَرَسُولَهُ**»، فقال محمد بن مسلمة الحارثي: أنا يا رسول الله أتحب أن أقتله؟ فصمت رسول الله ﷺ، ثم قال: «**ائْتِ سَعْدًا، فَاسْتَشِرْهُ**»، قال: فجئت سعد بن معاذ، فذكرت ذلك له، فقال: امض على بركة الله، واذهب معك بابن أخي الحارث

---

[1] «تفسير القرطبي» (ج١٤ ص٢١١)، ويراجع: «الشرح الكبير» (ج٤ ص٣,٩)، و«القوانين الفقهية» (ج١ ص٢٤٠).

[2] «فتح القدير» (ج٦ ص٧٦)، وقال: «أذية رسوله» هي: كل ما يؤذيه من الأقوال والأفعال، ومثل بقوله: كذبوا رسول الله، وشجوا وجهه وكسروا رباعيته، وقالوا : مجنون، شاعر، كذاب، ساحر.

[3] أخرجه البخاري، كتاب الرهن، باب رهن السلاح، رقم: (٢٣٧٥) (ج٢ ص٨٨٧)، وبأرقام (٣٨١١، ٢٨٦٧، ٢٨٦٨)، وأخرجه مسلم (ج٣ ص١٤٢٥).

[4] «الصارم المسلول» (ج١ ص٧٤).

بن أوس ابن معاذ، وبعباد بن بشر الأشهلي، وبأبي عبس بن جبر الحارثي، وبأبي نائل سلكان بن قيس الأشهلي، قال: فلقيتُهُم، فذكرت ذلك لهم، فجاءوني كلهم إلا سلكان[1].

٢- وعن أنس بن مالك ﷺ أن رسول الله ﷺ دخل عام الفتح وعلى رأسه المغفر[2]، فلما نزعه جاء رجل[3]، فقال: إن ابن خطل[4] متعلق بأستار الكعبة، فقال: «**اقتُلُوهُ وجَارِيَتَيْهِ اللتَيْنِ كَانَتَا تُغَنِّيَانِ بِهِجَاءِ النَّبِي وسَبِّه ﷺ**»[5].

٣- روي عن علي ﷺ أنه ﷺ قال: «**مَن سَبَّ نَبِيًا قُتِل**»[6].

وجه الدلالة: أن الحديث وإن كان ضعيفا إلا أنه يتعضد بمعاني الآيات القرآنية السابقة، وهو دليل على وجوب قتل من سَبّ نبيا من الأنبياء، فهو يدل على أن سَبّ الأنبياء جريمة لها عقوبة.

---

[1] أخرجه الحاكم في «المستدرك» كتاب معرفة الصحابة رضي الله تعالى عنهم، ذكر مناقب محمد بن مسلمة الأنصاري ﷺ، (ج٣ ص٤٩٢)، ورقم: (٥٨٤١)، وتعليق الذهبي في «التلخيص»: سكت عنه الذهبي، وانظر: «المعجم الكبير» (ج٣ ص٢٧٢).

[2] «المِغْفَر»: زَرْدٌ يُنْسَجُ مِن الدرع على قدر الرأس، أو ما غطى الرأس من السلاح، وقيل: حلق يتقنع بها المتسلح ويستر بها وجهه غير عيينه.

[3] (رجل): هو أبو برزة الأسلمي ﷺ.

[4] (ابن خطل): اسمه عبد الله، أمر بقتله لأنه أسلم فبعثه رسول الله ﷺ يجمع الزكاة وبعث معه رجلا من الأنصار فقتله في الطريق وارتد مشركا، واتخذ قينتين أي مغنيتين تغنيان له بهجاء رسول الله ﷺ. «الصارم المسلول» (ج١ ص١٣٩، و١٤٠)، و«مسند أبي يعلى» (ج٦ ص٢٤٦)، و«سنن الترمذي» (ج٤ ص٢,٢)، و«سنن أبي داود» (ج٢ ص٦٦).

[5] أخرجه البخاري في «صحيحه» (ج٢ ص ٦٥٥)، رقم: (١٧٤٩، ٢٨٧٩، ٤,٣٥، ٥٤٧١)، ومسلم في كتاب الحج، باب جواز دخول مكة بغير إحرام، رقم: (١٣٥٧)، (ج٢ ص٩٨٩)، و«عمدة القاري» (ج٢٤ ص٨٢)، و«أحكام أهل الذمة» (ج٣ ص١٤٤١)، و«الاستذكار» (ج٤ ص٤,٣).

[6] ذُكِرَ في «مجمع الزوائد» (ج٦ ص٣٩٧)، ورواه الطبراني في «الصغير» و«الأوسط» عن شيخه عبيد الله بن محمد العمري، رماه النسائي بالكذب. «أحكام أهل الذمة» (ج٣ ص١٤٥٥)، وقال ابن تيمية: رواه أبو محمد الخلال، وأبو القاسم الأزجي، ورواه أبو ذر الهروي، ولفظه: «**مَنْ سَبِّ نَبِيًّا فَاقْتُلُوه، وَمَن سَبَّ أَصْحَابِي فَاجْلِدُوهُ**»، وقال: هذا الإسناد قد رُكِّبَ عليه متون كثيرة ،والمحدث به عن أهل البيت ضعيف. يراجع: «أحكام أهل الذمة» (ج٣ ص١٤٥٧)، و«الفِصَل فِي المِلَل» (ج٣ ص١٢٨)، وذكره في «الفوائد» (ج١ ص٢٩٥)، وفي «الجامع الصغير وزيادته» (ج١ ص١٢٤٠)، قال الشيخ الألباني: «موضوع». انظر حديث رقم: (٥٦١٦) في «ضعيف الجامع».

قال ابن تيمية: هذا الحديث إن كان محفوظاً، فهو دليل على وجوب قتل من سب نبيًا من الأنبياء، وظاهره يدل على أنه يقتل من غير استتابة، وأن القتل حَدّ له[1]، وهذا يعني تحريم ما يؤدي إليه من السب والإيذاء ونحوهما.

وأما الدليل من المعقول علي تَجْرِيم سَب وإيذاء الرسول ﷺ فتقريره من وجوه منها مايلي:

الوجه الأول: أن سب النبي ﷺ لا يجوز أن يكون – من حيث هو سب – بمنزلة سب غيره من المؤمنين ولأنه عليه الصلاة والسلام يباين المؤمنين من أمته في عامة الحقوق فرضًا وحظرًا وغيرهما مثل وجوب طاعته، ووجوب محبته، وتقديمه المحبة على جميع الناس، ووجوب تعزيره وتوقيره على وجه لا يساويه فيه أحد، ووجوب الصلاة عليه والتسليم إلى غير ذلك من الخصائص التي لا تحصى، وفي سبه إيذاء لله ولرسوله ولسائر المؤمنين من عباده، وأقل ما في ذلك أن سبه كفر ومحاربة، وسب غيره ذنب ومعصية، ومعلوم أن العقوبات على قدر الجرائم؛ فلو سوي بين سبه وسب غيره لكان تسوية بين غير متساويين وذلك لا يجوز.

الوجه الثاني: أن سب رسول الله عليه الصلاة والسلام – مع كونه من جنس الكفر والحراب – أعظم من مجرد الردة عن الإسلام، فإنه من المسلم ردة وزيادة، فإذا كان كفر المرتد قد تغلظ لكونه قد خرج عن الدين بعد أن دخل فيه، فأوجب القتل عينا، فكفر الساب الذي آذى الله ورسوله وجميع المؤمنين من عباده أولى بالتغليظ؛ لأن مفسدة السب في أنواع الكفر أعظم من مفسدة مجرد الردة[2].

وهذا معناه أن حقوق رسول الله ﷺ أجل وأعظم وأكرم وألزم لنا، وأوجب علينا من حقوق السادات على مماليكهم، والآباء على أولادهم؛ لأن الله تعالى أنقذنا به من النار في الآخرة، وعصم به لنا أرواحنا، وأبداننا، وأعراضنا، وأموالنا، وأهلينا، وأولادنا في العاجلة، فهدانا به لما إذا أطعناه فيه أدانا إلى جنات النعيم.

فأية نعمة توازي هذه النعم؟ وأية منة تداني هذه المنن؟ وأن الله تعالى ألزمنا طاعته، وتوعدنا على معصيته بالنار، ووعدنا باتباعه الجنة، فأي رتبة تضاهي هذه الرتبة؟ وأي درجة تساوي في العلا

---

[1] «الصارم المسلول» (ج١ ص٩٨)، «أحكام أهل الذمة» (ج٣ ص١٤٥٧).

[2] «الصارم المسلول» (ج١ ص٣,٤).

هذه الدرجة؟ فحق علينا أن نحبه، ونجله ونعظمه، ونهابه أكثر من إجلال كل عبد سيده، وكل ولد والده، وسب النبي ﷺ يتعلق به عدة حقوق منها:

١- حق الله سبحانه: من حيث كفر برسوله، وعادى أفضل أوليائه وبارزه بالمحاربة، ومن حيث طعن في كتابه ودينه، فإن صحتهما موقوفة على صحة الرسالة، ومن حيث طعن في ألوهيته، فإن الطعن في الرسول طعن في المرسل، وتكذيبه تكذيب لله تبارك وتعالى وإنكار لكلامه وأمره وخبره وكثير من صفاته[١].

٢- وتعلق حق جميع المؤمنين من هذه الأمة ومن غيرها من الأمم به، فإن جميع المؤمنين مؤمنون به خصوصا أمته، فإن قيام أمر دنياهم ودينهم وآخرهم به؛ بل عامة الخير الذي يصيبهم في الدنيا والآخرة بواسطته وسفارته، فالسب له أعظم عندهم من سب أنفسهم وآبائهم وأبنائهم وسب جميعهم، كما أنه أحب إليهم من أنفسهم وأولادهم وآبائهم والناس أجمعين.

٣- وتعلق حق رسول الله ﷺ به: من حيث خصوص نفسه، فإن الإنسان تؤذيه الوقيعة في عرضه أكثر مما يؤذيه أخذ ماله، وأكثر مما يؤذيه الضرب؛ بل ربما كانت عنده أعظم من الجرح ونحوه، خصوصا من يجب عليه أن يظهر للناس كمال عرضه وعلو قدره لينتفعوا بذلك في الدنيا والآخرة، فإن هتك عرضه وعلو قدره قد يكون أعظم عنده من قتله، فإن قتله لا يقدح عند الناس في نبوته ورسالته وعلو قدره كما أن موته لا يقدح في ذلك، بخلاف الوقيعة في عرضه فإنها قد تؤثر في نفوس بعض الناس من النفرة عنه وسوء الظن به ما يفسد عليهم إيمانهم ويوجب لهم خسارة الدنيا والآخرة ...»[٢].

وهذا يدل على أمور منها مايلي:

١- أن السب فيه من الأذى لله ولرسوله ولعباده المؤمنين ما ليس في غيره من الأمور كالكفر والمحاربة.

٢- بهذه الأدلة يتضح انتقاض إيمان من طعن في شخص الرسول ﷺ بسب أو استهزاء أو انتقاص سواء كان في ذلك جادا أو هازلا.

---

[١] «الصارم المسلول» (ج١ ص٣٠).

[٢] «الصارم المسلول» (ج١ ص٣٠).

٣- بهذه النصوص يتبين للمسلم أن حقوق رسول الله ﷺ أجل وأعظم وأكرم.

وقد تبين أيضا كيف كان توقير الصحابة وإجلالهم للنبي ﷺ في حياته وبعد مماته وكيفية التأدب معه، وهي تنير الطريق لمن أراد السير على نهجهم والإقتداء بآثارهم والتشبه بهم في سلوكهم وهديهم، فمن تشبه بقوم فهو منهم، ويحشر يوم القيامة معهم، فأسأل الله سبحانه أن يجعلنا من المهتدين، ومن الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه وأن ينور بصائرنا بحب الحبيب المصطفى، ويرزقنا هديه ونوره، ويجعلنا من أهل طاعته وحبه، ويحشرنا في زمرته في الفردوس الأعلى، ويغفر لي، ولوالدي، وزوجتي، وأولادي، وأساتذتي، وشيوخي، وأهلي، وكل المسلمين أجمعين، وينصر المسلمين، ويوحد صفوفهم، ويؤلف بين قلوبهم، ويجعل الكلمة العليا لهم، اللهم نور قلوبنا واغفر ذنوبنا، وارحم موتانا، وصلي وسلم وبارك على حبيبك ورسولك سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين، ومن سار على هديهم إلى يوم الدين، وسلم تسليمًا كثيرًا.

الخاتمة

بعد عرض تلك الأنواع المتعددة من خصائص النبي الأكرم ﷺ نستخلص الأمور الآتية:

أولا: ليس لهذا البحث ولا لذلك الموضوع خاتمة أو نهاية؛ لأنه يتناول أحد العلوم الخاصة بالنبي الأكرم ﷺ والمتعلقة بشخصه ووصفه الذي اتفق على أنه أفضل النبيين وسيد العالمين، وأحب الخلق إلى رب العالمين ﷻ؛ ولهذا فإن خصائصه ﷺ لا حصر لها، ولا يستطيع باحث الوصول فيها إلى حد بأي حال من الأحوال، ويكفي أن الله سبحانه قال له: ﴿ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴾، فخصائصه في الحقيقة لا تحصى ومآثره أكثر من أن يجاء بها فتستقصى، وليست الدنيا كافية لظهور فضله وخصائصه، إنما سوف تتجلى خصائصه في الدار الآخرة، لبقائها ووضوح فضله فيها على رؤوس الأشهاد، وأنها الدار الحق الذي يظهر فيها الحق، بحيث لا يستطيع أحد أن يماري في شيء منه.

ثانيا: إن موضوع الخصائص المحمدية من الموضوعات المهمة، والتي تحتاج إلى مزيد من الدراسة والبحث، والدراسات الموجودة لم تستوفها، والحاجة ماسة إلى إفراده بالدراسات المستقلة والمتخصصة التي تكشف أسرارًا إيمانية، يهتدي بها المقتدون بالنبي الأعظم ﷺ وتظهر عظمة الإسلام ورسول الإسلام ﷺ.

ثالثا: تنوع الدراسات التي تناولها الأئمة قديمًا، والتي تناولت العلوم المتعلقة بالنبي ﷺ ومنها «علم الخصائص»: لا يعني وصول البحث فيها إلى جذوته، فالموضوع لا يزال يحتاج إلى مزيد من البحث والفكر، لاسيما وأنه يتعلق بأفضل الخلق في الدنيا والآخرة سيدنا محمد ﷺ.

رابعا: أن الخصائص المحمدية كثيرة ومتعددة، وليست على درجة واحدة، فمنها: الخصائص الإعجازية حيث خص ﷺ بمعجزات لم تعط لأحد إلا له، وارتبطت به ﷺ ارتباطًا وثيقًا، حيث صارت من خصائصه، ومنها: الخصائص التشريفية التي شرف الله بها حبيبه ﷺ، يعني أن الغالب فيها أنها للتشريف أي: لإظهار شرفه وفضله عند ربه على العالمين والخلق أجمعين.

وقد تجمع بعضها بين معاني الإعجاز والتشريف، والتفضيل معًا، وإن كان ذلك موجودا في أغلبها؛ لكن قد يخص منها ما يغلب عليه الإعجاز، وما يغلب عليه التشريف، وإلا فالكل يراد به إظهار مدى فضله على الأولين والآخرين في الدنيا والآخرة.

كما أن منها: الخصائص التشريعية على تعدد أنواعها: الواجب والمستحب والمباح والمكروه والحرام، وكلها خصال فضّل الله بها نبيه، وخصه بها دون خلقه، وهذا يعني أن له منزلة خاصة ليست لغيره، و لم يصل إليها أحد سواه ولن يصلها أحد، وهي منزلة ليست محصورة في نوع معين من الفضائل أو المكارم، وإنما هي منزلة بلغت من المجد غايته العليا، حيث تعددت فيها الفضائل والمكارم والخصائص التشريفية والإعجازية، والتشريعية، والأخلاقية، والخلقية، فكانت بذلك أعلى منازل الخلق أجمعين، ومن نظر ودقق وجد أنه من جهة التشريع زاده الله ليقربه ويعليه، ومن جهة الإعجاز أعطاه ما أعطى الأنبياء، وزيادة لم تعط إلا له، حيث أبقى له الخصائص الإعجازية خالدة أبدية إلى يوم الدين، ومن جهة التشريف والتفضيل والتكريم لم يفضل أحدًا عليه، و لم يُشَرِّف أوْ يُكَرِّم أحدًا مثله، فضلا عن أن يكرم أحدا بما زاد عليه.

ومن جهة المحاسن والأخلاق: جعل الله الحسن شطرًا منه ﷺ، والمحاسن والفضائل تقطر وتندى منه، فهو أصل المحاسن والفضائل والمكارم والأخلاق العالية، ومِن ثَمَّ أقْسَمَ الله على عظمتها فيه، وبدون ذلك لا تستحق القسم؛ لأن الله لا يقسم إلا بالأشياء العظيمة على العظائم من الأمور كلها، ومن جهة الخلق، خلقه الله على غير مثال فهو بشر، لكنه ليس مثل البشر؛ لأنه بشر يوحى إليه بالوحي المطلق، بكل أنواعه: مشافهة وكفاحا وبرسول، أما غيره من الأنبياء يوحى إليهم بالوحي المقيد عن طريق الرسول، أو ما هو أدنى من ذلك كالإلهام والرؤيا ونحوها، ولهذا زكى الله عقله وفؤاده وبصره ولسانه وهواه وشرح صدره ورفع ذكره، وبين أنه ببعثته صار العسر يسرًا، فوضع الله به الإصر والأغلال التي كانت على السابقين، وجعله رحمة للخلق أجمعين، فقال: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾[1]، وقال: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم

[1] سورة الأنبياء آية: (١,٧).

بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓۙ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾[1].

وقال ﷺ: «**إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلَاقِ**» وكما قال الصالحون:

وَاللهِ لَو جَـــدَّ العَبَاقِرُ كُلُّهُم *** فِي حَصْـــرِ أَفْضَالٍ لَهُ لَنْ تُعْرَفَا

وَاللهِ لَو مَاءُ البِحَارِ بِجَمْعِهَا *** كَان المِدَادَ لِوَصْفِ أَحْمَدَ مَا كَفَا

وَاللهِ لَو قَلَمُ الزَّمَانِ مِنَ البِدَايَةِ *** للنِّـــهَايَةِ ظَلَّ يَكْتُبُ مَا اكْتَفَى

وَاللهِ لَـــو قَبْرُ النَّبِيِّ تَـــفَجَّرَت *** أَنْوَارُهُ لِلْـــبَدْرِ وَلَّـــى وَاخْتَفَى

يَكْفِيْهِ لُقْيَا فِي السَّمَوَاتِ العُلَا *** وَبِحَضْرَةِ الرَّبِّ الكَرِيْمِ تَشَرَّفَا

يَكْفِيْهِ أَنَّ البَدْرَ يُخْسَفُ نُوْرُهُ *** لَكِنَّ نُورَ المُصْطَفَى لَنْ يُخْسَـــفَا

خامسا: أن خصائص النبي ﷺ – وإن كان فيها بعض من المعجزات، فإنها – أعم من المعجزات، حيث إن «المعجزة» كانت للنبي ولسائر الأنبياء، بخلاف «الخصائص»، فمنها: ما شاركه فيها الأنبياء، ومنها: ما خُصَّ به دونهم، ومنها: مَا خُصَّ به دون سائر البشر والخلق جميعًا.

كما أن «الخصائص» التي شاركه فيها الأنبياء لم يشاركوه فيها من كل وجه، وإنما شاركوه فقط في جنسها، ولكنه ﷺ خص بأكملها وأعلاها، ولهذا كان ﷺ أفضل الأنبياء وسيدهم، وإمامهم، وخطيبهم، وقائدهم في الدنيا والآخرة، وكلهم جاءوا مبشرين به وببعثته، وآمنوا به قبل ولادته، وجُمِعُوا له في المسجد الأقصى؛ ليكونوا من ورائه وفي مأموميته، ويوم القيامة تحت لوائه وفي شفاعته؛ ولذا صح القول أنه ﷺ حَازَ كَمَالَ الخَلْقِ، وكَمَالَ الخُلُقِ، وكمال النبوة، فكان سيد البشر، وسيد الأولين والآخرين أجمعين في الدنيا والآخرة معًا.

---

[1] سورة الأعراف آية: (١٥٧).

سادسا: أن خصائصه ﷺ بالرغم من أنها متنوعة ومتعددة، فلا حصر لها، وما جمعته في هذا البحث فهو على سبيل المثال لا الحصر، فمن خصائصه ﷺ الإعجازية ما يقرب من ثمانين خصلة، مع تنوعها إلى: خصائص إعجازية تعود إلى شخصه ﷺ وتبين عِظَم مكانته في الدنيا والآخرة، وقد جمعت منها ما يقرب من اثنتين وثلاثين خصلة ومنها ما يبين عظم الرسالة الإسلامية، وقد ذكرت منها على سبيل المثال سبعة خصال، ومنها: ما يبين مكانة أمته ﷺ وقد جمعت منها أربعين خصلة.

وخصائصه ﷺ التشريفية كثيرة قد ذكرت منها على سبيل المثال إحدى وثلاثين خصلة، منها خمسة عشرة خصله شرفه الله بها في الدنيا، وستة عشرة خصله شرفه الله بها في الآخرة.

وأما الخصائص التشريعية فأنواع منها:

ما اختص به دون غيره من الأنبياء والأمة:

وهي على أنواع أربعة: منها ما وجب عليه وحده، وقد ذكرت منها إحدى عشرة خصلة.
ومنها: ما حرم عليه دون غيره، وذكرت منها ست خصائص على سبيل المثال لا الحصر.

ومنها: ما أباحه الله عليه دون غيره، وقد ذكرت منها اثنتي عشرة خصلة.

ومنها: ما اختص به من الفضائل، وقد جمعت منها على سبيل المثال أربعا وعشرين خصلة.

ومن الخصائص التشريعية أيضًا: ما اختص به دون أمته وشاركه فيها الأنبياء وهي أشياء كثيرة جمعت منها خمس خصال على سبيل المثال.

ومن خصائصه الأخلاقية: ما لا حصر له، وقد جمعت مجموعة من الجمل والضوابط مما ورد من شمائل أخلاقه بلغت اثنتي عشرة خصلة على سبيل المثال فقط.

أما الخصائص الخلقية فلا يمكن حصرها ولا وصفها؛ لأنها عين الجمال كله، فهو ﷺ أصل الجمال وينبوع محاسن الحسن.

ومن خصائصه ﷺ: عظم حقه على العالمين، وعظيم حقه على الأمة، فليس لأحد مثل ما للنبي ﷺ في ذلك، وقد ذكرت منها على سبيل الإجمال ستة حقوق، بالإضافة إلى واجب العالمين جميعًا نحوه في الإيمان به ﷺ، فيكون المجموع سبعة، وبهذا يكون مجموع الخصائص والفضائل الإعجازية التشريفية والتشريعية والأخلاقية التي جمعتها، تسع وثمانين ومائة خصلة مع ما تضمنته كثرة معجزاته، وإجابة أدعيته، وإخباره بالغيوب، وأخبار عصمته.

وكثرة خصائصه ﷺ، وفضائله تدل على علو، وسُمُوٍّ، وشَرَافَةِ قَدْرِ النبي ﷺ، وأن ذلك الفضل من الله لنبيه حتى لا يكون لأحد عليه منة ولا فضل من الخلق، ولا يستطيع أحد أن يحصي فضل الله وعطائه عليه ﷺ، وكما قال سبحانه: ﴿ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾[1]، ومن ثم عظمت حقوقه ﷺ على الورى أجمعين.

سابعا: من خصائصه ﷺ أن حقوقه ليست على الأمة فقط؛ بل منها ما يجب على العالمين جميعا، ومنها ما يجب على الأمة خاصة، كما سبق وهذا ليس لأحد غيره.

ثامنا: في نهاية البحث نؤكد على كثرة الخصائص النبوية، وأهميتها، وأهمية الحاجة إلى الدراسات المتنوعة حولها لمزيد من الفهم والتعريف بجلال قدره ﷺ وشريف منزلته وعلو شأنه عند رب العالمين، وأن ذلك من واجب المسلمين نحو نبيهم ﷺ.

وفي نهاية هذه الكلمات لا يسعني إلا أن أسجد لله تعالى شكرًا أنْ شَرَّفَنِي بِجَمْعِ هذه المباحث، وأضْرَعُ إليه سبحانه أن يَغْفِرَ لي تقصيري وإسرافي وجهلي، ويتجاوز عني فهو سبحانه وَلِيُّ النعم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وأن يتقبل مني، ويجعل هذه الساعات التي جمعت فيها تلك الورقات خالصة لوجهه الكريم، وأن ينفع بها ويجعلها بفضله وإحسانه نورًا في صحائف أعمالنا وأزواجنا وذرياتنا وآبائنا وأمهاتنا وأساتذتي، وكل من أعانني وله علي حق ...

---

[1] سورة النساء، آية: (١١٣).

ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطانا، ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنـــا، ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به، واعف عنا، واغفر لنا وارحمنا، ربنا اغفر لنا ولإخواننا الـــذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحـــيم، ربنـــا اغفـــر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب، ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعـــين، واجعلنـــا للمتقين إمامًا، اللهم شَفِّع نبيك وحبيبك محمد في الأولين والآخرين يا رب العالمين، اللهم صَـــلِّ وسَلِّم وبارك على نبينا وحبيبنا محمد وعلى آله وصحبه، ومن اتَّبَعَ هداهم إلى يوم الدين.

آمـــين

أهم المراجع

١. الأحاديث المختارة لأبي عبد الله المقدسي المتوفى سنة ٦٤٣ هـ ط مكتبة التراث مكة المكرمة سنة ١٤١٠هـ.
٢. الإحكام في أصول الأحكام، لعلي بن أحمد بن حزم الأندلسي أبي محمد، ط: دار الحديث – القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٤ هـ.
٣. الإحكام في أصول الأحكام لعلي بن محمد الآمدي أبو الحسن، ط: دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة الأولى، ١٤٠٤ هـ ،تحقيق: د. سيد الجميلي.
٤. أحكام القرآن لأحمد بن علي الرازي الجصاص أبو بكر، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ١٤٠٥هـ، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي.
٥. إحياء علوم الدين لمحمد بن محمد الغزالي أبو حامد، ط: دار االمعرفة – بيروت.
٦. الأدب المفرد للبخاري ترتيب كمال يوسف الحوت ط، عالم الكتب بيروت ١٤٠٤ هـ.
٧. إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم لمحمد بن محمد العمادي أبي السعود، ط دار إحياء التراث العربي – بيروت.
٨. الاستذكار لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري، ط دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠م. تحقيق: سالم محمد عطا، محمد علي معوض
٩. الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين تأليف خير الدين الزركلي، ط: دار العلم للملايين، الطبعة التاسعة ١٤١٣ هـ ١٩٩٣ م مؤسسة الرسالة، بيروت.
١٠. الإنصاف لعلي بن سليمان المرداوي أبي الحسن، المولود سنة ٨١٧ هـ المتوفى سنة ٨٨٥ هـ – الناشر: دار إحياء التراث العربي، تحقيق محمد حامد الفقي.
١١. الإصابة في تمييز الصحابة لأحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، الناشر: دار الجيل – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ تحقيق: علي محمد البجاوي.
١٢. أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة لنخبة من العلماء الطبعة: الأولى الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية سنة ١٤٢١هـ.

١٣. إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ، الجريمة الدانماركية ووسائل نصرة خير البرية ﷺ، إعداد: وليد نور.
١٤.الأنوار في شمائل النبي المختار، تأليف محيي السنة الحسين بن مسعود البغوي (ت: ٥١٦ هـ) حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه العلامة الشيخ إبراهيم اليعقوبي، دار الضياء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.
١٥.الإيمان، لمحمد بن إسحاق بن يحيى بن منده، ط: مؤسسة الرسالة – بيروت الطبعة الثانية، ١٤٠٦ هـ، تحقيق: د. علي بن محمد بن ناصر الفقيهي.
١٦.بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، لعلاء الدين الكاساني المتوفى سنة ٥٨٧هـ ط دار الكتاب العربي، سنة ١٩٨٢م، بيروت.
١٧.بداية السول في تفضيل الرسول للعز بن عبد السلام المتوفى ٦٦٠ هـ تعليق عبد المعز الجزار ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٤٢١ هـ.
١٨.البداية والنهاية لإسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبي الفداء، المتوفى: ٧٧٤ هـ، نشر دار الفكر، بيروت، سنة ١٤٠١ هـ، الطبعة الخامسة أيار (مايو) ١٩٨٠.
١٩.بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث، الحارث ابن أبي أسامة، للحافظ نور الدين الهيثمي، مركز خدمة السنة والسيرة النبوية – المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٢م، تحقيق: د. حسين أحمد صالح الباكري .
٢٠.التاج والإكليل لمختصر خليل، لمحمد بن يوسف بن أبي القاسم العبدري أبو عبد الله سنة الوفاة ٨٩٧هـ، نشر دار الفكر، سنة النشر ١٣٩٨هـ بيروت.
٢١. تاريخ ابن خلدون لعبد الرحمن بن خلدون الحضرمي المتوفى سنة ٨١٨ هـ. الطبعة الرابعة دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان.
٢٢. تبين الحقائق شرح كنز الدقائق، لفخر الدين عثمان بن علي الزيلعي الحنفي. نشر دار الكتب الإسلامي، سنة ١٣١٣هـ. القاهرة.
٢٣.تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي للمباركفوري المتوفى سنة ١٣٥٣ هـ – ط دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٤.تفسير القرآن العظيم لابن كثير إسماعيل بن كثير البصري الدمشقي المتوفى سنة ٧٧٤ هـــ. ت: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـــ - ١٩٩٩ م.
٢٥.تقريب التهذيب لأحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، ط: دار الرشيد – سوريا، الطبعة الأولى، ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦م، ت: محمد عوامة.
٢٦.التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري المولود سنة ٣٦٨هـــ والمتوفى سنة ٤٦٣هـــ نشر وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية المغرب سنة١٣٨٧هـــ تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري.
٢٧. تنزيه الأنبياء عما نسب إليهم حثالة الأغبياء لأبي الحسن علي بن أحمد السبتي الأموي، ط دار الفكر المعاصر - بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٠م تحقيق: د.محمد رضوان الداية.
٢٨.تهذيب التهذيب، لأحمد بن علي بن حجر أبي الفضل العسقلاني الشافعي، ط دار الفكر – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤ هـ – ١٩٨٤م.
٢٩.جامع البيان في تأويل القرآن لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، المتوفى سنة ٣١٠ هـــ، ت: أحمد محمد شاكر: نشر مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـــ - ٢٠٠٠ م.
٣٠. الجامع الصحيح سنن الترمذي لمحمد بن عيسى الترمذي السلمي المتوفى سنة ٢٧٩ هـــ، ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، والأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها.
٣١. الجامع الصحيح المختصر لمحمد بن إسماعيل البخاري الجعفي المتوفى سنة ٢٥٦ هـــ الناشر: دار ابن كثير، اليمامة - بيروت الطبعة الثالثة، ١٤٠٧ – ١٩٨٧ م تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة - جامعة دمشق .
٣٢. الجامع لأحكام القرآن لمحمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري القرطبي، المتوفى سنة ٦٧١ هـــ، ط دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان ١٤٠٥ هـ- ١٩٨٥م.

٣٣. الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع لأحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، نشر مكتبة دار المعارف – الرياض سنة ١٤٠٣ هـ تحقيق محمود الطحان.
٣٤. جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبي عبد الله الناشر: دار العروبة - الكويت، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧ م تحقيق: شعيب الأرناؤوط - عبد القادر الأرناؤوط.
٣٥. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، الناشر: دار العاصمة – الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ، تحقيق: د.علي حسن ناصر، د.عبد العزيز إبراهيم العسكر، د. حمدان محمد.
٣٦. جوامع السيرة وخمس رسائل أخرى لابن حزم المؤلف: علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، الأندلسي، الظاهري، ت: إحسان عباس، الناشر: دار المعارف – مصر الطبعة: الأولى سنة ١٩٠٠م.
٣٧. حاشية الجمل على المنهج لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري، للعلامة الشيخ سليمان الجمل رَحِمَهُ اللَّهُ، دار النشر، دار الفكر – بيروت.
٣٨. حاشية الخرشي على مختصر سيدي خليل، ط دار الفكر للطباعة بيروت.
٣٩. حاشية رد المختار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار فقه أبو حنيفة لابن عابدين، الناشر دار الفكر للطباعة والنشر، سنة النشر ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، بيروت.
٤٠. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، نشر دار الكتاب العربي بيروت، الطبعة الرابعة، سنة١٤٠٥ هـ.
٤١. حقوق النبي ﷺ على أمته في ضوء الكتاب والسنة لمحمد بن خليفة بن علي التميمي الناشر: أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ ١٩٩٧م
٤٢. الخصائص الكبرى، للشيخ جلال الدين: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي المتوفى: سنة ٩١١هـ، نشر دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٤٣. خصائص المصطفى ﷺ بين الغلو والجفاء الفقهية، تأليف: الصادق بن محمد بن إبراهيم، وهو رسالة علمية تقدم بها الباحث إلى قسم العقيدة بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية لنيل درجة الماجستير.
٤٤. الدر المنثور لعبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي، دار الفكر - بيروت، ١٩٩٣.
٤٥. دلائل النبوة لأبي نعيم، ت: محمد رواس قلعجي ط المطبعة العربية حلب.
٤٦. دلائل النبوة للأصبهاني المتوفى سنة ٥٢٥ هـ، تحقيق محمد الحداد، نشر دار طيبة بالرياض سنة ١٤٠٩ هـ الطبعة الأولى.
٤٧. دلائل النبوة للماوردي المتوفى ٤٥٠ هـ ط دار الكتب العلمية بيروت.
٤٨. دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة للإمام البيهقي المتوفى ٤٥٨هـ، ت: عبد المعطي قلعجي، ط دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.
٤٩. الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المصنفة، لمحمد بن جعفر الكتاني دار البشائر الإسلامية – بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦ م تحقيق: محمد المنتصر ومحمد الكتاني.
٥٠. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لمحمود الألوسي أبي الفضل، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
٥١. الروض المربع شرح زاد المستقنع، لمنصور بن يونس بن إدريس البهوتي المتوفى سنة ١٠٥١هـ والناشر مكتبة الرياض الحديثة سنة ١٣٩٠هـ بالرياض.
٥٢. روضة الطالبين للإمام أبي ذكريا يحيي بن شرف النووي الدمشقي المتوفى ٦٧٦ هـ ومعه: منتقى الينبوع فيما زاد على الروضة من الفروع، للحافظ جلال الدين السيوطي المتوفى سنة ٩١١ هـ تحقيق الشيخ: عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ على محمد معوض، ط دار الكتب العلمية – بيروت.
٥٣. روضة الناظر وجنة المناظر، لعبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي أبي محمد، ط: جامعة الإمام محمد بن سعود – الرياض الطبعة الثانية، ١٣٩٩ هـ تحقيق: د. عبد العزيز عبد الرحمن السعيد.

٥٤. زاد المعاد، لمحمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي المتوفى سنة ٧٥١ هـ مؤسسة الرسالة – مكتبة المنار الإسلامية – بيروت – الكويت، الطبعة الرابعة عشر، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٦ م ،تحقيق: شعيب الأرناؤوط – عبد القادر الأرناؤوط.
٥٥. الرسل والرسالات، د. عمر- سليمان الأشقر، الطبعة العاشرة ١٤٢٠هـ دار النفائس الأردن.
٥٦. سنن ابن ماجه لمحمد بن يزيد القزويني المتوفى ٢٧٥ هـ، الناشر: دار الفكر – بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي مع الكتاب: تعليق محمد فؤاد عبد الباقي، والأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها.
٥٧. سنن أبي داود، لسليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي المتوفى سنة ٢٧٥ هـ، ط: دار الحديث ١٣٨٩ هـ، نشر: دار الفكر، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مع تعليقات: كَمَال يوسُفْ الحوُت، والأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها.
٥٨. سنن البيهقي الكبرى لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي المتوفى ٣٠٣ هـ، نشر: مكتبة دار الباز – مكة المكرمة، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤ م تحقيق: محمد عبد القادر عطا.
٥٩. سنن الدارمي لعبد الله بن عبد الرحمن الدرامي المتوفى سنة ٢٥٥ هـ نشر دار الكتاب العربي، ببيروت، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٧ هـ، تحقيق فؤاد أحمد وخالد السبع.
٦٠. السنة لابن أبي عاصم عمرو بن أبي عاصم الضحاك الشيباني المتوفى ٢٨٧هـ، نشر المكتب الإسلامي، بيروت سنة ١٤٠٠هـ الطبعة الأولى، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني.
٦١. سير أعلام النبلاء، تصنيف الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي المتوفى ٧٤٨ هـ ١٣٧٤ م أشرف على تحقيق الكتاب وخرج أحاديثه حسين الأسد، ط مؤسسة الرسالة.
٦٢. السيرة النبوية، لابن هشام لعبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري أبو محمد المتوفى سنة ٢١٣هـ، ط: دار الجيل بيروت، ط١، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد.

٦٣. شرح العقيدة الطحاوية لمحمد بن علاء الدين علي بن محمد أبي العز الحنفي الملقب بصدر الإسلام المتوفى ٧٩٢ هـ، نشر المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة الرابعة، ١٣٩١هـ.
٦٤. شرح العقيدة الواسطية، لشيخ الإسلام ابن تيمية الطبعة الثانية ١٤١٥ هـ لدار الهجرة بالمملكة العربية السعودية.
٦٥. شرح معاني الآثار، للإمام الطحاوي ت محمد زهدي النجار القاهرة.
٦٦. شرح النووي على صحيح مسلم، للإمام النووي المتوفى سنة ٦٧٦ هـ – نشر دار إحياء التراث العربي سنة ١٣٩٢ هـ.
٦٧. الشفا بتعريف حقوق المصطفى، للعلامة القاضي أبي الفضل عياض اليحصبي ت: ٥٤٤ هـ، مذيل بالحاشية المسماة: مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفاء، للعلامة أحمد بن محمد بن محمد الشمنى ٨٧٣هـ، دار الفكر الطباعة والنشر والتوزيع .
٦٨. شعب الإيمان لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، المتوفى ٤٥٠ هـ نشر دار الكتب العلمية، بيروت سنة ١٤١٠هـ، الطبعة الأولى، ت: محمد السعيد بسيوني زغلول.
٦٩. الشمائل الشريفة المؤلف: الإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، نشر دار طائر العلم للنشر والتوزيع، تحقيق: حسن بن عبيد باحبيشي.
٧٠. الشمائل المحمدية لمحمد بن عيسى الترمذي السلمي المتوفى: ٢٧٩ هـ، الطبعة الأولى، ١٤١٢ مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت تحقيق: سيد عباس الجليمي.
٧١. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان لمحمد بن حبان بن أحمد التيمي البستي المتوفى سنة ٣٥٤ هـ، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، تحقيق شعيب الأرنؤوط.
٧٢. صحيح ابن خزيمة، لمحمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي النيسابوري الملقب بإمام الأئمة المتوفى سنة ٣١١ هـ، نشر بيروت، تحقيق محمد مصطفى الأعظمي.
٧٣. صفوة الصفوة، لعبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج المتوفى سنة ٥٩٧ هجرية، طبعة دار المعرفة ببيروت، سنة ١٩٧٩هـ، سنة ١٣٩٩م الطبعة الثانية: تحقيق محمود فاحوري، د محمد رواس قلعجي.

٧٤. الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد بن منيع أبو عبد الله البصري الزهري المولود سنة ١٦٨هـ والمتوفى سنة ٢٣٠، نشر دار صادر، بيروت.

٧٥. عظم قدره ﷺ ورفعة مكانته عند ربه ﷻ لخليل إبراهيم ملا خاطر العزامي مكتبة الملك فهد الوطنية ط ١٤١٥هـ الطبعة التاسعة بالمدينة المنورة.

٧٦. عقيدة المؤمن لأبي بكر الجزائري نشر مكتبة العلوم والحكم، ط الخامسة بالمدينة المنورة سنة ١٤٢٣ هـ.

٧٧. عون المعبود لمحمد شمس الحق العظيم أبادي أبي الطيب، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت سنة ١٤١٥ هـ، الطبعة الثانية.

٧٨. عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، تأليف محمد بن عبد الله ابن سيد الناس المتوفى ٧٣٤ هـ، ط مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر.

٧٩. غاية السول في خصائص الرسول ﷺ المؤلف: أبو حفص عمر بن علي الأنصاري الشهير بابن الملقن، ط دار البشائر الإسلامية - بيروت - ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.، تحقيق: عبد الله بحر الدين عبد الله.

٨٠. الفتاوى الكبرى لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، ط: دار المعرفة – بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٨٦ هـ ،تحقيق: حسنين محمد مخلوف.

٨١. فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأحمد بن حجر العسقلاني الشافعي، المتوفى سنة ٨٥٢ هجرية، طبع دار المعرفة ببيروت سنة ١٣٧٩ هـ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب، ط: المطبعة السلفية القاهرة.

٨٢. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير لمحمد بن علي الشوكاني.

٨٣. الفروع وتصحيح الفروع، لمحمد بن مفلح المقدسي أبي عبد الله، المتوفى ٧٦٢هـ، تحقيق أبو الزهراء حازم القاضي، الناشر دار الكتب العلمية، سنة النشر ١٤١٨هـ، مكان النشر بيروت.

٨٤. فضائل المدينة للمفضل بن محمد بن إبراهيم الجندي أبو سعيد المتوفى سنة ٣٠٨ هـ، طبعة دار الفكر بدمشق سنة ١٤٠٧، الطبعة الأولى تحقيق محمد مطيع الحافظ.

٨٥. فضائل مكة والسكن فيها للحسن بن يسار البصري أبو سعيد المولود سنة ٢١ هـ والمتوفى ١١٠ هـ، نشر: مكتبة الفلاح الكويت سنة ١٤٠٠ هـ - ت: سامي مكي العاني.
٨٦. فوات الوفيات لمحمد بن شاكر الكتبي، ت: إحسان عباس، ط دار صادر - بيروت، الطبعة الأولي. طبعة محققة الطبعة الاولى ١٤٠٨ ه.
٨٧. القضاء والقدر، للدكتور عمر سليمان الأشقر، دار النفائس للنشر والتوزيع الكويت، الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ ١٩٩٠ م.
٨٨. قطوف من الشمائل المحمدية والأخلاق النبوية والآداب الإسلامية، محمد بن جميل زينو. بدون تاريخ.
٨٩. القيامة الكبرى، لعمر سليمان الأشقر، طبعة دار النفائس، عمان، الأردن، الطبعة الثالثة عشرة سنة ١٤٢٣ هـ.
٩٠. الكافي في فقه الإمام المبجل أحمد بن حنبل، عبد الله بن قدامة المقدسي أبو محمد، المتوفى ٦٢٠ هـ، الناشر المكتب الإسلامي، بيروت.
٩١. كشف الخفاء، لإسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي المتوفى سنة ١١٦٣ هـ، نشر مؤسسة الرسالة، ببيروت، الطبعة الرابعة، تحقيق أحمد القلاش.
٩٢. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لحاجي خليفة المتوفى ١٠٦٧ هـ، نشر دار الكتب العلمية، ببيروت، سنة ١٤١٣ هـ سنة ١٩٩٢م.
٩٣. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، لعلي بن حسام الدين المتقي، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت ١٩٨٩ م.
٩٤. لسان العرب لابن منظور المتوفى: ٧١١ هـ، ط الثالثة ١٩١١هـ بيروت.
٩٥. لسان الميزان، لأحمد بن علي بن حجر أبي الفضل العسقلاني الشافعي، ط: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م. تحقيق: دائرة المعرف النظامية - الهند.
٩٦. المجتبى من السنن أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب، الطبعة الثانية، ١٤٠٦، ١٩٨٦تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة.

٩٧. مجمع الزوائد لعلي بن أبي بكر الهيثمي، المتوفى سنة ٨٠٧ هجرية نشر دار الريان للتراث بالقاهرة – دار الكتاب العربي ببيروت سنة ١٤٠٧ هجرية.
٩٨. مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية الطبعة الثانية سنة ١٤٠٠هـ الناشر مكتبة ابن تيمية بالقاهرة.
٩٩. محمد ﷺ كأنك تراه، د. عائض القرني – الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ بيروت.
١٠٠. مختصر سيرة الرسول ﷺ لمحمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن التيمى المتوفى سنة ١٢٠٦هـ، ط نشر إدارة الثقافة، بجامعة محمد بن سعود ١٤١٢هـ، المدينة المنورة.
١٠١. مسند أبي داود لسليمان بن داود أبو داود الفارسي البصري الطيالسي، دار المعرفة – بيروت.
١٠٢. مسند أبي يعلي لأحمد بن علي بن المثنى أبو يعلي الموصلي التميمي، المتوفى سنة ٣٠٧ هـ، ط دار المأمون للتراث بدمشق، سنة ١٤٠٤ هـ سنة ١٩٨٤م الطبعة الأولى، تحقيق حسين سليم أسد.
١٠٣. مسند الإمام أحمد بن حنبل لأحمد بن حنبل الشيباني المتوفى سنة ٢٤١ هـ نشر مؤسسة قرطبة بمصر، الطبعة الأولى ١٣١٣ هـ بالقاهرة.
١٠٤. مسند البزار، لأبي بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار المتوفى سنة ٢٩٢ هـ، ط مؤسسة علوم القرآن بالمدينة، ومكتبة العلوم والحكم ببيروت، سنة ١٤٠٩ هـ الطبعة الأولى، تحقيق: د محفوظ الرحمن زين الله.
١٠٥. مسند الشافعي، لمحمد بن إدريس أبي عبد الله الشافعي، دار الكتب العلمية – بيروت.
١٠٦. مسند الشهاب، لمحمد بن سلامة بن جعفر أبي عبد الله القضاعي المتوفى ٤٥٤ هـ، ط مؤسسة الرسالة، ببيروت، الطبعة الثانية، تحقيق: حمدي بن عبد الحميد السلفي ٠
١٠٧. المسند المستخرج على صحيح مسلم، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق الأصبهاني المتوفى سنة ٤٣٠ هـ، نشر دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى سنة ١٩٩٦ م، تحقيق محمد حسن إسماعيل الشافعي.

١٠٨. مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه، لأحمد بن أبي بكر بن إسماعيل الكناني المتوفى سنة ٨٤٠ هـ، نشر دار العربية، بيروت سنة ١٤٠٣ هـ، الطبعة الثانية، ت: محمد المنتقى الكشناوي.
١٠٩. المصنف في الأحاديث والآثار لأبى بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي، مكتبة الرشد – الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٩، تحقيق: كمال يوسف الحوت.
١١٠. معالم التنزيل لمحيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، المتوفى ٥١٦ هـ حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة الرابعة، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م.
١١١. المعجم الكبير لسليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني المولود٢٦٠ هـ المتوفى ٣٦٠ هـ، نشر مكتبة العلوم والحكم، الموصل سنة ١٤٠٤ هـ – ١٩٨٣م الطبعة الثانية، ت: حمدي بن عبد المجيد السلفي.
١١٢. معجم المطبوعات العربية والمعربة وهو شامل لأسماء الكتب المطبوعة في الأقطار الشرقية والغربية مع ذكر أسماء مؤلفيها ولمعة من ترجمتهم وذلك من يوم ظهور الطباعة إلى نهاية السنة الهجرية ١٣٣٩ الموافقة لسنة ١٩١٩.
١١٣. مع المصطفى عليه الصلاة والسلام الدكتورة عائشة عبدالرحمن (بنت الشاطئ) أستاذة الدراسات القرآنية بكلية الشريعة ودار الحديث جامعة القرويين: المغرب، الناشر دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان.
١١٤. المغني في الضعفاء لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي المتوفى ٧٤٨ هـ، تحقيق نور الدين عتر.
١١٥. منح الجليل شرح على مختصر سيد خليل. لمحمد عليش، الناشر دار الفكر، سنة ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م. بيروت.
١١٦. من خصائص الرسول ﷺ، د. شعبان محمد إسماعيل الطبعة الثانية دار المريخ للنشر بالرياض ١٤٠٣هـ.
١١٧. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج لأبي زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٢ هـ.

١١٨. موارد الظمآن لعلي بن أبي بكر الهيثمي أبو الحسن المتوفى سنة ٨٠٧ هـــ، طبعة دار الكتب العلمية، ببيروت، تحقيق: محمد بن عبد الرزاق حمزة موسوعة الفتاوى لدار الإفتاء المصرية.
١١٩. الموافقات في أصول الفقه، لإبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المالكي، ط: دار المعرفة – بيروت، تحقيق: عبد الله دراز.
١٢٠. المواقف لعضد الدين عبد الرحمن بن أحمد، ط الجيل – بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٧، تحقيق: د.عبد الرحمن عميرة.
١٢١. مواهب الجليل لشرح مختصر خليل، لمحمد بن عبد الرحمن المغربي أبي عبد الله المتوفى ٩٥٤، نشر دار الفكر، سنة ١٣٩٨، بيروت.
١٢٢. المواهب اللدنية للشيخ الزرقاني المالكى المتوفى١١٢٢ هـــ، نشر دار الكتب العلمية بيروت١٤١١هـــ.
١٢٣. ميزان الاعتدال في نقد الرجال لشمس الدين محمد بن أحمد الذهبي المتوفى ٧٤٨ هـــ، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، سنة ١٩٩٥م، الطبعة الأولى، ت: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبد الموجود.
١٢٤. نبي الرحمة، ورقة تعريفية بمحمد ﷺ محمد مسعد ياقوت.
١٢٥. نوادر الأصول في أحاديث الرسول لمحمد بن علي بن الحسن أبو عبد الله الحكيم الترمذي، ط دار الجيل، بيروت، سنة ١٩٩٢م، الطبعة الأولى تحقيق: عبد الرحيم.
١٢٦. الوفا بأحوال المصطفي لابن الجوزي المتوفى ٥٩٧ هـــ صححه محمد زهري النجار، ط، المؤسسة السعدية، الرياض.

الفهـــــــرس

الموضوع	الصفحة
إهداء.	٢
فائدة معرفة الخصائص المحمدية	٥
طرق العلماء في تناول وترتيب الخصائص النبوية.....	٨
ومن المؤلفات الخاصة في الخصائص النبوية	٩
منهج البحث وخطته.....	١٨
التمهيد:	٢١
أولا: الفرق بين المعجزات، والخصائص، والكرامات.....	٢١
ثانيا: وجوه ظهور معجزات النبي ﷺ وشمولها على معجزات الأنبياء والمرسلين	٢٨
المبحث الأول **الخصائص المحمدية الإعجازية**	٣٣
المطلب الأول: الخصائص المحمدية الإعجازية المبينة لتكريم الله للنبي ﷺ بسمو منزلته ورفعة قدره.	٣٤
أولا: معنى الخصائص الإعجازية.	٣٤
من الخصائص المحمدية النسب الشريف.	٣٥
من خصائصه ﷺ المبشرات بمولده وبعثته ﷺ	٣٨
ثانيا: من الرؤى التي كانت قبل بعثته وبعد ولادته . .....،.....	٤٧
ثالثًا: ما روي من الآيات للنبي ﷺ عند بناء الكعبة.	٤٩
يوم مولد الرسول ﷺ ليلة ولادته.....	٥٢
مكان ولادته ﷺ	٥٣
من خصائصه ﷺ التسمية بمحمد.	٥٤

من خصائصه ﷺ أن الله أرسله بالقرآن الكريم.	٥٥
من خصائصه الإعجازية ما أطلعه الله عليه من الغيوب وما يكون في المستقبل	٦٢
ومن خصائصه الإعجازية ما جمعه الله له من المعارف والعلوم.	٧١
من خصائصه الإعجازية اختصاصه ﷺ بأنه أفضل المرسلين.....	٧٤
من خصائصه الإعجازية تخصيصه ﷺ بتبليغ سلام كل من سلم عليه	٨٢
من خصائصه الإعجازية أنه ﷺ خاتم النبيين	٨٦
من خصائصه الإعجازية أن الله تعالى كتب نبوته قبل خلق آدم. ...	٨٨
من خصائصه الإعجازية اختصاصه ﷺ بمعجزة الإسراء والمعراج	٩٠
من خصائصه الإعجازية اختصاصه بالمناجاة ورؤيته لربه ﷻ في ليلة المعراج	٩٦
من خصائصه الإعجازية ﷺ أن الله نصره على الأعداء بالرعب.	١٠٤
من خصائصه الإعجازية أن الله أخذ الميثاق على النبيين أن يؤمنوا به. ﷺ	١٠٥
من خصائصه الإعجازية خاتم النبوة الذي خصه الله به دون غيره.....	١٠٧
من خصائصه الإعجازية تشديد الحراسة على السماء بمولده ﷺ	١١٠
من خصائصه الإعجازية أن جعل الله له ولأمته الأرض مسجدا وطهورا	١١١
من خصائصه الإعجازية ﷺ أن الله غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر	١١٣
من خصائصه الإعجازية أن الله أعطاه جوامع الكلم.	١١٥
من خصائصه الإعجازية مما خصه الله وأكرمه به من قتال الملائكة معه	١١٧
من خصائصه الإعجازية ﷺ أن ما بين بيته ومنبره روضة من رياض الجنة	١١٩
من خصائصه الإعجازية أنه أعطى انشقاق القمر.	١٢٠
من خصائصه الإعجازية أنه ﷺ أعطي مفاتيح خزائن الأرض.	١٢١
من خصائصه الإعجازية: تكفل الله بحفظ دينه ﷺ الذي أرسله به	١٢٣

من خصائصه الإعجازية ﷺ القسم بحياته في القرآن الكريم.....	١٢٤
من خصائصه الإعجازية أنه ﷺ نبي الإسلام.	١٢٦
من خصائصه ﷺ أنه أولى بالأنبياء من أممهم.	١٢٧
من خصائصه الإعجازية ﷺ أن الله خصه بأن يكون نبيًا أميًّا.....	١٢٨
من خصائصه الإعجازية ﷺ كثرة معجزاته الدالة على تفضيله وتكريمه.	١٣٠
ما أكرمه الله به من إجابة أدعيته ﷺ لبعض الصحابة وعلى بعض الكفار	١٣٢
من خصائصه الإعجازية معجزاته ﷺ في تكليم الشجر والجماد	١٣٩
من خصائصه الإعجازية ما شوهد من معجزات أفعاله	١٤٢
المطلب الثاني: خصائصه الإعجازية التي يتبين منها عظم الرسالة الإسلامية	١٤٥
من خصائصه ﷺ الإعجازية أن الله يظهر دين نبيه ﷺ على كل دين.	١٤٥
من خصائصه ﷺ الإعجازية عموم رسالته لكل العالمين.	١٤٦
من ذلك أن معجزة كل نبي انقضت معه ومعجزاته ﷺ باقية بعده إلى ما شاء	١٥١
من خصائصه ﷺ إرساله برسالة الرحمة العامة للعالمين جميعا.....	١٥٢
من خصائصه ﷺ جعل الهم بالسيئة غير مؤاخذ به.	١٥٣
من خصائصه ﷺ جعل رسالته سمحاء حنيفية.	١٥٤
من خصائص الشريعة الإسلامية أنها تقرر المساواة بين المسلمين.....	١٥٩
المطلب الثالث: خصائص النبي ﷺ الإعجازية التي يقصد منها تفضيل أمته على سائر الأمم	١٦١
من الخصائص الإعجازية للنبي ﷺ أن الله جعل أمته خير الأمم	١٦١
من الخصائص الإعجازية للنبي ﷺ ما خصت به أمته من بين الأمم بأن جعلها الله	١٦٧

آخر الأمم في الدنيا وأولهم حسابًا في الآخرة. .	
من الخصائص الإعجازية للنبي ﷺ ما خصت به أمته بيوم الجمعة.	١٦٨
ومما خصت به أمته أن جعل الله لها ساعة إجابة في يوم الجمعة	١٧٠
ومما خصت به هذه الأمة من بين الأمم أنهم يأتون يوم القيامة غرا محجلين	١٧٣
من خصائص الأمة المحمدية أن: كل مسلم يأتي يوم القيامة ،وله نوران يمشي بهما	١٧٥
من خصائص أمته ما ذكره الله في وصفها في التوراة والإنجيل من الصلاة المفروضة عليهم وجعل أناجيلهم في صدورهم وأنهم يقاتلون المسيح الدجال	١٧٧
من الخصائص الإعجازية للنبي ﷺ ما خصت به أمته من بين الأمم أن جعل الله علمائها ورثة للأنبياء .	١٧٩
من الخصائص الإعجازية للنبي ﷺ ما خصت به أمته بليلة القدر	١٨٠
من الخصائص الإعجازية للنبي ﷺ ما خصت به أمته بصيام رمضان	١٨٣
من الخصائص الإعجازية للنبي ﷺ ما خصت به أمته من بين الأمم أن جعل الله مسجد النبي ﷺ تضاعف الأجور فيه للأمة.	١٨٤
من الخصائص الإعجازية للنبي ﷺ ما خصت به أمته من بين الأمم بأن جعل الأفضلية في الأمة على القرب من النبي حسا ومعنى وزمانا ومكانا.	١٨٦
من الخصائص الإعجازية للنبي ﷺ ما خصت به أمته من بين الأمم اختباء دعوته ﷺ الشفاعة لأمته.	١٨٨
من الخصائص الإعجازية للنبي ﷺ دخول العدد الكثير من أمته الجنة	١٩٠
من الخصائص الإعجازية للنبي ﷺ ما خصت به أمته من بين بأن من قد آمن بالمصطفى ﷺ و لم يره قد يكون أشد حبا له من أقوام رأوه .	١٩٢
من الخصائص الإعجازية للنبي ﷺ ما خصت به أمته من بين الأمم ما يحصل لأمته ﷺ من استغفاره بعد وفاته.....	١٩٣

من الخصائص الإعجازية للنبي ﷺ ما خصت به أمته من بين الأمم الأمـــة أن الله وملائكته يصلون عليهم إلى يوم القيامة.	١٩٤
ومما خصت به هذه الأمة من بين الأمم أن الله ﷻ سماهم المسلمين	١٩٧
من الخصائص الإعجازية للنبي ﷺ ما خصت به أمته من بين أن الله ﷻ أكمل لها الدين، وأتم عليها النعمة.....	١٩٩
من الخصائص الإعجازية للنبي ﷺ ما خصت به أمته من بين الأمم ما حطه الله ﷻ عنها من الإصر والأغلال.	٢٠٠
من الخصائص الإعجازية للنبي ﷺ ما خصت به أمته من بين الأمـــم أن المســـيح عليه السلام يصلي خلف إمام المسلمين.	٢٠٥
من الخصائص الإعجازية للنبي ﷺ ما خصت به أمته من بين الأمـــم أن جعلـــت صفوفها كصفوف الملائكة.	٢٠٧
من الخصائص الإعجازية للنبي ﷺ ما خصت به أمته أنها أحلت لهم الغنائم	٢٠٧
ومما خصت به هذه الأمة من بين الأمم أن هذه الأمة شهداء الله في الأرض.	٢٠٨
من الخصائص الإعجازية للنبي ﷺ ما خصت به أمته بصلاة العشاء	٢٠٩
من الخصائص الإعجازية للنبي ﷺ ما خصت به أمته من بين الأمم أنهـــا تكـــون شاهدة للأنبياء -عليهم السلام- على أممهم..	٢٠٩
من الخصائص الإعجازية للنبي ﷺ ما خصت به أمته أنها أول من يجتاز الصراط	٢١٠
من الخصائص الإعجازية للنبي ﷺ ما خصت به أمته من بين الأمم أنها أول من يدخل الجنة	٢١١
من الخصائص الإعجازية للنبي ﷺ ما خصت به أمته من بين الأمـــم انفرادهـــا بدخول الجنة من الباب الأيمن.	٢١٣
من الخصائص الإعجازية للنبي ﷺ ما خصت به أمته مـــن بـــين الأمـــم أن الله	٢١٤

سيفديها بغيرها من الأمم.	
من الخصائص الإعجازية للنبي ﷺ ما خصت به أمته أنها أكثر أهل الجنة	٢١٥
من الخصائص الإعجازية للنبي ﷺ ما خصت به أمته من بين الأمم أن الله سيرضي نبيه ﷺ فيها.	٢١٨
من الخصائص الإعجازية للنبي ﷺ ما خصت به أمته من بين الأمم بزيادة الثواب مع قلة العمل يعني أنها أقل الأمم عملا وأكثرهم أجرا	٢١٩
من الخصائص الإعجازية للنبي ﷺ ما خصت به أمته أنها كلها تدخل الجنة	٢٢١
من الخصائص الإعجازية للنبي ﷺ ما خصت به أمته من بين الأمم أن خص الله أمته بشفاعات كثيرة في الآخرة	٢٢٢
من الخصائص الإعجازية للنبي ﷺ ما خصت به أمته من بين الأمم أن الكفار يتمنون أن لو كانوا مسلمين	٢٢٤
من الخصائص الإعجازية للنبي ﷺ ما خصت به أمته من بين الأمم أن جعل الله سادات أهل الجنة منها.	٢٢٥
من الخصائص الإعجازية للنبي ﷺ ما خصت به أمته من بين الأمم أن جعل إجماع علمائها حجة واختلافهم رحمة.	٢٢٧
مما خص الله به الأمة أن الله يغفر ذنوب العصاة ويتجاوز عنهم إكرامًا للنبي ﷺ	٢٢٨
من الخصائص الإعجازية للنبي ﷺ ما خصت به أمته من بين الأمم بالتأمين	٢٢٩
من الخصائص الإعجازية للنبي ﷺ ما خصت به من صلاة الجماعة	٢٣٠
المبحث الثاني **خصائصه ﷺ التشريفية في الدنيا والآخرة**	٢٣٢

المطلب الأول: من خصائص النبي ﷺ التشريفية في الدنيا.	٢٣٣
من خصائصه ﷺ التشريفية كثرة أسمائه ﷺ	٢٣٣
من خصائصه ﷺ التشريفية ما خصه الله تعالى به بما سماه من أسمائه الحسنى ووصفه به من صفاته العلا.....	٢٣٩
من خصائصه التشريفية ﷺ أن الله اختاره ليكون حبيبًا له ﷻ.	٢٤٦
من الخصائص التشريفية للنبي ﷺ المدح والثناء وتعداد المحاسن التي فضله الله بها في القرآن الكريم.	٢٥٣
من الخصائص التشريفية مخاطبة الله له بالرسالة والنبوة وعدم ندائه باسمه مجردا	٢٥٧
من خصائصه التشريفية ﷺ القسم ببلده الذي ولد فيه أو حل فيه ﷺ	٢٦٢
من خصائصه التشريفية القسم له ﷺ	٢٦٣
من خصائصه ﷺ التشريفية استمرار الصلاة عليه ﷺ	٢٦٦
من خصائصه التشريفية رفع ذكره ﷺ	٢٧٠
من الخصائص التشريفية له ﷺ رؤيته ﷺ من وراء ظهره. ..	٢٧٢
من خصائصه ﷺ شهادة الله وملائكته له ﷺ بالرسالة ودين الحق. ..	٢٧٣
من خصائصه التشريفية إمامته بالأنبياء عليهم السلام في بيت المقدس:	٢٧٥
من الخصائص التشريفية له ﷺ : أن جعل الله قرنه ﷺ خير قرون بني آدم	٢٧٥
من خصائص التشريفية إن الله ﷻ وصفه في كتابه عضوًا عضوًا.	٢٧٦
من خصائصه ﷺ التشريفية أن الله تعالى وصفه بأنه نور وسراج منير	٢٧٨
المطلب الثاني: من خصائص النبي ﷺ التشريفية في الآخرة.	٢٨٠

من الخصائص التشريفية له ﷺ : أنه أفضل الخلق عند الله ،وسيد ولد آدم	٢٨٠
من خصائصه التشريفية اختصاصه يوم القيامة بخصوص الكرامة ...	٢٨٧
من خصائصه التشريفية اختصاصه بالحوض المورود.	٢٨٩
من خصائصه التشريفية اختصاصه بالشفاعة العظمى والمقام المحمود..	٢٩٠
من الخصائص التشريفية اختصاصه في الجنة بالوسيلة والدرجة الرفيعة	٢٩٦
من الخصائص التشريفية اختصاصه ﷺ بالكوثر.	٢٩٧
من الخصائص التشريفية ما خصه الله تعالى به من المعاني والأسرار العالية في قوله "ولسوف يعطيك ربك فترضى".....	٢٩٩
من خصائصه ﷺ التشريفية أنه ﷺ أول من يجيز على الصراط	٣٠٠
من خصائصه ﷺ التشريفية أنه ﷺ أول من يقرع باب الجنة	٣٠٠
من خصائصه ﷺ التشريفية أنه ﷺ أول من يدخل الجنة.	٣٠١
من خصائصه ﷺ التشريفية أن يكون له ﷺ كرسي عن يمين العرش	٣٠١
من خصائصه ﷺ التشريفية تأخير دعوته ﷺ المستجابة.....	٣٠٢
من الخصائص التشريفية للنبي ﷺ على إخوانه من الأنبياء صلوات الله أنه أكملهم.، وسيدهم وخطيبهم، وإمامهم.	٣٠٤
من الخصائص التشريفية أنه صاحب اللواء الأعظم يوم القيامة. ..	٣٠٥
من الخصائص التشريفية ما خصه الله به في مخاطبته بقوله: ﴿ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَى ﴾.	٣٠٦
من الخصائص التشريفية له ﷺ أن جعله الله شاهدا وشهيدا على الأنبياء	٣٠٧
المبحث الثالث **خصائصه ﷺ التشريعية**	٣١٠
المطلب الأول: ما اختص به دون غيره من الأنبياء والأمة.	٣١٢

النوع الأول: من خصائصه التشريعية ما وجب عليه دون غيره	٣١٢
من خصائصه التشريعية وجوب صلاة الضحى.....	٣١٢
من خصائصه التشريعية وجوب السواك.....	٣١٤
من خصائصه التشريعية وجوب الأضحية، وجواز تضحيته ﷺ عن الغير.	٣١٦
من خصائصه التشريعية وجوب صلاة الوتر عليه ﷺ :	٣١٧
– من خصائصه التشريعية وجوب سنة الفجر	٣١٨
اختصاصه ﷺ بوجوب قيام الليل	٣١٩
من خصائصه ﷺ قضاء الفوائت من الرواتب.	٣٢١
من خصائصه ما أوجبه الله عليه دون غيره من أمره تعالى له بتخيير أزواجه	٣٢٢
من خصائصه التشريعية وجوب المشاورة.....	٣٢٥
من خصائصه التشريعية وجوب إنكار المنكر.	٣٢٧
من خصائصه التشريعية قضاء دين من مات معسرًا من المسلمين.....	٣٢٧
النوع الثاني: من خصائصه التشريعية ما حرم عليه دون غيره.	**٣٢٩**
من خصائصه ﷺ أنه كان يحرم عليه أكل البصل والثوم والكرات...	٣٢٩
من خصائصه ﷺ أنه كان يحرم عليه أكل الصدقة	٣٣٠
من خصائصه التشريعية أنه كان يحرم عليه الإهداء لينال أكثر مما أهدى	٣٣٢
من خصائصه أنه ﷺ لم يكن له خائنة الأعين.	٣٣٣
من خصائصه أنه ﷺ لم يكن له تعلم الشعر.....	٣٣٣
مما خص به أنه ﷺ حرم عليه نكاح الكتابية دون غيره.	٣٣٥
النوع الثالث: من الخصائص التشريعية ما أباحه الله له دون غيره.	٣٣٨
من خصائصه ﷺ أنه لم يمت ﷺ حتى خيره الله تعالى بين البقاء في الدنيا وبين الجنة.	٣٣٨

من خصائصه ﷺ كان الوصال في الصيام له مباحاً	٣٣٨
ومن خصائصه ﷺ كان يقبل وهو صائم	٣٤٠
من الخصائص التشريعية ما أبيح له من النكاح دون غيره أنه مات صلوات الله وسلامه عليه عن تسع نسوة	٣٤١
من الخصائص التشريعية ما أباحه الله له دون غيره أنه كان يصح تزوجه بلفظ الهبة أو أباح له نكاح الهبه.	٣٤٢
من الخصائص التشريعية ما كان يباح له دون غيره من التزوج بغير ولي ولا شهود	٣٤٣
من الخصائص التشريعية ما يباح له دون غيره من التزوج في الإحرام	٣٤٣
من خصائصه التشريعية إباحة النكاح بغير صداق.	٣٤٤
من خصائصه التشريعية انه يجوز له أن يجعل الصداق العتق.	٣٤٥
من خصائصه التشريعية ما أبيح له خاصة سقوط القسم عند أزواجه.....	٣٤٦
من خصائصه التشريعية ما أبيح له من تبدل أزواجه.....	٣٤٧
من خصائصه التشريعية حقه ﷺ في الغنيمة والفيء.....	٣٥٠
النوع الرابع: ما اختص به من الفضائل التشريعية دون غيره.....	**٣٥٢**
من الفضائل التشريعية جواز اختصاصه ﷺ من شاء بما شاء من الأحكام	٣٥٢
من الفضائل التشريعية اختصاصه ﷺ بأنه أولى بالمؤمنين من أنفسهم	٣٥٣
من الفضائل التشريعية اختصاصه بأنه لا يجوز التقدم بين يديه ورفع الصوت عنده	٣٥٤
من الفضائل التشريعية اختصاصه ﷺ بأن أزواجه أمهات المؤمنين....	٣٥٥
- من فضائله ﷺ التشريعية أن أزواجه أفضل نساء الأمة.....	٣٥٨

من الفضائل التشريعية اختصاصه ﷺ بتفضل قرابته على الأمة.....	٣٥٨
من الفضائل التشريعية اختصاصه ﷺ بأنه يحرم نكاح زوجاته اللاتي توفي عنهن إجماعًا	٣٦٣
من فضائله التشريعية اختصاصه ﷺ بأن من قذف عائشة قتل بلا خلاف	٣٦٦
من فضائله التشريعية اختصاصه ﷺ بقتل من سبه أو انتقصه	٣٦٦
من فضائله التشريعية اختصاصه ﷺ بأنه إذا سب رجلاً ليس حقيقًا بذلك يكون ذلك كفارة له.....	٣٦٧
من فضائله التشريعية اختصاصه ﷺ بأن كل نسب وسبب ينقطع نفعه وبره يوم القيامة إلا نسبه وسببه وصهره ﷺ	٣٦٧
من فضائله التشريعية: اختصاصه ﷺ بأنه كان لا ينتقض وضوؤه بالنوم	٣٦٨
من فضائله التشريعية اختصاصه ﷺ بطهارة شعره وكل فضلات جسمه.	٣٧٠
من فضائله التشريعية اختصاصه ﷺ بأن صلاته النافلة قاعدًا كصلاته قائمًا إن لم يكن له عذر بخلاف غيره، فإنه على النصف من ذلك.	٣٧١
من فضائله التشريعية اختصاصه ﷺ بأنه كان يجب على المصلي إذا دعاه رسول الله ﷺ أن يجيبه	٣٧٢
من فضائله التشريعية اختصاصه ﷺ بأنه لم يأكل من الضب.....	٣٧٣
من فضائله التشريعية اختصاصه التي ليست لغيره أن الكذب عليه ﷺ ليس كالكذب على غيره.	٣٧٤
من فضائله التشريعية اختصاصه ﷺ بأن البلد الذي بعث فيه أشرف بقاع	٣٧٥

الأرض، ثم مهاجره.....	
من فضائله التشريعية اختصاصه ﷺ بالدفن في البنيان	٣٨١
من فضائله التشريعية اختصاصه ﷺ بأن الله تعالى جمع له بين القبلتين	٣٨٢
من فضائله التشريعية اختصاصه ﷺ بأن الله تعالى أحلّ له مكة ساعة من نهار	٣٨٣
من فضائله التشريعية اختصاصه ﷺ بأنَّ الدجال لا يدخل بلدتيه	٣٨٤
من فضائله التشريعية اختصاصه ﷺ بأن الطاعون لا يدخل مدينته..	٣٨٤
من فضائله التشريعية اختصاصه ﷺ بأن الله تعالى جمع له من مراتب الوحي.	٣٨٥
المطلب الثاني: من الخصائص التشريعية التي اختص بها دون أمته وقد يشاركه فيه الأنبياء.	٣٨٨
من الخصائص التي يشترك فيها هو والأنبياء من قبله أنه ﷺ كان تنام عيناه، ولا ينام قلبه.	٣٨٨
من الخصائص التي يشترك فيها هو والأنبياء أنه يرى ما لا يرى الناس حوله	٣٨٩
من الخصائص التي يشترك فيها هو والأنبياء أن من رآه في المنام فقد رآه حقًا ...	٣٨٩
من الخصائص التي يشترك فيها هو والأنبياء أنه لم يكن ليورث بعد وفاته	٣٩٠
من الخصائص التي يشترك فيها هو والأنبياء من قبله العصمة	٣٩١
المبحث الرابع: خصائص النبي ﷺ الأخلاقية والخِلقية	٤٠٤
المطلب الأول: خصائصه ﷺ الأخلاقية.	٤٠٥
من خصائصه الأخلاقية خلق الحياء وبهائه باتصاف سيد الخلق به.	٤١١
من خصائصه الأخلاقية: الجود، والكرم، والسماحة التي لم توجد في أحد	٤١٣

من خصائصه أنه لم يماثله أحد في وفور شفقته ورأفته لجميع الخلق	٤١٥
من خصائصه الأخلاقية أنه لم يكن أحد من الخلق يشبهه في تواضعه ﷺ	٤٢٠
من خصائصه الأخلاقية ما كان عليه من الوقار وحسن الهدي والمروءة	٤٢٢
من خصائصه الأخلاقية شدة خوفه من ربه،	٤٢٤
من خصائصه الأخلاقية نظافة جسمه، وطيب رائحته،	٤٢٥
من خصائصه الأخلاقية ما خصه الله به من وفور عقله وقوة حواسه.....	٤٢٧
من خصائصه الأخلاقية العفو.	٤٢٩
من خصائصه الأخلاقية: الشجاعة.	٤٣٠
من خصائصه الأخلاقية طيب النفس.....	٤٣٢
مما خص به ﷺ أنه سمى بالأمين قبل النبوة.....	٤٣٣
المطلب الثاني: خصائصه ﷺ الخِلقية.	٤٣٥
أولا: صفة وجه النبي ﷺ	٤٣٥
ثانيا: صفة لون النبي ﷺ	٤٣٧
ثالثا: صفة عين رسول الله ﷺ وفمه.....	٤٣٩
رابعا: صفة جبين رسول الله ﷺ	٤٤٠
خامسا: صفة رأس رسول الله ﷺ ولحيته.	٤٤١
سادسا: صفة شعر رسول الله ﷺ	٤٤١
سابعا: صفة شيب رسول الله ﷺ وخضابه.	٤٤٣
ثامنًا: صفة كفي رسول الله ﷺ	٤٤٤
تاسعا: صفة قامة رسول الله ﷺ	٤٤٥

عاشرا: رائحة رسول الله ﷺ وعرقه ولين يده ﷺ .	٤٤٥
الوصف الجامع لصفة الرسول.	٤٤٧
المبحث الخامس **من خصائصه ﷺ ما افترضه الله له من حقوق وواجبات على الأمة والعالمين**	٤٥٦
المطلب الأول: من خصائصه ما افترضه الله له على العالمين	٤٥٧
المطلب الثاني: من خصائصه ما افترضه الله تعالى له على الأمة٠.....	٤٦٢
من الحقوق والواجبات التي خص بها: أن أوجب على الأمة طاعته، وامتثال أمره.	٤٦٢
من الحقوق والواجبات التي خص الله بها نبيه ﷺ وجوب تقديم محبته على الوالد والولد والنفس والناس أجمعين..	٤٦٧
أولا: معنى المحبة:	٤٦٨
ثانيا: الأدلة على وجوب محبته ﷺ	٤٦٩
ثالثا: علامات حب النبي ﷺ :	٤٧٠
رابعا: ثواب محبته.....	٤٧٧
خامسا: صور من محبة الصحابة للنبي ﷺ وشوقهم وتعظيمهم له.	٤٧٧
سادسا: سيرة السّلف في تعظيم رواية حديث الرّسول وسننه.	٤٨١
من الحقوق والواجبات التي خص الله بها نبيه ﷺ أن الله أوجب تعزيره وتـــوقيره وتعظيمه ﷺ على أمته في حياته، وبعد مماته:	٤٨٤
سيرة السلف في تعظيم النبي ﷺ وتوقيره بعد موته.....	٤٨٩
ومن لوازم توقيره وبره ﷺ	٤٩١

ومن لوازم توقيره ﷺ توقير وبر آله وذريته، وأمهات المؤمنين أزواجه.	٤٩٤
ومن الآثار المروية عن السلف في توقير آل بيت النبي ﷺ :	٤٩٧
الحقوق والواجبات التي خص الله بها نبيه ﷺ أن الله أوجب على المؤمنين الصلاة والسلام على النبي.	٤٩٩
الأمر الأول: معنى الصلاة على النبي ﷺ	٥٠٠
الأمر الثاني: الأدلة من القرآن والسنة على مشروعية الصلاة على النبي ﷺ .	٥٠٥
الأمر الثالث: حكم الصلاة على النبي ﷺ	٥٠٧
الأمر الرابع: فضيلة الصلاة على النبي والتسليم عليه.	٥١١
الأمر الخامس: مواطن السلام على النبي ﷺ	٥١٣
الأمر السادس: الفوائد والثمرات الحاصلة بالصلاة عليه:	٥١٩
الأمر السابع: في ذم من لم يصل على النبي ﷺ	٥٢٠
من الحقوق والواجبات التي خص الله بها نبيه ﷺ أمر الله ألا ينادى ﷺ باسمه مجردا أو يكون مثل باقي الخلق في ذلك من الحقوق والواجبات	٥٢١
من الحقوق والواجبات التي خص الله بها نبيه ﷺ أن الله جعل إيذاء النبي ﷺ في حياته، أو بعد مماته، إيذاءً لله تعالى.	٥٢٢
الخاتمة.	٥٣٠
أهم المراجع.....	٥٣٦
الفهرس.....	٥٤٨